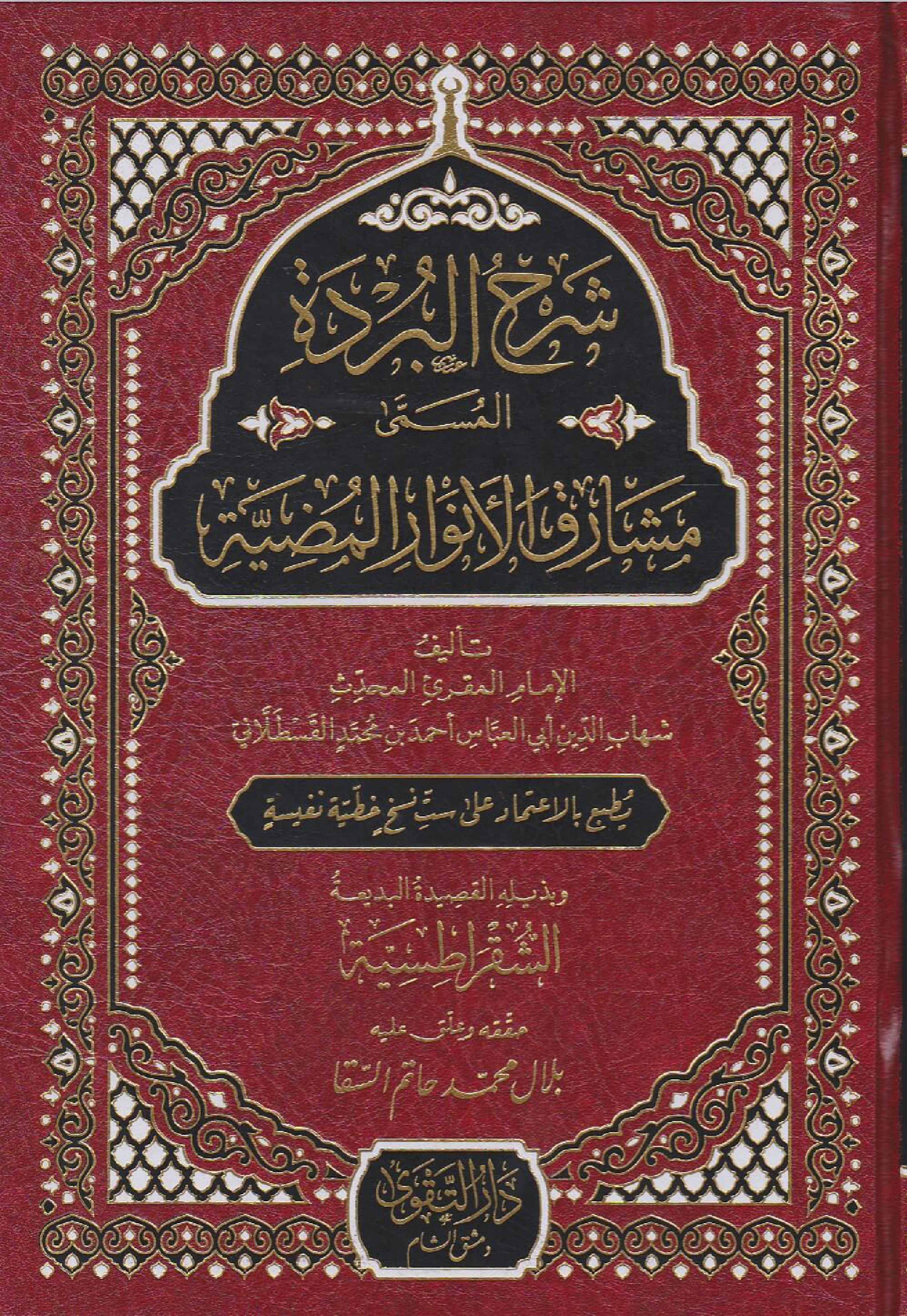
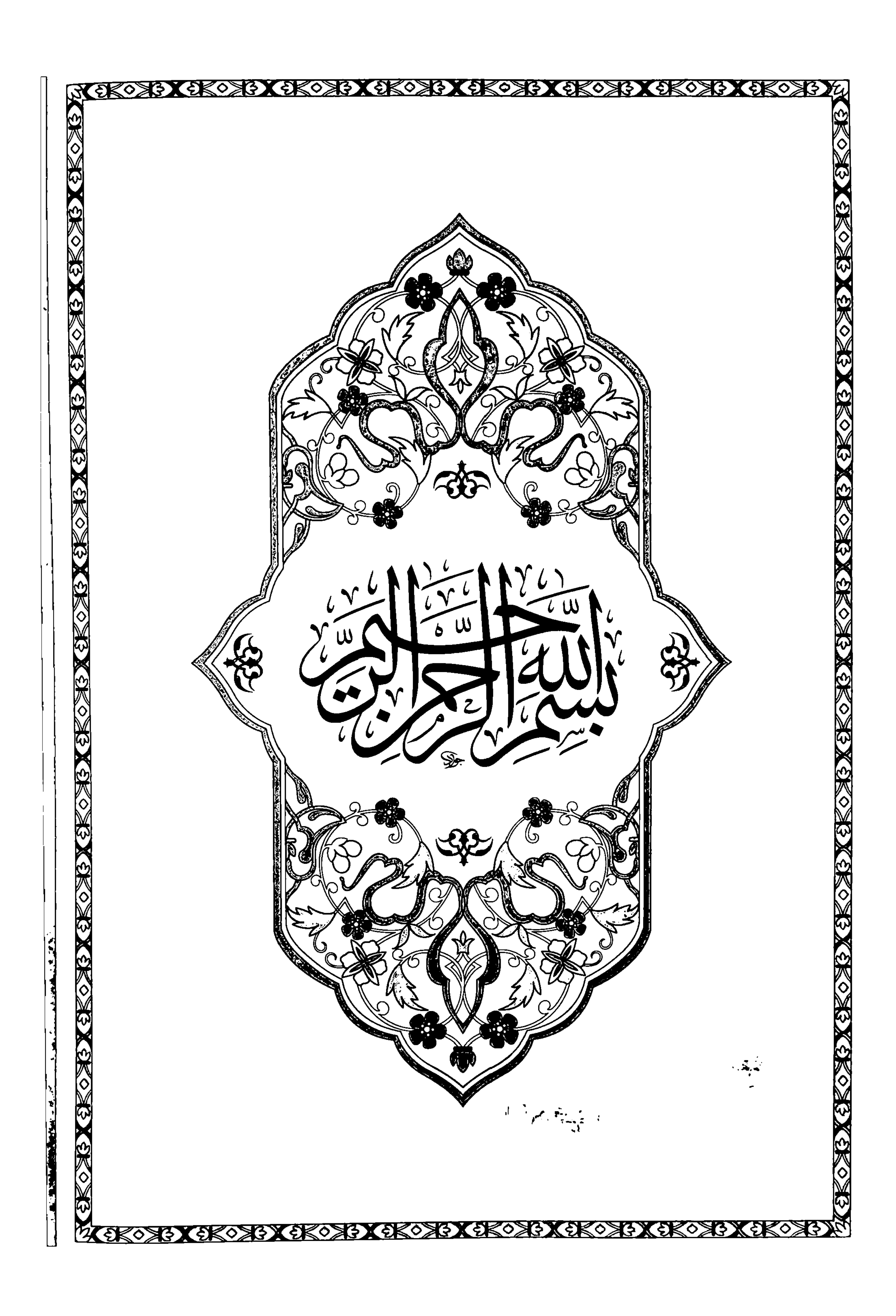


شرح البردة
المسمى
مشارق الأنوار المضية
تأليف
الإمام المقرئ المحدث
شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني
يطبع بالاعتماد على ست نسخ خطية نفيسة
ويذيله القصيدة البديعة
الشقراطسية
حققه وعلق عليه
بلال محمد حاتم السقا
دار التقوى
دمشق الشام

مشارق الأنوار المضية


بسم الله الرحمن الرحيم

شرح البردة

المسمّى

مشارق الأنوار المضية

تأليف

الإمام المقرئ المحدّث

شهاب الدين أبي العبّاس أحمد بن محمّد القسطلّاني

يُطبع بالاعتماد على ستّ نسخ خطّيّة نفيسة

وبذيله القصيدة البديعة

الشقراطسية

حقّقه وعلّق عليه

بلال محمّد حاتم السّقا

دار التقوى
دمشق الشام





الكتاب : مشارق الأنوار المضية

المؤلف : شهابُ الدِّينِ أحمدُ القسطلّانيّ

الطبعة الأولى : ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

الرقم الدولي : 978-9933-610-21-0





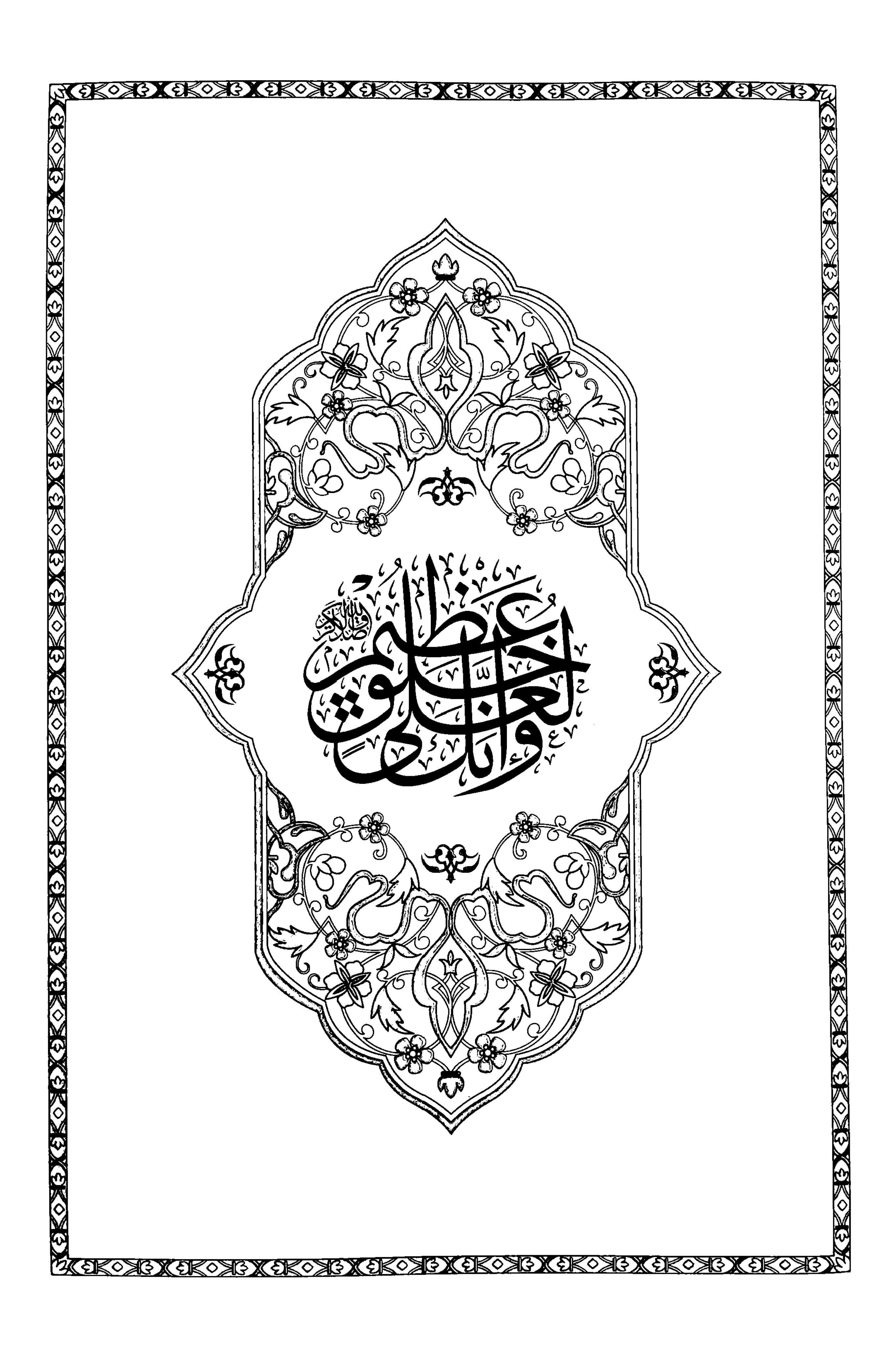
دار التقوى للطباعة والنشر والتوزيع

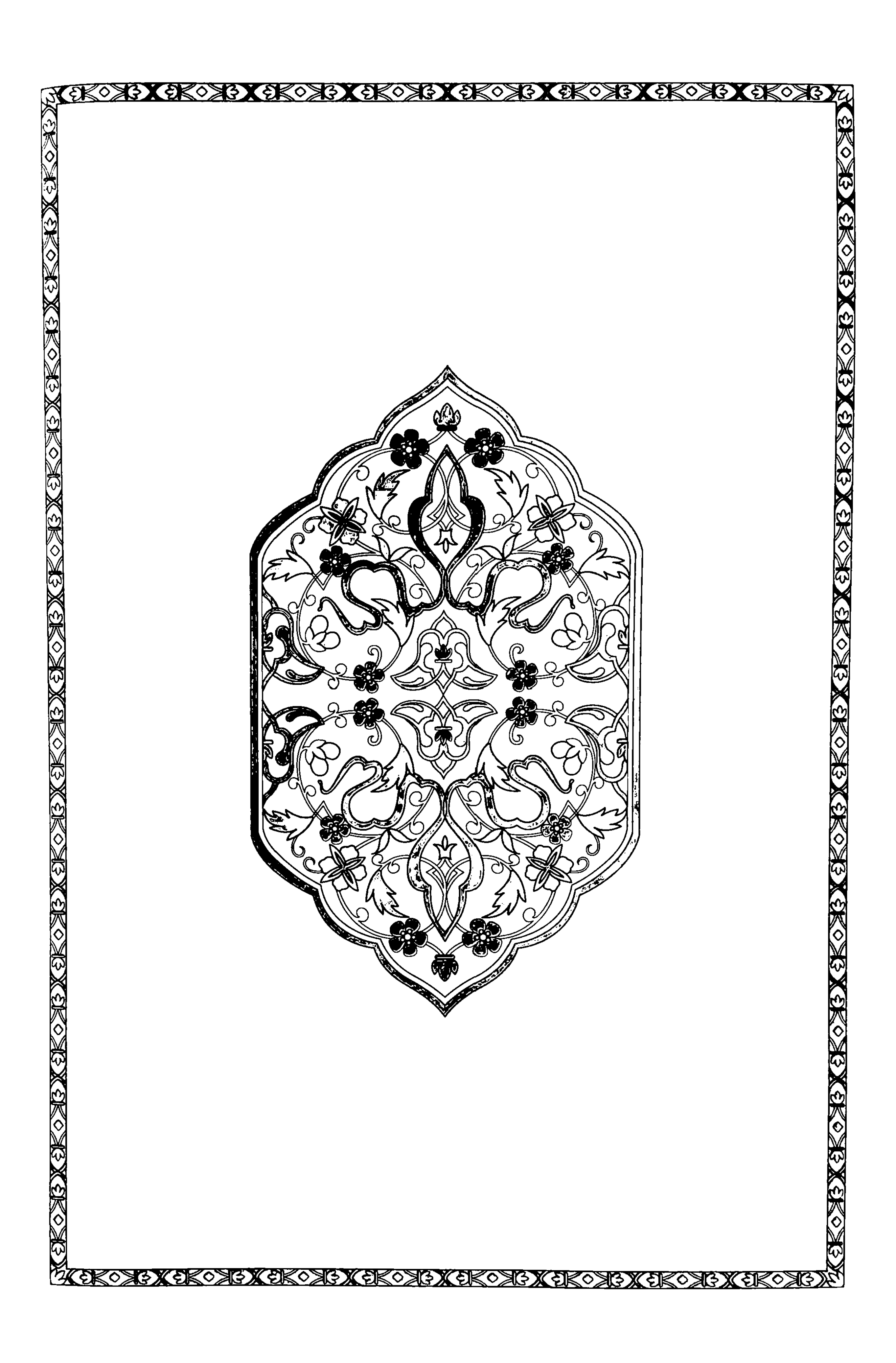
سورية - دمشق - حلبوني

هاتف : ٢٢١٥٤٦٤ ١١ ٩٦٣+ / ص . ب : ٣٠٧٢١

جوال : ٩٣٣٢٠٦٠٠٧ ٩٦٣+ / ٩٤١٩٤٤٣٨٧ ٩٦٣+

daraltaqwa.pu@gmail.com


وإنك لعلى خلق عظيم



بين يدي الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لك الحمد ربَّنا علىٰ عطاياك الجليلة ، وآلائك الجزيلة ، ومن أجلها وأعظمها نعمتُك الكبرىٰ على العالَم ، ببعث دُرَّة الوجود وسيِّدِ ولد آدم .

والصلاةُ والسلام علىٰ حبيبك المُصْطفىٰ ، وخليلك المُجْتبىٰ ، صاحبِ الخُلُق العظيم ، والقدر الفخيم ، المُفضَّلِ بالمقام المحمود ، والحوض المورود ، والمخصوصِ بالشفاعة العُظْمىٰ ، والمواهب الكُبْرىٰ .

وعلىٰ آله وأصحابه الذين تلألأت أعينُهم بطلعته المنيفة ، وتسارعت أرواحهم إلىٰ تتبُّع ظلاله الوَريفة ، وتسابقت نفوسهم إلى التبرُّك بآثاره الشريفة .

أما بعد :

فما إخالُ مثلَ هـٰذا الكتاب يقع في يد غير محبٍّ مولَّهٍ بالحضرة النبويَّة ، وعاشقٍ متيَّمٍ بجمال الطَّلعة المصطَفَويَّة ، فلا داعيَ للإسراف بإيرادِ كلام يرعىٰ فيه كاتبُهُ خاطرَ مخالفٍ جِلْف ، **فما مثلُ هـٰذا مَنْ تُطرِّي مِنْ طبعه** كلماتُ الإيمان وترقيقاتُ أهلِ اللُّطف ، ولا تصريحاتُ أهل العبارة ، فضلاً عن تلميحات أهل الإشارة ، وليس لك من أمره شيءٌ ، اللهمَّ إلا أن تسألَ الله له الهداية ، وصرْفَ العناد والغَواية ؛ إذ ما تمكَّن من القلب لا يخرجُ إلا بجذبٍ ووهب ، ولعلَّ حديثَ الحبِّ أولىٰ بأهل القُرب .

ولـ « البردة » حكايةٌ تُحكىٰ عن صاحبها ، وحكاياتٌ تروىٰ عن قرَّائها ورواتها ، كأنَّها ضربٌ من الخيال عند المتطبِّعين بطبع الجمادات ، وإنما هي عطاءاتٌ للمحبِّين المعتقدين وإكراماتٌ .

وما جحد كرامةً إلا مريضُ قلب ، ومحجِّرٌ لسَعة القدرة الأزلية ، وما صدَّقَ بها إلا من كُتب له حظٌّ من السعادة الأبدية ، فنال بتصديقه هٰذا الولايةَ الصغرىٰ ، وأشرف على الولاية الكبرىٰ .

و« البردة » علىٰ علوِّ شأنها لم تكن فاتحةَ بوابةِ المديح النبوي ؛ تلك البوابةُ الأزليّة التي اعتلَتْها آيةُ المجدِ المحمدي ؛ أعني : قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[1] .

وتلتها ثناءاتُ الأنبياءِ والرُّسل الكرام ، عليهم الصلاة والسلام ، ثم كلماتُ الحبِّ الشعريةُ والنثرية التي فاضت علىٰ ألسنة الصَّحْب رضي الله تعالىٰ عنهم ، إلىٰ أنْ سالت من بعدهم سيلاً عَرِماً لا تقوىٰ سدودُ الدنيا علىٰ تخفيف عَرَمِهِ .

وستبقى الحالُ علىٰ هٰذا المنوال إلىٰ أن يأذن الله لوجوه العاشقين بالتنضُّر بنظرةٍ إكسيريَّةٍ من العين الرؤوفة الرحيمة ، علىٰ صاحبها أزكى الصلوات والتسليمات ، فتتهلَّلُ ضاحكةً فَرَحاً به ، مستبشرةً بجنَّةِ صحبته .

والعهدُ بالمدح والثناء والحمد والشكر ألا تكون إلا عن معرفة ؛ أُجملت تلك المعرفة أو فُصِّلت آياتها ، وألا تكون إلا عن حبٍّ فيَّاض يأسِر الفؤاد ؛ كان وريَ زندِ ذاك الحبُّ أو ضِرامَ أشواق ، وأنَّىٰ لنا نحن معاشرَ الجهلة أن

---

(١) سورة الأحزاب : (٥٦) .

نُحيطَ خُبْراً بحقيقة قدْرِ الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم ؟! **بل أنَّىٰ لنا أن ندَّعي حبَّهُ أمامَ أصحابه الذي انتخبهم الله تعالىٰ وزراءَ له ؟!**

فدعْ عنك وهْمَ الغلوِّ ، **وانشرْ حديث التقصير** ، تراكَ ترى الأمة اليومَ تُعظِّمُ نبيَّها بما أوجبه الربُّ ، فضلاً عمَّا فرضه الحبُّ ؟! **أفليسَ عجباً** أن نطالب أنفسنا ـ ونحن في غفلةٍ عن عَلِيِّ جنابه ـ أن نقصُرَ من حديث المدح والثناء ، وقد ترى الناسَ ينظرون إلىٰ حضرته جلَّتْ وسَمَتْ علىٰ أنه حامل رسالة وكفىٰ ؟!

يا لَغلبة المخالطة !! ما كِدْنا نَعِدُ بترك حديثِ الخلاف حتىٰ نكثنا ، **ليتنا** نقوىٰ على النسيان ، **ليتنا ما سمعنا** ما يُعكِّر صفوَ قلوبنا ، **ليتنا جهِلنا** ما لا ينفعنا علمُهُ ولا يقرِّبُنا إلىٰ حبيبِنا ؛ **فما أطيب السذاجةَ في الحبِّ** ؛ إذ حسْبُ المحبِّ المسؤولِ عن أسباب حبِّهِ أن يقول : (هو) ، **ويلجمُهُ بعد ذلك سيل العبرات** .

لعلَّكَ إن زرتَ دمشقَ ، وكُتب لك في عشيَّةٍ السيرُ في أزقَّتها العتيقة . . فإنك ستسمعُ همهماتٍ رقيقةً قد مُزجَتْ بغُصَّة التقصير ، وأخرىٰ غريدةً قد علَتْ عقيرتُها تُثَوِّرَ مكامنَ الشوق ، وثالثةً رتيبةً بنغماتٍ صارت معهودةً في مجامع المديح ؛ كلُّها تأرَّجَتْ بعبير « **البردة** » ، بفصولها وأبياتها وكلماتها وحروفها ، ستطوفُ بكَ ساعتَئذٍ سحابةُ طمأنينة ، وستتنزَّل عليك السكينة ، وستطوي الخُطا نحو تلك المجالس الحميدة ـ التي نسأل الله تعالىٰ ألا يُخليَ البلاد منها ـ تملأ أُذنَيكَ من عذب ألحانها ، وفؤادَك من عظيم معانيها ، ولسانَك من التعطُّر بعبيق الصلاة والسلام علىٰ سيد الأمم وهاديها ، تبغي من وراء ذلك ربوَّ الإيمان ، **وأَطْيِبْ بكلماتٍ تبعثُ في النفس توقيرَ وتعزيرَ مَنْ أمر المولى العظيمُ بتعظيمه وتوقيره وتعزيره !!**

وليست دمشقُ وحدها تحلَّىٰ جِيدُها بهـٰذا العِقْد ، بل بلاد الإسلام جلُّها عواصمُ مَحبَّةٍ وعشقٍ لمن قيلتِ « البردة » في حقه ، تسمع تَرْدادَ أبياتها فيها ، وكم كان لهـٰذا الفشوِّ الذي تستقلُّهُ أعين المحبِّين ، من أثرٍ طيِّب في نشرِ الشمائل العطرة والسيرة المقتفاة لحبيبِ رب العالمين !!

أما صاحب « البردة » الإمام البوصيري : فستقرأ من خلال مدائحه العارمة بصادق الحب ، وبعض صفحات ترجمته المقتضبة . . **ما تعرفُ به قدرَهُ في العلم والعمل** ، بعيداً عن قراءات عَفِنةٍ وإسقاطاتٍ مُتوهَّمة ساق إليها سوءُ ظنٍّ وسابقُ اعتقاد ، **فعهدُنا بالمُبغضين تركُ الإنصاف** ، بل التجنِّي والإتلاف ، **وسِيَرُ الرجال لا تُروىٰ إلا عن أمينٍ يصلبُ في الحق** ، ولا يحملُهُ شنآنُ قوم علىٰ ألا يعدل ، **أو عالمٍ من أهل الدراية يعرف الحقَّ لأهله** ، ويلتمس العذرَ عند الموهمات .

أمَّا أن تُلتمسَ ترجماتُ أمثال هـٰؤلاء الأكابر عند أناس يُصطنعون في رحاب أهل الأهواء ، ويبتغون عندهم العزَّة ، ويلهيهم بريقُ الدينار عن خوف النار ؛ فلا يرقُبون في مؤمن إلّاً ولا ذمَّة . . فهيهات هيهات !! إذ هـٰؤلاء لا يُؤتمَنون علىٰ حبَّة بُرٍّ ، أفيُؤتمَنون علىٰ أهل التقوىٰ والبِرِّ ؟!

وكم أساء أمثالُ هـٰؤلاء للإمام البوصيري ترجمةً وعملاً ، ولا سيما أولـٰئك الذين اتَّخذوا من صنعةِ الكتابة والجمع والتأليف وسيلةَ شهرة وسبيلَ رزقٍ ، ولو كان ذانِكَ علىٰ حساب كتمان الحق ، ناهيك عن قلَّة الفهم وضيق الصدور ، أولـٰئك الذين امتدَّت أيديهم نحوَ تراثنا ـ نحن أهلَ السنة ـ يتَّخذونه سُلَّماً لهم ، فنفثوا فيه سمومهم ، فداهنوا تارةً وصرَّحوا أخرىٰ ، **والكلُّ يعلم أنهم لو لم يُسمَح لهم بنشر كُتبِنا** . . لما كان لهم وجودٌ إلا كنفخة بعوضة في وادٍ سحيق ، **وأنَّا لو حرَصنا نحن علىٰ نشره** ـ والله

المرجو لذلك ، ومنه المدد والعون ـ لما كان لهٰؤلاء الأقزام أن يتطاولوا ويتبجَّحوا بما يجرح القلب السليم .

ولٰكن قد عمَّت الفوضى اليوم كما ترىٰ ، فلا متبوعَ يُردع ، ولا تابع يسمع ، **ثم اتَّسع الخَرْق على الراقع** ؛ حينما انفجرت وسائل الإعلام والتواصل ، وتناثرت شظاياها لتستقرَّ في كل بيت ، بل في كل يد ، **وجاء وعد الله الحق بفتنةٍ عمياءَ لا تُبقي ولا تذر ، لوَّاحةٍ للبصر** ، أعمته بسوادها ، فلم يعد يُبصِرُ الحقيقة ، وأنت تنادي ولا من يسمع !!

وإن ممَّا يدُلُّ علىٰ فضل الإمام البوصيري وقصيدته « البردة » . . انتشارَها في أنحاء العالم الإسلامي ، وترنُّمَ العاشقين بسحر معانيها ، وزَبْرَها بيراعة كبار الخطَّاطين ، وروايتَها والعناية بها شرحاً وتخميساً وتشطيراً وغير ذلك من قِبَلِ الأئمة الأساطين .

هٰذا ؛ ومن أجلِّ شروحها وأنفعها وأنفسها : شرح الإمام الفقيه الحافظ المحدِّث المسند شهاب الدين القَسطلَّاني ، المُسمَّىٰ بـ « مشارق الأنوار المُضيَّة في شرح الكواكب الدرية في مدح خير البرية » ، **وقد أخذ إمامنا القسطلاني شرحه هٰذا** : من المجموع النفيس « إظهار صدق المودة في شرح البردة » للإمام المتفنِّن ابن مرزوق الحفيد ، مع زيادات من غيره من الشروح .

وقد قام الإمام القسطلاني في شرحه : بشرح الألفاظ المبهمات ، ونشرِ النِّكات البديعات ، والرمز أو التصريح بإعراب بعض الكلمات المشكلات ، والإجابة علىٰ بعض التساؤلات والإيرادات ؛ **كلُّ ذلك دون تطويلٍ مملٍّ ، ولا اختصار مُخِلٍّ** .

وها هي دار التقوىٰ تزُفُّ هـٰذا الشرحَ النفيس المبارك ، محققاً علىٰ نسخ نفيسة عديدة ، بعد اتباع مراحلَ علميةٍ وئيدة ، وإضافة بعض اللمسات الفنية والجمالية التي تبهج القارئ والناظر .

وإتماماً للفائدة : فإنني ذيَّلتُ الكتاب بالقصيدة البديعة « **الشُقْراطسية في مدح المصطفىٰ خير البرية صلى الله عليه وسلم** » للإمام أبي محمد عبد الله الشُّقْراطسي ، محقَّقةً علىٰ نسختين نفيستين .

أسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يتقبَّل منا صنيعنا ، وأن يجعلنا سبباً في إقرار عين مؤلفه وزيادة أجره عند مولاه ، **وأن يحشرنا** مع العاشقين والمحبين لسيد المرسلين ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

* * *

شذرات من أدب المحبّين[1]

لا عجبَ أن ترى الإمام السنوسيَّ قد جعل من أصول الكفر والابتداع : الجهلَ باللغة العربية وعلومها[2] ؛ ولعلَّ الجهلَ بهـٰذا الأصل من الأسباب الرئيسة التي حملت خصومَ الإمام البوصيري على التَّجنِّي عليه ، وزعموا لبعض جُمَلِ « بردته » لوازمَ باطلةً ، فطوَّلوا اللسان في حقِّه ، ونصَّبوا أنفسهم قضاةً فحكموا بكفره ، وما أُرسلوا عليه حافظين .

فما أوسعَ اللغةَ العربية وأرحبَ أساليبَها !! وما أحسَبُ عِلْماً عرفته لغةٌ كما عرفت العربيةُ علمَي البيان والمعاني اللذينِ كادا يكونان من خصائص هـٰذه اللغة الشريفة ، وما عاب عبارةً سُبكت بفنِّ المعاني إلا معتلٌّ سقيم ، ومن المحال أن ترفع الستار عن كلِّ مقال ، فعلى الطالب أن يعمدَ إلىٰ أصول هـٰذا العلم فيتعرَّفَ عليها ، فتكون له عدَّةً في فهم ما يطرُق سمعَهُ ، وما مثالُ من أردتَ أن تقفَ به علىٰ كلِّ جميلٍ معنىً عند استشكاله وهو غير متعلِّم لأصول علوم العربية . . إلا مثالُ مريضٍ كلَّما أبلَّ هاض ، ومثلُ هـٰذا لا يُرجىٰ له انتهاض .

* * *

وقديماً لما شاعت « البردة » . . **تلقَّاها أهل العلم بالقَبول الحسن ، وتفاخروا بإسنادها وروايتها عن قائلها** ، ولم يكن بعدُ لهـٰؤلاء النابتةِ

---

(١) تفضَّل مشكوراً بكتابة هـٰذا البحث النافع أخونا فضيلةُ الشيخ أنس محمد عدنان الشرفاوي ، فجزاه الله تعالىٰ كل خير .

(٢) انظر « شرح المقدمات » (ص ٢١٠ـ٢١٣) .

المفجوعين بجهلهم وجودٌ ، أو لعل بعضهم اكتفىٰ بالصمت والسكوت مع حَنَقه الشديد لما رأىٰ من تهلُّل أسرَّة العلماء لها ، وثنائهم العَطِر عليها .

وحسْبُك من أعلام العلماء الذي اعتنوا برواية « البردة » وسماعها : الحافظ المؤرِّخ الأديب ابن سيِّد الناس ، وقاضي القضاة الفقيه عز الدين ابن جماعة ، والمفسِّر النحوي أبو حيان الأندلسي ، وهٰؤلاء الثلاثة ممَّن رواها عن صاحبها مباشرة بغير واسطة .

ورواها : العلامة شمس الدين الغُماري النحوي ، والفقيه الأصولي الحافظ ابن كيكلدى العلائي ، ومن طريقهما رواها الحافظ الكبير ابن حجر العَسْقلاني .

ورواها أيضاً: الحافظ الأديب الكبير الصلاح الصفدي، والفقيه المحدث الوادي آشي ، والحافظ العراقي ، وابن ظَهيرة ، والإمام المسند عبد الرحمٰن ابن فهد المكي ، والإمام الفقيه الأصولي بدر الدين الزركشي ، والإمام الفقيه المتكلم ابن العماد الأَقْفهسي ، والإمام الفقيه ابن المُلقِّن ، والمجدد الفقيه سراج الدين البُلْقيني ، وإمام اللغويين المجد الفيروزابادي ، والإمام ابن مرزوق وحفيده صاحب « إظهار صدق المودة » ، والإمام الحافظ السيوطي ، والمجدِّد شيخ الإسلام قاضي القضاة زكريا الأنصاري ، والإمام الفقيه المُحقِّق ابن حجر الهيتمي .

وغيرُهم الكثير ، بل إن شئت قل : **ابتهجت بها كلُّ عِمامة سُنِّية ، وفرِحَ بها كلُّ مُحِبٍّ للحضرة النبوية .**

ولٰكن كان وما زال بين المسلمين عقولٌ أضيقُ من بياض الميم ؛ فاهت بكلامٍ لم تدرِ عاقبتَهُ ؛ أظهرَتْ به جهلَها بدينها ولغته ، وإرثَها لعقائدِ أسلافها من الخوارج ؛ **أولٰئك الذين فهموا الدينَ فأرادوا أن يحاكموا**

صاحبَ الشريعة بفهمِهم ؛ فقالوا ـ وبئس ما قالوا ـ : اعدلْ يا محمد !![1] ، فهل مثلُ هـٰؤلاء ممَّن عرفَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؟! وهل يستوي هـٰؤلاء مع من قال : (إنَّهُ رسولُ الله ، فالزمْ غَرْزَهُ) ؟![2] .

ترىٰ هل يدري هـٰؤلاء الورثةُ ماذا فعلوا حينما قَضَوا ـ ولم يُستقضَوا ـ بشرك الإمام البوصيري وكفره ؟! **هل يعلمون أنهم رمَوا كلَّ هـٰؤلاء المذكورين من أعلام الفقهاء والمحدثينَ بالشرك والكفر ؟!** بل وكلَّ قارئٍ راضٍ بما في سطورِ « البردة » ؟!

كبُرت كلمةً تخرج من أفواههم !! **ما أشدَّ بلاءَ الأمة اليوم بظاهريَّةٍ صمَّاءَ ، وباطنيةٍ عمياءَ !!**

* * *

إثبات الشفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم دنيا وأخرىٰ من علامات أهل السنة والجماعة :

من طالعَ دواوين السنة النبوية الشريفة **يرى الاهتمام الكبيرَ برواية الأحاديث الدالة علىٰ ثبوت الشفاعات له عليه الصلاة والسلام** ؛ حتىٰ طالت بعضُ هـٰذه الشفاعاتِ الكفَّارَ في الدنيا ؛ فلم ينزل بهم الخسف والمسخ ، وأُخِّر عنهم العذاب بمقتضى التعظيم الإلـٰهي للجناب النبوي ؛ إذ قال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[3] ، وفي الآخرة ؛ كتعجيل

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٣١٥٠) ، ومسلم (١٠٦٢) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، **والقائل** : هو الخارجي ذو الخويصرة التميمي .

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣١) عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، **والقائل** : هو سيدنا أبو بكر الصديق مخاطباً سيدنا عمر رضي الله عنهما .

(٣) سورة الأنفال : (٣٣) .

الحساب ، وتخفيف العذاب ، يعلم هٰذا كلُّ حاذق بالسنة والكتاب .

وقد أحسن الإمامُ البوصيري الرجاءَ بالله ، وأتى البيوت من أبوابها ـ وبابُ الله هو رسولُ الله ـ ورمىٰ بأعماله فلم يعتمد عليها لحُسنِ توحيده ، ولم يَخَفْ من تراكم الذنوب لحسن ظنِّهِ ، ثم انغمسَ ـ وهو الفقيهُ العالم ـ برحمةِ الله المرسلة لعباده ؛ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1] ، وهو يعلم أنَّهُ لن يُدخِلَ أحداً عملُهُ الجنةَ .

فإذا اشتعل أُوارُ يوم الحساب ، فعمَّ واشتدَّ الخطبُ على الأحباب ، فلا نافعَ ولا شافع ، بلىٰ ثَمَّ نافعٌ وشافع ؛ إنَّهُ رسولُ الله ، هو نفسُهُ أخبرنا ونبَّهنا إلىٰ هٰذه الحقيقة البَلْجاء ؛ حينما حدَّثَ بحديث الشفاعة العظيمِ القَدْر[2] . **لاذَ الموحِّدون بذاك الجناب العليِّ** ، وحطُّوا رحالهم مع الأمَّة المحمدية تحت لواء النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وعلموا أن لهم نبيّاً آمنوا به وبما جاء ، فما كان لينساهم في الداهية الدَّهْياء .

وقد طلب الصحابةُ الشفاعةَ منه عليه الصلاة والسلام ، فأرشدَهم إلى اللَّحاق به عند الصراط أو الميزان أو الحوض ، وقال : « فإنِّي لا أخطئُ هٰذهِ الثلاثَ المواطنَ »[3] ، أتراهم نسوا قوله فداه أرواحنا : « وإذا سألتَ . . فاسألِ الله »[4] ، أم علموا أنَّهُ نصحَ للأمَّة وهو الناصح الأمين ؟!

هٰذه المعاني لطَّفَها فصاغَها البوصيري بما وهبه الله من حلاوة منطق وبراعة بيان إذ قال :

---

(١) سورة الأنبياء : (١٠٧) .

(٢) حديث الشفاعة : أخرجه البخاري (٧٥١٠) ، ومسلم (٣٢٦/١٩٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٣٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

يا أكرمَ الخلقِ ما لي مَنْ ألوذُ بهِ   سواكَ عندَ حلولِ الحادثِ العممِ

فمن أبىٰ أن يلوذَ بذاك الجناب . . فشأنه ، ومن ظنَّ أنه بعمله ينجو ، وأنه في غنيةٍ عمَّا أرشد له الحبيبُ المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام . . فلينظر ما يكون له ؛ فليس لنا إلا الذكرى التي تنفع المؤمنين ، ولسنا على العباد بمصيطرين ، أمَّا أن يتعامىٰ ذاك الآبي عن صحيح الآثار ، ويرميَ بالكفر مَنْ أخذ بهـٰذه الأخبار . . فما كان لألسنة أهل العلم أن تُكَمَّ ، ولا لآذانهم أن تُصَمَّ ؛ إذ واجبُ البيان حتمٌ .

ومثل هـٰذا يقال في قوله رحمه الله تعالىٰ :

إنْ لم يكنْ في معادي آخذاً بيدي   فضـلاً وإلّاً فقـلْ يـا زلَّـةَ القـدمِ

* * *

إنَّ عبدك يترضَّاك فارضَ عنه :

ليس وراءَ الله تعالىٰ مرمىً ، وهو سبحانه المقصود الأوحد عند كلِّ مُوحِّد ، ومن نسيَ الطريقَ القاصدَ . . فهو للمقصود أنسىٰ ، ومَنْ لم يشكرِ الناسَ . . لم يشكرِ اللهَ ، ومتىٰ كان إسقاطُ الوسائط التي وسَّطها الشرع عبادةً ؟! ومن قال : إنَّ من عظَّم الوسائط الشرعية فقد أشرك ؟! باللهِ ؛ أين تجد هـٰذا في كتاب أو سنة ؟!

إنَّ المستبصر لكتاب الله وسنة حبيبه ومصطفاه . . يعلمُ أن تعظيم الوسائط هو تعظيمٌ لشعائر الله ، وأن لا ملازمةَ بين التعظيم والعبادة ، ومن قال بتلازمهما . . فليأتِ برائحةِ دليلٍ إن استطاع ، وما ذاك بمستطاع .

أَمَا والذي عظَّم نبيَّهُ فصلَّىٰ عليه بنفسه ، وثنَّىٰ بجنوده التي لا تعدُّ كثرةً من ملائكته ؛ ما توسَّل عبدٌ صالح بالنبيِّ عليه الصلاة والسلام ، أو استغاثَ به في مدلهمَّات الأيام . . إلا وهو يقصدُ مِنْ وراءِ ذلك مَنْ لا وراءَ وراءَهُ ،

فهو يترضَّى اللهَ بتفجير فيضِ دعاءٍ ينبثقُ من أطهر فمٍ في الوجود ، ويستحثُّ برضا فؤادٍ ما كذب ما رأىٰ رضا المولى القديمِ الذي خبأَ رضاه في رضاه ، أَمَا قالت الصِّدِّيقة : (ما أُرىٰ ربَّك إلا يسارع في هواك)[1] ، إنَّها ـ والحيِّ القيومِ ـ لَفقيهةٌ عالمة رضي الله عنها .

ولئنِ اشتبهت عليك الصُّوَر ، وزاغ بك البصر ؛ فلم تدرِ أهو توسُّلٌ مشروع ، أو فعلٌ ممنوع . . فكِلْ هـٰذا لفقيهٍ عالم ، **أو إن استطعتَ فخبَرتَ ما في الصدور ، واطَّلعت علىٰ مكنون الضمائر** . . فاحكمْ بما ترىٰ ، وإيَّاك والفِرىٰ ، **واقنع بما في صحاح السنن من التوسُّلات** ، وحاذر أن تكون كالنار الموقدة ، التي تطَّلع على الأفئدة .

في يومٍ نادى الحبيبُ الأعظم صلى الله عليه وسلم غلاماً من الأنصار فقال : « ناوِلْني نعلي » ، فقال له الغلامُ : يا نبيَّ الله ، بأبي أنت وأمي ؛ **اتركني حتىٰ أجعلَهما أنا في رِجليك** ، فعرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما رجا الفتىٰ ، **ففاض قلبُهُ له شفقةً ورحمة** ، ولهجَ لسانُهُ بدعوة **تنشقُّ لها السماوات ، وتَفتَّحُ لها أبوابُها** ؛ فقال عليه الصلاة والسلام : « **اللهمَّ ؛ إنَّ عبدَكَ هـٰذا يترضَّاكَ ، فارضَ عنهُ** »[2] ، وهـٰذا ما توسَّلَ له الفتى الذكيُّ وتسبَّب .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوماً يتوضَّأ وبالقُرب منه غلام ، فمجَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، **فتلقَّى الغلامُ مجَّةَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٨٨) ، ومسلم (١٤٦٤) .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الصغير » (١١٧٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٤٤٣) مرسلاً عن ثابت البناني رحمه الله تعالىٰ ، بلفظ : « إنَّ عبدَكَ يتحبَّبُ إليك فأحبَّهُ » .

فشربَها ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « **اللهمَّ ؛ إنَّ عبدَكَ يترضَّاكَ ، فارضَ عنهُ** »[1] ، ولله دَرُّهُ من غلامٍ شاء الله له الخير !!

ومرَّةً بعثَ سيدُنا شهيدُ الدار عثمانُ بن عفان **بخبيصٍ لحضرة النبي صلى الله عليه وسلم** ، **فاستطابه** ، فقال : « مَنْ بعثَ هـٰذهِ ؟ » ، قيل : عثمانُ بن عفان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **اللهمَّ ؛ إنَّ عثمانَ يترضَّاكَ ، فارضَ عنه** »[2] .

هـٰذا قد كان في حياته عليه الصلاة والسلام ، وبقي بعد غياب جسده الشريف عنَّا صورٌ كثيرةٌ ، ميزانُها في قلب صاحبها ؛ **فطالما صحَّ عقده ، وعرف الربَّ من المربوب** ، **وعرف أن رضا الله في رضا حبيبه** ، **وأن هدايته في طاعته**. . فقد شُرِعَ له ما فاضَ في كتب الفقه قديماً وحديثاً من التوسل والاستغاثة .

فهل من ضيرٍ أن تسمع للبوصيري بيتاً يحكي فيه حالَهُ ، الذي رأىٰ بأمِّ عينه برهانَهُ ؛ فقال :

ما سامَني الدهرُ ضيماً واستجرتُ بهِ ... إلَّا ونِلتُ جِواراً منهُ لم يُضَمِ

إنما هي شفاعةٌ في الدنيا قبل شفاعة الآخرة ، وحاشا أن تكون الشفاعةُ شركاً ؛ كما أن تقبيل حجرٍ لا يضرُّ ولا ينفع بالنظر إلىٰ ذاته . . لا يُعَدُّ شركاً .

* * *

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٤٤٢) مرسلاً عن ثابت البناني رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٥٥٣٢) مرسلاً عن ليث بن أبي سليم رحمه الله تعالىٰ .

الكرمُ النبوي فوق تصوُّر عقول الكرماء :

لا تقسْ بالنبيِّ في الفضلِ خَلْقاً ... فهـو البحـرُ والأنـامُ إضـاءُ
كلُّ فضلٍ في العالمينَ فمن فضْـ ... ـلِ النبـيِّ استعـارَهُ الفُضَـلاءُ

فمن أراد أن يقيسَ كرم النبوة بالأشبار ، ويجهلَ أن بضَّةً منه تغرَقُ في طرفها البحارُ . . فلن يقوىٰ عقلُهُ علىٰ تصوُّر ما حواه ذاك الجناب العليُّ من كرمٍ فريد ، لا يرقىٰ لعتبته مجموعُ كرم مَنْ سواه من العبيد ، **وأنَّىٰ لمثل هـٰذا القاصرِ أن يتَّسع صدره لبحبوحة العرض البلاغي** ، الذي حقائقه مكسوفة مطوية عن كلِّ مخبول مخزول ؟!

فما كلُّ ملفوظٍ في العربية علىٰ ظاهره ، **وما كل ملحوظ** سارٍ في باطنه ، **ومن لم يرقَ من حضيض المجاز إلىٰ يفاعِ الحقيقة** . . فلا حصَّةَ له في ميدان الأدب ، وليرضَ لنفسه بما قُسمَ لها باكياً شاء أو شاكياً .

ومن عرف الكرمَ النبويَّ من ظواهر الأخبار الواردة في « الصحيحين » دون غيرهما . . **علم يقيناً أن النبيَّ لو ملكَ الدنيا والآخرة ثم سُئلَهما لجاد بهما علىٰ عفو الخاطر** ، لم يعترِهِ ساعتئذٍ تردُّدُ إمساك ، حاشاه عليه الصلاة والسلام ، فهل يرىٰ سوىٰ بخيلِ الطبعِ شحيحِ النفس كثيراً أن يجود الحبيبُ الأكرم بحوادثَ مهما علا شأنها هي كالظلِّ الزائل والفيء المائل ؟!

وأيُّ عجبٍ من تفنُّن البوصيري في ترشيق هـٰذا المعنىٰ في أسماع المحبِّين إذ يقول :

فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدنيا وضرَّتَها . . . .

بل واللهِ ؛ إنَّ العارف بذرَّةٍ مِنْ قدْرِ العظيمِ القدر عند مولاه . . لَيعلمُ أنه عليه الصلاة والسلام كالعلة الغائية للخلق ، وأنَّ ما سواه كالعلة السببية ،

وبونٌ بين قدرِ العلّتين ، تعالى الله أن تُعلَّلَ أفعاله ، أو أن تُستقصىٰ أحكامه ، ولكلٍّ مقام مقال ، ولكلٍّ رتبة رجال .

* * *

ما عرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من عقائد أهل السنة والجماعة بل وعامةِ الفرق الإسلامية : أنَّ أفضل خلق الله على الإطلاق هو سيدنا ومولانا وملاذُنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، **تجد هـٰذا في كتب الآثار والعقائد والتفسير والأصول والفقه والسِّيَر والشمائل والخصائص** ، ولهـٰذا الاعتقاد لوازمُ كثيرةٌ عند المُتأمِّل الفقيه والمحبِّ الصدوق ؛ إذ مِنْ عوائد الله إذا فضَّل بعضَ خلقه أن يُحلِّيَهُ فضلاً منه بخصائصَ دون غيره ، **لا أنَّ هـٰذه الخصائصَ هي سببُ التفضيل ، بل هي علامةٌ عليه ليس غير .**

ولمَّا كان نبيُّنا عليه الصلاة والسلام أفضلَ خلق الله على الإطلاق . . كان له من الخصائص ما يجعله فائقاً علىٰ كلِّ مخلوق من حيث تميُّزُه فضلاً عن غير هـٰذا من النعوت ، **فما مِنْ مُكرَّمٍ على الله تعالىٰ إلا ولنبيِّنا عليه الصلاة والسلام مثلُ هـٰذه الكرامة وزيادة** ؛ لأمرِ الملك الحق ، العالم بخفيَّات الأمور ؛ فهو نجيٌّ وكليمٌ وخليل ، وقد عُجِّل له النظرُ إلى الذات العليَّة في هـٰذه الدار ، وكُوشف بعجائب الملكوت وطُولع بالأسرار .

ولم يزل يترقَّىٰ ، بإشارة ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾[1] ، **إلىٰ أن رأىٰ ربَّه ، فعلَّمَهُ كلَّ شيءٍ يقوىٰ علىٰ علمه حادثٌ** ؛ فنطق بالحقِّ إذ قال : « فعلمتُ ما في السماواتِ وما في الأرضِ »[2] ، وقال : « فعلمتُ ما بينَ

---

(١) سورة الضحى : (٤) .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٣٣)، وأحمد (١/٣٦٨) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

المشرقِ والمغربِ »[1] ، وهو الصادق المصدوق ، **نصدِّقه ونؤمن بحقيقة ما قال دون تأويل إن لم يكن هناك داعيةٌ للتأويل** .

فهل تراك بعد هـٰذا تستثقلُ أن يكون لرسول الحقِّ تعالىٰ من العلم فوق ما لكائنٍ أقلَّته الأرض أو طوته السماوات ؟! **ما إخالُ مؤمناً يثقلُ عليه ذلك** .

ترىٰ هل اللوحُ المحفوظ والقلمُ خارجانِ عن السماوات ؟ **فإن كانا قد خرجا عنها** . . فهل يخرجان عن جهتي الشرق والغرب ولا جهةَ سواهما عند العرب ؟!

إنَّ أدنى التفاتةٍ إلىٰ هـٰذا الأثر الشريف يَشِي بأن اللوح والقلم بما ضمَّا إنما هما من جملة معلوماته التي أطلعه القادرُ الحكيم عليها .

أمَّا إن راودك وَهْمُ كونِ هـٰذا العلم مشاركاً لعلمه تعالىٰ . . فيا خسارةَ أيَّامٍ لم يتعلَّم فيها العبد فرقَ ما بين العلم القديم والعلم الحادث !! وهل يحسب صاحبُ هـٰذا الوهمِ أن علم الله تعالىٰ قد ضُمَّ في اللوح المحفوظ ؟! نعوذ بالله ممَّن هـٰذا اعتقادُهُ .

ويا ويحَ من علمَ أنَّ محمداً رأىٰ ربَّه وليس لحادثٍ علمٌ فوق العلم بالله تعالىٰ ، **ثم شكَّكَ فيما قال الإمام البوصيري** :

. . . . وَمِنْ علومِكَ علمَ اللوحِ والقلمِ

* * *

التحبُّبُ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم تحبُّبٌ إلى الله تعالىٰ :

ما تسمَّىٰ أحدٌ راضياً باسم أحدٍ سلفَهُ **إلا وهو مستشعرٌ صلةً ظهرت أم خفيت** ، اقتداءً كانت تلك الصلةُ أو التماساً أو توسُّلاً أو غيرَ ذلك من

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٣٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

المعاني التي تعرفها النفوس الشريفة ، **ولا يخفىٰ علىٰ عاقلٍ أن التسمِّي باسم الحبيب الأعظم إنما هو لونٌ من ألوان الفأل الطيب من جهة** ، وأسباب التحبُّب من جهة أخرىٰ ، فهو اصطناعٌ تُرجىٰ عليه المكافأة .

هـٰذا الصنيعُ يفعله كلُّ سويِّ طبعٍ يرىٰ عَجَفَ أعماله ، وسقيمَ أحواله ، فيعمِدُ إلىٰ تحريك رقَّة القلوب الشريفة الكريمة بشيءٍ **قد لا تكون له قيمةٌ مادية بقدر ما يحمل في طيَّاته من قيمٍ معنوية** ؛ منها إعلامُ المحبة رجاءَ نفحة كرمٍ ، **والكريمُ إذا أُهدي إليه كُراعٌ قَبِلَ ، وأثاب عليه بما لم يكن علىٰ بال المُهدي** .

ترىٰ لمَّا جاء الخبرُ الصِّدْقُ بأن لله تعالىٰ أسماءً يحبُّها . . فهل يُراد بهـٰذا إلا المبادرةُ للتَّسمِّي بها ؟! وهل معنى المحبة إلا وفرةُ الجزاء من الله تعالىٰ ؟! وهل يعقلُ أنه تعالىٰ قد سمَّىٰ حبيبه باسمٍ لا يحبُّهُ ؟!

فأيُّ لومٍ أن يُتذمَّم الإمامُ البوصيري بأمر لا كسبَ له فيه إلا الرضا ، ولا أجرَ له منه إلا محضُ الطمع في جناب أبي الكُرَماء ؟! **دعْ عنك** وهمَ التشريع ، وصناعةَ الأحكام ، وابتداعَ الأعمال ؛ **فكلُّ هـٰذا لم يكن ليخطرَ علىٰ باله حينَ قال** :

فـإنَّ لـي ذمَّـةً منـهُ بتسميتـي ... محمداً وهو أوفى الخلقِ بالذِّمَمِ

وما أدراك ؟! لعلَّه وقف علىٰ « جزء ابن بكير الصيرفي في فضائل التسمية باسمَيْ أحمد ومحمد » ، أو قرأ عَرَضاً بعض الأخبار الواردة في ذلك ، **وبابُ الفضائل بعيد المِصْراعينِ ، لا يكاد يعرفُ الغَلَقَ** ، فساقته هـٰذه الأخبار لما قال ، وأطمعته في خيرِ مطمع .

أمَّا أنَّهُ عليه الصلاة والسلام أوفى الخلق بالذِّمَمِ . . فما أظنُّ أن مؤمناً يُرِدِّدُ الخاطرَ في ذلك ، بل ذاك معنىً قد سَطَره شعراً بعضُ أعلام

الصحابة ؛ وذلك حينما قال[1] :

فما حملَتْ مِنْ ناقةٍ فوقَ رحلِها أبـرَّ وأوفـىٰ ذمَّـةً مِـنْ محمـدِ

* * *

من أصول اعتقاد أهل السنة إثباتُ التفاضل بين الأنبياء :

يتعلَّمُ الناشئة أن الإيمان بالأنبياء والرسل من أركان الدين ، فلا يجوزُ لأحد أن يؤمن ببعض ويكفرَ ببعض ، وهـٰذا معنىٰ قوله تعالىٰ معلِّماً : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾[2] ، **كما أنهم يتعلَّمون أن الأنبياء قد فاضل المولىٰ تعالىٰ بينهم ، وجعل الحبيب الأعظم محمداً سيدَهم** ؛ فهو من غير خلافٍ معتبرٍ أفضلُ خلق الله تعالىٰ .

بل هو عليه الصلاة والسلام نبيُّ الأنبياء ، ورسولُ الرسل جمعاءَ ، **وما من نبيٍّ إلا جاء بـ (لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله)** ، وانظر ذلك في تفسير هـٰذه الآية العظيمة المعظِّمة لقدر المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام ؛ وهي قوله سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾[3] .

لقد بيَّنت هـٰذه الآيةُ الفذَّةُ : أن الأنبياء بوجوده عليه وعليهم الصلاة والسلام لهم مقام التبعيَّة ؛ وأين التابعُ من المتبوع ؟! وحاشا أن يُفهم من هـٰذا تنقيصُهُم عليهم السلام ، بل هو أمرُ الله تعالى السيد المطلق الذي يُفضِّل من عبيده مَنْ شاء بما شاء .

---

(١) هو سيدنا الصحابي أنس بن زُنيم رضي الله عنه . انظر « الإصابة في تمييز الصحابة » (١/ ٢٧١ـ٢٧٢) ، و« الوافي بالوفيات » (٩/ ٢٣٨) .

(٢) سورة البقرة : (١٣٦) .

(٣) سورة آل عمران : (٨١) .

هٰذا المعنىٰ صاغه العارف بالله القاضي يوسفُ النبهاني في طالعة « هَمْزيته » التي حاكا فيها « هَمْزيةَ الإمام البوصيري » فقال :

نــورُكَ الكــلُّ والــورىٰ أجــزاءُ　　　يــا نبيّــاً مِــنْ جنــدِهِ الأنبيــاءُ
روحُ هٰـذا الوجودِ أنتَ ولولا　　　كَ لـدامَـتْ فـي غيبِهـا الأشيـاءُ

وبيَّنَ هٰذا الاعتقادَ الواجبَ علىٰ كلِّ مكلَّفٍ الإمامُ البوصيريُّ ؛ فقال :

فاقَ النبيِّينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ　　　ولم يُدانوهُ في علمٍ ولا كرمِ
وكلُّهـم مِـنْ رسولِ اللهِ مُلتمِسٌ　　　غَرْفاً مِنَ البحرِ أو رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ

وعدمُ الدُّنوِّ من رتبةٍ لا يقضي بعدم المَلَكة ، ولو أنَّك عُدت للأخبار الصحيحات في بيان هٰذا المعنىٰ . . لعلمت قصورَ هٰذا المبنىٰ .

* * *

من اعتقاداتِ أهل السنة أنَّ للنبي عليه الصلاة والسلام أسمى الكمالاتِ الإمكانية :

من لوازم القول بأفضليَّته عليه الصلاة والسلام : القولُ بتكميله البشريِّ خلْقاً وخُلُقاً ، بل وبأقصى الكمال الإمكاني ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أفضلُ خلق الله تعالىٰ مطلقاً ، أفضليةً هي في غايةٍ ، عبَّر عن هٰذا المعنى السُّنِّي السَّنِّي القاضي النبهانيُّ ؛ فقال :

حُزتَ قَدْراً فما أمامَكَ خلقٌ　　　فــوقَــكَ اللهُ والبــرايــا وراءُ

ولا يخفىٰ أن كلَّ ما سوى الله تعالىٰ مجموعون في رتبة واحدة ؛ هي رتبة الحدوث والإمكان ، فلو قيل لنا : من حاز أقصىٰ وأتمَّ وأكملَ ما لهٰذه الرتبة من ذٰلك ؟ فالجواب : أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاشا أن يُوازنَ كمالُهُ بكمال الله الأزليِّ الأبدي !! فما يتطرَّق مثلُ هٰذا إلا إلىٰ قلبٍ عليل يعتقد ألوهيةً في حادثٍ ، أو نقصاناً في قديم .

وبهٰذا تعلم : أن الإمام البوصيري عَمَدَ إلىٰ جزئي فرد قد مثَّل به لكليٍّ عام ؛ وذاك حيثُ قال :

دعْ ما ادَّعتْهُ النصارىٰ في نبيِّهِمِ ... واحكمْ بما شئتَ مدحاً فيهِ واحتكمِ

وما أراد إلا نفيَ كلِّ معنىً لا يليقُ إلا بالقديم سبحانه ، ولم يرد هٰذا المثالَ ، فكأنه قال : طالما كنت سليم العقد ؛ فلم تَسِمِ الحادثَ بصفة القديم . . فمهما استقصيتَ في مديحه عليه الصلاة والسلام فلن تبلغ إلىٰ غاية ؛ إذ سيبقىٰ له من الكمالات ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر ؛ لأنَّ الفردوس منزله ، ولأن الجنة كلَّها لن تعدوَ أن تكون جزاءَهُ ، وأين التحفةُ من المُتحَفِ بها ؟! ولهٰذا عقَّبَ فقال :

فإنَّ فضلَ رسولِ اللهِ ليسَ لهُ ... حدٌّ فيُعرِبَ عنهُ ناطقٌ بفمِ

* * *

لا وقُرَّةِ عيني :

لا خلافَ أنه وقع القسمُ به عليه الصلاة والسلام مِنْ قِبَلِ الحقِّ سبحانه ؛ وذاك قولُهُ تعالىٰ : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[1] ، ولٰكن وقع خلافٌ في جواز القسم به عليه الصلاة والسلام مِنْ قِبَلِ المُكلَّفين ، وأنه هل ينعقد يميناً أو لا .

والمعتمد عند الإمام أحمدَ والمفتىٰ به في مذهبه : جوازُ الحلف به عليه الصلاة والسلام ؛ لأن تعظيمَهُ بالحلف هو تعظيمٌ لله تعالىٰ ، ويمينُهُ منعقدةٌ يجب التكفير عنها إن هو خالفَ عقده ، وهو مكروهٌ كراهةَ تنزيهٍ عند غيره .

وقُلْ مثلَ هٰذا في قسم العبد بما أقسم به المولىٰ سبحانه علىٰ سبيل تعظيم ما عظَّم الله ؛ إذ غايةُ ما يُقال في هٰذا أنه مكروهٌ كراهةَ تنزيه .

---

(١) سورة الحجر : (٧٢) .

فلا داعيَ بعد هـٰذا الحكم الرصين الذي بيَّنه فقهاءُ الأمة. . **أن تُصغيَ لجهلة الكتاب والسنة** ، الذي يشهدون لاعتقاداتهم وأفعالهم من قول خير البرية ، ثم هم يمرُقون من الدين كما يمرق السهمُ من الرميَّة ، **ومن أين لهـٰؤلاء أن يقدروا قدر قول الإمام البوصيري** :

أقسمتُ بالقمرِ المنشقِّ إنَّ لهُ ... مِنْ قلبِـهِ نسبـةً مبـرورةَ القسـمِ

* * *

إنَّما ظهرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىٰ قدر طاقةِ الخلْق :

لا شكَّ أنه عليه الصلاة والسلام أعظمُ خلق الله تعالىٰ ، وكلَّ ما سواه من الحادثات دونه ، فعندما يكون الحديث عن الأفضلية لا يمكن أن يسبق إلىٰ أذهاننا مساوقةُ القديم للحادث ؛ إذ هـٰذا جهل في الاعتقاد واللغةِ معاً ، **وقد عبَّر عن جزءٍ من هـٰذا المعنى الإمامُ البوصيري في قوله** :

لـو نـاسبَـتْ قـدرَهُ آيـاتُـهُ عِظَمـاً ... أحيا اسمُهُ حينَ يُدعىٰ دارسَ الرِّمَمِ

فما أجرى اللهُ تعالىٰ علىٰ يديه من حوادث الآيات العظيمات الباهرات الشاهدات بنبوته ورسالته. . لن تعدوَ قدرَهُ عليه الصلاة والسلام ؛ إذ لا يخفىٰ أن ذاتَ الفاعل أشرفُ من الفعل ، وأين المعجزة من صاحبها ؟! **ولو كانت معجزاتُهُ علىٰ قدر قدره**. . لكان منها أنه بمُجرَّد ذكر اسمه الكريم يُحيا الرميم ؛ فإنه الحياةُ وسببُ كل حياة ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[1] .

والعجبُ أن نُصدِّق بأن حافرَ فرسٍ ما لامست شيئاً إلا حَيِيَ ـ أعني : فرس الحياة التي جاء عليها سيدنا جبريل عليه السلام فأبصرها السامريُّ ، فقبض من أثرها ما أحيا به عِجْلَهُ الذهبيَّ الذي عبدَهُ بنو إسرائيل ـ **ثم نستكثرَ**

---

(١) سورة الأنفال : (٢٤) .

أن يكون لاسم أعظم خلق الله تعالىٰ مثلُ هـٰذه المعجزة !! وما علَّةُ هـٰذا إلا أحد اعتقادين خبيثين ؛ تضييق القدرة الإلـٰهية ، أو استكثار أن يكون له عليه الصلاة والسلام مثلُ هـٰذه المعجزة ، مع أن له أخواتٍ لها من جنسها ؛ وإثباتُ الجزئي إثباتٌ للكلِّيِّ بالضرورة ، وإن لم يكن إثباتاً لعموم أفراده .

أمَّا أن تضيقَ الأفهام ، فيُستعسرَ فهمُ هـٰذا البيتِ لاحتمال دخول القرآن ضمنَ تلك الآيات.. فما يقوله إلا جاهلٌ بمرامي الكلام ، أو سيِّئُ ظنٍّ بالإمام ؛ إذ الإضافة في قوله : (آياتُهُ) منصرفةٌ إلىٰ ما ظهر علىٰ يديه من المعجزات الحادثات التي هي أفعالٌ لله تعالىٰ على الحقيقة ، وله عليه الصلاة والسلام على المجاز ، وقد صرَّح المُتكلِّمون أن القرآن من حيث كونُهُ صفةً قديمةً له تعالىٰ لا يكون معجزة ؛ إذ القديم تشترك الدعوىٰ به لكلِّ أحد ، ولا يتَّسعُ التفصيل في هـٰذا المحلِّ ، ويُطلَب ذلك من محلِّهِ .

ولعلَّ شيطانَ إنسٍ يوسوس لك فيقول : ما بالُ اسمه تعالىٰ يُذكَر فلا يحيا دارس الرِّمم إذاً ؟!

فذكِّره أولاً : أن الإحياء في البيت وقع ضِمْنَ جملة شرطية ، وهي علىٰ صدقها دوماً لا تقتضي الوقوعَ .

ثم قل له ثانياً : الإحياء فعلُ الله تعالىٰ ، وذكرُ الاسم في البيت سببٌ جَعْليٌّ ، لا تأثيرَ له في ذاته ، وكذا ذكرُ اسمه تعالى (المحيي) مثلاً ، فاعتقادُنا أن الرميم يحيا بذكره لـٰكن بمشيئة العلي القدير سبحانه ، فحاشا أن يظنَّ مؤمنٌ من عامة المسلمين غيرَ هـٰذا ، فضلاً عن إمامٍ له شأنُـهُ كالإمام البوصيري ، وعُـدْ إلىٰ طالعة هـٰذه الشَّـذَرات لتعلم أنكَ ما أُتيت إلا من ضيق الأفق في العربية وعلومها .

ترابُ القبر الشريفِ أفضلُ من العرش :

لعلَّ غِرّاً في العلم إذا سمع هـٰذه الكلمة استثقلَها ، وعدَّها من كبائرِ الكلامِ ، وهو بذلك يُعرِبُ عن جهله ؛ إذ التفضيل مردُّهُ للأخبار ، ولا مجالَ للاجتهاد فيه .

والمسلمُ أعظمُ عند الله تعالىٰ من الكعبة ، وإنما العرش من جملة الحادثات التي عيَّن الحكيمُ سبحانه نبيَّه ومصطفاه سيِّداً عليها ؛ ولهـٰذا قال الحافظ السخاوي : (الإجماع علىٰ أفضلية البُقعة التي ضمَّتْه ؛ حتىٰ على الكعبة المُفضَّلة علىٰ أصل المدينة ، بل على العرش فيما صرَّح به ابن عقيل من الحنابلة)[1] .

وقال العلامة المُحقِّق ابن حجر الهيتمي في صياغة هـٰذا الإجماع :

وبقعتُـهُ التـي ضمَّتْـهُ حقّـاً ... ريـاضٌ مِـنْ جنـانٍ تستطيـلُ

كذا اللَّحْدُ الذي ضمَّ الطَّوايا ... تشـرَّفَ حيـنَ حـلَّ بـهِ النـزيـلُ

وأفضـلُ مِـنْ سمـاواتٍ وأرضٍ ... وأمـلاكٍ بـأفـلاكٍ تجـولُ

ومِنْ عرشٍ ومِنْ جناتِ عدنٍ ... وفـردَوسٍ بهـا خيـرٌ جـزيـلُ

فأيُّ جهلٍ بقدر النبيِّ أن يُستكثرَ في حقه عليه الصلاةُ والسلام قولُ الإمام البوصيري :

لا طِيبَ يعدلُ تُرْباً ضمَّ أعظمَهُ ... طُـوبـىٰ لمُنتشِـقٍ منـهُ ومُلتثِـمِ

أَوَما كانوا يُطيِّبون طِيبَهم بعرقه الشريفِ عليه الصلاة والسلام ؟!

أوما كانوا يُقبِّلون أطرافَهُ الكريمة ؟! واستأذنوه لأجل تعظيمه لِمَا عرفوا

---

(١) انظر « التحفة اللطيفة » (١/ ٢٠) .

من قدره بالسجود له فنهاهم ؟! قال الحافظ الذهبي : (**فلو أذن لهم..** لسجدوا له سجودَ إجلال وتوقير)[1] .

فأيُّ شيء بأن يرجوَ المرءُ المحبُّ أن يشتمَّ ريحَ حبيبه وينعشَ فؤاده بذلك ؟! أَمَا قال سيدنا يعقوبُ علىٰ نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾[2] حينما انفصلت القافلةُ من مصر قافلةً ؟!

ليت هٰؤلاءِ الأجلافَ لم تمتدَّ أيديهم إلىٰ مثل هٰذه المعالم ، فما ذاك بعُشٍّ لهم فليدرُجوا ، **ولٰكن لمَّا طالت الألسن بالباطل..** وجبَ تقصيرها بالحق .

وها هو ذا الحافظ الذهبي يلتمس العذرَ للمُحبِّين الوالهين ؛ فيقول : (**سُئل أحمدُ ابن حنبلٍ عن مسِّ القبر النبوي وتقبيله ؛ فلم يرَ بذلك بأساً** ، رواه عنه ولده عبد الله بن أحمد .

فإن قيل : فهلا فعل ذلك الصحابة ؟

قيل : لأنَّهم عاينوه حيّاً ، وتملَّوا به وقبَّلوا يده ، **وكادوا يقتتلون علىٰ وضوئه** ، واقتسموا شَعَرَه المُطهَّر يومَ الحج الأكبر ، **وكان إذا تنخَّم لا تكاد نُخامته تقع إلا في يد رجل** ، فيدلُكُ بها وجهَهُ .

ونحن فلمَّا لم يصحَّ لنا مثلُ هٰذا النصيب الأوفر.. ترامَينا علىٰ قبره بالالتزام والتبجيل ، والاستلام والتقبيل ، **ألا ترىٰ كيف فعل ثابتٌ البُناني ؟!** كان يُقبِّل يدَ أنس بن مالك ويضعها علىٰ وجهه ويقول : **يدٌ مسَّت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم** .

---

(١) انظر « معجم الشيوخ » (١/٧٣) .
(٢) سورة يوسف : (٩٤) .

وهـٰذه الأمور لا يُحرِّكها من المسلم إلا فَرْطُ حبه للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ إذ هو مأمور بأن يحب الله ورسوله أشدَّ من حبه لنفسه وولده والناس أجمعين ، ومن أمواله ومن الجنة وحورها)[1] .

* * *

وهل تكونُ الرحمة إلا للعصاة ؟!

لعلَّ رحمةَ ربِّي حينَ يقسِمُها   تأتي علىٰ حَسَبِ العِصيانِ في القِسَمِ

هكذا دعا الإمام البوصيري ؛ وهو دعاءُ مؤمنٍ مصدِّقٍ بوعد الله بالغفران لمن رجاه سبحانه وأناب إليه ، و(لعلَّ) هنا رجائيَّةٌ علىٰ بابها ، والله تعالىٰ عند حسن ظنِّ عبده به ، إلا أنَّ هـٰذا الدعاء قد تقزَّزَتْ منه نفوسٌ ساقطة من عين الله ، تحسب أن مثل هـٰذا فيه تألٍّ على الله ، ويكاد المرء يقول لأمثال هـٰؤلاء : وما أفعل لكم إن نزع الله ذوق العربية من صدوركم ؟!

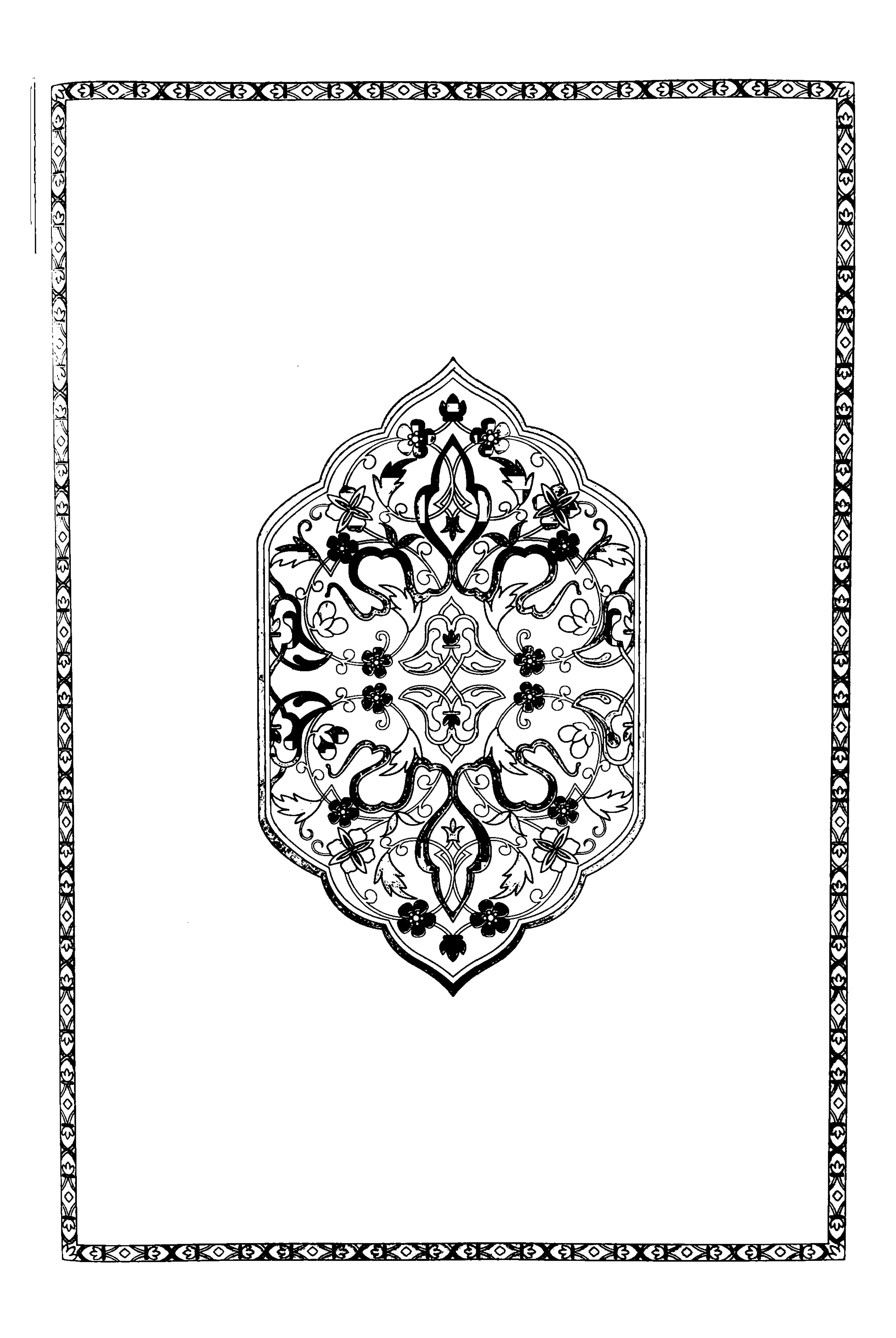
ألا رحم الله الإمام البوصيري ، وجزاه عنَّا خيرَ ما جزىٰ محبّاً وعالماً عن أمَّته ، وألحقَنا بركبه ؛ ركبِ العاشقين الوالهين ، الذين لن تطمئنَّ قلوبهم إلا برؤية الطلعة البدرية الأحمدية راضيةً مرضية .

وأدام سبحانه تسابيح « البردة » تُتلىٰ بكرةً وعشيَّة ، تستمطرُ رحماتِ الله باسترضاء رحمته المهداة ، وعمَّم الفضل بها ، وبما كُتب علىٰ منوالها .

* * *

---

(١) انظر « معجم الشيوخ » (١/ ٧٣) .



ترجمة
الشاعر الأديب
شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد بن حمّاد الصّنهاجيّ المصريّ البوصيريّ[1]

اسمه ونسبه ومولده

هو الشاعر الأريب ، والكاتب الأديب : **شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حمَّاد بن محسن بن عبد الله بن حباني بن صِنهاج بن ملال ، المغربي الصِّنهاجي المصري البوصيري** ، صاحب القصائد الطنَّانة في مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم ، وخصوصاً قصيدته « البردة » التي ترنَّم بها المحبون والأخيار ، وفاح شذاها وفاق عبير البهار .

ولد البوصيري : في (بَهَبْشِيمَ) من أعمال البَهْنسية في يوم الثلاثاء أول شوال من سنة (٦٠٨هـ) .

وأصله : من المغرب من (قلعة حمَّاد) من قَبيل يُعرفون بـ (بني حَبْنون) .

كان أحد أبويه من (بوصير) ـ وقيل : (أبو صير) ـ والآخرُ من (دِلاص) ـ وكلتاهما قريتان في صعيد مصر ـ فركَّب له نسبةً منهما فقال : (الدِّلاصيري) ، ولكنه اشتهر بـ (البوصيري) ، وكانت له أشياءُ مثلُ

---

(١) اختصرت ترجمته من « الوافي بالوفيات » (٣/ ٨٨ـ ٩٤) ، و« فوات الوفيات » (٣/ ٣٦٢ـ ٣٦٩) ، و« المقفى الكبير » (٥/ ٣٥٢ـ ٣٥٦) ، و« تاريخ الأدب العربي » لشوقي ضيف (٧/ ٣٦١ـ ٣٦٦) ، و« البوصيري » لمحمد الشاذلي النيفر ، وزدت عليها أشياء يسيرة .

هـٰذا يُركِّبُها من لفظتين ؛ مثل قوله في كساء له : (كِساط) ، فقيل له : لِمَ سمَّيته بذلك ؟ فقال : لأني تارةً أجلس عليه فهو بساط ، وتارةً أرتدي به فهو كساء .

نشأته ونبذة عن سيرته

نشأ شاعرنا البوصيري كما ينشأ لِداته من أبناء عصره ؛ فاختلف إلى الكتاتيب ، وحفظ بها القرآن الكريم ، **ثم انتظم في حَلَقات العلماء يأخذ** عنهم علوم المعقول والمنقول ، **وتظهر معارفه المُتعدِّدة** من خلال أشعاره الأدبية المليئة بالعلوم المتنوعة .

وبدأت بعد ذلك تلوح عليه الميول الأدبية مُبكِّرةً ، وتتفتَّق في نفسه المَلَكات الشعرية ، مما جعله ينتظم في سِلْك من يعملون في الكتابة الديوانية ، فُعيِّن في دواوين بلبيس ، وهناك قال بعضَ الأشعار الناقدة للموظفين في خيانة الدولة ، وأكلِ أموال الناس بالباطل ، ونَظَم فيها أيضاً قصيدةً بليغة بديعة نادرة الوجود يمدح فيها الإمام الصوفي الكبير شمس الدين أبي عبد الله ابن النعمان صاحب كتاب « مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام » عندما دخل إليها زائراً ، وسوف أورد هـٰذه القصيدة تامةً في خاتمة الحديث عن أشعاره إن شاء الله تعالىٰ .

وبعد إقامته في بلبيس مدة موظَّفاً في ديوانها . . عَنَّ له الذهاب إلى القاهرة ، فدخلها محترفاً إقراءَ الصبية وبعض الفتية في مسجد الشيخ عبد الظاهر .

ويظهر من خلال شعره : أنه كان كثير الرحلة إلى البلدان المصرية والاتصال بمن فيها من الولاة ، وله فيهم بعضُ المدائح ، وكذلك في بعض السلاطين والأمراء والوزراء .

وأثناء إحدىٰ رحلاته إلى الإسكندرية . . تعرَّف على الإمام الكبير القطب الصوفي المُربِّي سيدي أبي الحسن الشاذلي ، وانتظم في سِلْك مريديه وطريقته ، وبعد أن توفي الإمام الشاذلي وخَلَفَه تلميذُه القطب المُربِّي سيدي أبو العباس المرسي . . ظل البوصيري يلازمه حتىٰ عُدَّ من أخص تلاميذه هو وابن عطاء الله السكندري رحمهما الله تعالىٰ .

وتنتشر ملامحه الصوفية الشاذلية في كثير من أشعاره ، وخصوصاً قصيدته « البردة » حيث ذكر فيها أبياتاً عديدة تحثُّ علىٰ تهذيب النفس وتزكيتها وتصفيتها .

تلاميذه ورواة بعض شعره

مِنْ جملة مَنْ أخذ عن شاعرنا البوصيري ، وروىٰ لنا بعض أشعاره :

ـ الإمام قاضي القضاة : **عز الدين** عبد العزيز بن بدر الدين محمد **ابن جماعة** الكناني المصري (ت٧٦٧هـ)[١] .

ـ والإمام الفقيه : **شهاب الدين محمد** بن أحمد بن عبد الوهاب **ابن بنت الأعزِّ** العَلامي المصري (ت٧٦٢هـ)[٢] .

ـ والإمام المُحدِّث : **جمال الدين** أبو البركات **محمد بن عثمان** بن محمد **التَّوْزري** المصري (ت٧٣٤هـ)[٣] .

ـ والإمام الحافظ المُحدِّث المُؤرِّخ الأديب : **فتح الدين** أبو الفتح

---

(١) انظر « الدرر الكامنة » (٣/ ١٧٦ـ١٨٠) .
(٢) انظر « الدرر الكامنة » (٥/ ٦٣) .
(٣) انظر « الدرر الكامنة » (٥/ ٢٩٣ـ٢٩٤) .

محمد بن محمد بن محمد **ابن سيد الناس** اليعمري المصري الرَّبَعي (ت٧٣٤هـ)[١] .

ـ والإمام الشهير النحوي المُفسِّر المُتفنِّن : أثير الدين **أبو حيان** محمد بن يوسف بن علي ابن حيان الغرناطي **الأندلسي** المصري (ت٧٤٥هـ)[٢] .

ـ والإمام : **تقي الدين يوسف** بن محمد بن عمر **المشهدي** (ت٧٤٥هـ) ، وهو آخر من حدَّث بـ« البردة » بالسماع من الإمام البوصيري[٣] .

نبذة عن شعره

يُعَدُّ شعر **الإمام البوصيري** من الطِّراز الرفيع ، أتىٰ فيه بكل لفظ بليغ ومعنىً بديع ، قال الإمام الحافظ فتح الدين ابن سيِّد الناس مُبرِزاً مكانته الشعرية : (**هو أحسن شعراً من الجزَّار والورَّاق**)[٤] ، ويعتبر الجزَّار والورَّاق من كبار الشعراء في عصرهما ، وقال الأديب الصلاح الصفدي : (**وشعره في غاية الحسن واللطافة** ، عذبُ الألفاظ ، منسجمُ التركيب)[٥] .

وقد جال شاعرنا البوصيري في غالب أغراض الشعر ، وخصوصاً المديحَ لسيد المرسلين الذي له فيه القِدْح المُعلَّىٰ ، **ويكفيه** مَدْحيته « **البردة** » التي تعتبر دُرَّة شعره ، والتي سارت علىٰ ألسنة الأنام ، وكُتبت في جبهات الأيام .

---

(١) انظر « الوافي بالوفيات » (١/ ٢١٩) وما بعدها .

(٢) انظر « الوافي بالوفيات » (٥/ ١٧٥) وما بعدها .

(٣) انظر « الدرر الكامنة » (٦/ ٢٤٥) .

(٤) انظر « الوافي بالوفيات » (٣/ ٩٠) .

(٥) الوافي بالوفيات (٣/ ٩٠) .

ومن روائع قصائده : مَدْحيتُه للذات المحمدية ، المسماةُ بـ « أم القرىٰ في مدح خير الورىٰ »، والمشهورةُ بـ « الهَمْزية »، **والتي مطلعها**: (من الخفيف)

كيـف تـرقـىٰ رُقيّـكَ الأنبيـاءُ　　　يـا سمـاءً مـا طـاولَتْهَـا سمـاءُ

وأيضاً قصيدته المَدْحية لسيد الوجود التي علىٰ وِزان « بانت سعاد » لسيدنا الصحابي الجليل كعب بن زهير رضي الله عنه ، **ومطلعها** : (من البسيط)

إلـىٰ متىٰ أنـتَ بـاللَّـذّاتِ مشغـولُ　　　وأنتَ عن كلِّ ما قدَّمتَ مسؤولُ

بل كان رحمه الله يوصي ويحُثُّ علىٰ مدح إمام الوجود صلى الله عليه وسلم ؛ فيقول مثلاً في بعض قصائده : (من البسيط)

مدحُ النبيِّ أمانُ الخائفِ الوجلِ　　　فامدحْهُ مُرتجِلاً أو غيرَ مُرْتجِلِ

ولا تُشبِّـبْ بـأوطـانٍ ولا دِمَـنٍ　　　ولا تُعـرِّجْ علىٰ ربعٍ ولا طَلَـلِ

وصِفْ جمالَ حبيبِ اللهِ مُنفرِداً　　　بوصفِهِ فهْوَ خيرُ الوصفِ والغزلِ

وله قصيدة في مدح شيخيهِ أبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسي ، ومطلعها : (من الكامل)

أمَّـا المحبـةُ فهْـيَ بـذلُ نفـوسِ　　　فتنعَّـمـي يـا مُهجتـي بـالبـوسِ

ويقول فيها :

شرفاً لشاذلةٍ ومُرْسيةٍ سَرَتْ　　　لهما الرئاسةُ مِنْ أجلِّ رئيسِ

ما إنْ نسبتُ إليهما شيخَيْهما　　　إلا جلـوتُهمـا جـلاءَ عـروسِ

وله قصائدُ دامغةٌ في الرد على اليهود والنصارىٰ ، ودحضِ تمويهاتهم وافتراءاتهم ، **ومن ذلك قصيدته التي مطلعها** : (من الكامل)

جاء المسيحُ من الإلٰهِ رسولا　　　فـأبـىٰ أقـلُّ العـالَميـنَ عقـولا

وقد ذكرت في هـٰذه العُجالة تعريفاً موجزاً ببعض شعره ؛ روماً للاختصار ، وبُعداً عن الإكثار ، وأُحيل القارئَ إلىٰ « ديوانه » الذي أُودع فيه كثيرٌ منه شعره .

ومن القصائد البديعة التي لم ترد في « ديوانه » ، والتي أرىٰ أنه من الفائدة إيرادَها كاملةً ومشكولةً شكلاً تامّاً . قصيدته في مدح الإمام الكبير العارف المُربِّي شمس الدين أبي عبد الله ابن النعمان ، **وهـٰذه القصيدة ذكرها بتمامها** الإمام المُحدِّث المُؤرِّخ المُتكلِّم الأديب فخر الدين ابن المُعلِّم القرشي في كتابه النفيس « نجم المهتدي ورجم المعتدي »[1] .

وقد قالها شاعرنا البوصيري عندما دخل الإمامُ ابن النعمان بلبيس ، وكان إذ ذاك البوصيري عاملاً في ديوانها .

والقصيدة هي : (من البسيط)

اَلْحَمْـدُ لِلّٰـهِ فِـي سِـرٍّ وَفِـي عَلَـنِ ... حَمْداً يَقُومُ بِحَقِّ ٱلْفَضْلِ وَٱلْمِنَنِ

وَجَـلَّ مَـنْ شُكْـرُهُ أَثْمَـانُ نِعْمَتِـهِ ... وَيَـا لَهَـا نِعَمـاً جَـاءَتْ بِـلا ثَمَـنِ

أَعْيَا ٱلْخَلائِقَ أَنْ يُحْصُوا لَهَا عَدَداً ... سِيَّـانِ ذُو لَكَـنٍ فِيهَـا وَذُو لَسَـنِ

فَٱفْطَنْ لِأَلْطَافِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ فَمَا ... تَكَـادُ أَلْطَـافُـهُ تَخْفَـىٰ عَلَـىٰ فَطِـنِ

كَمْ أَوْجَبَتْ كُرَبٌ مِنْهُ لَنَا كَرَماً ... كَٱلْفَرْثِ وَٱلدَّمِ سَاقَا خَالِصَ ٱللَّبَنِ

وَطَالَمَا جَعَلَ ٱلْمَكْرُوهَ فِي مِنَحٍ ... لَنَا كَمَا جَعَلَ ٱلْمَحْبُوبَ فِي مِحَنِ

فَلا تَـكُنْ بِٱلَّذِي أُوتِيتَ ذَا فَرَحٍ ... وَلا تَـكُنْ بِٱلَّذِي أَخْطَأْتَ ذَا حَزَنِ

وَلا تُعَـاتِـبْ زَمَـانـاً فِـي تَصَـرُّفِـهِ ... فَٱلْحُكْمُ لِلّٰهِ فِي ٱلتَّصْرِيفِ لا ٱلزَّمَنِ

وَٱلْمَرْءُ رَهْنُ مُجَازَاةٍ بِمَا صَنَعَتْ ... مِـنَ ٱلْقَبِيـحِ يَـدَاهُ أَوْ مِـنَ ٱلْحَسَـنِ

---

(١) نجم المهتدي ورجم المعتدي (ص ٢/ ١٧٢ـ ١٧٤) .

فَٱجْهَدْ لِنَفْسِكَ فِي تَخْلِيصِ مَا ضَمِنَتْ ... لَكَ ٱلصَّحَائِفُ عِنْدَ ٱللهِ مِنْ رَهَنِ

وَأَزْهَدُ ٱلنَّاسِ فِي ٱلدُّنْيَا ٱمْرُؤٌ عَزَفَتْ ... عَنْ لَيِّنٍ نَفْسُهُ فِيهَا وَعَنْ خَشِنِ

مُحَمَّدٌ وَإِلَى ٱلنُّعْمَانِ نِسْبَتُهُ ... نِعْمَ ٱلإِمَامَانِ مِنْ أَصْلٍ وَمِنْ فَنَنِ

أَخْبَارُهُ فِي ٱلْوَرَىٰ طَابَتْ وَمَخْبَرُهُ ... فَفَضْلُهُ مِلْءُ عَيْنِ ٱلدَّهْرِ وَٱلأُذُنِ

وَذِكْرُهُ عَطِرٌ فِي ٱلأَرْضِ مُنْتَشِرٌ ... وَفِي ٱلسَّمَاءِ ٱنْتِشَارَ ٱلرُّوحِ فِي ٱلْبَدَنِ

يَجْنِي ٱلرُّوَاةُ ثِمَارَ ٱلْعِلْمِ يَانِعَةً ... مِنْهُ كَمَا تُجْتَنَى ٱلأَزْهَارُ مِنْ غُصُنِ

كَأَنَّهُ كَعْبَةٌ تَأْتِي ٱلْوُفُودُ لَهُ ... سَعْياً وَفَوْقَ عِتَاقِ ٱلْخَيْلِ وَٱلْبُدُنِ

أَبْدَىٰ لَنَا ٱلْغَرْبُ شَمْساً مِنْ فَضَائِلِهِ ... فَكَانَ فِينَا غَرِيبَ ٱلْفَضْلِ وَٱلْوَطَنِ

يُرِيكَ وَجْهاً نَضِيراً مِنْ تَقَشُّفِهِ ... فَٱزْهَدْ بِرُؤْيَتِهِ عَنْ خُضْرَةِ ٱلدِّمَنِ

وَدُونَكَ ٱلضَّامِرَ ٱلْمَهْزُولَ فَٱنْجُ بِهِ ... فَمَا حَوَىٰ قَصَبَاتِ ٱلسَّبْقِ ذُو سِمَنِ

فَٱلنَّاسُ قَدْ أَخَذُوا عَنْهُ مَنَاسِكَهُمْ ... وَحَظَّهُمْ مِنْ فُرُوضِ ٱلدِّينِ وَٱلسُّنَنِ

يَدْعُو ٱلأَنَامَ عَلَىٰ عِلْمٍ وَبَيِّنَةٍ ... إِلَى ٱلْهُدَىٰ إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى ٱلْفِتَنِ

إِذَا نَظَرْتَ إِلَى ٱلدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ ... عَدَدْتَ طَالِبَهَا مِنْ عَابِدِي ٱلْوَثَنِ

مَا فَاقَ وَالِدَهُ ٱلنُّعْمَانَ فِي شَرَفٍ ... مَاءُ ٱلسَّمَاءِ وَلا سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنِ

وَلا ٱبْنُ أَدْهَمَ فِي زُهْدٍ يُسَابِقُهُ ... إِلَّا سِبَاقَ ٱلصَّبَاحِ ٱلشَّمْسَ فِي ٱلزَّمَنِ

ضَفَتْ مِنَ ٱلدِّينِ وَٱلدُّنْيَا مَلابِسُهُ ... فَمَا رَأَى ٱلنَّاسُ فِي ثَوْبَيْهِ مِنْ دَرَنِ[1]

وَأَنْهَجَ ٱلْجُودُ وَٱلتَّقْوَىٰ لَهُ سَنَناً ... أَصْلُ ٱلْهُدَىٰ وَٱلتُّقَىٰ مِنْ ذَٰلِكَ ٱلسَّنَنِ

فَٱخْتَالَ مِنْ كَرَمِ ٱلنُّعْمَانِ فِي حُلَلٍ ... مِنَ ٱلثَّنَاءِ وَمِنْ تَقْوَىٰ أَبِي ٱلْحَسَنِ

مَوْلَىً حَقَائِقُهُ فِي ٱلنَّاسِ ظَاهِرَةٌ ... كَٱلشَّمْسِ لَيْسَ بِهَا رَيْبٌ لِمُمْتَحِنِ

غَنِيَّةٌ نَفْسُهُ بِٱلْفَقْرِ وَا عَجَبَاً ... مِنِ ٱجْتِمَاعِ ٱلْغِنَىٰ وَٱلْفَقْرِ فِي قَرَنِ

رَحْبُ ٱلْفِنَاءِ لَنَا وَٱلصَّدْرِ لَمْ نَرَهُ ... كَغَيْرِهِ ضَيِّقَ ٱلأَكْنَافِ وَٱلْعَطَنِ

---

(١) يقال : ضفا الثوب فهو ضافٍ ؛ أي : تام سائغ .

يَا نَازِعاً ثَوْبَ مُلْكٍ وَهْوَ مُقْتَدِرٌ ... وَلابِساً ثَوْبَ فَقْرٍ غَيْرَ مُمْتَهَنِ
بِمَنْ تَشَبَّهُ فِي عِلْمٍ وَفِي عَمَلٍ ... لَمْ أَدْرِ ذَاكَ فَهَلْ يَدْرِي ٱلْوَرَىٰ بِمَنِ
لَمَّا عَزَفْتَ عَنِ ٱلدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا ... جَاءَتْكَ عَدْواً بِلا سَوْطٍ وَلا رَسَنِ
وَمَا تُلِمُّ بِهَا إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ ... مَتَى ٱسْتَعَنْتَ بِهَا فِي طَاعَةٍ تُعِنِ
كُلٌّ لَهُ سَكَنٌ يَأْوِي إِلَيْهِ مِنَ ٱلدُّ ... نْيَا وَمَا لَكَ غَيْرَ ٱلْحَقِّ مِنْ سَكَنِ
وَلَسْتَ مَنْ شَاقَهُ مَالٌ وَلا وَلَدٌ ... فَقَدْ نَأَىٰ قَلْبُهُ بِٱلْبُخْلِ وَٱلْجُبُنِ
كَمِ ٱدَّعَى ٱلزُّهْدَ فِي ٱلدُّنْيَا سِوَاكَ وَلَمْ ... يَكُنْ عَلَىٰ مَا ٱدَّعَىٰ فِيهِ بِمُؤْتَمَنِ
يَبْنِي وَيَبْنِي وَمَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ أَحَدٍ ... مَا شِيدَ لِلّٰهِ مِنْ طِينٍ وَمِنْ لَبِنِ
لِلّٰهِ دَرُّكَ مَوْلىً فِي إِقَامَتِهِ ... يُقِيمُ فِينَا حُدُودَ ٱللهِ وَٱلظَّعَنِ[1]
سَلِ ٱلْمَسَاجِدَ عَنْهُ وَٱلْكَنَائِسَ مَا ... ذَا هُدَّ لِلّٰهِ مِنْ جُدْرَانِهَا وَبُنِي[2]
بِبَيِّنَاتٍ عَلَى ٱلْكُفَّارِ قَاطِعَةٍ ... مِثْلِ ٱلسُّيُوفِ وَلِلإِسْلامِ كَٱلْجُنَنِ
مَوْلىً يَرَىٰ ضُرَّهُ فِي ٱللهِ عَافِيَةً ... وَكُلُّ عَيْشٍ مِنَ ٱلْبَلْوَىٰ لَدَيْهِ هَنِي
مُطَهَّرُ ٱلنَّفْسِ مِنْ شَوْبِ ٱلْحُظُوظِ وَمَا ... أَزْكَى ٱلنُّفُوسَ إِذَا حَظُّ ٱلنُّفُوسِ فَنِي
فَإِنْ تَجِدْ هِمَّةٌ ضَعْفاً فَهِمَّتُهُ ... فِي طَاعَةِ ٱللهِ لَمْ تَضْعُفْ وَلَمْ تَهِنِ
تَقَرُّ عَيْنِي بِرُؤْيَاهُ وَرُؤْيَتِهِ ... إِنْ زُرْتُ فِي يَقْظَةٍ أَوْ زَارَ فِي وَسَنِ

وفاته

كانت وفاته سنة (٦٩٨هـ) بالمارستان المنصوري في القاهرة[3] ، رحمه الله تعالىٰ ، وأجزل مثوبته ، وجمعنا به في مُستقرِّ رحمته ، آمين .

* * *

---

(١) قوله : (والظَّعن) معطوف علىٰ (إقامته) .

(٢) في كلامه لفٌّ ونشر غير مرتب ؛ فالهدُّ للكنائس ، والبناء للمساجد .

(٣) وقال الصلاح الصفدي في «الوافي بالوفيات» (٣/ ٩٣): (وأظن وفاته كانت في سنة ست وتسعين ـ أو سبع وتسعين ـ وست مئة أو ما حولهما) .

ترجمة
الإمام المقرئ الحافظ المحدّث
شهاب الدين أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن أبي بكر
القسطلّاني المصريّ الشّافعيّ[1]

اسمه ونسبه ومولده

هو الإمام المقرئ الحافظ المُحدِّث المُتقن ، صاحبُ المؤلفات الفريدة ، والتصانيفِ المفيدة ، الورعُ الزاهد ، والصوفي العابد ، زينة أهل عصره ، ونقاوة ذوي دهره : **شهاب الدين أبو العباس وأبو الفضل أحمد بن الخطيب شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر محمد بن عبد الملك بن زين الدين أحمد بن جمال الدين محمد بن صفي الدين محمد بن محب الدين حسين بن تاج الدين علي بن كمال الدين أبي العباس أحمد بن علي**[2] ، **القيسيُّ**[3] ،

---

(١) مصادر ترجمته : « الضوء اللامع » (٢/١٠٣ـ ١٠٤) ، « النور الساطع في مختصر الضوء اللامع » (ق/ ٣٣٥ـ ٣٣٧) للشارح، وقد اطلعت عليه متأخراً بعد كتابة الترجمة ، فاستفدت منه بعض الأمور المهمة ، « الطبقات الصغرىٰ » للشعراني (ص٣٦) ، « بدائع الزهور » (٥/ ١٥٧) ، « النور السافر » (ص١٦٤ـ ١٦٦) ، « الكواكب السائرة » (١/ ١٢٨ـ ١٢٩) ، « كشف الظنون » من مواضع متفرقة ، « شذرات الذهب » (١٠/ ١٦٩ـ ١٧١) ، « العطايا الربانية » (١/ق٢) ، « هدية العارفين » (١/ ١٣٩) ، « فهرس الفهارس » (٢/ ٩٦٧ـ ٦٧٠) ، « الأعلام » (١/ ٢٣٢) ، « معجم المؤلفين » (٢/ ٨٥ ـ ٨٦).

(٢) إلىٰ قوله : (تاج الدين علي) من « الضوء اللامع » (٢/ ١٠٣) ، والباقي من خاتمة كتابه « الأنوار في الأدعية والأذكار » (ق/ ١٦٧) .

(٣) وقع في بعض المصادر كـ « الأعلام » (١/ ٢٣٢) : (القتيبي) بدل (القيسي) ، =

القَسْطلَّاني المصري الشافعي .

وأمُّه : حليمة بنت الشيخ زين الدين أبي بكر بن أحمد بن حميدة النحاس .

وعمُّه : أحمد بن أبي بكر القَسْطلَّاني القبَّاني ، من تلاميذ الحافظ المُؤرِّخ شمس الدين السخاوي .

وما ذكره عبد الحي الكتَّاني عن « مجموعة » للشيخ ابن عبد الحي الداوديِّ الدمشقي ؛ من أن عائشة الباعونية هي زوجة الإمام القسطلَّاني[1] ، وكذلك ما ذكره المسند الرحَّالة العيَّاشي في فهرسه « اقتفاء الأثر »[2] . . **فغيرُ صحيح** ، بل هي زوجة ابن نقيب أشراف دمشق أحمد بن محمد بن أبي بكر الحسيني الذي أنجبت منه ولدين هما : عبد الوهاب وبركة ، ولعلَّه اختلط على ابن عبد الحي الداودي بسبب الاتِّحاد باسم المُترجَم واسم أبيه وجده .

ويحتمل علىٰ بُعْدٍ : أنه انصرم زواجها الأول من نقيب الأشراف لسبب ما ، ثم سافرت إلى القاهرة ، فدخلتها سنة (٩١٩هـ) ، فتزوَّجها الإمام القسطلَّاني في هـٰذه الفترة ، والله تعالىٰ أعلم .

والقَسْطلاني : نسبة إلىٰ (قَسْطِيلِيَةَ) علىٰ غير قياس ، وهو قطر كبير من بلاد الجريد[3] التي تمتدُّ من الساحل الأطلسي لشمال إفريقيا إلىٰ حدود

= ولعل الصواب ما أثبت كما جاء في نسب بعض رجال هـٰذه الأسرة . انظر « تاريخ الإسلام » (٤٩/١٥٦ـ٢٠٠) .

(١) فهرس الفهارس (٢/٩٦٩) .

(٢) اقتفاء الأثر (ص٢٠٩) .

(٣) **وسميت بذلك** ؛ لكثرة النخيل فيها ، **وتُسمَّىٰ أيضاً** : بلاد التمر . انظر « الاستبصار في عجائب الأمصار » (ص١٥٠) ، و« الجغرافيا » (ص١٢٦) .

مصر[1] ، وقد ضمَّ هـٰذا القُطر مدناً كثيرة ، **ومن أشهرها والتي تعتبر قاعدةً وأُمّاً لها** : مدينة (تَوْزَرَ) .

وعليه : فيكون ضبطُ (القَسْطَلاني) بفتح القاف واللام المخففة .

ونقل الشهاب العجمي في « ذيله علىٰ لب اللباب » عن « تاريخ مصر » للقطب الحلبي ؛ قال : (كأنه منسوب إلىٰ « قُسْطِيلَة » بضم القاف من أعمال إفريقيا بالمغرب) .

وقال : (رأيت بخط القسطلّاني في ترجمته من « مختصر الضوء اللامع » عن خط السخاوي : « **فُرِّيانة** » : إحدىٰ مدن إفريقيا فيما بين قفصة وسبتة بالقرب من بلاد « قسطيلينية » التي نُسب إليها القسطلاني . انتهىٰ ، هـٰذا ما رأيته بخطه ، ثم رأيت في نسخة قديمة من « شرح أبي شامة للشُّقْراطسية » ضُبِطَ بالقلم لفظ « القسطلاني » : فتحة على القاف ، وشدة على اللام ، وكتب في الهامش : قال لي بعض من عرف هـٰذه البلاد : « نَفْطة » و« قَسْطِيلِيَة » و« تَوْزَر » و« قَفْصة ».. بلاد إفريقيا بالناحية التي تُسمَّىٰ « بلاد الجريد »)[2] .

والحاصل : أنه يجوز في ضبطه **ثلاثة أوجه** : فتح القاف مع فتح الطاء واللام المخففة ، وضم القاف كذلك ، وفتحُ القاف واللام المشددة ، **وهـٰذا الأخير هو المشهور** ، كما نصَّ عليه أبو عبد الله الفهري الفاسي في « ملء العيبة » عن شيخه القطب القسطلاني ، والعلامة السُّحيمي في

---

(١) وذكر في « القاموس » (٤/ ٣٧) ، مادة : (ق س ط ل) احتمالاً آخر ؛ وهو أنه منسوب إلىٰ (قَسْطلَة) مدينة بالأندلس ، ومنها الشاعر الكبير ابن درَّاج القَسْطَلي ، وضبطها صاحب « معجم البلدان » (٤/ ٣٤٧) بفتح القاف والطاء واللام المشددة .

(٢) وانظر « النور الساطع » (ق/ ٣٣٧) .

« العطايا الربانية »[1] ، وهو مختار أكثر أهل الحديث كما ذكره الزرقاني في « شرح المواهب »[2] .

هـٰذا ، وقد خرج من هـٰذه المدينة كبار أهل الفضل والعلم ؛ ومن جملة هـٰؤلاء :

سيِّدي الفقيه القدوة الصوفي : **أبو العباس أحمد بن علي القَسْطلَّاني التَّوْزَري المالكي** (ت٦٣٦هـ) ، تلميذ سيدي المُربِّي الصوفي أبي عبد الله القرشي[3] .

وولده الفقيه المُحدِّث الأديب الصوفي : **القطب أبو بكر محمد بن أحمد القسطلَّاني التَّوْزَري الشافعي** (ت٦٨٦هـ)[4] .

وأفرد النجم ابن فهد مؤلَّفاً خاصّاً في هـٰذه العائلة المباركة سمَّاه : « **غاية الأماني في تراجم أولاد القَسْطلَّاني** »[5] .

وُلِدَ إمامُنا القَسْطلَّاني : بمصر العتيقة في الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة سنة (٨٥١هـ).

نشأته وشيوخه

نشأ الإمام القَسْطلَّاني بمصر ، وحفظ بها القرآن الكريم منذ بداية طلبه

---

(١) ملء العيبة (٣/ ٤١٥) ، العطايا الربانية على المواهب اللدنية (١/ ق٢ ، ١٦٦) .

(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية (١/ ٢٤٦) .

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (١/ ١٩٠) ، و« نجم المهتدي » (١/ ٦١٠ـ ٦١١) .

(٤) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٤٣ـ٤٤)، ومن شعره المشهور : (من الطويل)

إذا طاب أصلُ المرءِ طابَتْ فروعُهُ ... ومِنْ غلطٍ جاءتْ يدُ الشوكِ بالوردِ
وقد يخبُثُ الفرعُ الذي طاب أصلُهُ ... ليظهرَ صنعُ اللهِ في العكسِ والطَّرْدِ

(٥) انظر « الضوء اللامع » (٦/ ١٢٦) .

للعلم الشريف، و« الشاطبيتين »[1]، ونصف « الطيبة الجزرية »، و« الوردية » في النحو[2] .

وعلمُ القراءات من أوائل العلوم التي أتقنها إمامنا القسطلّاني ؛ قال في « لطائف الإشارات » : (وهـٰذا العلم هو أول علم مَنَّ الله عليَّ بتعلُّمه ، وأسبقُ فنٍّ عالجت نفسي قبل بلوغ الحلم في تفهُّمه ، فهو كما قال بعضهم : « الصديقُ القديم ، والنديمُ الذي منادمتُهُ ألطفُ من مَرِّ النسيم »)[3] .

ثم أقبل ينهل العلم من كبار علمائها ، ومصرُ في ذلك الوقت تعجُّ بأساطين العلم الفحول ، المُبرِّزين في المنقول والمعقول ، فأخذ إمامنا القَسْطلّاني من علومهم الواسعة ، وجنىٰ من ثمارهم اليانعة ، واستضاء بأنوارهم الساطعة .

وحجَّ غير مرة وجاور ، **وأول ذلك في البحر سنة** (٨٧٧هـ) ، وسمع فيها عن النجم ابن فهد وبنت الشوبكي ، وقرأ على القاضي نور الدين النويري المالكي في « الترغيب والترهيب » وغيره ، **ثم حجَّ سنة** (٨٨٣هـ) ، فقرأ فيها على النجم ابن فهد وبنت الشوبكي « سنن ابن ماجه » في سبعة عشر مجلساً ، **ثم حجَّ في سنة** (٨٩١هـ) ، فأخذ عن أبي المعالي المحب الطبري .

ولبس خرقة التصوف ، وجلس للوعظ وقراءة الحديث في أول رجب سنة (٨٧٣هـ)[4] .

---

(١) و« **الشاطبيتان** » **هما** : « حرز الأماني » في القراءات السبع ، و« عقيلة أتراب القصائد » في علم رسم المصحف .

(٢) للإمام ابن الوردي صاحب « البهجة » المنظومةِ الشهيرة في فروع الشافعية .

(٣) لطائف الإشارات (١/١٦٨) .

(٤) انظر « النور الساطع » (ق/٣٣٥) .

ومن أبرز شيوخه الذين أخذ عنهم :

ـ الولي الكبير الصوفي المُربِّي : **برهان الدين إبراهيم** بن علي بن عمر الأنصاري **المتبولي** القاهري الأحمدي (ت٨٧٧هـ) ، كان من أهل الخير والدين والصلاح ، مقصوداً للتبرُّك به ، مُستشفَعاً به عند السلاطين فمن دونهم[١] .

أخذ عنه المُترجَم : علم التصوف ، وقال عنه في خاتمة كتابه « اللآلئ السنية » : (سيدنا وأستاذنا وطريقنا إلى الله تعالىٰ)[٢] .

ـ الإمام العارف المُحدِّث الفقيه الأصولي المُتكلِّم الصوفي الرحَّالة : **شهاب الدين** أبو العباس **أحمد** بن أحمد بن محمد **البُرْنُسي** الفاسي المالكي (ت٨٩٩هـ) ، **ويعرف بـ (زرُّوق)** ، كان من كبار أئمَّة عصره في العلوم ، وخصوصاً علمَ التصوف ، وألَّف فيه مؤلفاتٍ نفيسةً مُحرَّرةً[٣] .

قرأ عليه المُترجَم : « الحكم العطائية » بالمدينة المنورة بقراءة محب الدين بن القصي السخاوي المالكي .

ـ الإمام الفقيه : **شهاب الدين أحمد** بن علي بن حسين **العبَّادي** القاهري الأزهري الشافعي (ت٨٨٠هـ) ، كان مُستحضِراً الكثيرَ من الفقه ، خيِّراً قليلَ الفضول ، كثير السكون[٤] .

قرأ عليه المترجم : علم الفقه .

---

(١) انظر « الضوء اللامع » (١/ ٨٥ ـ ٨٦) ، و« نيل الأمل في ذيل الدول » (٧/ ٦٧) ، وأفاض في أخباره سيدي الشعراني في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٧٥ـ ٧٨) .

(٢) اللآلئ السنية شرح المقدمة الجزرية (ص٤٤٦) ضمن (سلسلة شروح الجزرية) .

(٣) انظر « فهرس الفهارس » (١/ ٤٥٥) .

(٤) انظر « الضوء اللامع » (١/ ٢٢٧ـ٢٣١) .

ـ الإمام المقرئ المُتفنِّن : **شهاب الدين أبو العباس أحمد** بن أسد **بن** **عبد الواحد الأُمْيُوطي** السّكَنْدري القاهري الشافعي (ت٨٧٢هـ) ، كان مشاركاً في الفنون ، مُتقدِّماً في علم القراءات ، يُقصد به من كافَّة الأنحاء ، محبّاً للعلم ، مثابراً على التحصيل[١] .

قرأ عليه المترجم : ختمتين من القرآن بالسبع ثم بالعشر .

ـ الإمام المُحدِّث المسند المُعمَّر : **شهاب الدين أحمد** بن عبد القادر بن محمد بن طَريف **النَّشاوي** القاهري الحنفي (ت٨٨٤هـ) ، كان خيِّراً ، قانعاً باليسير ، مُحبّاً للطلبة صبوراً عليهم متودِّداً إليهم ، حافظاً لنكتٍ ونوادرَ وفوائدَ لطيفةٍ[٢] .

قرأ عليه المُترجَم : « صحيح البخاري » بتمامه في خمسة مجالس[٣] ، وكان قد تجاوز النشاوي التسعين عاماً ، و« ثلاثيات مسند أحمد » ، **وسمع عليه** : « مشيخة ابن شاذان الصغرىٰ » ، وغيرها ، ووصفه في « الفتح المواهبي » : بمسند العصر ورحلة الآفاق[٤] .

ـ الإمام النحوي المقرئ : **زين الدين خالد** بن عبد الله بن أبي بكر الجَرْجاوي **الأزهري** الشافعي (ت٩٠٥هـ) ، **ويعرف بـ (الوقَّاد)** ، كان

---

(١) انظر « الضوء اللامع » (١/ ٢٢٧) .

(٢) انظر « الضوء اللامع » (١/ ٣٥١ـ٣٥٢) .

(٣) انظر « الضوء اللامع » (٢/ ١٠٣) ، ونصَّ علىٰ ذلك أيضاً المُترجَم في كتابه « إرشاد الساري » (١/ ٤٩) ، و« مناهج الهداية لمعالم الرواية » (ق/ ٤٨) ، وعبارته في الأخير : (وقد قرأته كلَّه علىٰ رُحْلة الآفاق أبي العباس النشاوي في خمسة مجالس وبعض مجلس متوالية) .

(٤) الفتح المواهبي (ق/ ١٤) .

بارعاً في العربية ، وألَّف فيها مؤلفاتٍ قيمةً نفيسةً انتفع بها الطلبة في زمانه إلىٰ يومنا هـٰذا[1] .

قرأ عليه المُترجَم : جزءاً من سورة (البقرة) بالقراءات السبع .

ـ الإمام المقرئ : **زين الدين** أبو محمد **عبد الدائم** بن علي **الحديدي** القاهري الأزهري الشافعي (ت٨٧٠هـ) ، كان فاضلاً خيِّراً متواضعاً ، طارحاً للتكلف ، سليم الفطرة ، شديداً في استقصاء التجويد لمن يقرأ[2] .

ـ الإمام المقرئ : **زين الدين عبد الغني** بن يوسف بن أحمد **الهيثمي** القاهري الشافعي (ت٨٨٦هـ) ، كان مُتقدِّماً في التجويد والقراءات[3] ، ووصفه الإمام القسطلَّاني في « الفتح المواهبي » بشيخ التجويد وتحفة الدين[4] .

قرأ عليه المُترجَم : بالثلاث إلىٰ : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾[5] .

ـ الإمام الفقيه المشارك : **فخر الدين أبو عمرو** عثمان بن عبد الله بن عثمان **المَقْسي** القاهري الشافعي (ت٨٧٧هـ) ، كان من كبار تلاميذ شرف الدين المُناوي ؛ حتىٰ إنه كان يقول : (هو معي كالمُزَني مع الشافعي) ، وكان مُتضلِّعاً في علم الفقه ، حسنَ التقرير فيه[6] .

أخذ عنه المُترجَم : علم الفقه تقسيماً .

---

(١) انظر « الضوء اللامع » (٣/ ١٧١ـ١٧٢) .
(٢) انظر « الضوء اللامع » (٤/ ٤٢) .
(٣) انظر « الضوء اللامع » (٤/ ٢٥٨ـ٢٥٩) .
(٤) الفتح المواهبي (ق/ ١٣) .
(٥) سورة الفرقان : (٢١) .
(٦) انظر « الضوء اللامع » (٥/ ١٣١ـ١٣٣) .

ـ الإمام المقرئ : **سراج الدين أبو حفص عمر** بن قاسم بن محمد **النشَّار** الأنصاري المصري الشافعي (ت٩٣٨هـ) ، كان خيِّراً فاضلاً ، بارعاً في علم القراءات[١] .

تلا عليه المُترجَم : بالقراءات السبع جمعاً وإفراداً .

ـ الإمام الشريف المُحدِّث المُؤرِّخ : **نجم الدين أبو القاسم عمر** بن محمد بن محمد **ابن فهد** القرشي الهاشمي المكِّي الشافعي (ت٨٨٥هـ) ، كان من كبار أئمَّة عصره في علم الحديث ، ماهراً في تراجم الشيوخ ، معوَّلاً عليه فيها[٢] .

ـ الإمام المقرئ : **شمس الدين أبو الفتح محمد** بن أبي بكر بن محمد **السِّرْسِي** القاهري الشافعي (ت٨٩٧هـ) ، ويعرف بـ (ابن الحِمَّصاني) ، تميَّز في علم القراءات وبرع فيه ، مع تواضع وسكون نفس[٣] .

أخذ عنه المُترجَم : علم القراءات .

ـ الإمام الفقيه : **شمس الدين محمد** بن أحمد بن محمد المخزومي **البامي** القاهري الشافعي (ت٨٨٥هـ) ، أخذ عنه جماعة من أهل العلم وفيهم من كان يُعَدُّ من الأعيان ، **وممَّن قرأ عليه في « التنبيه » من الأعيان** : شيخُ الإسلام زكريا الأنصاري[٤] .

قرأ عليه المترجم : ربع العبادات من « المنهاج » ، ومن (البيع) وغيره من « البهجة » ، ووصفه في كتابه « الأنوار » بالعلَّامة المُحقِّق الحُجَّة[٥] .

---

(١) انظر « الضوء اللامع » (٦/ ١١٣) .

(٢) انظر « الضوء اللامع » (٦/ ١٢٦ـ ١٣١) .

(٣) انظر « الضوء اللامع » (٧/ ١٩٠ـ ١٩١) .

(٤) انظر « الضوء اللامع » (٧/ ٤٨ـ ٤٩) .

(٥) الأنوار في الأدعية والأذكار (ق/ ٥) .

ـ الإمام الفقيه القاضي المُفتي : **جلال الدين أبو البقاء محمد** بن عبد الرحمـٰن بن أحمد **البكري** الدَّهْرُوطي المصري القاهري الشافعي (ت٨٩١هـ) ، كان أحفظَ أهل عصره لفروع الشافعية[1] .

قرأ عليه المُترجَم : من أول « حاشيته على المنهاج » إلىٰ أثناء (النكاح) مع فوت في أثنائها .

ـ الإمام الحافظ المُؤرِّخ الرحَّالة : **شمس الدين أبو الخير محمد** بن عبد الرحمـٰن بن محمد **السَّخاوي** المصري الشافعي (ت٩٠٢هـ) ، كان إماماً كبيراً لا يُشَقُّ له غبار في الحديث والتاريخ ، زاد شيوخُه على الأربع مئة شيخ ، **ومن أجلِّهم** : أمير المؤمنين في الحديث ابن حجر العسقلاني ، فاختصَّ به ولازمه ، وأخذ عنه علماً جمّاً غزيراً[2] .

أخذ عنه المُترجَم : علم الحديث ؛ قرأ عليه قطعةً كبيرةً من « شرحه على الهداية الجزرية »[3] ، ومواضعَ من « شرحه علىٰ ألفية العراقي » في المصطلح ، ووصفه في كتابه « الأنوار في الأدعية والأذكار » بـ : (شيخنا حافظ العصر)[4] .

ـ الإمام المُحدِّث المسند : شمس الدين **أبو السعود** محمد بن محمد بن محمد **الغرَّاقي** القاهري الشافعي (ت ٨٨٩هـ) .

قرأ عليه المُترجَم : « صحيح مسلم » .

---

(١) انظر « الضوء اللامع » (٧/ ٢٨٤ـ٢٨٦) .

(٢) انظر « النور السافر » (ص٤٠ـ٤٧) .

(٣) و« **الهداية الجزرية** » : هي المنظومة الشهيرة في علم المصطلح لشيخ قُرَّاء زمانه ابن الجزري رحمه الله تعالىٰ ، والمسماةُ بـ « الهداية إلىٰ معالم الرواية » ، وقد شرحها المترجم كما سيأتي في (ص ٦٤) ، ونقل في هـٰذا الشرح كثيراً عن شيخه السخاوي .

(٤) الأنوار في الأدعية والأذكار (ق/ ٢) .

هـٰذا ؛ **وقد قرأ إمامنا المُترجَم بمكَّة « سنن ابن ماجه »** : على المُحدِّثة المباركة العابدة **زينب بنت أحمد** بن محمد **الشوبكي** المكي (ت٨٨٦هـ)[١] .

شذرة من أخلاقه وتصوفه

كان إمامُنا القسطلَّاني عالماً عاملاً ، زاهداً وَرِعاً عابداً ، ذا أخلاق حسنة ، وصفاتٍ مستحسنة ، ومناقبَ عديدة ، وسيرة سديدة .

وكان مُحبّاً للصوفية ، مدافعاً عنهم ، معتقداً بأحوالهم ، مُطرِّزاً مؤلفاته بالنقل عن كبارهم ؛ كسيدي المربي أبي العباس الحرَّار ، وسيدَيَّ العارفَيْنِ محمد وابنه علي وفا ، وغيرهم رضي الله عنهم .

وعندما قام بعض المجاورين للأزهر بإبطال مجلس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يقيمه سيدي الصوفي الكبير علي الشوني ، واستفتوا في ذلك الفقيه الأصولي البرهان بن أبي شريف الذي مزَّق رقعة الفتيا ثم أفتىٰ بخلاف مقصودهم . . **انتصب بالانتصار له إمامنا شهاب الدين القسطلَّاني** ، وصنَّف كتاباً في الرد علىٰ من أنكر مجلس الشوني ، وحثَّ علىٰ حضور المجلس ، وصار يحضره ، ولمَّا كتب « شرحه على البخاري » . . كان يأتي قربه ، فيضعُه وسط الحلقة إلى الصباح رجاءَ القبول ، رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه[٢] .

وكان من أزهد الناس في الدنيا ، وكان يقرأ القرآن بأربعَ عشرةَ روايةً بصوتٍ عذبٍ شَجِيٍّ يبكي الناس ويتساقطون من الخشوع والبكاء .

---

(١) انظر « الضوء اللامع » (١٢/ ٣٩ـ٤٠) ، وذكر أيضاً بعضَ شيوخه في خاتمة كتابه النفيس « إرشاد الساري » (١٠/ ٤٨٨) .

(٢) انظر « الكواكب السائرة » (٢/ ٢١٤ـ٢١٥) .

وكان من أهل الإنصاف ؛ كلُّ من ردَّ عليه غلطاً أو سهواً . . يزيد فيه محبَّة وتعظيماً .

ومن تواضعه : أنه أوصىٰ تلميذه عبد الوهاب الشعراني أن ينبِّهه علىٰ كل موضع يقف فيه أثناء مطالعته لـ « شرحه علىٰ صحيح البخاري »[1] .

وكان يقول له : (أحضر عند شيخ الإسلام ـ أي : زكريا الأنصاري ـ « شرحي » ، فمهما وجدته خالفني فيه . . فاكتبه لي في ورقة ، فكان يكتب له أوراقاً ويُجهِّزها إليه ، وتارةً يرسل الشيخُ عبده فيأخذها)[2] .

وقال له مرَّةً : (لا تغفل عن كتابة ما يخالفني فيه الشيخ ؛ فإنه لا يُحرِّر الكتابَ إلا الطلبةُ ، ولا طلبةَ لي)[3] .

ومن عظيم تواضعه وهَضْمه لنفسه : قصَّتُه مع الإمام السيوطي ؛ فقد حُكي ـ كما في « النور السافر » ـ أن الحافظ السيوطي كان يغضُّ من كتاب « المواهب اللدنية » ، ويزعم أنه يأخذ من كتبه ويستمدُّ منها ولا ينسب النقل إليها ، وأنه ادَّعىٰ عليه بذلك بين يَدَي شيخ الإسلام زكريَّا ، فألزمه ببيان مدَّعاه ، فعدَّد عليه مواضعَ قال : إنه نقل فيها عن البيهقي ، وقال : إن للبيهقي عِدَّةَ مؤلَّفات ، فليذكر لنا ما ذكر في أيِّ مؤلفاته ليُعلَمَ أنه نقل عن البيهقي ، ولـٰكنَّه رأىٰ في مؤلفاتي ذلك النقلَ عن البيهقي ، فنقله برُمَّته ، وكان الواجب عليه أن يقول : (نقل السيوطي عن البيهقي) .

وحكى الشيخ جار الله ابن فهد ـ كما في « النور السافر » أيضاً ـ أن القسطلَّاني قصد إزالة ما في خاطر الجلال السيوطي ، فمشىٰ من القاهرة إلى

---

(1) انظر « الطبقات الصغرىٰ » (ص٣٦) ، و« الكواكب السائرة » (١/١٢٨) .
(2) انظر « الطبقات الصغرىٰ » (ص٣٦) ، و« الكواكب السائرة » (١/١٢٨) .
(3) انظر « الطبقات الصغرىٰ » (ص٣٦) ، و« الكواكب السائرة » (١/١٢٨) .

الروضة ، وكان الجلال السيوطي معتزلاً بها عن الناس ، فوصل القسطلّاني إلىٰ باب السيوطي ودقَّ الباب ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا القسطلّاني ، جئت إليك حافياً مكشوفَ الرأس ؛ ليطيب خاطرُكَ عليَّ ، فقال له : قد طاب خاطري عليك ، ولم يفتح له البابَ ولم يقابله[1] .

وقيل : إنه لم يفتح له الباب ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك الوقتَ جالساً عند السيوطي ، وهو يُملي أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، والله تعالىٰ أعلم .

قال العلَّامة المؤرِّخ عبد القادر العيدروس بعد أن نقل هـٰذه الحكاية :

(. . . ولا يقدح فيه تحاملُ معاصريه عليه ؛ فلا زالتِ الأكابرُ علىٰ هـٰذا في كل عصر رحمهم الله)[2] .

وذكر السُّحيمي ما حكاه جار الله ابن فهد مع زيادة تفصيل ، ثم قال :

(**واشتهر على الألسنة** : أن القسطلّاني ذهب إلى الشيخ أبي السعود الجارحي ، وشكا إليه من الجلال السيوطي ، وحكىٰ له القصة ، فأرسل الشيخ للسيوطي وقال له : يا شيخ جلال الدين ؛ أنت لديك مؤلفات كثيرة شهيرة ، فلأجل خاطري تدع له هـٰذا الكتاب ، فامتثل أمره)[3] .

ومما يدُلُّ علىٰ جلالة القسطلّاني وديانته : ما قيل : إن الحافظ السيوطي لما ادَّعىٰ بمصر الاجتهاد المطلق . . أنكر عليه علماء عصره ؛ منهم الحافظ القسطلّاني ، فانعزل عنهم بخلوة علىٰ ساحل النيل ، فذهب نحوه

---

(١) النور السافر (ص١٦٦) ، وذكر هـٰذه الحكاية أيضاً الإمام السحيمي في « العطايا الربَّانية على المواهب اللدنية » (١/ق٢) ، وفيها بعض تفصيل .

(٢) النور السافر (ص١٦٦) .

(٣) العطايا الربانية (١/ق٢) ، **وقوله** : (**هـٰذا الكتاب**) أي : « المواهب اللدنية » .

القسطلَّاني ، فدقَّ الباب ، فقال السيوطي : من هٰذا ؟ فقال : فلان بن فلان جاءك مُتنصِّلاً تائباً فاقبله ، فقبله[1] .

وبالرغم مما جرىٰ له مع السيوطي ؛ فإن ذٰلك لم يُنزل ذلك مرتبته من قلبه ، بل بقي معترفاً بفضله ومكانته المرموقة في العلم والتبحُّر فيه ، فها هو يقول في « الفتح المواهبي » أثناء سرده لشروح « الشاطبية » : (**ويقال** : إنه كتب على « الشاطبية » شرحاً فيما بلغني العلامةُ الحافظ الكبير جلال الدين عبد الرحمـٰن السيوطي الشافعي ، تغمَّده الله تعالىٰ برحمته ورضوانه ، وأسكننا معه في بُحبوحة جنانه)[2] .

ثناء العلماء عليه

قال في حقِّه شيخُه الحافظ السخاوي : (قانعٌ مُتعفِّف ، جيِّد القراءة للقرآن والحديث والخطابة ، شجيُّ الصوت بها ، مشاركٌ في الفضائل ، متواضعٌ مُتودِّد ، لطيفُ العِشْرة ، سريع الحركة)[3] .

وقال في حقه تلميذه سيدي عبد الوهاب الشعراني : (شيخنا الصالح ، الشيخ شهاب الدين القسطلَّاني ، كان عالماً صالحاً مُحدِّثاً قارئاً)[4] .

وقال في حقه المؤرِّخ عبد القادر العيدروس : (ارتفع شأنه ، فأُعطي

---

(١) فهرس الفهارس (٢/ ٩٧٠) ، **والصحيح في قضية ادعاء السيوطي الاجتهادَ** : ما نقله تلميذ السيوطيِّ سيدي عبدُ الوهاب الشعراني عنه أنه قال : (قد أشاع الناس عني أني ادعيت الاجتهاد المطلق كأحد الأئمة الأربعة ، وذلك باطل عني ، إنما مرادي بذلك المجتهد المنتسب) انظر « الطبقات الصغرىٰ » (ص٧) .

(٢) الفتح المواهبي (ق/ ١٦) .

(٣) الضوء اللامع (٢/ ١٠٤) .

(٤) الطبقات الصغرىٰ (ص٣٦) .

السعدَ في قلمه وكلمه ، وصنَّف التصانيف المقبولة التي سارت بها الرُّكبان في حياته)[1] .

وقال أيضاً : (كان إماماً حافظاً مُتقِناً ، جليلَ القدر ، حسنَ التقرير والتحرير ، لطيفَ الإشارة ، بليغ العبارة ، حسن الجمع والتأليف ، لطيف الترتيب والترصيف)[2] .

وقال المُؤرِّخ الأديب نجم الدين الغزي : (الإمام العلامة ، الحُجَّة الرُّحلة الفهَّامة ، الفقيهُ النبيه ، المقرئ المجيد ، المُسند المُحدِّث ، صاحبُ المؤلفات الحافلة ، والفضائل الكاملة)[3] .

وقال المُؤرِّخ المسند عبد الحي الكتاني : (الإمام العلامة ، الحُجَّة الرُّحلة ، المُحدِّث المسند)[4] .

وقال المُؤرِّخ بدر الدين العلائي : (كان فاضلاً ، مُحصِّلاً ديِّناً عفيفاً ، مُتقلِّلاً من عِشْرة الناس ، إلا في المطالعة والتأليف والإقراء والعبادة)[5] .

تلامذته

أخذ عن إمامنا القسطلّاني ثلةٌ من طلاب العلم ، **غَدَوا فيما بعدُ** من مشاهير العلماء ، وكبار الفضلاء ، ونخبة الأولياء .

---

(1) النور السافر (ص١٦٥) .

(2) النور السافر (ص١٦٦) .

(3) الكواكب السائرة (١/ ١٢٨) .

(4) فهرس الفهارس (٢/ ٩٦٧) .

(5) انظر « الكواكب السائرة » (١/ ١٢٨) .

ومن جملة هؤلاء الآخذين :

ـ الإمام الفقيه الصوفي : **برهان الدين إبراهيم** بن حسن بن عبد الرحمن **العمادي** الحلبي الشافعي (ت٩٥٤هـ) ، انتهت إليه رئاسة الشافعية بحلب ، وكان لا يردُّ أحداً من الطلبة وإن كان بليداً ، وكان صوفياً معتقداً بالتصوف وبكل من انتسب إليه[١] .

أخذ عن المترجم : المسلسل بالأوَّلية ، و« ثلاثيات البخاري » ، و« الطبراني » ، و« ابن حبان » ، و« الأربعين الثلاثيات المستخرجة من مسند أحمد » ،و« شرحه على البخاري » المُسمَّىٰ بـ « إرشاد الساري » ، وكتابه الماتع « المواهب اللدنية » ، وشرحه لـ « الشاطبية » المُسمَّىٰ بـ « الفتح الداني من كنز حرز الأماني » .

ـ الإمام الفقيه المقرئ الورع : **شهاب الدين أحمد** بن محمد بن إبراهيم **الأنطاكي** الحلبي الحنفي (ت٩٥٣هـ) ، ويعرف بـ (ابن حمادة) ، كان مُكبّاً على التدريس والتحديث ، عُرض عليه تدريس السلطانية بحلب ، فأعرض عنه ؛ لاطِّلاعه علىٰ ما اشتُرط فيها من كون مُدرِّسها شافعياً[٢] .

أجاز له بالقاهرة إمُامنا المترجم .

ـ الإمام المقرئ الرُّحلة : **صالح اليمني** ، قرأ القرآن علىٰ سبعين شيخاً في اليمن وغيرها إفراداً وجمعاً ، **ومنهم إمامنا القسطلّاني** ، وهو من أعلىٰ شيوخه .

ـ الإمام الفقيه المقرئ الزاهد : **زين الدين عبد الرحمٰن** بن عبد الله

---

(١) انظر « الكواكب السائرة » (٢/ ٨١ ـ ٨٢) .

(٢) انظر « الكواكب السائرة » (٢/ ٩٩ ـ ١٠٠) .

الأُجْهوري المصري المالكي (ت بعد ٩٦٠هـ) ، كان شديد الحفظ للنقول، كريمَ النفس ، قليل الكلام واللغو[١] .

تلا على المترجم للأربعة عشر ، **وحضر عليه قراءة مؤلَّفه « المواهب اللدنية »** .

ـ الإمام الحافظ المُحدِّث الرُّحْلة : **عز الدين أبو الخير وأبو فارس عبد العزيز** بن الحافظ نجم الدين عمر ابن فهد المكي الشافعي (ت٩٢٢هـ)، برع في الحديث ، وتميَّز فيه بالحجاز علىٰ أقرانه ، مع علوِّ همَّة وأخلاقٍ جميلة[٢] .

قال عبد العزيز ابن فهد عن المترجم : (**اجتمعتُ به في أوَّل رحلتي** ، وأجازني بمرويَّاته ومؤلَّفاته ، **وفي الرحلة الثانية عظَّمني واعترف لي بمعرفة فنِّي** ، وتأدَّب معي)[٣] .

ـ الإمام الفقيه المُتفنِّن الصوفي العارف المُربِّي سيدي : **أبو المواهب عبد الوهاب** بن أحمد بن علي **الشَّعْراني** المغربي المصري الشافعي (ت٩٧٣هـ) ، كان بحراً في العلوم ، وخصوصاً علمَ التصوف .

أخذ عن المترجم : جميعَ كتابه « المواهب اللدنية » ، وغالبَ « شرحه للبخاري » ، وسبق ذكرُه أثناء الحديث عن تواضع الإمام القسطلَّاني[٤] .

ـ الإمام الفقيه المُحدِّث الصوفي المُتفنِّن : **شمس الدين أبو الحسن**

---

(١) انظر « الكواكب السائرة » (٢/ ١٥٨ـ ١٥٩) .

(٢) انظر « الكواكب السائرة » (١/ ٢٣٩ـ ٢٤٠) .

(٣) انظر « فهرس الفهارس » (٢/ ٧٥٥) .

(٤) انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ١٥٧ـ ١٥٨) ، و« الطبقات الصغرىٰ » (ص٣٦) ، و(ص ٥٢) .

محمد بن محمد بن عبد الرحمـٰن **البكري** الصِّدِّيقي المصري الشافعي (ت٩٥٢هـ) ، كان مُتبحِّراً في علوم الشريعة ، وكان إذا تكلَّم في علم منها كأنَّه بحر زاخر[١] .

وذكر السُّحيمي في «العطايا الربانية» أنه هو الذي رتَّب خطبة « المواهب اللدنية »[٢] ، ونصَّ علىٰ سماعه الزُّرْقاني في « شرحه للمواهب »[٣] .

ـ الإمام الفقيه المقرئ النحوي المُتفنِّن الصوفي : **بدر الدين أبو البركات** محمد بن محمد بن محمد **الغزي** العامري القرشي الشافعي (ت٩٨٤هـ) ، كان من كبار أئمة عصره ، اجتمع عليه الطلبةُ وهو ابن سبعَ عشْرةَ سنةً ، وكان مشتغلاً طيلةَ حياته بالتدريس والتصنيف والإفتاء ، مع الاشتغال بالعبادة وقيام الليل وملازمة الأوراد[٤] .

أخذ عن المُترجَم : « شرحه على البخاري » ، و« المواهب اللدنية » ، وأجازه بهما وبسائر مؤلفاته .

ـ الإمام الحافظ المُحدِّث المُسندُ : **شمس الدين محمد** بن يوسف بن علي **الشامي الصالحي** الدمشقي المصري (ت٩٤٢هـ) صاحبُ السيرة الشهيرة « سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد » ، كان إمامَ المُحدِّثين وخاتمةَ الحفَّاظ[٥] .

نقل عن المُترجَم في مواضعَ من « سيرته » ، ونصَّ علىٰ أخذه منه .

---

(١) انظر « الطبقات الصغرىٰ » (ص٥٣ـ٥٤) .

(٢) انظر « العطايا الربانية » (١/ق٢) .

(٣) شرح الزرقاني على المواهب (١/ ١٠) .

(٤) انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ٣ـ٩) .

(٥) انظر « فهرس الفهارس » (٢/ ١٠٦٢ـ١٠٦٣) .

هـٰذا ؛ وذكر إمامنا القسطلَّاني في خاتمة كتابه « اللآلئ السنية » أنَّه أقرأه لغير واحد من الفضلاء بمكَّة المشرفة، **وعدَّ منهم** : الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحيم الدَّيْروطي، والخطيب حسنين بن مخلوف الشماسي، وعبد القادر المنهاجي[1] .

مؤلفاته

أَلَّف إمامُنا القسطلَّاني مؤلفاتٍ نفيسةً ماتعةً ، ومصنفاتٍ مفيدةً جامعةً ، غَدَت غُرَّةً في جبهة الدهر ، وقلادةً في ثغرة النحر ، وانتفع بها القاصي والدان ، في كل عصر وأوان ؛ لسعة علمه ، ودقَّة فهمه ، وإخلاصه وصدقه ، وتواضعه وسَعة خُلقه ، قال العيدروس في « النور السافر » : (أُعطي السعدَ في قلمه وكلمه ، وصنَّف التصانيفَ المقبولة التي سارت بها الركبان في حياته)[2] .

ومن هـٰذه المؤلفات :

ـ **اختصار إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري** ، ذكره في « فهرس الفهارس »[3] ، ولم يتمُّه .

ـ **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري** ، وهو من أحسن شروحه وأجمعها وأفضلها تلخيصاً كما قال صاحب « النور السافر »[4] ، وقال عبد الحي الكتاني : (وكان بعضُ شيوخنا يُفضِّله علىٰ جميع الشروح من حيث الجمعُ وسهولة الأخذ والتكرار والإفادة ، **وبالجملة** : فهو للمدرِّس

---

(١) انظر « اللآلئ السنية شرح المقدمة الجزرية » (ص٤٤٦) .

(٢) النور السافر (ص١٦٥) .

(٣) فهرس الفهارس (٢/٢٦٨) .

(٤) النور السافر (ص١٦٥) .

أحسن وأقرب من « فتح الباري » فمن دونه)[1] .

وانتهىٰ من تأليفه : سنة (٩١٦هـ) .

ـ **أسئلة على البخاري إلىٰ أثناء الصلاة** ، ذكره حاجي خليفة وغيره[2] .

ـ **الإسعاد في تلخيص الإرشاد لابن المقري** ، ذكره حاجي خليفة والبغدادي ، ووصل فيه إلىٰ أثناء (الطهارة)[3] .

ـ **إمتاع الأسماع والأبصار** ، ذكره حاجي خليفة والبغدادي[4] .

ـ **الاستذكار بأحاديث كتاب الأذكار** ، وهو مختصر كتاب « الأذكار » للإمام النووي ، كما صرَّح بذلك المُؤلف نفسه في مقدمته ، **وجاءت تسميته علىٰ طرة الكتاب** : بـ « الأنوار في الأدعية والأذكار »[5] .

ثم اختصره بـ « اللوامع في الأدعية والأذكار الجوامع » ، **ثم اختصره أيضاً بـ** « قبس اللوامع »[6] .

ـ **بهجة السامع والقاري في ختم صحيح البخاري** ، كذا نصَّ على اسمه المؤلف في كتابنا هـٰذا[7] ، وجاء اسمه علىٰ طرَّة نسخةٍ أزهرية برقم : (١٣٣٦٨٨) : « تحفة السامع والقاري في ختم صحيح الإمام البخاري » ، وعليه جرت المصادر والمراجع التي وقفت عليها[8] .

---

(١) فهرس الفهارس (٢/ ٩٦٨) .
(٢) كشف الظنون (١/ ٥٥٣) .
(٣) انظر « كشف الظنون » (١/ ٦٩) ، و« هدية العارفين » (١/ ١٣٩) .
(٤) انظر « كشف الظنون » (١/ ١٦٦) ، و« هدية العارفين » (١/ ١٣٩) .
(٥) الأنوار في الأدعية والأذكار (ق/ ١ـ٢) .
(٦) انظر « الكواكب السائرة » (١/ ١٢٩) .
(٧) انظر (ص ٢٦٩) .
(٨) انظر « الضوء اللامع » (٢/ ١٠٤) ، و« النور السافر » (ص١٦٥) .

وهو كتاب نفيسٌ مفيد ، تكلَّم فيه على آخر حديث من « صحيح البخاري » ؛ وهو : « كلمتانِ حبيبتانِ إلى الرحمـٰنِ . . . » ، وحصر الكلام عليه في أربعة مقاصد[1] .

- **تأويل مشكل الحديث** .

- **حاشية على الشفا للقاضي عياض** ، نصَّ عليه المُترجَم في « لطائف الإشارات »[2] .

- **حاشية على الشمائل المحمدية للإمام الترمذي** ، ذكره محمد صديق خان وعبد الحي الكتاني[3] .

- **الدراري في ترتيب أبواب صحيح البخاري** ، ذكره في « الفهرس الشامل »[4] .

- **رسالة في الرد على من أنكر مجلس الشوني** ، وقد سبقت قصة الشوني أثناء الحديث عن تصوف إمامنا المترجم[5] .

- **رسالة في العمل بالربع المُجيَّب**[6] ، قال السخاوي : (وأظنه أخذه عن العز الوفائي)[7] ، وذكر هـٰذه الرسالةَ أغلبُ مَنْ ترجم له .

---

(١) انظر « بهجة السامع » (ق/ ٤) .

(٢) لطائف الإشارات (٤/ ١٣٥٠) .

(٣) انظر « الحطة في ذكر الصحاح الستة » (ص٢٥٣) ، و« فهرس الفهارس » (٢/ ٩٦٨) .

(٤) الفهرس الشامل (٢/ ٧٧٤) ، قسم : (الحديث النبوي الشريف) ، وذكر عدة نسخ .

(٥) انظر « الكواكب السائرة » (٢/ ٢١٤ـ٢١٥) ، و(ص ٥١) .

(٦) **والربع المُجيَّب** : آلة لمعرفة الوقت وحساب اتجاهات القبلة .

(٧) الضوء اللامع (٢/ ١٠٤) .

- **الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر** ، والظاهر : أنه الولي الشهير سيدي عبد القادر الجيلاني ، وذكر هـٰذا الكتابَ أغلبُ من ترجم له .

- **رياض الألباب ونزهة الأحباب** ، ذكره المؤلف في كتابنا هـٰذا[1] ، ولعلَّه كتاب في الأدب ، والله تعالىٰ أعلم .

- **زهر الرياض وشفاء القلوب المراض** ، ذكره حاجي خليفة والبغدادي[2] .

- **شرح طيِّبة النشر في القراءات العشر** ، قال السخاوي : (كتب منه قطعةً مَزْجاً)[3] .

- **الفتح الداني من كنز حرز الأماني** ، كذا سمَّاه المؤلف في « الفتح المواهبي » أثناءَ سرده لشروح « الشاطبية » ، وقال : (وقد كتبتُ عليها توضيحاً مُسايراً لها ، مُبيِّناً لبعضِ ما فيها من معاني المباني)[4] ، **وسمَّاه بعضُهم بـ** : « توضيح المعاني من مرموز حرز الأماني »[5] ، **والغزيُّ** : بـ« الجنى الداني في حَلِّ حرز الأماني » ، وقال : (وهو لـ « الشاطبية » كـ« التوضيح علىٰ ألفية ابن مالك »)[6] .

ونصَّ السخاوي علىٰ أنه وصل فيه إلى الإدغام الصغير ، وزاد فيه زياداتِ ابن الجزري من طرق « نشره » مع فوائدَ غريبةٍ لا توجد في شرح غيره[7] .

---

(١) انظر (ص ١٤٦) .
(٢) كشف الظنون (٢/ ٩٦٠) ، هدية العارفين (١/ ١٣٩) .
(٣) الضوء اللامع (٢/ ١٠٤) .
(٤) الفتح المواهبي (ق/ ١٦) .
(٥) انظر « الفهرس الشامل » (ص٥٢) ، قسم : (القراءات) ، وذكر له نسخة في الجامع الكبير ، صنعاء .
(٦) الكواكب السائرة (١/ ١٢٩) .
(٧) الضوء اللامع (٢/ ١٠٤) .

وانتهى **المؤلِّفُ من تأليفه** : سنة (٩١٣هـ) ، فيكونُ قد أتمَّه بعد حياة شيخه السخاوي ، مع احتمالٍ قريبٍ أن يكون له شرحان لـ « الشاطبية » **أحدهما : مطوَّل لم يتمُّه** ، وهو الذي أشار إليه الحافظ السخاوي كما هو الواضح من وصفه ، **والثاني : مختصر مُوضِّح لمعانيها ، وكاشفٌ اللِّثامَ عن مبانيها** ، وهو المُسمَّىٰ بـ « الفتح الداني » ، والله تعالىٰ أعلم .

ـ **الفتح المواهبي في مناقب الإمام الشاطبي** ، وهو من كتبه المفيدة الماتعة ، حصره في تسعة أبواب ، وذكر في الباب السادس منه أسانيدَهُ بـ « الشاطبتين » .

ـ **فهرسة بذكر شيوخه** ، نسبها له ابن رحمون التهامي الفاسي ، وذكر الكتاني أسانيده لها من ثلاثة طرق[١] .

ـ **الكنز في وقف حمزة وهشام على الهمز** ، ذكره المؤلف في كتابه « اللطائف » عندما تكلَّم علىٰ وقف حمزة وهشام على الهمز ، وقال : (ولي فيه « الكنز » اختصرته من كتاب « النشر » وغيره)[٢] .

ـ **اللآلئ السنية في شرح المقدمة الجزرية** ، كذا سمَّاه المؤلف في خطبة الكتاب[٣] ، وسمَّاه السخاوي وغيره بـ « العقود السنية . . . »[٤] .

وهو كتاب قيِّم مفيد ، حلَّ فيه ألفاظ « المقدمة الجزرية » ، وأبرز دقائقها ، وحقَّق مسائلها ، ضامّاً إليه فوائدَ الناظم المستجادات ، والقواعدَ المحرراتِ ، وما أشار إليه الإمام الجعبريُّ من التحقيقات .

---

(١) انظر « فهرس الفهارس » (٢/ ٩٦٨) .

(٢) لطائف الإشارات (٣/ ٩٣١) .

(٣) اللآلئ السنية (ص٣٣٩) .

(٤) انظر « الضوء اللامع » (٢/ ١٠٤) .

وانتهىٰ من تأليفه : سنة (٨٧٥هـ) بمنزل الولي الشهير علي وفا بروضة مصر ، **ثم بيَّضه** : سنة (٨٧٧هـ) بالمسجد الحرام بحذف مواضعَ وزيادة أخرىٰ .

ـ **لطائف الإشارات لفنون القراءات** ، وهي موسوعة ضخمة مفيدة وهامَّة في القراءات الأربع عشرة وتوجيهها ، مع ذكر مُقدِّمات قيِّمة في علوم القرآن .

بيَّضه : سنة (٩٠١هـ) في شهر شعبان عن نسخة مسوَّدة **كان انتهاؤها** : سنة (٩٠٠هـ) من الشهر المذكور ، بعد حذف كثير من العبارات ، وإضافة فوائد مهمات[١] .

ـ **مختصر الضوء اللامع لشيخه السخاوي** ، كذا في « فهرس الفهارس »[٢] ، وسمَّاه حاجي خليفة والبغدادي بـ « النور الساطع في مختصر الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع »[٣] .

ـ **مُخمَّسات القسطلَّاني** ، توجد له نسخة في جامعة برنستون بحدود (١٦) ورقة ، ولم أتحقَّق من ماهيَّة الكتاب بشكل قاطع .

ـ **مسالك الحنفا إلىٰ مشارع الصلاة على النبي المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم** ، ذكره حاجي خليفة[٤] ، وهو كتاب ماتع ونفيس في بابه ،وقد حصره في أحد عشر مسلكاً أفاض الكلام فيها بالحديث علىٰ آية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ .

ـ **مشارق الأنوار المضية في شرح الكواكب الدرية في مدح خير البرية** ،

---

(١) انظر « لطائف الإشارات » (٩/ ٤٤٨٢) .
(٢) فهرس الفهارس (٢/٩٦٨) .
(٣) كشف الظنون (٢/ ١٠٩٠) ، هدية العارفين (١/ ١٣٩) .
(٤) انظر « كشف الظنون » (٢/ ١٦٦٣) .

وهو من أخصر وأمتع شروح « البردة » ، **وهو كتابنا هٰذا** ، وقام بتقريظه السخاويُّ وجماعةٌ من الأئمة[1] .

وقد اختصره إمامنا القسطلّاني من مجموع الإمام البحر ابن مرزوق الحفيد المُسمَّىٰ بـ « إظهار صدق المودَّة في شرح البردة » ، مع زيادات من غيره من الشروح ، وكان الإمام ابن مرزوق قد جمع شرحه من سبعة شروح كما نصَّ علىٰ ذلك في خاتمة الكتاب[2] .

ولأهمية كتاب « المشارق » ونفاسته قام الإمامُ الفقيه المُحدِّث المُتفنِّن ابن علّان الصِّدِّيقي شارحُ « الأذكار » باختصاره مع زيادة بعض الفوائد ، وسمَّىٰ شرحه بـ « الذخر والعدة في شرح البردة »[3] .

انتهى القسطلّاني من تأليفه : سنة (٨٨٣هـ) .

ـ مناهج الهداية إلىٰ معالم الرواية ، و« الهدايةُ إلىٰ معالم الرواية » منظومةٌ للمقرئ الكبير ابن الجزري في علم مصطلح الحديث ، وقد تصفحّت هٰذا الكتاب فوجدته كتاباً ماتعاً نفيساً ، محشوّاً بالنِّكات والفوائد .

وانتهىٰ من تأليفه : سنة (٩١٧هـ) .

ـ منهاج الابتهاج بشرح مسلم بن الحجاج ، ذكره حاجي خليفة والبغدادي وغيرهما[4] ، ويقع في ثمانية أجزاء كبار ، بلغ فيه إلىٰ نحو نصف « الصحيح » .

---

(١) الضوء اللامع (٢/ ١٠٤) .

(٢) إظهار صدق المودة (ق/ ٣٩٥) .

(٣) انظر « الذخر والعدة » (ص١٠) .

(٤) كشف الظنون (١/ ٥٥٨) ، هدية العارفين (١/ ١٣٩) ، وانظر « فهرس الفهارس » (٢/ ٩٦٨) .

ـ **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية** ، وهٰذا الكتاب من أنفس وأمتع وأجمع ما أُلِّف في سيرة النبي المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، وهو من الكتب الدالَّة علىٰ إخلاصه وسَعَةِ علمه ، وقد بِيعَ بالأثمان الغالية ، وقُرئ على المؤلف في حياته .

قال صاحب « النور السافر » عنه : (وهو كتابٌ جليلُ المقدار ، عظيمُ الوقع ، كثيرُ النفع ، ليس له نظيرٌ في بابه)[١] .

وقال الإمام الزُّرْقاني : (وله عدَّة مؤلفات ، أعظمُها هٰذه « المواهب اللدنية » ، التي أشرقت من سطورها أنوارُ الأُبَّهة والجلالة ، وقَطَرت من أديمها ألفاظُ النبوة والرسالة ، أحسنَ فيها ترتيباً وصنعاً ، وأحكمها ترصيعاً ، وكساه اللهُ فيها رداء القَبول ، ففاقت علىٰ كثير مما سواها عند ذوي العقول)[٢] .

ولعائشة الباعونية في تقريظه : (من المتقارب)

كتـابُ المـواهـبِ مـا مثلُـهُ … كتـابٌ جليـلٌ وكـم قـد جَمَـعْ
إذا قـالَ غُمْـرٌ لـه مُشبِـهٌ … يقولُ الورىٰ منكَ لا يُستَمَعْ[٣]

وعليه شروح نفيسة قيمة ؛ منها : « شرح الإمام الزُّرْقاني » ، و« شرح الإمام الشَّبْراملسي » ، و« شرح الإمام السُّحيمي » .

وانتهىٰ من تأليفه : سنة (٨٩٩هـ) في شهر شعبان ، بعد أن بيَّضه من **نسخة انتهىٰ من تسويدها :** سنة (٨٩٨هـ) في شهر الله المحرم .

---

(١) النور السافر (ص١٦٥) .

(٢) شرح الزرقاني على المواهب (١/ ١٠) .

(٣) انظر « اقتفاء الأثر » (ص٢٠٩ـ٢١٠) .

ـ **مولد النبي صلى الله عليه وسلم** ، وقام باختصاره العلامة محمد النووي الجاوي في مؤلف سمَّاه « الإبريز الداني من مولد سيدنا محمد السيد العدناني » .

ولعلَّ هـٰذا المولد مُستلٌّ من كتاب « المواهب اللدنية » ، والله تعالىٰ أعلم .

ـ **نزهة الأبرار في مناقب الشيخ أبي العباس الحرَّار** ، وأبو العباس الحرَّار : هو الولي الكبير العابد الزاهد المُربِّي أحمد بن أبي بكر التُّجِيبي المصري (ت٦١٦هـ)[١] ، وقد ألَّفه إمامنا القسطلَّاني حين تولِّيه مشيخةَ مقام أبي العباس الحرَّار بالقرافة الصغرىٰ[٢] .

ـ **نشر النشر في القراءات العشر** ، ذكره في « الفهرس الشامل » وقال : (هو شرح على النشر في القراءات العشر لابن الجزري) ، وذكر له نسخة في أسعد أفندي ، إستانبول[٣] .

ـ **نفائس الأنفاس في الصحبة واللباس** ، ذكره السخاوي وغيره[٤] .

هـٰذا ؛ وقد نسب له بعض الباحثين عدداً من الكتب إمَّا سهواً وإمَّا خطأً ، **ومن هـٰذه الكتب** :

ـ **اقتداء الغافل باهتداء العاقل** ، **والصواب** : أنه لقطب الدين القسطلَّاني ، المتوفىٰ سنة (٦٨٦هـ) .

ـ **مقامات العارفين** ، ذكره القائمون علىٰ « فهرس مكتبة كوبريلي » ،

---

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٤٦٧) ، و« نجم المهتدي » (١/ ٥٦٠) .
(٢) انظر « الضوء اللامع » (٢/ ١٠٤) ، و« كشف الظنون » (٢/ ١٩٣٨) .
(٣) الفهرس الشامل (ص٢٠٥) ، قسم : (القراءات) .
(٤) انظر « الضوء اللامع » (٢/ ١٠٤) .

وقالوا : (نسبه بروكلمان إلىٰ شهاب الدين القسطلَّاني خطأً ، **والصحيحُ** : أنه لمؤلف عاش في القرن الثامن ، ألَّفه سنة « ٧٧١هـ » ، ربما كانت نسبةُ مؤلِّفه القسطلَّاني)[١] .

وفاته

بعد حياةٍ حافلة في العطاء ونشر العلم والعمل ، وترويض النفس وتنزيهها عن الأمراض والعِلَل . . فاضت روحُهُ الزكيَّة ، وانتقلت إلىٰ بارئها راضيةً مرضيَّة ، **وكان ذلك** ليلةَ الجمعة ثامن المحرم[٢] سنة (٩٢٣هـ) ، وصُلِّي عليه بالأزهر عقب صلاة الجمعة ، ودُفن بقبة قاضي القضاة بدر الدين العيني في مدرسته بقرب الجامع الأزهر .

وكان سبب موته : عروض فالج له نشأ من تأثُّره ببلوغه قطعَ رأس إبراهيم بن عطاء الله المكي صديق السلطان الغوري ، بحيث سقط عن دابته ، وأُغمي عليه ، فحُمل إلىٰ منزله ، ثم مات بعد أيام .

بينما ذكر السُّحيمي أن سبب موته : إصابتُهُ بشيء من البندق[٣] ، والله تعالىٰ أعلم .

أفاض الله عليه من سجال غفرانه ، وأسكنه دار كرامته ورضوانه

---

(١) فهرس مكتبة كوبريلي (ص٣٧٩ـ٣٨٠) ، قسم : (فاضل أحمد باشا) .

(٢) كذا في « الكواكب السائرة » (١/ ١٢٩) ، وفي « النور السافر » (ص١٦٤) وفاته في السابع من المحرم ، بينما ذكر السحيمي في « العطايا الربانية » (١/ق٢) أن وفاته في يوم الخميس مستهل المحرم ، وذكر يوم السابع بصيغة التضعيف .

(٣) العطايا الربانية (١/ق٢) .

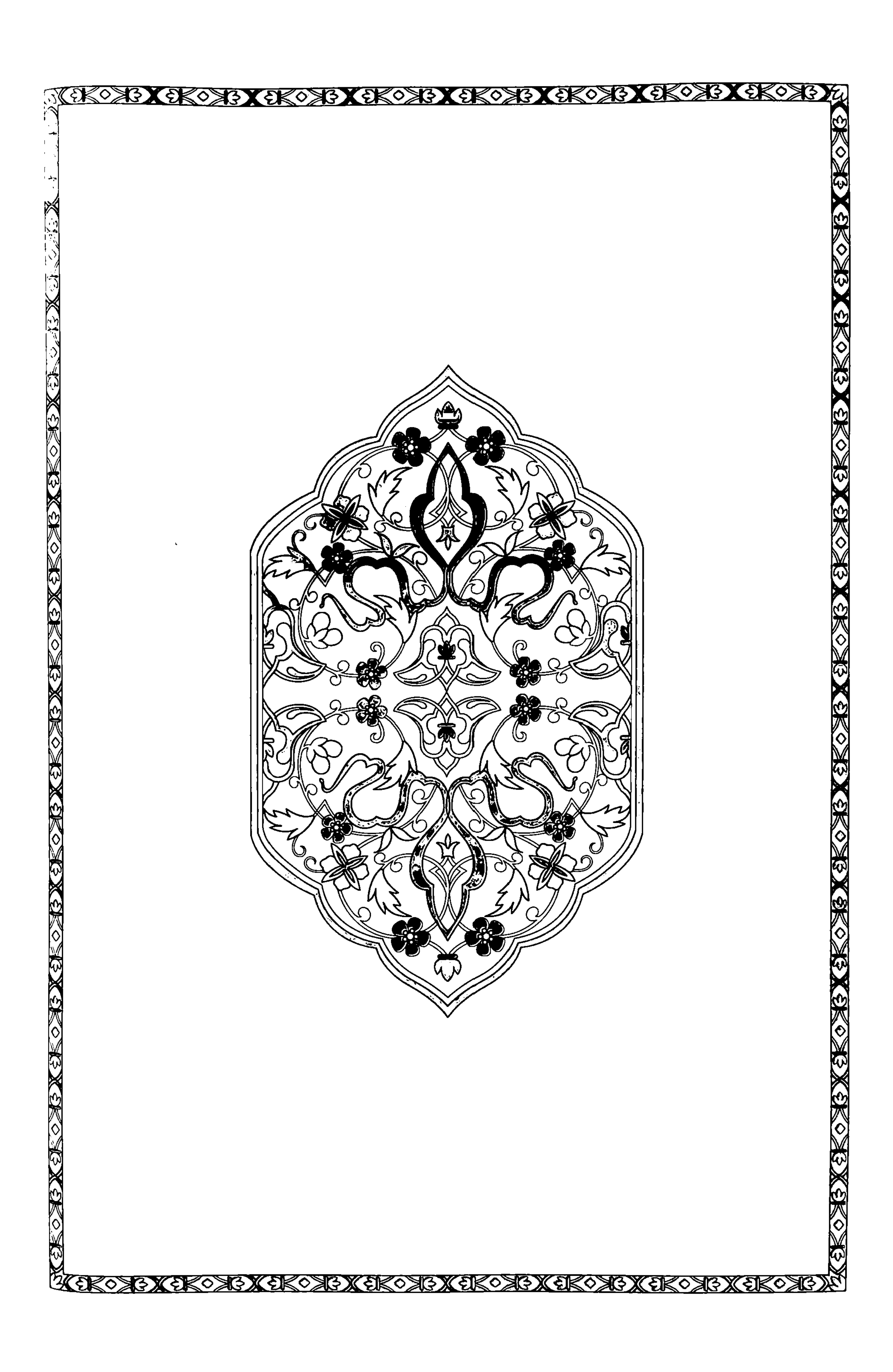
نموذج من خط الإمام القسطلاني

صورة (١) من كتاب « منهاج الطالبين » بخط الإمام القسطلاني (١)

صورة (٢) من كتاب « منهاج الطالبين » بخط الإمام القسطلاني

---

(١) وهذه النسخة من مقتنيات المكتبة الأزهرية ، ذات الرقم العام : (٥٦١٧) ، والخاص : (٧٢٤) ، وهي نسخة نفيسة سقط منها بحدود ست ورقات من أولها ، وهي مقابلة على نسخة متقنة قيمة عورضت على نسخة بخط الإمام النووي ثلاث مرات .



عناية العلماء بـ « البردة »

نالت « بردة الإمام البوصيري » عناية العلماء ، وحظيت باهتمام الأدباء ؛ منذ أبدعها شاعرنا البوصيري إلىٰ يومنا هـٰذا ؛ **لما حوته من معانٍ** بديعة ، وألفاظ عذبة ، وحب عارم ، وعاطفة صادقة ، **وتوَّج كلَّ ذلك** استبشارُ المحبِّين ، **بإنشادها بين يدي سيد المرسلين** ، وإعجابه بها ومباركته لها ، كما ورد ذلك في رؤيا لبعض الصالحين[1] .

وقد نافت شروحها مع تخميساتها وتشطيراتها ومعارضاتها وغير ذلك . . على الثلاث مئة ، **وسوف أذكر في هـٰذه العجالة أهمَّ شروحها وأبرزها .**

فممَّن شرحها[2] :

ـ الإمام المُحدِّث المُؤرِّخ الأديب **شهاب الدين أبو القاسم** عبد الرحمـٰن ابن إسماعيل المقدسي الدمشقي (ت٦٦٥هـ) ، **ويعرف بـ (أبي شامة) .**

ـ وشرحها : الإمام **علي** بن إبراهيم بن إدريس **الأنطاكي** (ت بعد ٧٦٠هـ) ، **وسمَّاه :** « الدرة النورانية في استخراج القصيدة البوصيرية » .

ـ وشرحها : الإمام الفقيه المفتي الخطيب **أبو عثمان** سعد بن يوسف بن

(١) انظر « الوافي بالوفيات » (٣/ ٩٣ـ٩٤) ، و(ص ٤٠٦) .

(٢) انظر « جامع الشروح والحواشي » (١/ ٤٥٣ـ٤٧٤) ، و« كشف الظنون » (٢/ ١٣٣١ـ١٣٣٤) ، وأغلب هـٰذه الشروح التي سأذكرها موجودة إما مطبوعة وإما مخطوطة ، وقد نبَّه علىٰ بعض طبعاتها وأماكن وجود نسخها الخطية السيدُ الحبشي في « جامع الشروح والحواشي » وغيرُهُ .

سعد الفهري **الألبيري** الغرناطي (ت بحدود ٧٥١هـ) ، **وسمَّاه** : « شرح الفردة المسماة بالبردة في مدح أشرف عدة » .

- **وشرحها** : الإمام الفقيه الأديب **شمس الدين** محمد بن عبد الرحمٰن بن علي **الزُّمُرُّدي** (ت ٧٧٦هـ) ، **ويعرف بـ** (**ابن الصائغ**) ، **وسماه** : « الرقم على البردة » .

- **وشرحها** : الإمام الفقيه الحافظ النحوي المُتفنِّن **شهاب الدين أبو العباس** أحمد بن محمد بن عبد الرحمٰن **الأَزْدي التونسي** (ت بعد ٧٩٠هـ) ، **ويعرف بـ** (**ابن القصَّار**) ، وكثيراً ما ينقل عنه تلميذه الإمام ابن مرزوق الحفيد في « إظهار صدق المودة » .

- **وشرحها** : الإمام **جلال بن قوام بن الحكم** (ت ٧٩٢هـ) .

- **وشرحها** : الإمام الأديب **أبو زيد** عبد الرحمٰن بن محمد بن يوسف **ابن مقلاش الوَهْراني** (ت بعد ٧٨٧هـ) ، شرحها بشروح عديدة .

- **وشرحها** : الإمام المُتكلِّم المُتفنِّن **سعد الدين** مسعود بن عمر بن **عبد الله التفتازاني** (ت ٧٩٢هـ) .

- **وشرحها** : الإمام الفقيه الأصولي المُتفنِّن **بدر الدين** أبو عبد الله **محمد بن بهادر الزركشي** (ت ٧٩٤هـ) .

- **وشرحها** : الإمام الفقيه القاضي **بحر بن رئيس الهاروني** ، (ت في القرن ٨) ، **وسمَّاه** : « ارتشاف الشهدة في شرح البردة » ، ونقل عنه الإمام **القسطلاني في** « الفتح المواهبي »[1] .

- **وشرحها** : الإمام الفقيه المُتكلِّم **شهاب الدين أبو العباس** أحمد بن

---

(١) الفتح المواهبي (ق/٦) .

عماد بن يوسف **الأَقْفَهْسي** القاهري (ت ٨٠٨هـ) ، **ويعرف بـ (ابن العماد)** .

ـ وشرحها : الإمام القاضي المُؤرِّخ ولي الدين **أبو زيد** عبد الرحمٰن بن محمد **ابن خلدون** الحضرمي الإشبيلي (ت٨٠٨هـ) .

ـ وشرحها : الإمام الفقيه الكاتب **أبو العز** طاهر بن الحسن ابن حبيب **الحلبي** (ت ٨٠٨هـ) ، **وسمَّاه** : « وشي البردة في شرح قصيدة البردة » ، خمَّسها ثم شرحها .

ـ وشرحها : الإمام الأديب **فخر الدين** أحمد بن محمد بن أبي بكر **الشيرازي** (ت بعد ٨٠٩هـ) ، **وسمَّاه** : « نزهة الطالبين وتحفة الراغبين » .

ـ وشرحها : الإمام الفقيه الميقاتي **أبو زيد** عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الرحمٰن **المديوني** الفاسي الجادري (ت ٨١٨هـ) .

ـ وشرحها : الإمام الفقيه النحوي المُتفنِّن **جمال الدين أبو المحاسن** يوسف بن خالد **البِساطي** القاهري (ت ٨٢٩هـ) .

ـ وشرحها : الإمام الفقيه المُحدِّث المُتفنِّن **شمس الدين** أبو عبد الله محمد بن أحمد **العَجِيسي التِّلِمْساني** (ت ٨٤٢هـ) ، **ويعرف بـ (ابن مرزوق الحفيد)** ، أو **(ابن مرزوق)** ، **وسمَّاه** : « إظهار صدق المودة في شرح البردة » **وهو من أوسع الشروح وأنفسها** ، وقد جمعه من سبعة شروح ، **واختصره اختصاراً نافعاً متيناً** إمامنا القسطلاني في « مشارق الأنوار المضية » .

ـ وشرحها أيضاً : ابن مرزوق الحفيد ، **وسمَّاه** : « الاستيعاب لما في

البردة من المعاني والبيان والبديع والإعراب » ، وهو اختصار للكتاب السابق[1] .

ـ **وشرحها** : الإمام الأديب **عمر** بن محمد بن عباس **القَفْصي العنابي** (ت بحدود ٨٥٩هـ) ، **وسمَّاه** : « العقد النفيس المنظوم في سلك بردة النبي وشرحها » ، وجعله شرحاً لثمانية تخاميس على « البردة » .

ـ **وله شرحٌ آخرُ سمَّاه** : « نشر الوردة في طي البردة » .

ـ **وشرحها** : الإمام المُحقِّق تفتازاني العرب الفقيه الأصولي المُفسِّر : **جلال الدين** محمد بن أحمد بن محمد **المحلي** القاهري (ت ٨٦٤هـ) ، **وسمَّاه** : « الأنوار المضية في شرح الكواكب الدرية » ، وهو شرح لطيف متين نافع لمن أراد الإلمام بمعاني « البردة » إلماماً سريعاً ، **وكتب الإمام الدسوقي علىٰ هـٰذا الشرح** : تقييداتٍ شريفةً ، وتعليقاتٍ منيفةً .

ـ **وشرحها** : الإمام النحوي المُتفنِّن **علاء الدين علي** بن محمد بن مسعود **البسطامي** (ت ٨٧٥هـ) ، **ويعرف بـ (مُصنفك)** .

ـ **وشرحها** : الإمام الأديب **القاسم** بن إبراهيم **الهاجري الزموري** ، **واختصر هـٰذا الشرح** : الإمام الفقيه الأديب أبو عثمان سعيد بن سليمان الكرَّامي السملالي (ت ٨٨٢هـ) .

ـ **وشرحها** : الإمام الفقيه **شمس الدين** محمد بن عبد المنعم بن محمد **الجوجري** المصري (ت ٨٨٩هـ) .

ـ **وشرحها** : الإمام الأديب **أبو سعد الأبيوردي** (ت بحدود ٨٩٨هـ) .

ـ **وشرحها** : الإمام النحوي **زين الدين خالد** بن عبد الله بن أبي بكر

---

(١) وذكر بعضهم: أن لابن مرزوق ثلاثةَ شروح لـ «البردة».

الجرجاوي **الأزهري** (ت ٩٠٥هـ) ، **ويعرف بـ (الوقَّاد)** ، **وسمَّاه** : « الزبدة في شرح البردة » .

ـ **وشرحها** : الإمام المقرئ الحافظ المُحدِّث **شهاب الدين أبو العباس** أحمد بن محمد بن أبي بكر **القَسْطلَّاني** المصري (ت ٩٢٣هـ) ، **وسمَّاه** : « مشارق الأنوار المضية في شرح الكواكب الدرية في مدح خير البرية » ، **وهو كتابنا هـٰذا** ، ويُعدُّ من أنفس شروح « البردة » ، وذكرت سابقاً أنه اختصره من « إظهار صدق المودة » لابن مرزوق[1] .

ـ **وشرحها** : الإمام المُجدِّد **شيخ الإسلام** الفقيه المقرئ المُحدِّث المتفنِّن زين الدين أبو يحيىٰ زكريا بن محمد بن أحمد **الأنصاري** السُّنيكي المصري (ت٩٢٦هـ) ، **وسمَّاه** : « الزبدة الرائقة في شرح البردة الفائقة » .

ـ **وشرحها** : الإمام المُحقِّق القاضي الفقيه المُتفنِّن **شمس الدين** أحمد بن سليمان **ابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ)** .

ـ **وشرحها** : الإمام الفقيه المُفسِّر المُتفنِّن **محيي الدين** محمد بن مصطفى **القوجوي** (ت ٩٥١هـ) ، **ويعرف بـ (شيخ زاده)** .

ـ **وشرحها** : الإمام المُحقِّق الفقيه المُتفنِّن **شهاب الدين أبو العباس** أحمد بن محمد بن علي **ابن حجر الهيتمي** السعدي الأنصاري المصري المكي (ت ٩٧٤هـ) ، **وسمَّاه** : « العمدة في شرح البردة » .

ـ **وشرحها** : الإمام الفقيه الأصولي المُفسِّر **بدر الدين** أبو البركات محمد بن محمد بن محمد **الغَزِّي** العامري (ت ٩٨٤هـ) ، **وسمَّاه** : « الزبدة في شرح قصيدة البردة » .

---

(١) انظر (ص ٦٥) .

- **وشرحها** : الإمام **شمس الدين** أبو عبد الله محمد بن حسن **القدسي** البَرَموني (ت بعد ٩٩٠هـ) ، جمعه من عدة شروح ، **وسمَّاه** : « النبذة في طي العدة لنشر معاني البردة » .

- **وشرحها** : الإمام النحوي الأديب **محيي الدين** محمد بن محمود **الصاروخاني الأَقْحِصاري** الرومي (ت ١٠٠١هـ) ، **وسمَّاه** : « طراز العدة في شرح قصيدة البردة » .

- **وشرحها** : الإمام الفقيه المُقرئ المُحدِّث المُتفنِّن **نور الدين** علي بن سلطان **القاري** (ت ١٠١٤هـ) ، **ويعرف بـ (الملَّا علي القاري)** ، **وسمَّاه** : « الزبدة في شرح قصيدة البردة » ، **وهو من الشروح النفيسة** .

- **وشرحها** : الإمام الفقيه **محمد** بن ملا **أبي بكر** بن ملا محمد **الكردي السُّهراني** (ت١٠٤٨هـ) ، **وسمَّاه** : « الدرة المضيَّة في شرح الكواكب الدرية » .

- **وشرحها** : الإمام الفقيه المُحدِّث المُتفنِّن **محمد** بن علي **ابن علَّان** البكري الصديقي (ت ١٠٥٧هـ) ، **وسمَّاه** : « الذخر والعدة في شرح البردة » .

- **وشرحها** : الإمام القاضي الفقيه النحوي المُتفنِّن السيد **أبو البقاء** أيوب بن موسى الحسيني **الكَفَوي** (ت ١٠٩٤هـ) .

- **وشرحها** : الإمام الأديب **عبد الحق** بن **عبد الفتاح** بن علي **القوصي** الأحمدي (ت بعد ١١١٩هـ) ، **وسمَّاه** : « الجوهرة اليتيمة الفردة في شرح المديحة المنظومة المسماة بالبردة » .

- **وشرحها** : الإمام **سالم** بن **محمد** بن موسىٰ (ت بعد ١٢٠٢هـ) ، **وسمَّاه** : « الكواكب السنية في شرح الكواكب الدرية » .

ـ **وشرحها** : الإمام المُفسِّر الصوفي المُربِّي **أبو العباس** أحمد بن محمد بن المهدي **ابن عجيبة** التطواني المغربي (ت ١٢٢٤هـ) ، **وسمَّاه** : « العمدة في شرح البردة » .

ـ **وشرحها** : الإمام شيخ الإسلام الفقيه المُتفنِّن **برهان الدين** إبراهيم بن محمد بن أحمد **الباجوري** الأزهري (ت ١٢٧٦هـ) ، وهو عبارة عن حاشية نفيسة بيَّنت مقصود « البردة » ، وأبرزت مرادها .

ـ **وشرحها** : الإمام القاضي المفتي الفقيه الأصولي النحوي الأديب **محمد الطاهر** بن محمد الشاذلي **ابن عاشور** التونسي (ت ١٢٨٤هـ) ، **وسمَّاه** : « شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح » .

ـ **وشرحها** : الإمام الفقيه الأديب **عمر** بن أحمد بن محمد **الخربوتي** الرومي (ت ١٢٩٩هـ) ، **وسمَّاه** : « عصيدة الشهدة في شرح قصيدة البردة » .

ـ **وشرحها** : الإمام الفقيه **حسن العدوي الحمزاوي** (ت ١٣٠٣هـ) ، **وسمَّاه** : « النفحات الشاذلية شرح البردة البوصيرية » .

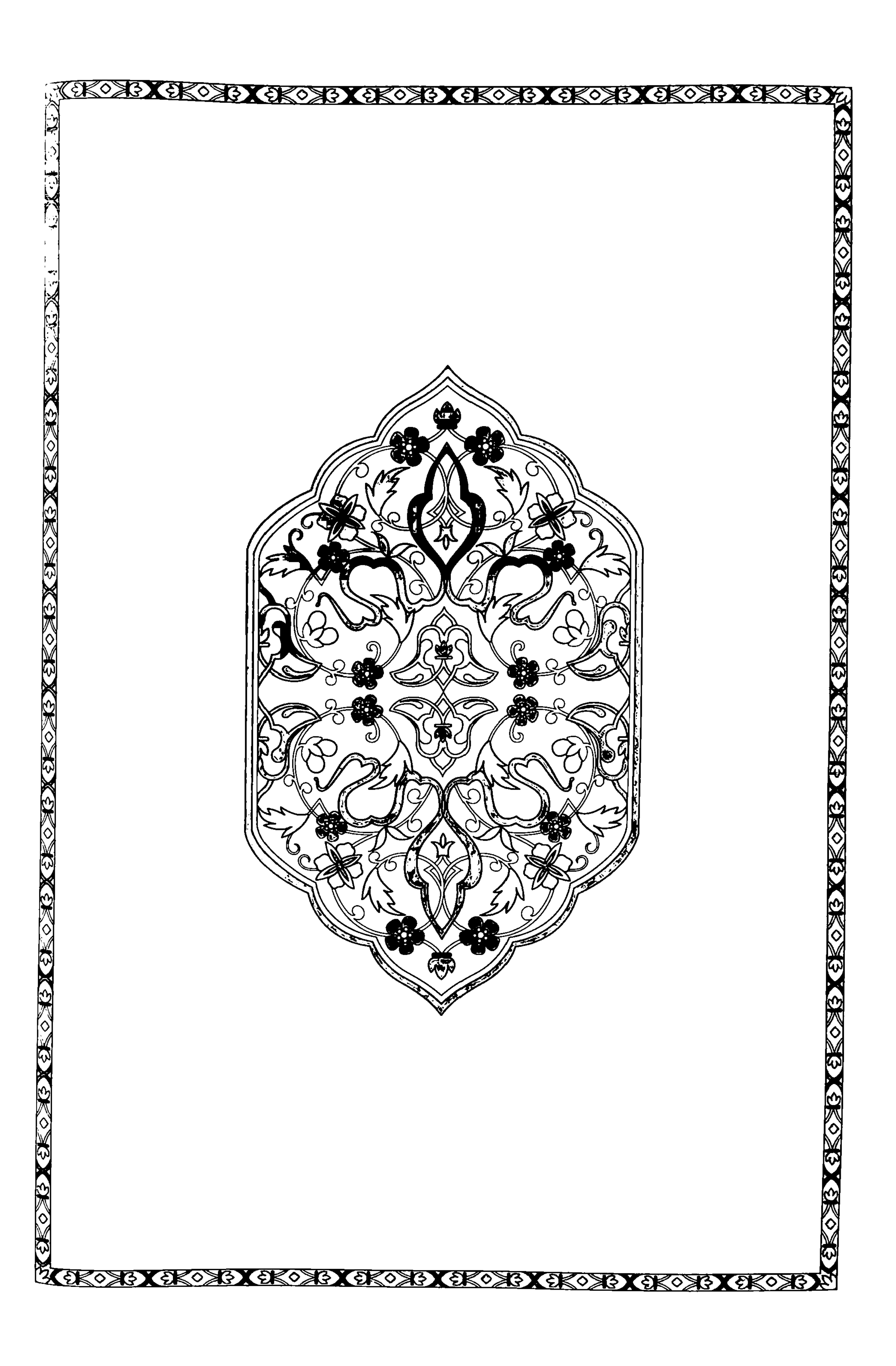
ـ **وشرحها** : العلامة المفتي تاج الشريعة **محمد أختر رضا خان القادري** الأزهري (ت ٢٠١٨م) ، **وسمَّاه** : « الفردة في شرح البردة » .

وخُمِّست وسُبِّعت وشُطِّرت وعُورضت من قبل العديد من العلماء والشعراء[١] .

* * *

---

(١) انظر « جامع الشروح والحواشي » (١/ ٤٧٤ـ٤٩٢) .



منهج العمل في الكتاب

كان من تمام فضل الله عليَّ أنْ وُفِّقت **للحصول على ست نسخ خطِّية** ، كما قمت باستجلاب نسخة نفيسة من الأصل الذي استقى منه إمامنا القسطلَّاني ؛ وهو « إظهار صدق المودة » للإمام المُتفنِّن ابن مرزوق رحمه الله تعالىٰ .

وقد اتَّبعتُ خطواتٍ دقيقةً في تحقيق الكتاب وإخراجه ، **تمثَّلت بالنحو الآتي** :

ـ تم نسخ الكتاب من **المخطوطة (هـ)** ، ثم مقابلته مقابلة متأنِّية علىٰ أصوله الخطية ، وقد قمت باتباع منهج التلفيق بين النسخ ، **فنتج عن ذلك نصٌّ سليمٌ صحيحٌ خالٍ من الخلل والتحريف والتصحيف** إن شاء الله تعالىٰ .

ـ **رجعتُ أثناء حل المغايرات والفروق إلى الأصل الذي نهل منه إمامنا القسطلَّاني** ، وكان لهـٰذه الخطوة دور بارز ومهم في اعتماد كثير من الفروق والتحقق منها ، والوثوق بالنص المُحقَّق الثقةَ التامَّةَ ، وقد نبَّهت إلىٰ رجوعي إليه في أكثرَ من موضع ، ولم أعزُ إلى رقم الورقة إذا كنت أنبه على فرق ما .

ـ **أثبتُّ بعض فروق النسخ الخطية في الهامش** ، ولو كان معناها بعيداً بعضَ الأحيان ، وأهملت الفروق التي هي عبارةٌ عن تحريف أو تصحيف أو لحن أو إملاء غير معتمد في زماننا هـٰذا .

ـ **أثبتُّ هوامش النسخة (د) و (هـ)** ؛ نظراً لفائدتها وارتباطها الوثيق بالنص المحقق .

ـ **خرجتُ الآياتِ القرآنيةَ وحصرتها بين قوسين مزهرين ﴿ ﴾** ، وجعلتها بالرسم القرآني من رواية حفص رحمه الله تعالىٰ ، وأثبتُّ في الهامش اسم السورة مع رقم الآية .

ـ **خرجتُ الأحاديثَ النبويةَ والآثار الواردة في الكتاب** ، من الأمّات الحديثية المعتمدة ، وقد أُخرِّج الحديث أو الأثر إذا أشار إليه المؤلف ولم يُصرِّح به .

ـ **وثَّقتُ تقريباً جميعَ النقولات الواردة في الكتاب** ؛ بالرجوع إلىٰ مظانِّها المطبوعة أو المخطوطة ـ وهي قليلة ـ ومطابقتِها ثم التخريج منها .

ـ **أثريتُ بعض مواضع الكتاب بالتعليقات المهمَّةِ المفيدةِ** ؛ وهي عبارةٌ عن شرح للفظ موهم ، أو توضيح لعبارة غامضة ، أو زيادة تفصيل لمعنىً مجمل .

ـ **ضبطتُ النصَّ ضبطاً إعرابيّاً تامّاً ، وصرفيّاً لبعض الأبنية الموهمة** ، وهي خطوة مفيدة في هـٰذا الكتاب وأمثاله ؛ نظراً إلىٰ عموم تداوله من كافة الاختصاصات العلمية .

ـ **أضفتُ الشعر إلىٰ بحوره** ، وضبطته بالشكل ضبطاً تامّاً ، وهو قليل جدّاً .

ـ **رقَّمتُ الكتاب بعلامات الترقيم المناسبة** ، كما قسَّمته إلىٰ فقراتٍ ومقاطعَ ، وهي مرحلةٌ مهمَّة ومفيدة في تليين النص وتقريبه للقارئ .

ـ **قسَّمتُ الكتاب إلىٰ عشرةِ فصولٍ رئيسةٍ** ، وهـٰذه الفصولُ مُستلَّة من بعض الشروح لـ « البردة » ، **كما جعلت كل بيت مشروحٍ رأسَ صفحة مستقلَّة ومُرقَّماً** ترقيماً متسلسلاً ، مع لفت الانتباه إلى الترابط الوثيق بين

بعض الأبيات ، وهي خطوة فنية تضفي نظرة جمالية للكتاب ؛ إذ تريح ذهن القارئ ، وتفيد في تسهيل الوصول إلى البيت المراد دون عناء وجهد .

ـ **وشَّيتُ الكتاب بإضافة اللون الأحمر** لقصيدة « البردة » الممزوجة بالشرح والموضوعة ضمن قوسين ، ولبعض الكلمات والعبارات المهمة .

ـ **ترجمتُ للإمام البوصيري ترجمة موجزة ، وللإمام القسطلّاني ترجمة متوسطة** وقفت فيها علىٰ مراحل حياته العامة ، ونبَّهت علىٰ بعض الأمور المهمَّة .

ـ **استخرجتُ قصيدة « البردة »** التي شرح عليها إمامنا القسطلّاني ، **وجعلتها بداية الشرح** ، وذكرت في الهامش الروايات التي أشار إليها ، وعلَّقت علىٰ بعض الأمور اللصيقة بقصيدة « البردة » .

ـ **ذيَّلتُ الكتاب بالقصيدة الفائقة** ، التي اطَّرد فيها ماء البديع ، وجالت فيها المعاني الرائقة ؛ **وهي القصيدة المُسمَّاة بـ** « الشُّقْراطسية في مدح المصطفىٰ خير البرية » ، للإمام الأديب أبي محمد عبد الله الشُّقْراطسي التَّوْزَري ، **وقد انتخبتُ هـٰذه القصيدة** ؛ نظراً إلىٰ كونها في مدح خير البرية ، ومشابهة « البردة » لبعض أبياتها ، وثرائها بالفنون البديعية وخصوصاً الجناس ، واشتمالها على المعاني الغزيرة .

وقد ضبطتها ضبطاً تامّاً ، وشرحت بعض الألفاظ الغامضة ، وصدَّرتها بلمحة موجزة عن الناظم ، ووصفٍ للنسختين المعتمدتين في إخراجها .

ـ **خصصتُ بحثاً** بدايةَ الكتابة **للكلام علىٰ عناية العلماء بالبردة** ؛ شرحاً ومعارضةً وتخميساً وغير ذلك .

ـ **وصفتُ بداية الكتاب النسخ المعتمدة في التحقيق وصفاً عاماً مفيداً**

للقارئ ، وابتعدت عن الوصف المتعلِّق بماهية الورق ونوعية الخطوط وطبيعة المداد وغير ذلك .

وفي الختام : فالله َأسأل ألا ينقلنا من دار الدنيا إلا وقد أمطر على قلوبنا الجرعاءِ وابلَ غفرانه ، وأذاقنا حلاوةَ حبِّه وصفاءَ عرفانه ، وأن يؤجِّج في ضلوعنا نيران الحب والعشق لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأن يُورِدَنا حوضه ، ويكرمَنا بالشرب من يده الطاهرة المباركة شربة لا نظمأ بعدها أبداً .

والحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم
على إمام المرسلين

وكتبه
بلال محمد حاتم السقا

٢٦ / محرم / ١٤٤١هـ
٢٥ / تشرين الثاني / ٢٠١٩م

وصف النسخ الخطية

اعتمدتُ ـ ولله الحمد ـ أثناءَ تحقيق الكتاب **على ست نسخ خطِّيَّة ؛ ثلاثة منها نفيسة قيِّمة** ، كما تمَّ الرجوع إلى الأصل الذي أخذ منه الإمام القسطلاني ؛ وهو « إظهار صدق المودَّة » للإمام ابن مرزوق الحفيد ، **وكان لهٰذا الرجوع فائدة كبيرة في تعيين أو تصويب فروق النسخ الخطيّة** .

وإليكَ وصفَ هٰذهِ النسخ :

النسخة الأولى

مخطوطة مكتبة كوبريلي (إستانبول ـ تركيا) ، **ذات الرقم** : (١٣٠٤) ، وتقع ضمن مجموع ، **ويبدأ كتابنا بالورقة** (٣٢) ، **وينتهي** بالورقة (٧٦) ، **وعدد أسطر كل صفحة** : (٢١) سطراً ، **ومتوسط كلمات السطر الواحد** : (١١) كلمةً تقريباً .

وهي نسخة نفيسة تامَّة ، خلت عموماً من التصحيف والتحريف والنقص ، **وكتبت بخط واضح مقروء** ، ومُيِّز المتن الممزوج بالشرح باللون الأحمر .

ويوجد بدايةَ المخطوط فهرس للكتب التي ضمَّها المجموع ، وقبل الطرَّة بورقة بعضُ الأختام والتملُّكات ، وكتب على الطُّرَّة بخطٍّ صغير في وسطها : (شرح قصيدة البردة ، للعلامة شهاب الدين القسطلاني ، قُدِّس سره العزيز) .

وكان الفراغ من كتابة **هٰذه النسخة** : في الثاني عشر من شهر رجب سنة (٩٧٧هـ) بالمدينة النبويَّة ، علىٰ ساكنها أفضلُ الصلاة وأتمُّ السلام .

ورمزت لها بـ (أ) .

النسخة الثانية

مخطوطة **المكتبة الأزهرية** (القاهرة ـ مصر) ، **ذات الرقم العام** : (١٣٦٩) ، **والخاص** : (٧٩٢) ، **وتقع هٰذه النسخة في** (٧٤) ورقة ، **وعدد أسطر كل صفحة** : (٢٣) سطراً ، **ومتوسط كلمات السطر الواحد** : (٧) كلمات تقريباً .

وهي نسخة نفيسة قيِّمة ، وخطُّها نسخي واضح ، وتم تمييز القصيدة الممزوجة بالشرح باللون الأحمر غالباً ، أو وضع خطٍّ فوق كلمات وعبائر القصيدة المشروحة كما هو العادة في بعض الكتب ، واختلف خطُّها من الورقة (٧٠/ب) إلى الورقة (٧٢/أ) مما يدلُّ علىٰ وجود سقط بمقدار ورقتين تمَّ استدراكه من نسخة أخرىٰ .

وتظهر نفاسة هٰذه النسخة : بخلوِّها عموماً من التصحيف والتحريف ، وكونِها ـ والله أعلم ـ كُتبت في زمن المؤلف كما يظهر من ديباجة الكتاب ؛ إذ **جاء فيها** : (قال الشيخ الإمام العالم العلامة ، فريدُ دهره ، ووحيد عصره ، شهابُ الدين أبو الفضائل ، أحمد بن سيدنا الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن القسطلَّاني ، **فسح الله في مدَّته** ، ونفع المسلمين بعلومه وبركته) .

وجاءت الطرة خاليةً من عنوان الكتاب ونسبته لمؤلفه ، **وكُتب بدل ذينك بالخط الأسود العريض** : (وقف على الأكراد) ، وتكرَّر هٰذا الوقف في رؤوس بعض الصفحات .

ورمزت لهٰذه النسخة بـ (ب) .

النسخة الثالثة

من مقتنيات **جامعة الملك سعود** ، (الرياض ـ السعودية) ، **ذات الرقم** : (٨٣٠) ، وتقع هـٰذه النسخة ضمن مجموع حوىٰ كتابين ؛ **الأول** : « زهر الربيع في شواهد البديع » ، **والثاني** : كتابنا **الذي يبدأ** بالصفحة (٢١) ، **وينتهي** بالصفحة (١٩٨) ، **وعدد أسطر كل صفحة** : (٢٥) سطراً ، **ومتوسط كلمات السطر الواحد** : (١٠) كلمات تقريباً .

وهي نسخة تامة نفيسة ، خلت عموماً من التحريف والتصحيف والسقط ، **وكتبت بخط واضح مقروء** ، ومُيِّزت القصيدة عن الشرح باللون الأحمر ، **ويظهر أن هـٰذه النسخة مقروءة** ؛ وذلك من خلال التعليقات التي كتبت علىٰ هامش بعض الصفحات ، وغالبُها مُنتقاةٌ من « الزبدة في شرح البردة » للشيخ خالد الأزهري .

وكتب علىٰ طرة الكتاب : (هـٰذا « مشارق الأنوار المضيَّة في شرح الكواكب الدرية في مدح خير البرية » للشيخ العالم العلامة ، أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني ، نفعنا الله به ، آمين) .

ورمزت لهـٰذه النسخة بـ (ج) .

النسخة الرابعة

مخطوطة **المكتبة الأزهرية** ، **ذات الرقم العام** : (١٣١٨٣٠) ، **والخاص** : (٩٣٤٨) ، **وعدد أوراقها** : (٦١) ورقة ، **وعدد أسطر كل صفحة** : (٢١) سطراً ، **ومتوسط عدد كلماتها** : (٩) كلمات تقريباً .

وهي نسخة تامَّة نفيسة ، وخطها واضح مقروء ، **وقد خلت تقريباً** من

التحريف والتصحيف والسقط ، ومُيِّزت القصيدة عن الشرح باللون الأحمر .

وعلىٰ هامش بعض أوراقها **تعليقات قيِّمة** ، وقد قمتُ بإثباتها في أمكانها المناسبة ؛ نظراً لفائدتها وإثرائها لمضمون الكتاب .

وقبل الطرة تملُّك باسم عبد الرحمـٰن القماح سنة (١١٩٠هـ) ، **وتملك باسم** إسماعيل الصعيدي ، **وآخر باسم** السيد عبد الله الجرداني ، **وكُتب على الطرة** : عنوان الكتاب واسم مؤلفه ، ووقفٌ باسم العلامة الفقيه محمد بن عبد الله الجرداني .

وكان الفراغ من نسخها : يوم الخميس غرة شهر صفر الخير سنة (١١٩٠هـ) .

ورمزت لهـٰذه النسخة بـ (د) .

النسخة الخامسة

مخطوطة **المكتبة الوطنية** ، (برلين ـ ألمانيا) **ذات الرقم** : (we ٢٦٤) ، **وتقع في** (٦٠) ورقة ، **وعدد أسطر كل صفحة** : (٢١) سطراً ، **ومتوسط كلمات السطر الواحد** : (١١) كلمةً تقريباً .

وهي نسخة جيدة ، وخطها واضح مقروء ، ومُيِّزت « البردة » عن الشرح باللون الأحمر كباقي النسخ ، وفيها سقط قريب ورقة ونصف تم استدراكه من النسخ الأخرىٰ ، وفيها تصحيف وتحريف يُعَدُّ كثيراً بالمقارنة مع النسخ الأخرىٰ .

وعلىٰ هامش بعض الورقات **تعليقات يسيرة أثبتُّ بعضها في الهامش** .

وكتب علىٰ طرة النسخة : (كتاب « شرح البردة » للشيخ العلامة ،

العمدة الفهامة ، الورع الزاهد ، مُربِّي المريدين ، وخلاصة المفيدين ، الشيخ أحمد بن محمد القسطلّاني ، أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته في الدنيا والآخرة ؛ بمنِّه وكرمه ، آمين ، والحمد لله رب العالمين ، آمين) .

وأُثبتَ علىٰ طرتها فائدتان ؛ الأولىٰ : (**فائدة** : قال الشيخ علوان في « مصباح الهداية » : ومما يحسن إنشاده في الكروب « البردة الشريفة » ؛ فله تأثير عظيم ، أخبرني بذلك سيدي الشيخ السيد الشريف ؛ فإنه جرَّب ذلك ، ورأيت في كلام غيره ما يُؤكِّده) .

والثانية : (وإنَّما سمَّاها ناظمها بـ « البردة » ؛ طمعاً في أن يحصل له شيء من النبي صلى الله عليه وسلم [كما] حصل لكعب بن زهير ؛ وذلك أنه لمَّا أنشد « بانت سعاد » بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم . . أعطاه بُردته ، فأقامت عنده حتى اشتراها معاوية من ولده بعشرة آلاف درهم . انتهىٰ « شرح ابن العماد ») .

وكان الفراغ من نسخها : يوم الأحد لست ليالٍ بقين من شهر الله المحرم افتتاح سنة (١٠٠٨هـ) ، **وناسخها** : هو محمد بن حسن بن عبد القدوس الصعيدي إقليماً ، البسيوني بلداً ، الأزهري وطناً .

ورمزت لها بـ (هـ) .

النسخة السادسة

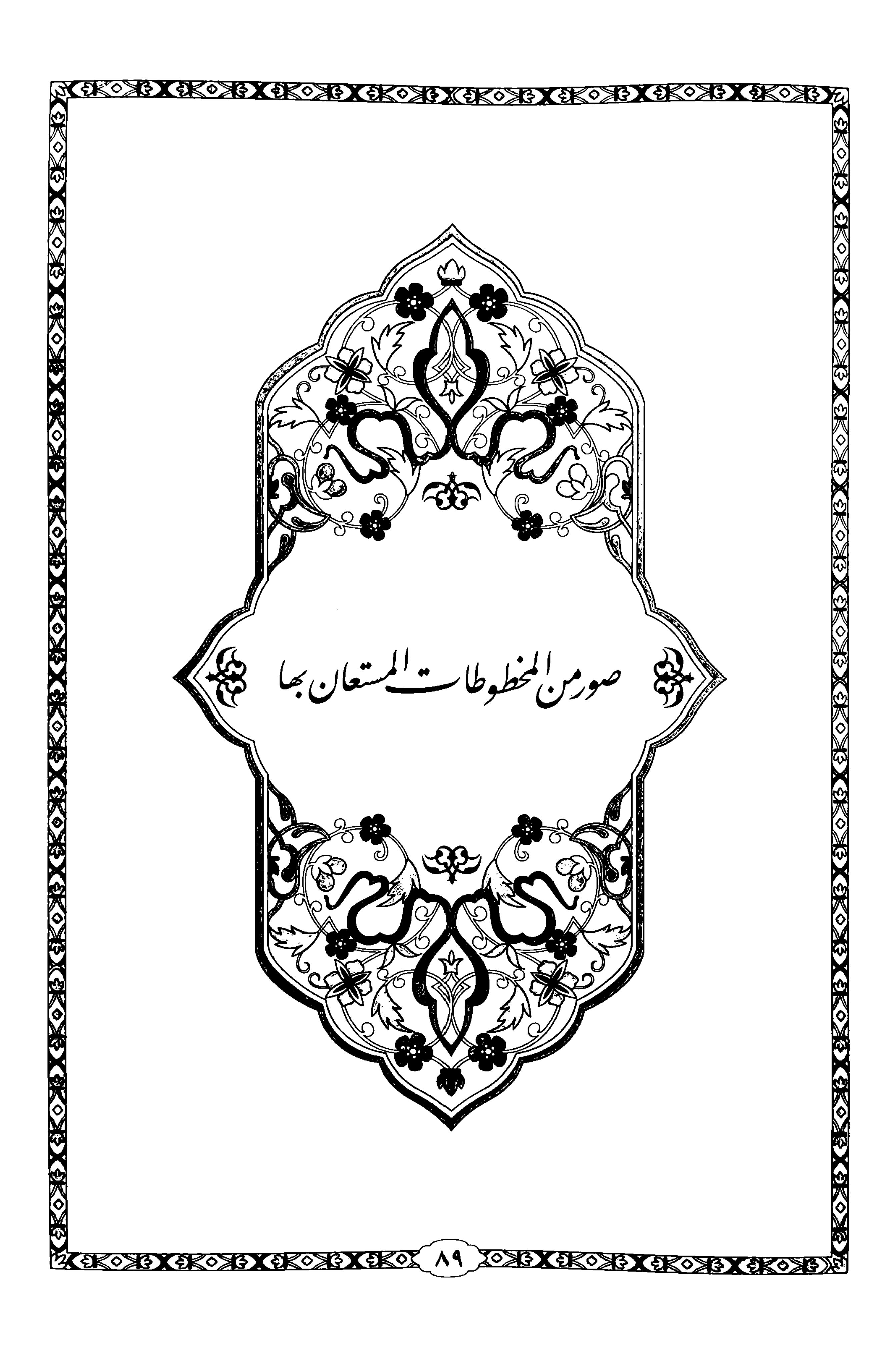
مخطوطة المكتبة الأزهرية ، ذات الرقم العام : (٥٢٤٤) ، **والخاص** (٨٩٣) ، وتقع ضمن مجموع ، **تبدأ** بالصفحة : (٩٦) ، **وتنتهي** بالصفحة : (٢٤٢) ، **وعدد سطور كل صفحة** : (١٣) سطراً ، **ومتوسط كلمات السطر الواحد** : (٦) كلمات تقريباً .

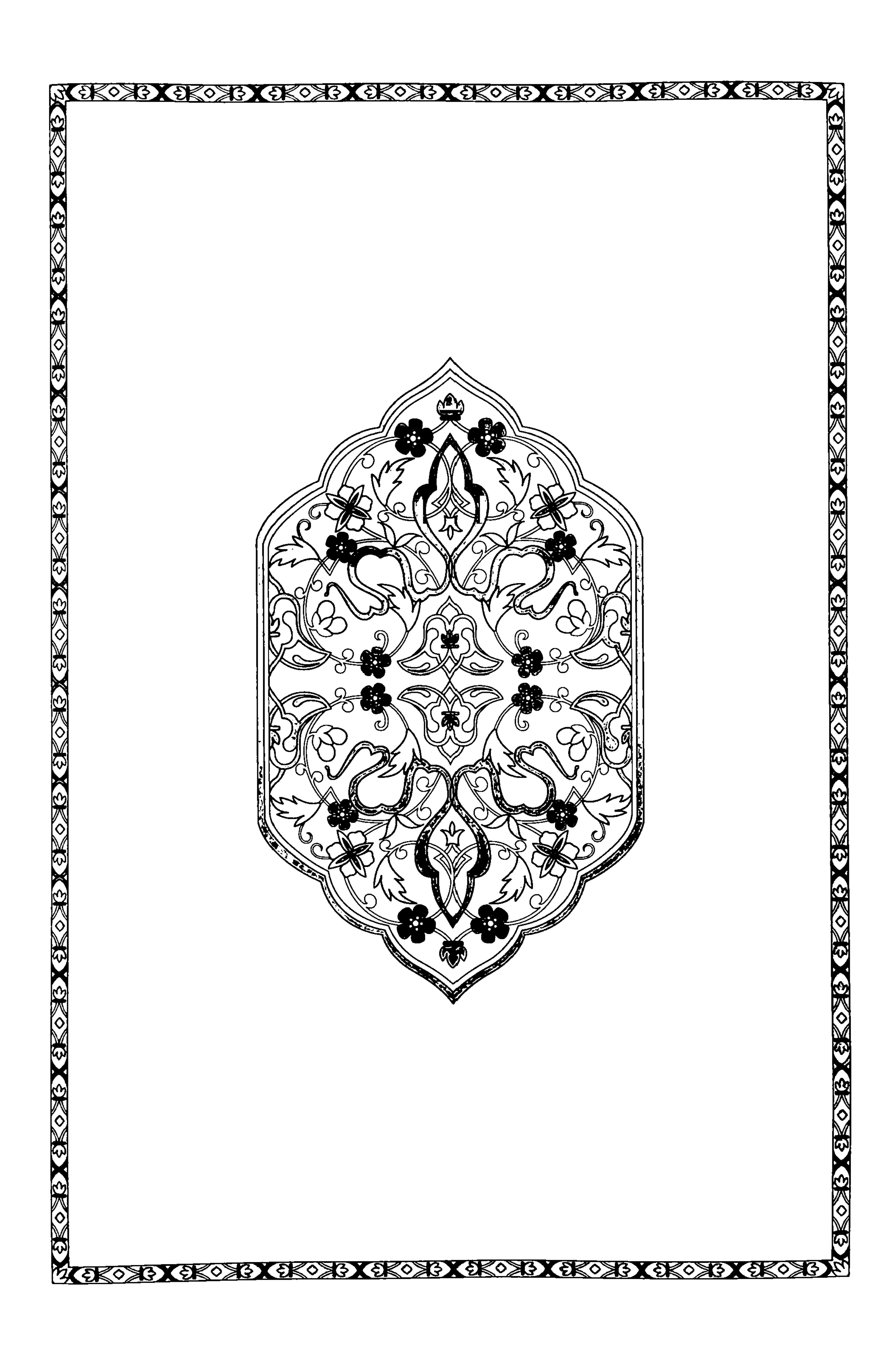
وهي نسخة دقيقة ، وخطها واضح مقروء ، ومُيِّز متنها كذلك باللون الأحمر ، **وخلت من التحريف والتصحيف** إلا في بعض المواضع النادرة ، ولولا الخرمُ أوَّلَها . . لاعتمدتها في التحقيق وقدَّمتها علىٰ بعض النسخ .

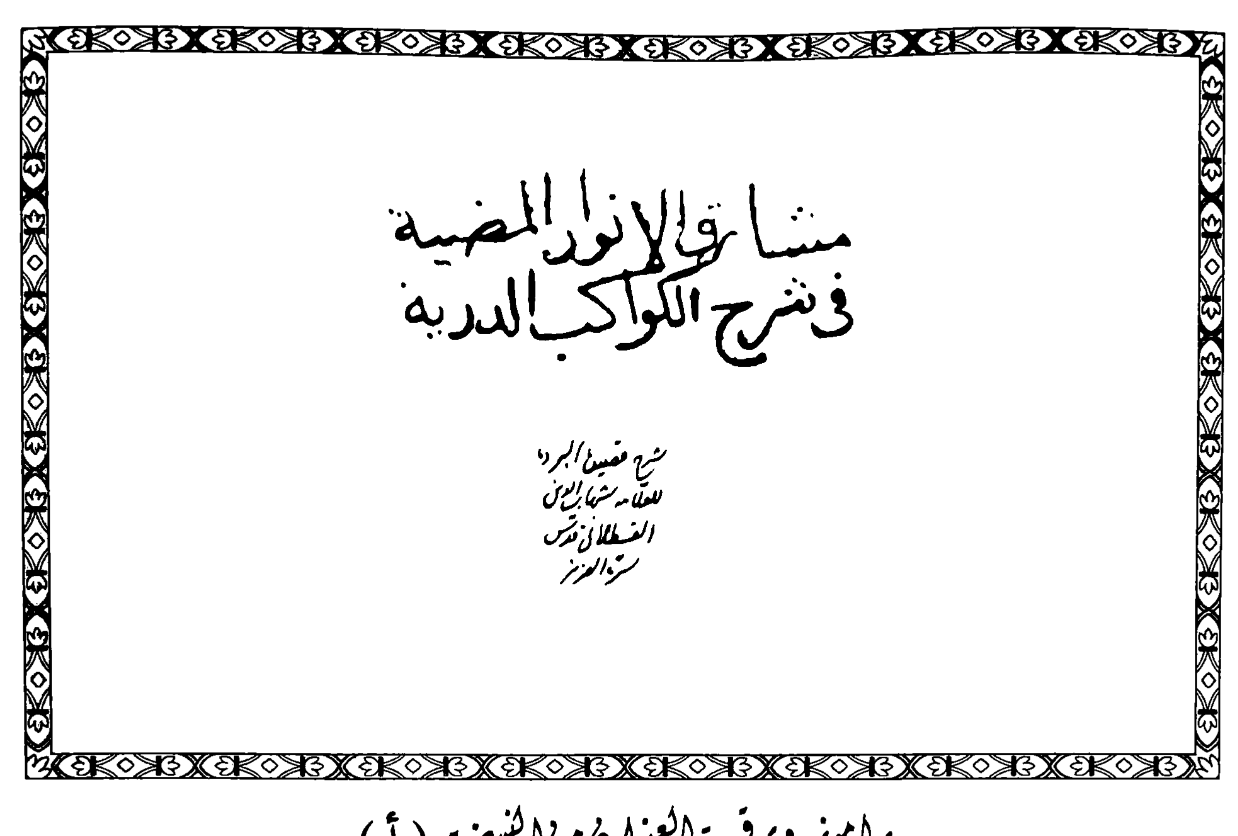
وكان الفراغ من نسخها : في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول ، من شهور سنة (١١٠٩هـ) .

ورمزت لها بـ (و) .

* * *


صور من المخطوطات المستعان بها

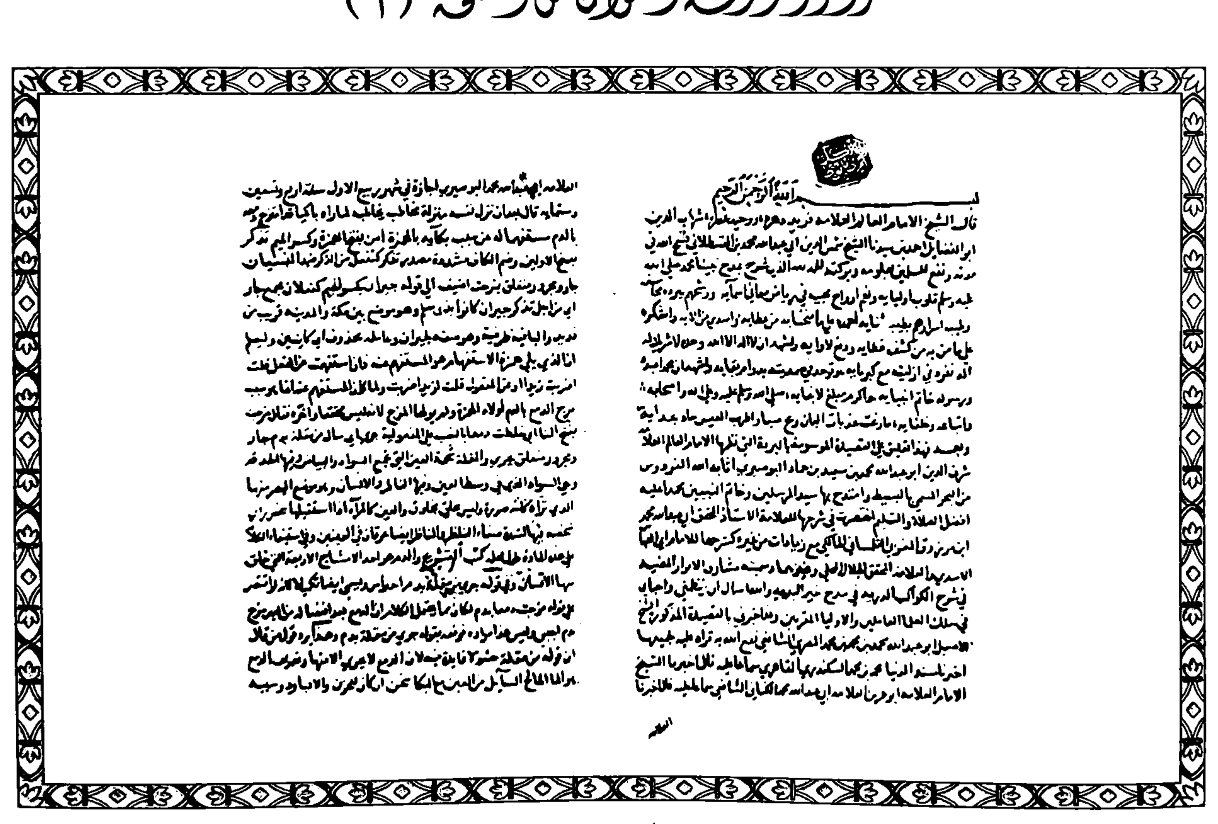




مشارق الأنوار المضية
في شرح الكواكب الدرية

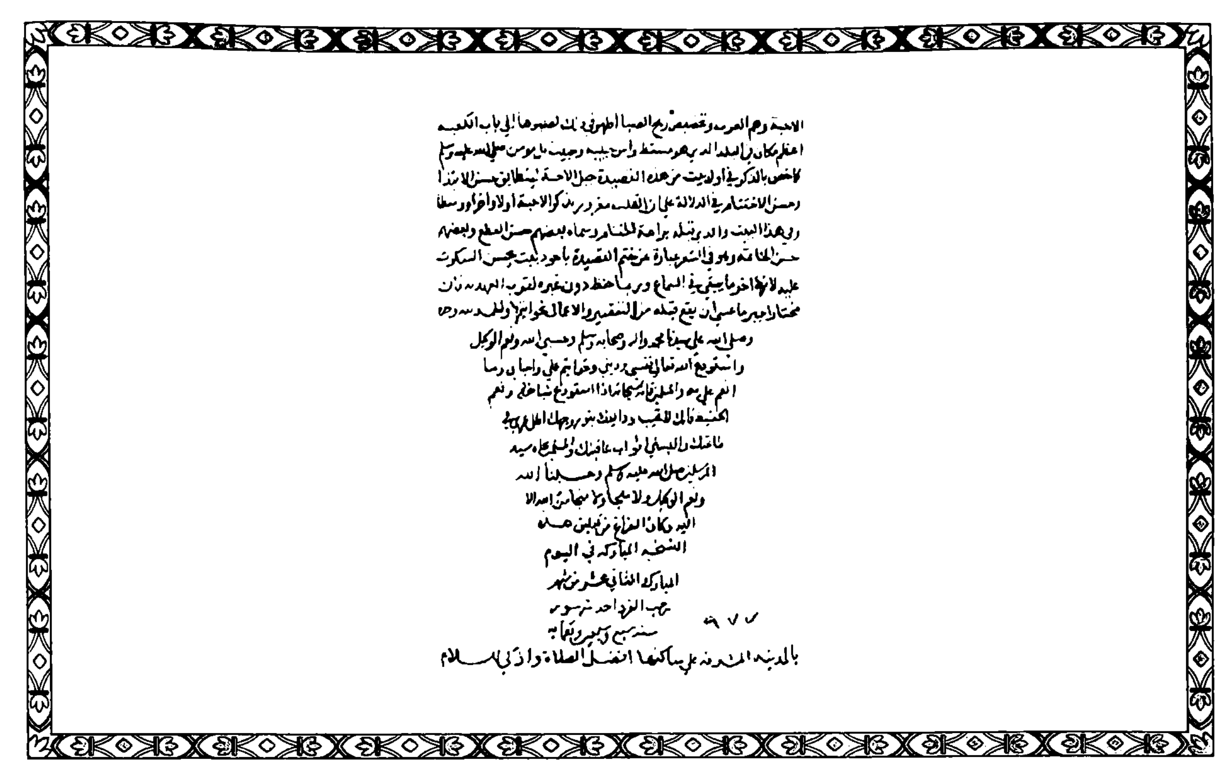
شرح قصيدة البردة
للعلامة شهاب الدين
القسطلاني قدس
سره العزيز

راموز ورقة العنوان من النسخة (أ)

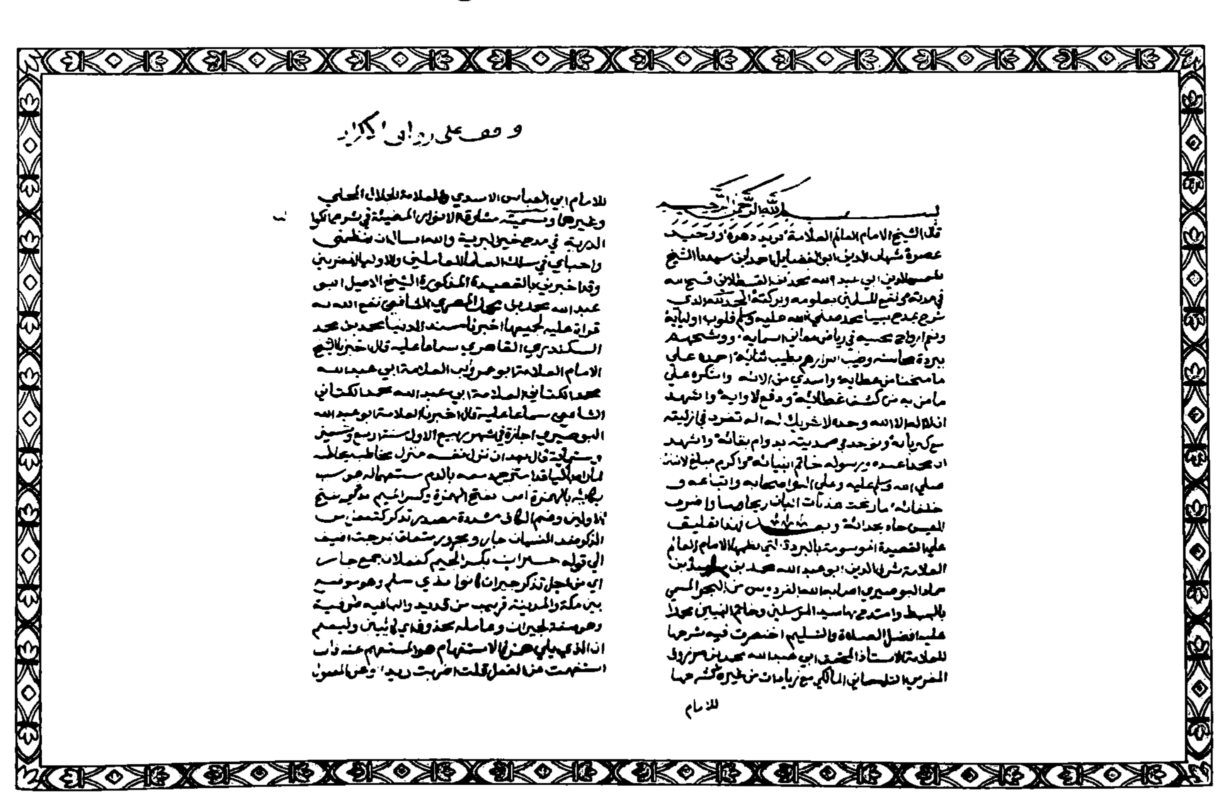


بسم الله الرحمن الرحيم

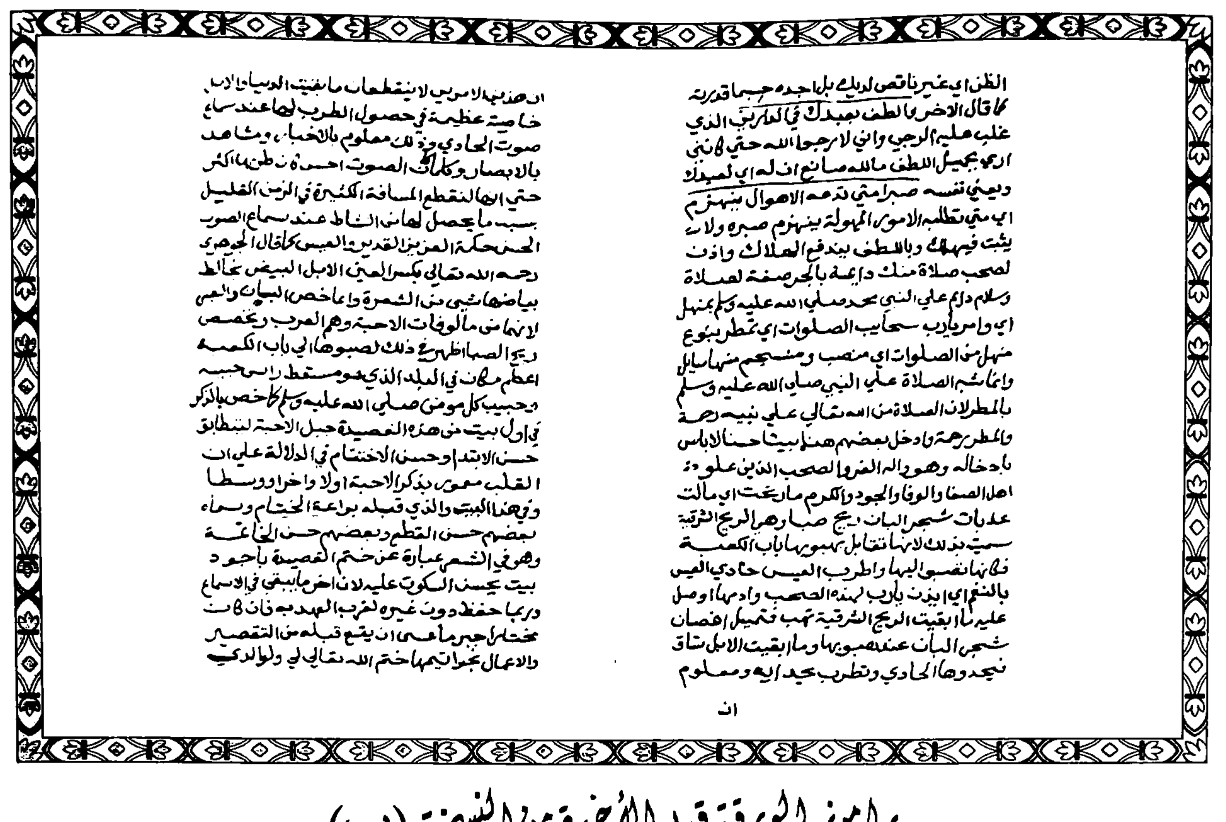
راموز الورقة الأولى من النسخة (أ)



راموز الورقة الأخيرة من النسخة (أ)



راموز الورقة الأولى من النسخة (ب)



الظن اي غير ناقص لديك بل اجده حسبما قدرته
كما قال الاخر يا لطف نعبدك في العاربي الذي
غلب عليه الرجي واني لارجوا الله حتى كانني
ارى بجميل اللطف ما الله صانع ان له اي لعبدك
ويعني نفسه صبرا متى تدعه الاهوال ينهزم
اي متى تطلبه الامور المهولة ينهزم صبره ولا
يثبت فيهلك وباللطف يندفع الهلاك واذن
لصحب صلاة منك دائمة بالجر صفة لصلاة
وسلام دائم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم بمنهل
اي وامر يارب سحايب الصلوات اي تمطر بنوع
منهل من الصلوات اي منصب ومنسجم منها سايل
وانما شبه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
بالمطر لان الصلاة من الله تعالى على نبيه رحمة
والمطر رحمة وادخل بعضهم هنا بيتا حسنا لا باس
بادخاله وهو واله الغر والصحب الذين علو ذ
اهل الصفا والوفا والجود والكرم ما رنحت اي مالت
عذبات شجر البان ريح صبا وهي الريح الشرقية
سميت بذلك لانها تقابل بهبوبها باب الكعبة
فكانها تصبو اليها واطرب العيس حادي العيس
بالنغم اي ايذن يارب لهذه الصحب وادمها وصل
عليه ما بقيت الريح الشرقية تهب فتميل اغصان
شجر البان عند هبوبها وما بقيت الابل تساق
فيحدوها الحادي وتطرب بحدائه ومعلوم
ان

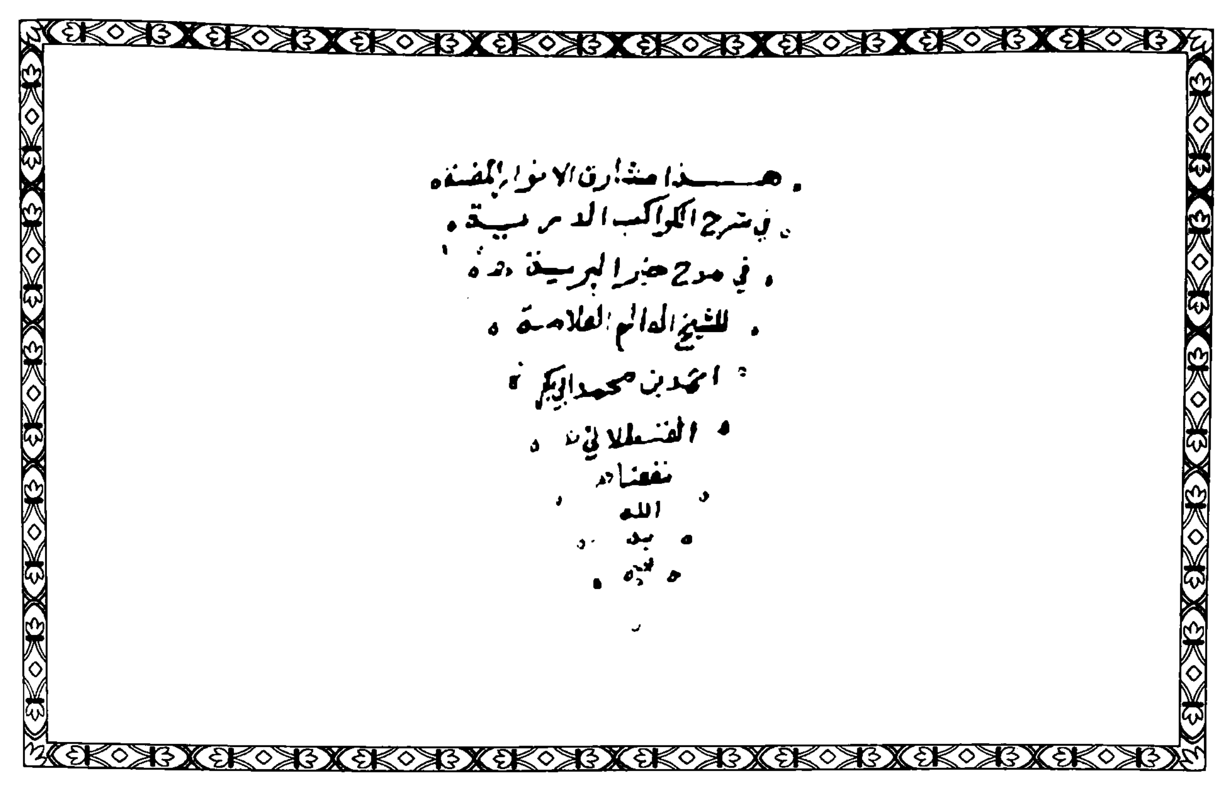
ان هذين الامرين لا ينقطعان ما بقيت الدنيا لان
خاصية عظيمة في حصول الطرب لها عند سماع
صوت الحادي وذلك معلوم بالاخبار ويشاهد
بالابصار وكلما كان الصوت احسن كان طربها اكثر
حتى انها لتقطع المسافة الكثيرة في الزمن القليل
بسبب ما يحصل لها من النشاط عند سماع الصوت
الحسن حكمة العزيز القدير والعيس كما قال الجوهري
رحمه الله تعالى بكسر العين الابل البيض يخالط
بياضها شيء من الشقرة وانما خص البان والعيس
لانهما من مالوفات الاحبة وهم العرب وخص
ريح الصبا لظهور ذلك لصبوها الى باب الكعبة
اعظم مكان في البلد الذي هو مسقط راس حبيبه
وحبيب كل مومن صلى الله عليه وسلم كما خص بالذكر
في اول بيت من هذه القصيدة جيل الاحبة لتتطابق
حسن الابتدا وحسن الاختتام في الدلالة على ان
القلب معمور بذكر الاحبة اولا واخرا ووسطا
وفي هذا البيت والذي قبله براعة الختام وسماه
بعضهم حسن المقطع وبعضهم حسن البلاغة
وهو في الشعر عبارة عن ختم القصيدة باجود
بيت يحسن السكوت عليه لان اخر ما يبقى في الاسماع
وربما حفظ دون غيره لقرب العهد به فان كان
مختارا جبر ما عسى ان يقع قبله من التقصير
والاعمال بخواتيمها ختم الله تعالى لي ولوالدي

راموز الورقة قبل الأخيرة من النسخة (ب)



ولمشايخي ولاحبابي وللمسلمين بخاتمة السلامة
بمنه وطوله والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله واصحابه وسلم وحسبي الله ونعم
الوكيل واستودع الله نفسي وديني وخواتيم
عملي واحبابي وما انعم به علي واخواني المسلمين
فانه سبحانه اذا استودع شيا حفظه ونعم
الحفيظ. قال المولف رحمه الله تعالى بخير
تعليقه على يد مولفه احمد بن محمد ابن
ابي بكر القسطلاني في يوم الجمعة ثاني عشر
شهر صفر الخير سنة ثلاث وثمانين وثمانماية
وكان الفراغ من تسويده في ليلة ... يسفر
صباحها عن يوم الثلاثا المبارك سادس عشر
شهر صفر من السنة المذكورة والحمد لله وحده
وصلى الله على من لا نبي بعده وكان الفراغ
من كتابة هذا الشرح المبارك عصر يوم الثلاثا
ثامن عشر يوم خلت من شهر ربيع الاخر
من الهجرة النبوية على
صاحبها افضل الصلاة
واتم السلام
والحمد لله
في البدا
والختا
م

راموز الورقة الأخيرة من النسخة (ب)



هذا مشارق الأنوار المضية
في شرح الكواكب الدرية
في مدح خير البرية
للشيخ العالم العلامة
أحمد بن محمد أبي بكر
القسطلاني
نفعنا
الله
به

راموز ورقة العنوان من النسخة (ج)

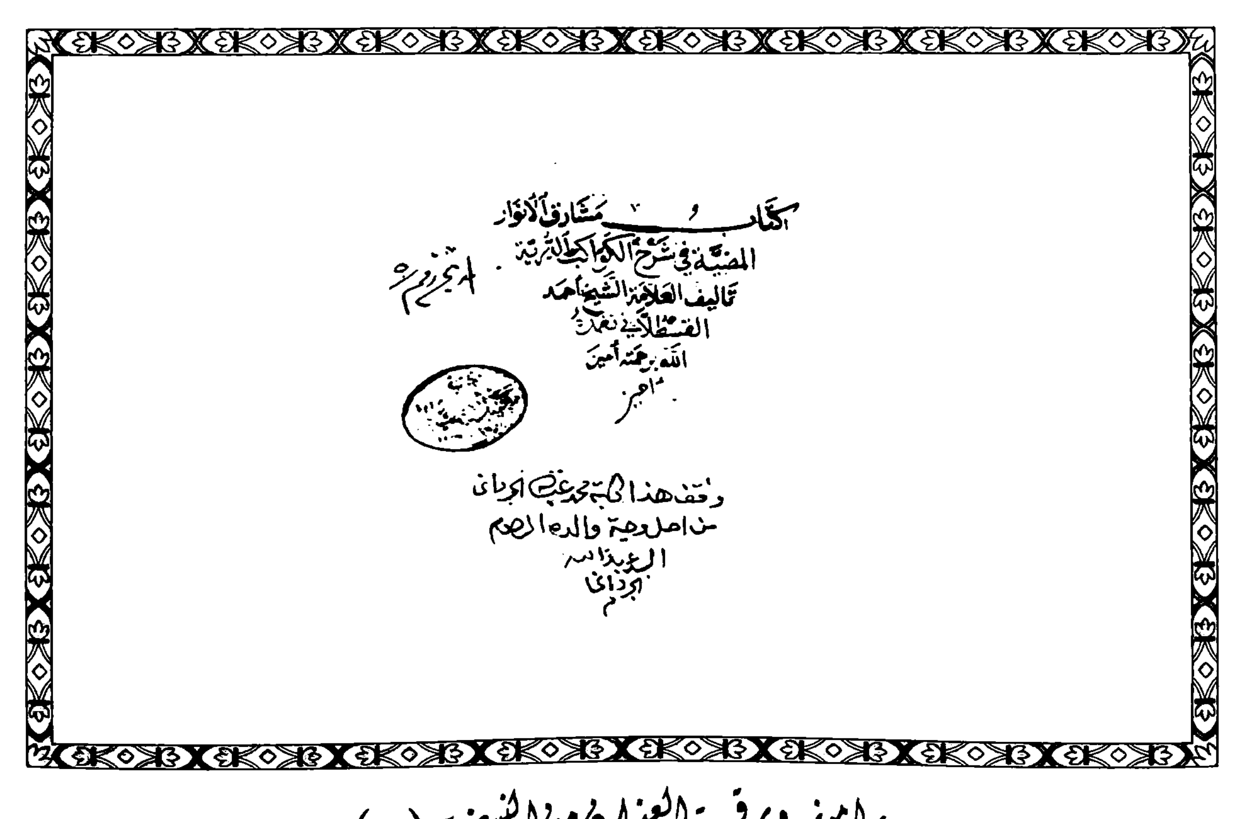
راموز الورقة الأولى من النسخة (ج)



لانها من مالوفات الاحبة وهم العرب وتخصيص [illegible]
في ذلك لعروجها الى باب الكعبة اعظم مكان في البلد الذي هو مسقط
راس حبيبه وحبيب كل مومن صلى الله عليه وسلم كما خص بالذكر
في اول بيت من هذه القصيدة [illegible] لمطابقة الابتدا وحسن
الافتتاح في الدلالة على ان القلب مشغول بذكر الاحبة اولا واخرا
ووسطا في هذا البيت والذي قبله براعة الختام ويسميه بعضهم
حسن المقطع وبعضهم حسن الخاتمة وهو في الشعر عبارة عن ختم
القصيدة باجود بيت يحسن السكوت عليه لانه اخر ما يبقى في الاسماع
وربما حفظ دون غيره لقرب العهد به فان كان مختارا جبر ما
عسى ان يقع قبله من التقصير والاهمال بجوانبها ختم الله
تعالى لي ولوالدي ولمشايخي ولاحبابي وللمسلمين بخاتمة السعد
بمنه وطوله والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله
واصحابه وسلم وحسبي الله ونعم الوكيل واستودع الله نفسي وديني
به وخواتيم عملي واحبابي وما انعم به علي والمسلمين فانه سبحانه
اذا استودع شيا حفظه ونعم الحفيظ قال المولف رحمه الله تعالى
نجز تعليقه على يد مولفه احمد بن محمد بن ابي بكر القسطلاني في يوم
الجمعة ثامن عشر صفر الخير سنة ثلاث [illegible] وكان الفراغ
من مسودته في ليلة يسفر صباحها عن يوم الثلاثا المبارك ثاني
عشر صفر من السنة المذكورة والحمد لله وحده وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين امين

اماتَ الله كاتبه محبا ... لاصحاب النبي مع النبي
واسكنه [illegible] ... جوار الله في [illegible]
[illegible]

راموز الورقة الأخيرة من النسخة (ج)



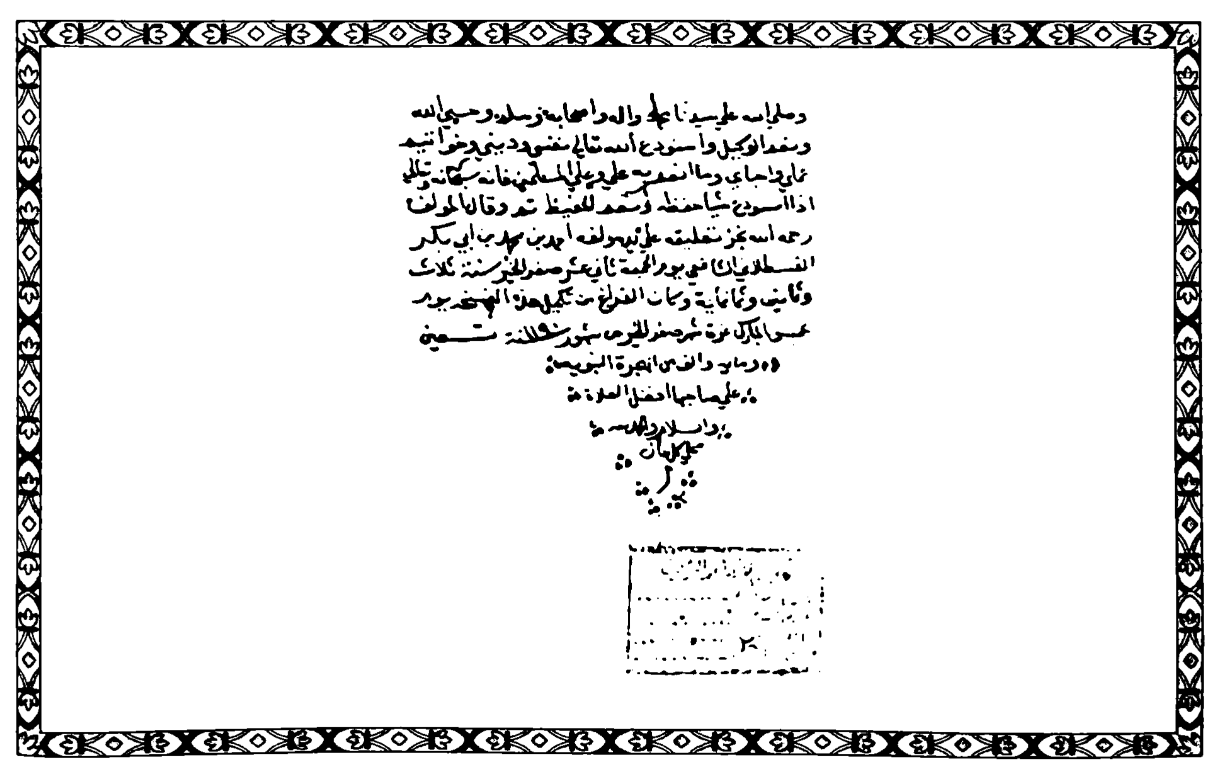
كتاب مشارق الأنوار
المضية في شرح الكواكب الدرية
تأليف العلامة الشيخ أحمد
القسطلاني تغمده
الله برحمته آمين

وقف هذا الكتاب [illegible]
[illegible]

راموز ورقة العنوان من النسخة (د)

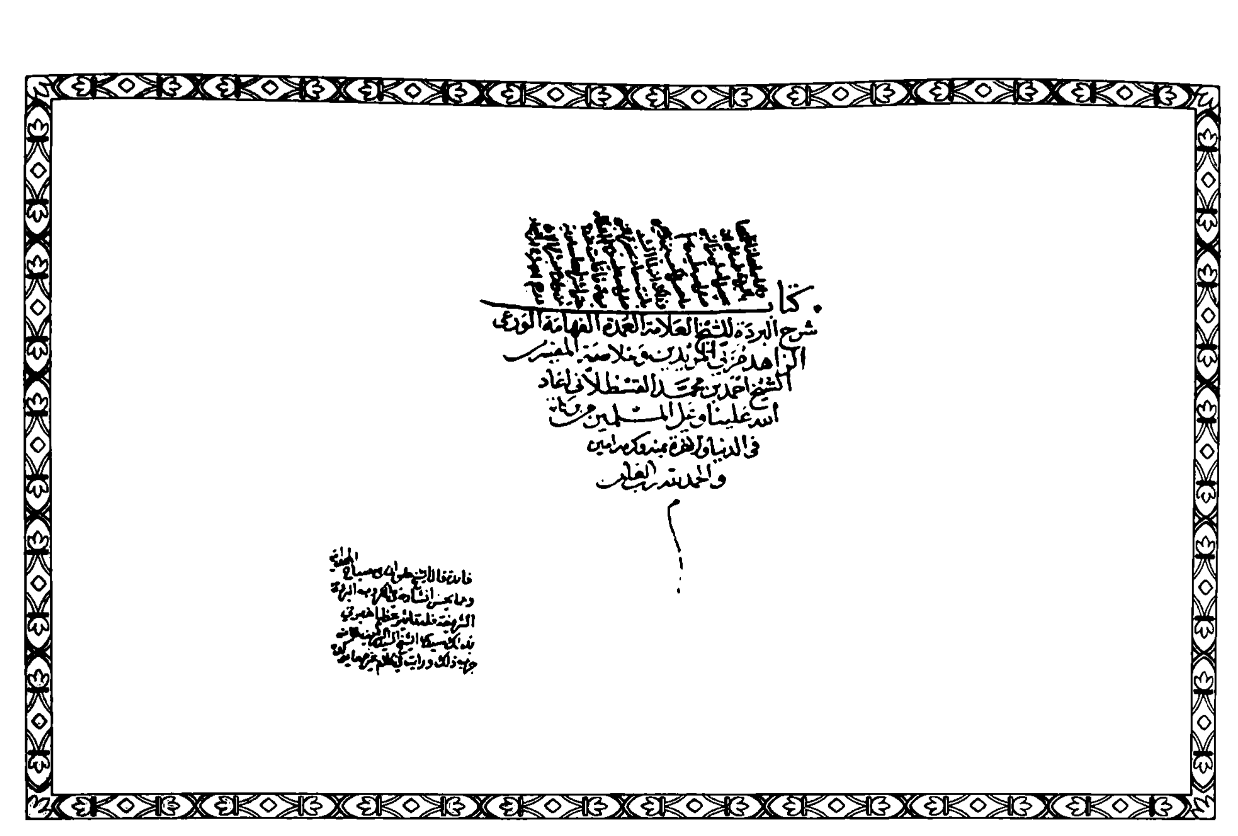


راموز الورقة الأولى من النسخة (د)



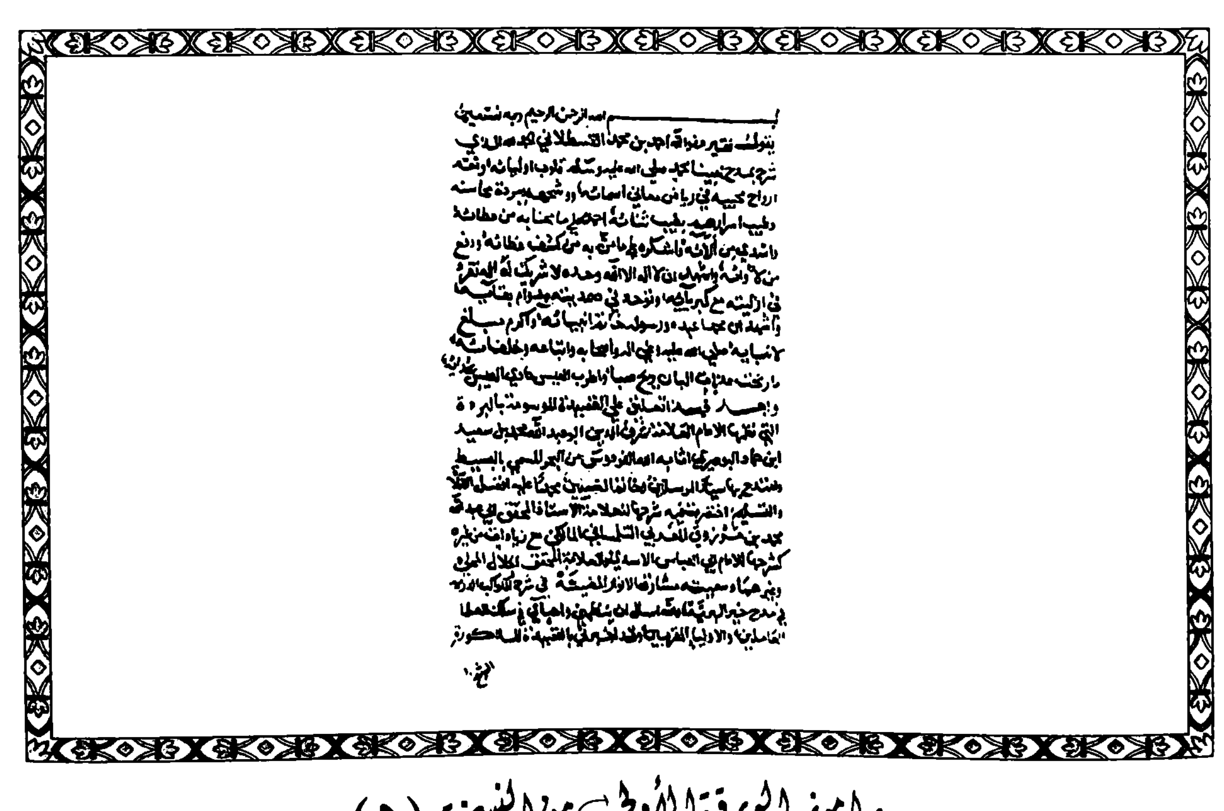
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسلم وحسبي الله
ونعم الوكيل واستودع الله تعالى نفسي وديني وخواتيم
عملي وأحبابي وما أنعم به علي وعلى المسلمين فإنه سبحانه وتعالى
إذا استودع شيئا حفظه وهو نعم الحفيظ تم وقال المؤلف
رحمه الله نجز تعليقه على يد مؤلفه أحمد بن محمد بن أبي بكر
القسطلاني في يوم الجمعة ثاني عشر صفر الخير سنة ثلاث
وثمانين وثمانمائة وكان الفراغ من تكميل هذه النسخة يوم
[illegible] المبارك غرة شهر صفر الخير من شهور سنة تسعين
[illegible] وألف من الهجرة النبوية
على صاحبها أفضل الصلاة
والسلام والتحية
[illegible]

راموز الورقة الأخيرة من النسخة (د)



كتاب
شرح البردة للشيخ العلامة العمدة الفهامة الورع
الزاهد مربي المريدين خلاصة المعتبرين
الشيخ احمد بن محمد القسطلاني أعاد
الله علينا وعلى المسلمين من بركاته
في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه آمين
والحمد لله رب العالمين

راموز ورقة العنوان من النسخة (هـ)



راموز الورقة الأولى من النسخة (هـ)

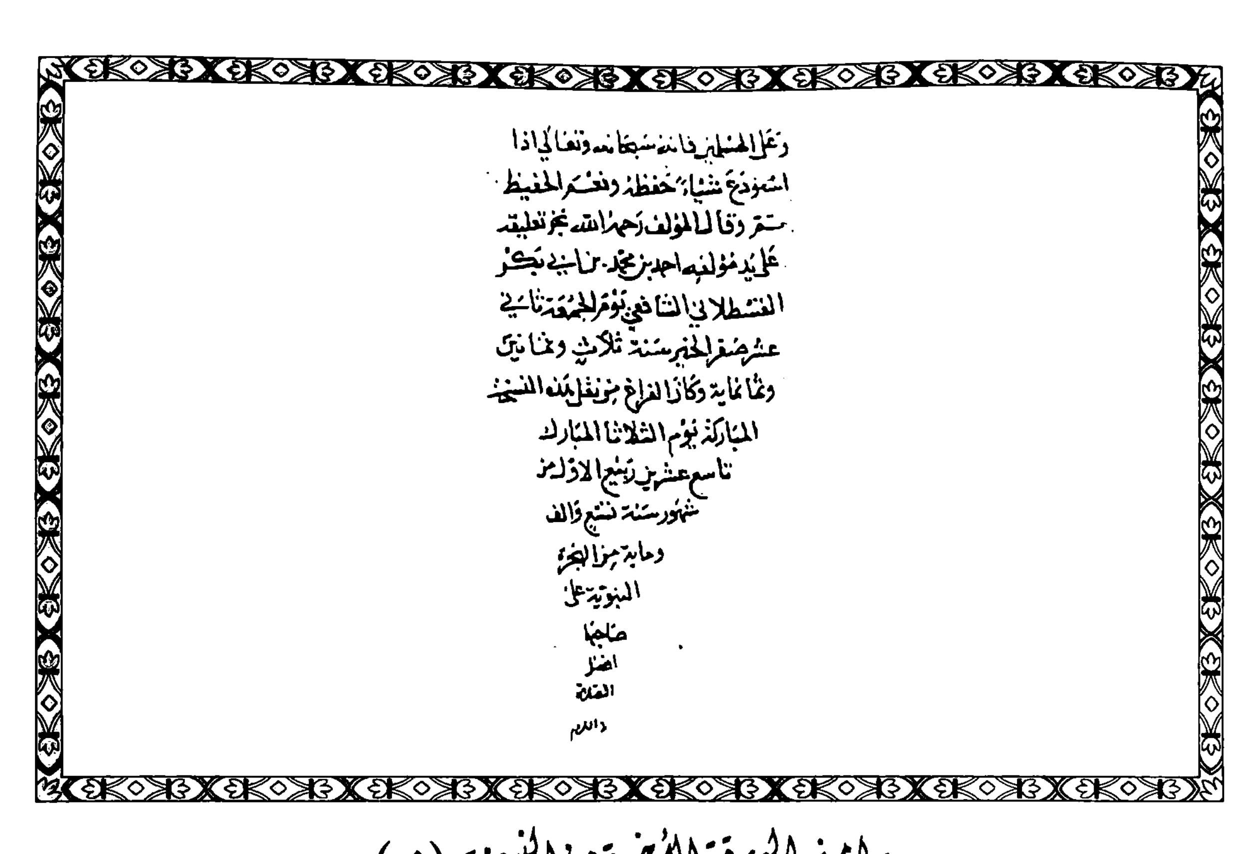


راموز الورقة الأخيرة من النسخة (هـ)



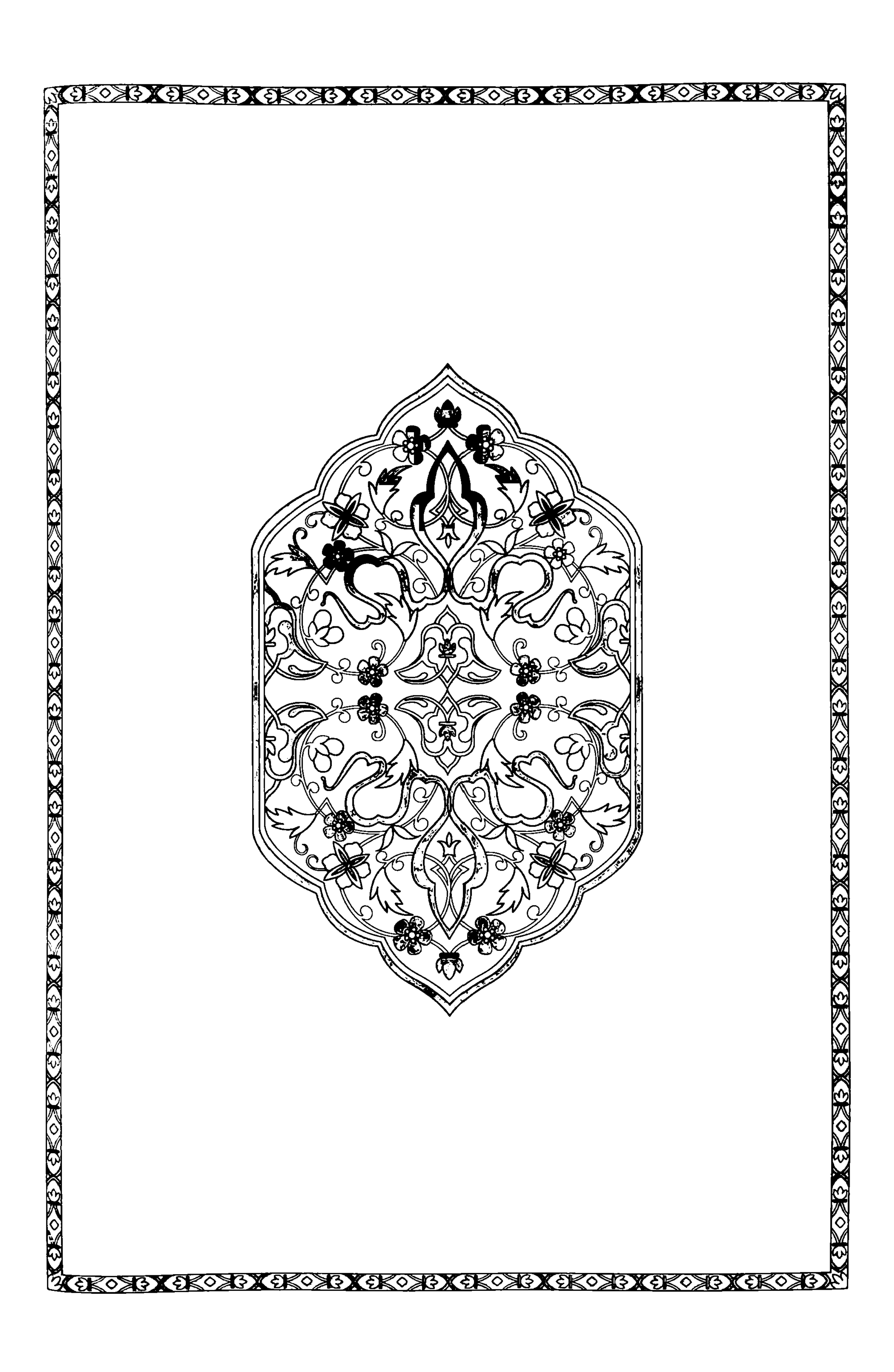
لأنها ألفت ذلك فلا ينبغي أن تقلع جملة
واحدة كما يرد اللجام الجموح وأن أصل
ترم ترومُ فجزم بلا الناهية فالتقى
ساكنان الواو والميم فحذفت الواو
لالتقاء الساكنين ثم استدل الناظم
على ما ذكره بقوله إن الطعام يقوي
شهوة النهم أي تمكين النهم من الطعام
يزيد في قوة شهوته إياه بخلاف ما إذا
رفع من بين يديه فإنه لا يجدها ٥
يشتغل فيتسلى منه فكذلك النفس إذا
حيل بينها وبين المعاصي تسلى منها
وتعود إلى الطاعة [illegible]
ظاهر فإن النهم إنما يقوى شهوته إلى

راموز الورقة الأولى من النسخة (و)



وعلى المسلمين فانه سبحانه وتعالى اذا
استودع شيا حفظه ونعم الحفيظ
تم وقال المؤلف رحمه الله نجز تعليقه
على يد مؤلفه احمد بن محمد بن ابي بكر
القسطلاني الشافعي يوم الجمعة ثاني
عشر صفر الخير سنة ثلاث وثمانين
وثمانماية وكان الفراغ من نقل هذه النسخة
المباركة يوم الثلاثا المبارك
تاسع عشرين ربيع الاول من
شهور سنة تسع والف
ومائة من الهجرة
النبوية على
صاحبها
افضل
الصلاة
والسلام

راموز الورقة الأخيرة من النسخة (و)



قَصِيدَةُ البُرْدَةِ

المُسَمَّاةُ

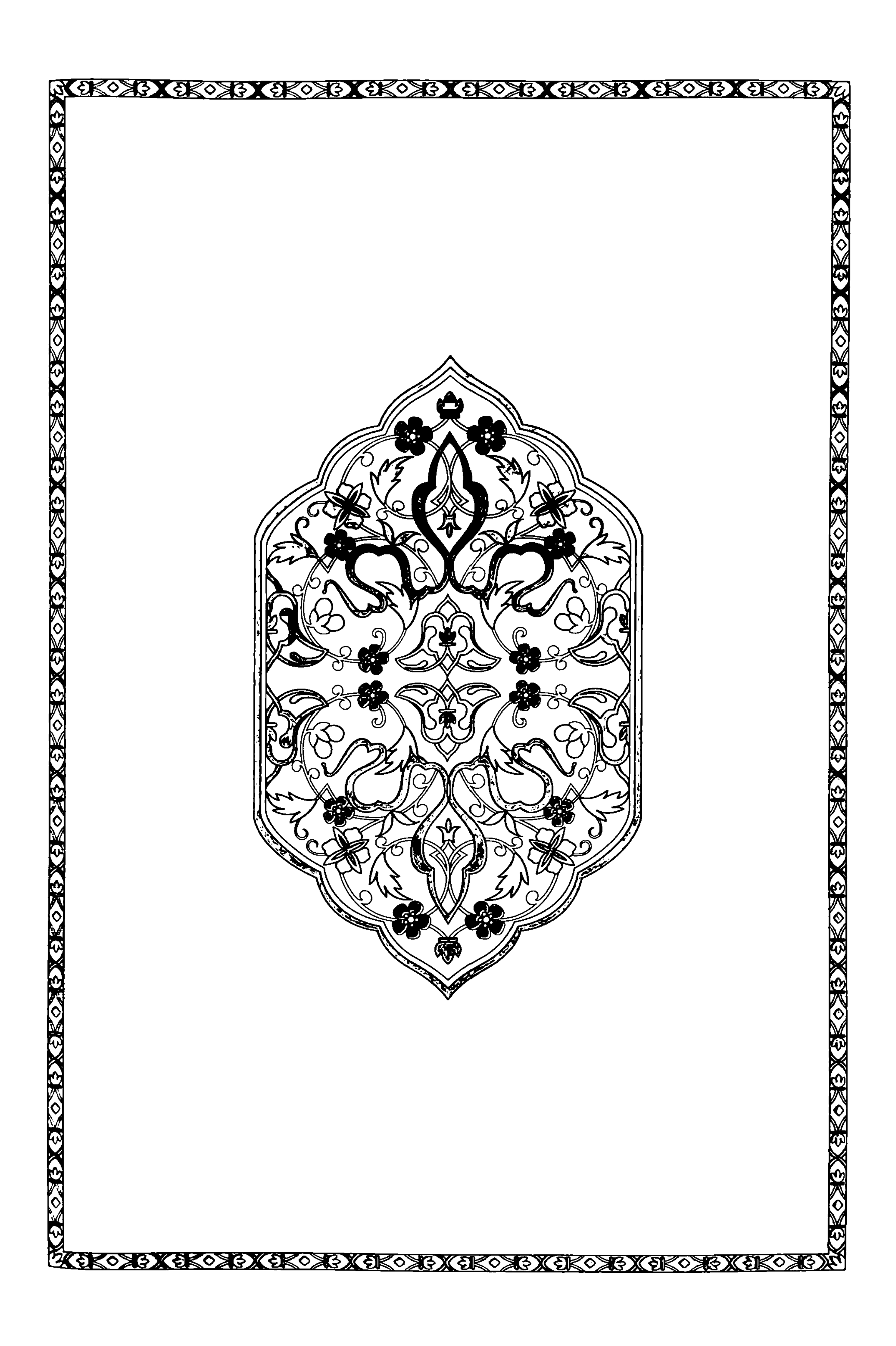
الكواكب الدّرّيّة في مدح خير البريّة
صلى الله عليه وسلم

للإمام الأديب البارع

شرف الدّين أبي عبد الله محمّد بن سعيد بن حمّاد

الصّنهاجيّ البوصيريّ

رحمه الله تعالى



قصيدة البردة
بالرواية التي شرح عليها الإمام القسطلاني
رحمه الله تعالى[1]

قال الإمام القسطلاني رحمه الله تعالى :

وقد أخبرني بالقصيدة المذكورة : الشيخ الأصيل أبو عبد الله محمد بن محمد المصريُّ الشافعيُّ ـ نفع الله به ـ قراءةً عليه لجميعها ، قال : أخبرنا مسند الدنيا محمد بن محمد السَّكَنْدريُّ القاهري سماعاً عليه ، قال : أخبرنا الشيخ الإمام العلامةُ أبو عمر[2] بن العلامة أبي عبد الله محمدٍ الكِنَاني[3] الشافعيُّ سماعاً عليه ، قال : أخبرنا العلامة أبو عبد الله محمد البوصيري إجازةً في شهر ربيع الأول سنة أربع وتسعين وست مئةٍ .

قال بعد أن نزَّل نفسه منزلة مخاطب يخاطبه لمَّا رآه باكياً قد امتزج دمعه بالدم ، مُستفهِماً له عن سبب بكائه بالهمزة :

---

(١) وقد نبَّهت على الروايات التي أشار إليها في « شرحه » ، والاختلافِ في ضبط بعض الألفاظ ، كما نبَّهت على الأبيات التي رجَّح أنها ليست منها ، وذكرت بعض الأمور المبثوثة في بعض الشروح ، وخصوصاً « إظهار صدق المودة » ، والله المستعان ، وعليه التكلان .

(٢) أبو عمر : هو قاضي القضاة عز الدين ابن جماعة (ت٧٦٧هـ) ، ووقع في بعض النسخ : (عمرو) ، وهو خطأ ، وانظر (ص ١٢٢) .

(٣) هو قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة والد عز الدين السابق (ت٧٣٣هـ) ، ووقع في بعض النسخ : (الكتاني) ، وهو خطأ ، وانظر (ص ١٢٢) .

الفصل الأول
في الغزل وشكوى الغرام[1]

١ـ أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ   مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَىٰ مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ[2]

٢ـ أَمْ هَبَّتِ ٱلرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ   وَأَوْمَضَ ٱلْبَرْقُ فِي ٱلظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ

٣ـ فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ ٱكْفُفَا هَمَتَا   وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ ٱسْتَفِقْ يَهِمِ

٤ـ أَيَحْسَبُ ٱلصَّبُّ أَنَّ ٱلْحُبَّ مُنْكَتِمٌ   مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمِ

٥ـ لَوْلا ٱلْهَوَىٰ لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَىٰ طَلَلٍ   وَلا أَرِقْتَ لِذِكْرِ ٱلْبَانِ وَٱلْعَلَمِ

٦ـ وَلا أَعَارَتْكَ لَوْنَيْ عَبْرَةٍ وَضَنىً   ذِكْرَى ٱلْخِيَامِ وَذِكْرَىٰ سَاكِنِي ٱلْخِيَمِ[3]

٧ـ فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبّاً بَعْدَمَا شَهِدَتْ   بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ ٱلدَّمْعِ وَٱلسَّقَمِ

٨ ـ وَأَثْبَتَ ٱلْوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وَضَنىً   مِثْلَ ٱلْبَهَارِ عَلَىٰ خَدَّيْكَ وَٱلْعَنَمِ

٩ـ نَعَمْ سَرَىٰ طَيْفُ مَنْ أَهْوَىٰ فَأَرَّقَنِي   وَٱلْحُبُّ يَعْتَرِضُ ٱللَّذَّاتِ بِٱلأَلَمِ

١٠ـ يَا لائِمِي فِي ٱلْهَوَى ٱلْعُذْرِيِّ مَعْذِرَةً   مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

١١ـ عَدَتْكَ حَالِيَ لا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ   عَنِ ٱلْوُشَاةِ وَلا دَائِي بِمُنْحَسِمِ

---

(١) جميع الفصول هي زيادة منِّي ، فليتنبَّه .

(٢) قال الإمام الباجوري في « حاشيته على البردة » (ص٥) : (قد اشتهر ابتداء هـٰذه القصيدة ببيت مشتمل على الحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهو :

الحمدُ للهِ مُنشِي الخَلْقِ من عدمِ   ثم الصلاةُ على المختارِ في القِدَمِ

وهو ليس منها ؛ لأنه وإن كان ثناءً حسناً في ذاته ، إلا أن ابتداء القصائد به غيرُ مستحسَن) .

(٣) نبَّه في هامش (هـ) من « مشارق الأنوار المضية » : أن هـٰذا البيت لم يثبته غير الإمام القسطلاني ، وانظر ما علقته (ص ١٣٩) .

١٢ـ مَحَضْتَنِي ٱلنُّصحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ ... إنَّ ٱلْمُحِبَّ عَنِ ٱلْعُذَّالِ فِي صَمَمِ

١٣ـ إنِّي ٱتَّهَمْتُ نَصِيحَ ٱلشَّيْبِ فِي عَذَلِي ... وَٱلشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ ٱلتُّهَمِ

الفصل الثاني
في التحذير من هوى النفس

١٤ـ فَإنَّ أَمَّارَتِي بِٱلسُّوءِ مَا ٱتَّعَظَتْ ... مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ ٱلشَّيْبِ وَٱلْهَرَمِ

١٥ـ وَلا أَعَدَّتْ مِنَ ٱلْفِعْلِ ٱلْجَمِيلِ قِرَىٰ ... ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ

١٦ـ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أُوَقِّرُهُ ... كَتَمْتُ سِرّاً بَدَا لِي مِنْهُ بِٱلْكَتَمِ

١٧ـ مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا ... كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ ٱلْخَيْلِ بِٱللُّجُمِ

١٨ـ فَلا تَرُمْ بِٱلْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا ... إنَّ ٱلطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ ٱلنَّهِمِ

١٩ـ وَٱلنَّفْسُ كَٱلطِّفْلِ إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَىٰ ... حُبِّ ٱلرَّضَاعِ وَإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

٢٠ـ فَٱصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ ... إنَّ ٱلْهَوَىٰ مَا تَوَلَّىٰ يُصْمِ أَوْ يَصِمِ(1)

٢١ـ وَرَاعِهَا وَهْيَ فِي ٱلأَعْمَالِ سَائِمَةٌ ... وَإنْ هِيَ ٱسْتَحْلَتِ ٱلْمَرْعَىٰ فَلا تُسِمِ

٢٢ـ كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً ... مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ ٱلسُّمَّ فِي ٱلدَّسَمِ

٢٣ـ وَٱخْشَ ٱلدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ ... فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ ٱلتُّخَمِ

٢٤ـ وَٱسْتَفْرِغِ ٱلدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ ٱمْتَلأَتْ ... مِنَ ٱلْمَحَارِمِ وَٱلْزَمْ حِمْيَةَ ٱلنَّدَمِ

٢٥ـ وَخَالِفِ ٱلنَّفْسَ وَٱلشَّيْطَانَ وَٱعْصِهِمَا ... وَإنْ هُمَا مَحَضَاكَ ٱلنُّصْحَ فَٱتَّهِمِ

٢٦ـ وَلا تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْماً وَلا حَكَماً ... فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ ٱلْخَصْمِ وَٱلْحَكَمِ

٢٧ـ أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلا عَمَلٍ ... لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِي عُقُمِ

---

(١) قوله : (تُوَلِّيَهُ) أي : تُؤَمِّرَه ، ويروىٰ : (تُواليَهُ) من الموالاة ، وهو كذلك في بعض نسخ « مشارق الأنوار المضية » انظر (ص ١٦٥) .

٢٨ـ أَمَرْتُكَ ٱلْخَيْرَ لَـكِنْ مَا ٱئْتَمَرْتُ بِهِ ... وَمَا ٱسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ ٱسْتَقِمِ

٢٩ـ وَلا تَـزَوَّدْتُ قَبْـلَ ٱلْمَـوْتِ نَـافِلَـةً ... وَلَمْ أُصَلِّ سِوَىٰ فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

الفصل الثالث
في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

٣٠ـ ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا ٱلظَّلامَ إِلَـىٰ ... أَنِ ٱشْتَكَـتْ قَـدَمَـاهُ ٱلضُّرَّ مِـنْ وَرَمِ

٣١ـ وَشَـدَّ مِـنْ سَغَـبٍ أَحْشَـاءَهُ وَطَـوَىٰ ... تَحْتَ ٱلْحِجَارَةِ كَشْحاً مُتْرَفَ ٱلأَدَمِ

٣٢ـ وَرَاوَدَتْـهُ ٱلْجِبَـالُ ٱلشُّـمُّ مِـنْ ذَهَـبٍ ... عَـنْ نَفْسِـهِ فَـأَرَاهَـا أَيَّمَـا شَمَـمِ

٣٣ـ وَأَكَّـدَتْ زُهْـدَهُ فِيهَـا ضَـرُورَتُـهُ ... إِنَّ ٱلضَّرُورَةَ لا تَعْدُو عَلَى ٱلْعِصَمِ

٣٤ـ وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى ٱلدُّنْيَا ضَرُورَةُ مَنْ ... لَوْلاهُ لَمْ تَخْرُجِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْعَدَمِ

٣٥ـ مُحَمَّـدٌ سَيِّـدُ ٱلْكَـوْنَيْـنِ وَٱلثَّقَلَيْـ ... ـنِ وَٱلْفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

٣٦ـ نَبِيُّنَـا ٱلآمِـرُ ٱلنَّـاهِـي فَـلا أَحَـدٌ ... أَبَـرَّ فِـي قَـوْلِ لا مِنْـهُ وَلا نَعَـمِ

٣٧ـ هُوَ ٱلْحَبِيبُ ٱلَّذِي تُرْجَىٰ شَفَاعَتُهُ ... لِكُـلِّ هَـوْلٍ مِـنَ ٱلأَهْـوَالِ مُقْتَحَـمِ

٣٨ـ دَعَـا إِلَـى ٱللهِ فَـٱلْمُسْتَمْسِكُـونَ بِـهِ ... مُسْتَمْسِكُـونَ بِحَبْـلٍ غَيْـرِ مُنْفَصِـمِ

٣٩ـ فَـاقَ ٱلنَّبِيِّـنَ فِي خَلْـقٍ وَفِي خُلُـقٍ ... وَلَـمْ يُـدَانُـوهُ فِـي عِلْـمٍ وَلا كَـرَمِ

٤٠ـ وَكُلُّهُـمْ مِـنْ رَسُـولِ ٱللهِ مُلْتَمِـسٌ ... غَرْفاً مِنَ ٱلْبَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ ٱلدِّيَمِ

٤١ـ وَوَاقِفُـونَ لَـدَيْـهِ عِنْـدَ حَـدِّهِـمِ ... مِنْ نُقْطَةِ ٱلْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ ٱلْحِكَمِ

٤٢ـ فَهْـوَ ٱلَّـذِي تَـمَّ مَعْنَـاهُ وَصُـورَتُـهُ ... ثُـمَّ ٱصْطَفَـاهُ حَبِيبـاً بَـارِئُ ٱلنَّسَـمِ

٤٣ـ مُنَزَّهٌ عَـنْ شَـرِيـكٍ فِـي مَحَـاسِنِـهِ ... فَجَـوْهَـرُ ٱلْحُسْـنِ فِيـهِ غَيْـرُ مُنْقَسِـمِ

٤٤ـ دَعْ مَـا ٱدَّعَتْـهُ ٱلنَّصَـارَىٰ فِـي نَبِيِّهِـمِ ... وَٱحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحاً فِيهِ وَٱحْتَكِمِ

٤٥ـ وَٱنْسُبْ إِلَىٰ ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ ... وَٱنْسُبْ إِلَىٰ قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

٤٦ـ فَـإِنَّ فَضْـلَ رَسُـولِ ٱللهِ لَيْـسَ لَـهُ ... حَـدٌّ فَيُعْـرِبَ عَنْـهُ نَـاطِـقٌ بِفَـمِ

٤٧ـ لَـوْ نَـاسَبَـتْ قَـدْرَهُ آيَـاتُـهُ عِظَمـاً أَحْيَا ٱسْمُهُ حِينَ يُدْعَىٰ دَارِسَ ٱلرِّمَمِ

٤٨ـ لَـمْ يَمْتَحِنَّـا بِمَـا تَعْيَـا ٱلْعُقُـولُ بِـهِ حِرْصاً عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ[1]

٤٩ـ أَعْيَا ٱلْوَرَىٰ فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَىٰ فِي ٱلْقُرْبِ وَٱلْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ

٥٠ـ كَـٱلشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْـنِ مِـنْ بُعُدٍ صَغِيـرَةً وَتُكِـلُّ ٱلطَّـرْفَ مِـنْ أَمَـمِ

٥١ـ وَكَيْـفَ يُـدْرِكُ فِـي ٱلـدُّنْيَـا حَقِيقَتَـهُ قَـوْمٌ نِيَـامٌ تَسَلَّـوْا عَنْـهُ بِـٱلْحُلُـمِ

٥٢ـ فَمَبْلَـغُ ٱلْعِلْـمِ فِيـهِ أَنَّـهُ بَشَـرٌ وَأَنَّـهُ خَيْـرُ خَلْـقِ ٱللهِ كُلِّهِـمِ

٥٣ـ وَكُـلُّ آيٍ أَتَـى ٱلـرُّسْـلُ ٱلْكِـرَامُ بِهَـا فَـإِنَّمَـا ٱتَّصَلَـتْ مِـنْ نُـورِهِ بِهِـمِ

٥٤ـ فَـإِنَّـهُ شَمْـسُ فَضْـلٍ هُـمْ كَـوَاكِبُهَـا يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي ٱلظُّلَمِ

٥٥ـ أَكْـرِمْ بِخَلْـقِ نَبِـيٍّ زَانَـهُ خُلُـقٌ بِـٱلْحُسْنِ مُشْتَمِـلٍ بِـٱلْبِشْرِ مُتَّسِمِ

٥٦ـ كَٱلزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَٱلْبَدْرِ فِي شَرَفٍ وَٱلْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَٱلدَّهْرِ فِي هِمَمِ

٥٧ـ كَـأَنَّـهُ وَهْـوَ فَـرْدٌ مِـنْ جَـلالَتِـهِ فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمِ[2]

٥٨ـ كَأَنَّمَا ٱللُّؤْلُؤُ ٱلْمَكْنُونُ فِي صَدَفٍ مِـنْ مَعْـدِنَـيْ مَنْطِقٍ مِنْـهُ وَمُبْتَسَـمِ

٥٩ـ لا طِيـبَ يَعْـدِلُ تُـرْبـاً ضَـمَّ أَعْظُمَـهُ طُـوبَـىٰ لِمُنْتَشِـقٍ مِنْـهُ وَمُلْتَثِـمِ

الفصل الرابع
في مولده صلى الله عليه وسلم

٦٠ـ أَبَـانَ مَـوْلِـدُهُ عَـنْ طِيـبِ عُنْصُـرِهِ يَـا طِيـبَ مُبْتَـدَأٍ مِنْـهُ وَمُخْتَتَـمِ

٦١ـ يَـوْمٌ تَفَـرَّسَ فِيـهِ ٱلْفُـرْسُ أَنَّهُـمُ قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ ٱلْبُؤْسِ وَٱلنِّقَمِ

٦٢ـ وَبَـاتَ إِيـوَانُ كِسْـرَىٰ وَهْـوَ مُنْصَـدِعٌ كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَىٰ غَيْرَ مُلْتَئِمِ

٦٣ـ وَٱلنَّارُ خَامِدَةُ ٱلأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ عَلَيْهِ وَٱلنَّهْرُ سَاهِي ٱلْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ

---

(١) في بعض النسخ: (القلوب) بدل (العقول) انظر (ص ٢١٨).

(٢) في رواية أشار إليها القسطلاني: (في جلالته) بدل (من جلالته) انظر (ص ٢٣٠).

٦٤ـ وَسَاءَ سَاوَةَ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا ... وَرُدَّ وَارِدُهَا بِٱلْغَيْظِ حِينَ ظَمِي

٦٥ـ كَأَنَّ بِٱلنَّارِ مَا بِٱلْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ ... حُزْناً وَبِٱلْمَاءِ مَا بِٱلنَّارِ مِنْ ضَرَمِ

٦٦ـ وَٱلْجِنُّ تَهْتِفُ وَٱلأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ ... وَٱلْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنىً وَمِنْ كَلِمِ

٦٧ـ عَمُوا وَصَمُّوا فَإِعْلانُ ٱلْبَشَائِرِ لَمْ ... تُسْمَعْ وَبَارِقَةُ ٱلإِنْذَارِ لَمْ تُشَمِ

٦٨ـ وَ بَعْدَ مَا أَخْبَرَ ٱلأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ ... بِأَنَّ دِينَهُمُ ٱلْمُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

٦٩ـ وَبَعْدَمَا عَايَنُوا فِي ٱلأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ ... مُنْقَضَّةٍ وَفْقَ مَا فِي ٱلأَرْضِ مِنْ صَنَمِ

٧٠ـ حَتَّىٰ غَدَا عَنْ طَرِيقِ ٱلْوَحْيِ مُنْهَزِمٌ ... مِنَ ٱلشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ

٧١ـ كَأَنَّهُمْ هَرَباً أَبْطَالُ أَبْرَهَةٍ ... أَوْ عَسْكَرٌ بِٱلْحَصَىٰ مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي[1]

الفصل الخامس
في معجزاته صلى الله عليه وسلم

٧٢ـ نَبْذاً بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا ... نَبْذَ ٱلْمُسَبِّحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ

٧٣ـ جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ ٱلأَشْجَارُ سَاجِدَةً ... تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَىٰ سَاقٍ بِلا قَدَمِ[2]

٧٤ـ كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْراً لِمَا كَتَبَتْ ... فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ ٱلْخَطِّ فِي ٱللَّقَمِ

٧٥ـ مِثْلُ ٱلْغَمَامَةِ أَنَّىٰ سَارَ سَائِرَةٌ ... تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي[3]

٧٦ـ أَقْسَمْتُ بِٱلْقَمَرِ ٱلْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ ... مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ ٱلْقَسَمِ

---

(١) **قوله** : (عسكرٌ) بالجر والرفع ؛ أي : كأنهم عسكرٌ ، أو كأنهم أبطال عسكرٍ . انظر (ص ٢٦٣) .

(٢) في نسخة أشار إليها ابن مرزوق : (بدعوته) بدل (لدعوته) ، والمثبت أبلغ في الإعجاز . انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٢٠٠) .

(٣) **قوله** : (حمي) هو فعلٌ ماضٍ ، وهو في موضع الصفة لـ (وطيس) ، أو الحالِ من (الهجير) ، ويحتمل أن يكون اسمَ فاعل نعتاً لـ (الهجير) ، فيكون رسمه حينئذٍ : (حمٍ) .

٧٧- وَمَا حَوَى ٱلْغَارُ مِنْ خِيرٍ وَمِنْ كَرَمِ ... وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ ٱلْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي[(١)]

٧٨- فَٱلصِّدْقُ فِي ٱلْغَارِ وَٱلصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا ... وَهُـمْ يَقُـولُـونَ مَـا بِـٱلْغَـارِ مِـنْ أَرِمِ

٧٩- ظَنُّوا ٱلْحَمَامَ وَظَنُّوا ٱلْعَنْكَبُوتَ عَلَىٰ ... خَيْـرِ ٱلْبَـرِيَّـةِ لَـمْ تَنْسُـجْ وَلَـمْ تَحُـمِ

٨٠ - وِقَـايَـةُ ٱللهِ أَغْنَـتْ عَـنْ مُضَـاعَفَـةٍ ... مِنَ ٱلدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ ٱلأُطُمِ

٨١ - مَا سَامَنِي ٱلدَّهْرُ ضَيْماً وَٱسْتَجَرْتُ بِهِ ... إِلَّا وَنِلْـتُ جُـوَاراً مِنْـهُ لَـمْ يُضَـمِ[(٢)]

٨٢ - وَلا ٱلْتَمَسْتُ غِنَى ٱلدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ ... إِلَّا ٱسْتَلَمْتُ ٱلنَّدَىٰ مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

٨٣ - لا تُنْكِرِ ٱلْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ ... قَلْبـاً إِذَا نَـامَـتِ ٱلْعَيْنَـانِ لَـمْ يَنَـمِ

٨٤ - فَـذَاكَ حِيـنَ بُلُـوغٍ مِـنْ نُبُـوَّتِـهِ ... فَلَيْـسَ يُنْكَـرُ مِنْـهُ حَـالُ مُحْتَلِـمِ[(٣)]

٨٥ - تَبَـارَكَ ٱللهُ مَـا وَحْـيٌ بِمُكْتَسَـبٍ ... وَلا نَبِـيٌّ عَلَـىٰ غَيْـبٍ بِمُتَّهَـمِ

٨٦ - كَـمْ أَبْـرَأَتْ وَصِبـاً بِـٱللَّمْـسِ رَاحَتُـهُ ... وَأَطْلَقَـتْ أَرِبـاً مِـنْ رِبْقَـةِ ٱللَّمَـمِ[(٤)]

٨٧ - وَأَحْيَـتِ ٱلسَّنَـةَ ٱلشَّهْبَـاءَ دَعْـوَتُـهُ ... حَتَّىٰ حَكَتْ غُرَّةً فِي ٱلأَعْصُرِ ٱلدُّهُمِ

٨٨ - بِعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْتَ ٱلْبِطَاحَ بِهَا ... سَيْباً مِنَ ٱلْيَمِّ أَوْ سَيْلاً مِنَ ٱلْعَرِمِ[(٥)]

---

(١) قوله : (خِير) وهو بكسر الخاء : الكرم ، وقيل بفتح الخاء : ضد الشر . انظر (ص ٢٨٠) .

(٢) في بعض النسخ التي وقف عليها الإمام القسطلاني : (ما ضامني الدهر يوماً) بدل (ما سامني الدهر ضيماً) انظر (ص ٢٨٨) .

(٣) قوله : (منهُ) في بعض النسخ : (فيه) انظر (ص ٢٩٣) .

(٤) قوله : (أُرَباً) ، ويحتمل أن تكون (أَرَباً) أي : ذا حاجة . انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٢٢٣) ، و(ص ٣٠٣) .

(٥) قوله : (سيباً) و(سيلاً) بالنصب كما هو في النسخ ، وفي النسخة التي شرح عليها ابن مرزوق بالرفع في (سيباً) علىٰ أنه مبتدأ مؤخر ، و(بها) خبر مقدم . انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٢٣١) ، وذكر القسطلاني في (ص ٣٠٦) أنه وقع هنا في بعض نسخ البردة تسعةُ أبيات يقال : إنها للإمام أبي علي بن الجيَّاب الأندلسي شارح الخزرجية ، وأعرض عن شرحها ؛ لكونها ليست ثابتة في روايته ؛ وهي هـٰذه الأبيات : =

٨٩ ـ دَعْنِي وَوَصْفِيَ آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ ظُهُورَ نَارِ ٱلْقِرَىٰ لَيْلاً عَلَىٰ عَلَمِ

٩٠ـ فَٱلدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْناً وَهْوَ مُنْتَظِمٌ وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غَيْرَ مُنْتَظِمِ

٩١ـ فَمَا تَطَاوَلَ آمَالُ ٱلْمَدِيحِ إِلَىٰ مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ ٱلأَخْلاقِ وَٱلشِّيَمِ[1]

الفصل السادس
في شرف القرآن ومدحه

٩٢ـ آيَاتُ حَقٍّ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثَةٌ قَدِيمَةٌ صِفَةُ ٱلْمَوْصُوفِ بِٱلْقِدَمِ[2]

٩٣ـ لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنَا عَنِ ٱلْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ

٩٤ـ دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ

٩٥ـ مُحَكَّمَاتٌ فَمَا يُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ لِذِي شِقَاقٍ وَمَا يَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ[3]

= لمَّا شَكَتْ وقعَهُ البطحاءُ قالَ لهُ على الرُّبا والهضابِ انهلَّ وانسَجِمِ

فـأدَّتِ الأرضُ مِنْ رزقٍ أمانتَها بـإذنِ خالقِها للناسِ والنَّعَمِ

وأُلبِسَتْ حُلَلاً مِنْ سندسٍ ولَوَتْ عمائماً برؤوسِ الهُضْبِ والأَكَمِ

فالنخلُ باسقةٌ تجلو قلائدَها مثلَ البَهارِ على الخدَّينِ والعَنَمِ

وفارقَ الناسَ داءُ القحطِ وانبعثَتْ إلى المكارمِ نفسُ النِّكْسِ والبَرِمِ

إذا تتبَّعْتَ آياتِ النبيِّ فقد ألحقتَ مُنفخِماً منها بمُنفَخِمِ

قُلْ للمحاولِ شَاوٍ في مدائحِهِ هي المواهبُ لم أَشْدُدْ لها زِيَمِي

ولا تَقُلْ لي بماذا نِلْتَ جيِّدَها فما يُقالُ لفضلِ اللهِ ذا بِكَمِ

لولا العنايةُ كانَ الأمرُ فيهِ على حدِّ السَّواءِ فذو نُطْقٍ كذي بَكَمِ

وانظر ما علقته في (ص ٣٠٦ـ ٣٠٧) .

(١) **قوله** : (**فما تطاوَلَ آمالُ**) (ما) هنا : نافية ، ويحتمل أن تكون استفهامية ، **وعليه** : يكون (تطاوُلُ) مصدراً مرفوعاً خبرَ (ما) الاستفهاميةِ ، و(آمالِ) مخفوضاً بالإضافة . انظر (ص ٣١١ـ ٣١٢) .

(٢) **قوله** : (**آيات**) يجوز بالرفع والنصب . انظر (ص ٣١٦) .

(٣) بمعنىٰ : حاكم ، وقال ابن مرزوق في « إظهاره » (ق/٢٤٦) : (ويروىٰ : =

٩٦ـ ما حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرَبٍ أَعْدَى ٱلأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِيَ ٱلسَّلَمِ

٩٧ـ رَدَّتْ بَلاغَتُهَا دَعْوَىٰ مُعَارِضِهَا رَدَّ ٱلْغَيُورِ يَدَ ٱلْجَانِي عَنِ ٱلْحُرَمِ

٩٨ـ لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ ٱلْبَحْرِ فِي مَدَدٍ وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي ٱلْحُسْنِ وَٱلْقِيَمِ

٩٩ـ فَمَا تُعَدُّ وَلا تُحْصَىٰ عَجَائِبُهَا وَلا تُسَامُ عَلَى ٱلإِكْثَارِ بِٱلسَّأَمِ

١٠٠ـ قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ ٱللهِ فَٱعْتَصِمِ

١٠١ـ إِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظىً أَطْفَأْتَ نَارَ لَظىً مِنْ وِرْدِهَا ٱلشَّبِمِ

١٠٢ـ كَأَنَّهَا ٱلْحَوْضُ تَبْيَضُّ ٱلْوُجُوهُ بِهِ مِنَ ٱلْعُصَاةِ وَقَدْ جَاؤُوهُ كَٱلْحُمَمِ

١٠٣ـ وَكَٱلصِّرَاطِ وَكَٱلْمِيزَانِ مَعْدِلَةً فَٱلْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي ٱلنَّاسِ لَمْ يَقُمِ

١٠٤ـ لا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا تَجَاهُلاً وَهْوَ عَيْنُ ٱلْحَاذِقِ ٱلْفَهِمِ

١٠٥ـ قَدْ تُنْكِرُ ٱلْعَيْنُ ضَوْءَ ٱلشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِرُ ٱلْفَمُ طَعْمَ ٱلْمَاءِ مِنْ سَقَمِ

الفصل السابع
في إسرائه ومعراجه صلى الله عليه وسلم

١٠٦ـ يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ ٱلْعَافُونَ سَاحَتَهُ سَعْياً وَفَوْقَ مُتُونِ ٱلأَيْنُقِ ٱلرُّسُمِ

١٠٧ـ وَمَنْ هُوَ ٱلآيَةُ ٱلْكُبْرَىٰ لِمُعْتَبِرٍ وَمَنْ هُوَ ٱلنِّعْمَةُ ٱلْعُظْمَىٰ لِمُغْتَنِمِ

١٠٨ـ سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إِلَىٰ حَرَمٍ كَمَا سَرَى ٱلْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ ٱلظُّلَمِ

١٠٩ـ وَبِتَّ تَرْقَىٰ إِلَىٰ أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ

١١٠ـ وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ ٱلأَنْبِيَاءِ بِهَا وَٱلرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَىٰ خَدَمِ[1]

= « ما يُلقين من حِكَمِ » أي : بما يُفدن ويستفاد منهن من الحِكَم جمع حكمة ، وألقيته : طرحته ؛ كأنها تطرح الحِكَمَ) .

(١) قوله : (والرسلِ) بالخفض ، وهو معطوف على (الأنبياء) ، ويحتمل الرفع ، ويكون معطوفاً علىٰ (جميع) ، فالأولُ صريح في العموم ، والثاني ظاهر فيه . انظر (ص ٣٤٥ـ٣٤٦) .

١١١- وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ ٱلسَّبْعَ ٱلطِّبَاقَ بِهِمْ ... فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ ٱلْعَلَمِ

١١٢- حَتَّىٰ إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْواً لِمُسْتَبِقٍ ... مِنَ ٱلدُّنُوِّ وَلا مَرْقىً لِمُسْتَنِمِ

١١٣- خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِٱلإِضَافَةِ إِذْ ... نُودِيتَ بِٱلرَّفْعِ مِثْلَ ٱلْمُفْرَدِ ٱلْعَلَمِ

١١٤- كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ أَيِّ مُسْتَتِرٍ ... عَنِ ٱلْعُيُونِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتِمِ(١)

١١٥- فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ ... وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ

١١٦- وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ ... وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ

١١٧- بُشْرَىٰ لَنَا مَعْشَرَ ٱلإِسْلامِ إِنَّ لَنَا ... مِنَ ٱلْعِنَايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ

١١٨- لَمَّا دَعَا ٱللهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ ... بِأَكْرَمِ ٱلرُّسْلِ كُنَّا أَكْرَمَ ٱلأُمَمِ

الفصل الثامن
في جهاده صلى الله عليه وسلم

١١٩- رَاعَتْ قُلُوبَ ٱلْعِدَا أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ ... كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ ٱلْغَنَمِ

١٢٠- مَا زَالَ يَلْقَاهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... حَتَّىٰ حَكَوْا بِٱلْقَنَا لَحْماً عَلَىٰ وَضَمِ

١٢١- وَدُّوا ٱلْفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ ... أَشْلاءَ شَالَتْ مَعَ ٱلْعِقْبَانِ وَٱلرَّخَمِ

١٢٢- تَمْضِي ٱللَّيَالِي وَلا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا ... مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي ٱلأَشْهُرِ ٱلْحُرُمِ

١٢٣- كَأَنَّمَا ٱلدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ ... بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَىٰ لَحْمِ ٱلْعِدَا قَرِمِ

١٢٤- يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ ... يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ ٱلأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ

١٢٥- مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلَّهِ مُحْتَسِبٍ ... يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ

١٢٦- حَتَّىٰ غَدَتْ مِلَّةُ ٱلإِسْلامِ وَهْيَ بِهِمْ ... مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةَ ٱلرَّحِمِ

١٢٧- مَكْفُولَةً أَبَداً مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ ... وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ

١٢٨- هُمُ ٱلْجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ ... مَاذَا رَأَىٰ مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ

---

(١) قوله : (تفوز) يحتمل الرفع والنصب . انظر (ص ٣٥٣) .

١٢٩ـ وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً ... فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَىٰ مِنَ ٱلْوَخَمِ[1]

١٣٠ـ ٱلْمُصْدِرِي ٱلْبِيضِ حُمْراً بَعْدَمَا وَرَدَتْ ... مِنَ ٱلْعِدَا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ ٱللِّمَمِ

١٣١ـ وَٱلْكَاتِبِينَ بِسُمْرِ ٱلْخَطِّ مَا تَرَكَتْ ... أَقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

١٣٢ـ إِنْ قَامَ فِي جَامِعِ ٱلْهَيْجَاءِ خَاطِبُهُمْ ... تَصَامَمَتْ عَنْهُ أُذْنَا صِمَّةِ ٱلصِّمَمِ

١٣٣ـ شَاكِي ٱلسِّلاحِ لَهُمْ سِيمَا تُمَيِّزُهُمْ ... وَٱلْوَرْدُ يَمْتَازُ بِٱلسِّيمَا عَنِ ٱلسَّلَمِ

١٣٤ـ تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ ٱلنَّصْرِ نَشْرَهُمُ ... فَتَحْسَبُ ٱلزَّهْرَ فِي ٱلأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي

١٣٥ـ كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ ٱلْخَيْلِ نَبْتُ رُباً ... مِنْ شِدَّةِ ٱلْحَزْمِ لا مِنْ شَدَّةِ ٱلْحُزُمِ[2]

١٣٦ـ طَارَتْ قُلُوبُ ٱلْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقاً ... فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ ٱلْبَهْمِ وَٱلْبُهَمِ

١٣٧ـ وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ ٱللهِ نُصْرَتُهُ ... إِنْ تَلْقَهُ ٱلأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ

١٣٨ـ وَلَنْ تَرَىٰ مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ ... بِهِ وَلا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِمِ[3]

١٣٩ـ أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ ... كَٱللَّيْثِ حَلَّ مَعَ ٱلأَشْبَالِ فِي أَجَمِ

١٤٠ـ كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَاتُ ٱللهِ مِنْ جَدِلٍ ... فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ ٱلْبُرْهَانُ مِنْ خَصِمِ

١٤١ـ كَفَاكَ بِٱلْعِلْمِ فِي ٱلأُمِّيِّ مُعْجِزَةً ... فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ وَٱلتَّأْدِيبِ فِي ٱلْيُتُمِ

---

(١) قوله : (فصولُ) أجاز ابن مرزوق فيها الرفع والنصب . انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٣٣٨) .

(٢) قوله : (من شِدَّة) الأولىٰ بمعنى : القوة ، قال ابن مرزوق في « إظهاره » (ق/ ٣٢٠) : (ويصح أن يكون بفتح الشين ؛ وهي الحملة الواحدة . . . إلا أن الرواية بالكسر) .

(٣) وفي بعض النسخ التي وقف عليها الإمام القسطلاني : (مُنفَصِم) بالفاء ؛ وهو من فَصَمه فانفصم وتفصَّم ؛ إذا كسره من غير أن يبين . انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٣٤٢) ، و(ص ٣٨٦) .

الفصل التاسع
في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم

١٤٢ـ خَـدَمْتُـهُ بِمَـدِيـحٍ أَسْتَقِيـلُ بِـهِ ... ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَىٰ فِي ٱلشِّعْرِ وَٱلْخِدَمِ

١٤٣ـ إِذْ قَلَّـدَانِـيَ مَـا تُخْشَـىٰ عَـوَاقِبُـهُ ... كَـأَنَّنِـي بِهِمَـا هَـدْيٌ مِـنَ ٱلنَّعَـمِ

١٤٤ـ أَطَعْتُ غَيَّ ٱلصِّبَا فِي ٱلْحَالَتَيْنِ وَمَا ... حَصَلْـتُ إِلَّا عَلَـى ٱلآثَـامِ وَٱلنَّـدَمِ

١٤٥ـ فَيَـا خَسَـارَةَ نَفْسٍ فِـي تِجَـارَتِهَـا ... لَمْ تَشْتَرِ ٱلدِّينَ بِٱلدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ

١٤٦ـ وَمَـنْ يَبِـعْ آجِـلاً مِنْـهُ بِعَـاجِلِـهِ ... يَبِنْ لَهُ ٱلْغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ

١٤٧ـ إِنْ آتِ ذَنْباً فَمَـا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ ... مِـنَ ٱلنَّبِـيِّ وَلا حَبْلِـي بِمُنْصَـرِمِ

١٤٨ـ فَـإِنَّ لِـي ذِمَّـةً مِنْـهُ بِتَسْمِيَتِـي ... مُحَمَّداً وَهْوَ أَوْفَى ٱلْخَلْقِ بِٱلذِّمَمِ

١٤٩ـ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذاً بِيَدِي ... فَضْـلاً وَإِلاَّ فَقُـلْ يَـا زَلَّـةَ ٱلْقَـدَمِ[1]

١٥٠ـ حَاشَاهُ أَنْ يَحْرِمَ ٱلرَّاجِي مَكَارِمَهُ ... أَوْ يَرْجِعَ ٱلْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ[2]

١٥١ـ وَمُنْـذُ أَلْـزَمْـتُ أَفْكَـارِي مَـدَائِحَـهُ ... وَجَـدْتُـهُ لِخَـلاصِـي خَيْـرَ مُلْتَـزِمِ

١٥٢ـ وَلَنْ يَفُوتَ ٱلْغِنَىٰ مِنْهُ يَداً تَرِبَتْ ... إِنَّ ٱلْحَيَا يُنْبِتُ ٱلأَزْهَارَ فِي ٱلأَكَمِ

١٥٣ـ وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ ٱلدُّنْيَا ٱلَّتِي ٱقْتَطَفَتْ ... يَـدَا زُهَيْـرٍ بِمَـا أَثْنَـىٰ عَلَـىٰ هَـرِمِ

الفصل العاشر
في المناجاة وعرض الحاجات

١٥٤ـ يَا أَكْرَمَ ٱلْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ ٱلْحَادِثِ ٱلْعَمِمِ

---

(١) قوله : (وإلاَّ) أي : فضلاً وعهداً ، ويروىٰ : (وإلا) دون تنوين ، ويكون شرطاً حذف فعله وجوابه لدلالة السياق والعقل عليه ؛ أي : وإن كان آخذاً بيدي في معادي.. فقل : يا ثبوت قدمي ، وقيل : الرواية : (فإن يكن في معادي) انظر (ص٤٠٢ـ ٤٠٣) .

(٢) ويصح أن يكون (يُحرَمَ) بالبناء للمفعول بدل (يَحرِمَ) انظر (ص ٤٠٥) .

١٥٥ـ وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ ٱللهِ جَاهُكَ بِي ... إِذَا ٱلْكَرِيمُ تَحَلَّىٰ بِٱسْمِ مُنْتَقِمِ

١٥٦ـ فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ ٱلدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ ٱللَّوْحِ وَٱلْقَلَمِ

١٥٧ـ يَا نَفْسِ لا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ ... إِنَّ ٱلْكَبَائِرَ فِي ٱلْغُفْرَانِ كَٱللَّمَمِ

١٥٨ـ لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا ... تَأْتِي عَلَىٰ حَسَبِ ٱلْعِصْيَانِ فِي ٱلْقِسَمِ

١٥٩ـ يَا رَبِّ وَٱجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ ... لَدَيْكَ وَٱجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ

١٦٠ـ وَٱلْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي ٱلدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ ... صَبْراً مَتَىٰ تَدْعُهُ ٱلأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ

١٦١ـ وَأْذَنْ لِسُحْبِ صَلاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ ... عَلَى ٱلنَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ (١)

١٦٢ـ مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ ٱلْبَانِ رِيحُ صَباً ... وَأَطْرَبَ ٱلْعِيسَ حَادِي ٱلْعِيسِ بِٱلنَّغَمِ (٢)

* * *

---

(١) قال القسطلاني : وأدخل بعضهم هنا بيتاً حسناً لا بأس بإدخاله ؛ وهو :

وآلِهِ الغُرِّ والصحبِ الذين عَلَوا ... أهلِ الصفا والوفا والجودِ والكرم

(٢) قال الباجوري في « حاشيته على البردة » (ص٩٥) : ويوجد في بعض النسخ أبيات لم يشرح عليها أحد من الشارحين ، ولكن لا بأس بها ؛ وهي :

ثمَّ الرِّضا عن أبي بكرٍ وعن عمرٍ ... وعن عليٍّ وعن عثمانَ ذي الكَرَمِ

والآلِ والصحبِ ثمَّ التابعينَ فهُمْ ... أهلُ التُّقىٰ والنَّقا والحِلْمِ والكَرَمِ

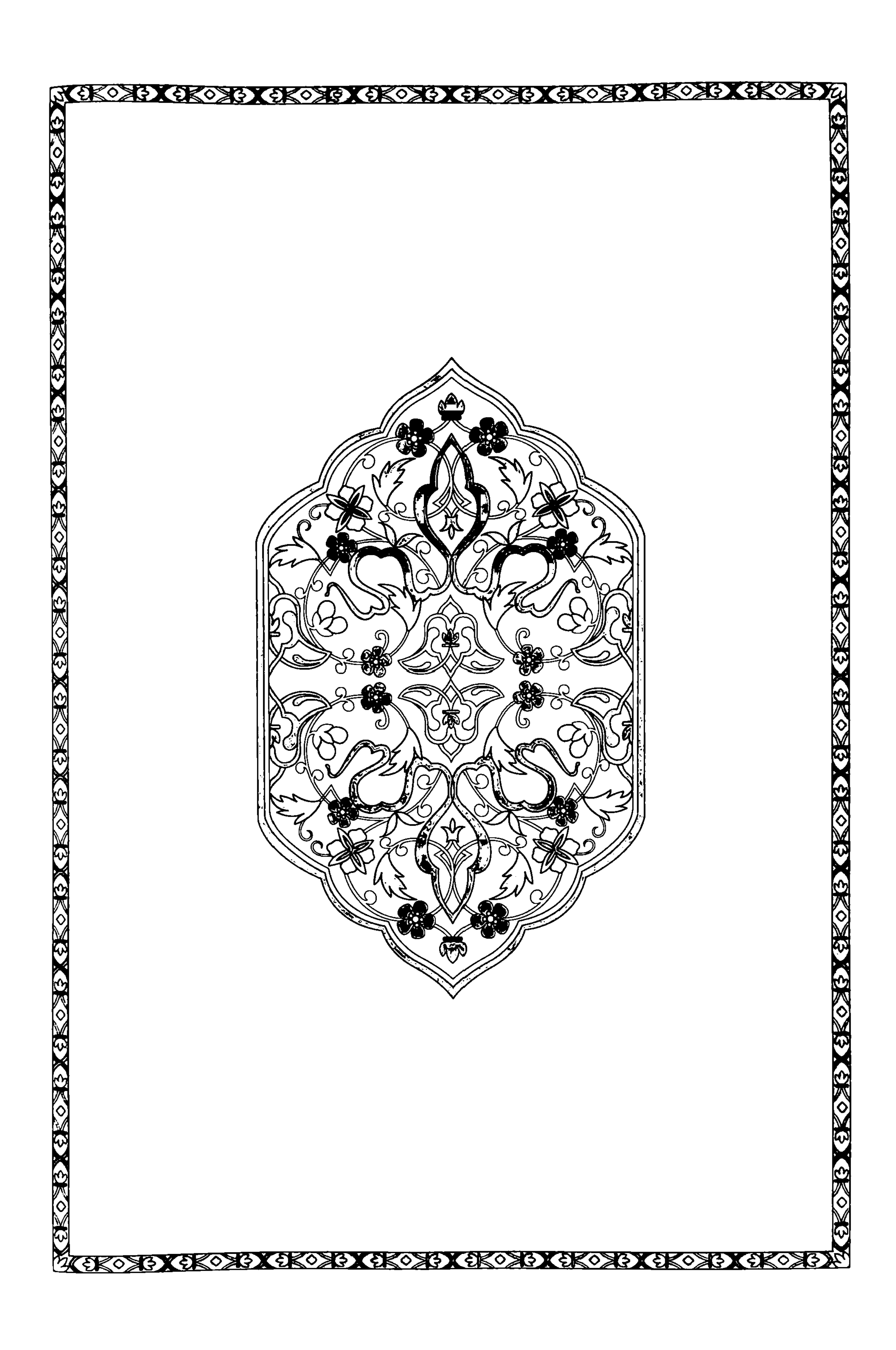
يا ربِّ بالمصطفىٰ بَلِّغْ مقاصدَنا ... واغفِرْ لنا ما مضىٰ يا واسعَ الكَرَمِ

واغفِرْ إلٰهي لكلِّ المسلمينَ بما ... يتلوهُ في المسجدِ الأقصىٰ وفي الحَرَمِ

بجاهِ مَنْ بيتُهُ في طيبةٍ حَرَمٌ ... وإسمُهُ قَسَمٌ من أعظمِ القَسَمِ

وهٰذهِ بردةُ المختارِ قد خُتِمَتْ ... والحمدُ للهِ في بَدْءٍ وفي خَتَمِ

أبياتُها قد أتَتْ ستِّين مع مئةٍ ... فَرِّجْ بها كربَنا يا واسعَ الكَرَمِ



شرح البردة

المسمّى

مشارق الأنوار المضيّة

تأليف

الإمام المقرئ المحدّث

شهاب الدين أبي العبّاس أحمد بن محمّد القسطلّاني

يُطبع بالاعتماد على ستّ نسخ خطّيّة نفيسة

وبذيله القصيدة البديعة

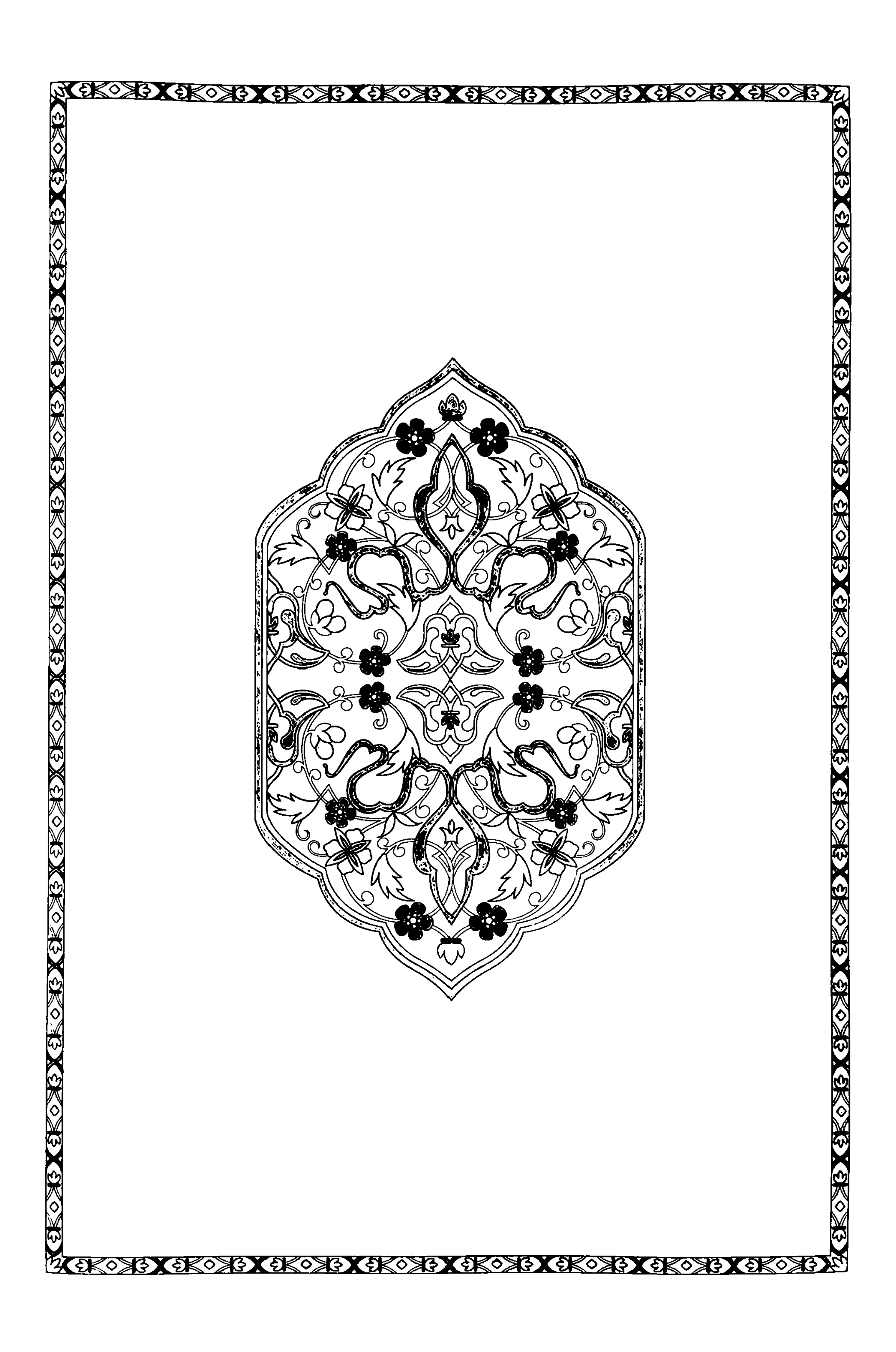
الشّقراطسيّة

حقّقه وعلّق عليه

بلال محمّد حاتم السّقا

دار التّقوى

دمشق الشام



خطبة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قالَ الشيخُ الإمامُ العالمُ العلَّامةُ، فريدُ دهرِهِ، ووحيدُ عصرِهِ، شهابُ الدينِ أبو الفضائلِ ، أحمدُ بنُ سيِّدِنا الشيخِ شمسِ الدينِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ القَسْطلَّانيِّ[١] ، فسحَ اللهُ في مُدَّتِهِ ، ونفعَ المسلمينَ بعلومِهِ وبرَكتِهِ[٢] :

الحمدُ للهِ الذي شرحَ بمَدْحِ نبيِّنا محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قلوبَ أوليائِهِ ، ونعَّمَ أرواحَ مُحبِّيهِ في رياضِ معاني أسمائِهِ ، ووشَّحَهُم ببُردةِ محاسنِهِ وطيَّبَ أسرارَهُم بطِيبِ ثنائِهِ[٣] .

أحمدُهُ على ما منحَنا مِنْ عَطائِهِ[٤] ، وأَسْدىٰ مِنْ آلائِهِ ، وأشكرُهُ على ما مَنَّ بهِ مِنْ كَشْفِ غِطائِهِ ، ودَفْعِ لأْوائِهِ[٥] .

وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ إلـٰهٌ تفرَّدَ في أزليَّتِهِ معَ

---

(١) ضبطته بفتح القاف مع تشديد اللام على ما هو المشهور . انظر ما سبق في (ص٤٢ـ٤٣) .

(٢) الديباجة في (هـ) : (يقول فقير عفو الله أحمد بن محمد القسطلاني) ، وسقطت من (ج ، و) .

(٣) وهـٰذا إلماح من الشارح إلى المقصود من هـٰذا المؤلف ، وهو ما يُسمَّىٰ بـ (براعة الاستهلال) ، وسيأتي الحديث عنها في (ص ١٢٧) .

(٤) في (أ ، ج ، هـ) : (منحنا به) بدل (منحنا) ، والأنسب ما أثبت .

(٥) اللَّأواء : الشِّدة .

كبريائِهِ[1] ، وتوحَّدَ في صمديَّتِهِ بدوامِ بقائِهِ .

وأشهدُ أنَّ سيدَنا محمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ خاتَمُ أنبيائِهِ ، وأكرمُ مُبلِّغٍ لأنبائِهِ[2] ، صلَّى اللهُ وسلَّمَ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ وأتباعِهِ وخُلَفائِهِ ، ما رنَّحتْ عَذَباتِ البانِ ريحُ صَباً وأطربَ العِيسَ حادي العِيسِ بحُدائِهِ[3] .

وبعـد :

فهـٰذا تعليقٌ على القصيدةِ الموسومةِ بـ : « **البُردةِ** » التي نَظَمَها الإمامُ العالمُ العلامةُ شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ سعيدِ بنِ حمَّادٍ البُوصِيريُّ ـ أثابَهُ اللهُ الفردوسَ ـ مِنَ البحرِ المُسمَّىٰ بـ : (البسيطِ) ، وامتدحَ بها سيِّدَ المُرسَلينَ ، وخاتَمَ النبيِّينَ ؛ محمَّداً عليهِ أفضلُ الصلاةِ والتسليمِ .

اختصرتُ فيهِ « شرحَها » للعلامةِ **الأستاذِ** المُحققِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ ابنِ مرزوقٍ المغربيِّ التِّلِمْسانيِّ المالكيِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ[4] ، معَ زياداتٍ مِنْ

---

(١) **اختار لفظ الشهادة دون العلم واليقين** ؛ لأنه أبلغُ في المعنىٰ ، وأظهرُ منهما ؛ لكونه مستعملاً في ظواهر الأشياء وبواطنها ، بخلاف العلم واليقين ؛ فإنهما يستعملان غالباً في البواطن فقط ؛ ولذا لو أتى الشاهد بلفظ (أعلم) و(أتيقَّن) مكانَ (أشهد) . . لم تُقبل شهادته . **انتهىٰ من هامش (د)** .

(٢) في (ج) : (لأنبيائه) .

(٣) في (أ ، ب ، د) : (حادٍ بحُدائه) بدل (حادي العيس بحدائه) ، **والعِيسُ** : الإبل البيض التي يخالط بياضَها شيءٌ من شُقْرة ، وهي من كرائمِ الإبل ، **والحُداء** : سَوْق الإبل والغناءُ لها ، وفي كلامه نوع من التضمين ؛ إذ قوله : (ما رنَّحت . . . حادي العيس) أخذه من البردة ، وسيأتي الحديث عن الحداء والكلام عن بعض أدبيَّاته عند شرح هـٰذا البيت في (ص ٤٢٥ـ٤٢٦) .

(٤) هو الإمام المقرئ المُحدِّث النحوي المُتفنِّن شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد العَجِيسيُّ التِّلِمْساني المالكي (ت ٨٤٢هـ) ، ويعرف بـ (ابن مَرْزُوق الحفيد) ، ويطلق عليه اختصاراً : (ابن مرزوق) ، ألف مؤلفاتٍ نفيسةً ماتعةً في فنون عديدة ، ورحل إلىٰ مدن كثيرة لطلب المعرفة ، وأخذ بها عن كبار أساطين =

غيرِهِ ؛ كـ « شرحِها » للإمامِ أبي العباسِ الأَسَديِّ[1] ، والعلامةِ المُحقِّقِ الجلالِ المحلِّي[2] ، وغيرِهِما .

وسمَّيتُهُ :

« مشارق الأنوار المضية في شرح الكواكب الدرية في مدح خير البرية »

واللهَ تعالىٰ أسألُ أنْ يَنظِمَني وأحبَّائي في سِلْكِ العلماءِ العاملينَ ، والأولياءِ المُقرَّبينَ .

* * *

= العلم ، وشرح البردة بشرح مطول وسمَّاه : « إظهار المودَّة » ، أو « صدق المودة » ، أو « إظهار صدق المودة » ، واختصره بـ « الاستيعاب لما في البردة من المعاني والبيان والبديع والإعراب » ، وله أيضاً : « الذخائر القراطيسية في شرح الشُّقراطيسية » ، وغير ذلك . انظر « الضوء اللامع » (٧/ ٥٠) .

(١) هو الإمام الفقيه المحقق الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عماد بن يوسف الأَقْفَهسي القاهري الشافعي (ت ٨٠٨هـ) ، يعرف بـ (ابن العماد) ، أَلَّف مؤلفاتٍ نفيسةً محققة ؛ ومنها : « التعقبات على المهمات » ، و« توقيف الحكام علىٰ غوامض الأحكام » ، و« القول التام في أحكام المأموم والإمام » ، و« شرح البردة » ، وغيرها . انظر « الضوء اللامع » (٢/ ٤٧ـ ٤٩) .

(٢) هو الإمام الفقيه الأصولي المحقق جلال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الأنصاري المحلي القاهري (ت ٨٦٤هـ) ، كان إماماً مُحقِّقاً مفرطَ الذكاء صحيح الذهن ؛ حتىٰ إنه كان يقول عن نفسه : (إن فهمي لا يقبل الخطأ) ، وأَلَّف مؤلفات عكف طلاب العلم والعلماء على الاستفادة منها ، ومن أجلِّها : « كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين » ، و« البدر الطالع في حل جمع الجوامع » ، وأَلَّف شرحاً لطيفاً على « البردة » انظر « الضوء اللامع » (٧/ ٣٩ـ ٤١) ، و(ص ٧٤) .

سند الإمام القسطلاني بقصيدة البردة

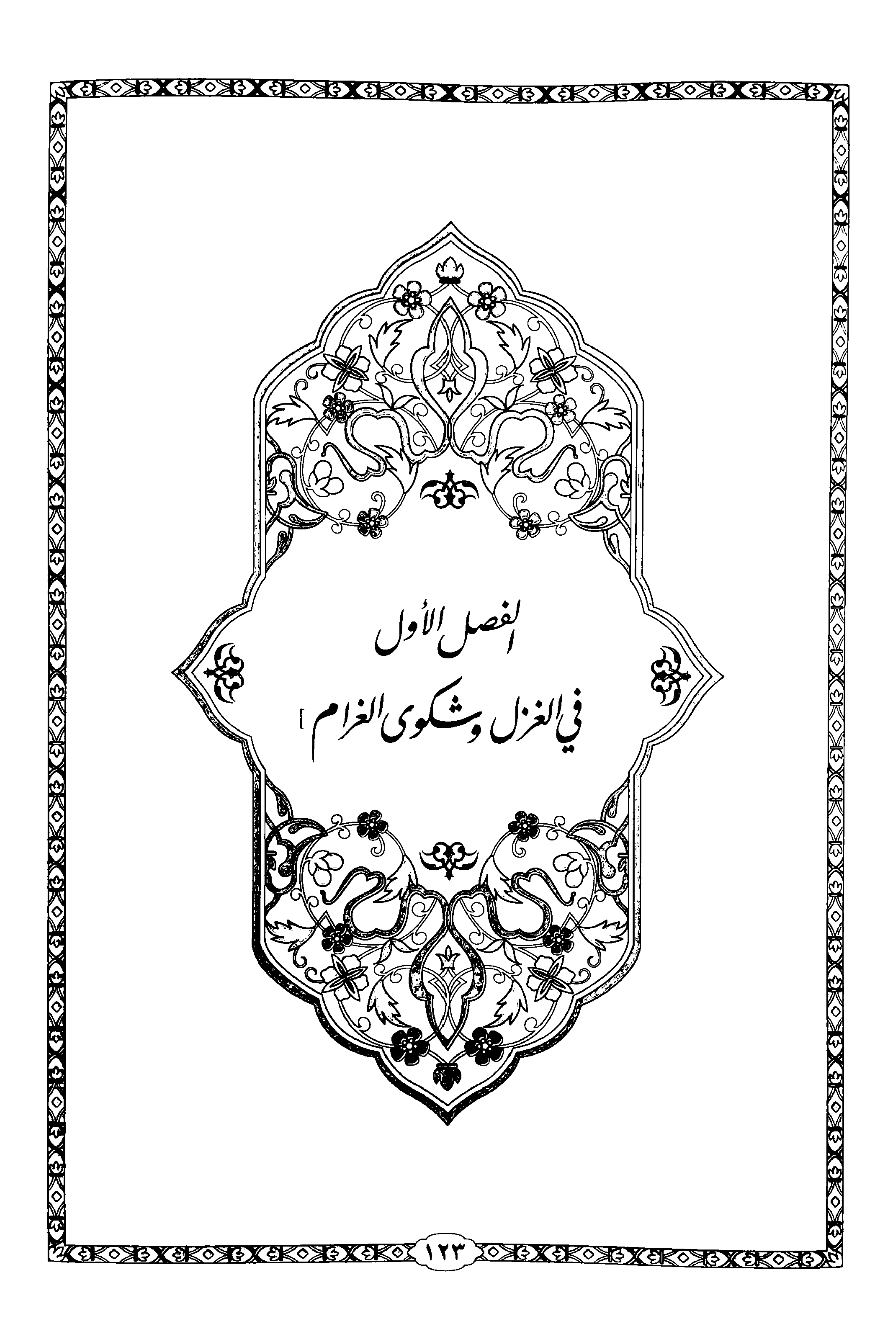
وقد أخبرَني بالقصيدةِ المذكورةِ : الشيخُ الأصيلُ أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ محمدٍ المصريُّ الشافعيُّ ـ نفعَ اللهُ بهِ ـ قراءةً عليهِ لجميعِها ، قالَ : أخبرَنا مُسنِدُ الدُّنيا محمَّدُ بنُ محمَّدٍ السَّكَنْدَريُّ القاهريُّ سماعاً عليهِ ، قالَ : أخبرَنا الشيخُ الإمامُ العلامةُ أبو عمرَ[1] بنُ العلامةِ أبي عبدِ اللهِ محمَّدٍ الكِنَانيُّ[2] الشافعيُّ سماعاً عليهِ ، قالَ : أخبرَنا العلامةُ أبو عبدِ اللهِ محمَّدٌ البُوصِيريُّ إجازةً في شهرِ ربيعِ الأولِ سنةَ أربعٍ وتسعينَ وستِّ مئةٍ .

* * *

---

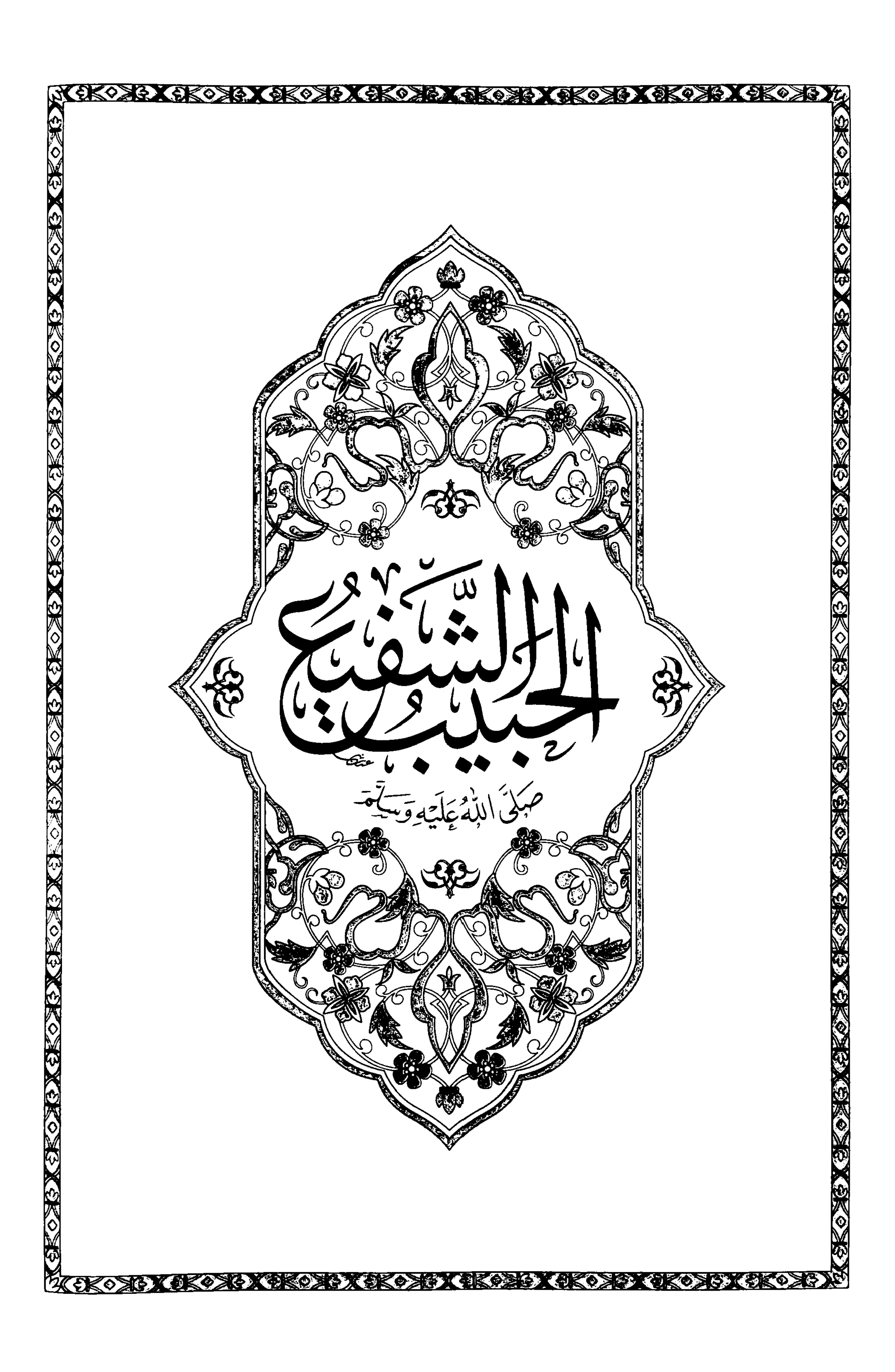
(١) في (ب) : (أبو عمرو) ، وهو خطأ ، وأبو عمر : هو قاضي القضاة عز الدين ابن جماعة المتوفىٰ سنة (٧٦٧هـ) ، والإمام البوصيري من جملة من أجاز له كما نصَّ علىٰ ذلك ابن حجر في « الدرر الكامنة » (٣/ ١٧٦) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (١٠/ ٧٩) وما بعدها .

(٢) في (ب) : (الكتاني) ، وهو خطأ ، وأبو عبد الله : هو قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة المتوفىٰ سنة (٧٣٣هـ) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٩/ ١٣٩) وما بعدها .



الفصل الأول

في الغزل وشكوى الغرام


الحبيب الشفيع
صلى الله عليه وسلم



البيت الأول

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَىٰ مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

قالَ بعدَ أنْ نزَّلَ نفسَهُ منزلةَ مُخاطَبٍ يُخاطِبُهُ لـمَّا رآهُ باكياً قدِ امتزجَ دمعُهُ بالدمِ ، مُستفهِماً لهُ عن سببِ بُكائِهِ بالهمزةِ[1] :

(**أَمِنْ**) بفتحِ الهمزةِ وكسرِ الميمِ (**تَذَكُّرِ**) بفتحِ الأوَّلَينِ وضمِّ الكافِ مُشدَّدةً ؛ مصدرُ (تَذَكَّرَ) كتَفَعَّلَ ؛ مِنَ الذِّكْرِ ضدِّ النسيانِ ، جارٌّ ومجرورٌ مُتعلِّقٌ بـ (مَزَجتَ) أُضِيفَ إلىٰ قولِهِ : (**جِيرانٍ**) بكسرِ الجيمِ كفِعْلانٍ ، جمعُ جارٍ ؛ أي : مِنْ أجلِ تذكُّرِ جيرانٍ كانوا (**بذي سَلَمِ**) وهوَ موضعٌ بينَ مكَّةَ والمدينةِ ، قريبٌ مِنْ قُديدٍ ، والباءُ فيهِ ظرفيَّةٌ ، وهوَ صفةٌ لـ(جيرانٍ) ، وعاملُهُ محذوفٌ ؛ أي : كائنينَ .

---

(١) قال الإمام الباجوري في « حاشيته على البردة » (ص٥) : (قد اشتهر ابتداء هـٰذه القصيدة ببيت مشتمل على الحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهو :

الحمدُ للهِ مُنشِي الخلقِ من عَدَمِ ثمَّ الصلاةُ على المختارِ في القِدَمِ

وهو ليس منها ؛ لأنه وإن كان ثناء حسناً في ذاته ، إلا أن ابتداء القصائد به غيرُ مُستحسَنٍ عند الأدباء ؛ لما جرت به عادتهم من افتتاح قصائدهم بذكر لوازم العشق ؛ من ذكر الأحبَّة وديارهم ، ومُقاساة الأحزان والأشواق ، وتحمُّلِ مكاره الفراق ، ويسمون ذلك غزلاً وتشبيباً ، ويعدون هـٰذا الصنيعَ من حسن المطلع ؛ لاهتمامهم بشأن العشق ، واغتنامهم شدائدَه ؛ ولذلك قال بعضهم : الشعر لا يُبدَأُ بالبسملة والحمدلة ، وقد جرت عادة الشعراء بأنهم يُجرِّدون من أنفسهم شخصاً يحاورونه دلالاً وعتاباً ، وسؤالاً وجواباً ؛ إيهاماً لندرة خبير يظهرون رموز العشق عليه ، وتخييلاً لقلة صديق يضمرون كنوز الحب لديه ، ولمَّا كان الناظم من أبلغهم وأفصحهم . . صنع هـٰذا الصنيعَ) ، كما ستراه بعد قليل إن شاء الله تعالىٰ .

وليُعلَمْ : أنَّ الذي يلي همزةَ الاستفهامِ هوُ المُستفهَمُ عنهُ ، فإنِ استفهمتَ عنِ الفعلِ . . قلتَ : (أضربتَ زيداً ؟) ، أو عنِ المفعولِ . . قلتَ : (أزيداً ضربتَ ؟) .

ولمَّا كانَ المُستفهَمُ عنهُ هنا إنَّما هوَ سببُ مَزْجِ الدمعِ بالدمِ . . أَوْلاهُ الهمزةَ ، ولمْ يُولِها المزجَ ؛ لأنَّهُ ليسَ مُحقَّقاً ، وأخَّرَهُ فقالَ :

(**مَزَجْتَ**) بفتحِ التاءِ ؛ أي : خلطْتَ (**دَمْعاً**) بالنصبِ على المفعوليَّةِ (**جرىٰ**) أي : سالَ (**مِنْ مُقلَةٍ بدمِ**) جارٌّ ومجرورٌ مُتعلِّقٌ بـ (جرىٰ) .

والمُقلَةُ : شَحْمةُ العينِ التي تجمعُ السوادَ والبياضَ ، وفيها الحَدَقَةُ ؛ وهيَ السوادُ الذي في وَسَطِ العينِ ، وفيها الناظرُ والإنسانُ ؛ وهوَ موضعُ البصرِ منها الذي تراهُ كأنَّهُ صورةٌ ، وليسَ بخلقٍ مخلوقٍ ، والعينُ كالمِرْآةِ إذا استقبلَها شخصٌ . . رأىٰ شخصَهُ فيها ؛ لشدَّةِ صفاءِ الناظرِ ، [والناظران] : عِرْقانِ في العينَينِ[١] ، وفي استيفاءِ الكلامِ علىٰ هـٰذهِ المادَّةِ طولٌ محلُّهُ كُتُبُ التشريحِ .

والدَّمُ : هوَ أحدُ الأمشاجِ الأربعةِ التي خُلِقَ منها الإنسانُ[٢] .

وفي قولِهِ : (جرىٰ مِنْ مُقْلَةٍ بدمِ) : **احتراسٌ** ، ويُسمَّىٰ أيضاً : **تكميلاً**[٣] ؛ لأنَّهُ لو اقتصرَ علىٰ قولِهِ : (مزجتَ دمعاً بدمِ) . . لكانَ ممَّا

---

(١) في النسخ : (والناظر أيضاً) بدل (والناظران) انظر « تاج العروس » (١٤/ ٢٤٦) ، مادة : (ن ظ ر) .

(٢) **الأمشاج** : الأخلاط ، **والأمشاج الأربعة** : هي ماء الرجل ، وماء المرأة ، والدم ، والعلقة .

(٣) **الاحتراس** : هو أن يأتي المتكلم بمعنىً يتوجَّه عليه فيه دَخَل فيفطن له ، فيأتي بما يخلصه من ذلك ، **وفرَّق ابن حِجَّة الحموي في « شرح بديعيَّته » بينه وبين التتميم والتكميل** : أن المعنىٰ قبل التكميل صحيح تام ، **ثم يأتي التكميل** بزيادة تُكمِّل =

يحتملُ الكلامُ أنَّ الدمعَ بعدَ انفصالِهِ مِنَ العينِ مُزِجَ بدمٍ أجنبيٍّ ، وليسَ هـٰذا مرادَهُ ، فدفعَهُ بقولِهِ : (جرىٰ مِنْ مُقلَةٍ بدمِ) ، **وبهـٰذا يُرَدُّ قولُ مَنْ قالَ**[1] : إنَّ قولَهُ : (مِنْ مُقْلَةٍ) حشوٌ لا فائدةَ فيهِ ؛ لأنَّ الدمعَ لا يجري إلا منها .

وتعريفُ الدمعِ : هوَ الماءُ المالحُ السائلُ مِنَ العينِ معَ البُكاءِ[2] ؛ سُخْنٌ إن كانَ للحزنِ ، وإلا . . فباردٌ .

وسببُهُ : مُضاعَفةُ الحرارةِ الغريزيَّةِ بالحرارةِ الحادثةِ بحركةِ النفسِ الشديدةِ عندَ الفرحِ أوِ الحزنِ ، إلا أنَّها معَ الحزنِ أقوىٰ ؛ فلذلكَ يخرجُ سُخْناً ؛ كالماءِ الشديدِ الحرارةِ إذا فارقَ النارَ القويَّةَ ؛ لا يبرُدُ إلا بعدَ حينٍ ، فإن كانتِ الحرارةُ ضعيفةً . . فبنفسِ مُفارقتِها يعودُ إلىٰ أصلِهِ .

وقلَّ خروجُهُ معَ الفرحِ ؛ لأنَّ النفسَ تنبسطُ معَهُ فتتبدَّدُ الحرارةُ على الجسدِ ، فيضعفُ فعلُها ، **وكثُرَ معَ الحزنِ** ؛ لأنَّ النفسَ تنقبِضُ فتخرجُ الحرارةُ علىٰ صَوْبٍ واحدٍ ، فتفِرُّ الرُّطوباتُ المائيَّةُ أمامَها ، فإذا فرغَتْ . . خرجَ الدمُ ؛ لأنَّهُ أقربُ مِنْ غيرِهِ ؛ لعمومِهِ الأعضاءَ ، وسَرَيانِهِ في سائرِ العروقِ .

وفي هـٰذا البيتِ : **براعةُ الاستهلالِ**[3] ؛ لأنَّهُ عُلِمَ منهُ ما قصدَهُ مِنْ مدحِهِ

= حُسْنَه ؛ إمَّا بفنٍّ زائد أو معنىً ، والتتميم يأتي لتتميم نقص المعنىٰ ونقصِ الوزن معاً ، والاحتراس إنما هو لدَخَل يتطرق إلى المعنىٰ وإن كان كاملاً ووزنُ الشعر صحيحاً ، وجرى الشارح هنا علىٰ ما اختاره الجلال القزويني في « الإيضاح » انظر « خزانة الأدب » (٢/ ٤٨٦) ، و« الإيضاح في علوم البلاغة » (٣/ ٢٠٨) .

(١) في (أ ، ب ، د) : (وهـٰذا) بدل (وبهـٰذا) .

(٢) في (ج) : (من البكاء) .

(٣) **براعة الاستهلال** : هو أن يأتي المتكلم بداية كلامه غالباً بما يُشعر بالمقصود والمقام ، وسمَّاه ابن المعتز : (حسن الابتداء) ، **والصحيح** : أن براعة الاستهلال نوع من =

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بذكرِ الجيرانِ بذي سَلَمٍ ؛ فإنَّهُ مِنْ جبالِ الحجازِ[1] .

وفيهِ : **الإسنادُ المجازيُّ** ؛ فإنَّ المُخاطَبَ لمْ يمزُجِ الدمعَ بالدمِ ، بل فعلَ سببَهُ ؛ وهوَ البكاءُ ؛ فهوَ نحوُ : (بنى الأميرُ المدينةَ)[2] .

والتنكيرُ في قولِهِ : (جيرانٍ) ، و(دمعاً) ، و(مقلةٍ) ، و(دمٍ) . . **إمَّا للتعظيمِ** ، وإمَّا **للنوعيَّةِ** .

وفيهِ أيضاً : **التجنيسُ الناقصُ** في (دمع) و(دم) لاختلافِهما بزيادةِ حرفِ العينِ[3] .

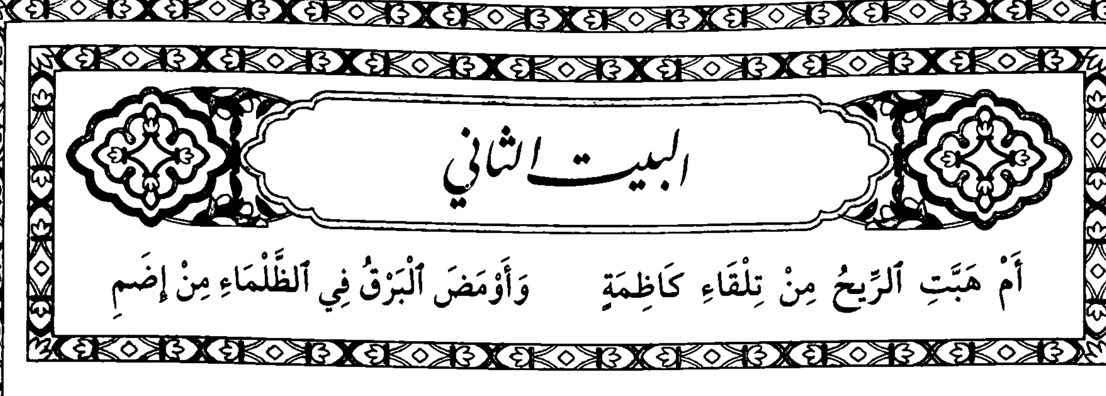
* * *

= حسن الابتداء ، وذكر ابن حجة أن مطلع « البردة » من أحسن البراعات ، ومن ألطف الإشارات إلىٰ أن القصيدة نبويّة . انظر « خزانة الأدب » (١/ ١٩) ، و« مختصر المعاني » (٤/ ٥٣١ـ٥٣٤) ، و« إظهار صدق المودة » (ق/ ١٠) .

(١) في « خزانة الأدب » للبغدادي (٢/ ١٥) : (ذو سلم : موضع عند جبل قريب من المدينة المنورة علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام) ، وانظر « معجم البلدان » (٣/ ٨ ، ٢٤٠) .

(٢) فهو مجاز عقلي علاقته السببية .

(٣) التجنيس الناقص : نوع من أنواع الجناس الكثيرة ، وقد أفرد بعض الأئمة بحث الجناس بالتأليف ، ومنهم الإمام الأديب الصلاح الصفدي في كتابه « جناس الجناس » ، **وأجملُ الجناس** : ما كان عفوَ الخاطر مطبوعاً غيرَ مُتكلَّف . انظر « خزانة الأدب » (١/ ٥٤) وما بعدها .



البيت الثاني

أَمْ هَبَّتِ ٱلرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ ... وَأَوْمَضَ ٱلْبَرْقُ فِي ٱلظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ

ثمَّ عطفَ علىٰ قولِهِ : (تذكُّرِ) قولَهُ : (أم هبَّتِ الريحُ) يعني : أمِنْ تذكُّرِ جيرانٍ مزجتَ أم مِنْ أجلِ أن هبَّتِ الريحُ (مِنْ تِلْقاءِ) أي : ناحيةِ أو قُرْبِ (كاظمةٍ) موضعٌ ، قيلَ : بقربِ المدينةِ الشريفةِ .

(وأومضَ البرقُ) أي : لَمَعَ خَفِيّاً (في) الليلةِ (الظَّلْمَاءِ مِنْ) ناحيةِ (إِضَمِ) بكسرِ الهمزةِ ؛ جبلٌ ، وقيلَ : وادٍ[1] .

وحقيقةُ البرقِ عندَ الحُكَماءِ وأهلِ الهيئةِ : نارٌ تحدثُ عندَ شدَّةِ اصطكاكِ أجرامِ الهواءِ بعضِها بعضاً ؛ ولذلكَ أكثرُ ما يكونُ : عندَ انتقالِ الزمانِ مِنَ البردِ إلى الحرِّ أوِ العكسِ ، فيأتي البردُ ، فيُصادِفُ الهواءَ حارّاً أو بالعكسِ ، فتحدثُ أصواتُ الرعدِ مِنْ ذلكَ الاصطكاكِ .

وأمَّا السُّنِّيُّونَ : فيقولونَ : إنَّ الرعدَ مَلَكٌ ـ وقيلَ : صوتُ مَلَكٍ ـ يزجُرُ السحابَ إلى الجهاتِ التي يُريدُ اللهُ تعالىٰ ، والبرقَ سوطُهُ[2] .

واعلمْ : أنَّ في بُكائِهِ مِنْ أجلِ تذكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَمٍ تنبيهاً لكَ أن تبكيَ

---

(١) وفي «القاموس» مع « التاج » (٣١/ ٢١٩)، مادة : (أ ض م) : (وإِضَم ـ كعِنَب ـ : جبل بين اليمامة وضَرِيَّة ، قاله نصر ، وقال السيد علي بن عيسىٰ : إِضم : وادٍ بجبال تهامة ، وهو الوادي الذي فيه المدينة النبويَّة ، صلى الله وسلم علىٰ ساكنها) .

(٢) في (ج ، هـ) : (صوته) ، وورد مثل هـٰذا في حديث أخرجه الترمذي (٣١١٧) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٩٠٢٤) ، وأحمد (١/ ٣٧٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وانظر « تفسير الرازي » (١٩/ ٢٢ـ٢٣) .

خوفاً ألا تكونَ مُجاوِراً لأهلِ الجنَّةِ ؛ لأنَّهُمُ الكائنونَ بدارِ السلامِ ؛ وهيَ الجنَّةُ ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ جلَّ وعلا : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[1] في آيٍ كثيرةٍ .

أو أن تكونَ مِنْ أهلِ النارِ[2] ، وكنىٰ عنها بـ : (كاظمةٍ) ؛ لأنَّها تنطبقُ علىٰ أهلِها ، ويكونُ علىٰ هـٰذا المرادُ بالريحِ ريحَها ، وإيماضُ البرقِ لهبَها ، ولعلَّهُ العُنُقُ الذي يخرجُ منها لالتقاطِ أهلِها[3] ، فلهي أعرفُ بهِم مِنَ الوالدةِ بولدِها .

فينبغي لكلِّ مُكلَّفٍ أن يبكيَ مخافةَ فوتِ الجِنانِ ، أو مخافةَ مُقاساةِ النِّيرانِ .

ويحتملُ : أن يكونَ أرادَ بالجيرانِ محمَّداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأصحابَهُ رضيَ اللهُ عنهُم ؛ فإنَّ ذِكْرَ المحبوبِ يُوجِبُ بكاءَ المُحِبِّ ، وقد كانَ كثيرٌ مِنَ الصحابةِ وأتباعُهُم يُدرِكُهُ مثلُ الموتِ إذا ذُكِرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فمنهُم : مَنْ يضطربُ ، ومنهُم : مَنْ يصفرُّ لونُهُ ، ومنهُم : مَنْ يُغشَىٰ عليهِ[4] .

---

(١) سورة يونس : (٢٥) .

(٢) قوله : (أو أن تكون . . .) إلىٰ آخره : هو عطف على التنبيه الأول ، وهو : (أن تبكي خوفاً . . .) إلىٰ آخره .

(٣) أخرج الترمذي (٢٥٧٤) ، وأحمد (٢/٣٣٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرجُ عُنُقٌ مِنَ النارِ يومَ القيامةِ لهُ عينانِ يبصرُ بهما ، وأُذُنانِ يسمعُ بهما ، ولسانٌ ينطقُ بهِ ، فيقولُ : إنِّي وُكِّلْتُ بثلاثةٍ : بكلِّ جبَّارٍ عنيدٍ ، وبكلِّ مَنِ ادَّعىٰ معَ اللهِ إلـٰهاً آخرَ ، وبالمُصوِّرينَ » .

(٤) وأورد القاضي عياض في « الشفاء » فصلاً ذكر فيها نماذج مؤثرة من توقير الصحابة والتابعين للنبي صلى الله عليه وسلم . انظر « الشفاء » (ص٥٢٢ـ٥٢٣) .

وفي كلامِهِ إشارةٌ : إلىٰ أنَّ الحزنَ لا ينبغي أن يُفارِقَ المُكلَّفَ .

وبالجملةِ : فالتزامُ الحزنِ والبكاءِ خوفاً مِنْ نِقَمِ اللهِ تعالىٰ . . لا يسكنُ إلا قلبَ تقيٍّ ، كما قالَ بشرٌ الحافي[1] : (الحزنُ مَلَكٌ لا يسكنُ إلا قلبَ تقيٍّ)[2] .

وقالَ سفيانُ بنُ عُيينةَ[3] : (لو أنَّ محزوناً بكىٰ في أمَّةٍ . . لرحمَها اللهُ تعالىٰ ببكائِهِ)[4] .

* * *

---

(١) هو الإمام الكبير الصوفي الشهير : أبو نصر بشر بن الحارث الحافي المروزي البغدادي (ت٢٢٧هـ) ، **ومن نفيس كلامه** : (لا يجد حلاوة الآخرة رجلٌ يحب أن يعرفه الناس) انظر « الرسالة القشيرية » (ص١١٥ ـ ١١٨) .

(٢) في النسخ ما عدا (هـ ، د) : (الخوف) بدل (الحزن) ، والأثر أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص١٤٣) ، والقشيري في « رسالته » (ص٣٥١) ، وأخرج ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (١٦٢) عن بشر قوله : (الحزن ملك ، فإذا سكن في موضع . . لم يرضَ أن يُساكنَهُ أحدٌ) .

(٣) هو الإمام الكبير الحافظ الناقد أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي المكي (ت ١٩٨ هـ) ، لقي الكبار ، وحمل عنهم علماً جمّاً ، وانتهىٰ إليه علو الإسناد ، وصار رحلةً يرحل إليه ، **حدث عن** عمرو بن دينار والأسود بن قيس وابن شهاب الزهري وزيد بن أسلم وغيرهم ، **وحدث عنه** الأعمش وشعبة والشافعي وعبد الرزاق الصنعاني وآخرون ، قال الشافعي : (لولا مالك وسفيان بن عيينة . . لذهب علم الحجاز) انظر « سير أعلام النبلاء » (٨/ ٤٥٤) وما بعدها .

(٤) أورده القشيري في « رسالته » (ص٣٦٩) ، وأخرجه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (٧٦) عن بعض العلماء ، والسلمي في « طبقاته » (ص٨٢) عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ .



البيت الثالث

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا   وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

ثمَّ استفهمَهُ لـمَّا أنكرَ أن يكونَ سببُ بكائِهِ واحداً مِنَ الأمرَينِ ـ أي : تذكُّرِ الجيرانِ ، وهبوبِ الريحِ ـ بقولِهِ :

(فما لعَيْنَيكَ إن قُلتَ) لهما : (اكفُفا) فعلٌ وفاعلٌ في موضعِ نصبِ مفعولٍ لـ (قلتَ) ؛ أيِ : احبِسا عنِ البكاءِ . . (هَمَتا) أي : سالتا دمعاً ؛ فالتمييزُ محذوفٌ للعلمِ بهِ[1] ، والفاءُ في (فما): جوابُ شرطٍ مُقدَّرٍ ؛ أي : إن كانَ إنكارُكَ حقّاً . . فأيُّ سببٍ أوجبَ لعينَيكَ لـمَّا أن قُلتَ لهُما : اكفُفا بكاءَكُما هَمَتا ؟!

(وما لقلبِكَ إن قلتَ) لهُ : (استفِقْ) مِنْ غَمْرتِكَ . . (يَهِمِ) ؟! مضارعُ (هامَ) ، والهُيَامُ كالجنونِ مِنَ النشأةِ ؛ يُقالُ : هامَ في العشقِ ؛ أي : لا يدري أينَ هوَ .

وخَصَّ القلبَ ؛ لأنَّهُ مَحَلُّ العقلِ عندَ أكثرِ السُّنِّيِّينَ ؛ قالَ تعالىٰ : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[2] .

وقالتْ طائفةٌ : محلُّهُ : الدِّماغُ .

ومنهُم مَنْ جمعَ بينَ القولَينِ ؛ لما بينَهُما مِنَ الاتِّصالِ[3] .

---

(١) أي : وهو قوله : (دمعاً) .

(٢) سورة الأعراف : (١٧٩) .

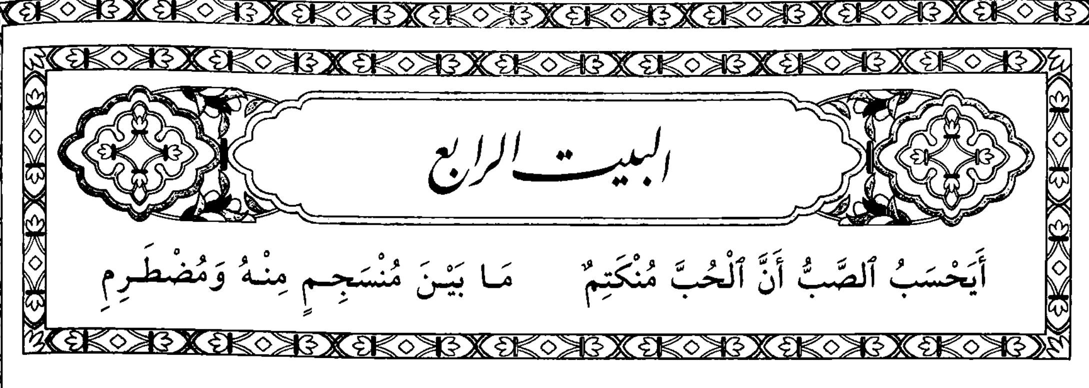
(٣) فإن برودة الدماغ لحفظ حرارة القلب ألا يلتهب ، وحرارةَ القلب تحفظ برودة الدماغ ألا يكون عنها سبات لفرط البرودة . « إظهار صدق المودة » (ق/ ١٧) .

وهوَ شكلٌ صَنَوْبَرِيٌّ ، وموضعُهُ مِنَ الجسدِ وسطُ الصدرِ ، وهوَ مَنْبَعُ الحياةِ[1] ، وعُنصُرٌ لحرارةِ الجسمِ .

* * *

---

(١) في (هـ) : (الجِبِلّة) .



البيت الرابع

أَيَحْسَبُ ٱلصَّبُّ أَنَّ ٱلْحُبَّ مُنْكَتِمٌ ... مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمِ

ولـمَّا لم يُحرِّرِ المسؤولُ جواباً[١] ، وأفحمَهُ السائلُ بالسؤالِ المُسكِتِ ، والإلزامِ المُبهتِ . . رجعَ إلىٰ تغليطِهِ[٢] **في إنكارِهِ حالةَ الحبِّ التي لا تخفىٰ ؛ فقالَ مُنكِراً :**

(**أيحسَبُ الصَّبُّ**) ؛ أي : أيظُنُّ العاشقُ المشتاقُ ، أوِ المُستهَامُ الذي وَلَّهَهُ الحبُّ[٣] (**أنَّ الحُبَّ مُنكتِمٌ**) عنِ الناسِ ؛ اسمُ فاعلٍ مِنِ (انكتمَ) ؛ أي : مُستترٌ ، (**ما بينَ**) دمعِ عينٍ (**مُنسجِمٍ**) بمعنىٰ سائلٍ (**منهُ** ، **و**) حَرِّ قلبٍ (**مُضطرِمٍ**) منهُ ؛ أي : مُلتهِبٍ ؟!

والطاءُ بدلٌ مِنَ التاءِ ، **أصلُهُ** : (مُضْتَرِمٌ) كمُفْتَعِلٍ[٤] ، و(ما) في قولِهِ : (ما بينَ) زائدةٌ .

---

(١) في (هـ) : (لم يجد) بدل (لم يحرر) ، وتحتمل : (لم يَجِزْ) ، وهو واضح ، إلا أن الإعجام لا يوافقه .

(٢) في (هـ) : (تغليظه) .

(٣) **ولَّهَه وأَوْلَهَه** : إذا حيَّره من شدة الوجد وأذهب به عقله .

(٤) **والقاعدة تقول** : إذا وقعت تاء افتعال بعد حرف من حروف الإطباق ؛ وهي : الصاد والضاد والطاء والظاء . . وجب إبدالها طاء ، وهنا وقعت تاء الافتعال بعد الضاد ، فقلبت طاء ، وقد أشار ابن مالك إلىٰ هـٰذه القاعدة في « الألفية » فقال : (من الرجز)

طـا تـا افتعـال رُدَّ إِثْـرَ مُطبِـقِ ... .

انظر « شرح ابن عقيل » (٤/ ٢٤٤) ، و« شرح الأشموني » (٤/ ٣٣١) .

وفي قولِهِ : (اكفُفا) و(هَمَتا) : **المطابقةُ** ، ويُسمَّى : **الطِّباقَ والتَّضادَّ**[1] ؛ وهوَ : الجمعُ بينَ ضِدَّينِ أو مُتقابلَينِ .

* * *

(١) وهو نوعان : طباق إيجاب ، كما ها هنا ، وطباق سلب ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] .



البيت الخامس

لَوْلا ٱلْهَوَىٰ لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَىٰ طَلَلٍ ... وَلا أَرِقْتَ لِذِكْرِ ٱلْبَانِ وَٱلْعَلَمِ

وكأنَّ المسؤولَ قالَ للسائلِ : سلَّمْنا إنكارَكَ على الصبِّ ظنَّهُ خفاءَ حُبِّهِ ، لٰكنِّي لستُ بصَبٍّ ، فما دليلُكَ علىٰ ذلكَ ؟

فقالَ السائلُ : (لولا الهوىٰ) موجودٌ لديكَ . . (لم تُرِقْ) أي : لم تَصُبَّ (دمعاً علىٰ طَلَلٍ) منسوبٍ إلى الأحبابِ ؛ أي : في طَلَلِهِم ؛ إن قدَّرْنا أنَّهُ شاهدَهُ يبكي بينَ الأطلالِ ، وفيهِ تكلُّفٌ ، وإن لم نُقدِّرْ وقوفَهُ على الطَّلَلِ . . فهيَ للتعليلِ[1] ؛ أي : مِنْ أجلِ أن ذكرتَ[2] أو ذُكِرَتْ لكَ أطلالُ الأحبابِ .

والطَّلَلُ : ما ارتفعَ مِنْ آثارِ الدارِ ، والجمعُ : أطلالٌ وطُلولٌ .

ولولا : حرفُ امتناعٍ لوجودٍ ، وهيَ تلزمُ الدخولَ على المبتدأِ ، وهوَ هنا : (الهوىٰ) ، وخبرُهُ محذوفٌ وجوباً على الصحيحِ[3] ، والتقديرُ كما قدَّمْناهُ[4] : (لولا الهوىٰ موجودٌ لديكَ) ، ويُغني عنهُ في الغالبِ جوابُ (لولا) ، و(لم) والفعلُ المجزومُ بها وما تعلَّقَ بهِ جوابُ (لولا) .

و(دمعاً) : مفعولُ (تُرِقْ) .

---

(١) قوله : (فهي) أي : (على) ، وعلى التقدير الأول هي ظرفية .

(٢) في (ج) : (تذكرت) .

(٣) انظر التفصيل في هٰذه المسألة في « شرح ابن عقيل » (٢/٢٤٨ـ ٢٥٢) ، و« شرح الأشموني » (١/٢١٥ـ٢١٦) .

(٤) في (أ، هـ) : (قدّرناه) .

ثمَّ أردفَ هٰذا الدليلَ ـ وهوَ إراقةُ الدمعِ على الطَّلَلِ ـ **بدليلٍ آخرَ** ؛ **فقالَ** :

(**ولا أَرِقْتَ**) بكسرِ الراءِ ؛ أي : ولولا الهوىٰ.. لم تسهَرْ (**لذكرِ**) شجرِ (**البانِ والعَلَمِ**) .

وشجرُ البانِ ببلادِ الأحبَّةِ ، **والعَلَمُ** : جبلٌ ، أوِ الجبلُ الطويلُ ، وهوَ مِنْ جبالِ الأحبَّةِ أيضاً .

ويحتملُ : **أن يكونَ مرادُهُ** : ولا أَرِقْتَ لذكرِ البانِ والعَلَمِ المُشبَّهِ بهما المحبوبُ في طولِ القامةِ وحسنِ الهيئةِ وطِيبِ الرائحةِ .

وإنَّما أورثَهُ ذكرُهُما السهرَ ؛ لأنَّ المُحِبَّ تكثُرُ حرارتُهُ ، فتفنىٰ رطوباتُ دماغِهِ التي هيَ مِنْ صعودِ أَبْخِرةٍ مِنَ المَعِدةِ إليهِ ، وإنَّما يكونُ النومُ مِنْ تلكَ الرطوباتِ إذا كثُرتْ ، فتجمُدُ هناكَ ، ويكونُ عنها النومُ والسُّباتُ ؛ ولذلكَ تنعكسُ الحرارةُ عندَ النومِ إلىٰ داخلِ الجسدِ ، **وسببُها الأعظمُ** : كثرةُ الطعامِ والشرابِ ؛ لاشتغالِ الحرارةِ بهضمِها ، فيضعفُ ما يصلُ منها إلى الدِّماغِ[1] ، ويكثُرُ فيهِ ما يَفِرُّ أمامَ الحرارةِ مِنَ الرُّطوباتِ الباردةِ ، فيجمُدُ لذلكَ وينامُ .

والمُحِبُّ الذي ألهاهُ حبُّهُ عنِ الأكلِ والشُّربِ.. تضاعفَتْ حرارتُهُ الغريزيَّةُ بالحرارةِ التي اكتسبَها مِنْ لَوْعةِ الحبِّ وحُرْقتِهِ ، فتفنىٰ رُطوباتُهُ فلا ينامُ ؛ لا سيَّما عندَ تذكُّرِ معاهدِ الأحبابِ ، أو ما هوَ شبيهٌ بالأحبابِ[2] .

واللامُ في (لذكرِ البانِ): للتعليل ، و(أل) في (الهوىٰ) **تحتملُ** :

---

(١) في (ب) : (فيصعد) بدل (فيضعف) .

(٢) في (هـ) : (أو ما شُبِّه بالأحباب) .

الجنسَ ؛ أي : لولا هـٰذهِ الحقيقةُ ، والعهدَ ؛ أي : لولا هواكَ[١] .

وفي قولِهِ : (لم تُرِقْ): **التفاتٌ مِنَ الغَيبةِ إلى الخطابِ** ؛ نحوُ : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ * إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾[٢] .

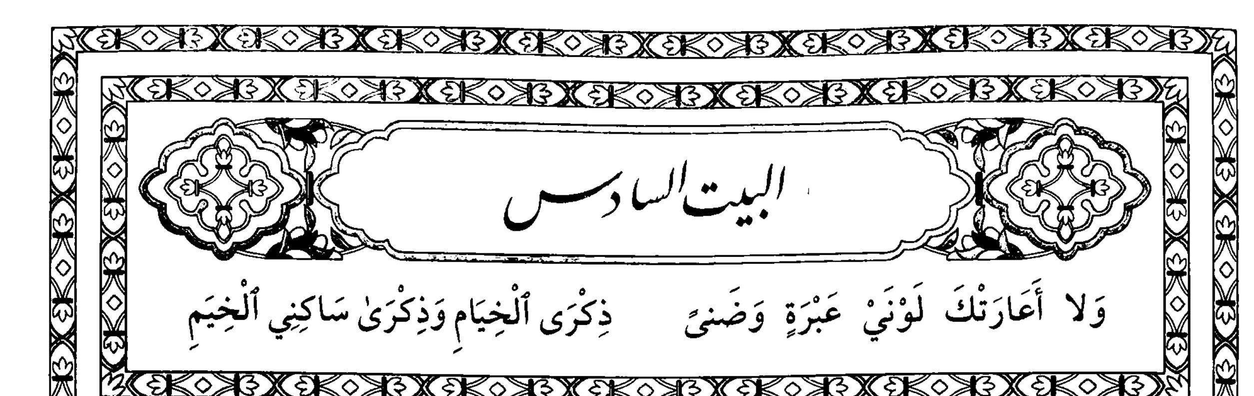
* * *

ثمَّ أردفَ هـٰذا الدليلَ بثالثٍ ؛ فقالَ :

---

(١) في (أ ، ب) : (لولاك) بدل (لولا هواك) .

(٢) سورة الفاتحة : (٤ـ٥) ، وفي هامش (هـ) : (سكت عن نوع من البديع في « تُرِق » و« أَرِقْت » ؛ وهو الجناس الشبيه بالمشتق . « حلبي ») .



البيت السادس

وَلا أَعَارَتْكَ لَوْنَيْ عَبْرَةٍ وَضَنىً ... ذِكْرَى ٱلْخِيَامِ وَذِكْرَىٰ سَاكِنِي ٱلْخِيَمِ

(ولا أعارتْكَ لَوْنَيْ عَبْرةٍ وضَنىً) أي : ولولا الهوىٰ . . لم تُعِرْكَ ؛ أي تُعطِكَ علىٰ سبيلِ العاريَّةِ (ذِكْرى الخِيامِ) فاعلُ (أعارتْ) ، ومضافٌ إليهِ ، والخيامُ : جمعُ خَيْمةٍ ؛ وهوَ بيتٌ تبنيهِ العربُ مِنْ عِيدانِ الشجرِ ، (وذكرىٰ ساكِني الخِيَمِ)[1] .

والمرادُ باللونِ هنا : النوعُ ؛ فكأنَّهُ شبَّهَ لونَي العَبْرةِ[2] والضَّنىٰ بلباسَينِ أعارَهُما ذكرى الخيامِ وذكرىٰ ساكنِيها للصَّبِّ .

ووجهُ التشبيهِ : أنَّ آثارَ الحبِّ زينةٌ للصَّبِّ يتزيَّنُ بها كما يتزيَّنُ باللباسِ ؛ فَرِقَّةُ جسمِهِ وصُفْرَةُ لونِهِ كثوبٍ بديعِ الرِّقَّةِ والصَّبْغِ ؛ وذلكَ لونُ الضَّنىٰ ، وانسجامُ الدموعِ سِمْطَينِ أو أكثرَ على النَّحْرِ بمثابةِ الدُّرِّ المُعلَّقِ عليهِ ، وذلكَ لونُ العَبْرةِ .

وفي قولِهِ : (ولا أعارتْكَ لَوْنَيْ) : **استعارةٌ بالكنايةِ** ، ويُلازِمُها **استعارةٌ تخييليّةٌ** ، وحقيقتُها : أن يُضمَرَ التشبيهُ في النفسِ ، ولا يُذكَرَ شيءٌ مِنْ أركانِهِ سوى المُشبَّهِ ، ويدلُّ على التشبيهِ : بأن يثبتَ [للمُشبَّهِ شيءٌ] مُختَصٌّ

---

(١) في هامش (هـ) : (تنبيه : هٰذا البيت لم يثبته غير الشارح من هٰذه القصيدة الشريفة ، والظاهر : أنه من غيرها من البديعيات المنشأة علىٰ نسقها) ، وقوله : (لم يثبته غير الشارح) بل أثبته غيره ؛ كابن مرزوق في « شرحه » ، وكذلك ابن مقلاش في « شرحه المتوسط » .

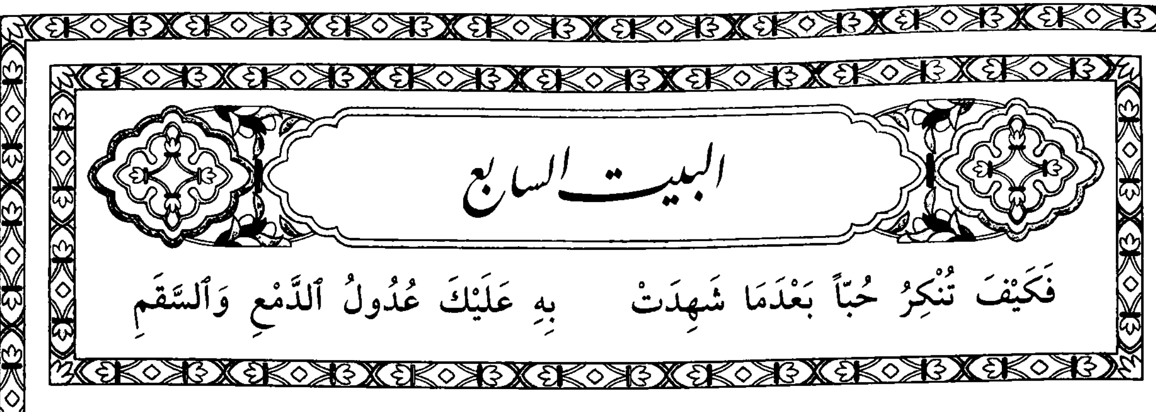
(٢) في النسخ ما عدا (هـ ، د) : (نوعَي العبرة) ، وكلاهما بمعنىً .

بالمُشبَّهِ بهِ[1] ، فيُسمَّى التشبيهُ استعارةً بالكنايةِ ، وهوَ ها هنا : تشبيهُ لَونَيِ العَبْرةِ والضَّنىٰ بلباسَينِ ، ولم يُذكَرا ، لٰكن ذُكِرَ ما هوَ مِنْ أحوالِهِما ؛ وهيَ العاريَّةُ ، فتشبيهُ اللونَينِ باللباسَينِ هوَ الاستعارةُ بالكنايةِ ، وإثباتُ العاريَّةِ لهُما استعارةٌ تخييليَّةٌ .

وسقطتِ النونُ مِنْ (ساكنينَ) للإضافةِ .

* * *

(١) في النسخ : (المشبه بشيء) بدل (للمشبه شيء) ، والمثبت من « إظهار صدق المودة » .



البيت السابع

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبّاً بَعْدَمَا شَهِدَتْ ... بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ ٱلدَّمْعِ وَٱلسَّقَمِ

ولمَّا أوردَ السائلُ على المُخاطَبِ الحُجَجَ الدالَّةَ علىٰ أنَّهُ مُحِبٌّ[1] ، وأكثرَ منها حتىٰ لم يبقَ لهُ عُذْرٌ ، وصحَّتْ نتيجةُ المُستدِلِّ . . **أقبلَ عليهِ بالخِطابِ ، وقالَ مُنكِراً عليهِ بصورةِ الاستفهامِ** :

(**فكيفَ تُنكِرُ**) أي : تجحدُ (**حُبّاً**) بعدَ هـٰذهِ الحُجَجِ (**بعدما شَهِدَتْ**) أي : أخبرَتْ[2] ، (**بهِ**) أي : بالحُبِّ (**عليكَ عُدولُ الدمعِ**) السائلِ مِن عَينَيْكَ عندَ ذكرِ الطَّلَلِ ، (**والسَّقَمِ**) القائمِ بجسمِكَ لذكرِ ساكنِ الخِيَمِ ، وهيَ عُدولٌ لا تُرَدُّ شهادتُهُم ؟!

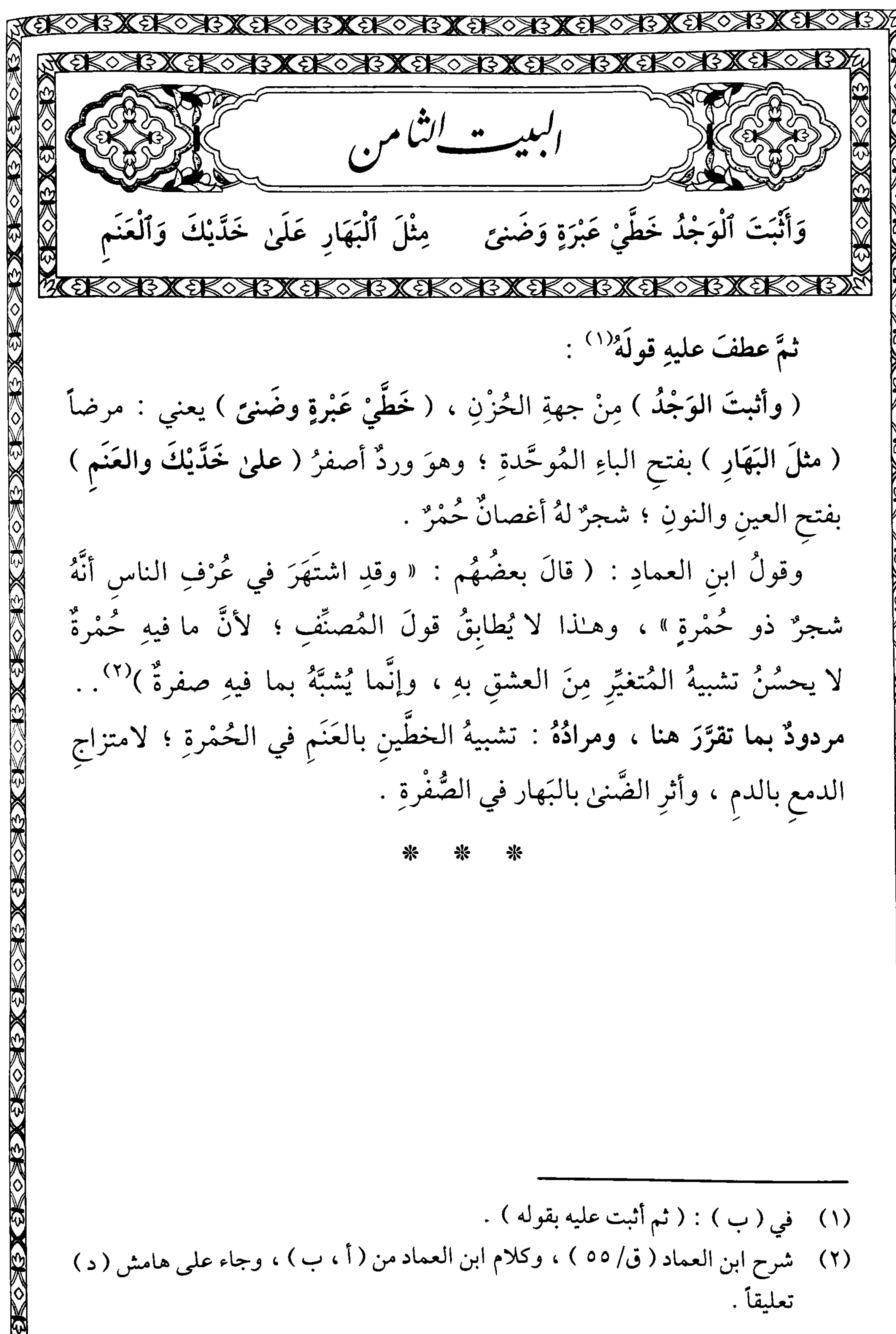
وعُدولٌ : جمعُ عَدْلٍ ، **وأصلُهُ** : مصدرٌ ؛ فالعَدْلُ باعتبارِ المصدرِ الذي هوَ أصلُهُ لا يُثنَّىٰ ولا يُجمَعُ ، وباعتبارِ ما صارَ إليهِ مِنَ النقلِ للذَّاتِ يُثنَّىٰ ويُجمَعُ ؛ فتقولُ : (عَدْلانِ) و(عُدولٌ) .

* * *

---

(١) في (أ ، ب ، هـ) : (الدائمة) بدل (الدالة) .

(٢) الشهادة خبر قاطع ، و(شهد) كعلم وكرُم (شهوداً) حضره ، فهو شاهد ، وجمعه : (شهود) ، وشهد لزيد بكذا شهادةً ؛ أدَّىٰ ما عنده من الشهادة ، فهو شاهد ، [وجمعه] : (شَهْد) بالفتح ، وجمع الجمع : (شهود) و(أشهاد) انتهىٰ من هامش (د) .



البيت الثامن

وَأَثْبَتَ ٱلْوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وَضَنىً   مِثْلَ ٱلْبَهَارِ عَلَىٰ خَدَّيْكَ وَٱلْعَنَمِ

ثمَّ عطفَ عليهِ قولَهُ[1] :

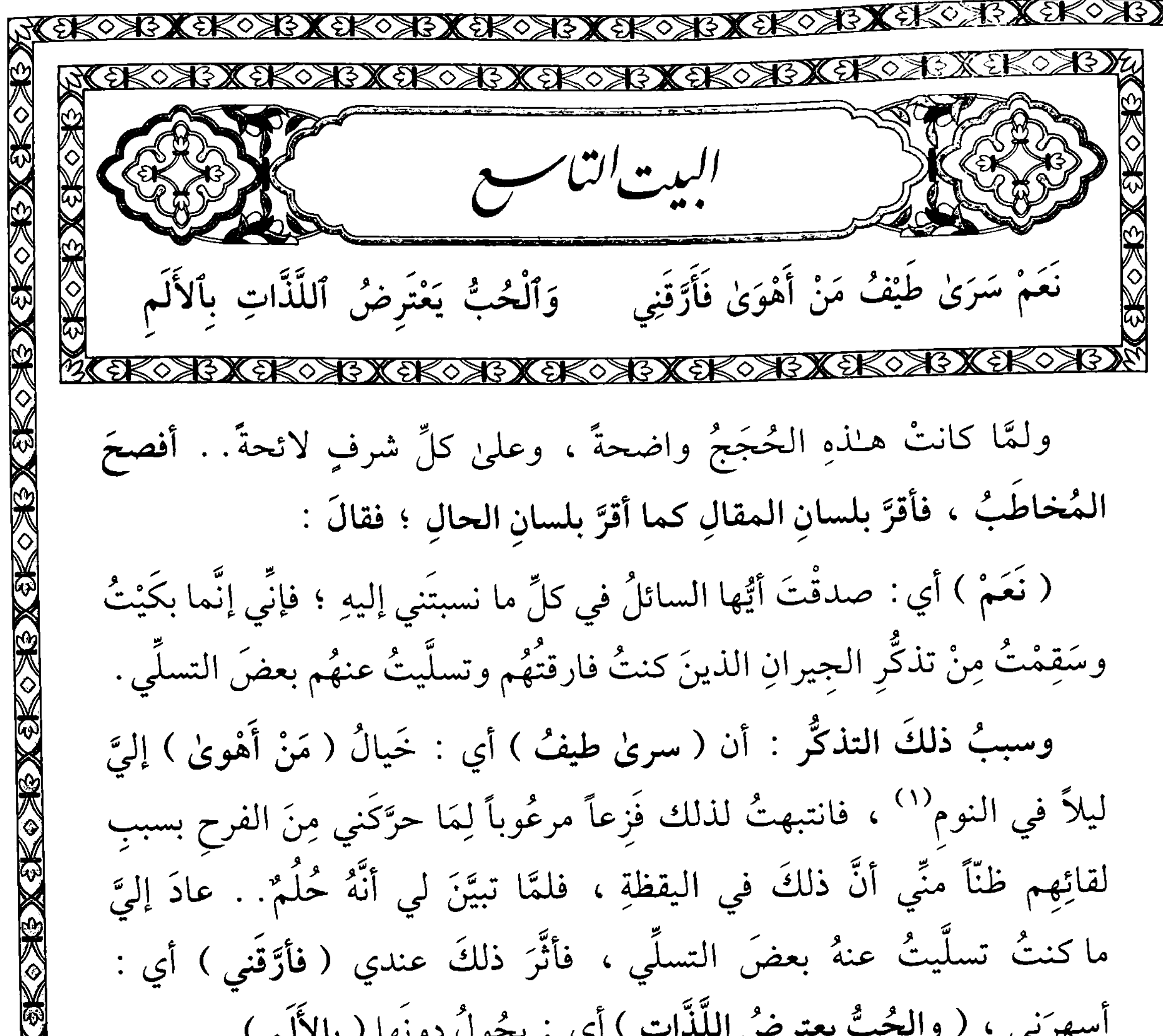
(**وأثبتَ الوَجْدُ**) مِنْ جهةِ الحُزْنِ ، (**خَطَّيْ عَبْرةٍ وضَنىً**) يعني : مرضاً (**مثلَ البَهَارِ**) بفتحِ الباءِ المُوحَّدةِ ؛ وهوَ وردٌ أصفرُ (**علىٰ خَدَّيْكَ والعَنَمِ**) بفتحِ العينِ والنونِ ؛ شجرٌ لهُ أغصانٌ حُمْرٌ .

وقولُ ابنِ العمادِ : (قالَ بعضُهُم : « وقدِ اشتَهَرَ في عُرْفِ الناسِ أَنَّهُ شجرٌ ذو حُمْرةٍ » ، وهٰذا لا يُطابِقُ قولَ المُصنِّفِ ؛ لأنَّ ما فيهِ حُمْرةٌ لا يحسُنُ تشبيهُ المُتغيِّرِ مِنَ العشقِ بهِ ، وإنَّما يُشبَّهُ بما فيهِ صفرةٌ)[2] . . **مردودٌ بما تقرَّرَ هنا ، ومرادُهُ** : تشبيهُ الخطَّينِ بالعَنَمِ في الحُمْرةِ ؛ لامتزاجِ الدمعِ بالدمِ ، وأثرِ الضَّنىٰ بالبَهار في الصُّفْرةِ .

* * *

(١) في (ب) : (ثم أثبت عليه بقوله) .

(٢) شرح ابن العماد (ق/ ٥٥) ، وكلام ابن العماد من (أ ، ب) ، وجاء على هامش (د) تعليقاً .



البيت التاسع

نَعَمْ سَرَىٰ طَيْفُ مَنْ أَهْوَىٰ فَأَرَّقَنِي ... وَٱلْحُبُّ يَعْتَرِضُ ٱللَّذَّاتِ بِٱلأَلَمِ

ولمَّا كانتْ هـٰذهِ الحُجَجُ واضحةً ، وعلىٰ كلِّ شرفٍ لائحةً . . **أفصحَ المُخاطَبُ ، فأقرَّ بلسانِ المقالِ كما أقرَّ بلسانِ الحالِ ؛ فقالَ :**

(**نَعَمْ**) أي : صدقْتَ أيُّها السائلُ في كلِّ ما نسبتَني إليهِ ؛ فإنِّي إنَّما بكَيْتُ وسَقِمْتُ مِنْ تذكُّرِ الجيرانِ الذينَ كنتُ فارقتُهُم وتسلَّيتُ عنهُم بعضَ التسلِّي .

وسببُ ذلكَ التذكُّرِ : أن (**سرىٰ طيفُ**) أي : خَيالُ (**مَنْ أَهْوىٰ**) إليَّ ليلاً في النومِ[1] ، فانتبهتُ لذلك فَزِعاً مرعُوباً لِمَا حرَّكَني مِنَ الفرحِ بسببِ لقائِهِم ظنّاً منِّي أنَّ ذلكَ في اليقظةِ ، فلمَّا تبيَّنَ لي أنَّهُ حُلُمٌ . . عادَ إليَّ ما كنتُ تسلَّيتُ عنهُ بعضَ التسلِّي ، فأثَّرَ ذلكَ عندي (**فأرَّقَني**) أي : أسهرَني ، (**والحُبُّ يعترِضُ اللَّذَّاتِ**) أي : يحُولُ دونَها (**بالأَلَمِ**) .

ويحتملُ : **أن يكون معنىٰ (يعترضُ)** : يغبِنُ ذا اللَّذَّاتِ ؛ مِنْ قولِهِم : عرضْتُهُ ؛ أي : غبَنْتُهُ .

واعترضَ الشيءُ : صارَ عارضاً ؛ كالخشبةِ المُعترِضَةِ في النهرِ .

واللَّذَّاتُ : جمعُ لَذَّةٍ ، **قيلَ** : هيَ إدراكُ المُلائِمِ مِنْ حيثُ هوَ مُلائِمٌ[2] ، **والألمُ** : مُقابِلُهُ[3] .

---

(١) الجار والمجرور في قوله : (إليَّ) متعلقان بـ (سرىٰ) .

(٢) والملائم : هو كمال الشيء الخاص به ؛ كالتكيُّف بالحلاوة والدُّسومة للذائقة ، والجاه والتغلب للغضبية . انظر « المواقف » مع « شرحه » (٢/ ١٢١) .

(٣) أي : إدراك المنافر من حيث هو منافر . انظر «شرح السيد على المواقف» (٢/ ١٢١) .

وقيلَ : **اللَّذَّةُ** : دفعُ الألمِ ؛ كالأكلِ لألمِ الجوعِ ، ورُدَّ : بأنَّهُ أحدُ أسبابِها[1] ، وقد تُتصوَّرُ دونَهُ[2] ؛ كالالتذاذِ برؤيةِ وجهٍ مليحٍ بغتةً ؛ فإنَّهُ لم يتقدَّمْ ألمٌ لفقدِهِ حتىٰ يُدفَعَ[3] .

فكأنَّهُ قالَ : كانَ لي قبلَ طُرُوقِ خَيالِهِمُ التِذاذٌ بالنومِ المُوجِبِ لراحةِ بدني ؛ عندَ مَنْ يرىٰ للذَّاتِ وجوداً بنفسِها لا أنَّها إضافيَّةٌ ، أو ليُسلِّيَني[4] عن ألمِ فراقِهِم ؛ عندَ مَنْ يراها لدفعِ الألمِ .

* * *

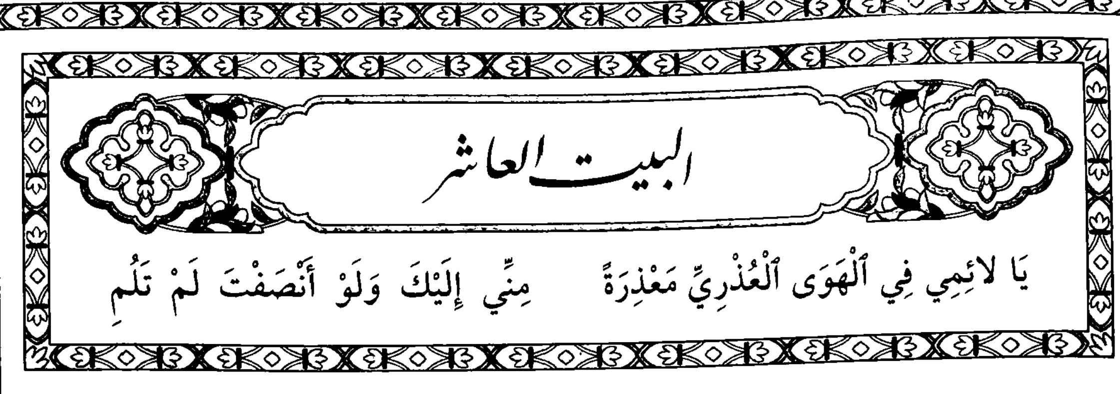
---

(١) أي : اللذة .

(٢) أي : وقد تُتصوَّر اللذة دون الألم .

(٣) ذكر الشارح قولين في تعريف الذة والألم ، ورجَّح العضد الإيجي في « مواقفه » ، وتبعه السيد الشريف : أن الألم واللذة لا يُعرَّفان ؛ لكونهما بديهيين . انظر « المواقف » مع « شرحه » (٢/ ١٢٠) ، و« تشنيف المسامع » (٤/ ٩١٤) .

(٤) أي : النوم .



البيت العاشر

يَا لائِمِي فِي ٱلْهَوَى ٱلْعُذْرِيِّ مَعْذِرَةً ... مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

ثمَّ لمَّا أقرَّ المُحِبُّ للعاذلِ ، وصدَّقَهُ فيما نسبَهُ إليهِ ، وأخبرَهُ بالسببِ . . **أخذَ الآنَ يلومُهُ كما لامَهُ ؛ فقالَ :**

(**يا لائِمِي**) أي : يا عاذلي (**في الهوى العُذْرِيِّ**) ؛ أيِ : الموصوفِ بكونِهِ مِنْ هوىٰ بني عُذْرَةَ ؛ اقبَلْ أو خُذْ[1] (**معذرةً منِّي إليكَ**) ، أو أعتذرُ معذرةً ، ويصحُّ رفعُها ؛ إمَّا علىٰ أنَّها خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ ؛ أي : هٰذهِ معذرةٌ ، أو علىٰ أنَّها مبتدأٌ ، و(منِّي) صفةٌ لهُ ، و(إليكَ) الخبرُ[2] .

(**ولو أنصفتَ . . لم تَلُمِ**) ، لٰكنَّكَ لُمْتَ فلم تُنصِفْ .

و(لو) : حرفٌ لِمَا كانَ سيقعُ لوقوعِ غيرِهِ ، وقولُ المُتأخِّرينَ : امتناعٌ لامتناعٍ . . **خُلْفٌ** ، قالَهُ المجدُ الشِّيرازيُّ[3] ، و(لم تَلُمِ) : جوابُها[4] .

وبنو عُذْرَةَ : قبيلةٌ مِنَ اليمنِ ، قالَهُ الجَوْهريُّ[5] ، إذا دخلَ أحدٌ منهُمُ الهوىٰ . . لم يَزَلْ بهِ حتىٰ يقتُلَهُ غالباً ، وإنَّما اختصُّوا بذلكَ ؛ لصدقِهِم فيهِ

---

(١) في (ب) : (أَقِلْ) بدل (اقبل) .

(٢) في (ج) : (خبر له) .

(٣) القاموس المحيط (٤/٤٠٢) ، بصائر ذوي التمييز (٤/٤٤٨ـ٤٥٠) ، وانظر « تاج العروس » (٤٠/٤٧٩ـ٤٨٠) .

(٤) في هامش (هـ) : (وفي هٰذا البيت نوع رد العجز على الصدر في قوله : « يا لائمي » و« تَلُمِ » ، ونوع الجناس الشبيه بالمشتق في « العذري » و« معذرةً » ، و« لَمْ » و« تَلُمِ » من الجناس الناقص . « حلبي ») .

(٥) الصحاح (٢/٧٣٨) ، مادة : (ع ذ ر) .

ورِقَّةِ قلوبِهِم ؛ فهُم إذا هَوُوا . . هَوَوْا ، وإذا أحبُّوا . . سقطُوا .

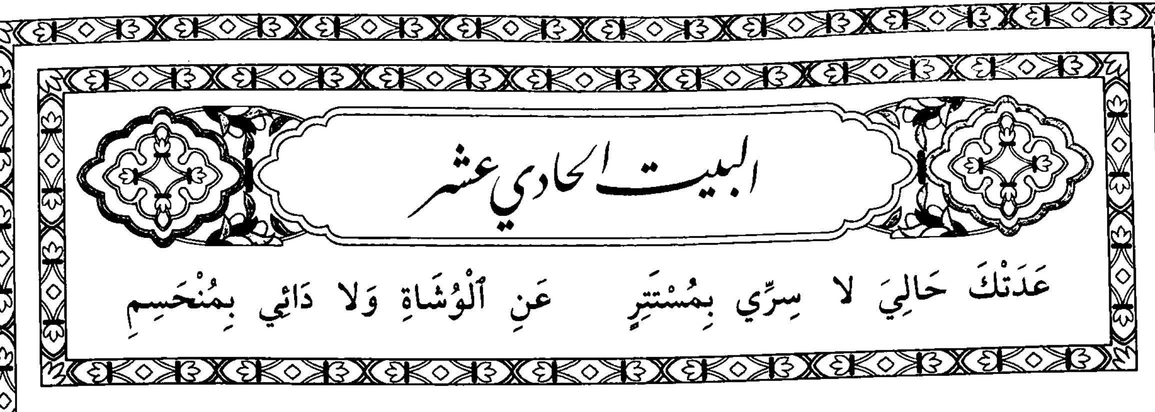
وأخبارُ العُذْرِيِّينَ كثيرةٌ يَكِلُّ القلمُ دونَ المِعْشارِ منها ، أذكرُ بعضَها في « رياضِ الألبابِ ونُزْهةِ الأحبابِ » إن شاءَ اللهُ تعالىٰ[1] .

وفي هـٰذا البيتِ إشارةٌ : إلىٰ أنَّهُ ينبغي للعبدِ أن يستغرِقَ في طاعةِ اللهِ تعالىٰ ؛ رجاءَ أن يكونَ مِنْ أوليائِهِ ، ولا عليهِ مِنْ عَذْلِ مَنْ عَذَلَهُ علىٰ ذلكَ ، ولْيَجتهِدْ في إحياءِ سُنَنِ الهدىٰ واتِّباعِ طريقِ المُهتدِينَ ، وإن عنَّفَهُ في ذلكَ أحدٌ . . فليُعرِضْ عنِ الجاهلينَ .

* * *

---

(١) ومن مشاهير بني عذرة : جميل صاحب بثينة ، وعروة بن حِزَام قتيل الحب وصاحب عَفْراء . انظر « شرح مقامات الحريري » للشريشي (٣/ ٢٤٨ـ٢٥٤) فقد أورد كثيراً من قصص حبهم التي جُبلت بها نفوسهم .



البيت الحادي عشر

عَدَتْكَ حَالِيَ لا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ عَنِ ٱلْوُشَاةِ وَلا دَائي بِمُنْحَسِمِ

ثمَّ أخذَ الناظمُ رحمَهُ اللهُ يستعطِفُ العاذلَ ؛ لعلَّهُ يَرِقُّ لهُ فيقبلَ عُذْرَهُ ؛ فقالَ :

(**عَدَتْكَ**) أي : جاوزَتْكَ (**حاليَ**) بفتحِ الياءِ ؛ هيئتي ، والحالُ يُذكَّرُ ويُؤنَّثُ ، **والأفصحُ** : التأنيثُ[1] .

ويحتملُ : أن يُريدَ بقولِهِ : (عَدَتْكَ حاليَ) : الاستفهامَ علىٰ سبيلِ الإنكارِ ؛ أي : أَعَدَتْكَ ؟! وحُذِفَتِ الهمزةُ للعلمِ بها ؛ كما قيل في قولِهِ تعالىٰ حكايةً عنِ الخليلِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ : ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾[2] .

وعلىٰ هٰذا : يكونُ تأكيداً لقولِهِ : (ولو أنصفتَ .. لم تَلُمِ) ، وكأنَّ العاذلَ قالَ حينَ استفهمَهُ : نَعَمْ جاوزَتْني ، فقالَ الصَّبُّ : خذْ عِلْمَها ؛ (**لا سرِّي بمُستَتِرٍ**) أي : بمُنكتِمٍ (**عنِ الوُشاةِ**) الذينَ هم أعدائي ، **والواشي** : الكذَّابُ النَّمَّامُ الذي يُبلِّغُ الحديثَ ويُزيِّنُهُ ، (**ولا دائي**) في الحبِّ ؛ أي : مرضي (**بمُنحَسِمِ**) أي : ليسَ بمنقطِعٍ حتىٰ يُرجَىٰ زوالُهُ .

ويحتملُ : أن تكونَ الجملةُ خبريةً ؛ أي : جاوزَتْكَ حالي ، فأنتَ لم

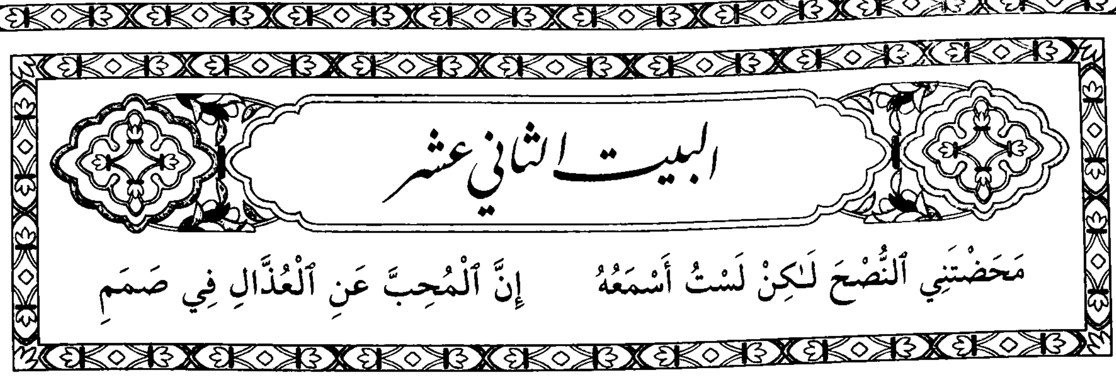
---

(١) قال الصبان في « حاشيته على الأشموني » (٢/١٦٩) : (قوله : « **يذكر ويؤنث** » أي : لفظه وضميره ووصفه وغيرها ، **لٰكن الأرجح في الأول** : التذكير ؛ بأن يقال : « حال » بلا تاء ، وفي غيره التأنيث) .

(٢) سورة الأنعام : (٧٦) ، وانظر « مفاتيح الغيب » (١٣/٣٩ـ٤١) .

تُصَبْ بمُصيبتي حتىٰ تعلمَ مقدارَ ما أنا فيهِ ، ولو أُصِبتَ بها . . لَمَا عَذَلْتَني ولَعَذَرْتَني ، ويكونَ قولُهُ : (لا سِرِّي) علىٰ هٰذا التقديرِ جوابَ سؤالٍ مُقدَّرٍ ؛ كأنَّهُ قيلَ لهُ : وما حالتُكَ التي استعظمتَها ؟ فقالَ : (لا سِرِّي . . .) إلىٰ آخرِهِ .

* * *



البيت الثاني عشر

مَحَضْتَنِي ٱلنُّصْحَ لَـٰكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ ... إِنَّ ٱلْمُحِبَّ عَنِ ٱلْعُذَّالِ فِي صَمَمِ

ولـمَّا كانَ العاذلُ إنَّما أبدىٰ عَذْلَهُ في صورةِ النُّصْحِ ، وكانَ أبغضُ شيءٍ إلى المُحِبِّ العذلَ علىٰ أيِّ حالٍ كانَ . . **قالَ لهُ :**

(**مَحَضْتَني**) أي : أخلصتَ لي (**النُّصْحَ**) بزعمِكَ وأنا لا أُسلِّمُ لكَ ذلكَ ؛ سلَّمتُ أنَّهُ كما ذكرتَ ، (**لـٰكن لستُ أسمعُهُ**) منكَ ؛ أي : لا أقبلُهُ .

ثمَّ أبدىٰ عُذْرَهُ في ذلكَ بقولِهِ : (إنَّ المُحِبَّ عنِ العُذَّالِ في صَمَمِ) ؛ فلا يسمعُ عذلَهُم ؛ أي : لا يقبلُهُ .

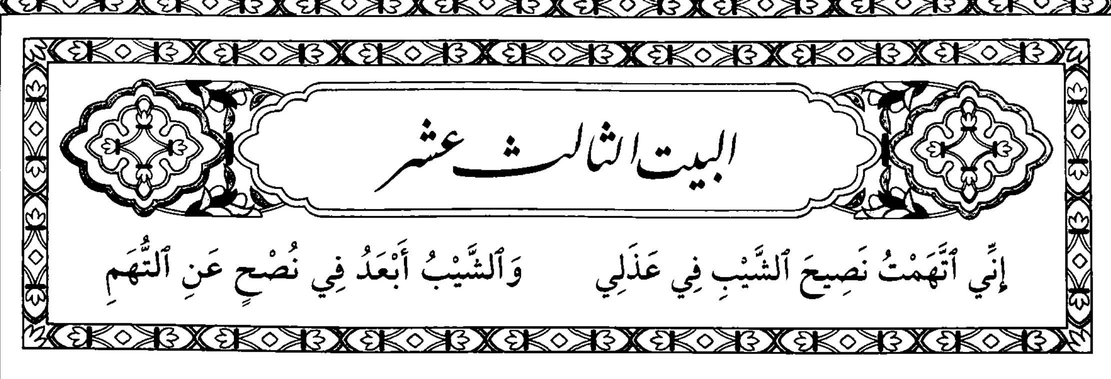
قالَ الثعالبيُّ في « فقهِ اللغةِ » : (يُقال : في أُذُنِهِ وَقْرٌ ، فإن زادَ . . فهوَ صَمَمٌ ، فإن زادَ . . فهوَ طَرَشٌ ، فإن زادَ حتىٰ لا يسمعَ الرعدَ . . فهوَ صَلَجٌ)[1] ، **وكانَ ينبغي للمُصنِّفِ** : أن يأتيَ بما هو أعلىٰ مِنَ الصَّمَمِ ، إلا أنَّهُ لم يستقمْ لهُ الوزنُ إلا بذكرِ الصَّمَمِ[2] .

ولا محلَّ لجملةِ (مَحَضْتَني) هنا ؛ لأنَّها إمَّا مُستأنَفةٌ ، أو تفسيريَّةٌ للومِ اللائمِ المُتقدِّمِ ، وجملةُ (أسمعُهُ) في محلِّ نصبٍ علىٰ أنَّها خبرُ (ليسَ) .

---

(١) فقه اللغة (ص١٧٨) ، وفيه : (فهو صَلَخ) بدل (فهو صَلَج) ، وجاءت الجيم مهملةً في (أ) ، وكونُه بالجيم أو الخاء مسألةٌ خلافية بين البصريين والكوفيين ؛ فالبصريون يقولونه بالجيم ، والكوفيون يقولونه بالخاء . انظر « تاج العروس » (٦/ ٧٠ـ٧١ ، ٧/ ٢٩٢) ، مادة : (ص ل ج ، ص ل خ) .

(٢) لو قال : (الرَّوِي) . . لكان أولىٰ ؛ لأن الوزن يستقيم بما زاد على الصمم .



البيت الثالث عشر

إِنِّي ٱتَّهَمْتُ نَصِيحَ ٱلشَّيْبِ فِي عَذَلِي ... وَٱلشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ ٱلتُّهَمِ

ثمَّ أخذَ الناظمُ كأنَّهُ يقولُ : أَمسِكْ أيُّها العاذلُ عن نُصْحِكَ ؛ فإنِّي اتَّهمتُ مَنْ لا يُتَّهمُ ؛ فقالَ :

(إنِّي اتَّهمتُ نصيحَ الشَّيبِ) الذي هوَ بياضُ الشَّعَرِ[1] (في عَذَلِي ، والشيبُ أبعدُ في نُصْحٍ عنِ التُّهَمِ) ، يصحُّ أن يكونَ (أبعدُ) أفعلَ تفضيلٍ ، وهيَ الرِّوايةُ ، ويصحُّ أن يكونَ فعلاً ماضياً .

ومعنىٰ كونِ الشَّيبِ نصيحاً : أنَّهُ مُنذِرٌ بقربِ الأجلِ وحُلولِ الموتِ المُوجِبِ لاشتغالِ العبدِ بما يُقرِّبُ إلىٰ مولاهُ زُلفىٰ ، ويُورِثُهُ لديهِ حُسْنَ العُقبىٰ ، وليسَ بعدَ بياضِ الزرعِ إلا حصادُهُ .

وقيلَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾[2] : إنَّهُ الشَّيبُ[3] .

وكأنَّ الشَّيبَ يقولُ للمُحِبِّ : اترُكْ ما أنتَ عليهِ مِنَ الهوىٰ ، واشتغِلْ بما ينفعُكَ في أُخراكَ ، كصورةِ ما يُبديهِ العاذلُ في نُصحِهِ .

وما أحسنَ قولَ قمرِ الدولةِ[4] : [من المنسرح]

---

(١) في (ج) : (بيان الشيب) بدل (بياض الشعر) .

(٢) سورة فاطر : (٣٧) .

(٣) وهو مروي عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، ومولاه التابعي الجليل عكرمة رحمه الله تعالى . انظر « الدر المنثور » (٧/ ٣٢) .

(٤) أورد البيتين العماد الأصفهاني في « الخريدة » (٢/ ٢١٩ـ٢٢٠) قسم : (شعراء مصر) ، وابن شاكر الكتبي في « فوات الوفيات » (١/ ٢٨٧) .

لَمَّا رَأَيْتُ ٱلْمَشِيبَ فِي ٱلشَّعَرِ ٱلْـ ... أَسْوَدِ قَدْ لاحَ صِحْتُ وَا حَزَنِي
هَـٰـذَا وَحَـقِّ ٱلإِلَـٰـهِ أَحْسَبُـهُ ... أَوَّلَ خَيْـطٍ سُـدِّيْ مِـنَ ٱلْكَفَـنِ

وقولَ الآخرِ[1] :

[من الكامل]

لِمَ لَا ٱنْتَهَيْتَ وَقَدْ أَلَمَّ نَذِيرُ ... لِلشَّيْـبِ يُـؤْذِنُ أَنَّـهُ سَيَسِيـرُ[2]
أَمَّا ٱلْشَّبَـابُ فَـإِنَّـهُ عُـذْرٌ وَمَـا ... لِلْمَرْءِ مِنْ بَعْدِ ٱلْشَّبَابِ عَذِيرُ[3]

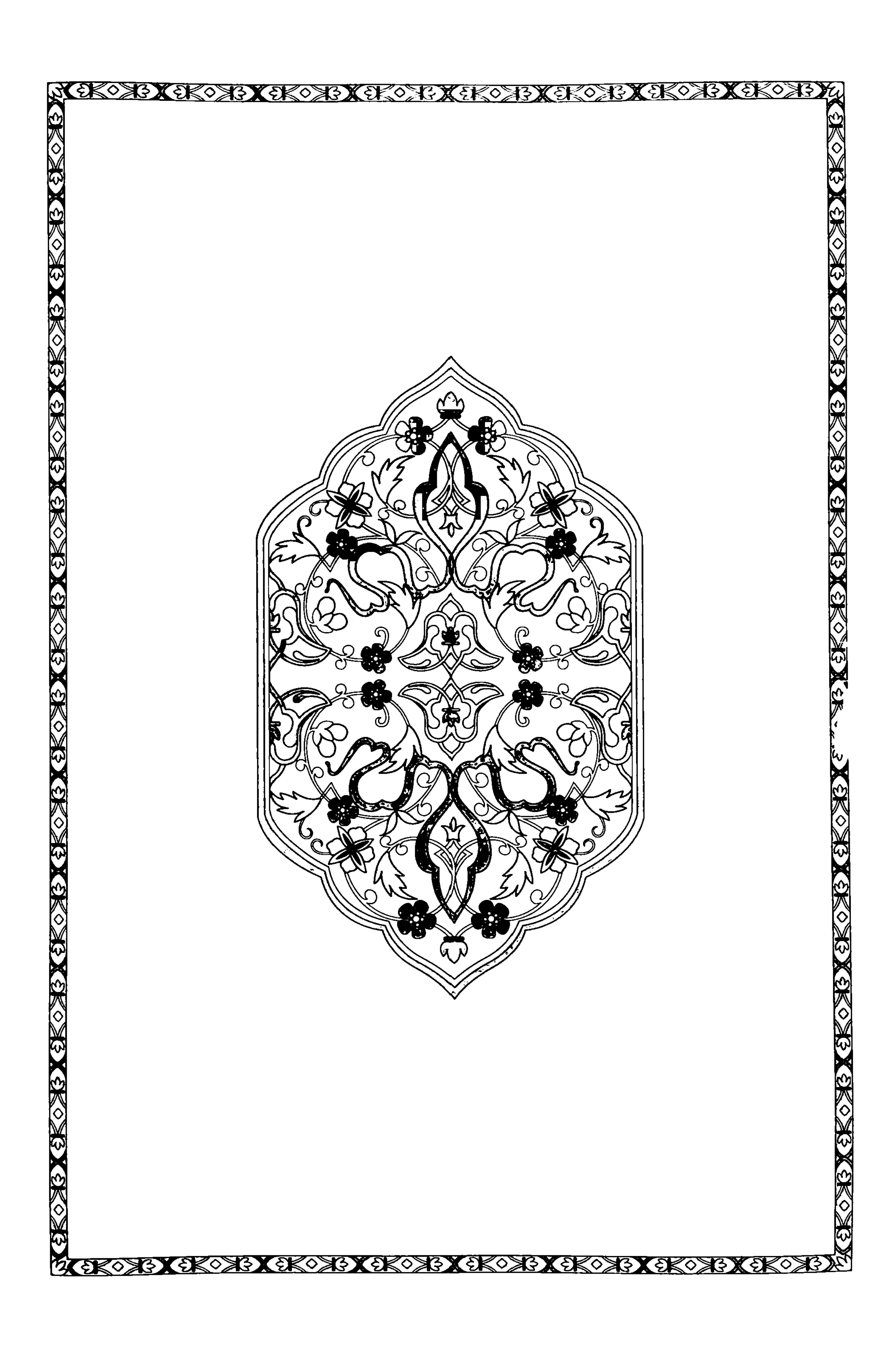
* * *

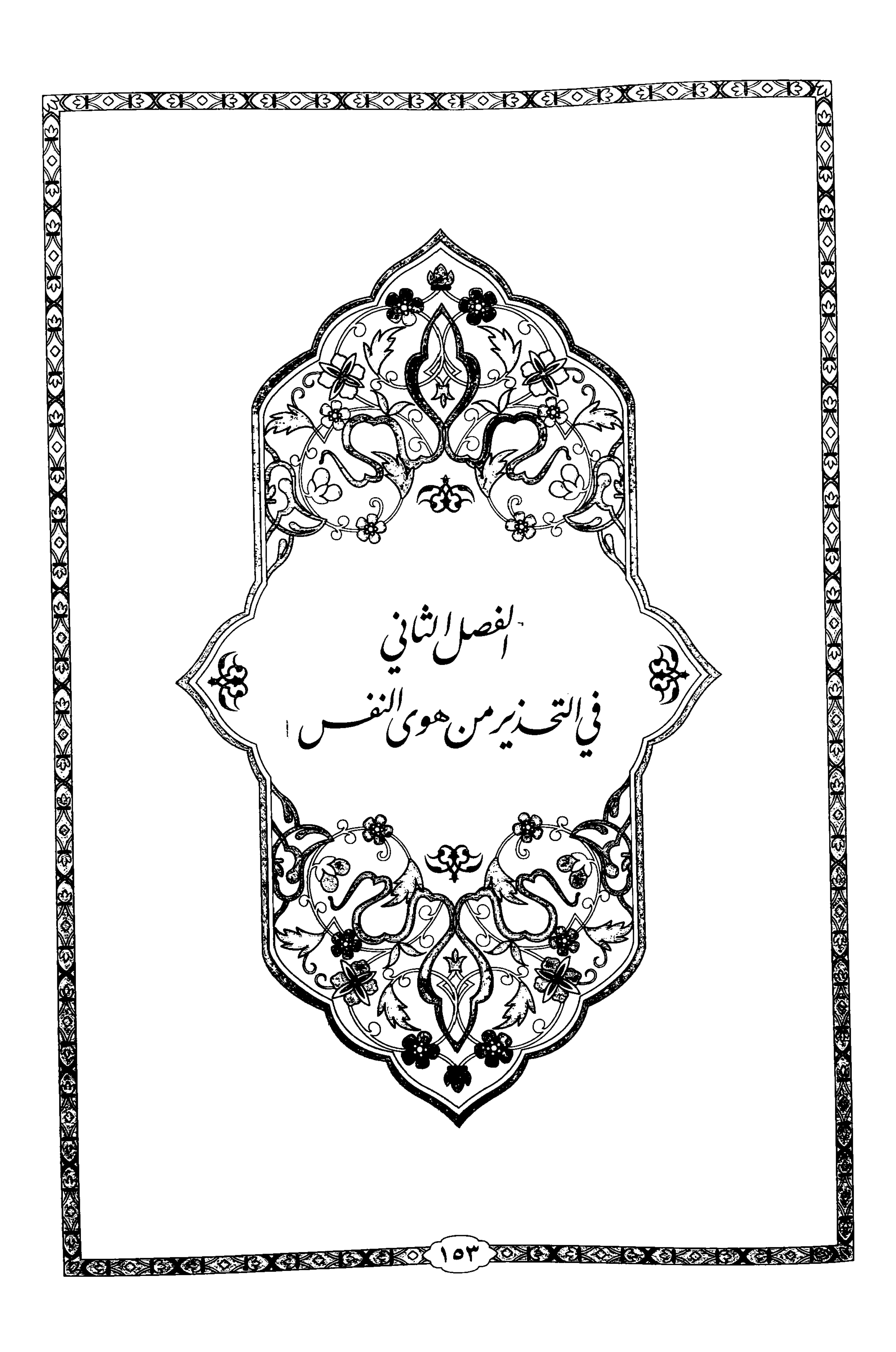
---

(1) انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٤٧) .

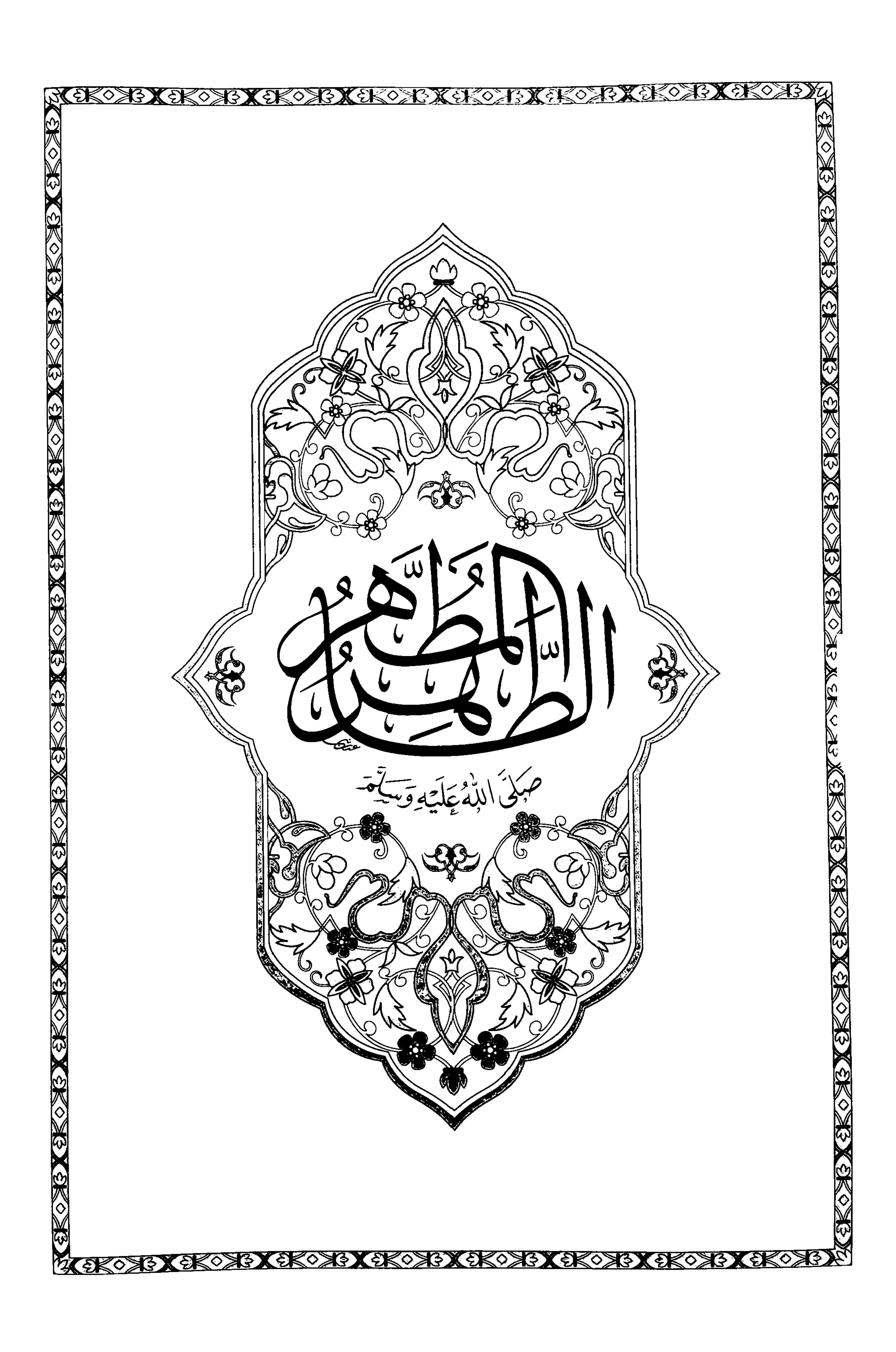
(2) في « إظهار صدق المودة » : (سيبير) بدل (سيسير) ، ويُبير : يهلك .

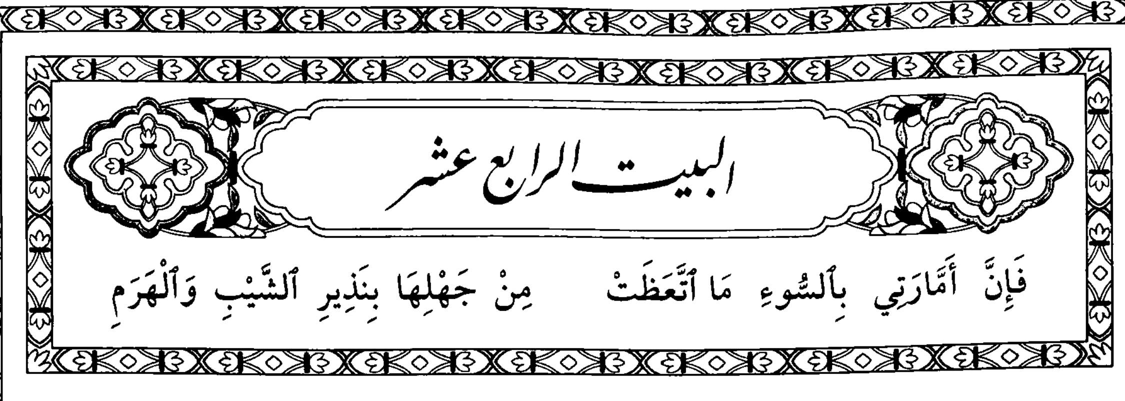
(3) في (هـ) : (المشيب) بدل (الشباب) في كلا الشطرين ، وهـٰذا البيت سقط من (ج) .





الفصل الثاني
في التحذير من هوى النفس [1]


الطاهر المطهر
صلى الله عليه وسلم



البيت الرابع عشر

فَإِنَّ أَمَّارَتي بِٱلسُّوءِ مَا ٱتَّعَظَتْ ... مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ ٱلشَّيْبِ وَٱلْهَرَمِ

ولـمَّا كانَ قولُهُ : (إنِّي اتَّهمتُ نصيحَ الشيبِ) يستلزمُ أنَّهُ لم يعظْهُ ولم يأخُذْ بقولِهِ . . **أخذَ يُبيِّنُ عِلَّةَ ما أجملَهُ في ذلكَ ؛ فقالَ :**

(**فإنَّ أمَّارتي**) أي : نفسي الأمَّارةَ (**بالسُّوءِ ما اتَّعظَتْ**) ، فلم تقبَلْ موعظةَ المَشيبِ[1] ؛ (**مِنْ**) أجلِ (**جهلِها بنذيرِ الشيبِ**) أي : جَهلَتْ إنذارَ الشيبِ، (**والهَرَمِ**) وهوَ كِبَرُ السِّنِّ وضَعْفُ القُوىٰ[2] ؛ فـ(نذير) **علىٰ هـٰذا** : بمعنى المصدرِ ، أو يكونُ مرادُهُ بالشيبِ النذيرَ ؛ فيكونُ مِنْ بابِ إضافةِ الصفةِ إلى الموصوفِ ، **ويكونُ التقديرُ أيضاً** : ونذيرِ الهَرَمِ ؛ أي : والهَرَمِ النذيرِ ، أو إنذارِ الهرمِ ، **على التقدير الأول** .

قيلَ : أضافَ (أمَّارة) التي عنىٰ بها نفسَهُ إلىٰ ياءِ المُتكلِّمِ ، وهيَ أيضاً نفسُهُ ؛ فيكونُ علىٰ هـٰذا نفسُهُ أمَّارةً مأمورةً ، والعقلُ يقضي بتغايُرِهما .

وأُجيبَ : بأنَّ الإنسانَ إن عزمَ علىٰ شيءٍ . . تردَّدَ فيهِ ؛ فتارةً يشتدُّ عزمُهُ علىٰ فعلِهِ ، وتارةً علىٰ تركِهِ ؛ فهما خاطرانِ ، فالصوابُ منهُما النفسُ المُطمئِنَّةُ ؛ وهيَ المأمورةُ بالسُّوءِ ومُخالَفةِ النفسِ الأمَّارةِ ، قالَهُ بعضُهُم[3] .

---

(١) في (هـ) : (الشيب) ، **والمشيب** : هو الدخول في حد الشيب ، وقد يستعمل المشيب بمعنى الشيب. انظر « المصباح المنير » (ص٤٤٩) ، مادة : (ش ي ب).
(٢) في (ب) : (القوة) .
(٣) في (ب) : (قال بعضهم) .

والأَوْلىٰ أن يُقالَ : إنَّ الأمَّارةَ هيَ النفسُ ، والياءَ المضافَ إليها هوَ البدنُ ، وهوَ المأمورُ ؛ فالنفسُ مُستوليةٌ بسُلْطانِها على البدنِ تصرفُهُ في شهواتِها ، إلا أن يَزَعَها وازِعُ العقلِ[1] .

وذكرَ بعضُهُم : أنَّ النفسَ تنقسمُ ثلاثةَ أقسامٍ لثلاثةِ أحوالٍ :

أمَّارةٌ : وهيَ التي لا يلوحُ لها طَمَعٌ إلا تعرَّضَتْ لهُ ، ولا تبرُزُ لها شهوةٌ إلا اقتفَتْها[2] ؛ لم تسلُكْ طريقَ الرَّشادِ ، ولا استضاءَتْ بنُورِ السَّدادِ ، ولا أحكمَتْها الرِّياضةُ[3] ، فهيَ تهيمُ في وادٍ مِنَ البَطَالةِ ؛ وذلكَ المُعبَّرُ عنهُ بالهوىٰ ، وقد ذكرَها اللهُ تعالىٰ في قولِهِ : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[4] .

ومُطمئِنَّةٌ : وهيَ التي ثبتَتْ لها مِنَ اللهِ العِصْمةُ ، وسبقَتْ لها منهُ السَّعادةُ ، وسُمِّيتْ مطمئِنَّةً ؛ لاطمئنانِها إلىٰ ذكرِ اللهِ تعالىٰ ، وقيلَ : إلى الإيمانِ ، وقيلَ : إلى التصديقِ بوعدِ اللهِ ، وقيلَ غيرُ ذلكَ[5] ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ . . . ﴾ الآيةَ[6] .

ولوَّامةٌ : وذكرَها اللهُ تعالىٰ بقولِهِ : ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾[7] ؛ وهيَ التي إنْ وقعَتْ في معصيةٍ بسابقِ القضاءِ . . رجعَتْ بالمَلامةِ علىٰ ذاتِها ، وتلكَ حالةٌ حميدةٌ ، ولها إن شاءَ اللهُ تعالىٰ عاقبةٌ جميلةٌ .

---

(١) في (هـ) : (يردعها رادع) بدل (يزعها وازع) .
(٢) في (أ ، د) : (اقتنصتها) .
(٣) في (هـ) : (ولا أحكمت) بدل (ولا أحكمتها) .
(٤) سورة يوسف : (٥٣) .
(٥) انظر هٰذه الأقوال في « تفسير الطبري » (٢٤/ ٤٢٣ـ٤٢٤) ، وهي مروية عن بعض الصحابة والتابعين .
(٦) سورة الفجر : (٢٧ـ٢٨) .
(٧) سورة القيامة : (٢) .

قالَ جعفرُ الصادقُ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ[1] : (مَنْ لم يتَّهِمْ نفسَهُ علىٰ دوامِ الأوقاتِ ، ولم يُخالِفْها في جميعِ الأحوالِ . . كانَ مغرُوراً ، ومَنْ نَظَرَ إليها باستحسانِ شيءٍ منها . . فقدْ أهلكَها)[2] .

وقيلَ : (النفسُ مجبولةٌ علىٰ سوءِ الأدبِ ، والعبدُ مأمورٌ بمُلازمةِ الأدبِ ؛ فالنفسُ تجري علىٰ طبعِها في مَيدانِ المُخالفةِ ، والعبدُ يرُدُّها بجُهدِهِ عن سوءِ البَطالةِ[3] ، فمَنْ أعرضَ عنِ الجُهدِ . . فقد أطلقَ عِنانَ النفسِ ، وغَفَلَ عنِ الرِّعايةِ)[4] .

* * *

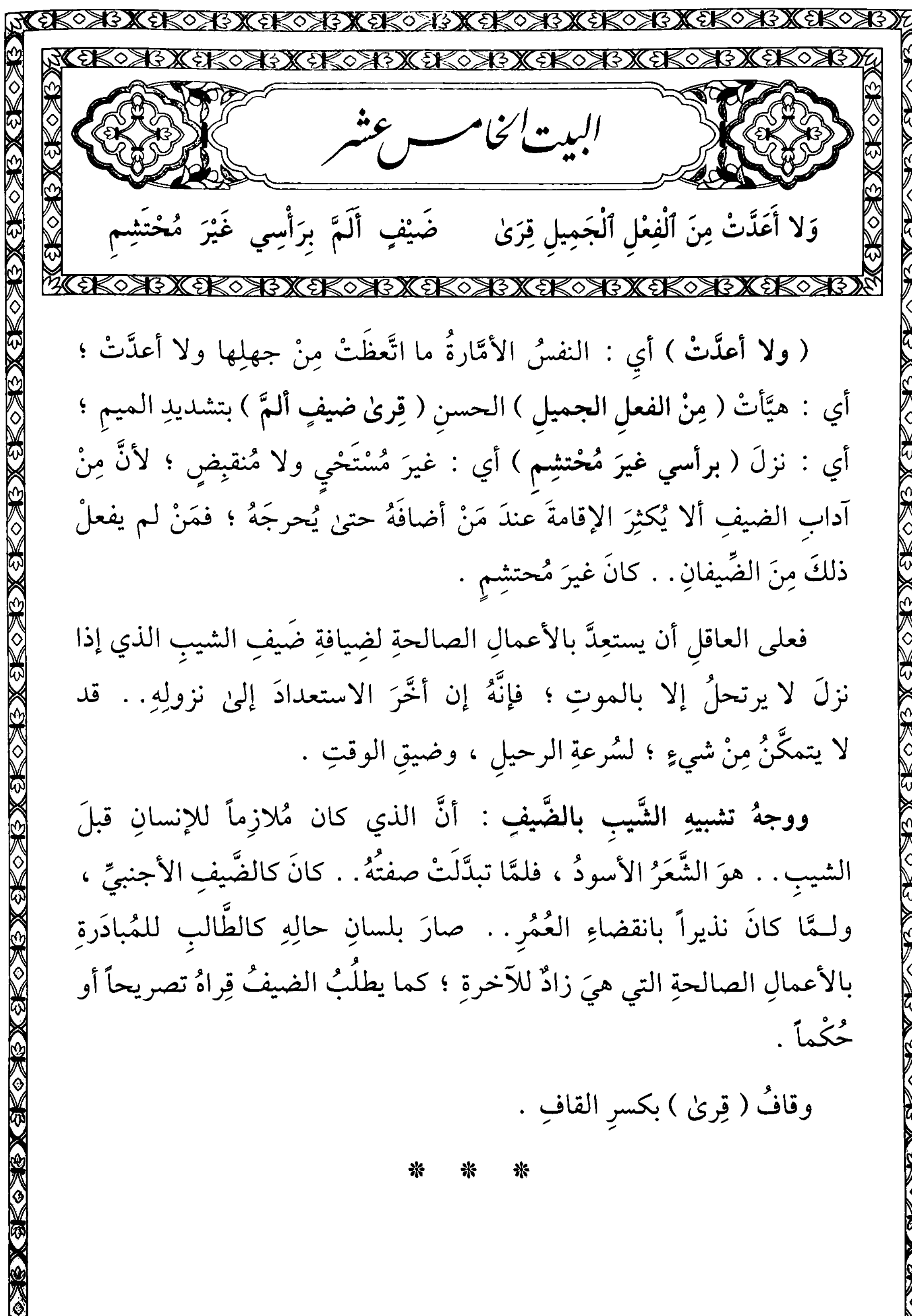
---

(١) هو التابعي الكبير القرشي الهاشمي جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن السبط الحسين بن أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنهم أجمعين (ت١٤٨هـ) ، وهو صاحب العبارة : (سلوني قبل أن تفقدوني) ، وكان شديداً رحمه الله تعالىٰ علىٰ من يسب الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما . انظر « سير أعلام النبلاء » (٦/ ٢٥٥) وما بعدها .

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص٣٩٠) من قول أبي حفص الحداد رحمه الله تعالىٰ .

(٣) في (ج) : (عن سور البطالة) ، وفي المصدر الآتي : (عن سوء المطالبة) .

(٤) أورده بنحوه القشيري في « رسالته » (ص٣٨٩) من قول ابن عطاء الأدمي رحمه الله تعالىٰ ، وأخرجه ابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (ص٧١) من قول أبي علي الرُّوذْباري رحمه الله تعالىٰ .



البيت الخامس عشر

وَلا أَعَدَّتْ مِنَ ٱلْفِعْلِ ٱلْجَمِيلِ قِرَىٰ ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ

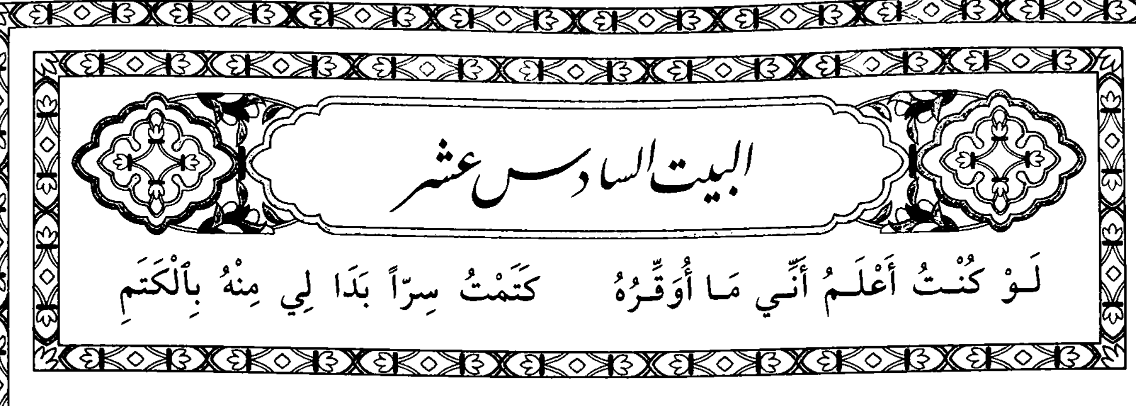
(**ولا أعدَّتْ**) أي : النفسُ الأمَّارةُ ما اتَّعظَتْ مِنْ جهلِها ولا أعدَّتْ ؛ أي : هيَّأتْ (**مِنْ الفعلِ الجميلِ**) الحسنِ (**قِرىٰ ضيفٍ ألمَّ**) بتشديدِ الميمِ ؛ أي : نزلَ (**برأسي غيرَ مُحْتشِمٍ**) أي : غيرَ مُسْتَحْيٍ ولا مُنقبِضٍ ؛ لأنَّ مِنْ آدابِ الضيفِ ألا يُكثِرَ الإقامةَ عندَ مَنْ أضافَهُ حتىٰ يُحرجَهُ ؛ فمَنْ لم يفعلْ ذلكَ مِنَ الضِّيفانِ . . كانَ غيرَ مُحتشِمٍ .

فعلى العاقلِ أن يستعِدَّ بالأعمالِ الصالحةِ لضِيافةِ ضَيفِ الشيبِ الذي إذا نزلَ لا يرتحلُ إلا بالموتِ ؛ فإنَّهُ إن أخَّرَ الاستعدادَ إلىٰ نزولِهِ . . قد لا يتمكَّنُ مِنْ شيءٍ ؛ لسُرعةِ الرحيلِ ، وضيقِ الوقتِ .

ووجهُ تشبيهِ الشَّيبِ بالضَّيفِ : أنَّ الذي كان مُلازِماً للإنسانِ قبلَ الشيبِ . . هوَ الشَّعَرُ الأسودُ ، فلمَّا تبدَّلَتْ صفتُهُ . . كانَ كالضَّيفِ الأجنبيِّ ، ولـمَّا كانَ نذيراً بانقضاءِ العُمُرِ . . صارَ بلسانِ حالِهِ كالطَّالبِ للمُبادَرةِ بالأعمالِ الصالحةِ التي هيَ زادٌ للآخرةِ ؛ كما يطلُبُ الضيفُ قِراهُ تصريحاً أو حُكْماً .

وقافُ (قِرىٰ) بكسرِ القافِ .

* * *



البيت السادس عشر

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أُوَقِّرُهُ كَتَمْتُ سِرّاً بَدَا لِي مِنْهُ بِالْكَتَمِ

ولـمَّا بيَّنَ أنَّ نصيحَ الشَّيبِ لا ينبغي أن يُهمَلَ نُصْحُهُ ، واعتذرَ عن عدمِ قَبولِهِ بالنفسِ الأمَّارةِ[١] ؛ فإنَّهُ كانَ يرتقبُ حلولَهُ[٢] ؛ فلمَّا لم يَتِمَّ لهُ مُناهُ ، ولم يُطابِقْ فعلُهُ بعدَ ظهورِهِ ما نواهُ لغلبةِ النفسِ الأمَّارةِ ، ورأىٰ مِنْ سوءِ العتابِ[٣] وتقبيحِ الفِعالِ مِنَ الناسِ ما لمْ يكُنْ قبلُ رآهُ . . **نَدِمَ علىٰ ألا يكونَ كتَمَهُ عندَ ظهورِهِ وأخفاهُ ؛ فقالَ :**

(**لو كنتُ أعلمُ**) أي : أعرفُ ـ أو أتيقَّنُ ـ قبلَ نزولِ الشيبِ (**أنِّي ما أُوَقِّرُهُ**) بعدَ نزولِهِ بي ؛ أي : لو كنتُ أعلمُ أنِّي ما أُعظِّمُهُ وأتركُ فعلَ القبيحِ استحياءً منهُ كما نويتُ قبلَ نزولِهِ . . (**كتمتُ**) أي : أخفَيْتُ (**سرّاً بدا**) ظهرَ (**لي منهُ بالكَتَمِ**) خَضْباً ، أو بغيرِهِ ممَّا يخضبُ .

والكَتَمُ ـ محرَّكةً ـ : نَبْتٌ يُخلَطُ بالحِنَّاءِ ويُخضَبُ بهِ الشَّعَرُ ، فيبقىٰ لونُهُ ، قالَهُ في « القاموسِ »[٤] .

وعبَّرَ الناظمُ عمَّا بدا لهُ أوَّلاً مِنَ الشيبِ بالسِّرِّ[٥] ؛ **لأنَّهُ** قبلَ ظهورِهِ خَفِيٌّ

---

(١) أي : بسبب النفس الأمارة ؛ فالباء سببية .

(٢) في (ب) : (يترقب) بدل (يرتقب) .

(٣) في (ب) : (العيوب) .

(٤) القاموس المحيط (٤/١٦٦) ، مادة : (ك ت م) .

(٥) في (أ، ب) : (بالستر) ، والصواب المثبت ، وانظر « إظهار صدق المودة » (ق/٥١) .

كحديثِ النفسِ الذي لم يظهَرْ ، أو لأنَّهُ مُنذِرٌ بقُرْبِ الأجلِ الذي كانَ خفيّاً .

قيلَ : لا معنىً لقولِهِ : (لي) لولا الوزنُ ؛ فإنَّ المُستقبَحَ منهُ ما يبدو لغيرِهِ فيلومُهُ عليهِ ، لا ما يبدو لهُ هوَ .

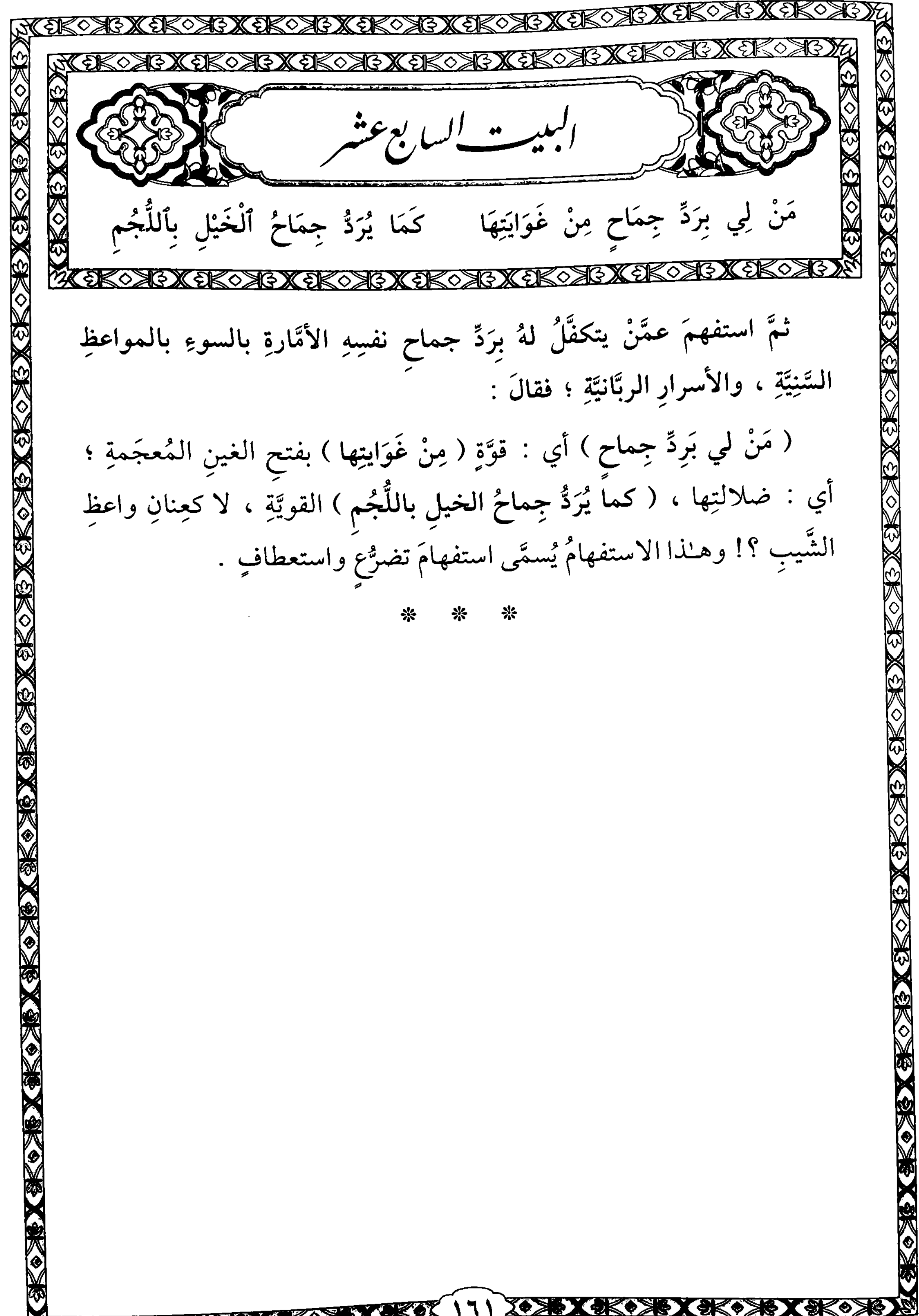
وأُجيبَ : بأنَّهُ إذا ظهرَ الشيبُ.. فأوَّلُ ما يطَّلعُ عليهِ صاحبُهُ في الغالبِ ؛ لاهتمامِهِ بشأنِ نفسِهِ أكثرَ ممَّا يهتمُّ بهِ غيرُهُ ؛ فلذا قالَ : (لي) ؛ فليسَ قولُهُ : (لي) كالمُستغنَىٰ عنهُ كما زُعِمَ ؛ فقدْ عُلِمَ أنَّ قولَهُ : (لي) احتراسٌ .

ويحتملُ : أن يكونَ مِنَ البيانِ بعدَ الإجمالِ ، وهوَ مِنْ **بابِ الإطنابِ** ؛ نحوُ : ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي * وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾[1] ، **وفائدتُهُ** : عِلْمُ الشيءِ إجمالاً ثمَّ تفصيلاً .

* * *

---

(١) سورة طه : (٢٥ـ٢٦) .



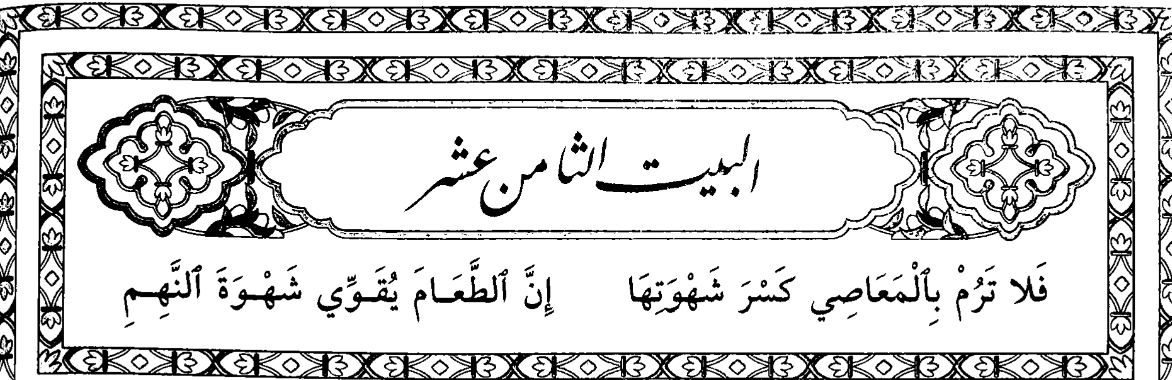
البيت السابع عشر

مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا ... كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ ٱلْخَيْلِ بِٱللُّجُمِ

ثمَّ استفهمَ عمَّنْ يتكفَّلُ لهُ بِرَدِّ جماحِ نفسِهِ الأمَّارةِ بالسوءِ بالمواعظِ السَّنِيَّةِ ، والأسرارِ الربَّانيَّةِ ؛ فقالَ :

(مَنْ لي بَرِدِّ جِماحٍ) أي : قوَّةٍ (مِنْ غَوَايتِها) بفتحِ الغينِ المُعجَمةِ ؛ أي : ضلالتِها ، (كما يُرَدُّ جِماحُ الخيلِ باللُّجُمِ) القويَّةِ ، لا كعِنانِ واعظِ الشَّيبِ ؟! وهٰذا الاستفهامُ يُسمَّى استفهامَ تضرُّعٍ واستعطافٍ .

* * *


البيت الثامن عشر

فَلا تَرُمْ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا ... إِنَّ ٱلطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ ٱلنَّهِمِ

ولـمَّا أَمَرَ بِرَدِّ النفسِ عنِ جِماحِها بأقصىٰ ما يكونُ مِنَ العُنْفِ كَرَدِّ الخيلِ الجَمُوحةِ باللُّجُمِ القويَّةِ ، وكانَ مِنَ الجائزِ أن يُقالَ : بلِ الأولى السياسةُ في ردِّها لئلا تنفِرَ . . **قالَ** :

(**فلا تَرُمْ**) أي : فلا تطلُبْ (**بالمعاصي كَسْرَ شهوتِها**) فإنَّ ذلكَ غَلَطٌ ، فإنَّ تماديَها على العِصْيان مُوجِبٌ لتأنُّسِها بهِ وصُعوبةِ إقلاعِها ؛ لأنَّها أَلِفَتْ ذلكَ ، بل ينبغي أن تُقلِعَ جملةً واحدةً ؛ كما يَرُدُّ اللِّجامُ الجَمُوحَ .

وأصلُ تَرُمْ : (تَرُومُ) ، فجُزِمَ بـ (لا) الناهيةِ ، فالتقىٰ ساكنانِ الواوُ والميمُ ، فحُذِفَتِ الواوُ ؛ لالتقاءِ الساكنَينِ .

ثمَّ استدلَّ الناظمُ علىٰ ما ذكرَهُ بقولِهِ : (**إنَّ الطَّعامَ يُقوِّي شَهْوةَ النَّهِمِ**) أي[1] : تمكينُ النَّهِمِ مِنَ الطَّعامِ يزيدُ في قوَّةِ شهوتِهِ إيَّاهُ ، بخلافِ ما إذا رُفِعَ مِنْ بينِ يديهِ ؛ فإنَّهُ لا يجدُ ما يشتغلُ فيهِ فييئسُ منهُ ؛ فكذلكَ النفسُ إذا حِيلَ بينَها وبينَ المعاصي ؛ تيئسُ منها وتعودُ إلى الطَّاعةِ .

قيلَ : دليلُهُ غيرُ ظاهرٍ ؛ فإنَّ النَّهِمَ إنَّما تَقْوىٰ شهوتُهُ إلى الطَّعامِ إذا لم يشبَعْ منهُ ، وأمَّا إذا شَبِعَ . . فقد أخذَ حاجتَهُ منهُ .

---

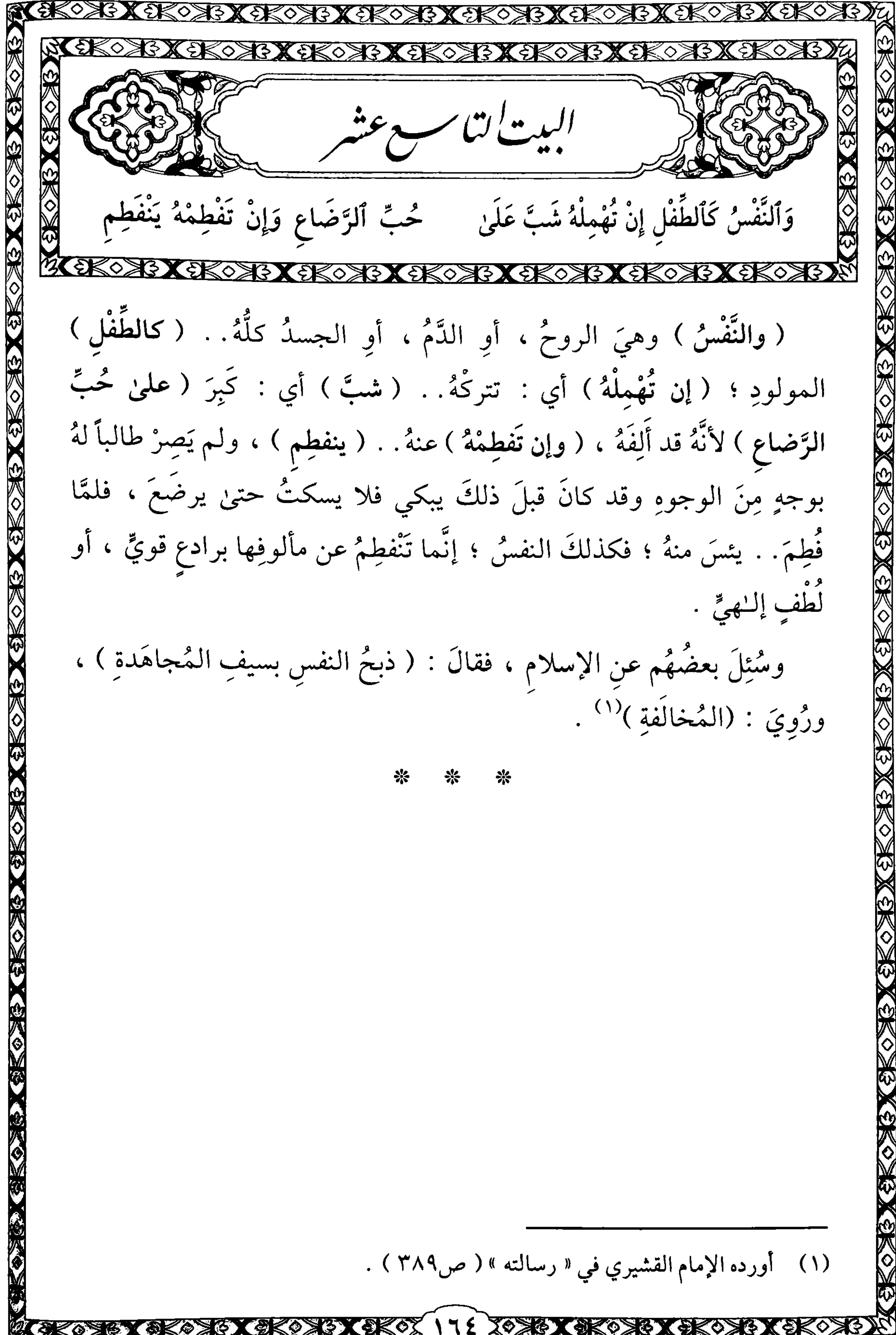
(١) في (هـ) : (إذ) ، والنَّهِم : شديد الرغبة في الأكل ؛ يقال : رجل نَهِم ومنهوم ؛ إذا كان رغيباً في الأكل ، قال عليه الصلاة والسلام : « منهومانِ لا يشبعانِ : طالبُ العلمِ ، وطالبُ الدنيا » **انتهىٰ من هامش (د)** .

وأُجِيبَ بما حاصلُهُ : أنَّ العربَ تقولُ : (تطعَّمْ . . تَطعَمْ)[1] ؛ أي : ذُقْ . . تأكُلْ[2] ، والمَعِدَةُ أبداً تنفتحُ لِمَا يُلْقىٰ فيها مِنَ الطَّعامِ إلا لمانعٍ ، وقوَّتُها الجاذبةُ لا تزالُ وإنِ امتلأَتْ ؛ لا سيَّما مَعِدةِ النَّهِمِ ، **ومثالُ هـٰذا : ما ذكرَهُ بقولِهِ** :

---

(١) أورده الزمخشري في « المستقصىٰ في أمثال العرب » (٢/ ٢٩) ، والميداني في « مجمع الأمثال » (١/ ١٢٩) ، **والمعنىٰ** : ذُقْ حتىٰ يدعوك طعمُهُ إلىٰ أكله ، وهو مثل يضرب في الحث على الدخول في الأمر ؛ أي : ادخُلْ في أوله . . يدعُك إلى الدخول في آخره ويُرغِّبْك فيه .

(٢) في (هـ) : (تأكله) .



البيت التاسع عشر

وَٱلنَّفْسُ كَٱلطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَىٰ ... حُبِّ ٱلرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

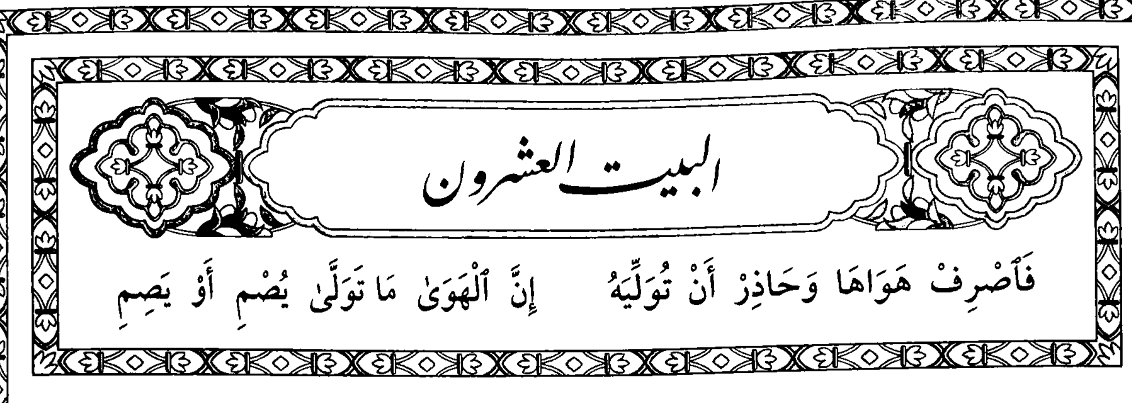
(**والنَّفْسُ**) وهيَ الروحُ ، أوِ الدَّمُ ، أوِ الجسدُ كلُّهُ . . (**كالطِّفْلِ**) المولودِ ؛ (**إن تُهْمِلْهُ**) أي : تتركْهُ . . (**شبَّ**) أي : كَبِرَ (**علىٰ حُبِّ الرَّضاعِ**) لأنَّهُ قد أَلِفَهُ ، (**وإن تَفطِمْهُ**) عنهُ . . (**ينفطِمِ**) ، ولم يَصِرْ طالباً لهُ بوجهٍ مِنَ الوجوهِ وقد كانَ قبلَ ذلكَ يبكي فلا يسكتُ حتىٰ يرضَعَ ، فلمَّا فُطِمَ . . يئسَ منهُ ؛ فكذلكَ النفسُ ؛ إنَّما تَنْفطِمُ عن مألوفِها برادعٍ قويٍّ ، أو لُطْفٍ إلـٰهيٍّ .

وسُئِلَ بعضُهُم عنِ الإسلامِ ، فقالَ : (ذبحُ النفسِ بسيفِ المُجاهَدةِ) ، ورُوِيَ : (المُخالَفةِ)[1] .

* * *

---

(١) أورده الإمام القشيري في « رسالته » (ص٣٨٩) .



البيت العشرون

فَٱصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ ... إِنَّ ٱلْهَوَىٰ مَا تَوَلَّىٰ يُصْمِ أَوْ يَصِمِ

ولـمَّا شبَّهَ النفسَ بالطِّفلِ وكانَ الطِّفلُ لا يُؤمَرُ ولا يُنهىٰ ؛ لأنَّهُ لا يفهمُ ذلكَ ، وإن فهمَهُ . . فلا يمتثلُ ، وإنَّما الشأنُ في إزاحتِهِ عنهُ ألا يُمكَّنَ منهُ . . أمرَ هنا[1] **بصَرْفِ الهوىٰ عنِ النفسِ حتىٰ لا تجدَهُ فتتعلَّقَ بهِ ؛ فقالَ :**

(**فاصْرِفْ هواها**) قبلَ تمكُّنِ سُلْطانِهِ ، وبادِرْهُ حالَ ضَعْفِهِ علىٰ حَسَبِ الطَّاقةِ .

ولم يَقُلْ : (فاصْرِفِ النفسَ عن هواها) ؛ لأنَّها لا تفهمُ هـٰذا المعنىٰ ، أو تفهمُهُ ولا تمتثلُهُ كالطِّفلِ .

(**وحَاذِرْ**) أي : احذَرْ وتحرَّزْ مِنْ (**أن تُولِّيَهُ**) أي : تُؤمِّرَهُ ؛ مِنَ الإمارةِ التي هيَ الوِلايةُ ، ويُروىٰ : (تُواليَهُ) مِنَ المُوالاةِ[2] .

(**إنَّ الهوىٰ ما تولَّىٰ . . يُصْمِ**) بضمِّ الياءِ ؛ مِنْ (أصميتُ الصيدَ) : إذا رميتَهُ فقتلتَهُ ، (**أو يَصِمِ**) بفتحِ الياءِ ؛ أي : يَعِبْ ؛ مِنْ : وصمَهُ يَصِمُهُ وَصْماً : إذا عابَهُ ، **والوَصْمُ** : العيبُ والعارُ .

وإنَّما عبَّرَ بـ (حَاذِرْ) دونَ (احذَرْ) تنبيهاً علىٰ أنَّ النفسَ تُراقِبُ غَفْلَةَ

---

(١) في (ب) : (أمرها) بدل (أمر هنا) .

(٢) وهي كذلك في النسخة (هـ) ، والمعنىٰ : تحرَّز من أن تتابع هواها ، بل إن عثرت فيه يوماً . . فألْجِمْها بلجام النزع ؛ فإن الهوىٰ إن تتابع على النفس أو علىٰ غيرها . . يقتل أو يَعِبْ . « إظهار صدق المودة » (ق/ ٦١) .

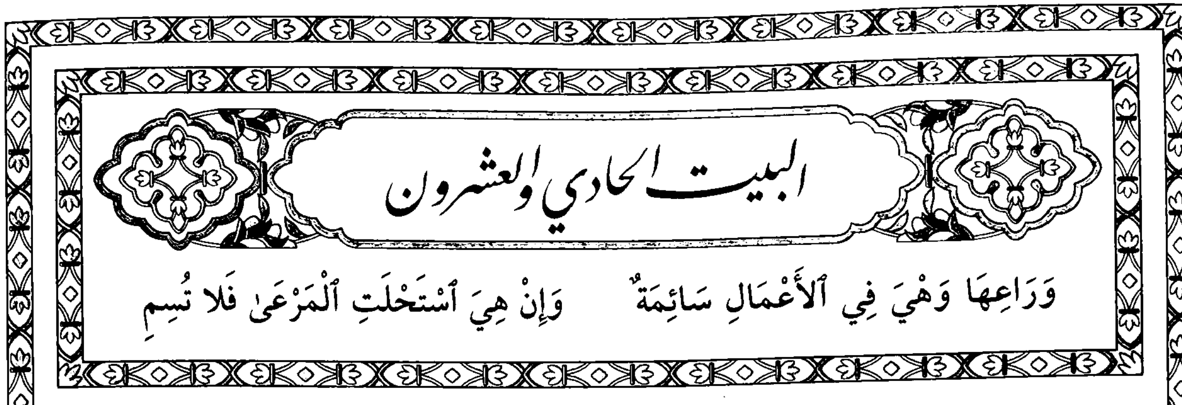
صاحبِها عنها لِتقعَ في هواها[1] ؛ فهيَ تُحاذِرُهُ كما يُحاذِرُها .

وفي قولِهِ : (فاصْرِفْ هواها . . .) إلىٰ آخرِ البيتِ : **استعارةٌ بالكنايةِ** ؛ فإنَّهُ شبَّهَ النفسَ فيهِ بطالبٍ يطلُبُ الإمارةَ ، وحذفَهُ وأثبتَ مِنْ لوازمِهِ الأمرَ بصرفِهِ عنِ التوليةِ ، وأنَّهُ جائرٌ ظالمٌ ؛ لأنَّهُ إن تولَّىٰ قتلَ أو عابَ ؛ **فهيَ ترشيحيَّةٌ** ؛ لأنَّها قُرِنتْ بما يُلائِمُ المُستعارَ منهُ[2] .

* * *

(١) في (ب): (ليُقع) بالتذكير ، والمثبت موافق لـ « الإظهار » أي: لتقع النفس فيما تتمنَّاه وتشتهيه وتهواه.

(٢) أي : المشبه به ، **والاستعارة الترشيحيّة** : هي أن يُذكَرَ معها ما يلائم المشبه به ؛ وهو هنا طالب الإمارة .



وظاهرُ كلامِهِ : أنَّ النفسَ تُصْرَفُ عن كلِّ ما تهواهُ حتىٰ عنِ الطَّاعةِ إن هَوَتْها ، لـٰكن أزالَ هـٰذا الإشكالَ بقولِهِ : (وراعِها) أي : ولاحِظْها (وَهْيَ في الأعمالِ) الصالحةِ (سائمةٌ) أي : راعيةٌ .

ولـمَّا كانَ للنفسِ حظٌّ في أفعالِ بعضِ العباداتِ ؛ كأَنْ ربَّما يلحقُها الرِّياءُ ، ويُمدَحُ الإنسانُ مِنْ أجلِ فعلِها[1] ؛ فهوَ يهواها لذلكَ ؛ وهـٰذا القصدُ قد يخفىٰ علىٰ صاحبِها . . نبَّهَ علىٰ ذلكَ بقولِهِ :

(وإن هيَ استحلَتِ المَرْعىٰ) أي : وجدتْهُ حُلواً فانهمكَتْ أو همَّتْ بالعُكُوفِ عليهِ . . (فلا تُسِمِ) أي : فلا تُخرِجْها إلىٰ ذلكَ المَرْعىٰ حتىٰ تتفقَّدَ دسائسَها[2] ؛ لأنَّ النُّفوسَ البشريَّةَ ـ إلا مَنْ رَحِمَ اللهُ ـ لا تهوى الطَّاعةَ مِنْ حيثُ هيَ طاعةٌ ، فإذا استحلَتْها ومالَتْ إليها . . أمكَنَ ذلكَ أن يكونَ لغرضٍ لها في ذلكَ ، فيعودُ هواها كالمكروهِ المأمورِ بصَرْفِهِ عنها[3] ، وتنقلبُ الطَّاعةُ معصيةً .

* * *

(١) في (ب) : (فعله) أي : بعض العبادات ، أو الإنسان ، ويكون من إضافة المصدر لفاعله ، والمفعول محذوف ، والمثبت من إضافة المصدر لمفعوله ، والضمير المؤنث يعود للبعض المضاف للعبادات ، فاكتسب التأنيث بإضافته إليها .

(٢) في (ب) : (سائسها) .

(٣) قوله : (كالمكروه) كذا في النسخ ، وفي « إظهار صدق المودة » : (المكروه) .



البيت الثاني والعشرون

كَـمْ حَسَّنَـتْ لَـذَّةً لِلْمَـرْءِ قَـاتِلَـةً ... مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ ٱلسُّمَّ فِي ٱلدَّسَمِ

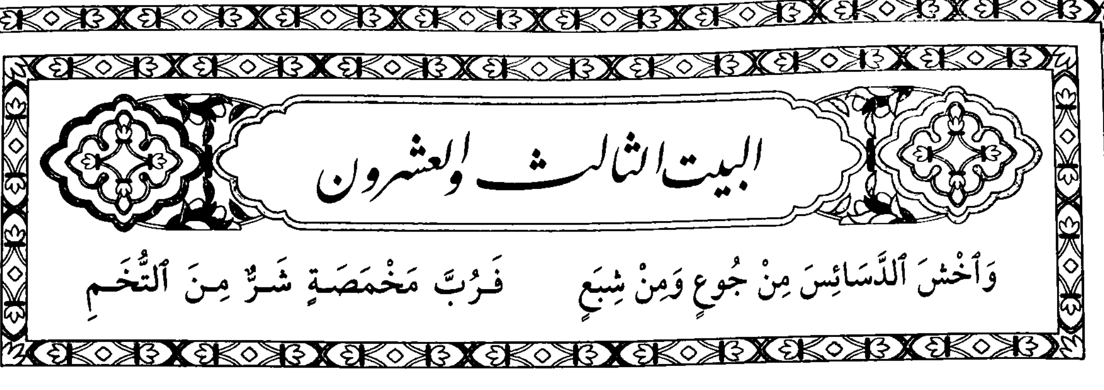
ثمَّ استشهدَ على هـٰذا المعنىٰ بقولِهِ :

(كَمْ حسَّنَتْ) أي : كثيراً ما زيَّنتِ النفسُ (لَذَّةً للمرءِ قاتلةً) لهُ (مِنْ حيثُ لم يَدْرِ) أي : لم يعلَمْ (أنَّ السُّمَّ) - بفتحِ السينِ وضمِّها - دُسَّ لهُ (في الدَّسَمِ) ، فأكلَهُ ولم يتفقَّدْ باطنَهُ ممَّا دُسَّ فيهِ .

وخصَّ الدَّسَمَ ؛ لأنَّهُ يعلو الأشياءَ فيستُرُ ما تحتَهُ ؛ كصورةِ العبادةِ الساترةِ لما بَطَنَ مِنَ النِّيَّةِ الخبيثةِ ، أو لأنَّ الدَّسَمَ لسُهولةِ امتزاجِ السُّم بهِ يخفىٰ[1] إلا على المُتفقِّدِ اللَّبيبِ ؛ كخفاءِ النِّيَّاتِ في العباداتِ .

* * *

(١) في (أ ، ب) : (فيه) بدل (به) ، والمثبت أنسب بالتعدية ، وموافق لـ « إظهار صدق المودة » .



وَٱخْشَ ٱلدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ ... فَـرُبَّ مَخْمَصَـةٍ شَـرٌّ مِـنَ ٱلتُّخَـمِ

(**واخشَ الدسائسَ**) أي : اخشَ ما تُخفيهِ النفسُ مِنَ المكْرِ حالَ تلبُّسِها بقليلِ العبادةِ وكثيرِها ، وكنىٰ عن قليلِها بقولِهِ : (**مِنْ جوعٍ**) ، وعن كثيرِها بقولِهِ : (**ومِنْ شِبَعٍ**) ؛ كأنَّهُ مِنْ بابِ تسميةِ الشيءِ بما يَؤُولُ إليهِ ؛ لأنَّ قِلَّةَ العبادةِ تَؤُولُ إلى الجوعِ في الآخرةِ بالنِّسبةِ إلىٰ شِبَعِها ، وكثيرَها يُؤدِّي إلىٰ شِبَعِها ، ومنهُ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا ﴾[1] ، فسمَّى العِنَبَ خمراً[2] .

(**فرُبَّ مَخْمَصَةٍ**) أي : مَجاعةٍ (**شرٌّ مِنَ التُّخَمِ**) جمعُ تُخَمةٍ ؛ **قيلَ** : فسادُ الطَّعامِ في المَعِدَةِ ، **والصوابُ** : فسادُ المَعِدَةِ بالطعامِ ، **وفُسِّرتْ أيضاً** : بأنَّها ضِدُّ المَخْمَصَةِ ، **ولا يصحُّ** ؛ فإنَّ الشِّبَعَ ضدُّها وإن لم يَتْخَمْ[3] .

وأصلُ التُّخَمَةِ[4] : وُخَمَةٌ ، فأُبدلَتِ الواوُ تاءً[5] .

---

(١) سورة يوسف : (٣٦) .

(٢) أي : باعتبار ما يؤول إليه ؛ لأنه وقت عصره لا يكون خمراً ؛ فو مجاز مرسل ، وعلاقته اعتبار ما يكون .

(٣) بفتح الخاء من باب (علم) ، ويقال أيضاً من باب (ضرب) ، ويقال : (اتَّخمَ) علىٰ وزان (افتعل) .

(٤) وتسكن الخاء في لغة .

(٥) لأنها من الوخامة ، وتوهَّموا التاء أصليَّةً لكثرة الاستعمال . انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٦٠) ، و« تاج العروس » (٣٤/ ٣٥) ، مادة : (وخ م) .

يعني : أنَّ النفسَ قد تُزيِّنُ لصاحبِها قليلَ العبادةِ ؛ بأن تقولَ لهُ : الإكثارُ مِنَ العبادةِ يضُرُّ بالبدنِ فيُؤدِّي إلى العَجْزِ بالكُلِّيَّةِ ، والكثيرُ منها ربَّما يُؤدِّي إلى الرِّياءِ ، فلازِمِ القليلَ وداوِمْ عليهِ ، **ويكونُ قصدُها بذلكَ الراحةَ** .

وقد تُزيِّنُ لهُ كثيرَ العبادةِ لتكثيرِ الثوابِ ، **ويكونُ قصدُها بذلكَ الشهرةَ عندَ الناسِ** ؛ حتىٰ يُمجَّدَ ويُعظَّمَ عندَهُم[1] ؛ حتىٰ لو أمرَهُم بأمرٍ . . لَبادروا إلى امتثالِهِ[2] ، **وهـٰذا هوَ الغايةُ القُصْوىٰ مِنْ مطالبِ النفسِ المُهلِكةِ** ، وهيَ مَفْسَدةٌ عظيمةٌ ؛ فإنَّهُ حينَئذٍ يقصِدُ بعبادتِهِ غيرَ وجهِ اللهِ تعالىٰ ، لـٰكنَّ هـٰذهِ المَفْسَدةَ وإن كانتْ عظيمةً . . فإنَّها معَ الاستكثارِ مِنَ العبادةِ قد يسلَمُ لهُ كثيرٌ منها وإن كانَ يقصِدُ ببعضِها الرِّيَاءَ[3] ؛ كالفرائضِ التي لا رياءَ فيها ، وما يفعلُهُ منها خالياً .

وكانَ بعضُ المشايخِ يقولُ : (اجتهدوا في إصلاحِ ظواهرِكُم ؛ فإنَّكُم إن فعلْتُم . . يُوشِكُ أن تصلُحَ بواطنُكُم)[4] .

ويُحكىٰ : أنَّ رجلاً تعبَّدَ سنينَ ، ليشتهرَ بذلكَ وتُودَعَ عندَهُ الأماناتُ لينتفعَ بها ، فلم يُودَعْ عندَهُ شيءٌ ، فلمَّا طالَ عليهِ الأمرُ . . وبَّخَ نفسَهُ وقالَ : لو أنَّ هـٰذهِ العبادةَ لطَلَبِ ما عندَ اللهِ تعالىٰ . . لكانَ الفوزُ الأعظمُ[5] ، فعقدَ

---

(١) في (هـ) : (يحمد) بدل (يمجد) .
(٢) في النسخ ما عدا (هـ) : (تبادروا) بدل (لبادروا) ، والأكثر ما أثبت ؛ لأن جواب (لو) مثبت ، وهو أيضاً موافق لـ « إظهار صدق المودة » .
(٣) في (هـ) : (بها) بدل (ببعضها) ، والمثبت أنسب وموافق لـ « إظهار صدق المودة » .
(٤) عزا ابن مرزوق في « شرحه » (ق/ ٦٢) هـٰذا القولَ لبعض مشايخه رحمه الله تعالىٰ .
(٥) في (ب) : (العظيم) .

التوبةَ جَزْماً ، فلمَّا أصبحَ . . أُتِيَ بأمانةٍ ، فقالَ لصاحبِها : ما كانَ بينَنا[1] وبينَها إلا ظلامُ الليلِ ، اذهبْ بسلامٍ[2] .

وحاصلُ ما أشارَ إليهِ الناظمُ : أنَّ قِلَّةَ العبادةِ[3] المَكْنيَّ عنها بالجوعِ والمُخْمصَةِ أشرُّ مِنْ كثرتِها الكائنِ في بعضِها الرياءُ[4] ، وهيَ المَكنيُّ عنها بالشِّبَعِ والتُّخَمِ .

* * *

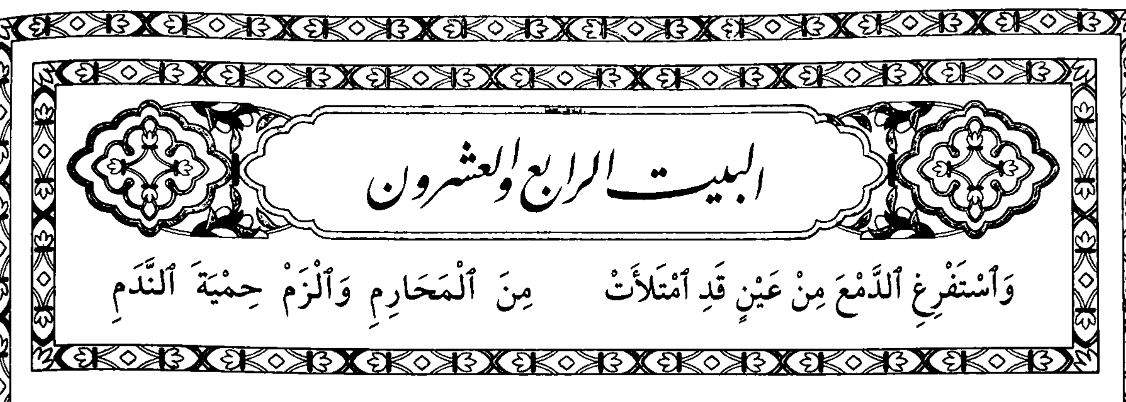
---

(١) في (هـ) : (بيني) ، والمثبت موافق لـ « إظهار صدق المودة » .

(٢) انظر « إظهار صدق المودة » (ق / ٦٢) ، وعقَّب ابن مرزوق بقوله : (ولعل هـٰذا من بركة العمل الصالح) .

(٣) في (أ ، ب ، ج ، د) : (الطعام) ، والصواب المثبت كما في « إظهار صدق المودة » ، وراجع الشرحَ صدرَ هـٰذا البيت .

(٤) **قوله** : (**أشرُّ**) جاء على القياس ، وهو قليل أو رديء ، **والأفصح** : أن يكون دون همزة ، وقرئ على القليل وهو شاذ : (سيعلمون غداً مَنِ الكذَّابُ الأَشَرُّ) انظر « تاج العروس » (١٢/ ١٥٤) ، مادة : (ش ر ر) .



البيت الرابع والعشرون

وَٱسْتَفْرِغِ ٱلدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ ٱمْتَلأَتْ ... مِنَ ٱلْمَحَارِمِ وَٱلْزَمْ حِمْيَةَ ٱلنَّدَمِ

ولـمَّا أَمَرَ بتخليصِ الأعمالِ مِنَ المفاسدِ . . **أَمَرَ بالتوبةِ والندمِ والبُكاءِ علىٰ ما عساهُ وقعَ منها فاسداً ، أو علىٰ ما صدرَ مِنَ المعاصي ؛ فقالَ :**

(**واسْتَفْرِغِ الدمعَ**) أي : اطلُبْ إراقتَهُ بالبُكاءِ (**مِنْ عينٍ قدِ امتلأَتْ مِنَ**) الآثامِ ؛ مِنْ أجلِ النَّظَرِ إلىٰ (**المحارمِ**) التي حَرَّمَ اللهُ النظرَ إليها .

(**والزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ**) من (حَمَيْتُ المريضَ الطعامَ) : إذا منعتَهُ منهُ ؛ كأنَّهُ قالَ : الزَمْ منعَ النَّدمِ إيَّاكَ مِنَ الوقوعِ في المعاصي .

وبَدَأَ بالتنصُّلِ مِنْ تَبِعاتِ العينِ ؛ لأنَّ البُكاءَ علامةُ النَّدمِ علىٰ جميعِ ما سَلَفَ ، أو لأنَّ السببَ الأعظمَ في الوقوعِ في المعصيةِ هوَ النَّظَرُ ؛ لأنَّ الناظرَ ينظُرُ فيستحسنُ ، فيقعُ فيما لا يَحِلُّ ، **وَقانا اللهُ مِنَ الفِتَنِ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ ؛ بمنِّهِ وفضلِهِ .**

والبُكاءُ على الخطيئةِ مِنْ أفضلِ القُرَبِ ، وأَسْنى الرُّتَبِ ؛ قالَ عيسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « طُوبَىٰ لِمَنْ بَكَىٰ عَلَىٰ خَطِيئَتِهِ »[1] .

وإنَّما قالَ الناظمُ : (واسْتَفْرِغْ) ولم يقل : (وَلْتُفْرِغْ) لإفادةِ أنَّ ذلكَ

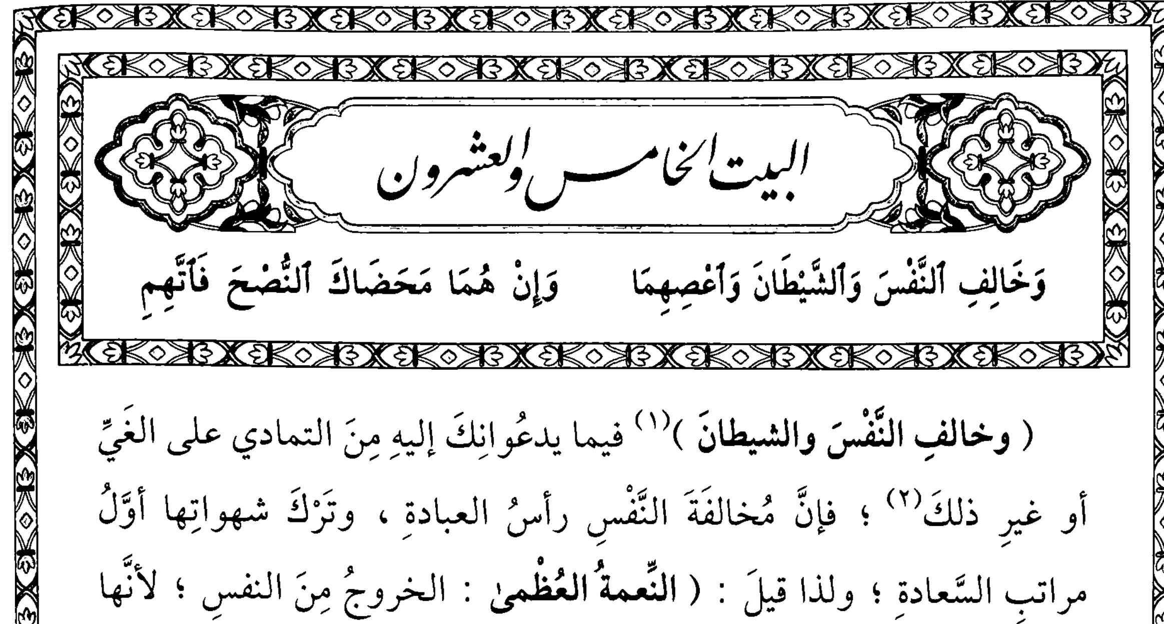
---

(١) أخرجه وكيع في «الزهد» (٣١) ، ومن حديث سيدنا ثوبان رضي الله عنه مرفوعاً سعيد بن منصور في « سننه » (٢٨٩٧) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٣٤٠) ، و« المعجم الصغير » (١/ ٧٨) ، ولفظ الطبراني : « طُوبىٰ لمن مَلَكَ لسانَهُ ، ووسِعَه بيتُهُ ، وبكىٰ علىٰ خطيئته » .

لا يكونُ إلا بالطَّلبِ ، ومعلومٌ ما فيهِ مِنَ المَشقَّةِ ؛ لا سيَّما في طلبِ ما يُخالِفُ هوى النفسِ .

و(أل) في (الدمعِ) : **للحقيقةِ** ؛ أي : لا تُبقِهِ فيها ما أمكنَ ، وذلكَ قليلٌ في جنبِ ما فرَّطْتَ .

* * *



البيت الخامس والعشرون

وَخَالِفِ ٱلنَّفْسَ وَٱلشَّيْطَانَ وَٱعْصِهِمَا ... وَإِنْ هُمَا مَحَضَاكَ ٱلنُّصْحَ فَٱتَّهِمِ

(**وخالفِ النَّفْسَ والشيطانَ**)[١] فيما يدعُوانِكَ إليهِ مِنَ التمادي على الغَيِّ أو غيرِ ذلكَ[٢] ؛ فإنَّ مُخالفَةَ النَّفْسِ رأسُ العبادةِ ، وتَرْكَ شهواتِها أوَّلُ مراتبِ السَّعادةِ ؛ ولذا قيلَ : (**النِّعمةُ العُظْمىٰ** : الخروجُ مِنَ النفسِ ؛ لأنَّها أعظمُ حِجابٍ بينَكَ وبينَ اللهِ تعالىٰ)[٣] ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[٤] .

وقد سُئِلَ المشايخُ عنِ الإسلامِ ، فقالوا : (ذبحُ النفوسِ بسيوفِ المخالفةِ)[٥] .

---

(١) **الشيطان** : كل جني كافر ، **سُمِّي شيطاناً** : لأنه شَطَن ؛ أي : بعُد عن رحمة الله ، **وقيل** : لأنه شاط بأعماله ، قال الجاحظ : الجني إذا كفر وتعدَّىٰ وظلم . . **فهو شيطان** ، فإن قوي على حمل البُنيان والشيء الثقيل ، وعلى استراقة السمع . . **فهو مارد** ، فإن زاد علىٰ ذلك . . **فهو عفريت** . **انتهىٰ من هامش (د)** .

(٢) في (ب) : (عن الغي) بدل (على الغي) ، والمثبت موافق لـ « إظهار صدق المودة » ، **والأنسب بالتعدية** : (في الغي) ، ولعله ضمَّن (التمادي) معنى الاجتراء ، والله تعالىٰ أعلم .

(٣) أورده السلمي في « طبقاته » (ص ٤٧٢) ، والقشيري في « رسالته » (ص٢٢٢ ، ٣٩١) من قول أبي بكر الطَّمَسْتاني رحمه الله تعالىٰ .

(٤) سورة النازعات : (٤٠ـ٤١) .

(٥) سبق تخريجه (ص ١٦٤) ، وفي (ج ، هـ) : (النفس) بدل (النفوس) .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (ما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ مثلِ مُخالَفةِ النفسِ والهوىٰ)[1] .

وأمَّا الشيطانُ . . فعداوتُهُ لا تخفىٰ ، وكيفَ يقبلُ اللَّبيبُ نصيحتَهُ ؟! أم كيفَ يأمَنُ العاقلُ خديعتَهُ ؟! انظُرْ فعلَهُ معَ أبيكَ وقد أقسمَ لهُ أنَّهُ لهُ لَمِنَ الناصحينَ ، فكيفَ بكَ وقد أقسمَ ليُغوِيَنَّكَ ؟!

أعاذَنا اللهُ منهُما .

ثمَّ نبَّهَ الناظمُ علىٰ أنَّهُ لا يُكتفىٰ بمخالفتِهِما ، بل لا بدَّ مِنْ عِصْيانِهِما ؛ فقالَ :

(**واعْصِهِما**) لأنَّهُ قد يُخالِفُ ما أَمَراهُ بهِ إلىٰ غيرِهِ ممَّا يَرْضَيانِ بهِ .

وقيلَ : يحتملُ أن يُرِيدَ : خالفْهُما في المكروهِ والمُحرَّمِ معاً ، واعْصِهِما في المُحرَّمِ ؛ فيكونُ مِنْ عطفِ الخاصِّ على العامِّ ، أو يكونُ مِنْ عطفِ التغايرِ[2] ؛ أي : خالِفْهُما في المكروهِ ، واعْصِهِما في المُحرَّمِ .

ثمَّ قالَ : (**وإن هما مَحَضاكَ**) أي : أخلصا لكَ (**النُّصْحَ**) فيما أَبْدَياهُ لكَ . . (**فاتَّهِمِ**) الناصحَ مِنْ كلٍّ منهُما .

ومثالُ ذلكَ : كأن تقولَ النفسُ : متِّعْني بهـٰذهِ الشهوةِ ؛ لأمتلئَ منها ثمَّ أتوجَّهَ إلى الطَّاعةِ فارغةً .

أو تقولَ لـمَنْ نوى الجِدَّ في العبادةِ : إنَّ اللهَ غنيٌّ عنكَ وعن عبادتِكَ ، فحافِظْ علىٰ أصلِ الإيمانِ ويكفيكَ .

---

(١) أورده الإمام القشيري في « رسالته » (ص٣٩١) .

(٢) في (ب) : (المتغاير) .

أو تقولَ للمُنهمِكِ في العِصْيان : إنَّكَ قد اجترمْتَ أُموراً عِظاماً لا تُقبَلُ لكَ معَها توبةٌ ، فاربَحْ دُنياكَ .

وأتىٰ بـ (إن) في قولِهِ : (وإن هما) لأنَّهُ أمرٌ مشكوكٌ فيهِ[1] ، بل لا يُفرَضُ إلا كما تُفرَضُ المُحالاتُ ؛ فإنَّ النُّصحَ لا يُتصوَّرُ مِنْ جهتِهِما .

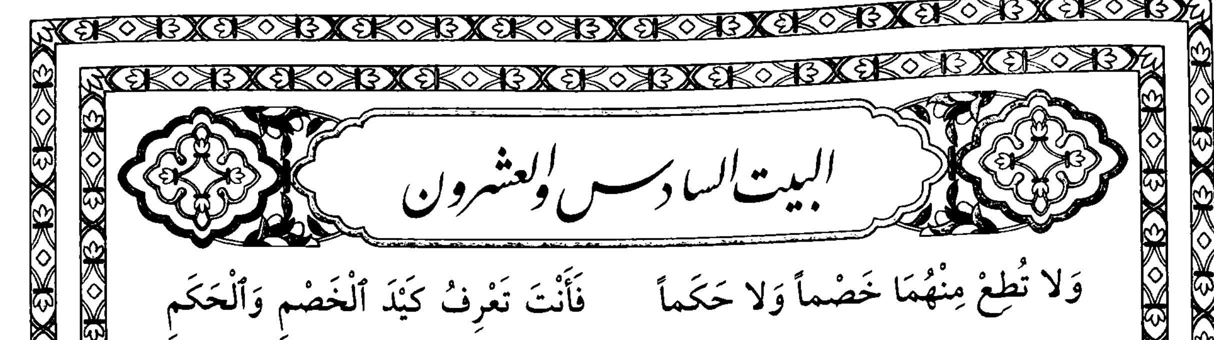
* * *

---

(١) فائدة : (إن) للشك معنىً مع أنها جازمة لفظاً ، و(إذا) للجزم معنىً مع أنها لا تجزم لفظاً ، وقد ألغز بذلك الإمام الزمخشري فقال : (من الكامل)

أنا إن شككتُ وجدتموني جازماً وإذا جزمتُ فإنَّني لم أجزمِ

انظر « حاشية ابن عابدين » (١/ ٢٠٢) .



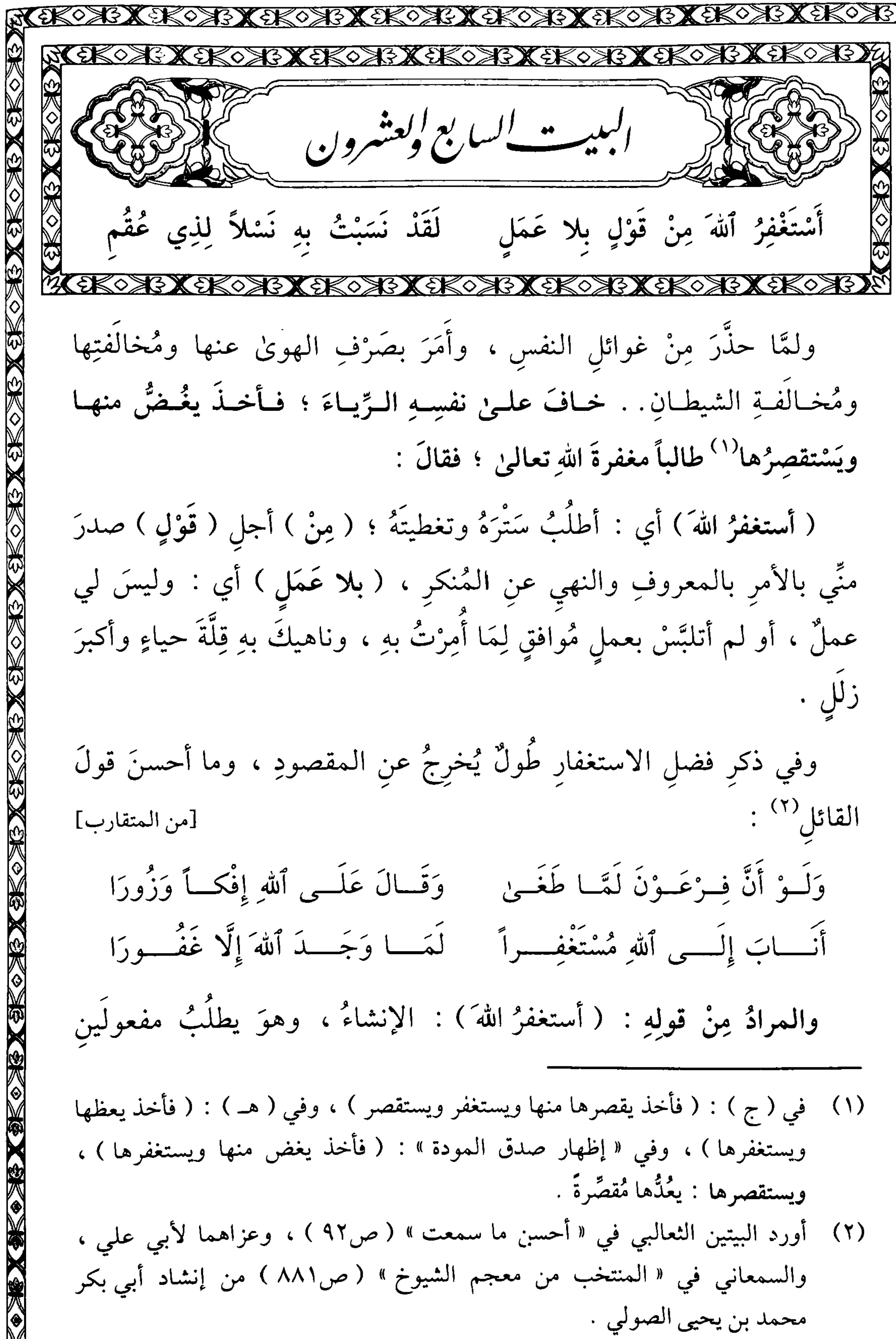
(**ولا تُطعْ منهُما خَصْماً**) **في ابتداءِ الأمرِ** ؛ كما إذا أوردَكَ أحدُهُما الإقدامَ على المعصيةِ ، وهـٰذهِ صورةُ كونِ أحدِهِما خَصْماً ؛ فإنَّهُ حينَئذٍ يُزيِّنُ القُدومَ عليها والمأمورَ يدفعُ ذلكَ لِمَا يعلَمُ مِنْ سوءِ العاقبةِ ؛ فهما خَصْمانِ .

ولا بعدَ الاشتغالِ بالمعاصي ؛ وهوَ مرادُهُ بقولِهِ : (**ولا حَكَماً**) لأنَّهُ إذا استولىٰ سُلْطانُ أحدِهِما . . فالمُكلَّفُ يُريدُ التنصُّلَ والنفسُ والشيطانُ يُزيِّنُ لهُ البقاءَ والتسويفَ وطُولَ الأَمَلِ ، ويَضْرِبُ لهُ أَجَلاً بعدَ أَجَلٍ ؛ فِعْلَ الحُكَماءِ فيما يقطعُونَ بهِ الحقوقَ ، والأمراءِ فيما يَعِدُونَ بإعطائِهِ .

(**فأنتَ تَعْرِفُ كَيْدَ**) أي : مَكْرَ (**الخَصْمِ والحَكَمِ**) أي : فأنتَ تعرفُ كيدَ النفسِ والشيطانِ اللذَينِ يكونُ كلٌّ منهُما خَصْماً مرَّةً وحَكَماً أُخرىٰ .

وهـٰذا البيتُ قريبٌ مِنْ معنى البيتِ الذي قبلَهُ .

* * *



البيت السابع والعشرون

أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلا عَمَلٍ ... لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِي عُقُمِ

ولمَّا حذَّرَ مِنْ غوائلِ النفسِ ، وأَمَرَ بصَرْفِ الهوىٰ عنها ومُخالَفتِها ومُخالَفةِ الشيطانِ . . خافَ علىٰ نفسِهِ الرِّياءَ ؛ **فأخذَ يغُضُّ منها ويَسْتقصِرُها**[1] **طالباً مغفرةَ اللهِ تعالىٰ ؛ فقالَ :**

(**أستغفرُ اللهَ**) أي : أطلُبُ سَتْرَهُ وتغطيتَهُ ؛ (**مِنْ**) أجلِ (**قَوْلٍ**) صدرَ منِّي بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المُنكرِ ، (**بلا عَمَلٍ**) أي : وليسَ لي عملٌ ، أو لم أتلبَّسْ بعملٍ مُوافقٍ لِمَا أُمِرْتُ بهِ ، وناهيكَ بهِ قِلَّةَ حياءٍ وأكبرَ زَلَلٍ .

وفي ذكرِ فضلِ الاستغفارِ طُولٌ يُخرِجُ عنِ المقصودِ ، وما أحسنَ قولَ القائلِ[2] : [من المتقارب]

وَلَوْ أَنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا طَغَىٰ ... وَقَالَ عَلَى ٱللهِ إِفْكاً وَزُورَا

أَنَابَ إِلَى ٱللهِ مُسْتَغْفِراً ... لَمَا وَجَدَ ٱللهَ إِلَّا غَفُورَا

والمرادُ مِنْ قولِهِ : (أستغفرُ اللهَ) : الإنشاءُ ، وهوَ يطلُبُ مفعولَينِ

---

(١) في (ج) : (فأخذ يقصرها منها ويستغفر ويستقصر) ، وفي (هـ) : (فأخذ يعظها ويستغفرها) ، وفي « إظهار صدق المودة » : (فأخذ يغض منها ويستغفرها) ، ويستقصرها : يعُدُّها مُقصِّرةً .

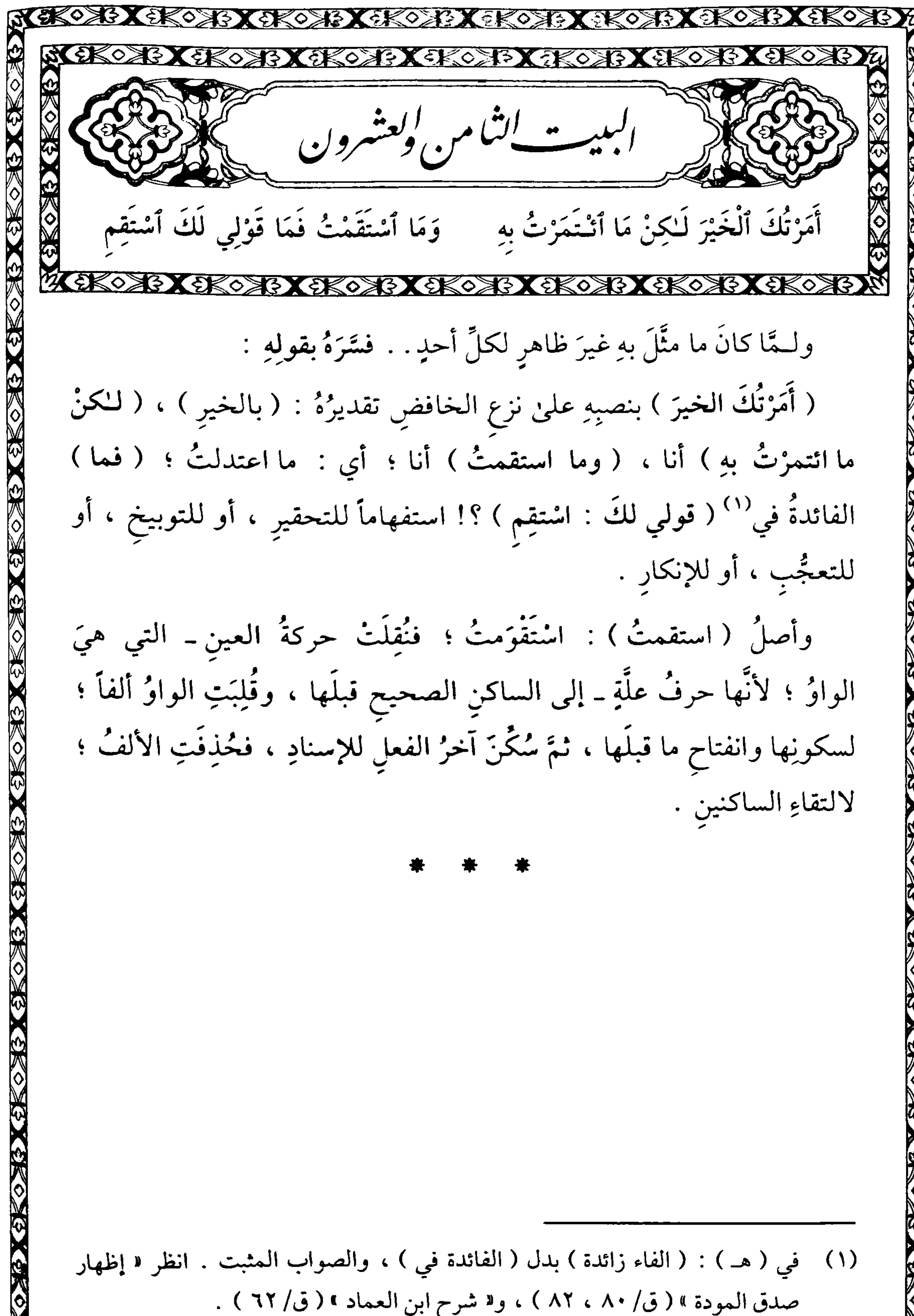
(٢) أورد البيتين الثعالبي في « أحسن ما سمعت » (ص٩٢) ، وعزاهما لأبي علي ، والسمعاني في « المنتخب من معجم الشيوخ » (ص٨٨١) من إنشاد أبي بكر محمد بن يحيى الصولي .

والثاني مجرورٌ ؛ وهوَ هنا : (مِنْ قولٍ) ، ويجوزُ حذفُ جارِّهِ ؛ نحوُ : (أستغفرُ اللهَ ذنباً) أي : مِنْ ذنبٍ .

(**لَقَدْ نَسَبتُ**) أي : أَضَفْتُ (**بهِ نَسْلاً**) أي : ولداً (**لِذِي عُقُمِ**) بضمِّ القافِ إتْباعاً لضمَّةِ العينِ ؛ أي : لا يقبَلُ الولدَ .

أي : إنَّ مَثَلي فيما تصدَّيتُ لهُ مِنَ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المُنكرِ وتخلُّفي عنِ العَمَلِ . . كمَثَلِ الذي ينسُبُ النَّسْلَ ـ الذي هو الولدُ ـ للعقيمِ ؛ فكذلكَ ما نسبتُ لنفسي مِنْ رُتبةِ الوعظِ ؛ فإنَّها لا تُنسَبُ إلا لـمَنْ يأْتَمرُ وينتهي .

* * *



البيت الثامن والعشرون

أَمَرْتُكَ ٱلْخَيْرَ لَـٰكِنْ مَا ٱئْتَمَرْتُ بِهِ ... وَمَا ٱسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ ٱسْتَقِمِ

ولـمَّا كانَ ما مثَّلَ بهِ غيرَ ظاهرٍ لكلِّ أحدٍ.. فسَّرَهُ بقولِهِ :

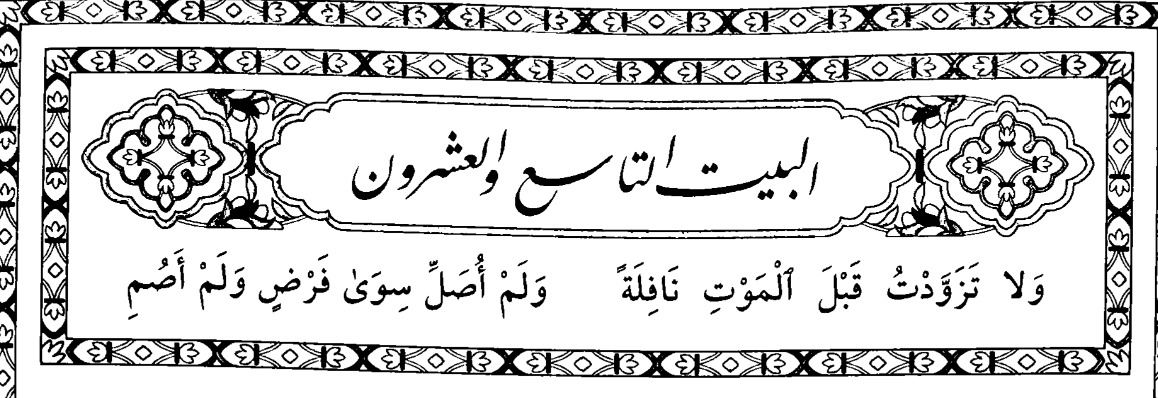
(أَمَرْتُكَ الخيرَ) بنصبِهِ علىٰ نزعِ الخافضِ تقديرُهُ : (بالخيرِ) ، (لـٰكنْ ما ائتمرْتُ بهِ) أنا ، (وما استقمتُ) أنا ؛ أي : ما اعتدلتُ ؛ (فما) الفائدةُ في[1] (قولي لكَ : اسْتقِمِ) ؟! استفهاماً للتحقيرِ ، أو للتوبيخِ ، أو للتعجُّبِ ، أو للإنكارِ .

وأصلُ (استقمتُ) : اسْتَقْوَمتُ ؛ فنُقِلَتْ حركةُ العينِ ـ التي هيَ الواوُ ؛ لأنَّها حرفُ علَّةٍ ـ إلى الساكنِ الصحيحِ قبلَها ، وقُلِبَتِ الواوُ ألفاً ؛ لسكونِها وانفتاحِ ما قبلَها ، ثمَّ سُكِّنَ آخرُ الفعلِ للإسنادِ ، فحُذِفَتِ الألفُ ؛ لالتقاءِ الساكنينِ .

* * *

---

(١) في (هـ) : (الفاء زائدة) بدل (الفائدة في) ، والصواب المثبت . انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٨٠ ، ٨٢) ، و« شرح ابن العماد » (ق/ ٦٢) .



البيت التاسع والعشرون

وَلا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ ٱلْمَوْتِ نَافِلَةً   وَلَمْ أُصَلِّ سِوَىٰ فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

(**ولا تزوَّدتُ**) أي : ولا اتَّخذتُ مِنَ الزَّادِ (**قبلَ**) سفرِ (**المَوْتِ**) المُفَوِّتِ للطَّاعاتِ . . (**نافلةً**) مِنَ الأعمالِ الصَّالحةِ التي هيَ التطوُّعاتُ بعدَ أداءِ الفرائضِ ؛ لأنَّ التزوُّدَ بالفرائضِ لذلكَ السفرِ قد لا يَكْفي ؛ لاحتمالِ أن يكونَ فيها نقصٌ ، فيُكمَّلَ بالنوافلِ[1] .

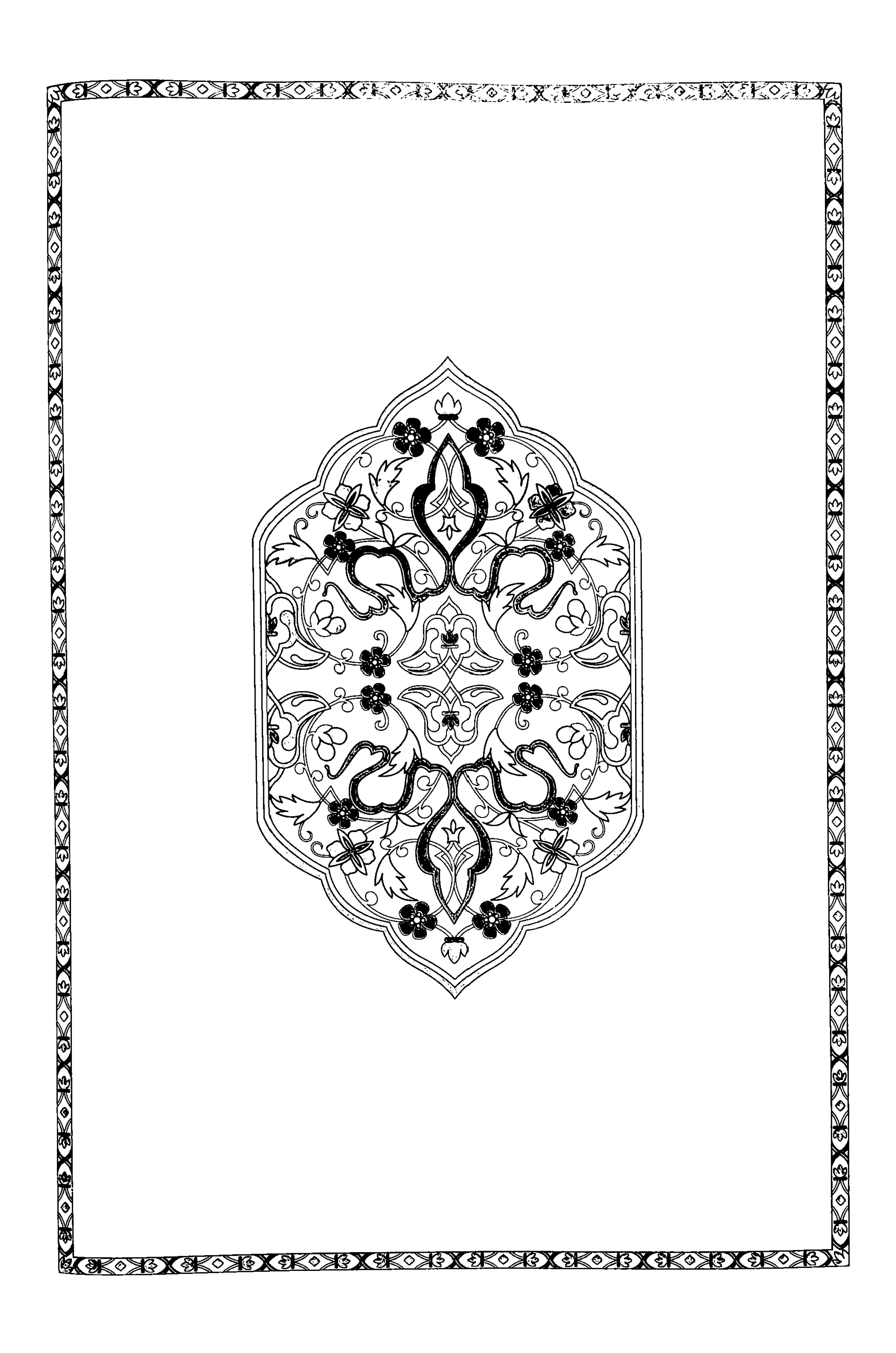
(**ولم أُصَلِّ سوىٰ فرضٍ** ، **و**) كذا (**لم أَصُم**) سوى الفرضِ أيضاً ، وحذفَ ذلكَ[2] ؛ لدَلالةِ ما قبلَهُ عليهِ[3] .

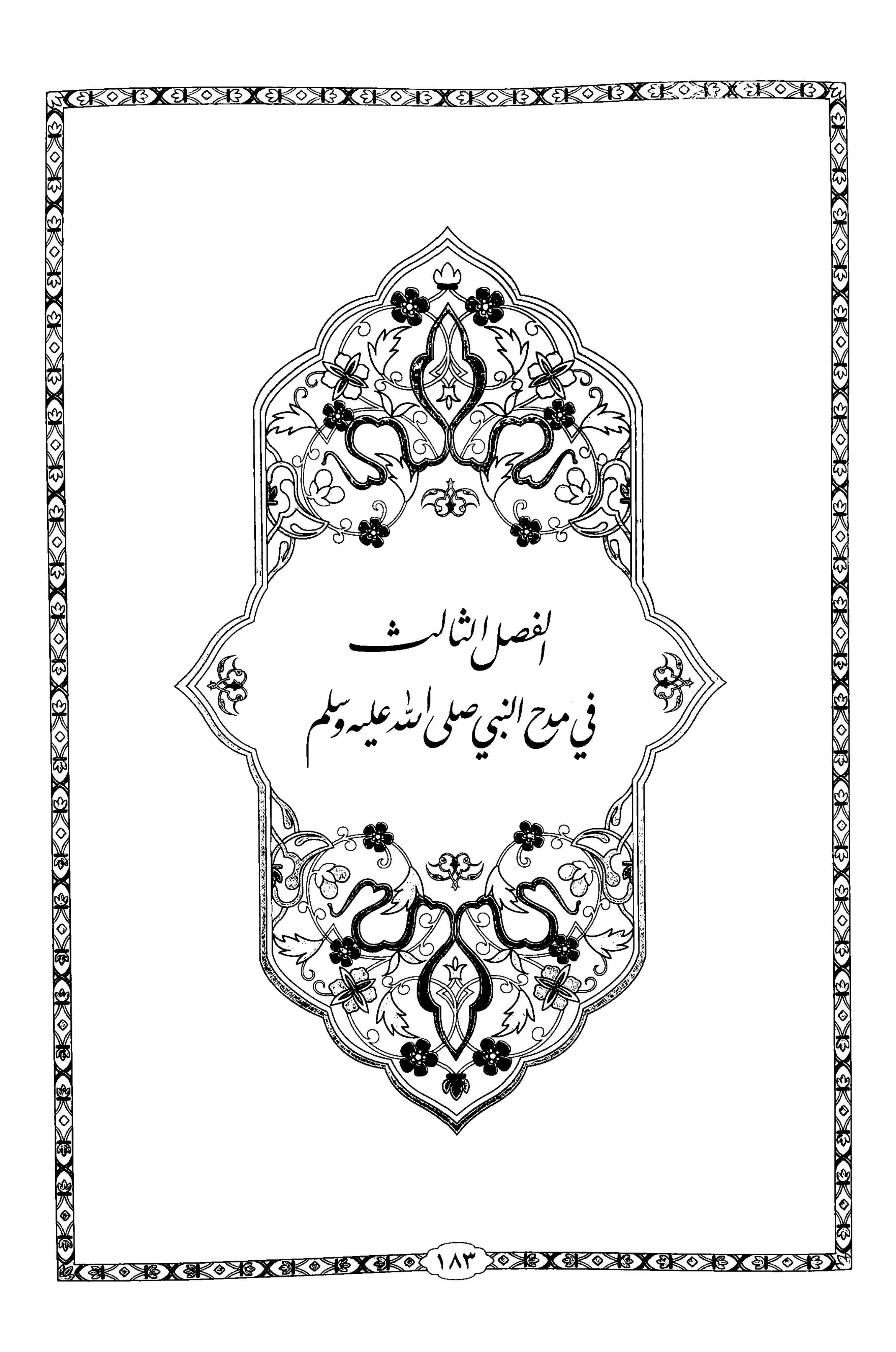
* * *

(١) قال ابن العماد في « شرح البردة » (ق/ ٦٣) : (واعلم : أن القرطبي في « التذكرة » قد نقل عن الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه : أنه إنما يحتسب بالنوافل عن الفرائض في الدار الآخرة . . لمن ترك الصلاة ناسياً ، فأمَّا من ترك الصلاة عمداً ولم يقضِها ولو نوافلَ . . فإنه لا يكمل فرضه بها) كذا عزاه للشافعي ، ونقله القرطبي في « التذكرة » (٢/ ٦٦٦) عن علماء المالكية ، وفي إحدىٰ نسخها عن ابن عبد البر .

(٢) أي : قوله : (سوى الفرض) .

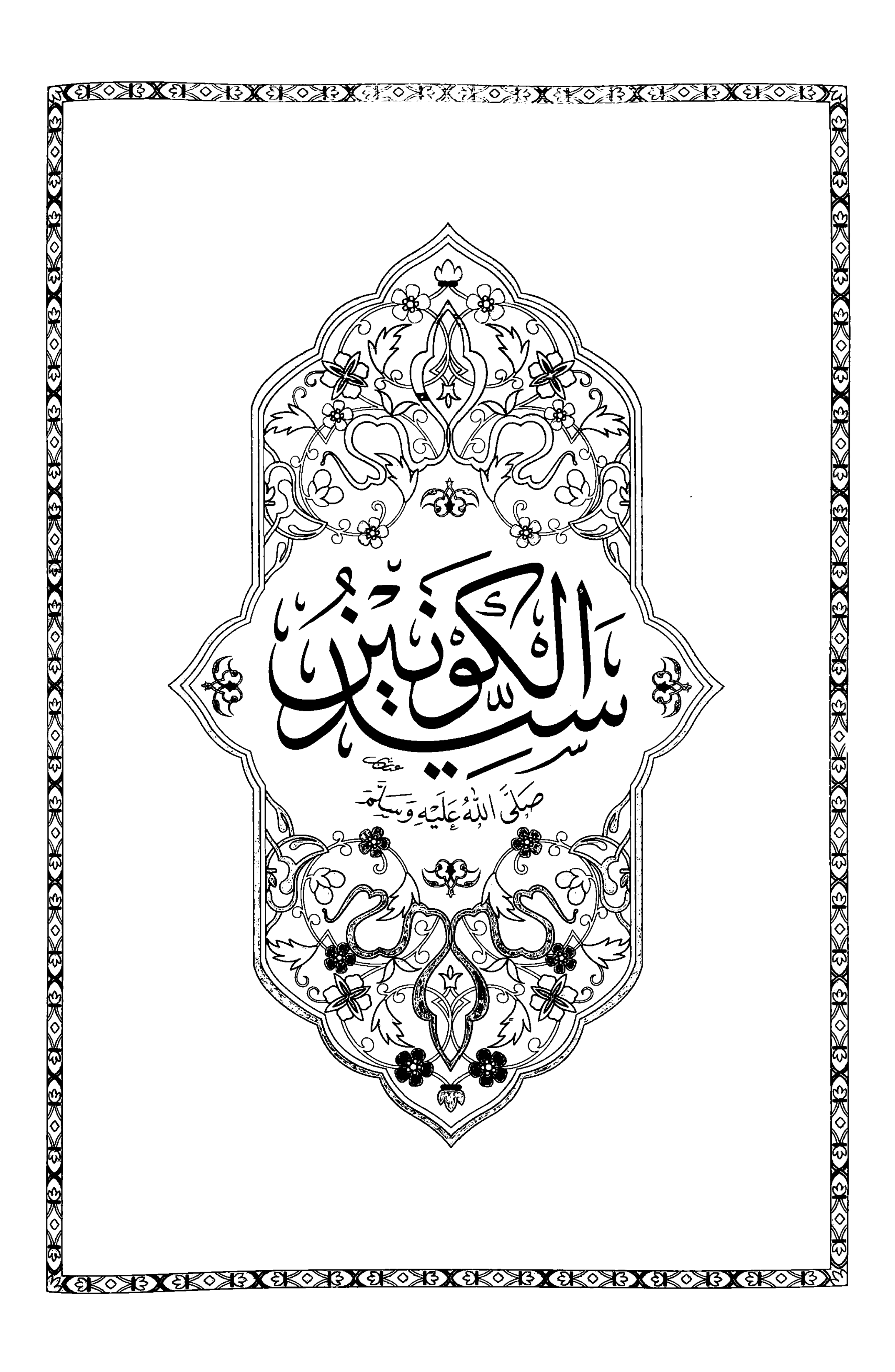
(٣) ففيه مجاز الحذف من الأواخر لدلالة الأوائل عليه .



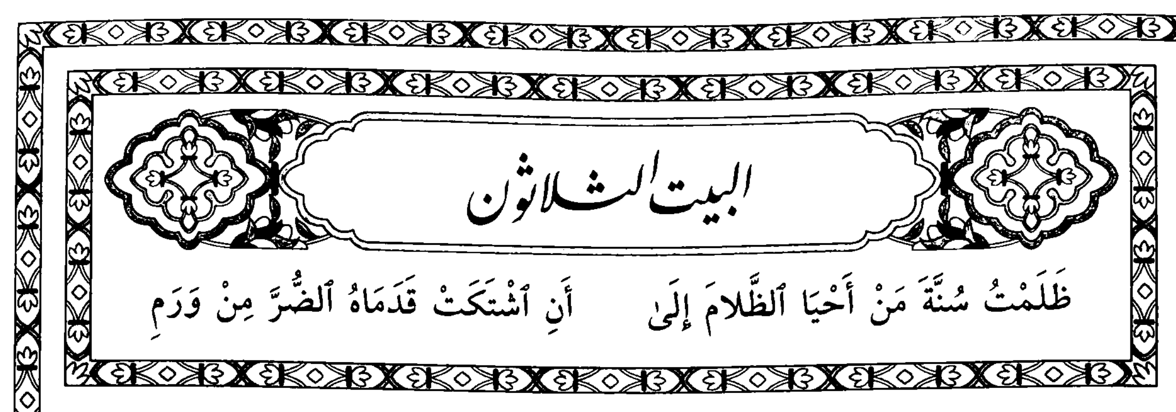


الفصل الثالث

في مدح النبي صلى الله عليه وسلم



سید الکونین
صلی اللہ علیہ وسلم



ثمَّ شرعَ فيما قصدَهُ مِنْ مدحِ سيِّدِ المُرسَلينَ عليهِ أفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليمِ . . بقولِهِ :

(ظلمتُ) بتركي ذلكَ (سنةَ) سيِّدِ المُرسَلينَ عليهِ أفضلُ الصلاةِ والتسليمِ ؛ (**مَنْ أحيا الظَّلامَ**) بالصلاةِ (**إلىٰ أَنِ اشتكَتْ قدماهُ**) مِنْ طولِ قيامِهِ الليلَ (**الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ**) .

وسببُ تورُّمِ قَدَمَيْهِ الشريفتَينِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : انصبابُ الموادِّ الكائنةِ في أعالي الجسمِ إليها ؛ لسهولةِ الانصبابِ حينَئذٍ وعدمِ استقرارِها في الأعضاءِ ؛ كالماءِ المُرسَلِ مِنْ أعلىٰ إلىٰ أسفلُ ، والاستلقاءُ أوِ الجلوسُ أوِ الحركةُ يمنعُ مِنْ كثيرٍ مِنْ ذلكَ ، فصارَتْ قدماهُ بعدَ ذلكَ كحالةِ الشَّاكي ما نَزَلَ بهِ مِنْ ضَرَرِ ذلكَ الوَرَمِ .

وأشارَ بذلكَ : إلىٰ ما أخبرَنا بهِ الشيخُ الصالحُ شهابُ الدينِ أبو العباسِ الجَمَالي قراءةً عليهِ قالَ[1] : أخبرَنا الشيخُ أبو إسحاقَ بنُ عبدِ الواحدِ المقري إذناً قالَ : أخبرَنا أبو الحسنِ البَنْدنيجيُّ سماعاً ، أخبرَنا أبو منصورِ بنُ الهنيِّ سماعاً وأبو محمدٍ الماردينيُّ إذناً ؛ قالَ الأولُ : أخبرَنا ابنُ الأخضرِ ، أخبرَنا أبو الفتحِ الكَرُوخيُّ ، وبإجازةِ الثاني عالياً منهُ أخبرَنا أبو عامرٍ الأَزْديُّ وأبو بكرٍ التاجرُ قالا : أخبرَنا أبو محمدٍ المروزيُّ ، أخبرَنا أبو العبَّاسِ المحبوبيُّ ،

---

(١) في (ب، ج): (الحمالي) بدل (الجمالي)، وهو خطأ، **والجَمَالي**: هو شيخه المسند المحدث أحمد بن عبد القادر بن طريف القاهري الحنفي، وقد سبق ذكره في (ص٤٧).

أخبرَنا أبو عيسى ابنُ سَوْرَةَ الحافظُ ، أخبرَنا قُتيبةُ وبشرُ بنُ معاذٍ قالا : حدَّثنا أبو عَوَانةَ ، عن زيادِ بنِ عِلاقةَ ، عنِ المغيرةِ بنِ شعبةَ قالَ : قامَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتى انتفخَتْ قدماهُ ، فقيلَ لهُ : أَتَـكَلَّفُ هـٰذا وقد غفرَ اللهُ لكَ ما تقدَّمَ مِنْ ذنبِكَ وما تأخَّرَ ؟! قالَ : « أَفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً »[1] .

وقولُهُ : (ظلمتُ): **مِنَ الاستئنافِ البيانيِّ** ؛ كأنَّ قائلاً يقولُ : هل أنصفتَ في اقتصارِكَ على الفرضِ مِنْ صلاةٍ وصيامٍ أو ظلمتَ ؟ فقالَ : (ظلمتُ)[2] ، وفيهِ: **حُسْنُ التخلُّصِ**[3] .

تنبيهٌ
[في تعريفِ السُّنَّةِ ، والخلافِ في طريقِها]

السُّنَّةُ في اللغةِ : الطريقةُ في الخيرِ والشرِّ ، **وفي الشرعِ** : قولُ الرسولِ أو فعلُهُ أو تقريرُهُ .

وهلِ السنةُ التي قالَها صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأقرَّ عليها أو فعلَها . . حصَلَتْ بطريقِ الوحيِ أو بطريقِ الإلهامِ والإلقاءِ في رُوعِهِ ؟ **خلافٌ** ، حكاهُ البيهقيُّ في « المدخلِ » .

---

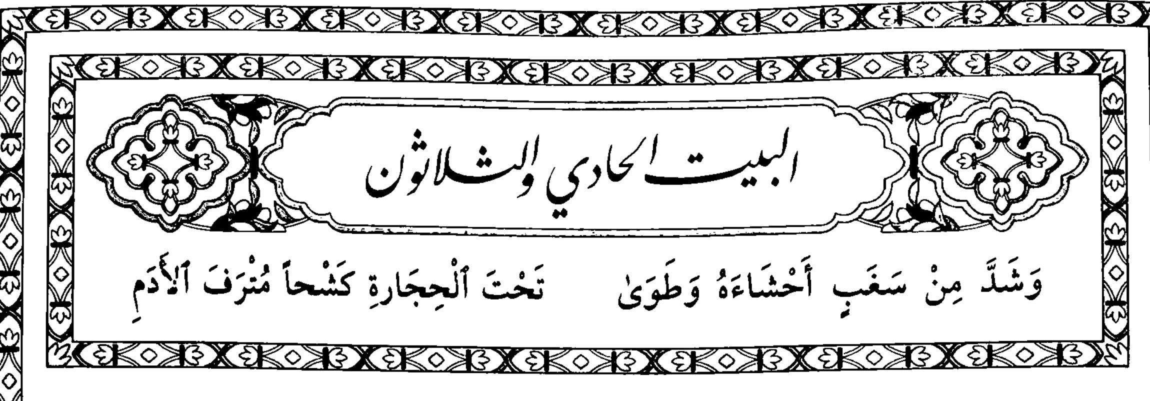
(١) سنن الترمذي (٤١٢) ، شمائل الترمذي (٢٦٢) ، وأخرجه مسلم (٢٨١٩) ، وقوله : (أَتَكَلَّفُ) أي : (أتتكلَّفُ) .

(٢) ومثله : قول الشاعر : (من الكامل)

زعـمَ العـواذلُ أنَّـني فـي غَمْـرةٍ ... صدقوا ولـٰكنْ غَمْرتي لا تنجلي

فقوله : (**صدقوا**) جواب لسؤال مقدر تقديره : أصدقوا أم كذبوا ؟ وهـٰذا الاستئناف من اختصاص البيانيين ، وهو بخلاف الاستئناف النحوي الذي يكون مُفتتَحاً به الكلام أو منقطعاً عما قبله . انظر « مغني اللبيب » (٢/ ٥٠١) .

(٣) وهو انتقال الشاعر أو الناثر من المقدمة إلى المقصود بأسلوب عذب رشيق مع مناسبة بين الطرفين ، وإلا . . كان اقتضاباً ، وهو فن مولد ، وكان الغالب في الجاهلية استعمال الاقتضاب بدلاً منه . انظر « أنوار الربيع » (٣/ ٢٤٠ـ٢٤١) .



البيت الحادي والثلاثون

وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَىٰ ... تَحْتَ ٱلْحِجَارَةِ كَشْحاً مُتْرَفَ ٱلأَدَمِ

ثمَّ أخذَ الناظمُ رحمَهُ اللهُ يذكرُ مُلازَمةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ النهارَ بالصيامِ ؛ فقالَ :

(**وشدَّ**) أي : عَصَبَ وربَطَ (**مِنْ سَغَبٍ**) أي : جوعٍ (**أحشاءَهُ**) وهيَ ما انضمَّتْ عليهِ ضُلُوعُهُ الشريفةُ ، (**وطَوَىٰ تحتَ الحِجارةِ كَشْحاً مُتْرَفَ**) أي : ناعمَ (**الأَدَمِ**) أي : ثَنَىٰ مِنْ جلدِ بطنِهِ تحتَ الحجارةِ كَشْحاً ؛ وهوَ ما بينَ خاصرتِهِ وأقصرِ ضِلْعٍ مِنْ جنبِهِ الشريفِ .

وإنَّما فعلَ هـٰذا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] ؛ ليُسكِّنَ بعضَ ألمِ الجوعِ ، وإنَّما كانَ هـٰذا الفعلُ مُسكِّناً ؛ لأنَّ كَلَبَ الجوعِ مِنْ شِدَّةِ حرارةِ المَعِدَةِ الغريزيَّةِ[2] ، فهيَ إذا امتلأَتْ مِنَ الطَّعامِ اشتغلَتْ تلكَ الحرارةُ بالطَّعامِ ، فإذا لمْ يكُنْ فيها طعامٌ . . طلبَتْ رُطوباتِ الجسمِ وجواهرَهُ ، فيتألَّمُ الإنسانُ بتلكَ الحرارةِ ، فإذا لم تُشَدَّ البطنُ . . انتشرتْ تلكَ الحرارةُ ، فتعلَّقَتْ بكثيرٍ مِنْ جواهرِ البدنِ[3] ، وإذا انضمَّتْ . . انضمَّ على المَعِدَةِ الأحشاءُ والجلدُ ، فانخمدَتْ نارُها بعضَ الانخمادِ ، فقلَّ الألمُ .

---

(١) **تعصيبُه صلى الله عليه وسلم بطنَهُ الشريفَ من الجوع** : أخرجه البخاري (٤١٠١) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، ومسلم (٢٠٤٠/٦) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) **كَلَبُ الجوعِ** : شِدَّتُه .

(٣) **قوله** : (**فإذا لم تشد . . . الحرارة**) زيادةٌ من « إظهار صدق المودة » .

وفائدةُ الحَجَرِ أمرانِ :

أحدُهُما : تثقيلُ الجِلْدِ ليكثُرَ انضمامُهُ على الأحشاءِ ، وهوَ المقصودُ بالشَّدِّ .

الثاني : ما فيهِ مِنَ البُرودةِ ليُسكِّنَ مِنْ حرارةِ المَعِدةِ ، وتشتغلَ ببرودتِهِ .

فإن قيلَ : ثبت في الصحيحِ : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حينَ نهى الناسَ عنِ الوِصالِ وقيلَ لهُ : إنَّكَ تُواصِلُ.. قالَ : « إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ ؛ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي »[1] ، فمَنْ هٰذا حالُهُ كيفَ يتألَّمُ بالجوعِ حتىٰ يحتاجَ إلىٰ عَصْبِ بطنِهِ بحجَرٍ ؟!

فالجوابُ : إنَّما نهاهُم عنِ الوِصالِ ؛ لئلا تضعُفَ قُواهُم ، فلا يقدِرُونَ على الجهادِ ولا على القيامِ بغيرِهِ مِنَ العباداتِ[2] ، ولم ينهَهُم لأجلِ تألُّمِهِم بالجوعِ خاصَّةً ؛ فإنَّ التألُّمَ سببُ الأجرِ ، وأفضلَ العباداتِ أَحْمَزُها[3] .

---

(١) صحيح البخاري (١٩٦٤)، صحيح مسلم (١١٠٥) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٢) **ومن ذلك** : ما أخرجه البخاري (١٩٧٥) ، ومسلم (١١٥٩/١٨٢) من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عبد الله ؛ ألم أُخْبَرْ أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ » ، فقلت : بلىٰ يا رسول الله ، قال : « فلا تفعل ، صُمْ وأفْطِرْ ، وقُمْ ونَمْ ؛ فإنَّ لجسمك عليك حقّاً ، وإن لعينيك عليك حقّاً ، وإن لزوجك عليك حقّاً ، وإن لزَوْرك عليك حقّاً ، وإن بحسبك أن تصوم كلَّ شهر ثلاثةَ أيام ؛ فإنَّ لك بكل حسنةٍ عشرَ أمثالها ؛ فإن ذلك صيامُ الدهرِ كلِّهِ » ، فشدَّدت فَشُدِّدَ عليَّ ؛ قلت : يا رسول الله ؛ إني أجد قوَّةً ، قال : « فصُمْ صيامَ نبي الله داود عليه السلام ولا تَزِدْ عليه » ، قلت : وما كان صيامُ نبي الله داود عليه السلام ؟ قال : « نصفَ الدهر » ، فكان عبد الله يقول بعدما كَبِرَ : يا ليتني قبلتُ رُخْصةَ النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) في (ب ، هـ ، و) : (أحرها) ، وفي (ج) : (آجرها) ، وفي « إظهار صدق المودة » : (أجمزها) ، ولعلها تصحَّفت عن (أحمزها) ، وهو إشارة إلىٰ ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد سئل : أيُّ الأعمال أفضلُ ؟ فقال : أَحْمَزُها . =

وإذا كان كذلكَ . . فهوَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ضَمِنَ اللهُ تعالىٰ لهُ قوَّتَهُ ، وإنَّما تألُّمُهُ بالجوعِ ليحصلَ لهُ تضعيفُ الأجرِ معَ حفظِ قوَّتِهِ ونَضارةِ جسمِهِ ؛ حتىٰ إنَّ مَنْ رآهُ لا يَظُنُّ أنَّ بهِ جُوعاً ؛ لأنَّ حُسْنَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إنَّما كانَ يُرىٰ أشدَّ نَضارةً مِنْ أجسامِ المُترَفِينَ بالنِّعَمِ في الدُّنيا[1] .

وهٰذا المعنىٰ هوَ الذي قصدَهُ الناظمُ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ بقولِهِ : (مُتْرَفَ الأَدَمِ) ، **وهوَ مِنْ بابِ الاحتراسِ والتكميلِ** ؛ لأنَّهُ لـمَّا ذكرَ أنَّهُ شدَّ مِنْ سَغَبٍ . . خافَ ممَّنْ يتوهَّمُ أنَّ جسمَهُ الشريفَ حينَئذٍ يظهرُ فيهِ أثرُ الجوعِ[2] ، فاحترسَ ودفعَ ذلكَ الإيهامَ بقولِهِ[3] : (مُتْرَفَ الأَدَمِ) .

وقولُ الجَوهريِّ : إنَّهُ يُقالُ[4] : (فلانٌ أَتْرفَتْهُ النِّعمةُ : أَطْغَتْهُ)[5] . . إن صحَّ أنَّ هٰذا معنى الإترافِ لغةً . . **فالأَوْلىٰ بالناظمِ أن يقولَ** : (ناعمَ) مكانَ (مُتْرَفَ) .

فإن قيلَ : فكيفَ عَلِمَ جابرٌ ما بهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنَ الجوعِ وأخبرَ بذلكَ امرأتَهُ وأثرُ الجوعِ لا يُعرَفُ فيهِ ؟

فالجوابُ : إنَّما عَرَفَهُ بعدَ أن كشفَ بطنَهُ مُتهيِّئاً للحَفْرِ ، كما ثبتَ في « الصحيحِ »[6] .

= انظر « غريب الحديث » لابن قتيبة (١/ ٢٧٠) ، و« النهاية في غريب الحديث والأثر » (١/ ٤٤٠) ، ومعنىٰ **أحمزها** : أقواها وأشدُّها ، وقد جاء في « إرشاد الساري » (٢/ ١٣٨) على الصواب .

(١) في (ج) : (المترفهين) بدل (المترفين) .

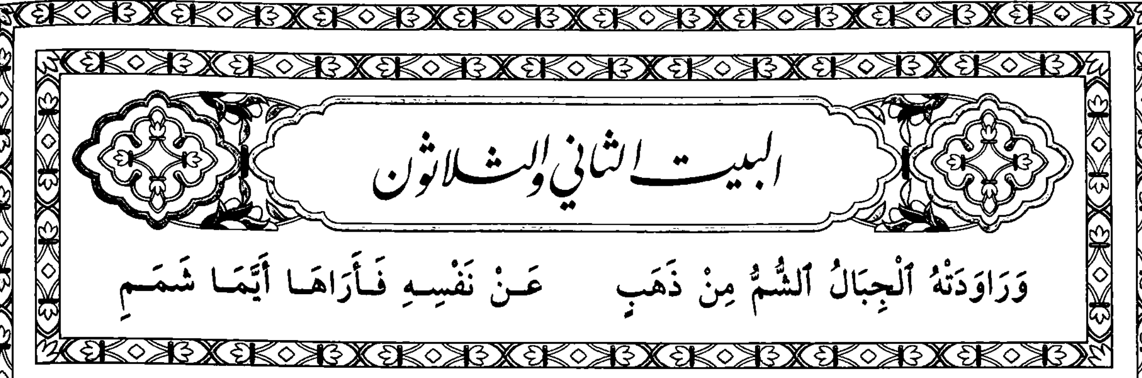
(٢) في (هـ) : (ألم الجوع) .

(٣) في (هـ) : (ودفع) بدل (ورفع) .

(٤) سقط (إنه يقال) من (هـ) .

(٥) الصحاح (٤/ ١٣٣٣) ، مادة : (ت ر ف) .

(٦) أي: في قصة حفر الخندق كما في « صحيح البخاري » ، وقد سبق تخريجه في (ص ١٨٧).



البيت الثاني والثلاثون

وَرَاوَدَتْهُ ٱلْجِبَالُ ٱلشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ   عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ

ولمَّا ذَكَرَ مِنْ جوعِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما ذَكَرَ . . **خافَ أن يتوهَّمَ سقيمُ القلبِ عندَ سماعِ ذلكَ أنَّهُ مِنْ فاقةٍ وعَيْلَةٍ**[١] ، **فيستبعدَ ذلكَ**[٢] ؛ **لأنَّهُ على خلافِ قولِهِ تعالىٰ** : ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾[٣] ، **فأردفَ ذلكَ بما يدفعُ هـٰذا التوهُّمَ بقولِهِ** :

(**وراودَتْهُ**) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ أي : خادعَتْهُ (**الجبالُ الشُّمُّ**) المُرتفِعاتُ الرُّؤوسِ علىٰ نفسِها أن تكونَ (**مِنْ ذَهَبٍ**) ، وتسيرَ معَهُ حيثُ سارَ بإذنِ اللهِ تعالىٰ ، وأن تُطاوِعَها علىٰ ذلكَ نفسُهُ ، وهـٰذا معنىٰ قولِهِ : (**عن نفسِهِ**) .

وإسنادُ المُراوَدةِ إليها يحتملُ : أن يكونَ حقيقةً ؛ بأن يخلُقَ اللهُ تعالىٰ فيها النُّطْقَ وإدراكَ ذلكَ ، **ويحتملُ** : أن يكونَ مِنْ مجازِ التشبيهِ[٤] .

(**فأَراها**) أي : أبصرَها حقيقةً ؛ بأن خَلَقَ اللهُ فيها الإدراكَ ، أو مجازاً ؛ أي : جعلَها تُبصِرُ منهُ شَمَماً (**أيَّما شَمَمِ**) ؛ لأنَّها لمَّا تاهَتْ[٥] بارتفاعِها

---

(١) **العَيْلَة** : الفقر ، وعطف العيلة على الفاقة من عطف الترادف .

(٢) في (ب) : (فاستبعد ذلك) ، والمثبت أنسب وأوضح وموافق لـ « إظهار صدق المودة » .

(٣) سورة الضحىٰ : (٨) .

(٤) بأن يشبه تمكنه منها وانتفاء المانع عنه من أخذها . . بعرضها نفسَها عليه ومراودتِها إيَّاه علىٰ أخذها . « إظهار صدق المودة » (ق/ ٩٠) .

(٥) في (ب ، و) : (تناهت) .

الصُّورِيِّ الذَّهَبِيِّ[1] ، ووَثِقَتْ بأن يشَمَّ رائحتَها ويضمَّها إليهِ . . أراها صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في أنفِهِ الشَّمَمَ الدَّالَّ على الإعراضِ عنها وعدمِ الالتفاتِ إليها .

كما رَوَيْنا في « كتابِ الترمذيِّ » : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَباً ، فَقُلْتُ : لا يَا رَبِّ ، وَلَـٰكِنْ أَشْبَعُ يَوْماً وَأَجُوعُ يَوْماً . . . » الحديثَ[2] .

ورُوِيَ : أنَّهُ لـمَّا جاءَهُ جبريلُ عليهِ السلامُ بذلكَ ، فقالَ لهُ : « يَا جِبْرِيلُ ؛ صِفْ لِي ٱلدُّنْيَا » ، فقالَ : يا محمَّدُ ؛ حلالُها حِسابٌ ، وحرامُها عقابٌ . . فاختارَ الفقرَ والدارَ الآخِرَةَ[3] .

والأظهرُ في قولِهِ : (مِنْ ذهبٍ) : أن يتعلَّقَ بمحذوفٍ ؛ أي : أن تكونَ مِنْ ذهبٍ ، كما قدَّرناهُ ، ولا بدَّ مِنْ هـٰذا التقديرِ ؛ للأحاديثِ الواردةِ في ذلكَ[4] ؛ لأنَّها لم تكنْ مِنْ ذهبٍ[5] ، وإنَّما عَرَضَ عليهِ أن تكونَ كذلكَ ، **والذي تقتضيهِ الأحاديثُ الدالَّةُ في ذلكَ** : أنَّ الجبالَ التي راودتْهُ هيَ جبالُ مكَّةَ[6] .

* * *

---

(١) في (ج ، هـ ، و) : (الذهني) .

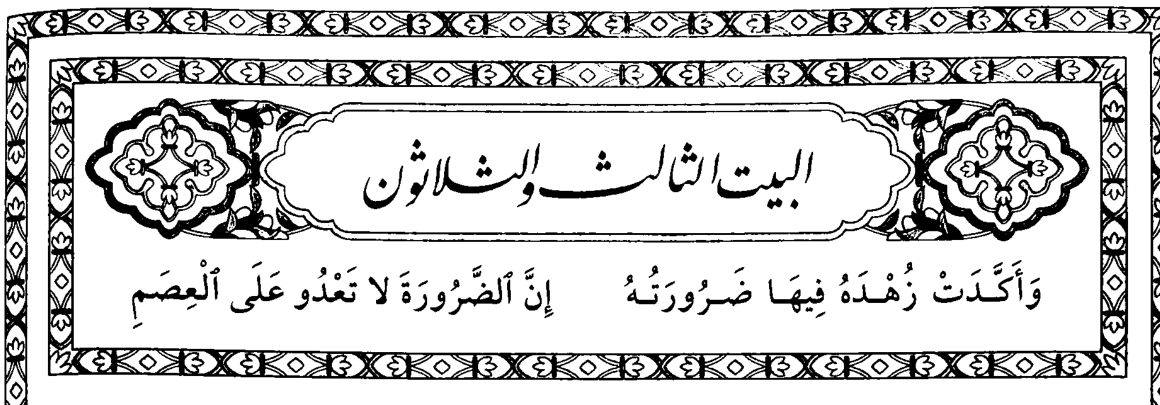
(٢) سنن الترمذي (٢٣٤٧) عن سيدنا أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، وأخرجه أحمد (٥/ ٢٥٤) ، وتمامه : « فإذا جُعْتُ . . تضرَّعتُ إليكَ وذكرتُكَ ، وإذا شَبِعتُ . . شكرتُكَ وحَمِدتُكَ » .

(٣) انظر « إتحاف السادة المتقين » (٨/ ١١٩ ، ١٠/ ٤٦) .

(٤) **ومنها** : ما سبق قبل قليل عن « سنن الترمذي » و« مسند أحمد » .

(٥) **قوله** : (**لأنها لم تكن من ذهب**) زيادة من (د ، و) ، وهي موافقة لـ « إظهار صدق المودة » .

(٦) **وعليه** : فتكون (أل) في (الجبال) للعهد الذهني .



البيت الثالث والثلاثون

وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ   إِنَّ ٱلضَّرُورَةَ لا تَعْدُو عَلَى ٱلْعِصَمِ

وليسَ إعراضُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن جبالِ الذهبِ عنْ كثرةِ مالٍ ، بل كانَ معَ شدَّةِ الحاجةِ والضرورةِ ، كما فُهِمَ مِنَ الحديثِ ، وأشارَ إليهِ الناظمُ بقولِهِ :

(وأكَّدَتْ زُهْدَهُ فيها ضَرورتُهُ) إلىٰ بعضِها[1] ، و(ضرورتُه) بالرفعِ : فاعلُ (أكَّدتْ) .

(إنَّ الضرورةَ لا تعدو علىٰ) ذَوِي (العِصَمِ) ؛ لأنَّهُم يتنزَّهونَ معَها عن أشرفِ الأشياءِ وأَجَلِّها فضلاً عن أخسِّها ؛ وهمُ الأنبياءُ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِم أجمعينَ ؛ فيكونُ مرادُهُ الجنسَ .

ويحتملُ أن يكونَ المرادُ : الشخصَ المعهودَ ؛ فيكونُ مرادُهُ محمَّداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ لأنَّهُ ذو عِصَمٍ جمَّةٍ .

والعِصْمةُ : قوَّةٌ مِنَ اللهِ في عبدِهِ تمنعُهُ مِنِ ارتكابِ شيءٍ مِنَ المعاصي والمكروهاتِ .

واعلَمْ : أنَّ القومَ تكلَّموا في الزهدِ بأقوالٍ كثيرةٍ ، وكلٌّ نَطَقَ عن وقتِهِ ، وأشارَ إلىٰ حَدِّهِ .

---

(١) ومما يدل علىٰ شدَّة الحاجة والضرورة : ما أخرجه مسلم (٢٩٧٢) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت : (إنْ كُنَّا آلَ محمد صلى الله عليه وسلم لَنمكثُ شهراً ما نستوقدُ بنار ، إنْ هو إلا التمرُ والماءُ) .

قالَ الجُنيدُ[1] : (**الزُّهدُ** : خُلُوُّ الأيدي مِنَ الأملاكِ ، والقلوبِ مِنَ التتبُّعِ)[2] .

وسُئِلَ الشِّبْلِيُّ عنِ الزهدِ[3] ، فقالَ : (لا زُهْدَ في الحقيقةِ ؛ لأنَّهُ إمَّا أن يزهدَ فيما ليسَ لهُ ؛ فليسَ ذلكَ بزهدٍ ، أو يزهدَ فيما هوَ لهُ ، فكيفَ يزهدُ فيهِ وهوَ معَهُ ؟!)[4] .

وقيلَ : (مَنْ صَدَقَ في زهدِهِ . . أتتْهُ الدُّنيا وهيَ راغمةٌ)[5] ؛ **ولذا قيلَ** : (لو سقطَتْ قَلَنسُوةٌ مِنَ السماءِ . . لَمَا وقعَتْ إلا على رأسِ مَنْ لا يُرِيدُها)[6] .

وأجمعُ ما قيلَ في الزهدِ : قولُ الدَّارَانيِّ : (**الزهدُ** : تركُ ما يشغلُكَ عنِ اللهِ تعالىٰ)[7] .

وقولُ الشِّبْليِّ : (هوَ ألا ترىٰ سوى اللهِ تعالىٰ)[8] .

---

(١) هو الإمام الكبير سيد الطائفة وإمامها أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريري (ت ٢٩٧ هـ) ، ومن درر كلامه : (ما أخذنا التصوف عنِ القيل والقال ، لـٰكن عنِ الجوع ، وترك الدنيا ، وقطع المألوفات والمستحسنات) ، ومنها قوله : (من لم يحفظِ القرآن ، ولم يكتبِ الحديث . . لا يقتدىٰ به في هـٰذا الأمر ، لأن علمنا هـٰذا مقيد بالكتاب والسنة) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ١٥٤ـ١٥٦) .

(٢) أخرجه البيهقي في « الزهد الكبير » (١٩)، وأورده القشيري في « رسالته » (ص٣٣٧).

(٣) هو الصوفي الزاهد أبو بكر دُلَفُ بن جَحْدَر الشبلي البغدادي (ت ٣٣٤ هـ)، صحب الجنيد ومن في عصره ، وكان نسيج وحده حالاً وظرفاً وعلماً ، ومن كلامه رضي الله عنه : (التصوف: الجلوس مع الله بلا هَمٍّ) انظر «الرسالة القشيرية» (ص١٩٥، ٥٨٨).

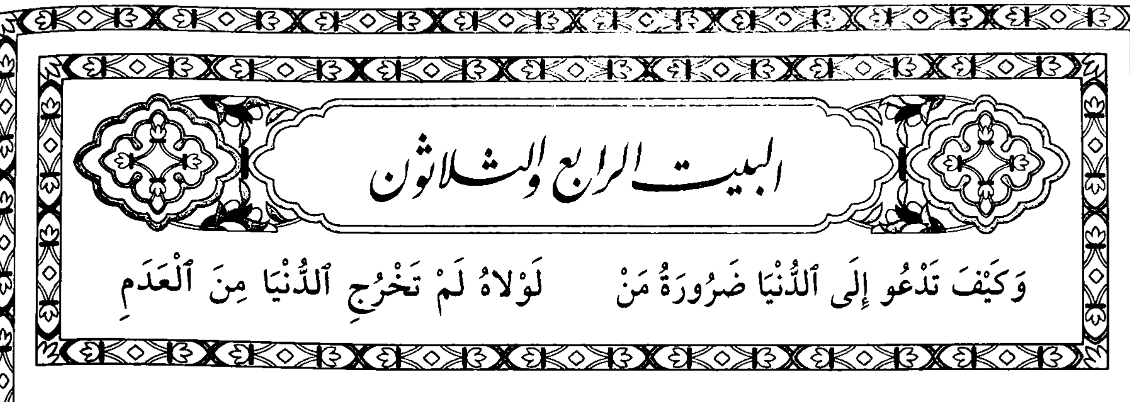
(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص١١٠) .

(٥) أورده القشيري في « رسالته » (ص٣٣٥) .

(٦) أورده القشيري في « رسالته » (ص٣٣٥) ، وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٥٤ـ٣٥٥) وعزاه لبشر الحافي رحمه الله تعالىٰ .

(٧) أورده القشيري في « رسالته » (ص٣٣٦) ، وانظر « الزهد الكبير » (٧٣) .

(٨) أورده بنحوه القشيري في « رسالته » (ص٣٣٧) .



ثمَّ استدلَّ الناظمُ على الحكمِ الذي نفاهُ بقولِهِ :

(**وكيفَ**) يُتصوَّرُ أن (**تدعوَ إلىٰ**) متاعِ (**الدنيا**) وزينتِها (**ضرورةُ مَنْ لولاهُ لم تخرُجِ الدنيا مِنَ العدمِ**) إلى الوجودِ بعدَ أَنْ لم تكنْ ، **هـٰذا مرادُهُ** ؛ إلا أنَّ في لفظِهِ تجوُّزاً ؛ فإنَّ قولَهُ : (لم تخرُجْ) يُوهِمُ أنَّها في العدمِ شيءٌ وحقيقةٌ ، وإنَّما انتفىٰ عنها الخروجُ منهُ إلى الوجودِ ، **ومذهبُ أهلِ الحقِّ** : أنَّهُ لا حقيقةَ للمعدومِ حالَ العدمِ ، وأنَّهُ ليسَ بشيءٍ[1] .

وإذا ثبتَ أنَّ وجودَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علَّةُ وجودِ الدُّنيا . . فالدُّنيا بأجمعِها في وجودِها مُفتقِرةٌ إليهِ ؛ لافتقارِ وجودِ المعلولِ إلىٰ وجودِ عِلَّتِهِ[2] ، فلو كانَتْ ضرورتُهُ تدعو إلى الدُّنيا . . لكانَ وجودُهُ معلولاً لوجودِها ، وافتقرَ هوَ في وجودِهِ إلىٰ وجودِها ، **وهوَ خُلْفٌ**[3] ؛ لأنَّ فيهِ

---

(١) فالمعدوم عند أهل السنة ممكناً أو ممتنعاً . . ليس بشيء ، وخالفت المعتزلة في الممكن ؛ فسموا الممكن شيئاً . انظر « إظهار صدق المودة » (ق/٩٣) .

(٢) **والأصل في ذلك** : ما أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٦١٥) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال : (أوحى الله إلىٰ عيسىٰ عليه السلام : يا عيسىٰ ؛ آمِنْ بمحمد ، وأْمُر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمدٌ . . ما خلقتُ آدمَ ، ولولا محمدٌ . . ما خلقتُ الجنة ولا النار . . .) ، وانظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٩٧ـ٩٨) .

(٣) بفتح الخاء وضمها ؛ فالضمُّ بمعنى الباطل ، والفتح بمعنى الوراء ؛ أي : ما ذكره من اللازم ينبذ إلىٰ خلف ولا يلتفت إليه . انظر « معيار العلم » (ص١٤٨) ، و« حاشية العطار على المطلع » (ص٨٧) .

عكسَ الحقائقِ ؛ مِنْ صيرورةِ العِلَّةِ معلولاً وبالعكسِ ؛ لأنَّ العِلَّةَ لا تفتقرُ في وجودِها إلىٰ وجودِ المعلولِ .

فإن قيلَ : بل تفتقرُ العِلَّةُ إلىٰ معلولِها ؛ إذ لا تُتصوَّرُ بدونِهِ .

قيلَ : ذلكَ في العِلَّةِ العقليَّةِ ، أمَّا الوضعيَّةُ . . فلا ، ثمَّ استلزامُ العِلَّةِ معلولَها لا مِنْ حيثُ إنَّها لا تُوجَدُ إلا بوجودِهِ ، بل مِنْ حيثُ اقتضاؤُها إيجادَهُ .

وبالجملةِ : فالدَّليلُ خَطابيٌّ إقناعيٌّ لا بُرهانيٌّ يقينيٌّ[1] .

وإذا كانَتْ ضرورةُ نبيِّنا عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ لا تدعو إلى الدُّنيا . . فينبغي لـمَنْ يكونُ علىٰ مِلَّتِهِ ، وداخلاً في زُمْرةِ أُمَّتِهِ[2] . . أن يكونَ كذلكَ ؛ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[3] ، فمحبَّتُهُ تعالىٰ مشروطةٌ باتِّباعِ نبيِّهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ .

وكيفَ لا يزهدُ في الدُّنيا وهيَ لو كانَتْ تَعْدِلُ عندَ اللهِ جَناحَ بعوضةٍ . . ما سقىٰ كافراً منها شَرْبةَ ماءٍ ؟![4] .

* * *

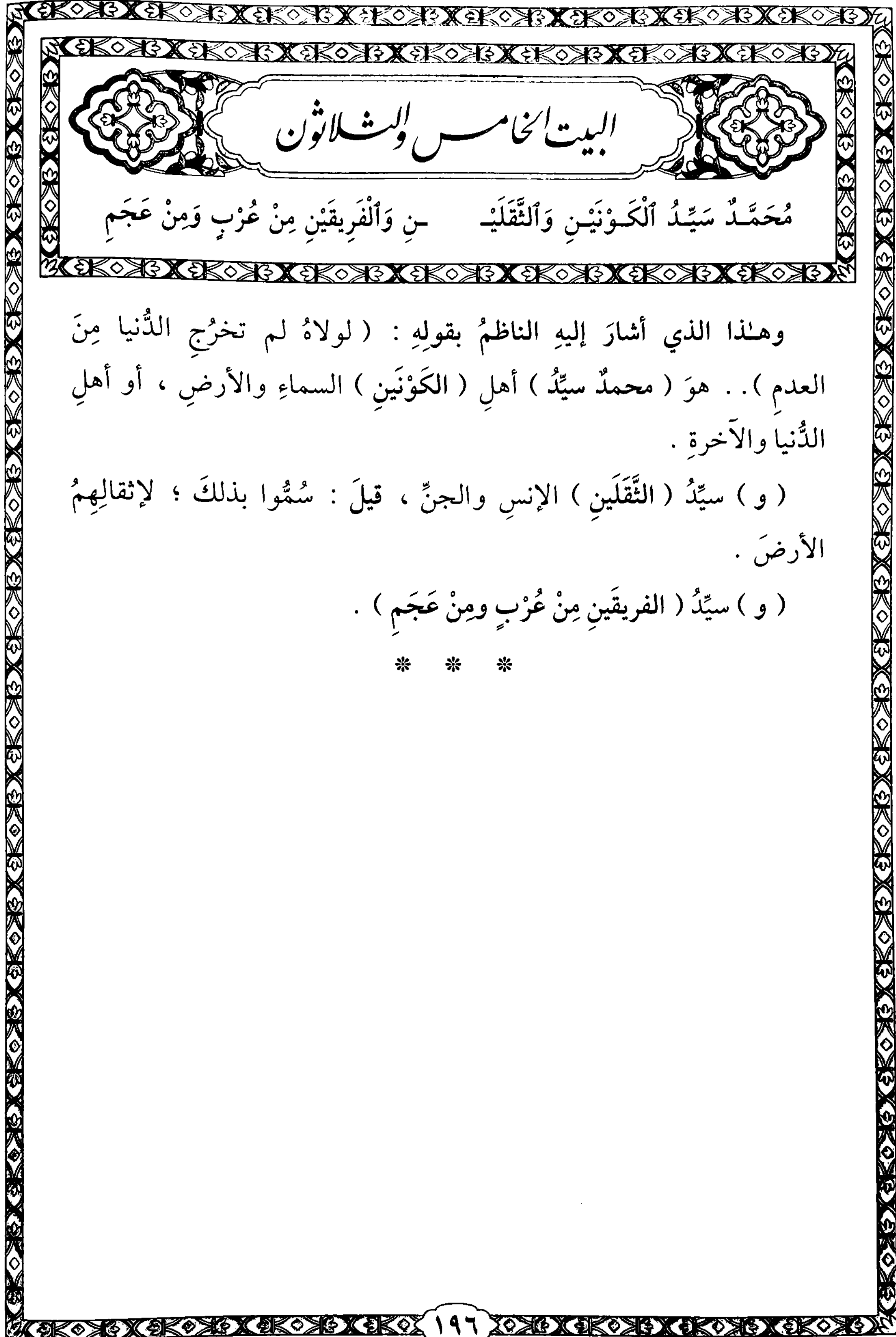
---

(١) **الدليل الخطابي** : هو القياس المركب من مقدمات مظنونة ومقبولة ، **والدليل البرهاني** : هو القياس المركب من المقدمات اليقينية ، **وهاذه المقدمات أقسام ستة** ؛ وهي : الأَوَّليَّات ، والمُشاهَدات ، والمُجرَّبات ، والحَدْسيَّات ، والمتواترات ، وقضايا قياساتها معها . انظر « المطلع شرح إيساغوجي » (ص٢٨٠ ـ ٢٨٣ ، ٢٨٥) .

(٢) في النسخ ما عدا (و) : (وداخل) بدل (وداخلاً) .

(٣) سورة آل عمران : (٣١) .

(٤) **أشار بذلك** : إلىٰ حديث أخرجه الترمذي (٢٣٢٠) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/٣٠٦) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما .



البيت الخامس والثلاثون

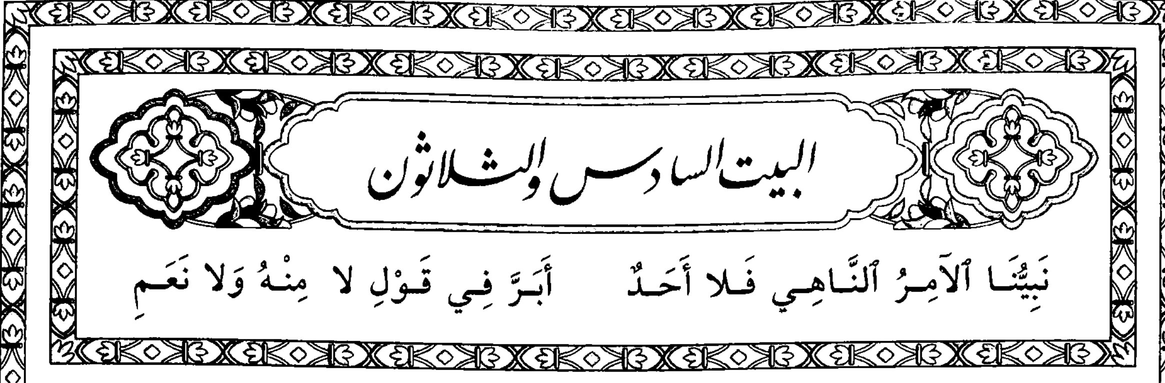
مُحَمَّدٌ سَيِّدُ ٱلْكَوْنَيْنِ وَٱلثَّقَلَيْـ ـنِ وَٱلْفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

وهٰذا الذي أشارَ إليهِ الناظمُ بقولِهِ : (لولاهُ لم تخرُجِ الدُّنيا مِنَ العدمِ) . . هوَ (محمدٌ سيِّدُ) أهلِ (الكَوْنَينِ) السماءِ والأرضِ ، أو أهلِ الدُّنيا والآخرةِ .

(و) سيِّدُ (الثَّقَلَينِ) الإنسِ والجنِّ ، قيلَ : سُمُّوا بذلكَ ؛ لإثقالِهِمُ الأرضَ .

(و) سيِّدُ (الفريقَينِ مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ) .

* * *



(**نبيُّنا الآمرُ**) بالمعروفِ (**النَّاهي**) عنِ المُنكَرِ بإرسالِ اللهِ إيَّاهُ إلينا ، وإنَّما عبَّرَ بـ (الآمرِ النَّاهي) ؛ لأنَّهُما ملزومانِ للرِّسالةِ ، وكلَّما وُجِدَ الملزومُ . . وُجِدَ اللازمُ ؛ كأنَّهُ قالَ : (نبيُّنا الرسولُ) .

(**فلا أَحَدٌ**) مِنَ البريَّةِ (**أبرَّ في قولِ « لا » منهُ ولا « نعمِ »**) ، بل هوَ أَبَرُّ .

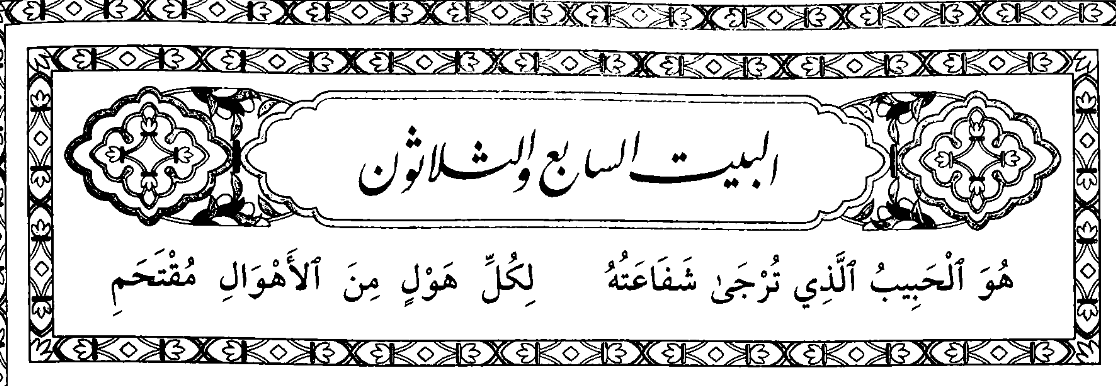
ويحتملُ أن يكونَ معناهُ : فلا أحدٌ أصدقَ منهُ في الخبرِ المَنفِيِّ والمُثبَتِ ، وكنىٰ عنِ المُثبَتِ بـ (نعم) ، وعنِ المَنفِيِّ بـ (لا) ، وذلكَ إمَّا : باعتبارِ الخبرِ بالإطلاقِ ، أو باعتبارِ الخبرِ عنِ الثوابِ والعقابِ ونفيِهما ، فإن أخبرَ عن ثوابٍ أو عقابٍ . . فهوَ أصدقُ الناسِ في خبرِهِ ؛ ولذلكَ يُبادَرُ إلى الفعلِ أوِ التركِ .

وقولُهُ : (محمَّدٌ)[1] فيهِ وجوهٌ مِنَ الإعرابِ ؛ **أحسنُها** : أن يكونَ بدلاً مِنْ ضميرِ الفاعلِ في (أحيا الظلامَ) ، أو مِنْ ضميرِ (لولاهُ) علىٰ أنَّهُ مُنفصِلٌ ؛ إذ بهـٰذا يحصُلُ الإيضاحُ بعدَ الإبهامِ ، أو خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ كما قدَّرناهُ ؛ أي : هوَ محمَّدٌ ، أو مبتدأً والخبرُ : (الآمرُ الناهي) .

* * *

---

(١) أي : في البيت السابق .



البيت السابع والثلاثون

هُوَ ٱلْحَبِيبُ ٱلَّذِي تُرْجَىٰ شَفَاعَتُهُ ... لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ ٱلأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ

(**هوَ الحبيبُ**) أي : المحبوبُ للهِ أو لأمَّتِهِ (**الذي تُرجَىٰ شفاعتُهُ لكُلِّ هولٍ مِنَ الأَهْوالِ مُقتَحَمِ**) بفتحِ الحاءِ ؛ أي : مَدْخُولاً فيهِ كَرْهاً ؛ اسمُ مفعولٍ مِنِ (اقتحمتَ الشيءَ) : إذا رميتَ بنفسِكَ فيهِ مِنْ غيرِ رَوِيَّةٍ ، **ومثلُهُ** : قَحَمَ في الأمرِ قُحُوماً[1] ، **وتقحيمُ النفسِ في الشيءِ** : إدخالُها فيهِ مِنْ غيرِ رَوِيَّةٍ .

وأرادَ بقولِهِ : (لكلِّ هولٍ) : عمومَ ما يُؤمَّلُ منهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنَ الشفاعاتِ ، **هـٰذا هوَ الظَّاهِرُ مِنْ كلامِهِ ، وهي كثيرةٌ** :

العُظْمىٰ : وهيَ في الإراحةِ ممَّا يُصيبُ الخلائقَ مِنْ كَرْبِ المَوْقِفِ ؛ الإنسَ والجنَّ ، والمؤمنَ والكافرَ ، **وهيَ مُختصَّةٌ بِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ**[2] .

وشفاعتُهُ في قومٍ يدخلونَ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ[3] ، قالَ النوويُّ : **وهيَ مُختصَّةٌ بهِ**[4] ، وتردَّدَ ابنُ دقيقِ العيدِ في ذلكَ[5] ، ووافقَهُ

---

(١) فهو من باب (خضع) ، كما في « المختار » (ص٩٢) ، مادة : (قحم) ، وفي « تاج العروس » (٣٣/٢٢٨) من باب (نصر) .

(٢) **وأدلة هـٰذه الشفاعة كثيرة ؛ منها** : ما أخرجه البخاري (٤٤٧٦) ، ومسلم (١٩٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) **ودليل هـٰذه الشفاعة** : ما أخرجه البخاري (٤٧١٢) ، ومسلم (١٩٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) شرح صحيح مسلم (٣/٣٥) ، روضة الطالبين (٧/١٣) .

(٥) إحكام الأحكام (١/١١٧) .

السُّبْكيُّ وقالَ : (لم يَرِدْ فيهِ شيءٌ)[1] .

وأُخرىٰ : في إخراجِ أهلِ الكبائرِ مِنْ أُمَّتِهِ مِنَ النارِ وإدخالِهِمُ الجنَّةَ[2] ، ويشاركُهُ فيها الأنبياءُ والملائكةُ والمؤمنونَ .

وأُخرىٰ : في قومٍ حُوسِبُوا واستوجَبُوا النارَ ألا يدخلوها ، ويدخلونَ الجنَّةَ[3] .

وأُخرىٰ : في زيادةِ درجاتٍ في الجنَّةِ ، وجوَّزَ النوويُّ اختصاصَها بهِ[4] .

قيلَ : **وأُخرىٰ** : في تخفيفِ عذابِ بعضِ الكفَّارِ ؛ كأبي طالبٍ[5] .

وزادَ بعضُهُم أُخرىٰ : عندَ الصِّراطِ ، وعندَ الميزانِ[6] .

وزادَ آخَرُ شفاعةً ثامنةً ؛ وهيَ : شفاعتُهُ لِمَنْ ماتَ بالمدينةِ الشريفةِ ، كما أخرجَهُ الترمذيُّ وصحَّحَهُ[7] .

---

(١) انظر « شفاء السقام » (ص٤٤٤ـ٤٤٩) .

(٢) **ودليل هـٰذه الشفاعة** : ما أخرجه البخاري (٦٥٥٩) عن سيدنا عمران بن الحصين رضي الله عنهما ، وهـٰؤلاء الخارجون من النار يسميهم أهل الجنة : (الجَهَنَّمِيِّين) .

(٣) كما أخرجه مسلم (١٩٥) عن سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ، وجوَّز النووي في « الروضة » (٧/ ١٣) أن تكون هـٰذه الشفاعةُ مختصَّةً به صلى الله عليه وسلم .

(٤) شرح صحيح مسلم (٣/ ٣٦) ، روضة الطالبين (٧/ ١٣) .

(٥) كما أخرجه البخاري (٣٨٨٣) ، ومسلم (٢٠٩) عن سيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وذكر هـٰذه الشفاعة القاضي عياض ، كما نص علىٰ ذلك الشارح في « المواهب اللدنية » (٣/ ٦٥٦) .

(٦) انظر « المواهب اللدنية » (٣/ ٦٥٣) ، وحديث مسلم السابق عن سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما .

(٧) سنن الترمذي (٣٩١٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، قال الشارح في =

وفي « العروةِ الوُثْقىٰ » للقَزْوينيِّ : أنَّ مِنْ شفاعاتِهِ شفاعةً لجماعةٍ مِنَ صُلَحاءِ المؤمنينَ ليتجاوزَ عنهُم في تقصيرِهِم في الطَّاعاتِ[1] ؛ فتكونُ الشفاعاتُ تسعةً[2] .

وفي قولِهِ : (نبيُّنا الآمِرُ الناهي) إشارةٌ : إلىٰ أنَّ اكتسابَ الشَّرَفِ لِمَنْ يتَّبِعُ سُنَّتَهُ إنَّما يكونُ بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المُنكَرِ ، ولا يحسُنُ ذلكَ حتىٰ يُصاحِبَهُ الصِّدْقُ والبِرُّ .

فمَنْ حصَّلَ هـٰذا الوصفَ بشروطِهِ . . استحقَّ أن ينالَ ما يُشبِهُ رتبتَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فيُقالَ فيهِ كما قيلَ في نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : (هوَ الحبيبُ الذي تُرجىٰ شفاعتُه) لأنَّ الآمِرينَ الناهينَ همُ العلماءُ ، وهم وَرَثَةُ الأنبياءِ ، وإنَّما وَرِثُوا منهُم هـٰذا النوعَ ، ولمَّا لم يكُنْ ميراثُهُم مُستغرِقاً . . لم تكنْ شفاعتُهُم لكلِّ هَوْلٍ كما هيَ في شفاعةِ مُوَرِّثِهِم .

في الخبرِ : (أنَّ الناسَ يدخلونَ الجنَّةَ ، فيبقى العلماءُ ، فيسألونَ الدخولَ ، فيقولُ لهُمُ اللهُ تعالىٰ : أنتُم عندي كمَلائِكَتي ؛ اشفعُوا ثمَّ ادخُلُوا)[3] .

* * *

= « المواهب اللدنية » (٣/ ٦٥٦ـ٦٥٧) : (وتعقَّبه الحافظ ابن حجر ؛ بأن مُتعلَّقها لا يخرج عن واحد من الخمس الأُوَل . . .) ، وانظر « فتح الباري » (١١/ ٤٢٨) .

(١) أورده الشامي في « سبل الهدىٰ والرشاد » (١١/ ٢٢٣ـ٢٢٤) .

(٢) فصَّل في أنواع الشفاعات المؤلف في « المواهب اللدنية » (٣/ ٦٥٤ـ ٦٥٨) ، والشامي في « سبل الهدىٰ والرشاد » (١٠/ ٣٨٥) ط . العلمية .

(٣) أورده بنحوه الغزالي في « الإحياء » (١/ ٤٠) ، قال العراقي في « تخريجه » (٤٤) : (أخرجه أبو العباس المرهبي في « العلم » من حديث ابن عباس بسند ضعيف) ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (١/ ١٠٧) .



البيت الثامن والثلاثون

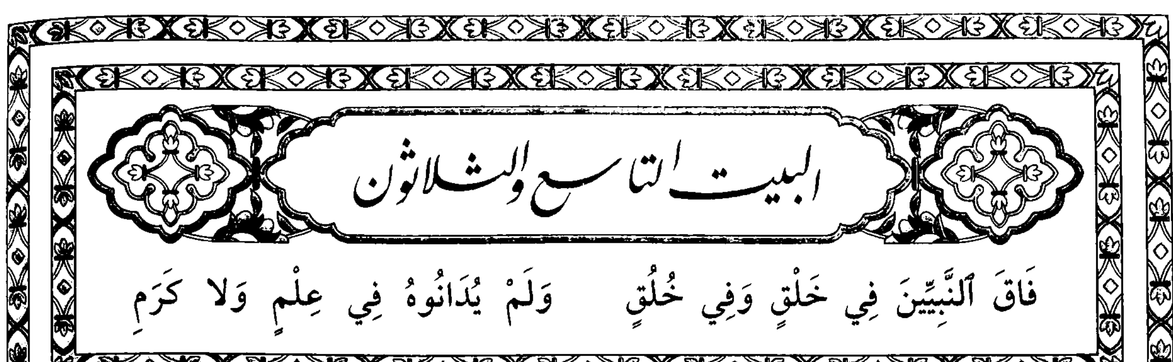
دَعَا إِلَى ٱللهِ فَٱلْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

(**دعا**) كلَّ مَنْ بُعِثَ إليهِ مِنْ إنسٍ وجنٍّ (**إلى اللهِ**) أي : إلىٰ توحيدِهِ وطاعتِهِ والإقرارِ لهُ عليهِ السلامُ بالرِّسالةِ ؛ (**فالمُستمسِكونَ**) وهمُ المُعتصِمونَ (**بهِ**) أي : بما دعا إليهِ . (**مُستمسِكونَ بحبلٍ**) أي : بعهدٍ (**غيرِ مُنفَصِمٍ**) بالفاءِ ؛ اسمُ فاعلٍ مِنْ : (فصمتُ الشيءَ فانفصمَ فَصْماً) : إذا كسرتَهُ ؛ قالَ تعالىٰ : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾[1] .

ولم يَقُلْ : (فالمُجِيبونَ لهُ) لأنَّ مُجرَّدَ الإجابةِ بالقولِ ونحوِهِ لا يكفي ، بل لا بدَّ مِنَ الاعتصامِ بما جاءَ بهِ .

* * *

(١) سورة البقرة : (٢٥٦) .



البيت التاسع والثلاثون

فَاقَ ٱلنَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ ... وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلا كَرَمِ

ولا شكَّ أنَّ حُسْنَ الخَلْقِ غالباً تابعٌ لحُسْنِ الخُلُقِ ، والأنبياءُ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِم أجمعينَ أحسنُ الناسِ خَلْقاً وخُلُقاً ، ونبيُّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قد (**فاقَ النبيِّينَ**) عليهِمُ الصلاةُ والسلامُ ؛ أي علا عليهِم (**في**) كُلِّ (**خَلْقٍ**) حَسَنٍ ، بفتحِ الخاءِ وسكونِ اللامِ ؛ أيِ : الخِلْقةِ صورةً وشَكْلاً ولَوْناً وغيرَ ذلك ، (**وفي**) كُلِّ (**خُلُقٍ**) كريمٍ ، بضمِّ الخاءِ واللامِ ؛ أيِ : السَّجيَّةِ ؛ وهيَ ما طُبِعَ عليهِ مِنَ الخِصَالِ الحميدةِ .

فإن قيلَ : لا نُسلِّمُ أنَّهُ يُفهَمُ مِنْ قولِهِ : (خَلْقٍ) و(خُلُقٍ) : إرادةُ العُمومِ حتىٰ يُقدَّرَ بـ (كلِّ) فيهِما ؛ لأنَّهُما نكرتانِ في سياقِ الثُّبوتِ ، والنَّكرةُ كذلكَ لا تَعُمُّ ، **وحينَئذٍ** : لا يكونُ مَدْحاً تامّاً ؛ **لأنَّ المعنىٰ** : فاقَهُم في بعضِ الخَلْقِ وبعضِ الخُلُقِ .

وكما يحتملُ بعدَ ذلكَ أن يُساوِيَهُم في البعضِ الآخَرِ . . يحتملُ أن يفوقُوهُ فيهِ ؛ فقد تحصُلُ المُعادَلةُ إن كانَ ما فاقُوهُ بهِ مثلَ ما فاقَهُم بهِ ، وقد يكونُ ما فاقُوهُ بهِ أو بعضُهُم أكثرَ ، فينعكسُ ما قصدَهُ مِنَ المدحِ .

فالجوابُ : **أنَّ المرادَ**: خَلْقُهُم وخُلُقُهُم ؛ إذ لا يُرادُ خَلْقٌ أو خُلُقٌ أيّاً كانَ ، **وإنَّما المرادُ بهِما** : منهُ ومنهُم ، **وحينَئذٍ** : فهما اسما جنسٍ أُضِيفا فيعُمَّا[1] ؛ لدَلالةِ العقلِ علىٰ تقديرِ الإضافةِ ، أو يكونُ المرادُ بهِما الحقيقةَ ، وهيَ واحدةٌ .

---

(١) كذا في النسخ و« إظهار صدق المودة » ، والقياس : (فيعمان) بإثبات النون ، والمثبت جائز علىٰ لغة قليلة .

لا يُقالُ : الإنسانيَّةُ واحدةٌ لا تَفاوُتَ فيها .

لأنَّا نقولُ : **المرادُ** : العارضُ لها ؛ إمَّا بالتركيبِ الصُّوريِّ ؛ وهوَ الخَلْقُ ، أو باعتبارِ الأوصافِ المعنويَّةِ ؛ وهوَ الخُلُقُ ؛ لأنَّ أصلَ[1] هـٰذهِ الأوصافِ فيهِ وفي غيرِهِ خَلْقُ اللهِ تعالىٰ مِنْ غيرِ اكتسابٍ ؛ لما في « صحيحِ مسلمٍ » : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ لرجلٍ : « إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا ٱللهُ وَرَسُولُهُ : ٱلْحِلْمُ وَٱلأَنَاةُ » ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ أنا أتخلَّقُ بهِما أمِ اللهُ جَبَلَني عليهِما؟ فقالَ : « بَلِ ٱللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا . . . » الحديثَ[2] .

نعم ؛ يكتسبُ الإنسانُ قوَّتَهُما بالمُخالَطةِ والاستعمالِ .

وما ذكرَهُ الناظمُ . **أشارَ بهِ** : إلىٰ ما أخبرَنا بهِ الشيخُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ الشيخِ مُحِبِّ الدينِ الرَّضِيُّ الشافعيُّ قالَ : أخبرَنا الشيخُ أبو الطَّاهرِ محمدٌ التَّكْريتيُّ ، أخبرَتْنا زينبُ المقدسيَّةُ ، عن عبدِ الخالقِ الماردينيِّ ، أخبرَنا عبدُ الملكِ الكَرُوخِيُّ ، أخبرَنا أبو بكرٍ [أحمدُ بنُ] عبدِ الصَّمَدِ الغُورَجيُّ[3] ، أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ ياسينَ الدَّهانُ ، أخبرَنا أبو محمَّدٍ عبدُ الجبَّارِ ابنُ الجرَّاحِ ، أخبرَنا أبو العباسِ ابنُ محبوبٍ المَرْوزيُّ ، حدَّثَنا ابنُ سَوْرةَ الحافظُ ، حدَّثَنا قُتيبةُ ، عن مالكِ بنِ أنسٍ ، عن ربيعةَ بنِ

---

(١) في (ب) : (الأصل) بالتعريف ، والمثبت أولىٰ وموافق لما في « إظهار صدق المودة » .

(٢) إلىٰ قوله : « الحلم والأناة » أخرجه مسلم (١٨) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وهو بتمامه في « سنن أبي داود » (٥٢٢٥) ، و« شعب الإيمان » (٨٥٦٠) عن سيدنا الزارع العبدي رضي الله عنه ، وقاله صلى الله عليه وسلم للمنذر الأشج العبدي رضي الله عنه .

(٣) ما بين معقوفين زيادة من « سير أعلام النبلاء » (٧/١٩) ، وجاء في بعض المواضع في «الأنوار من الأدعية والأذكار» (ق/ ٣٥) مختصراً هكذا : (أبو بكر التاجر) .

أبي عبدِ الرحمٰنِ : أنَّهُ سمعَ أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ : (لم يَكُنْ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالطَّويلِ البائنِ ، ولا بالقصيرِ ، ولا بالأبيضِ الأَمْهَقِ ، ولا بالآدَمِ ، وليسَ بالجَعْدِ القَطَطِ ، ولا بالسَّبْطِ ، بعثَهُ اللهُ علىٰ رأسِ أربعينَ سنةً ، فأقامَ بمكَّةَ عشرَ سنينَ ، وبالمدينةِ عشرَ سنينَ ، وتوفَّاهُ اللهُ تعالىٰ علىٰ رأسِ ستِّينَ سنةً وليسَ في رأسِهِ ولِحْيَتِهِ عِشْرونَ شعرةً بيضاءَ)[1] .

وبهٰذا السندِ إلى الحافظِ أبي عيسى ابنِ سَوْرةَ : حدَّثَنا قُتيبةُ بنُ سعيدٍ ، حدَّثَنا جعفرُ بنُ سليمانَ الضُّبَعيُّ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (خَدَمتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عشرَ سنينَ ، فما قالَ لي : أُفٍّ قطُّ ، وما قالَ لشيءٍ صنعتُهُ : لمَ صنعتَهُ ؟ ولا لشيءٍ تركتُهُ : لمَ تركتَهُ ؟ وكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ أحسنِ الناسِ خُلُقاً ، وما مَسِسْتُ[2] خَزّاً قطُّ ولا حريراً ولا شيئاً كانَ ألينَ مِنْ كَفِّ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولا شَمِمْتُ مِسْكاً قطُّ ولا عِطْراً كانَ أطيبَ مِنْ عَرَقِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[3] .

---

(١) سنن الترمذي (٣٦٢٣) ، شمائل الترمذي (١) ، وأخرجه البخاري (٣٥٤٨) ، ومسلم (٢٣٤٧) ، **والبائن** : المفرط في الطول مع اضطراب القامة ، **والأمهق** : الكريهُ البياضِ كلون الجص ؛ يريد أنه كان نيِّرَ البياض ، **والآدَمُ** : الشديد السُّمْرة ، وقوله : (**وليس بالجعد القطط ولا بالسَّبْط**) أي : لم يكن منبسطاً مسترسلاً ولا شديد الجعودة ، بل كان وسطاً بينهما . انظر « شرح القسطلاني على الشمائل » (ق/ ١٤ـ١٦) ، و« النهاية في غريب الحديث » (٢/ ٣٣٤) ، وسند هٰذا الحديث سقط من (هـ) .

(٢) في (ب) : (مِسْتُ) ، وفي (هـ) : (لمست) ، وانظر « شرح النووي علىٰ مسلم » (٨/ ١٦١) .

(٣) شمائل الترمذي (٣٤٦) ، وهو في « سننه » (٢٠١٥) دون قوله : (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم. . .) ، وأخرجه مسلم (٢٣٣٠) دون قوله : (خدمت. . . خُلُقاً) .

ثمَّ قالَ : (ولم يُدانُوهُ) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ أي : لم يُقارِبوهُ (في عِلْمٍ ولا كَرَمِ) .

فإن قيلَ : العلمُ والكَرَمُ داخلانِ في الخُلُقِ ، فما بالُهُ خصَّهُما بأنَّ النبيِّينَ لم يُقارِبوهُ فيهِما ؟

فالجوابُ : أنَّهُ إنَّما خصَّ الوصفَينِ ؛ لأنَّهُما كالمَنْبَعِ لسائرِ الأوصافِ الحميدةِ ، فإذا كانَ لا يُقارَبُ فيهِما . . ففي غيرِهِما أَوْلىٰ .

وأصلُ الأخلاقِ الحميدةِ كلِّها : العقلُ ، ومنهُ ينبعثُ العلمُ ، وقد أُعطِيَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنَ العقلِ ما لا يُقارِبُهُ غيرُهُ فيما أُعطِيَ منهُ .

قالَ وهبُ بنُ مُنبِّهٍ فيما حكاهُ عنهُ في « الشفاءِ » : (قرأتُ في أحدٍ وسبعينَ كتاباً أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أرجحُ الناسِ عَقْلاً ، وأفضلُهُم رَأْياً)[1] .

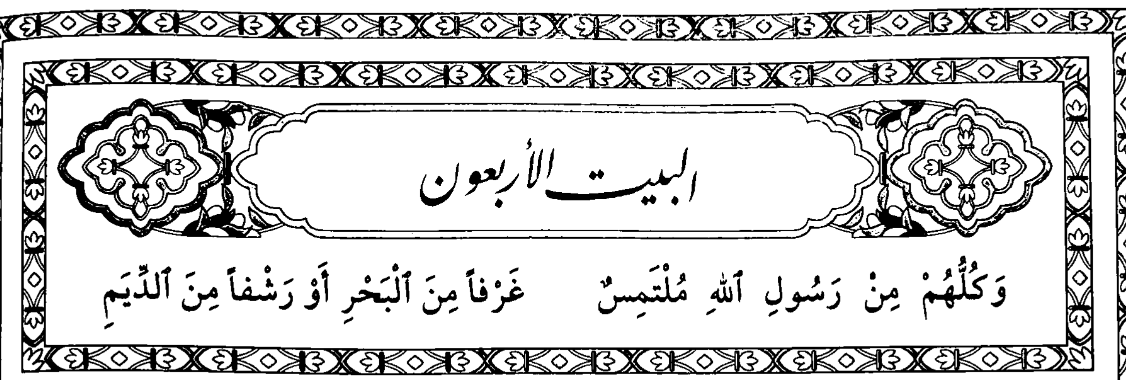
وفي روايةٍ : (وجدتُ في جميعِها أنَّ اللهَ تعالىٰ لم يُعْطِ جميعَ الناسِ مِنْ بَدْءِ الدُّنيا إلى انقضائِها مِنَ العقلِ في جَنْبِ عقلِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . إلا كحبَّةٍ بينَ رمالِ الدُّنيا)[2] .

* * *

---

(١) الشفاء (ص١١٢) .

(٢) الشفاء (ص١١٢) ، والأثر أخرجه الآجري في « الشريعة » (١٠٢٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/٢٦) .



البيت الأربعون

وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ مُلْتَمِسٌ غَرْفاً مِنَ ٱلْبَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ ٱلدِّيَمِ

(**وكلُّهم مِنْ**) محمَّدٍ (**رسولِ اللهِ**) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (**مُلتمِسٌ**) أي : طالبٌ (**غَرْفاً مِنَ البحرِ**) أي : بحرِ كرمِهِ ، (**أو رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ**) أي : دِيَمِ كرمِهِ[1] ، فيكونُ قولُهُ : (مِنَ البحرِ) و(الدِّيَمِ) بدلَ اشتمالٍ مِنْ (رسولِ اللهِ) ، وحذفَ الضميرَ الرَّابطَ بينَ بدلِ الاشتمالِ والمُبدَلِ منهُ ، وأتىٰ بـ (أل) في (البحرِ) و(الدِّيَمِ) نائبةً عن ذلكَ الضميرِ ، **كما هوَ رأيُ الكوفيِّينَ في هـٰذا** ؛ نحوُ : ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2] ؛ أي : مأواهُ .

وعلىٰ رأيِ البصريِّينَ : يكونُ التقديرُ : (مِنَ البحرِ لهُ) ، أو (مِنَ الدِّيَمِ لهُ) ، أو نحوَ ذلكَ[3] .

والدِّيَمُ : جمعُ دِيمةٍ ؛ وهيَ المطرُ الذي ليسَ فيهِ رعدٌ ولا برقٌ ، ويدومُ يوماً وليلةً ، **والرَّشْفُ** : الأَخْذُ بأطرافِ الشَّفَةِ ، وقالَ الجَوْهَريُّ : المَصُّ[4] .

---

(١) وهـٰذا البيت مثل قوله رحمه الله في « قصيدته » الأخرىٰ : [من الخفيف]

لم يساوُوكَ في عُلاكَ وقد حا ل سناً منك دونَهم وسَناءُ

انتهىٰ من هامش (د) .

(٢) سورة النازعات : (٤١) .

(٣) وكقوله في الآية : (هي المأوىٰ له) ، فكون (أل) عوضاً من الضمير لا يعرفه كثير من البصريين ، وإنما هو عند الكوفيين . انظر « الدر المصون » (٥/٤٥٢ ، ١٠/٢٨٥) ، و« مغني اللبيب » (٢/٦٥٢) .

(٤) الصحاح (٤/١٣٦٤) ، مادة : (ر ش ف) .

وفي ذلكَ : **التشبيهُ البليغُ** ؛ لأنَّهُ شبَّهَ علمَهُ بالبحرِ ، وكرمَهُ بالدِّيَمِ ، وما أَخَذَ الأنبياءُ منهُما بالغَرْفةِ والرَّشْفةِ .

ووجهُ تشبيهِ العلمِ بالبحرِ : إمَّا لاتِّساعِهِ ، وإمَّا لبُعْدِ غَوْرِهِ ، وإمَّا لأنَّ الغائصَ فيهِ يستخرجُ الدُّرَرَ .

ووجهُ تشبيهِ الكَرَمِ بالدِّيَمِ : لما يحصُلُ مِنَ النفعِ بها .

وإنَّما خصَّ الرَّشْفَ بالدِّيَمِ والغَرْفَ بالبحرِ ؛ لأنَّها تجري علىٰ سطحِ الأرضِ ، فلا يجتمعُ منها ما هوَ كالبحرِ حتىٰ يُغترَفَ .

فإن قلتَ : إنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُتأخِّرُ الزمانِ عنِ النبيِّينَ ، فكيفَ يطلبونَ منهُ ؟!

فالجوابُ : **إنَّما** طلبُهُم مِنْ بحرِ علمِهِ ودِيَمِ كرمِهِ كما تقدَّمَ ، وهـٰذا لا يستلزمُ اتِّحادَ زمانِ وجودِهِم ولا علمِهِم ببَعْثِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعدَهُم .

ولئن سلَّمْنا أنَّهُ لا بدَّ لهُم حالَ الطَّلَبِ مِنْ تصوُّرِ بحرِ علمِهِ ودِيَمِ كرمِهِ . . فذلكَ حاصلٌ لهُم ممَّا أُعلِموا بهِ مِنْ مَبْعثِهِ وصفاتِهِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ . . .﴾ الآيةَ[1] ، وقالَ تعالى : ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[2] .

وأفردَ (البحرَ) لرجوعِهِ إلىٰ صفةِ العلمِ وهيَ واحدةٌ ؛ وجمعَ (الدِّيَمَ) لرجوعِها إلىٰ كَرَمِ الطبائعِ وهيَ أخلاقٌ مُتعدِّدةٌ[3] .

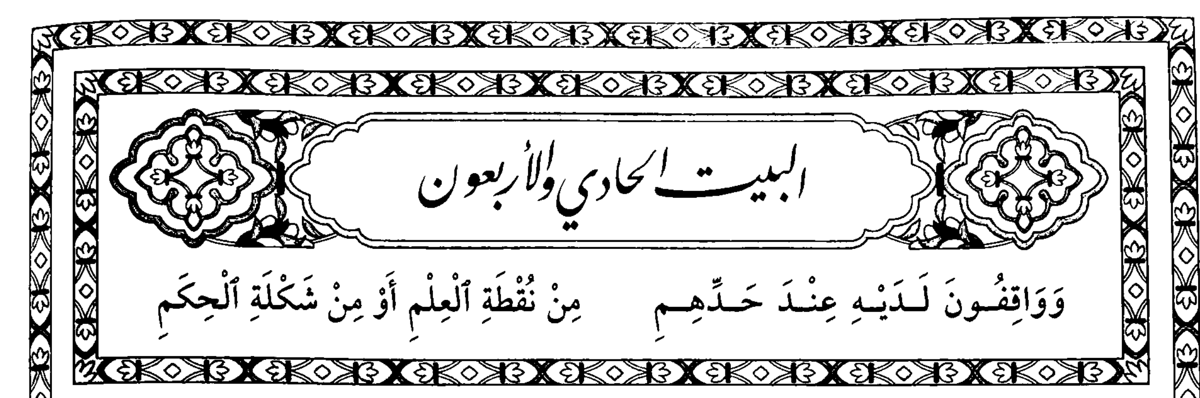
* * *

---

(١) سورة آل عمران : (٨١) .

(٢) سورة الأعراف : (١٥٧) .

(٣) في (هـ) : (الطباع) بدل (الطبائع) .



البيت الحادي والأربعون

وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمِ ... مِنْ نُقْطَةِ ٱلْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ ٱلْحِكَمِ

(و) كُلُّهُم صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم (**واقفونَ**) أي : ثابتونَ (**لديهِ عندَ حدِّهِم**) الذي حُدَّ لهُم لا يتعدَّونَهُ ؛ أي : مُنتهىٰ مَرْتبتِهِم عِلماً وكَرَماً ؛ (**مِنْ نُقْطةِ العلمِ أو مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ**) أي : مِنْ نقطةٍ مِنْ بحرِ علمِهِ ، وشَكْلَةٍ مِنْ دِيَمِ حِكَمِهِ .

وخصَّ النقطةَ بالعلمِ ؛ لأنَّ بها تتميَّزُ ذواتُ الحروفِ المُشتبِهةِ الصُّوَرِ ، والعلمُ خاصَّتُهُ التمييزُ ، **كما حدَّهُ أهلُ الأصولِ** : بأنَّهُ صفةٌ تُوجِبُ تمييزاً لا يحتملُ النقيضَ .

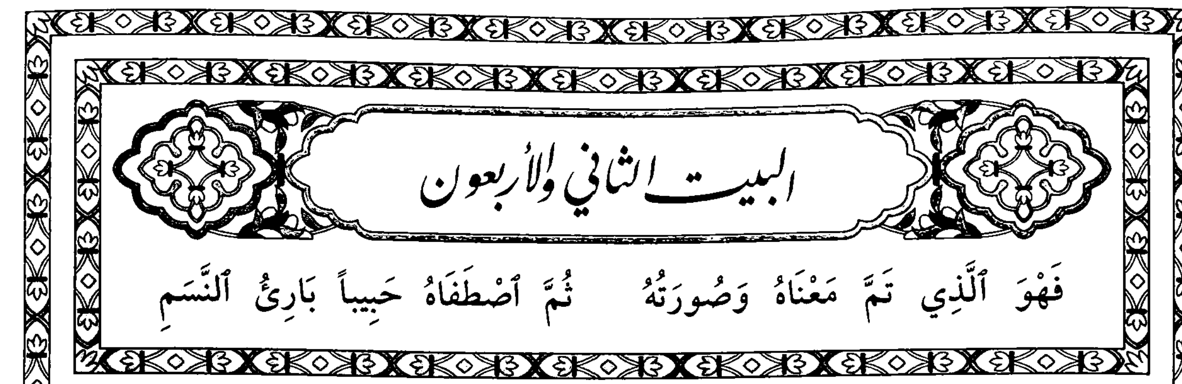
وأضافَ الشَّكْلةَ لـ (الحِكَمِ) ؛ **لأنَّ فائدةَ الحكمةِ** : وضعُ الشيءِ في المكانِ الذي يستحقُّهُ علىٰ أكملِ وجهٍ ؛ لئلا يختلَّ النِّظامُ ، وهٰذهِ فائدةُ الشَّكْلةِ ؛ لأنَّ بها يُضافُ الحُكْمُ إلىٰ صاحبِهِ ويزولُ اللَّبْسُ .

وفي ذلكَ : **التوريةُ الخطِّيَّةُ** ، **ووجهُ التوريةِ الخطِّيَّةِ** : أن تقولَ : انظُرْ ما نسبةُ النقطةِ الواحدةِ التي مِنْ أسبابِ العلمِ إلىٰ نفسِ العلمِ وإلىٰ سائرِ أسبابِهِ ، وكذا الشَّكْلةُ التي هيَ صفةُ حُسْنٍ إلىٰ سائرِ المحاسنِ وصفاتِها[1] .

و(لدىٰ) و(عندَ) مُتساويانِ **على الأصحِّ** ، **وقيلَ** : (عندَ) : للحاضرِ والغائبِ ، و(لدىٰ) : للحاضرِ .

---

(١) وهٰذه التورية الخطية متعلقة بالرسم والخط ، **ويحتمل** : أن تكون التورية هندسيةً . انظر تفصيل ابن مرزوق في الكلام علىٰ هاتين التوريتين في « إظهار صدق المودة » (ق/١١٧ ، ١٢٠) .



البيت الثاني والأربعون

فَهْوَ ٱلَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ثُمَّ ٱصْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِئُ ٱلنَّسَمِ

ثمَّ قالَ : (فهوَ الذي تمَّ) أي : كَمَلَ (معناهُ وصورتُهُ) أي : خُلُقُهُ وخَلْقُهُ ، (ثمَّ اصطفاهُ حبيباً بارئُ النَّسَمِ) وآدمُ بينَ الماءِ والطِّينِ[1] .

وإن جُعِلَتْ (ثمَّ) لترتيبِ الإخبارِ بالمدحِ . . فالتقديرُ : (ثمَّ اصطفاهُ بعدَ أن أكملَ صورتَهُ ومعناهُ) ، وهٰذا بعيدٌ ؛ لأنَّ اختيارَهُ كانَ وآدمُ بينَ الماءِ والطِّينِ ، كما تقدَّمَ[2] .

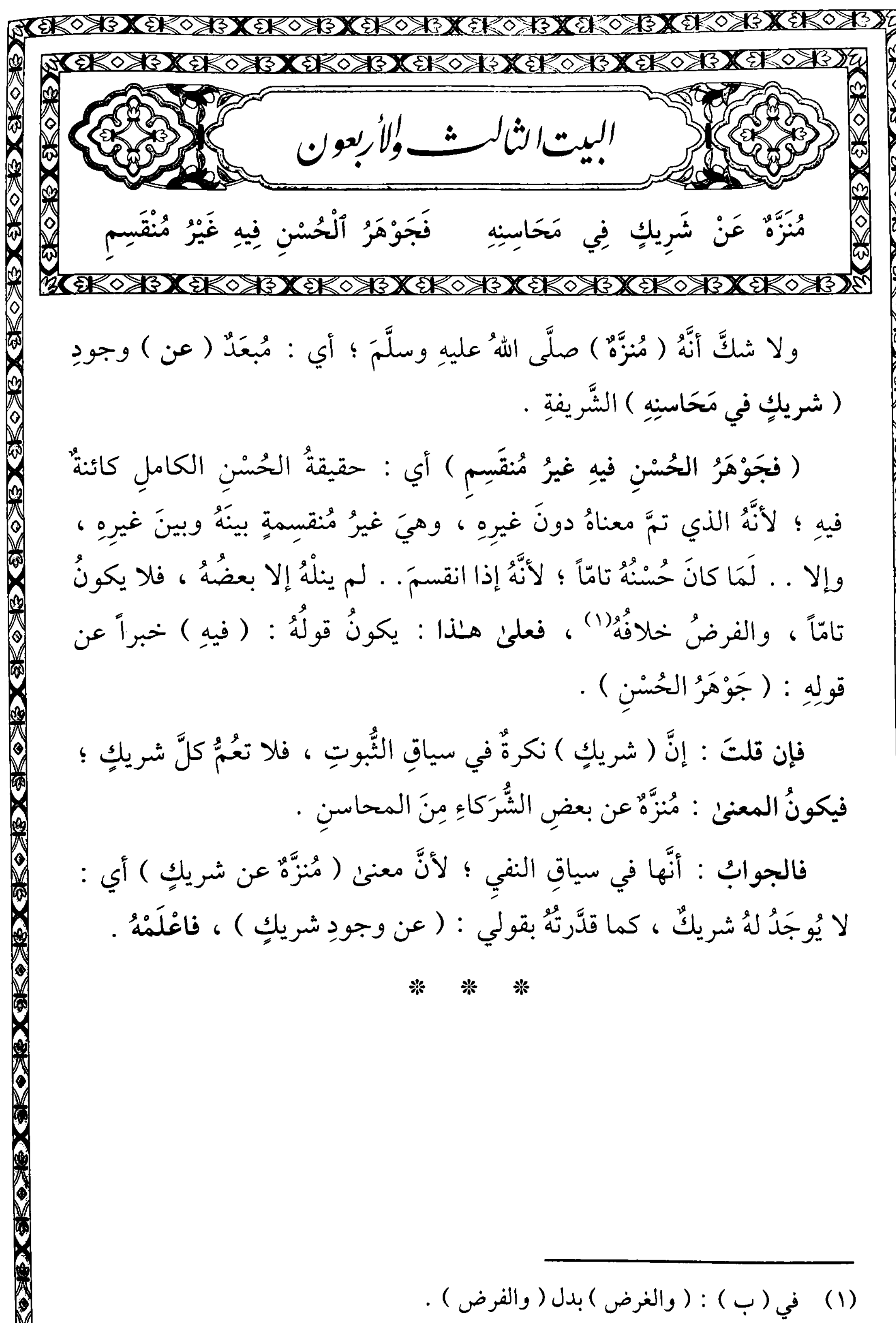
وإنَّما قالَ : (بارئُ النَّسَمِ) ، فخصَّ هٰذا الوصفَ مِنْ بينِ سائرِ أوصافِهِ تعالىٰ ؛ تنبيهاً علىٰ أنَّ معنىٰ محبَّةِ اللهِ لهُ خلقُهُ إيَّاهُ علىٰ تلكَ الصُّورةِ ، وتوفيقُهُ لتلكَ الأخلاقِ الحميدةِ التي جِماعُها الإعراضُ عمَّا سوى اللهِ تعالىٰ .

* * *

---

(١) أشار به : إلىٰ نحو ما أخرجه الترمذي (٣٦٠٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وأحمد في « المسند » (٥/ ٥٩) عن سيدنا ميسرة الفجر رضي الله عنه ، كلاهما بلفظ : « وآدم بين الروح والجسد » ، وأما لفظ : « وآدم بين الماء والطين » . . فقال السخاوي في « المقاصد الحسنة (ص٥٢١) : (لم نقف عليه بهٰذا اللفظ) ، وانظر « كشف الخفاء » (٢/ ١٢٩) .

(٢) قوله : (وإن جعلت . . .) إلىٰ آخره : كذا في النسخ ، والعبارة في « إظهار صدق المودة » : (وقوله : « ثم اصطفاه . . . » إلىٰ آخره ؛ أي : ثم اختاره خالق النسم حبيباً بعد أن أكمل صورته ومعناه ، هٰذا ؛ إن جعلت « ثم » للترتيب الوجودي ، وهو بعيد ؛ لأن اختياره حبيباً وآدم بين الماء والطين ؛ لأنه حينئذ نبي ، وكل نبي محبوب ، إلا أن يقال بحسب التقدير ، فيصح الترتيب ، وإن جعلت « ثم » لترتيب الإخبار بالمدح . . فلا إشكال) .



البيت الثالث والأربعون

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ ... فَجَوْهَرُ ٱلْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

ولا شكَّ أنَّهُ (**مُنزَّهٌ**) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ أي : مُبعَدٌ (**عن**) وجودِ (**شريكٍ في مَحَاسِنِهِ**) الشَّريفةِ .

(**فجَوْهَرُ الحُسْنِ فيهِ غيرُ مُنقَسِمِ**) أي : حقيقةُ الحُسْنِ الكاملِ كائنةٌ فيهِ ؛ لأنَّهُ الذي تمَّ معناهُ دونَ غيرِهِ ، وهيَ غيرُ مُنقسِمةٍ بينَهُ وبينَ غيرِهِ ، وإلا . . لَمَا كانَ حُسْنُهُ تامّاً ؛ لأنَّهُ إذا انقسمَ . . لم ينلْهُ إلا بعضُهُ ، فلا يكونُ تامّاً ، والفرضُ خلافُهُ[1] ، **فعلىٰ هـٰذا** : يكونُ قولُهُ : (فيهِ) خبراً عن قولِهِ : (جَوْهَرُ الحُسْنِ) .

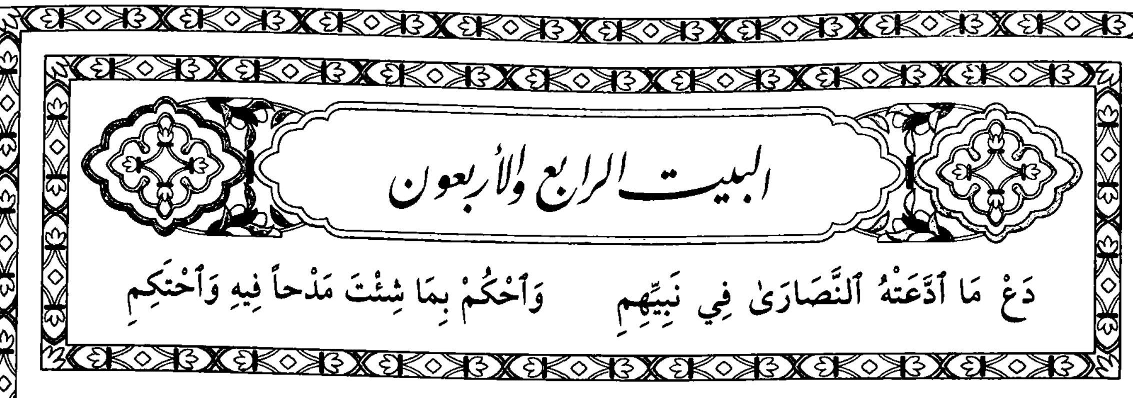
فإن قلتَ : إنَّ (شريكٍ) نكرةٌ في سياقِ الثُّبوتِ ، فلا تعُمُّ كلَّ شريكٍ ؛ **فيكونُ المعنىٰ** : مُنزَّهٌ عن بعضِ الشُّرَكاءِ مِنَ المحاسنِ .

فالجوابُ : أنَّها في سياقِ النفيِ ؛ لأنَّ معنىٰ (مُنزَّهٌ عن شريكٍ) أي : لا يُوجَدُ لهُ شريكٌ ، كما قدَّرتُهُ بقولي : (عن وجودِ شريكٍ) ، **فاعْلَمْهُ** .

* * *

---

(١) في (ب) : (والغرض) بدل (والفرض) .



(**دَعْ**) أي : اترُكْ (**ما ادَّعتْهُ النَّصارىٰ**) وما قالتْهُ[1] : (**في نبيِّهِمِ**) عيسىٰ عليهِ السلامُ ؛ مِنْ نسبتِهِ إلى الإلـٰهيَّةِ على اختلافِ آرائِهِم في ذلكَ[2] ، بل قُلْ : هوَ عبدُ اللهِ ورسولُهُ ، (**واحكُمْ بما شئتَ مَدْحاً فيهِ**) ، غيرَ ألا تدَّعيَ ما ادَّعتْهُ النَّصارىٰ في عيسىٰ عليهِ السلامُ .

كأنَّهُ قالَ : إن سمعتَ فيهِ مَدْحاً بأيِّ شيءٍ كانَ ما عدا ما ذكرْنا . . فاقضِ بصحَّتِهِ ، ولا تُكذِّبْ قائلَهُ ؛ **فمعنىٰ** (بما شئتَ) : أي : بصحَّةِ ما شئتَ ممَّا سمعتَ ؛ لأنَّ ممَّا يستدعيهِ الحُكْمُ محكوماً فيهِ ، ولا بدَّ أن يكونَ غيرَ فعلِ الحاكمِ .

وأتىٰ بقولِهِ : (**واحتَكِمِ**) استظهاراً علىٰ أنَّ المحكومَ عليهِ بصحَّةِ مدحِهِ يرضىٰ بتحكيمِكَ في ذلكَ ، فيجعلُ لكَ حِيازةَ الحُكْمِ ، **وهوَ احتراسٌ** عمَّا يُوهِمُهُ (احكُمْ) أنَّ ذلكَ لسلطانِ الحاكمِ وقَهْرِهِ ، فزادَ (احتَكِمْ) ليدُلَّ علىٰ أنَّهُ مِنَ الحُكْمِ الذي يرتضيهِ المحكومُ عليهِ بهِ .

وفائدةُ الإضافةِ في قولِهِ : (نبيِّهِمِ) : الردُّ عليهِم ؛ فإنَّهُم يُسلِّمونَ أنَّهُ

---

(١) في (ج) : (أي : قالته) بدل (وما قالته) ، والمثبت موافق لـ « إظهار صدق المودة » .

(٢) في (ب) : (الألوهية ، رأيهم) بدل (الإلـٰهية ، آرائهم) ، والمثبت موافق لـ « إظهار صدق المودة » ، وانظر فيها تفصيل آرائهم في ذلك (ق/ ١٢٦) .

نبيُّهُم ثمَّ يدَّعونَ لهُ الإلـٰهيّةَ[1] والمعهودُ في النبيِّ أنَّهُ مِنَ البشرِ !!

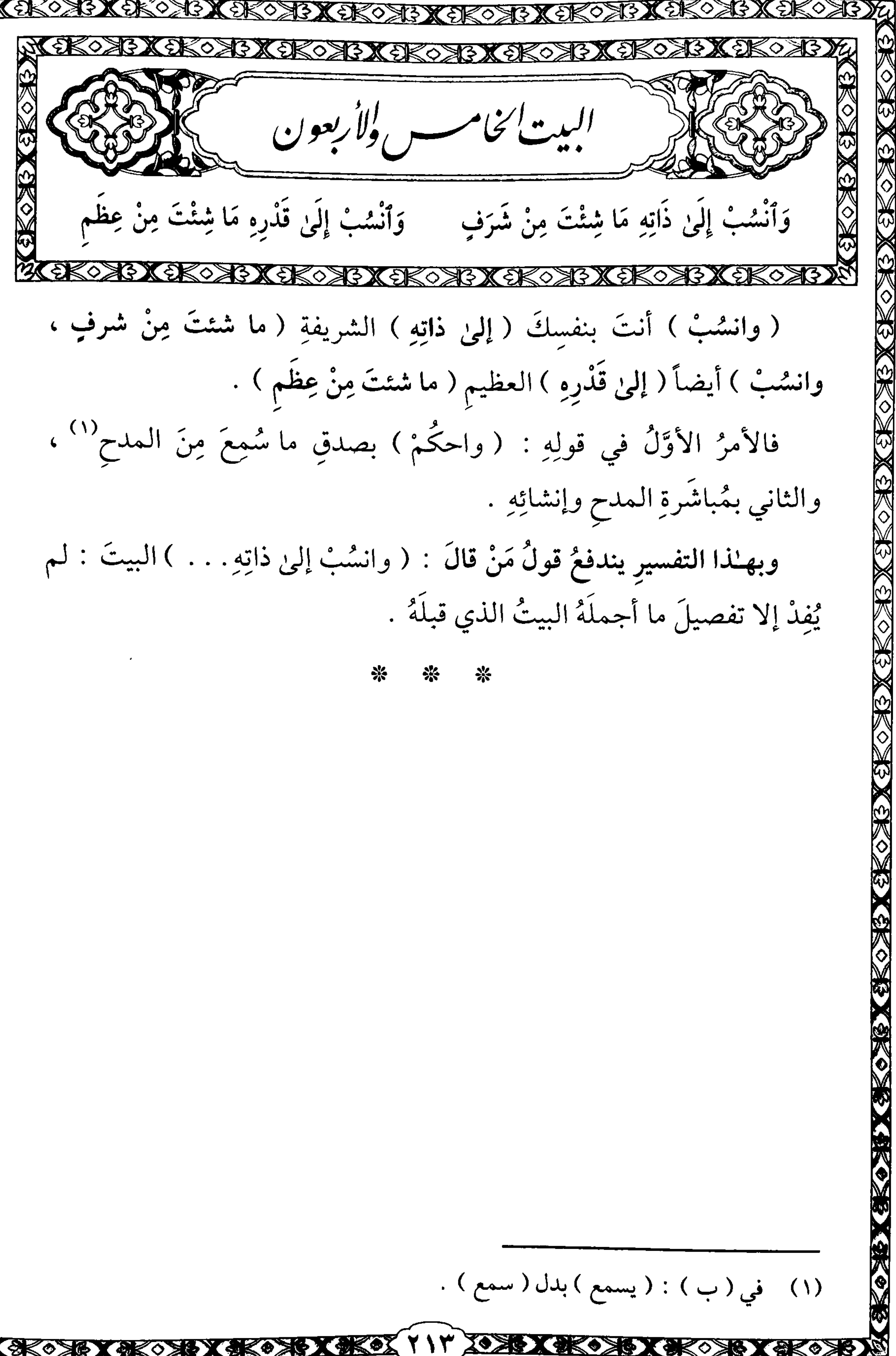
وليسَتِ الإضافةُ للاختصاصِ ؛ فإنَّ ذلكَ يُوهِمُ نفيَ أنَّهُ ليسَ بنبيٍّ لنا أيضاً ، وليسَ كذلكَ ، بل نبيٌّ لنا ؛ بمعنىٰ أنَّا نُؤمِنُ بنبوَّتِهِ ؛ لا أنَّهُ صاحبُ شريعتِنا[2] ، وهوَ سيُبعَثُ فينا إماماً ، ويُوهِمُ أيضاً أنَّ محمَّداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ليسَ بنبيٍّ للنَّصارىٰ ، وهوَ باطلٌ .

* * *

---

(١) في (ب) : (الألوهيَّة) .

(٢) في (ب ، ج) : (لأنه) بدل (لا أنه) ، والمثبت أنسب وموافق لـ « إظهار صدق المودة » .



البيت الخامس والأربعون

وَٱنْسُبْ إِلَىٰ ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ   وَٱنْسُبْ إِلَىٰ قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

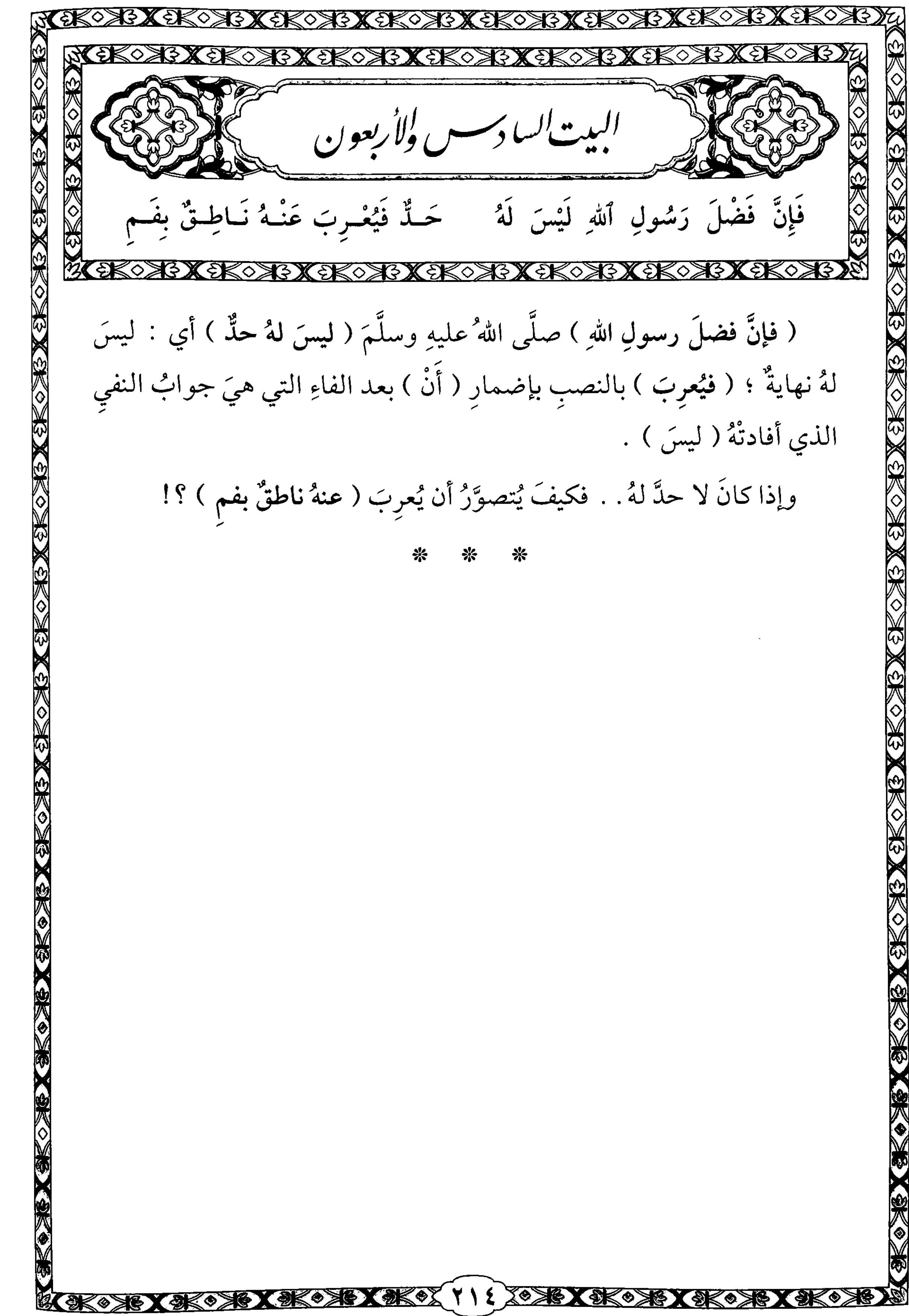
(وانسُبْ) أنتَ بنفسِكَ (إلىٰ ذاتِهِ) الشريفةِ (ما شئتَ مِنْ شرفٍ ، وانسُبْ) أيضاً (إلىٰ قَدْرِهِ) العظيمِ (ما شئتَ مِنْ عِظَمٍ) .

فالأمرُ الأوَّلُ في قولِهِ : (واحكُمْ) بصدقِ ما سُمِعَ مِنَ المدحِ[1] ، والثاني بمُباشَرةِ المدحِ وإنشائِهِ .

وبهـٰذا التفسيرِ يندفعُ قولُ مَنْ قالَ : (وانسُبْ إلىٰ ذاتِهِ . . .) البيتَ : لم يُفِدْ إلا تفصيلَ ما أجملَهُ البيتُ الذي قبلَهُ .

* * *

(١) في (ب) : (يسمع) بدل (سمع) .



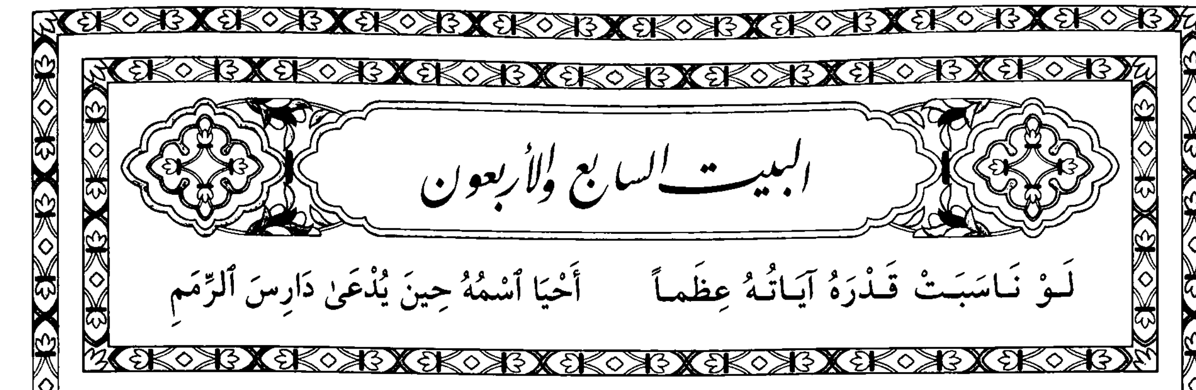
البيت السادس والأربعون

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ ٱللهِ لَيْسَ لَهُ ... حَـدٌّ فَيُعْـرِبَ عَنْـهُ نَـاطِـقٌ بِفَـمِ

(**فإنَّ فضلَ رسولِ اللهِ**) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (**ليسَ لهُ حدٌّ**) أي : ليسَ لهُ نهايةٌ ؛ (**فيُعرِبَ**) بالنصبِ بإضمارِ (أَنْ) بعد الفاءِ التي هيَ جوابُ النفيِ الذي أفادتْهُ (ليسَ) .

وإذا كانَ لا حدَّ لهُ . . فكيفَ يُتصوَّرُ أن يُعرِبَ (**عنهُ ناطقٌ بفمٍ**) ؟!

* * *



البيت السابع والأربعون

لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَماً ... أَحْيَا ٱسْمُهُ حِينَ يُدْعَىٰ دَارِسَ ٱلرِّمَمِ

ولمَّا كانَ قدرُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا حدَّ لهُ . . لَزِمَ مِنْ ذلكَ أنَّ جميعَ ما ظهرَ علىٰ يديهِ مِنَ الآياتِ لم يكنْ شيءٌ منها مُناسِباً لقَدْرِهِ ، **كما أشارَ إليهِ بقولِهِ :**

(**لو ناسَبَتْ**) أي : ماثَلَتْ (**قَدْرَهُ آياتُهُ**) التي هيَ أعلامُ نبوَّتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (**عِظَماً** . . **أحيا اسمُهُ**) الشريفُ (**حينَ**) أي : وقتَ (**يُدْعىٰ دارِسَ الرِّمَمِ**) جمعُ (رِمَّةٍ) بالكسرِ ؛ وهي العِظامُ الباليةُ .

يعني : أنَّهُ لو ناسبَ شيءٌ مِنْ آياتِهِ ـ التي هيَ كتسبيحِ الحصىٰ في كفِّهِ[1] ، وانشقاقِ القمرِ[2] ، وتسليمِ الأحجارِ والغَزالةِ عليهِ[3] ـ قدرَهُ . . لكانَ مِنْ جُمْلتِها أنَّهُ إذا دُعِيَ دارِسُ الرِّمَمِ معَ ذكرِ اسمِهِ الشريفِ . . أحياهُ اللهُ تعالىٰ

---

(١) أخرجه البزار في « مسنده » (٤٠٤٠) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (١٢٤٤) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه ، وانظر « فتح الباري » (٦/ ٥٩٢) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٣٦) ، ومسلم (٢٨٠٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) في (هـ) : (الأشجار) بدل (الأحجار) ، وكلاهما صحيح ، **أما تسليم الحجر** : فأخرجه مسلم (٢٢٧٧) عن سيدنا جابر بن سمرة رضي الله عنه ، **وأما تسليم الشجر** : فأخرجه الترمذي (٣٦٢٦) ، والدارمي (٢١) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٦٢٠) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، **وحديث الغزالة** : أخرجه أبو نعيم في « دلائل النبوة » (٢٧٣) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٣٥) عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه ، وانظر « المواهب اللدنية » (٢/ ٢٧٩ـ٢٨٠) .

بسببِ بركةِ ذِكْرِ ذلكَ الاسمِ الشريفِ ؛ كأن يقولَ مثلاً : (يا ميِّتُ ؛ عِشْ باسمِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) .

ويجوزُ أن يكونَ (دارِسَ) منصوباً بـ (أحيا) ، ويكونُ في (يُدعىٰ) ضميرٌ مرفوعٌ نائبٌ عنِ الفاعلِ ، والتقديرُ : (أحيا بركةُ ذكرِ اسمِهِ دارسَ الرِّمَمِ حينَ يُدعَىٰ هو) أي : دارسَ الرِّمَمِ مُصاحِباً لذكرِ الاسمِ المُبارَكِ .

ويحتملُ : أن يكونَ ضَمَّنَ (يُدعىٰ) معنىٰ (يُذكَرُ) أي : أحيا اسمُهُ دارسَ الرِّمَمِ حينَ يُذكَرُ هو ؛ أيِ : اسمُهُ ، و(دارِسَ) علىٰ هـٰذا : مفعولُ (أحيا)[1] .

فإن قيلَ : إنَّ كلامَهُ يُعطي أنَّ شيئاً مِنْ آياتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم يُناسِبْ قدرَهُ ؛ لأنَّ (لو) حرفُ امتناعٍ لامتناعٍ ؛ أيِ : امتنعتِ الخاصِّيَّةُ المذكورةُ لامتناعِ مُناسَبةِ شيءٍ مِنْ آياتِهِ قدرَهُ ، **وهـٰذا باطلٌ** ؛ **لأنَّ مِنْ آياتِهِ القرآنَ** ، وهوَ كلامُ اللهِ ، وكلامُهُ صفتُهُ ، وشرفُ الصِّفةِ شرفُ الموصوفِ ، فكيفَ يصحُّ أن يُقالَ : صفةُ اللهِ لم تُناسِبْ قدرَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟

فالجوابُ : **أنَّ المرادَ بالقرآنِ** : كلامُ اللهِ الذي هوَ صفةُ ذاتِهِ ، وهـٰذا المعنىٰ قائمٌ بذاتِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ ، ولا يُفارِقُ الذَّاتَ ، وإطلاقُ القرآنِ عليهِ بمعنى المقروءِ ، **وهـٰذا لا يكونُ مُعجزةً** ؛ **لأنَّ المُعجِزةَ** فعلُ اللهِ خارقٌ للعادةِ ، وهـٰذهِ صفةٌ للذَّاتِ .

ويُرادُ بالقرآنِ : الحروفُ والأصواتُ التي تنتفخُ بها أَوْداجُ القارئِ[2] ،

---

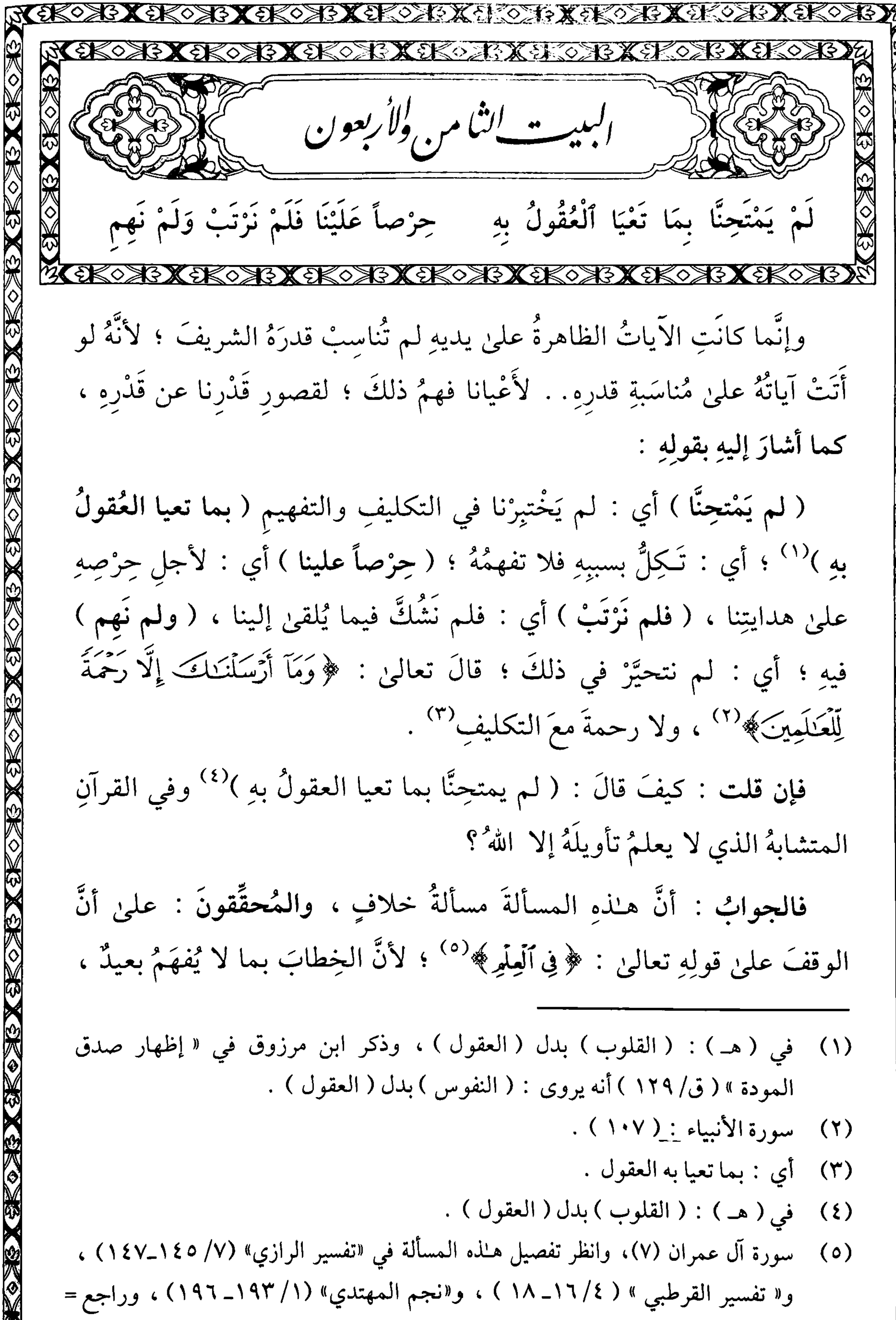
(١) وفي إعراب هـٰذا البيت وجوه أخرىٰ ذكرها ابن مرزوق في « إظهار صدق المودة » (ق/١٢٧) ، وقد اختار الشارح هنا وجهين فقط .

(٢) في (ب ، ج ، هـ) : (تنفتح) بدل (تنتفخ) ، والمثبت موافق لـ « إظهار صدق المودة » .

وهٰذا هوَ **المعجزةُ** ، وإطلاقُ القرآنِ عليهِ بمعنى القراءةِ ، ومدلولُهُ المعنى القديمُ[1] ، وهوَ الدَّالُّ عليهِ ، **وهٰذا هوَ مرادُ الناظمِ ؛** لأَنَّهُ يُرادُ بالآيةِ المُعجِزةُ[2] ، وحينَئذٍ : يُمنَعُ أن تكونَ الحروفُ والأصواتُ مُناسِبةً لقدرِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[3] .

* * *

(١) في (ب) : (القائم) .
(٢) في (هـ) : (لا يراد) بدل (يراد) ، والصواب المثبت ، وهو موافق لـ « إظهار صدق المودة » .
(٣) في (و) : (يمتنع) بدل (يمنع) .



البيت الثامن والأربعون

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا ٱلْعُقُولُ بِهِ حِرْصاً عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ

وإنَّما كانَتِ الآياتُ الظاهرةُ علىٰ يديهِ لم تُناسِبْ قدرَهُ الشريفَ ؛ لأنَّهُ لو أَتَتْ آياتُهُ علىٰ مُناسَبةِ قدرِهِ.. لأَعْيانا فهمُ ذلكَ ؛ لقصورِ قَدْرِنا عن قَدْرِهِ ، كما أشارَ إليهِ بقولِهِ :

(**لم يَمْتحِنَّا**) أي : لم يَخْتبِرْنا في التكليفِ والتفهيمِ (**بما تعيا العُقولُ بهِ**)[1] ؛ أي : تَكِلُّ بسببِهِ فلا تفهمُهُ ؛ (**حِرْصاً علينا**) أي : لأجلِ حِرْصِهِ علىٰ هدايتِنا ، (**فلم نَرْتَبْ**) أي : فلم نَشُكَّ فيما يُلقىٰ إلينا ، (**ولم نَهِم**) فيهِ ؛ أي : لم نتحيَّرْ في ذلكَ ؛ قالَ تعالىٰ : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[2] ، ولا رحمةَ معَ التكليفِ[3] .

فإن قلت : كيفَ قالَ : (لم يمتحِنَّا بما تعيا العقولُ بهِ)[4] وفي القرآنِ المتشابهُ الذي لا يعلمُ تأويلَهُ إلا اللهُ ؟

فالجوابُ : أنَّ هـٰذهِ المسألةَ مسألةُ خلافٍ ، **والمُحققونَ** : علىٰ أنَّ الوقفَ علىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿فِي ٱلْعِلْمِ﴾[5] ؛ لأنَّ الخِطابَ بما لا يُفهَمُ بعيدٌ ،

---

(١) في (هـ) : (القلوب) بدل (العقول) ، وذكر ابن مرزوق في « إظهار صدق المودة » (ق/ ١٢٩) أنه يروى : (النفوس) بدل (العقول) .

(٢) سورة الأنبياء : (١٠٧) .

(٣) أي : بما تعيا به العقول .

(٤) في (هـ) : (القلوب) بدل (العقول) .

(٥) سورة آل عمران (٧)، وانظر تفصيل هـٰذه المسألة في «تفسير الرازي» (٧/ ١٤٥ـ١٤٧) ، و« تفسير القرطبي » (٤/ ١٦ـ ١٨) ، و«نجم المهتدي» (١/ ١٩٣ـ ١٩٦) ، وراجع =

فيعلمُ تأويلَهُ أيضاً الرَّاسخونَ في العلمِ ، فإذا عَلِموهُ . . علَّموا غيرَهُم .

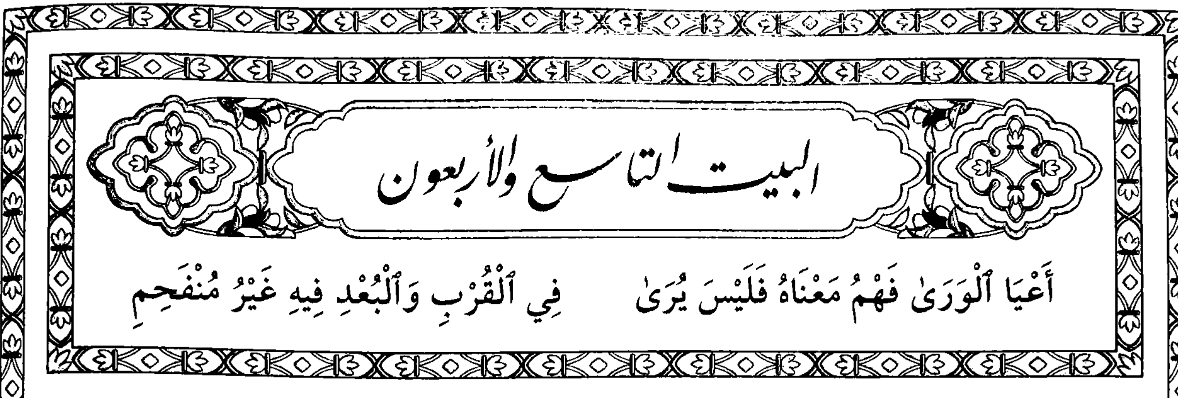
أو يُقالُ : لم يمتحِنَّا بكذا باعتبارِ ما يرجعُ إلىٰ ما كلَّفَنا بهِ ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[1] ، ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[2] ، والمُتشابهُ ليسَ مِنْ ذلكَ ؛ إذ لا يتعلَّقُ بهِ تكليفٌ ، وتمامُ تحقيقِهِ في علمِ التفسيرِ .

* * *

= « تعليق الكوثري علىٰ دفع شبه التشبيه » (ص٦٠-٦١) ، **وقولُ أكثر أهل العلم** : أن الوقوف علىٰ ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] ، **والذي ذكره الشارح** : هو قول مجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين واختاره المحققون ، وهو مروي عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(١) سورة البقرة : (٢٨٦) .

(٢) سورة الحج : (٧٨) .



ثمَّ قالَ : (**أَعْيا الوَرَىٰ**) أي : أَعجزَ الخَلْقَ (**فهمُ معناهُ**) أي : فهمُ تفصيلِ أحوالِهِ السَّنيَّةِ وصفاتِهِ العَليَّةِ ؛ (**فليسَ يُرىٰ للقُرْبِ والبُعْدِ فيهِ غيرُ مُنفَحِمِ**) اسمُ فاعلٍ مِنِ (انفحمَ) : إذا سكتَ ولم يُجبْ .

أي : فليسَ يُرىٰ مِنَ الخلقِ المُفكِّرينَ في إدراكِ تلكَ الأحوالِ القاصدينَ طلبَ الإحاطةِ بها ، سواءٌ عندَ القُرْبِ منهُ أو عندَ البُعْدِ . . غيرُ مُنقطِعٍ عن إدراكِ ذلكَ المَرامِ ، ومصدودٍ عن بُلوغِ ذلكَ المَقامِ .

وإسنادُ الإعياءِ إلى الفهمِ : **مِنَ المجازِ العقليِّ**[1] ؛ أي : أعياهُمُ اللهُ عن إدراكِهِ .

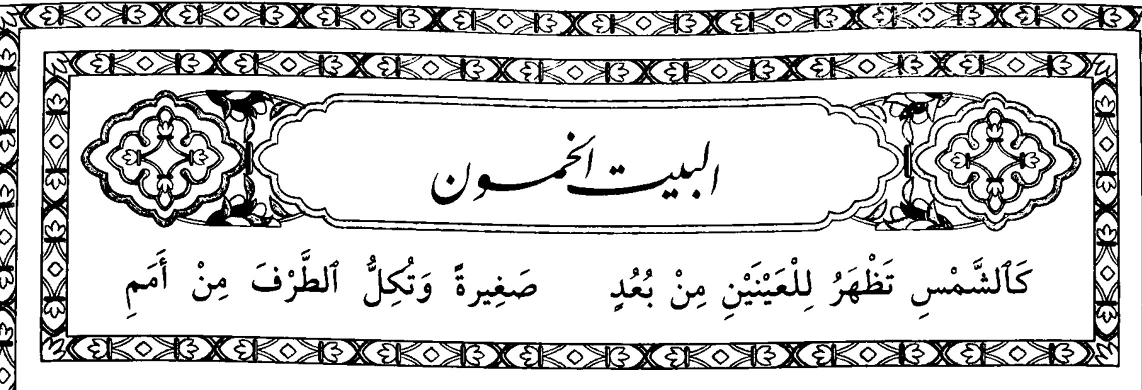
وفي الجمعِ بينَ الإعياءِ والانفحامِ ، وبينَ الفهمِ والمعنىٰ ، وبينَ القُرْبِ والبُعْدِ . . **مراعاةُ النظيرِ**[2] ، وفي القربِ والبعدِ : **الطِّباقُ** ، واللامُ في (للقُرْبِ) : بمعنىٰ (عندَ) أو (معَ) .

* * *

---

(١) والعلاقة سببية .

(٢) ويسمىٰ : بالتناسب والائتلاف والتوفيق ؛ وهو : أن يجمع الناظم أو الناثر بين أمرين متناسبين لا علىٰ سبيل التناقض أو التضاد . انظر « خزانة الأدب » (١/ ٢٩٣) ، و« أنوار الربيع » (٣/ ١١٩) .



البيت الخمسون

كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ ... صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ

ثمَّ شبَّهَ عدمَ الإحاطةِ بكُنْهِ معناهُ معَ القُرْبِ أوِ البُعْدِ بالشمسِ ؛ فقالَ :

(**كالشمسِ**) أي : هوَ كالشمسِ (**تظهرُ للعينَينِ مِنْ بُعُدٍ**) بضمِّ العينِ إتْباعاً لضمَّةِ الباءِ ، وأصلُها السكونُ[1] ، (**صغيرةً**) قَدْرَ التُّرْسِ ، (**وتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ**) أي : مِنْ قُرْبٍ[2] .

وسُمِّيَتِ الشمسُ شمساً ؛ لبُعْدِها وسُرْعتِها ، **ومَحَلُّها** : الفَلَكُ الرابعُ .

وذكرَ أهلُ الهيئةِ : أنَّ جِرْمَها كقَدْرِ الأرضِ ؛ مئةً ونيِّفاً وستِّينَ مرَّةً .

وعنِ الشَّعْبيِّ[3] : قَدْرُ الدُّنيا مئةٌ وعشرونَ مرَّةً .

وعنِ ابن عبَّاسٍ وعكرمةَ : كقَدْرِ الدُّنيا .

ففهمُ معناهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . كالشمسِ تظهرُ للعينَينِ مِنْ بُعُدٍ صغيرةً وإن كانَتْ في نفسِ الأمرِ أعظمَ مِنَ الأرضِ بكثيرٍ وهيَ مِنْ أَمَمٍ ـ أي :

---

(١) وألجأه إلىٰ ذلك الضرورة الشعرية . انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ١٣٤) ، وذكر ابن هشام في « شرح بانت سعاد » : أن القرب ضد البعد بضم القاف مع سكون الراء وبضمتين ؛ كما سمع ذلك في (عسر) و(يسر) ، ولا نعلم ذلك مسموعاً في ضد القرب ، ومَنْ أجاز في نحو « قُفْل » : « قُفُل » بضمتين . . أجاز ذلك فيه . **انتهىٰ من هامش (د)** .

(٢) وهـٰذا البيت يشبه قوله في « الهَمْزية » : [من الخفيف]

إنَّمـا مثَّلـوا صفـاتِـكَ للنـا ... س كمـا مثَّـل النجـومَ المـاءُ

انتهىٰ من هامش (د) .

(٣) في النسخ ما عدا (هـ) : (الثعلبي) .

مِنْ قُرْبٍ ـ تُـكِلُّ الطَّرْفَ ؛ أي : تُعييهِ .

وهٰذا يحتملُ وجهينِ : إمَّا أن يكونَ إعياؤُها الطَّرْفَ عنِ الإحاطةِ بجُمْلتِها ؛ لعِظَمِ جِرْمِها ، **وإمَّا أن يكونَ** إعياؤُها الطَّرْفَ عنِ الإحاطةِ بها معَ القُرْبِ ؛ مِنْ أجلِ قوَّةِ شُعاعِ نُورِها ؛ فإنَّهُ يَرُدُّ البصرَ خاسئاً كَليلاً .

ووجهُ التشبيهِ : أنَّ البعيدَ منهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إنَّما يتحصَّلُ لهُ مِنْ أحوالِهِ النَّزْرُ اليسيرُ بالوصفِ ، فهوَ يقفُ عندَ ذلكَ القَدْرِ ، فقد أدركَهُ علىٰ خلافِ ما هوَ بهِ كمُدْرِكِ الشمسِ معَ البُعْدِ ، وأمَّا القريبُ منهُ المُشاهِدُ لأنوارِهِ وآياتِهِ التي تُبْهِرُ عينيهِ الباصرةَ والبصيرةَ عنِ الإحاطةِ بجُمْلةِ معناهُ . . لِعِظَمِ قَدْرِهِ .

واعلَمْ : أنَّ مَنْ خصَّهُ اللهُ تعالىٰ بالمعارفِ الإلٰهيَّةِ ، وتخلَّقَ بالصِّفاتِ الربَّانيَّةِ[1] . . كانَ بالنظرِ إلىٰ ذاتِهِ وخِلْقَتِهِ قريباً مِنَ البَشَرِ ، وبالنظرِ إلىٰ أخلاقِهِ وأفعالِهِ بعيداً عنْ إدراكِ النَّظَرِ ؛ لأنَّهُ بالنظرِ إلىٰ أفعالِهِ ، والارتقاءِ إلىٰ أحوالِهِ . . خرجَ عن طَوْرِهِمُ الموصوفِ ، [وارتفعَ عن تسفُّلِ منزلتِهِمُ المعروفِ][2] ، وإنَّما يحصُلُ لهُ ذلكَ بقطعِ العلائقِ التي تشغلُهُ عن ربِّهِ تعالىٰ ، فإذا بلغَ هٰذهِ المنزلةَ . . تحيَّرَ الورى الرَّاكنونَ إلىٰ غيرِ اللهِ مِنَ المخلوقينَ في أَمْرِهِ ؛ فيقولونَ لمَّا استولىٰ علىٰ قلوبِهِم مِنَ الغفلةِ : بأيِّ شيءٍ اختصَّ هٰذا عنَّا معَ أنَّهُ بشرٌ مِنْ جنسِنا ؟!

فإن نظروا إلىٰ بشريَّتِهِ ـ وهيَ حالةُ بُعْدِهِ باعتبارِ ما هوَ عليهِ ـ . . رأَوْهُ صغيراً ، وإن تفكَّروا في خصائصِهِ ـ وهيَ حالةُ قُرْبِهِ ـ . . رجعَ طَرْفُهُم خاسئاً

---

(١) في (ب) : (وتحلىٰ) بدل (وتخلق) ، والمثبت موافق لـ « إظهار صدق المودة » .

(٢) **قوله** : (**وارتفع . . .**) إلىٰ آخره : زيادة من « إظهار صدق المودة » ، وهي مناسبة .

حَسِيراً ، وهٰذهِ صفاتُ الواحدِ في الأنبياءِ والواحدِ في الأولياءِ ؛ فلا الناظرُ إلى البشريَّةِ رامَ الطريقةَ ، ولا المُتفكِّرُ في الخصائصِ أدركَ الحقيقةَ ، وحينَئذٍ يُشبَّهُ ذلكَ الواحدُ بالشمسِ في الإدراكَينِ المذكورَين ، وفي استفاضةِ أنوارِهِ علىٰ مَنْ دونَهُ ممَّنْ يُشارِكُهُ في مُطلَقِ المنزلةِ ؛ وهم كالكواكبِ المُستمَدِّ نورُها مِنْ نورِ الشمسِ .

* * *



البيت الحادي والخمسون

وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي ٱلدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِٱلْحُلُمِ

(وكيفَ يُدرِكُ في الدُّنيا حقيقتَهُ) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (قومٌ نِيامٌ تسلَّوْا عنهُ بالحُلُمِ) ؟! بضمِّ اللامِ ؛ أي : لا يُدرِكُ حقيقتَهُ كلُّ قومٍ صفتُهُم ما ذكرَ(١) .

لا يُقالُ : يتخصَّصُ(٢) علىٰ تقديرِ تسليمِ عمومِهِ بقولِهِ : (نِيامٌ) .

لأنَّا نقولُ : هوَ وصفٌ لازمٌ لا مُخصِّصٌ ؛ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلنَّاسُ نِيَامٌ ، فَإِذَا مَاتُوا . . ٱنْتَبَهُوا »(٣) .

والمعنىٰ : أنَّ مَنْ في الدُّنيا لا يُدرِكُ الحقائقَ المُتمحِّضةَ للآخرةِ ؛ لأنَّ نفسَ الدُّنيا حجابٌ بينَهُ وبينَها ؛ كما يحجُبُ النائمَ النومُ عن إدراكِ أحوالِ اليَقَظَةِ ، وكذا هوَ حالُ جميعِ الوَرَىٰ ؛ لا يُشاهِدونَ حالَ تفضيلِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ سائرِ الخلقِ مُعايَنةً وتفصيلاً كما أدركوهُ بالخبرِ جملةً . . إلا يومَ القيامةِ ؛ حيثُ يبعثُهُ اللهُ المقامَ المحمودَ الذي يغبِطُهُ فيهِ

---

(١) فالاستفهام في البيت إنكاري كما هو واضح من التفسير ، **فالمراد من قوله** : (قوم نيام . . .) : العموم ؛ لأنه نكرة في سياق النفي .

(٢) أي : قوله : (قومٌ) في البيت .

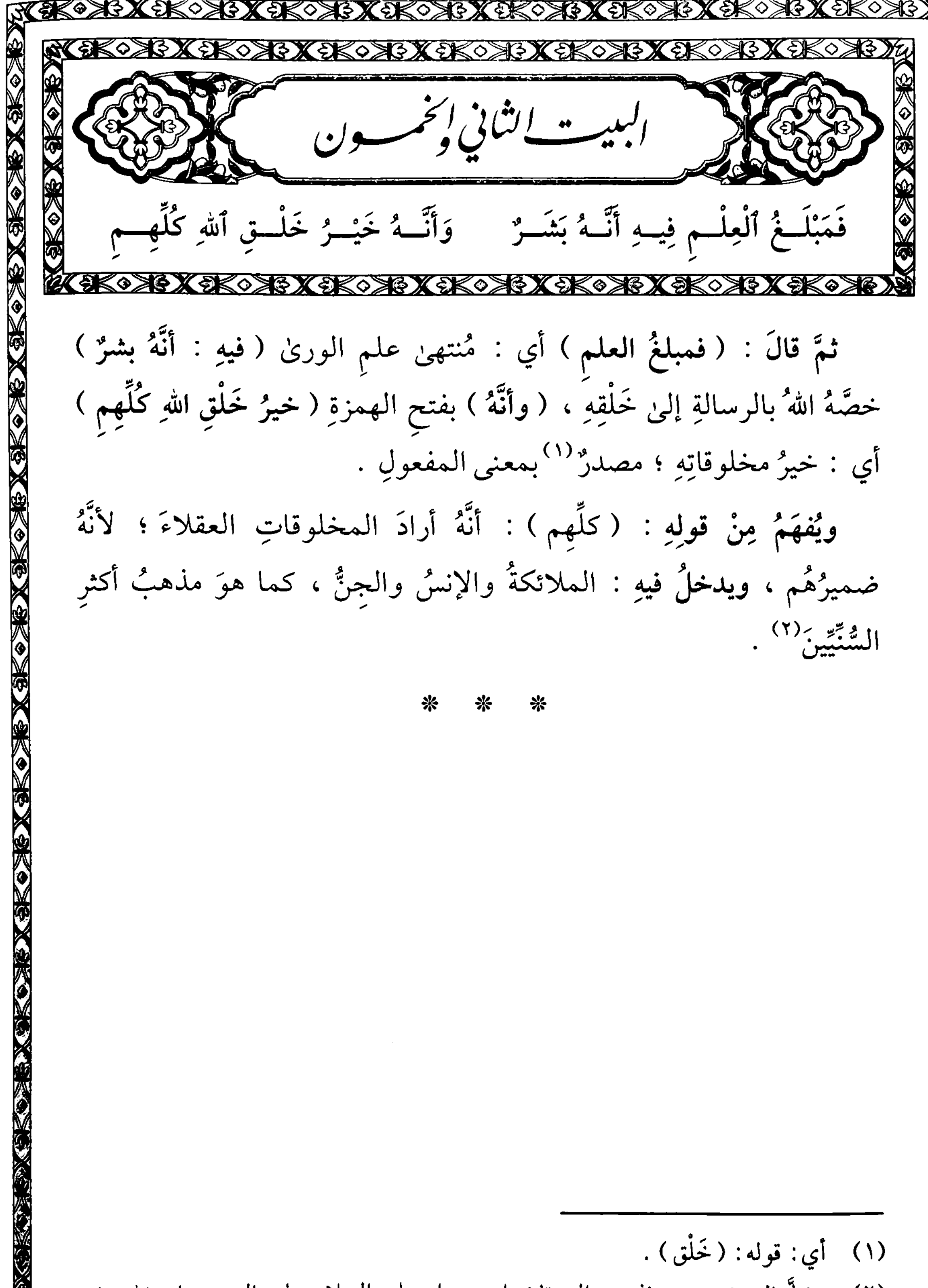
(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٧/ ٥٢) من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ ، ويعزىٰ لغيره ، وقال العراقي في « المغني عن حمل الأسفار » (٣٦١١) : (لم أجده مرفوعاً ، وإنما يعزىٰ إلىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه) ، وانظر « المقاصد الحسنة » (ص٦٩١) ، و« كشف الخفاء » (٢/ ٣١٢) .

الأوَّلونَ والآخِرونَ ، وحيثُ يُؤتى الوسيلةَ ؛ وهيَ الدرجةُ التي لا ينالُها عبدٌ مِنْ عبيدِ اللهِ غيرُهُ[1] .

فالمرادُ بكونِهِم نِياماً ؛ أي : أحياءٌ في دارِ الدُّنيا ، وشُبِّهوا بالنائمِ ؛ لما قرَّرناهُ .

* * *

(1) كما أخرجه البخاري (٤٧١٩) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وانظر « المواهب اللدنية » (٣/ ٦٤٣ـ٦٤٧ ، ٦٨٢ـ٦٨٣) .



البيت الثاني والخمسون

فَمَبْلَغُ ٱلْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ ٱللهِ كُلِّهِمِ

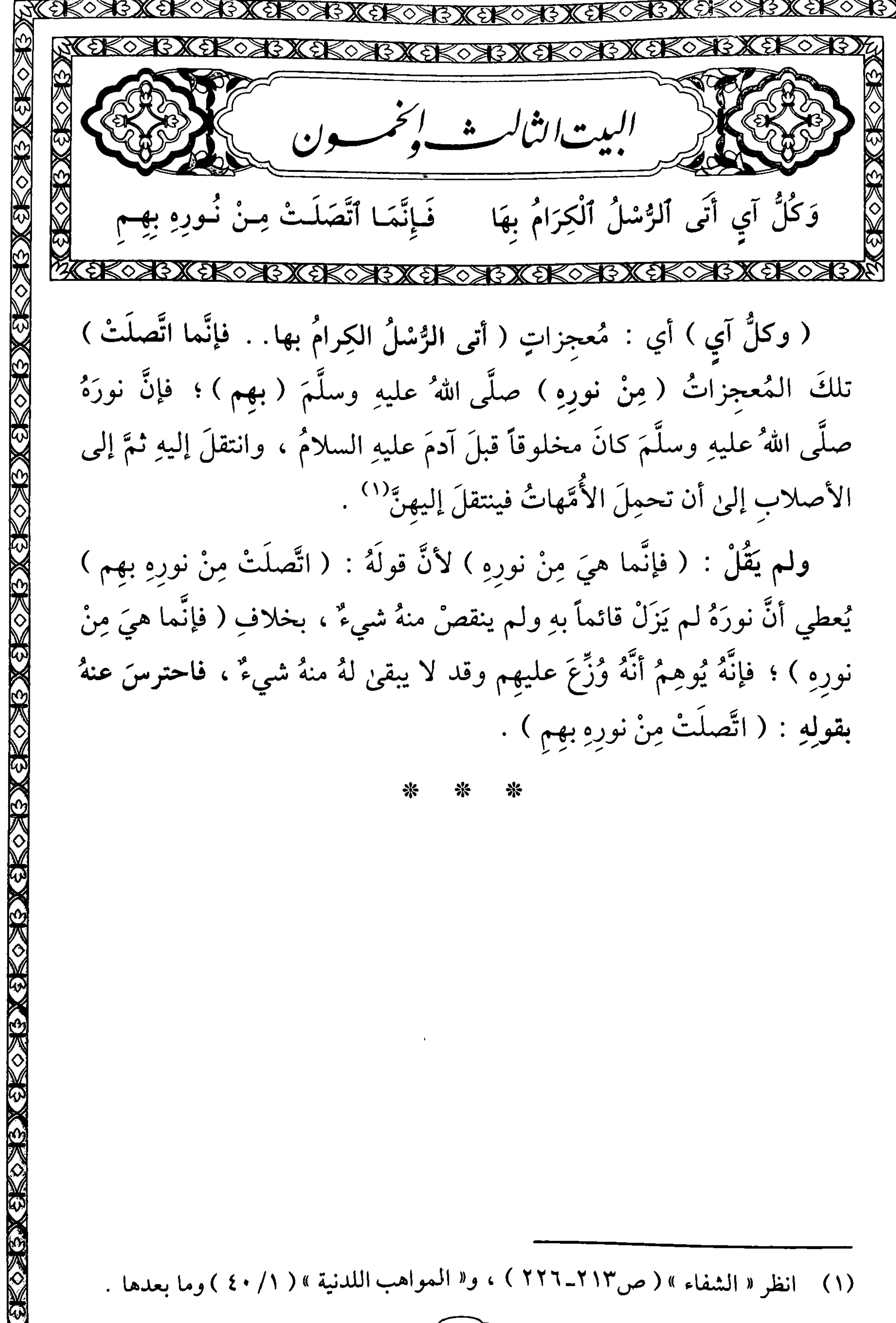
ثمَّ قالَ : (**فمبلغُ العلمِ**) أي : مُنتهىٰ علمِ الورىٰ (**فيهِ** : **أنَّهُ بشرٌ**) خصَّهُ اللهُ بالرسالةِ إلىٰ خَلْقِهِ ، (**وأنَّهُ**) بفتحِ الهمزةِ (**خيرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ**) أي : خيرُ مخلوقاتِهِ ؛ مصدرٌ[1] بمعنى المفعولِ .

ويُفهَمُ مِنْ قولِهِ : (كلِّهم) : أنَّهُ أرادَ المخلوقاتِ العقلاءَ ؛ لأنَّهُ ضميرُهُم ، **ويدخلُ فيهِ** : الملائكةُ والإنسُ والجِنُّ ، كما هوَ مذهبُ أكثرِ السُّنِّيِّينَ[2] .

* * *

(١) أي : قوله : (خَلْق) .

(٢) وشذَّ الزمخشري ؛ فذهب إلى تفضيل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم . انظر « تحفة المريد » (ص ٢١٤) .



البيت الثالث والخمسون

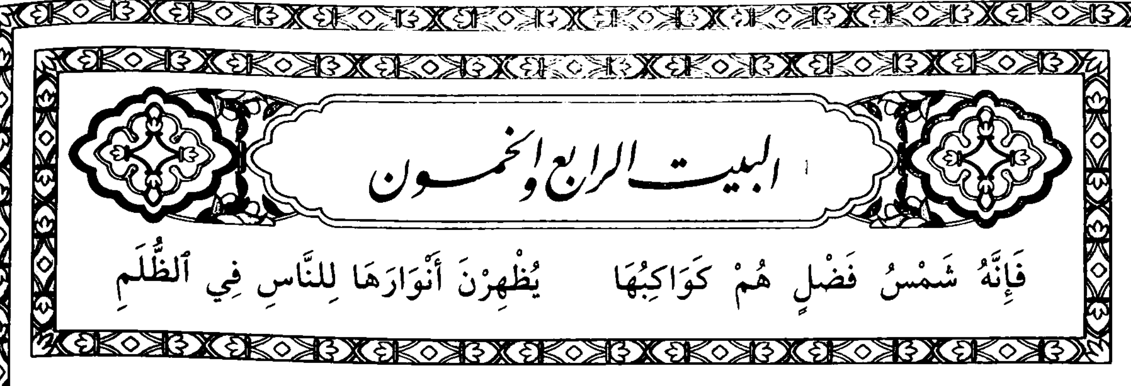
وَكُلُّ آيٍ أَتَى ٱلرُّسْلُ ٱلْكِرَامُ بِهَا ... فَإِنَّمَا ٱتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ

(وكلُّ آيٍ) أي : مُعجزاتٍ (أتى الرُّسْلُ الكِرامُ بها . . فإنَّما اتَّصلَتْ) تلكَ المُعجِزاتُ (مِنْ نورِهِ) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (بهِم) ؛ فإنَّ نورَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ مخلوقاً قبلَ آدمَ عليهِ السلامُ ، وانتقلَ إليهِ ثمَّ إلى الأصلابِ إلىٰ أن تحمِلَ الأُمَّهاتُ فينتقلَ إليهِنَّ[1] .

ولم يقُلْ : (فإنَّما هيَ مِنْ نورِهِ) لأنَّ قولَهُ : (اتَّصلَتْ مِنْ نورِهِ بهِم) يُعطي أنَّ نورَهُ لم يَزَلْ قائماً بهِ ولم ينقصْ منهُ شيءٌ ، بخلافِ (فإنَّما هيَ مِنْ نورِهِ) ؛ فإنَّهُ يُوهِمُ أنَّهُ وُزِّعَ عليهِم وقد لا يبقىٰ لهُ منهُ شيءٌ ، فاحترسَ عنهُ بقولِهِ : (اتَّصلَتْ مِنْ نورِهِ بهِمِ) .

* * *

(١) انظر « الشفاء » (ص٢١٣-٢٢٦) ، و« المواهب اللدنية » (١/ ٤٠) وما بعدها .



ويَدُلُّ على قصدِهِ لهٰذا المعنىٰ : قولُهُ : (فإنَّهُ) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (شمسُ فَضْلٍ هم) عليهِمُ الصلاةُ والسلامُ (كواكبُها ، يُظْهِرْنَ) تلكَ الكواكبُ (أنوارَها) أي : أنوارَ تلكَ الشمسِ التي هيَ كنايةٌ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (للنَّاسِ في الظُّلَمِ) أي : حالةَ غَلَبةِ عَمَى الجهلِ وظُلْمَةِ الكفرِ[1] .

ووجهُ هٰذا التشبيهِ : أنَّ الكواكبَ علىٰ ما تقرَّرَ في علمِ الهيئةِ : أجرامٌ غيرُ مُضيئةٍ بذاتِها ، لٰكنَّها صقيلةٌ تقبلُ الضوءَ ، وجِرْمُ الشمسِ أكبرُ مِنَ الأرضِ ؛ فهيَ إذا كانتْ تحتَها حالَ غَيبُوبتِها[2] يَفيضُ نورُها عن جوانبِ الأرضِ فيطلُبُ الصُّعودَ ، لكونِهِ نُورانياً يطلُبُ مركزَ العُلُوِّ ، فيُصادِفُ أجسامَ الكواكبِ الصَّقيلةَ المُقابِلةَ لهُ ، فَيرْتَسِمُ فيها ، فتُضيءُ في الظُّلْمةِ ، وتظهرُ أنوارُ الشمسِ فيها للناسِ مِنْ غيرِ أن ينقُصَ مِنْ نورِ الشمسِ شيءٌ .

فجميعُ أنوارِ الكواكبِ إنَّما هوَ مِنْ نورِ الشمسِ ؛ فلذلكَ شبَّهَ نورَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بنورِ الشمسِ ، وما ظهرَ علىٰ أيدي الرُّسُلِ سِواهُ مِنَ الأنوارِ . . فإنَّما هوَ مِنْ نُورِهِ الفائضِ مِنْ غيرِ أن ينقُصَ مِنْ نُورِهِ شيءٌ .

---

(١) ومثل هٰذين البيتين : قوله : [من الخفيف]
أنتَ مصباحُ كلِّ فضلٍ فما تصـ   ـدُرُ إلا عن ضوئِكَ الأضواءُ
انتهىٰ من هامش (د) .

(٢) في (ج ، و) : (غيبة جرمها) بدل (غيبوبتها) ، والمثبت موافق لـ « إظهار صدق المودة » .

وهـٰذا التشبيهُ لعلَّ الناظمَ أخذَهُ مِنْ قولِ النابغةِ[1] : [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً[2] تَرَىٰ كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ[3]

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَٱلْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ[4]

فإن قيلَ : إنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُتأخِّرُ الوجودِ عنهُم ، وأنوارَ كلٍّ منهُم مُتقدِّمٌ عليهِ ؛ فكيفَ تكونُ أنوارُهُم مِنْ نورِهِ ؟

فالجوابُ : أنَّ نُورَهُ مُتقدِّمٌ وإن تأخَّرَ وجودُ ذاتِهِ ، وكما أنَّ الشمسَ إذا بَدَتْ لم يَبْقَ أثَرُ الكواكبِ ، وإنَّما يظهرُ أثَرُها حالَ غَيبتِها ؛ وهوَ حالُ الظُّلَمِ . فكذلكَ آياتُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وشريعتُهُ لمَّا بَدَتْ نسخَتْ غيرَها مِنْ سائرِ الشرائعِ .

وزَعَمَ أهلُ الهيئةِ : أنَّ أصغرَ كوكبٍ نراهُ بمقدارِ الأرضِ ثمانِ مرَّاتٍ ، وأكبرَها بمقدارِها عشرينَ مرَّةً ، وهـٰذا ممَّا يحتاجُ إلى التوقيفِ ؛ إذ أدلَّتُهُم في هـٰذا البابِ الحَزْرُ والتخمينُ[5] ، واللهُ أعلمُ .

---

(١) ديوان النابغة (ص٧٣) ، وهما من قصيدة اعتذارية اعتذر فيها للنعمان بن المنذر .

(٢) قوله : (سورة) قال في « القاموس » : (والسورة : المنزلة ، ومن القرآن معروفة ؛ لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرىٰ ، والشرفُ) انتهىٰ ، وذكر الشيخ عبد الوهاب المُهلَّبي شارح « مثلثة قطرب » : [من الطويل]

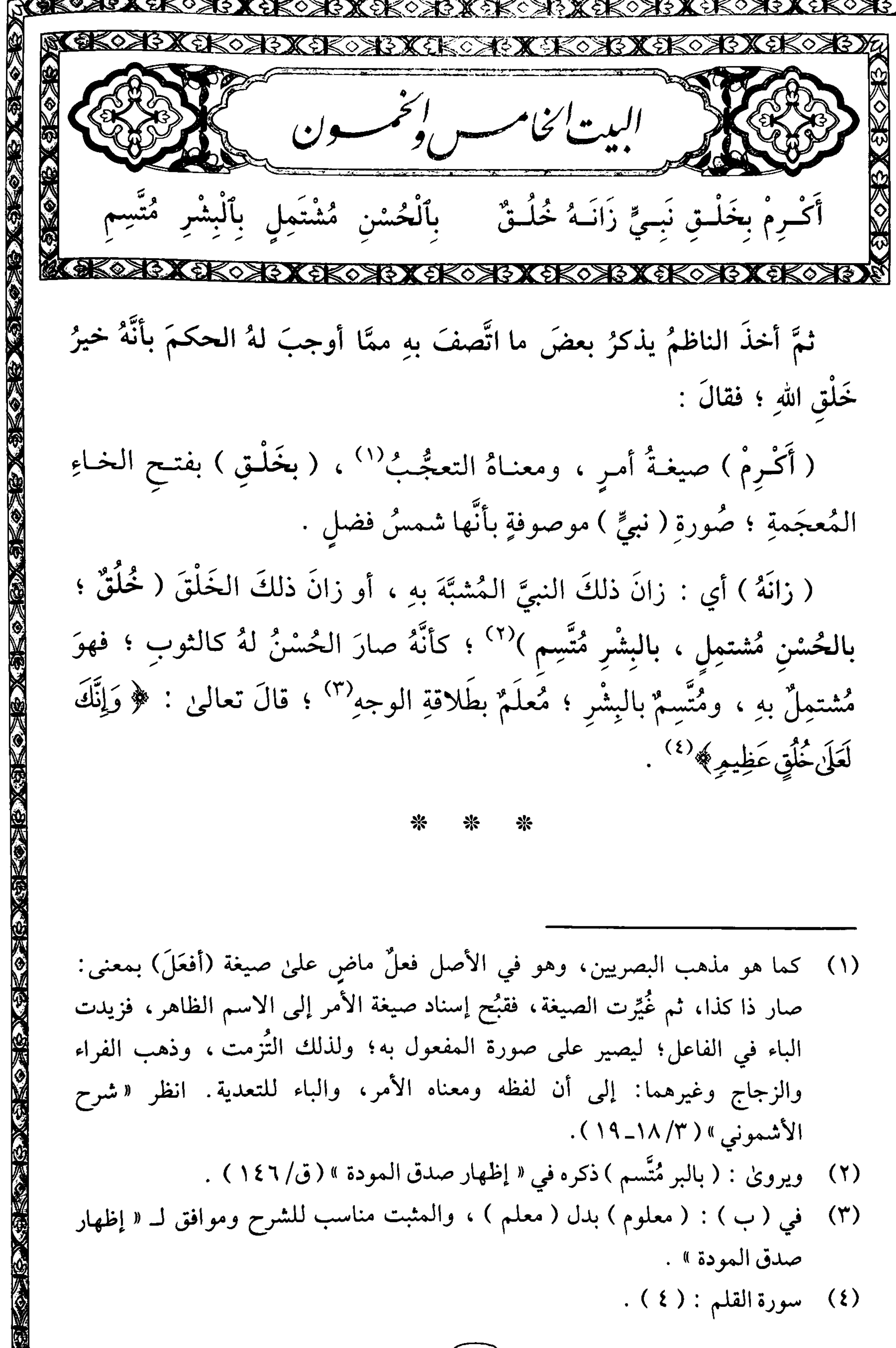
كـريـمٌ لـهُ فـي آلِ خِنـدِفَ سـورةٌ تطـأطـأ عنهـا كـلُّ نجـمٍ وكـوكـبِ

والسورة : المنزلة ، ومنه قيل للسورة من القرآن : سورة ؛ لأن القارئ ينتقل في قراءته من منزلة إلىٰ منزلة . انتهىٰ من هامش (د) .

(٣) أي : يتخيَّر ويتردَّد ؛ قال تعالىٰ : ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ [النساء : ١٤٣] أي : مترددين . انتهىٰ من هامش (د) .

(٤) في (أ) : (لم يبق) بدل (لم يبد) .

(٥) في (ب) : (الخرص) بدل (الحزر) ، وهما بمعنىً ، إلا أن المثبت موافق لـ « إظهار صدق المودة » .



البيت الخامس والخمسون

أَكْـرِمْ بِخَلْـقِ نَبِـيٍّ زَانَـهُ خُلُـقٌ ... بِٱلْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِٱلْبِشْرِ مُتَّسِمِ

ثمَّ أخذَ الناظمُ يذكرُ بعضَ ما اتَّصفَ بهِ ممَّا أوجبَ لهُ الحكمَ بأنَّهُ خيرُ خَلْقِ اللهِ ؛ فقالَ :

(أَكْرِمْ) صيغةُ أمرٍ ، ومعناهُ التعجُّبُ[1] ، (بخَلْقِ) بفتحِ الخاءِ المُعجَمةِ ؛ صُورةِ (نبيٍّ) موصوفةٍ بأنَّها شمسُ فضلٍ .

(زانَهُ) أي : زانَ ذلكَ النبيَّ المُشبَّهَ بهِ ، أو زانَ ذلكَ الخَلْقَ (خُلُقٌ ؛ بالحُسْنِ مُشتمِلٍ ، بالبِشْرِ مُتَّسِم)[2] ؛ كأنَّهُ صارَ الحُسْنُ لهُ كالثوبِ ؛ فهوَ مُشتمِلٌ بهِ ، ومُتَّسِمٌ بالبِشْرِ ؛ مُعلَمٌ بطَلاقةِ الوجهِ[3] ؛ قالَ تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[4] .

* * *

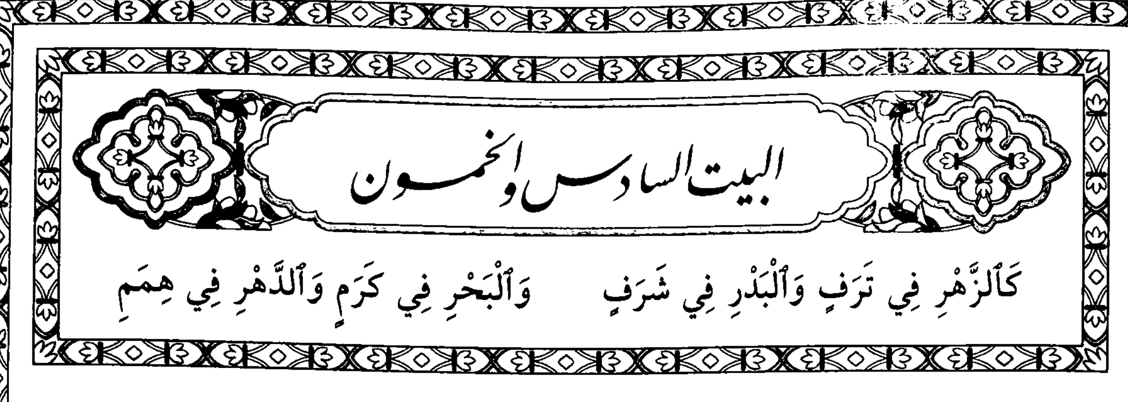
---

(١) كما هو مذهب البصريين، وهو في الأصل فعلٌ ماضٍ علىٰ صيغة (أفعَلَ) بمعنى: صار ذا كذا، ثم غُيِّرت الصيغة، فقبُح إسناد صيغة الأمر إلى الاسم الظاهر، فزيدت الباء في الفاعل؛ ليصير على صورة المفعول به؛ ولذلك التُزمت، وذهب الفراء والزجاج وغيرهما: إلى أن لفظه ومعناه الأمر، والباء للتعدية. انظر «شرح الأشموني» (٣/١٨ـ١٩).

(٢) ويروىٰ : (بالبر مُتَّسم) ذكره في « إظهار صدق المودة » (ق/ ١٤٦) .

(٣) في (ب) : (معلوم) بدل (معلم) ، والمثبت مناسب للشرح وموافق لـ « إظهار صدق المودة » .

(٤) سورة القلم : (٤) .



فخُلُقُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الذي هوَ ذاتُهُ . . (**كالزَّهْرِ في تَرَفٍ**) أي : تنعُّمٍ ، ونَضارةِ جسمٍ ، وطِيبِ رائحةٍ ، وهـٰذهِ صفةُ الأزهارِ غضَّةَ الجسمِ رطبةً طيِّبَةَ الرائحةِ ، ويَزيدُ نَوْرُ النارَنْجِ بياضَ اللَّونِ الذي ليسَ بالأَمْهَقِ[1] ، كما هوَ بياضُ نبيِّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وفي هـٰذا إشارةٌ : إلىٰ أنَّهُ لا عبرةَ بمُجرَّدِ حُسْنِ الصُّورةِ وجمالِها إن لم يصحَبْها الخُلُقُ الجميلُ ، كما لا يَضُرُّ قُبْحُ الصُّورةِ معَ الفعلِ الجميلِ ؛ إنَّ اللهَ لا ينظُرُ إلىٰ صُوَرِكُم ولا إلىٰ أجسامِكُم ، إنَّما ينظُرُ إلىٰ قلوبِكُم وأعمالِكُم[2] .

(**والبَدْرِ في شَرَفٍ**) أي : وذاتُهُ أيضاً في الشرفِ وحُسْنِ البَهْجةِ . . كالبدرِ .

وهـٰذانِ الوصفانِ **يرجعانِ إلى الصورةِ والخَلْقِ المُشتمِلِ على الحُسْنِ** .

والبدرُ : القمرُ عندَ تمامِهِ ، وهوَ يدورُ البروجَ الاثني عشرَ ، ويقطعُ الفَلَكَ كلَّهُ في مدَّةِ ثمانيةٍ وعشرينَ يوماً وبعضَ يومٍ ، ويُقيمُ في كلِّ بُرْجٍ يومَينِ وثُلُثَ يومٍ بالتقريبِ ، ويُقيمُ في كلِّ منزلةٍ مِنْ منازلِ القمرِ الثمانيةِ والعشرينَ منزلةً يوماً وليلةً ، ويظهرُ عندَ إهلالِهِ مِنْ ناحيةِ الغربِ بعدَ غُروبِ

---

(١) **الأَمْهَقُ** : الكريهُ البياضِ كلون الجِصِّ ، وقد سبق في (ص ٢٠٠) .

(٢) **أشار به** : إلىٰ ما أخرجه مسلم (٢٥٦٤/ ٣٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

جِرْمِ الشمسِ ، ويَزِيدُ نُورُهُ في كلِّ ليلةٍ قدرَ نصفِ سُبُعٍ ، حتىٰ يكمُلَ نورُهُ ويمتلئَ في ليلةِ الرابعَ عشرَ مِنْ إهلالِهِ ، ثمَّ يأخذُ مِنَ الليلةِ الخامسةَ عشرةَ في النُّقصانِ ، فينقُصُ مِنْ نورِهِ في كلِّ ليلةٍ نصفُ سُبُعٍ كما بدأَ ، إلىٰ أن يُمحَقَ نورُهُ في آخرِ ثمانيةٍ وعشرينَ يوماً مِنْ إهلالِهِ .

(والبحرِ في كَرَمٍ ، والدَّهْرِ في هِمَمٍ) جمعُ هِمَّةٍ[1] ؛ وهيَ الإرادةُ .

وهـٰذانِ الوصفانِ يرجعانِ إلىٰ خُلُقِهِ الكريمِ .

ولا خفاءَ بكرمِ البحرِ ؛ قالَ تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا . . . ﴾ الآيةَ[2] ، فهـٰذا مِنْ كَرَمِ البحرِ ، فما بالُكَ بكرمِ مَنِ البحرُ نقطةٌ مِنْ جودِهِ ؟!

والأحاديثُ الدَّالَّةُ علىٰ كرمِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . كثيرةٌ لا نُطِيلُ بذكرِها ، وحَسْبُكَ قولُ القائلِ : (إنَّ محمَّداً يُعطي عطاءَ مَنْ لا يخشى الفقرَ)[3] .

ووجهُ التشبيهِ بالدَّهْرِ : أنَّ الحادثاتِ الدقيقةَ والجليلةَ إنَّما تقعُ في الدهرِ ، فنسبُوها إليهِ ، فالجاهلُ يُسنِدُ الفعلَ إليهِ ، والمُوحِّدُ المُؤمِنُ يعتقدُ أنَّ المُؤثِّرَ في جميعِ الكائناتِ هوَ اللهُ تعالىٰ ، فإذا أُسنِدَ إلى الدهرِ . . فعلىٰ سبيلِ المجازِ ؛ لأنَّهُ واقعٌ فيهِ ، وهـٰذا نحوُ قولِهِم : (نهارُهُ صائمٌ ، وليلُهُ

---

(١) بكسر الهاء وفتحها كما في « إظهار صدق المودة » (ق/١٤٤) ، وزاد في (ج) فقط : (بكسر الهاء وفتحها) قبل قوله : (جمع همة) ، ولعله أُشير إلىٰ حذفها في الهامش .

(٢) سورة النحل : (١٤) .

(٣) أخرجه بنحوه مسلم (٢٣١٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « سبل الهدىٰ والرشاد » (٧/ ٨٢ ـ ٨٩) فإنه عقد باباً نفيساً في كرمه وجوده صلى الله عليه وسلم .

قائمٌ) ، أُسنِدَ الصومُ إلى النهارِ والقيامُ إلى الليلِ مجازاً ؛ لوقوعِهِما فيهِما[1] .

ومِنْ نسبةِ الهمَّةِ إلى الدهرِ : قولُ معاويةَ رضيَ اللهُ عنهُ : (نحنُ الزمانُ ؛ مَنْ رفعْناهُ . . ارتفعَ ، ومَنْ وضعْناهُ . . اتَّضعَ)[2] .

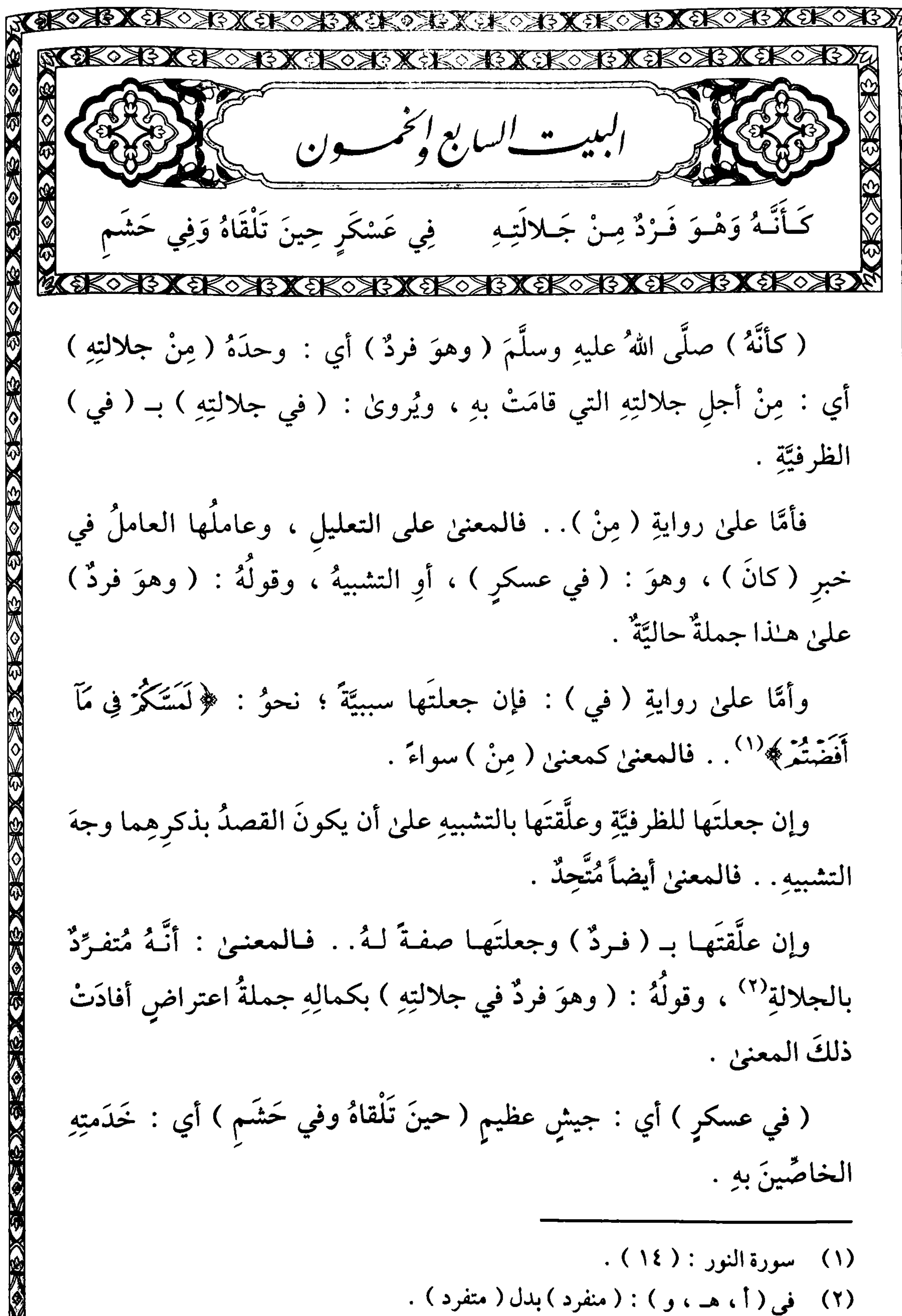
ولا همَّةَ أرفعُ مِنْ همَّةِ مَنْ فضَّلَهُ اللهُ تعالىٰ علىٰ سائرِ المخلوقاتِ على اختلافِ أنواعِها ؛ فهوَ العالي الهمَّةِ في الدُّنيا والآخرةِ .

* * *

---

(١) فهو مجاز عقلي علاقتُه الظرفية الزمانية .

(٢) أورده الثعالبي في « التمثيل والمحاضرة » (ص١٣٣) ، و« اللطائف والظرائف » (ص٣١) ، والحصري القيرواني في « زهر الآداب » (١/ ٢٥٤) .



البيت السابع والخمسون

كَـأَنَّـهُ وَهْـوَ فَـرْدٌ مِـنْ جَـلالَتِـهِ ... فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمِ

(كأنَّهُ) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (وهوَ فردٌ) أي : وحدَهُ (مِنْ جلالتِهِ) أي : مِنْ أجلِ جلالتِهِ التي قامَتْ بهِ ، ويُروىٰ : (في جلالتِهِ) بـ (في) الظرفيَّةِ .

فأمَّا علىٰ روايةِ (مِنْ) . . فالمعنىٰ على التعليلِ ، وعاملُها العاملُ في خبرِ (كانَ) ، وهوَ : (في عسكرٍ) ، أوِ التشبيهُ ، وقولُهُ : (وهوَ فردٌ) علىٰ هٰذا جملةٌ حاليَّةٌ .

وأمَّا علىٰ روايةِ (في) : فإن جعلتَها سببيَّةً ؛ نحوُ : ﴿ لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ ﴾[1] . . فالمعنىٰ كمعنىٰ (مِنْ) سواءً .

وإن جعلتَها للظرفيَّةِ وعلَّقتَها بالتشبيهِ علىٰ أن يكونَ القصدُ بذكرِهما وجهَ التشبيهِ . . فالمعنىٰ أيضاً مُتَّحِدٌ .

وإن علَّقتَها بـ (فردٌ) وجعلتَها صفةً لهُ . . فالمعنىٰ : أنَّهُ مُتفرِّدٌ بالجلالةِ[2] ، وقولُهُ : (وهوَ فردٌ في جلالتِهِ) بكمالِهِ جملةُ اعتراضٍ أفادَتْ ذلكَ المعنىٰ .

(في عسكرٍ) أي : جيشٍ عظيمٍ (حينَ تَلْقاهُ وفي حَشَمٍ) أي : خَدَمتِهِ الخاصِّينَ بهِ .

---

(١) سورة النور : (١٤) .

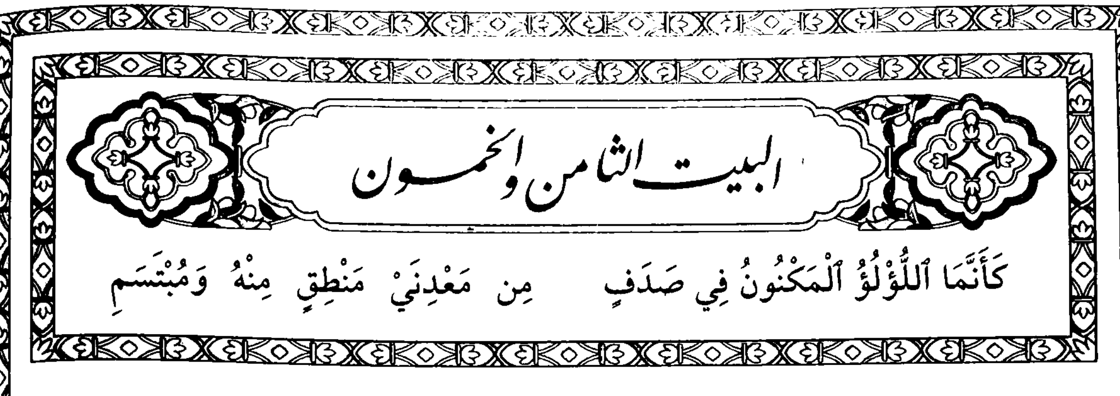
(٢) في (أ ، هـ ، و) : (منفرد) بدل (متفرد) .

قيلَ : قولُهُ : (حينَ تَلْقاهُ) مِنَ الحَشْوِ لتمامِ الوزنِ ، **والظاهرُ** : أنَّهُ أرادَ بهِ ما أرادَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ في قولِهِ : (مَنْ رآهُ بديهةً . . هابَهُ ، ومَنْ خالطَهُ معرفةً . . أحبَّهُ)[1] ؛ فقولُهُ : (حينَ تَلْقاهُ) كقولِهِ : (بديهةً) .

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي في « السنن » (٣٦٣٨) ، و« الشمائل » (٧) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٢٤٦٥) .



البيت الثامن والخمسون

كَأَنَّمَا ٱللُّؤْلُؤُ ٱلْمَكْنُونُ فِي صَدَفٍ   مِن مَعْدِنَيْ مَنطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ

(كأنَّما اللُّؤلؤُ المكنونُ) أي : المَصُونُ (في صَدَفٍ مِنْ مَعْدِنَيْ) بكسرِ الدَّالِ وفتحِ النونِ وسكونِ الياءِ (مَنْطِقٍ منهُ ومُبتَسَمِ) بالفتحِ : موضعُ الابتسامِ ، والتبسُّمُ ـ كما قالَ الجوهريُّ[1] ـ دونَ الضَّحِكِ .

شبَّهَ ألفاظَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ التي ينطِقُ بها في فصاحتِها وحَلاوتِها واحتوائِها على المعاني النفيسةِ لكونِها ألفاظَ مَنْ أُوتيَ جوامعَ الكَلِمِ ، وشبَّهَ ثَغْرَهُ أيضاً ـ وهوَ ما يبدو مِنْ ثَناياهُ وأسنانِهِ عندَ التبسُّمِ ـ في حُسْنِهِ وتناسُبِهِ وصفائِهِ وبياضِهِ . . باللُّؤْلؤِ ـ وهوَ الدُّرُّ المُسمَّىٰ بالجوهرِ ـ المصونِ في أَصْدافِهِ ؛ وهوَ المَحارَةُ التي يتولَّدُ فيها وِعاءٌ لهُ يحفظُهُ مِنَ التغيُّرِ حتَّىٰ ينشَقَّ عنهُ ، كما أنَّ القلبَ وعاءُ الكلامِ النفسيِّ حتىٰ يُبرِزَهُ اللِّسانُ ، وكما أنَّ انضمامَ الشَّفتَينِ على الثَّغْرِ كالوعاءِ لهُ ، وعندَ التبسُّم يبرُزُ .

ومعنى البيت : كأنَّ اللؤلؤَ الذي كانَ مَصُوناً في صَدَفِهِ يخرجُ مِنْ مَعدِنَينِ مِنْ معادنِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ أحدُهُما : مَعْدِنُ كلماتِهِ ، والثاني : مَعْدِنُ ابتسامِهِ .

أمَّا فَصاحةُ لسانِهِ ، وبلاغةُ قولِهِ . . فقد كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ ذلكَ بالمَحَلِّ الأفضلِ ، والموضعِ الذي لا يُجهَلُ ، وحسبُكَ قولُ بعضِ أصحابِهِ لهُ : (ما رأَيْنا الذي هوَ أفصحُ منكَ) ، فقالَ : « وَمَا يَمْنَعُنِي وَإِنَّمَا

---

(١) الصحاح (٥/ ١٨٧٢) ، مادة : (ب س م) .

نَزَلَ ٱلْقُرْآنُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ؟! »[1] .

ومِنَ التشبيهِ باللُّؤلؤِ الذي قصدَهُ الناظمُ : ما في حديثِ أمِّ معبدٍ : (كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حُلْوَ المَنْطِقِ ، فَصْلاً لا نَزْراً ولا هَذْراً ، كأنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزاتٌ نُظِمْنَ ، وكانَ جهيرَ الصوتِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ [حَسَنَ النغمةِ])[2] .

وأمَّا تشبيهُ مَبْسَمِهِ باللؤلؤِ[3] . . فمِنْ ذلكَ : قولُ بعضِ ناعتيهِ : (كانَ إذا ضَحِكَ . . افْتَرَّ عن مثلِ سَنَا البرقِ) يعني بذلكَ : بياضَ ثَغْرِهِ ، وصفاءَ لونِهِ ، (وعن مثلِ حبِّ الغَمامِ)[4] ؛ يعني : في تناسبِهِ ، وحُسنِ نَظْمِهِ ، وصفاءِ لونِهِ .

وقالَ آخَرُ : (إذا تكلَّمَ . . رُئيَ كالنورِ يخرجُ مِنْ ثناياهُ)[5] .

وهـٰذهِ كلُّها صفاتُ اللُّؤلؤِ ، وإنَّما كانَ ضَحِكُهُ في غالبِ أمرِهِ تبسُّماً ؛ لجلالتِهِ ووقارِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

* * *

---

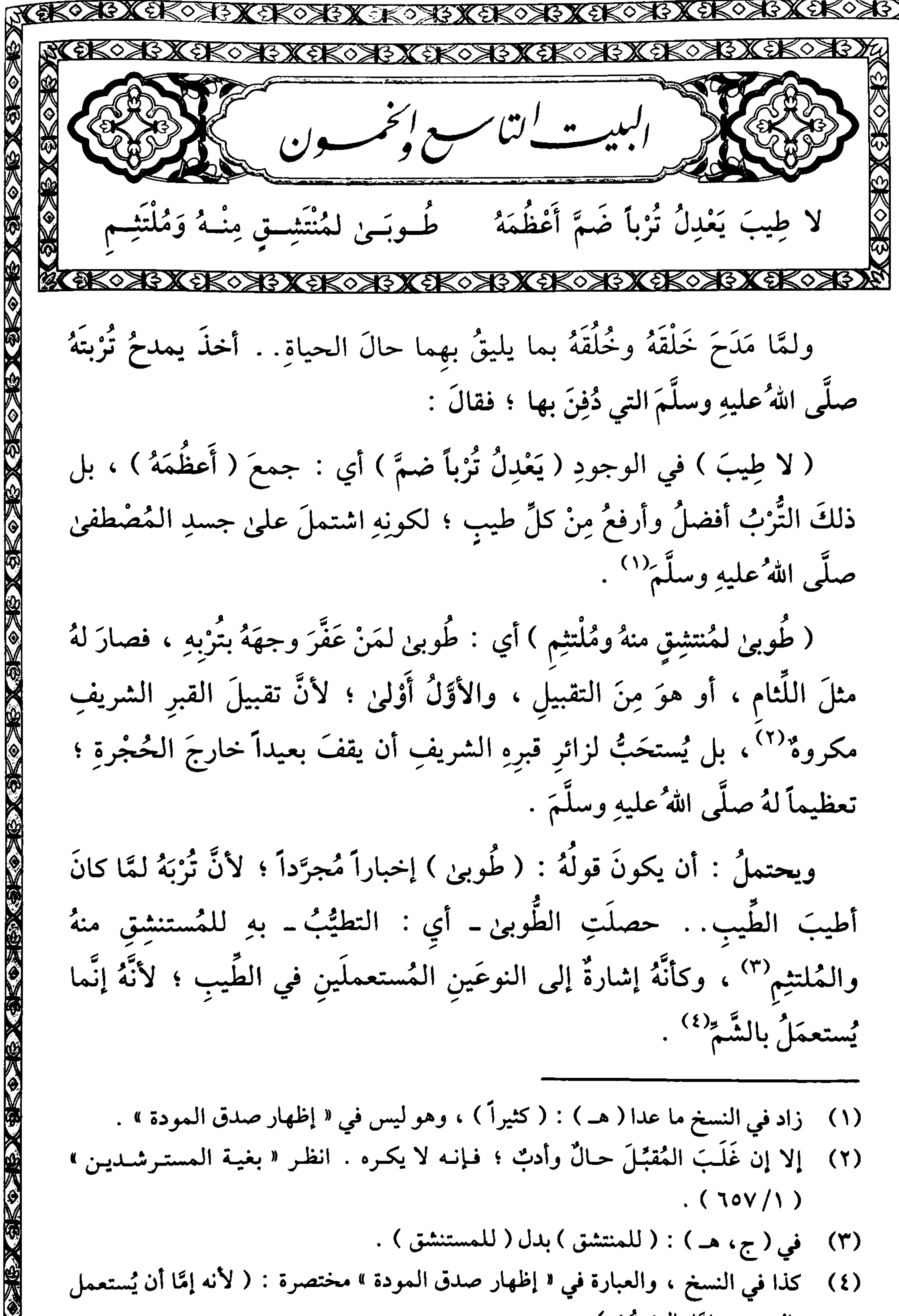
(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « المطر والرعد والبرق » (١٢) ، والرامهرمزي في « الأمثال » (ص١٥٦) مرسلاً عن محمد بن إبراهيم التيمي رحمه الله تعالىٰ ، وعزاه ابن مرزوق لأبي علي البغدادي في « نوادره » .

(٢) أورده القاضي عياض في « الشفاء » (ص١٢٥) ، وأخرجه دون الجملة الأخيرة البيهقي في « دلائل النبوة » (١/ ٢٧٩) ، وأبو نعيم في « دلائل النبوة » (٢٣٨) ، وقوله : (هذراً) جاء في جميع النسخ بالدال المهملة ، والمثبت من « إظهار صدق المودة » ، والفصل : المُبيَّن والمفهوم ، أو الفاصل بين الحق والباطل ، والنَّزْر : الموجز المخل ، والهَذْر : الطويل المُمل ، وبفتح الذال : الهذيان ، وقوله : (حسن النغمة) جاء بدله في جميع النسخ : (كثيراً) ، وأثبته من « إظهار صدق المودة » و« الشفاء » .

(٣) في (هـ) : (تبسُّمه) بدل (مبسمه) .

(٤) أورده القاضي عياض في « الشفاء » (ص١٠٢ـ١٠٣) ، وانظر « دلائل النبوة » للبيهقي (١/ ٢٨٤ـ٢٨٥) .

(٥) أخرجه الترمذي في « الشمائل » (١٥) ، والدارمي في « مسنده » (٥٩) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٦٧) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .



البيت التاسع والخمسون

لا طِيبَ يَعْدِلُ تُرْباً ضَمَّ أَعْظُمَهُ ‏ ‏ ‏ طُـوبَـىٰ لِمُنْتَشِـقٍ مِنْـهُ وَمُلْتَثِـمِ

ولمَّا مَدحَ خَلْقَهُ وخُلُقَهُ بما يليقُ بهِما حالَ الحياةِ . . أخذَ يمدحُ تُرْبتَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ التي دُفِنَ بها ؛ فقالَ :

(لا طِيبَ) في الوجودِ (يَعْدِلُ تُرْباً ضمَّ) أي : جمعَ (أَعظُمَهُ) ، بل ذلكَ التُّرْبُ أفضلُ وأرفعُ مِنْ كلِّ طيبٍ ؛ لكونِهِ اشتملَ علىٰ جسدِ المُصْطفىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] .

(طُوبىٰ لمُنتشِقٍ منهُ ومُلْتثِمٍ) أي : طُوبىٰ لمَنْ عَفَّرَ وجهَهُ بتُرْبِهِ ، فصارَ لهُ مثلَ اللِّثامِ ، أو هوَ مِنَ التقبيلِ ، والأوَّلُ أَوْلىٰ ؛ لأنَّ تقبيلَ القبرِ الشريفِ مكروهٌ[2] ، بل يُستحَبُّ لزائرِ قبرِهِ الشريفِ أن يقفَ بعيداً خارجَ الحُجْرةِ ؛ تعظيماً لهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

ويحتملُ : أن يكونَ قولُهُ : (طُوبىٰ) إخباراً مُجرَّداً ؛ لأنَّ تُرْبَهُ لمَّا كانَ أطيبَ الطِّيبِ . . حصلَتِ الطُّوبىٰ ـ أي : التطيُّبُ ـ بهِ للمُستنشِقِ منهُ والمُلتثِمِ[3] ، وكأنَّهُ إشارةٌ إلى النوعَينِ المُستعملَينِ في الطِّيبِ ؛ لأنَّهُ إنَّما يُستعمَلُ بالشَّمِّ[4] .

---

(١) زاد في النسخ ما عدا (هـ) : (كثيراً) ، وهو ليس في « إظهار صدق المودة » .
(٢) إلا إن غَلَبَ المُقبِّلَ حالٌ وأدبٌ ؛ فإنه لا يكره . انظر « بغية المسترشدين » (١/٦٥٧) .
(٣) في (ج ، هـ) : (للمنتشق) بدل (للمستنشق) .
(٤) كذا في النسخ ، والعبارة في « إظهار صدق المودة » مختصرة : (لأنه إمَّا أن يُستعمل بالشم ، وإمَّا بالتضمُّخ) .

ويحتملُ : أن تكونَ (طُوبى) الجنةَ أو شجرةً فيها .

ويحتملُ : أن يكونَ أرادَ الدعاءَ لمَنِ استنشقَ[1] مِنْ تلكَ التُّرْبةِ العظيمةِ والتَثَمَ .

ويحتملُ : أن يكونَ أرادَ الإخبارَ ؛ أي : لهُ بذلكَ طُوبىٰ .

والاحتمالُ الأوَّلُ في طُوبىٰ مَبْنيٌّ علىٰ أنَّ المُرادَ : بأنَّ تُرْبتَهُ أفضلُ أنواعِ الطِّيبِ باعتبارِ الحقيقةِ الحِسِّيَّةِ ؛ وذلكَ : إمَّا لأنَّهُ كذلكَ في نفسِ الأمرِ ، أدركَهُ مَنْ أدركَهُ أم لا ، وإمَّا باعتبارِ اعتقادِ المؤمنِ في ذلكَ ؛ فإنَّ المؤمنَ لا يَعْدِلُ بشَمِّ رائحةِ تُرْبتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ شيئاً مِنَ الطِّيبِ .

والاحتمالُ الثاني مَبْنيٌّ علىٰ أنَّ المرادَ : أنَّها أفضلُ أنواعِ الطِّيبِ حُكْماً .

فإن قيلَ : لو كانَ المرادُ الحقيقةَ الحِسِّيَّةَ . . لأدركَ ذلكَ كلُّ أحدٍ ؛ لأنَّ المِسْكَ مَثَلاً يُدرِكُ طِيبَ ريحِهِ كلُّ أحدٍ .

فالجوابُ : لا يلزمُ مِنْ قيامِ المعنىٰ بمحلٍّ إدراكُهُ لكلِّ أحدٍ ، بل حتىٰ تُوجَدَ الشرائطُ وتنتفيَ الموانعُ ، وعدمُ الإدراكِ لا يدُلُّ علىٰ عَدَمِ المُدرَكِ ، وانتفاءُ الدليلِ لا يدُلُّ على انتفاءِ المدلولِ ؛ فالمزكومُ لا يُدرِكُ رائحةَ المِسْكِ معَ أنَّ الرائحةَ قائمةٌ بالمِسْكِ لم تَنْتفِ .

ولمَّا كانَتْ أحوالُ القَبْرِ مِنْ أمورِ الآخرةِ . . لا يُدرِكُها مِنَ الأحياءِ إلا مَنْ كُشِفَ لهُ الغِطاءُ مِنَ الأولياءِ ؛ لأنَّ مَتاعَ الآخرةِ باقٍ ، ومَنْ في الدُّنيا فانٍ ، والفاني لا يتمتَّعُ بالباقي ؛ للتَّضادِّ ، وقد قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ٱلْقَبْرُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ ٱلآخِرَةِ[2] ؛ فَإِمَّا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ ٱلْجَنَّةِ ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ

---

(١) في (هـ) : (انتشق) .
(٢) في (هـ) : (منزلة) بدل (منزل) .

حُفَرِ ٱلنَّارِ »[1] ، ولا شكَّ أنَّ قبرَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ روضةٌ مِنْ رياضِ الجنَّةِ وأفضلُها بل أفضلُها[2] ، وقد قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ ٱلْجَنَّةِ »[3] .

وما بين المبدأِ والمُنْتهىٰ قد يدخُلُ في حُكْمِهِ ؛ أمَّا القبرُ . . فللخبرِ العامِّ الذي قبلَ هـٰذا ، وهوَ في قبرِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَحْرىٰ ، وأمَّا المِنْبرُ . . فلقولِهِ في آخرِ هـٰذا الحديثِ : « وَمِنْبَرِي عَلَىٰ حَوْضِي » ، والحوضُ مِنَ الجنَّةِ .

وإذا تقرَّرَ كونُ هـٰذا المكانِ الشريفِ مِنَ الجنةِ . . لم يَبْقَ عندَ العاقلِ المُصدِّقِ بالشريعةِ امتراءٌ في أنَّهُ لا طِيبَ مِنَ الدُّنيا يَعْدِلُهُ .

فإن قيلَ : هـٰذا مَبْنِيٌّ علىٰ أنَّ قولَهُ : « مِنْ رِيَاضِ ٱلْجَنَّةِ » حقيقةٌ ؛ وذلكَ مُتعذِّرٌ ؛ لأنَّ الجنَّةَ في السماءِ ، كما دلَّ عليهِ قولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إِنَّ سَقْفَهَا عَرْشُ ٱلرَّحْمَـٰنِ »[4] ، وهوَ فوقَ سبعِ سماواتٍ ، وكيفَ يكونُ ما هوَ في السماءِ في الأرضِ ؟

فالجوابُ : أنَّ الحديثَينِ يحتملانِ الحقيقةَ والمجازَ .

أمَّا الحقيقةُ : فبأن يكونَ ما أخبرَ عنهُ بأنَّهُ مِنَ الجنَّةِ أن يكونَ مُقتَطَعاً

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٠٨) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٠٦٩) عن سيدنا عثمان رضي الله عنه ، ولفظه : « إنَّ القبرَ أولُ منزلٍ مِنْ منازلِ الآخرةِ ؛ فإن نجا منهُ . . فما بعدَهُ أيسرُ منهُ ، وإن لم ينجُ منهُ . . فما بعدَهُ أشدُّ منهُ » ، وأخرج الترمذي (٢٤٦٠) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً : « إنَّما القبرُ روضةٌ مِنْ رياضِ الجنةِ ، أو حفرةٌ مِنْ حُفَرِ النارِ » .

(٢) سقط (وأفضلها) من « إظهار صدق المودة » .

(٣) أخرجه البخاري (١١٩٦) ، ومسلم (١٣٩١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

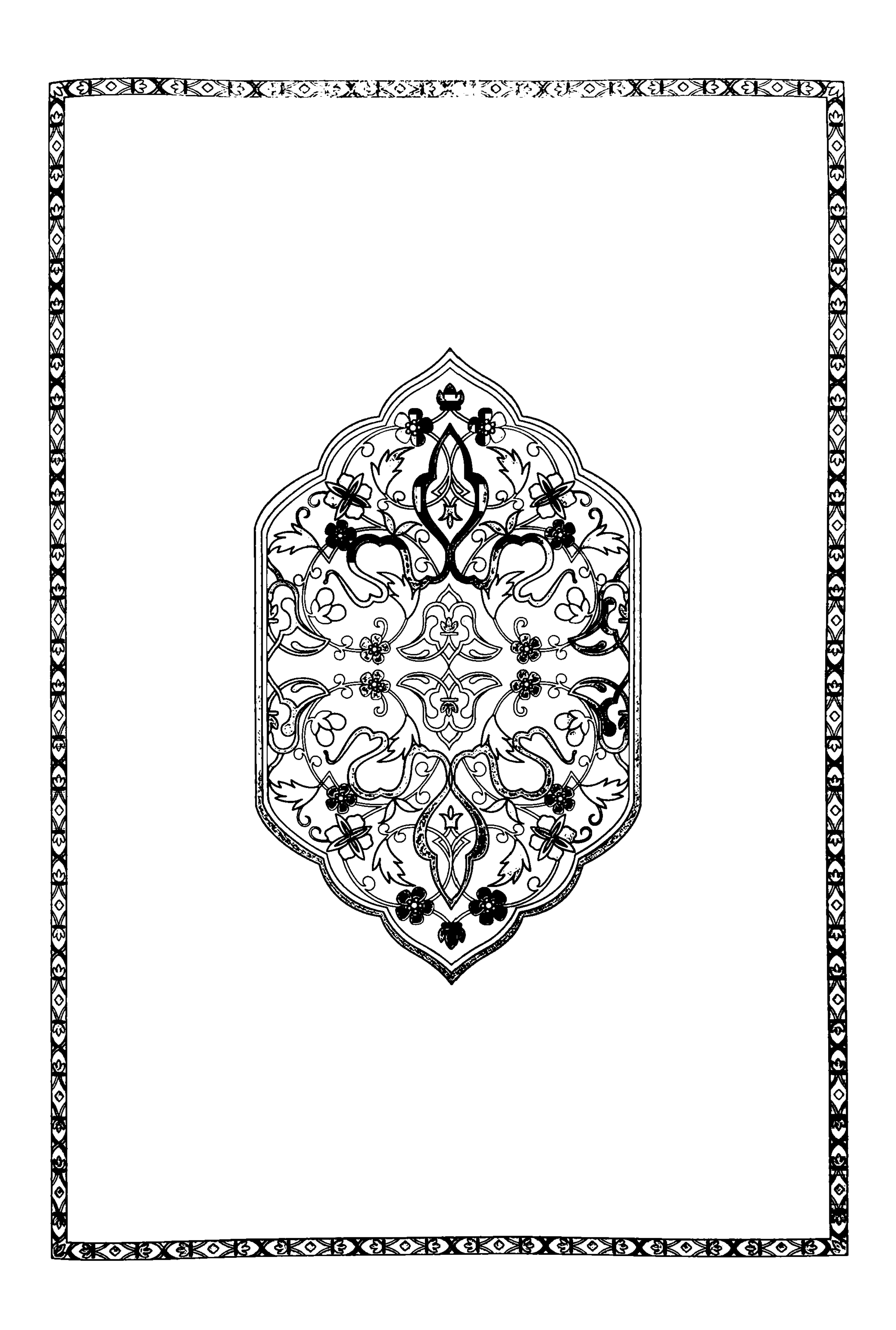
(٤) أخرجه بنحوه البخاري (٢٧٩٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

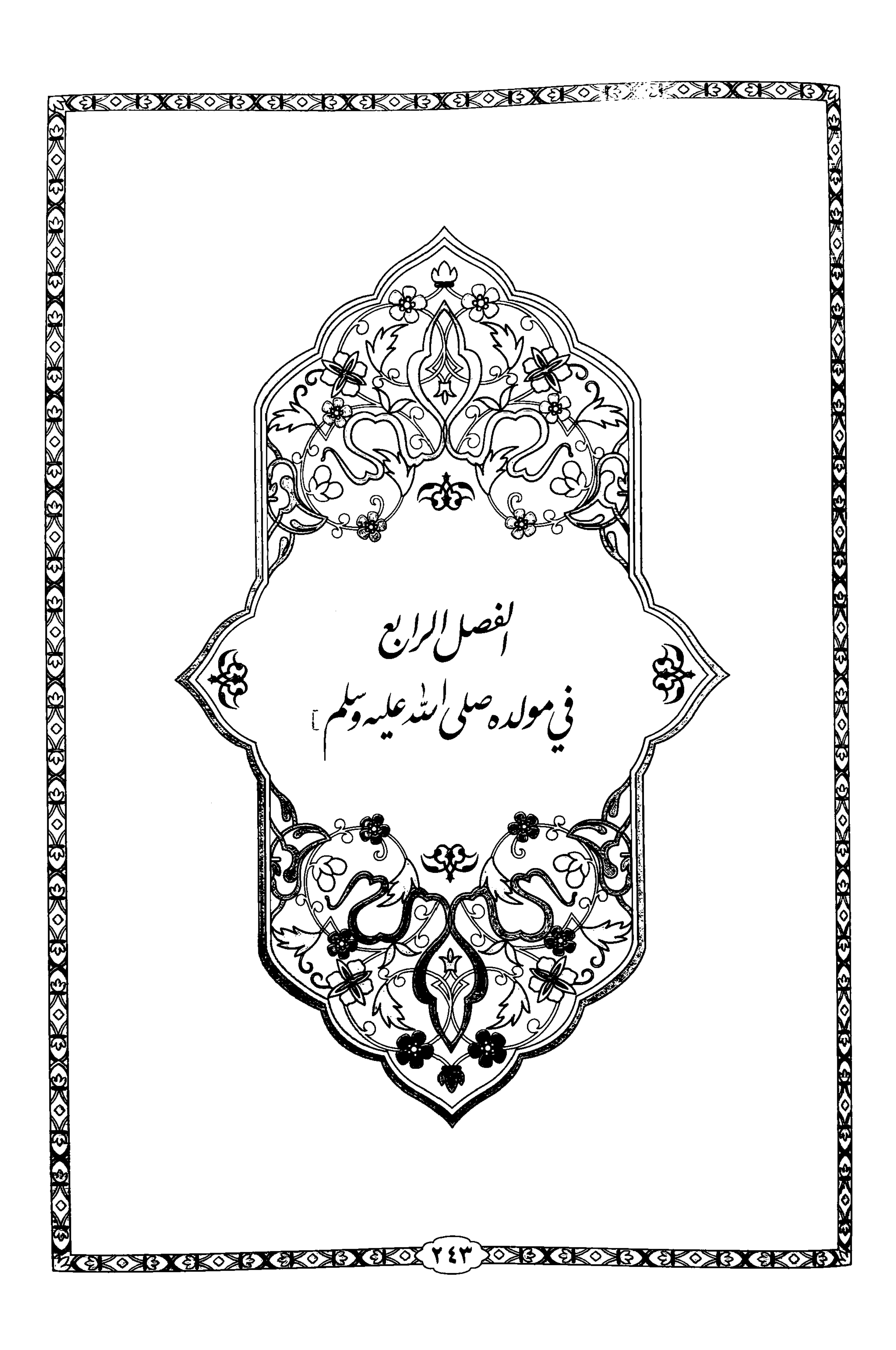
منها ، كما أنَّ الحجرَ الأسودَ منها ، والمُمتنِعُ : أن تكونَ السماءُ أرضاً ، لا أن يُؤخَذَ شيءٌ مِنَ السماءِ ويُجعَلَ في الأرضِ ، أو بالعكسِ .

وأمّا المجازُ في القبرِ : فبأن يكونَ مِنْ مجازِ التشبيهِ ؛ بأن يُشبَّهَ القبرُ لسَعَتِهِ وطِيبِ رائحتِهِ وسلامتِهِ مِنَ الآفاتِ . . بمكانٍ مِنَ الجنَّةِ ، وهٰذا شائعٌ ؛ بأن يُوصَفَ المكانُ الحَسَنُ بأنَّهُ مِنَ الجنَّةِ .

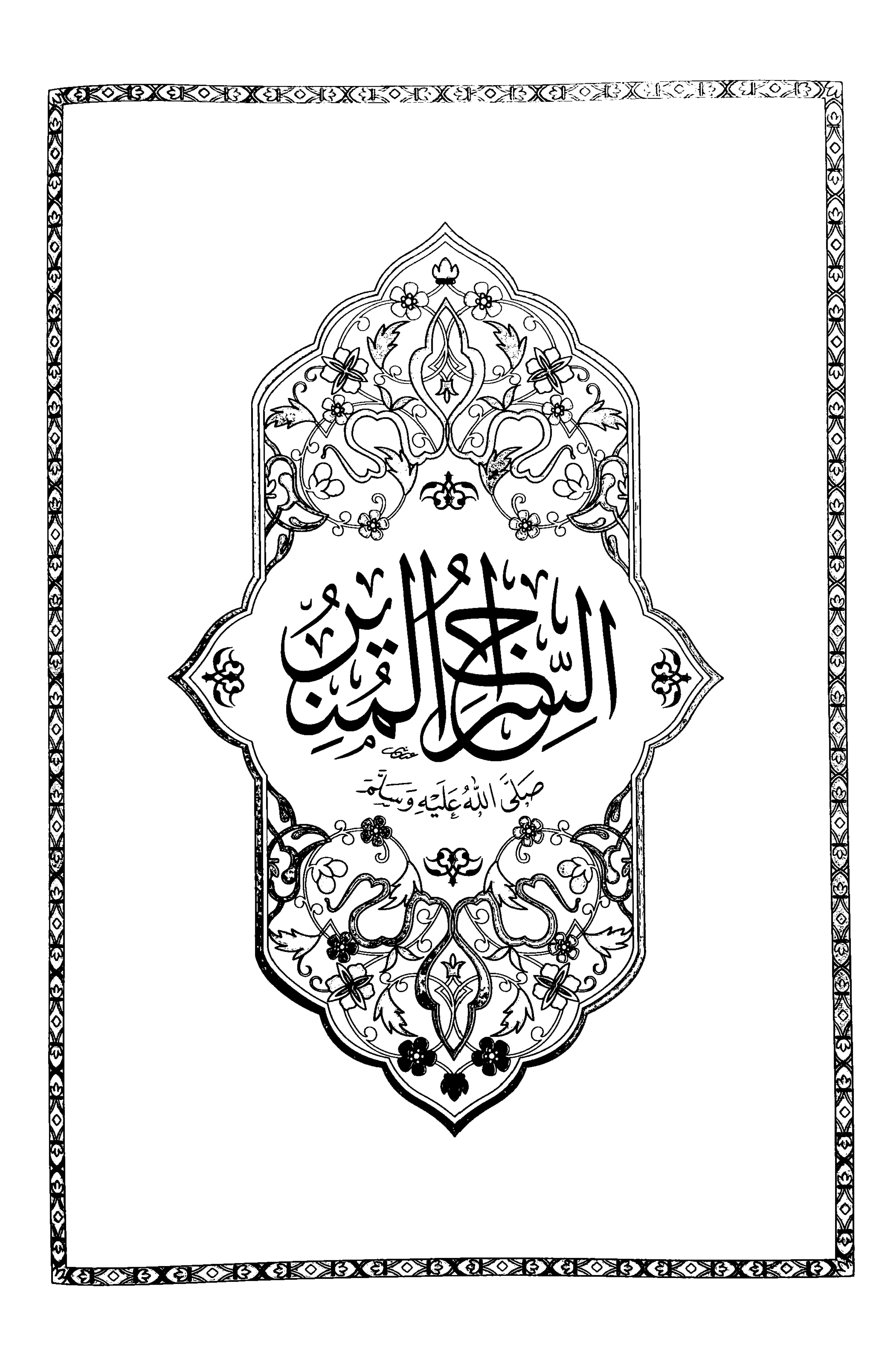
وأمّا فيما بينَ القبرِ والمنبرِ . . فبأن يكونَ مِنْ إطلاقِ اسمِ المُسبَّبِ على السببِ ؛ فإنَّ مُلازَمةَ ذلكَ المكانِ للصلاةِ والعبادةِ سببٌ في نيلِ الجنَّةِ .

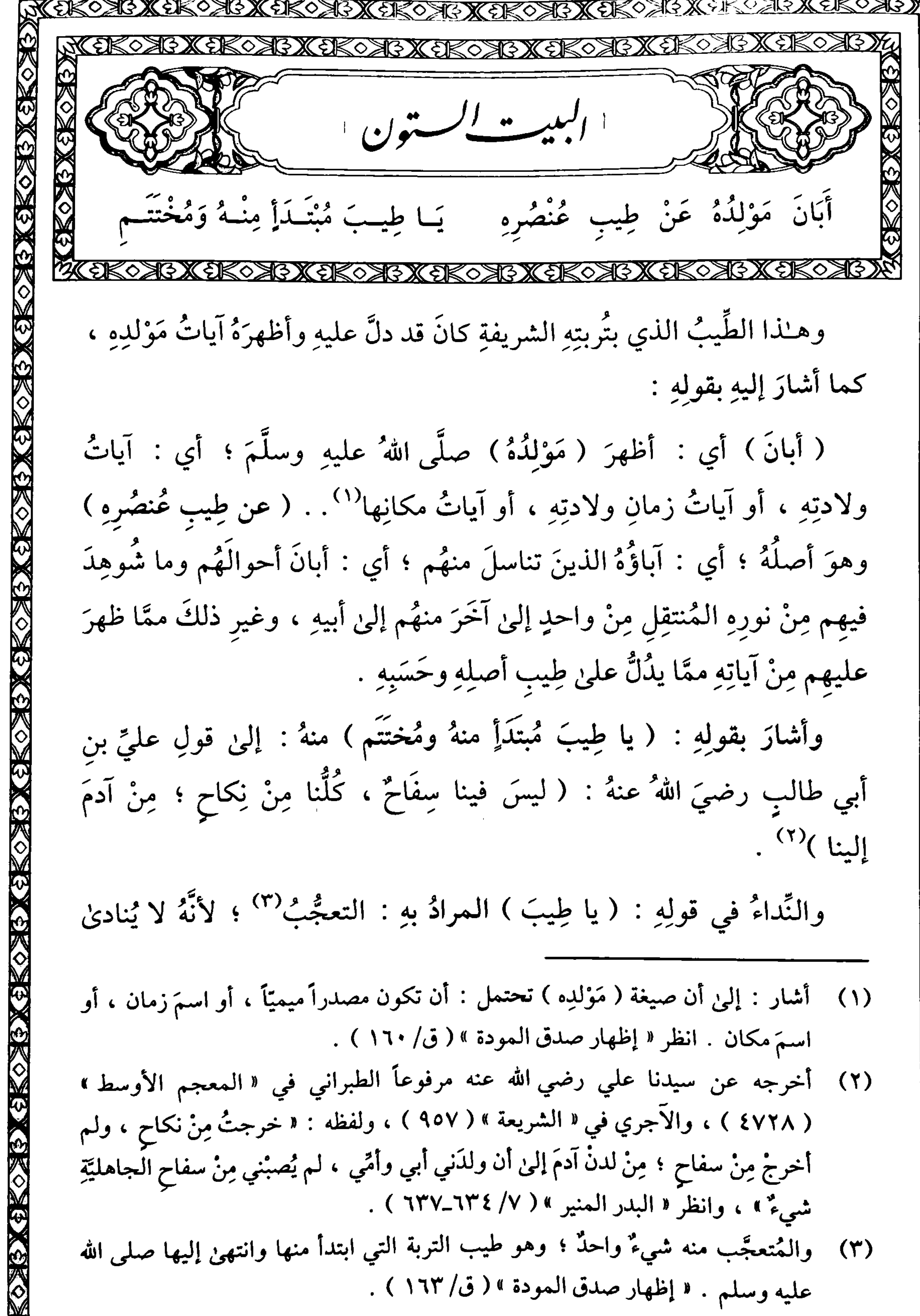
* * *





الفصل الرابع
في مولده صلى الله عليه وسلم


السراج المنير
صلى الله عليه وسلم



البيت الستون

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ ... يَا طِيبَ مُبْتَدَأٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ

وهـٰذا الطِّيبُ الذي بتُربتِهِ الشريفةِ كانَ قد دلَّ عليهِ وأظهرَهُ آياتُ مَوْلِدِهِ ، كما أشارَ إليهِ بقولِهِ :

(أبانَ) أي : أظهرَ (مَوْلِدُهُ) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ أي : آياتُ ولادتِهِ ، أو آياتُ زمانِ ولادتِهِ ، أو آياتُ مكانِها[1] . . (عن طِيبِ عُنصُرِهِ) وهوَ أصلُهُ ؛ أي : آباؤُهُ الذينَ تناسلَ منهُم ؛ أي : أبانَ أحوالَهُم وما شُوهِدَ فيهِم مِنْ نورِهِ المُنتقِلِ مِنْ واحدٍ إلىٰ آخَرَ منهُم إلىٰ أبيهِ ، وغيرِ ذلكَ ممَّا ظهرَ عليهِم مِنْ آياتِهِ ممَّا يدُلُّ علىٰ طِيبِ أصلِهِ وحَسَبِهِ .

وأشارَ بقولِهِ : (يا طِيبَ مُبتَدَأٍ منهُ ومُختَتَمِ) منهُ : إلىٰ قولِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (ليسَ فينا سِفَاحٌ ، كُلُّنا مِنْ نِكاحٍ ؛ مِنْ آدمَ إلينا)[2] .

والنِّداءُ في قولِهِ : (يا طِيبَ) المرادُ بهِ : التعجُّبُ[3] ؛ لأنَّهُ لا يُنادىٰ

---

(١) أشار : إلىٰ أن صيغة (مَوْلِده) تحتمل : أن تكون مصدراً ميمياً ، أو اسمَ زمان ، أو اسمَ مكان . انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ١٦٠) .

(٢) أخرجه عن سيدنا علي رضي الله عنه مرفوعاً الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٧٢٨) ، والآجري في « الشريعة » (٩٥٧) ، ولفظه : « خرجتُ مِنْ نكاحٍ ، ولم أخرجْ مِنْ سفاحٍ ؛ مِنْ لدنْ آدمَ إلىٰ أن ولدَني أبي وأمِّي ، لم يُصبْني مِنْ سفاحِ الجاهليّةِ شيءٌ » ، وانظر « البدر المنير » (٧/ ٦٣٤-٦٣٧) .

(٣) والمُتعجَّب منه شيءٌ واحدٌ ؛ وهو طيب التربة التي ابتدأ منها وانتهىٰ إليها صلى الله عليه وسلم . « إظهار صدق المودة » (ق/ ١٦٣) .

حقيقةً إلا العاقلُ ، أوِ المُنزَّلُ منزلتَهُ ، والعربُ إذا استعظَمَتْ شيئاً . . نادتْهُ علىٰ سبيلِ التعجُّبِ .

وفي قولِهِ : (ومُختَتَمِ): إيجازُ الحذفِ ؛ إذِ التقديرُ : (منهُ) ، كما تقدَّمَ ؛ فهوَ مِنَ الحذفِ في الأواخرِ لدَلالةِ الأوائلِ ؛ نحوُ : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾[1] ؛ أي : كثيراً .

وإسنادُ (أبانَ) إلىٰ (مولدُهُ): مِنَ المجازِ العقليِّ ، ولا محلَّ لجملةِ (أبانَ) إلىٰ (عُنصُرِهِ) لاستئنافِها .

ومِنْ آياتِ ولادتِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : ما ذُكِرَ عن أمِّهِ أنَّها قالَتْ : (لقد أَخَذَني الطَّلْقُ وإنِّي لَوحيدةٌ في منزلي وعبدُ المُطَّلبِ في طوافِهِ يومَ الاثنينِ ، فسمعتُ وَجْبَةً هالَتْني[2] ، ورأيتُ كأنَّ جناحَ طيرٍ أبيضَ مسحَ فُؤادي[3] ، فذهبَ رُعْبي وكلُّ وَجَعٍ .

وكنتُ عَطْشىٰ ؛ فإذا بشَرْبةٍ بيضاءَ فشربتُها ، فأصابَني نورٌ عالٍ ، وإذا بنسوةٍ كالنخلِ طولاً كأنَّهُنَّ مِنْ بناتِ عبدِ منافٍ ، فأَحْدَقْنَ بي ، فتعجَّبتُ وقلتُ : يا غوثاهُ !! مِنْ أينَ عَلِمْنَ بي ؟!

وأسمعُ الوَجْبَةَ في كلِّ ساعةٍ أَعْظَمَ ؛ فإذا بدِيباجٍ أبيضَ مُدَّ بينَ السماءِ والأرضِ ، وقائلٌ يقولُ : خُذُوهُ مِنْ أَعْيُنِ الناسِ ، ورجالٌ في الهواءِ بأيديهِم أباريقُ مِنْ فضَّةٍ وعَرَقي كالجُمانِ ، وأقولُ : ليتَ عبدَ المُطَّلبِ عندي .

وأقبلَتْ قِطْعةٌ مِنَ الطَّيرِ مِنْ حيثُ لا أشعرُ كأنَّ مناقيرَها الزُّمُرُّدُ وأجنحتَها الياقوتُ ، فكُشِفَ عن بصري ، فرأيتُ مشارقَ الأرضِ ومغاربَها ، ورأيتُ

---

(١) سورة الأحزاب : (٣٥) .

(٢) الوَجْبَة : صوت السقوط .

(٣) في (ج) : (طائر) بدل (طير) .

أعلاماً ثلاثةً ؛ عَلَماً بالمشرقِ ، وعَلَماً بالمغربِ ، وعَلَماً بالبيتِ .

فاشتدَّ بيَ المخاضُ ، وكأنِّي مُستندِةٌ إلى النساءِ ، فكثُرْنَ عليَّ ، فولدتُ محمَّداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ ساعتي ، فنظرتُ إليهِ ؛ فإذا هوَ ساجدٌ للهِ عزَّ وجلَّ ، ثمَّ رفعَ رأسَهُ إلى السماءِ كالمُتضرِّعِ المُبتهِلِ)[1] .

ورُوِيَ : أنَّ الشِّفَا[2] أمَّ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ عوفٍ قالتْ : (لمَّا سقطَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ يدي واستهلَّ . . سمعتُ قائلاً ـ أي : صوتَ قائلٍ ـ يقولُ : رَحِمَكَ اللهُ ، وأضاءَ لي ما بينَ المشرقِ والمغربِ حتىٰ نظرتُ إلىٰ قُصورِ الرُّومِ)[3] .

ووُلِدَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مختوناً مقطوعَ السُّرَّةِ[4] .

وروى الطبرانيُّ : (أنَّهُ وقعَ إلى الأرضِ مقبوضةً أصابعُ يدِهِ ، مُشيراً بالسبَّابةِ كالمُسبِّحِ بها)[5] .

---

(١) أخرجه بنحوه أبو نعيم في « دلائل النبوة » (٥٥٥) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) الشِّفا : بكسر الشين المعجمة وبالفاء ، والأقرب : أنه مقصور ، قال الذهبي : الشِّفا : من المهاجرات ، والدة عبد الرحمـٰن بن عوف وبنت عمة لبيد رضي الله عنها ، والله أعلم . انتهىٰ من هامش (د) ، وانظر « توضيح المشتبه » (٥/ ١١٤) .

(٣) أخرجه بنحوه أبو نعيم في « دلائل النبوة » (٧٧) عن سيدنا عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه .

(٤) أما ولادته مختوناً : فأخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦١٤٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وأما ولادته مقطوع السُّرَّة : فأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣/ ٨٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وانظر « المواهب اللدنية » للشارح (١/ ٨١ـ ٨٤) .

(٥) أورده السهيلي في « الروض الأنف » (٢/ ٩٥) ، وعزاه المؤلف كذلك في « المواهب اللدنية » (١/ ٧٨) للطبراني .

ورُوِيَ عنْ عثمانَ بنِ أبي العاصِ ، عن أمِّهِ أمِّ عثمانَ الثقفيَّةِ ـ واسمُها فاطمةُ بنتُ عبدِ اللهِ ـ قالتْ : (حضرتُ وِلادةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فرأيتُ البيتَ حينَ وقعَ قدِ امتلأَ نوراً ، ورأيتُ النُّجومَ تدنو حتىٰ ظننتُ أنَّها ستقعُ عليَّ)[1] .

وفي هٰذا البيتِ إشارةٌ : إلىٰ أنَّ السعيدَ مَنْ سَعِدَ في بطنِ أمِّهِ ، والشقيَّ مَنْ شَقِيَ في بطنِ أمِّهِ ، كما أتىٰ في الصحيحِ[2] .

وأنَّهُ لا يستحقُّ أحدٌ على اللهِ شيئاً ، يخصُّ مَنْ يشاءُ بما يشاءُ ؛ إذِ السعادةُ أصلُها التخصيصُ ؛ فمَنْ سبقَتْ لهُ مِنَ اللهِ السعادةُ . . فيا طيبَ مبتدأٍ منهُ ومُختَتَمٍ ، ومَنْ ظهرَ عليهِ الانقطاعُ إلى اللهِ تعالىٰ والرُّكونُ إلىٰ عبادةِ مَوْلاهُ . . فعسىٰ أن يَطيبَ اختتامُهُ ، ختمَ اللهُ لنا وللمسلمينَ بالحُسْنىٰ .

* * *

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٥/ ١٤٧) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (١/ ١١١) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٢) ، ومسلم (٢٦٤٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وفيه : « ثم يبعث الله إليه ملكاً بأربع كلمات ؛ فيُكتَبُ عملُهُ ، وأجلُهُ ، ورزقُهُ ، وشقيٌّ أو سعيدٌ » .



البيت الحادي والستون

يَـوْمٌ تَفَـرَّسَ فِيـهِ ٱلْفُـرْسُ أَنَّهُـمُ ... قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ ٱلْبُؤْسِ وَٱلنِّقَمِ

ومِنْ آياتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ما ذكرَهُ بقولِهِ : (يَوْمٌ تفرَّسَ) أي : تثبَّتَ ونظرَ (فيهِ الفُرْسُ أنَّهُم قد أُنذِروا) أي : أُعلِموا (بحُلولِ البُؤْسِ والنِّقَمِ) جمعُ نِقْمةٍ .

أي : ظهرَ لهُم في ذلكَ مِنَ الأَماراتِ التي أخبرَهُم بها عُلماؤُهُم وكُهَّانُهُم في ظهورِ أمرِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ كائنٌ ، وأنَّ ما أنذرَهُم كاهنُهُم مِنْ خرابِ مُلكِهِم وتشتيتِ أمرِهِم وتفريقِ قبائلِهِم على يدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ويدِ أصحابِهِ القائمينَ بشريعتِهِ . . أنَّ ذلكَ حالٌّ بهِم ؛ وهوَ ما أرادَهُ بقولِهِ : (البُؤْسِ والنِّقَمِ) .

وأرادَ بـ (يومٌ) : الزمانَ الذي كانَتْ فيهِ الفِراسةُ ، لا الذي هوَ مُقابِلُ الليلةِ ، وذلكَ البؤسُ وتلكَ النِّقَمُ : هوَ تمزيقُهُم كلَّ مُمزَّقٍ ، كما دعا عليهِم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[(١)] .

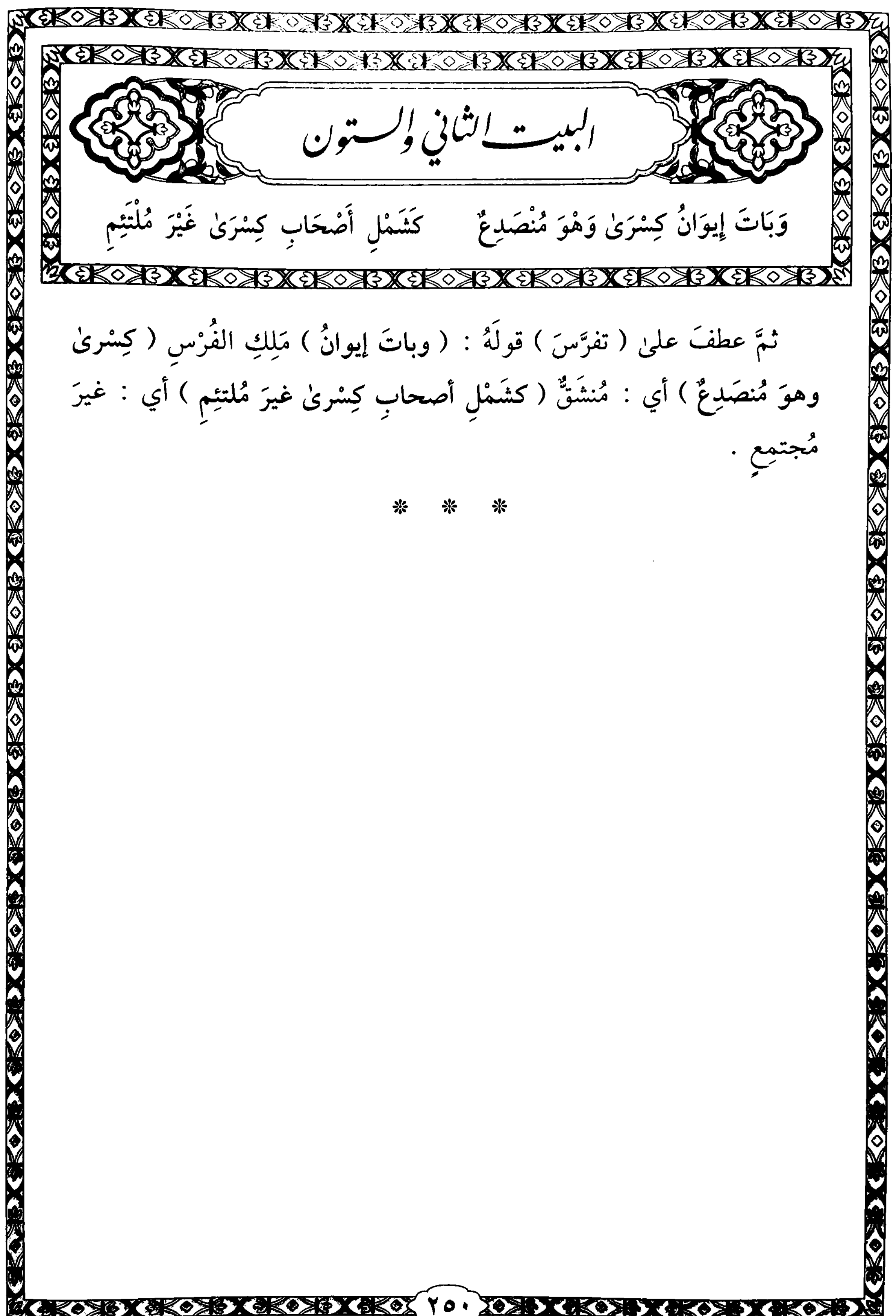
والفُرْسُ ـ بضمِّ الفاءِ ـ : أمَّةٌ عظيمةٌ كانَ مسكنُها في شمالِ العراقِ .

واختُلِفَ في نسبِهِم ؛ فقيلَ : هم مِنْ ولدِ هَدْرامَ بنِ أَرْفَخْشَذَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ ، وأنَّهُ وُلِدَ لهُ بضعةَ عشرَ رجلاً كلُّهُم فارسٌ شُجاعٌ ، فسُمُّوا الفرسَ لذلكَ ، وقيلَ غيرُ ذلكَ ممَّا يطولُ ذكرُهُ[(٢)] .

---

(١) كما أخرجه البخاري (٢٩٣٩) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) انظر التفصيل في هـٰذه المسألة في « مرآة الزمان » (٢/٣٦٨ـ٣٧١) ، و« نهاية الأرب » (١٥/١٤٢ـ١٤٣) .

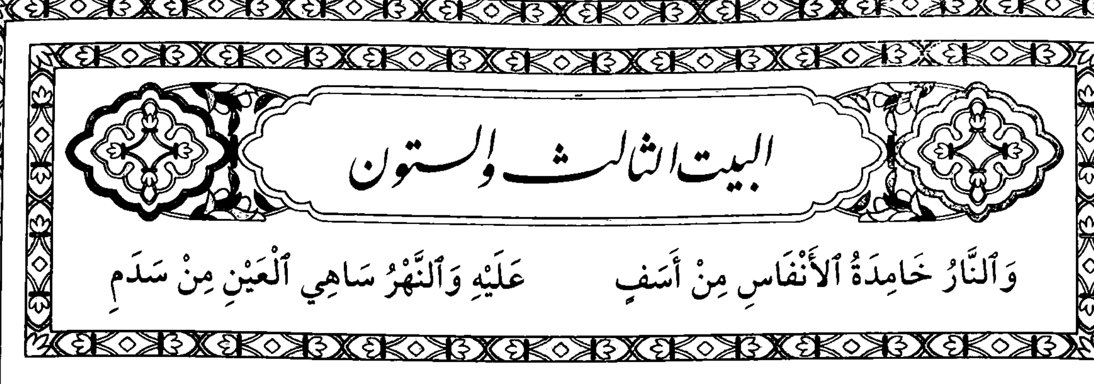


البيت الثاني والستون

وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَىٰ وَهْوَ مُنْصَدِعٌ ... كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَىٰ غَيْرَ مُلْتَئِمِ

ثمَّ عطفَ علىٰ (تفرَّسَ) قولَهُ : (وباتَ إيوانُ) مَلِكِ الفُرْسِ (كِسْرىٰ وهوَ مُنصَدِعٌ) أي : مُنشَقٌّ (كشَمْلِ أصحابِ كِسْرىٰ غيرَ مُلتئِمِ) أي : غيرَ مُجتمِعٍ .

* * *



(و) صارتِ (النارُ) التي يعبدُونَها في ذلكَ اليومِ (خامدةَ الأنفاسِ) لا لهبَ لها تلكَ الليلةَ ؛ (مِنْ أَسَفٍ عليهِ) أي : مِنْ حُزْنٍ على انصداعِ الإيوانِ .

هٰذا إن كانَ المرادُ بالأسفِ : الحُزْنَ ، وإن كانَ المرادُ بهِ : الغَضَبَ . . فالضميرُ عائدٌ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ لأنَّ ولادتَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سببٌ في تركِ عبادتِها ؛ وذلكَ أنَّهُ لمَّا وُلِدَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . ارتعدَ تلكَ الليلةَ إيوانُ كِسْرىٰ أَنُوشِرْوَانَ بنِ قُباذَ بنِ فَيْرُوزَ[1] ، وسقطَ مِنْ قَصْرِهِ أربعَ عشرةَ شُرَّافَةً[2] ، وكتبَ إليهِ صاحبُ فارسَ يُخبِرُهُ بأنَّ بُيوتَ النِّيرانِ قد خَمَدَتْ تلكَ الليلةَ ولم تَكُنْ خَمَدَتْ قبلَ ذلكَ بألفِ سنةٍ[3] .

---

(١) قوله : (قباذ) جاءت مضطربة في النسخ ، والمثبت من « تاج العروس » (٩/ ٥٤٤) ، مادة : (ق ب ذ) .

(٢) قوله : (شُرَّافة) قال ابن بري في « غلط الفقهاء » : (ص٢٦) : (صوابه : « شُرْفة » ، والجمع : « شُرُفات » و« شُرَف ») ، وفي سقوط الأربع عشرة شُرَّافة من قصره . . إشارةٌ إلىٰ أنه يملك منهم ملوك وملكات أربعة عشر ، علىٰ عدد الشرفات ، وقد ملكت منهم في أربع سنين عشرة ، ذكره ابن ظفر ، وزاد ابن سيد الناس : وملك الباقون إلىٰ خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه . انتهىٰ من هامش (د) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « دلائل النبوة » (٨٢) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (١/ ١٢٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١٩/٧٢) عن سيدنا هانئ المخزومي رضي الله عنه .

(و) صارَ (النهرُ) الذي بهِ قيامُهُم[1] (ساهي العينِ) تلكَ الليلةَ ؛ أي : سكنَتْ جِرْيةُ عينِهِ التي هيَ مادَّتُهُ ؛ (مِنْ سَدَمِ) أي : مِنْ ندمٍ وحُزنٍ .

ويحتملُ : أن يكونَ سكونُ العينِ مجازاً لعدمِ جِرْيةِ الماءِ ؛ لأنَّ الماءَ الجاريَ لا يسكنُ بل يَخلُفُ بعضُهُ بعضاً ؛ كالعينِ اليَقْظى ؛ فإنَّها تطرُفُ المرَّةَ بعدَ المرَّةِ .

وفي هـٰذينِ الآيتينِ إشارةٌ صُوفيَّةٌ[2] ؛ وهيَ أنَّهُ إذا صحَّتِ التوبةُ واستقامَتْ . . خَمَدَتْ أنفاسُ نارِ النفسِ الأمَّارةِ ، وسَهَتْ[3] عينُ نهرِها مِنَ الشهواتِ التي كانَتْ مُتواليةً عليها مثلَ توالي ماءِ النهرِ ؛ فلا يُرىٰ لنارِ غَضَبِها الذي كانَ اضطرامٌ ، ولا لماءِ خَمْرِها الذي أَلِفَتْ شُربَهُ انسجامٌ ؛ حُزْناً منها علىٰ إهمالِها ، فتعودُ مُرتاضةً ذَلولاً ساكنةً مُطمئنَّةً بعدَ أنْ كانَ رُكوبُها لا يُستطاعُ ؛ لتلاطمِ أمواجِ بحرِها ، ويَغيضُ ماءُ بحرِها الفيَّاضُ مِنَ الشَّهواتِ .

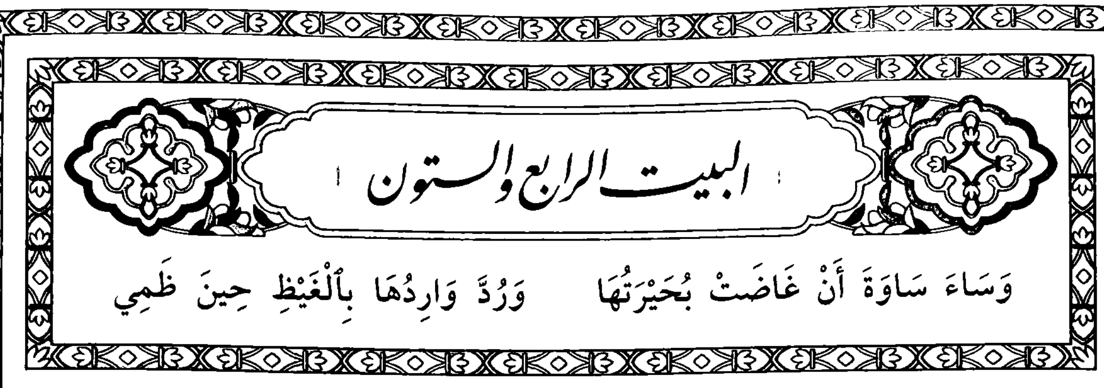
* * *

---

(١) في (هـ) : (يأتيهم) بدل (به قيامهم) .

(٢) قوله : (الآيتين) أي : آية خمود النار ، وآية سكون جري عين النهر ، وفي النسخ ما عدا (ب) : (البيتين) ، والمثبت أولىٰ ؛ لتناسب الإشارة مع البيت ، ولكون الإمام ابن مرزوق في « إظهار صدق المودة » (ق/١٧٧) قد جعل هـٰذه الإشارةَ الصوفيةَ لهـٰذا البيت خاصَّةً .

(٣) في (ب) : (وسكنت) ، وفي (هـ) : (وسلمت) ، والمثبت موافق لـ « إظهار صدق المودة » .



البيت الرابع والستون

وَسَاءَ سَاوَةَ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا ... وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالْغَيْظِ حِينَ ظَمِي

(و) مِنْ آياتِ ولادتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : يومٌ (ساءَ) أي : أَحْزَنَ أهلَ المدينةِ المدعوَّةِ (سَاوَةَ) وهيَ بينَ هَمَذَانَ والرَّيِّ . . (أَنْ غاضَتْ) بالضادِ المُعجَمةِ ؛ أي : نقصَتْ (بُحَيرَتُها) وجفَّتْ بحيثُ لم يبقَ فيها شيءٌ ، كذا قيلَ ؛ حتىٰ إنَّ لهيبَ النارِ يَنبُعُ مِنْ قَعْرِها كأنَّما طُبِخَ أرضُها خَزَفاً[1] ، وكانَتْ هـٰذهِ البحيرةُ بِرْكَةَ ماءٍ ، طولُها ستةُ أميالٍ ، وعَرْضُها مثلُ ذلكَ[2] .

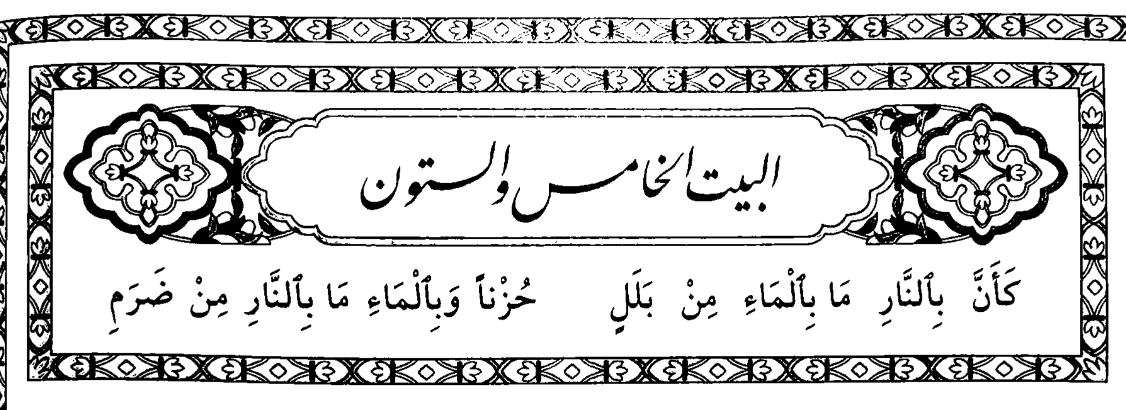
(و) كذا أحزنَها أيضاً أن (رُدَّ واردُها) الذي يأتي إليها ليستسقيَ مِنْ مائِها (بالغَيْظِ) أي : معَ الغيظِ (حينَ ظَمِي) .

وغَيْضُ الماءِ إنَّما كانَ مِنْ ولادتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وهوَ الذي أحزنَ ساوةَ ، وإسنادُ الحُزْنِ إلىٰ نفسِ النارِ والماءِ مجازٌ ، أو تنزيلٌ لهُما منزلةَ العاقلِ ، ويدلُّ عليهِ قولُهُ :

---

(١) في (ج ، هـ) : (حزناً) ، والصواب ما أثبت ، وهو موافق لـ « إظهار صدق المودة » أي : كأن أرضها وقعرها طُبخ فصار خزفاً لشدة لهيب النار النابع ، والخزف : هو كل ما عُمِلَ من طين وطبخ .

(٢) جفاف بحيرة ساوة ورد في حديث سيدنا هانئ المخزومي السابق قبل قليل .



(كأنَّ بالنارِ ما بالماءِ مِنْ بللٍ حُزْناً ، وبالماءِ ما بالنارِ مِنْ ضَرَمِ) أي : صارَتْ نارُ فارسَ التي خَمَدَتْ كأنَّ بها مِنَ الأوصافِ التي مِنْ جُمْلتِها البللُ مثلَ أوصافِ ماءِ بُحيرةِ ساوةَ قبلَ غَيْضِهِ ؛ أي : صَارتْ مُبتلَّةً باردةً كبَلَلِ ماءِ بُحيرةِ ساوةَ وبُرودتِهِ مِنَ الحُزْنِ ، وصارَ هوَ ـ أي : ماءُ بُحيرةِ ساوةَ الذي غاضَ حتىٰ جَفَّ مكانُهُ وصارَ يلتهبُ ـ . . كأنَّ بِهِ مِنَ الأوصافَ التي منها الضَّرَمُ مثلَ أوصافِ نارِ فارسَ قبلَ خمودِها مِنْ حُزْنِهِ أيضاً .

فالحاصلُ : أنَّ كلّاً مِنْ نارِ فارسَ وماءِ بُحيرةِ ساوةَ . . انتقلَ إلىٰ كلٍّ منهُما أوصافُ الآخرِ مِنَ الحُزْنِ علىٰ تغييرِ حالِ الكُفْرِ .

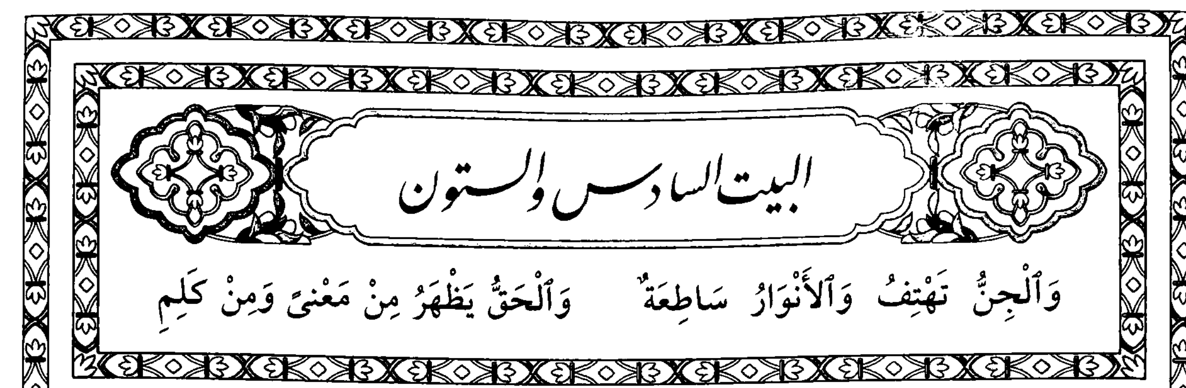
وخصَّ الناظمُ مِنْ أوصافِ الماءِ البللَ دونَ البُرودةِ مثلاً ، ومِنْ أوصافِ النارِ الاضطرامَ دونَ الحرارةِ مثلاً ؛ لأنَّ النارَ لا تبقىٰ حقيقتُها معَ الاتِّصافِ بالبللِ ؛ فإنَّها في غايةِ اليُبوسةِ ؛ فلذا تُفرِّقُ الأجزاءَ ، والبللُ يصلُ الأجزاءَ المُتفرِّقةَ كما يفعلُ الماءُ بالترابِ ، ووصفُها بالبردِ لا يُخرجُها عن حقيقتِها[1] ؛ قالَ تعالىٰ : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[2] ، فخاطبَ النارَ .

والماءُ أيضاً إذا اتَّصفَ بالاضطرامِ الذي هوَ غايةُ اليُبْسِ . . خرجَ عن حقيقتِهِ ؛ لحدوثِ التفريقِ فيهِ بعدَ الاتِّصالِ ، ووصفُهُ بالحرارةِ لا يُخرِجُهُ عن حقيقتِهِ ؛ لأنَّهُ يُقالُ : ماءٌ حارٌّ ، ولا يُقالُ : ماءٌ يُفرِّقُ الأجزاءَ .

---

(١) في (هـ) : (بالبرودة) بدل (بالبرد) .

(٢) سورة الأنبياء : (٦٩) .



البيت السادس والستون

وَٱلْجِنُّ تَهْتِفُ وَٱلْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ   وَٱلْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنىً وَمِنْ كَلِمِ

(و) صارتِ (**الجنُّ**) أولادُ إبليسَ لعنَهُ اللهُ عندَ ولادتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . (**تَهْتِفُ**) في تلكَ الليلةِ ؛ أي : تُصوِّتُ على الجبالِ وفي بُطونِ الأوديةِ ، وترفعُ أصواتَها بالإعلامِ بما أظلَّ الناسَ مِنْ نُبوَّتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(١) .

ويحتملُ : أن يكونَ معنىٰ (تَهْتِفُ) أي : تقولُ قولاً عن غيرِ تحقيقٍ ؛ وذلكَ أنَّها قبلَ ولادتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَتْ غيرَ ممنوعةٍ مِنِ استراقِ السمعِ ؛ ولذلكَ كثُرَ إصابةُ الكُهَّانِ في ذلكَ الوقتِ ؛ لأنَّهُم يسمعونَ مِنَ الملائكةِ ما يكونُ مِنَ الحادثاتِ في الأرضِ على التحقيقِ ، فلمَّا مُنِعُوا بعدَ ولادتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنِ استراقِ السمعِ بالشُّهُبِ إلا مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ . . جعلُوا يتكلَّمونَ مِنْ غيرِ تحقيقٍ ؛ ولذلكَ كذَبُوا بعدَ ولادتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

والمعنىٰ : وصارتِ الجنُّ يومَ ذلكَ تَهْتِفُ ؛ أي : تقولُ قولاً غيرَ مُحقَّقٍ ، شبَّهَ كلامَهُ(٢) الذي لا محصولَ لهُ بسماعِ صوتٍ مِنْ غيرِ تحقيقِ شخصٍ .

---

(١) هَتْفُ الجنِّ ورد من طرق عديدة ؛ ومنها : ما رواه ابن أبي الدنيا في « الهواتف » (٧٧) من حديث سيدنا عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه ، وعقد الشامي في « سيرته » (١/ ٤٢٤ـ٤٢٧) باباً في ذلك .

(٢) أي : المذكور ؛ وهو الجن ، وفي « **إظهار صدق المودة** » : (كلامها) ، وهو الأولىٰ .

فإن قيلَ : أمَّا حُزْنُ الجنِّ لمَبْعَثِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . فظاهرٌ ؛ لأنَّ أكثرَهُم عُصاةٌ ، وأمَّا انصداعُ إيوانِ كِسْرىٰ . . فإهانةٌ لهُ وذُلٌّ وصَغارٌ كسائرِ الملوكِ فيما أصابَهُم حينَئذٍ .

وأمَّا خمدُ النارِ ، واضطرامُ مكانِ الماءِ بعدَ غَيْضِهِ . . فإنَّما يحسُنُ ذلكَ إن كانَ لإهانتِهِم كانصداعِ الإيوانِ ، لـٰكنَّ الناظمَ إنَّما قالَ : كانَ ذلكَ فيهِما مِنْ حُزْنِهِما ، وذلكَ لا يَصِحُّ ؛ فإنَّ الجماداتِ وكلَّ ما لا يعقلُ لا يُوصَفُ بالكُفْرِ ومُشَاقَّةِ اللهِ ورسولِهِ ، بل كلُّها مُنقادَةٌ خاضعةٌ لأمرِ اللهِ تعالىٰ ، ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ، ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ؛ فاللائقُ بالناظمِ أن يقولَ : (مِنْ فَرَحٍ) .

فالجوابُ : إن كانَ المرادُ أهلَ النارِ وأهلَ ساوةَ . . فلا إشكالَ ، وإن كانَ المرادُ ذاتَهُما[1] . . فيكونُ حُزْنُ النارِ علىٰ نفسِها مِنْ أجلِ أنَّها لا تُوقَدُ ، والماءِ مِنْ أجلِ أنَّهُ لا يجري ، وإن كانا [فرحَينِ] بولادتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[2] .

وأيضاً : فهوَ إنَّما قالَ : (كأنَّ) ، فشبَّهَ حالَهُما بحالِ الحزينِ .

(والأنوارُ) المحسوسةُ التي ظهرتْ عندَ ولادتِهِ لأمِّهِ (ساطعةٌ) فيها ؛ أي : مُرتفِعةٌ ، ويحتملُ : أن يكونَ مُرادُهُ الآياتِ المذكورةَ وغيرَها ؛ سمَّاها أنواراً ؛ لأنَّها تَهْدِي سبيلَ الحقِّ ، كما يَهْدِي النُّورُ سبيلَ الحُسْنِ .

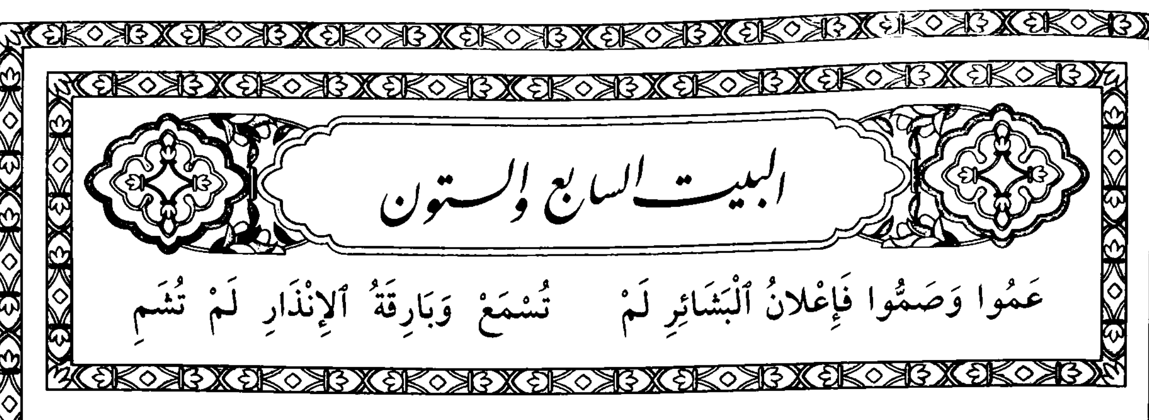
(والحقُّ يَظْهَرُ مِنْ معنىً ومِنْ كَلِمِ) أي : مِنْ ألفاظِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

* * *

---

(١) أي : النار وساوة .

(٢) في النسخ : (في خير) بدل (فرحين) ، ولعل المثبت هو الصواب كما في « إظهار صدق المودة » .



البيت السابع والستون

عَمُوا وَصَمُّوا فَإِعْلانُ ٱلْبَشَائِرِ لَمْ   تُسْمَعْ وَبَارِقَةُ ٱلإِنْذَارِ لَمْ تُشَمِ

ولا شَكَّ أنَّ الكُفَّارَ الذينَ لم يُؤمِنوا بهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعدَما عاينوا مِنْ آياتِ مَوْلِدِهِ ومَبْعثِهِ القاطعةِ . . (عَمُوا وصَمُّوا) أي : هم كالعُمْيِ في كونِهِم لم ينتفعوا بما شاهدوا مِنْ مُعْجزاتِهِ ؛ لأنَّ ثمرةَ الإبصارِ الجَرْيُ علىٰ شاكلةِ المُبصَرِ ، وكالصُّمِّ في كونِهِم لم ينتفعوا بما تواترَ عندَهُم مِنْ آياتِهِ ، والتواترُ يقومُ مَقامَ المُعايَنةِ في إفادةِ العلمِ ؛ لأنَّ العلمَ الحاصلَ بهِ مِنَ الضروريَّاتِ .

وكأنَّهُ قسَّمَهُم : إلىٰ مَنْ حَضَرَ وشاهدَ ؛ لأنَّهُ لم يُقِرَّ بمُقتضىٰ ما رأىٰ ، وهٰؤلاءِ همُ الذينَ أَخبرَ عنهُم بأنَّهُم عَمُوا ، وإلىٰ مَنْ لم يحضُرْ ، لٰكن تواترَتْ عندَهُ الأخبارُ ، فلم يُصدِّقْ ، وهٰؤلاءِ همُ الذينَ أخبرَ عنهُم أنَّهُم صَمُّوا .

ثمَّ قالَ : (فإعلانُ) أي : إظهارُ (البشائرِ) بصِحَّةِ رسالتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وإشاعتُها ؛ كسُطُوعِ الأنوارِ ، وإخبارِ الكُهَّانِ ، وهَتْفِ الجانِّ . . (لم تُسمَعْ ، وبارقةُ الإنذارِ) بهِ (لم تُشَمِ) أي : ما لاحَ لهُم ممَّا أنذرَهُم بانقضاءِ دَوْلَةِ الكُفَّارِ وإذلالِ أهلِهِ الذي هوَ شبيهٌ بإشهارِ السُّيوفِ يُضرَبُ مَنْ لم يدخُلْ في الطاعةِ بها ، أو كالبرقِ المُنذِرِ بنزولِ الصَّواعقِ[1] ،

---

(١) في (ب ، ج ، د ، و) : (بزوال) بدل (بنزول) ، وفي (هـ) : (بحال) ، والمثبت من (أ) ، وهو موافق لـ « إظهار صدق المودة » .

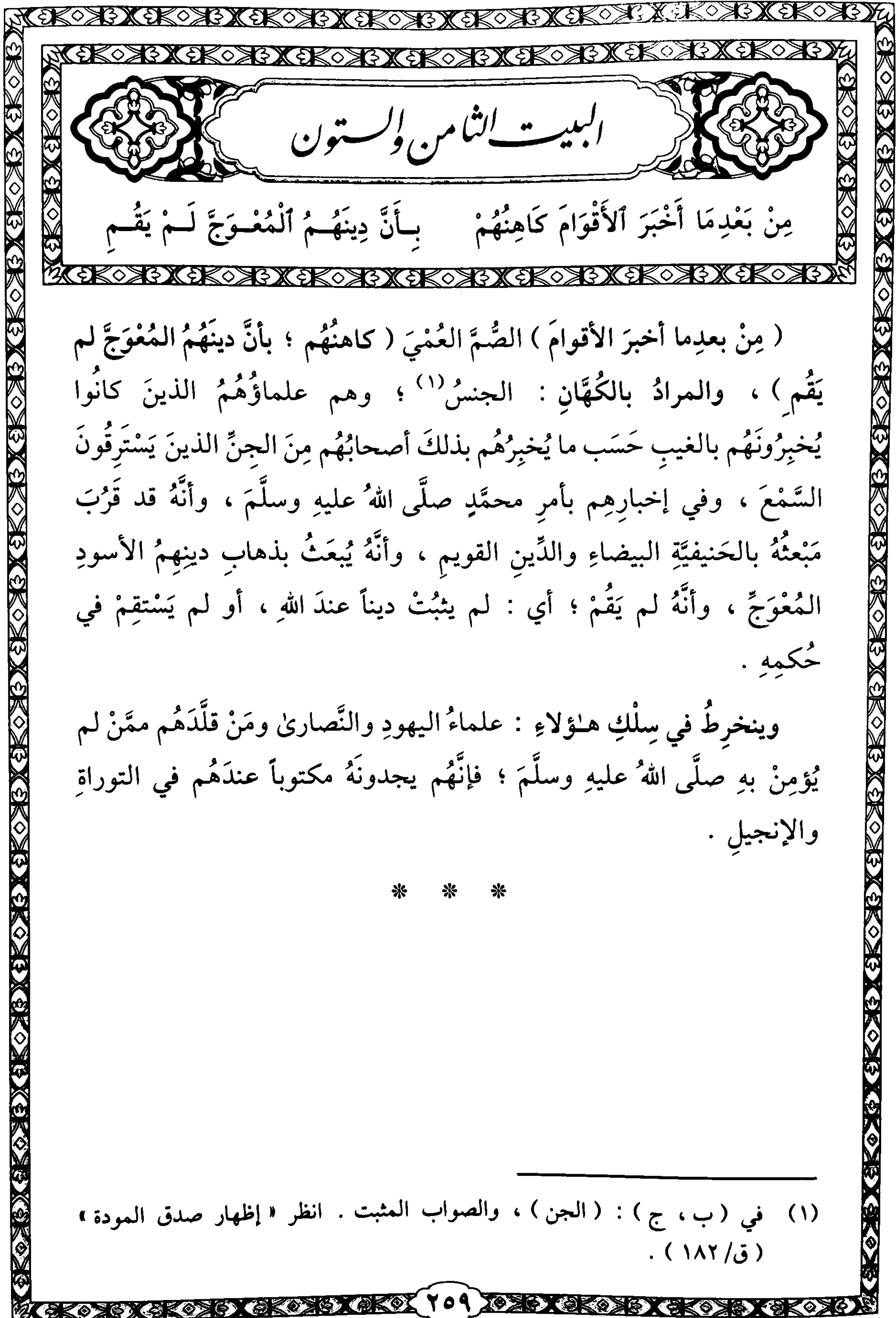
وكانقضاضِ الشُّهُبِ المُنذِرِ بأمرٍ عظيمٍ بخرابِ الدُّنيا أو غيرِه[1] ؛ وذلكَ كصَدْعِ الإيوانِ وخُمودِ النِّيرانِ وغَيْضِ الأنهارِ . . كأنَّ حاضرَ ذلكَ لم يَرَهُ ؛ وهوَ معنىٰ (لم تُشَمِ) أي : لم يُنظَرْ إليها .

وبناءُ (تُسمَعُ) و(تُشَمِ) للمفعولِ . . تنبيهٌ علىٰ تمكُّنِ العمىٰ والصَّمَمِ منهُم ؛ حتىٰ لم يكُنْ منهُم في الوجودِ مَنْ يتَّصِفُ بضدِّهِما ، وكأنَّ عَمَاهُم عمَّا شاهدُوا مِنَ الآياتِ ، وصَمَمَهُم عمَّا سمعُوا منها .

* * *

---

(١) في (د) و« إظهار صدق المودة » : (كخراب) بدل (بخراب) ، والمثبت بدل من قوله : (بأمر) .



البيت الثامن والستون

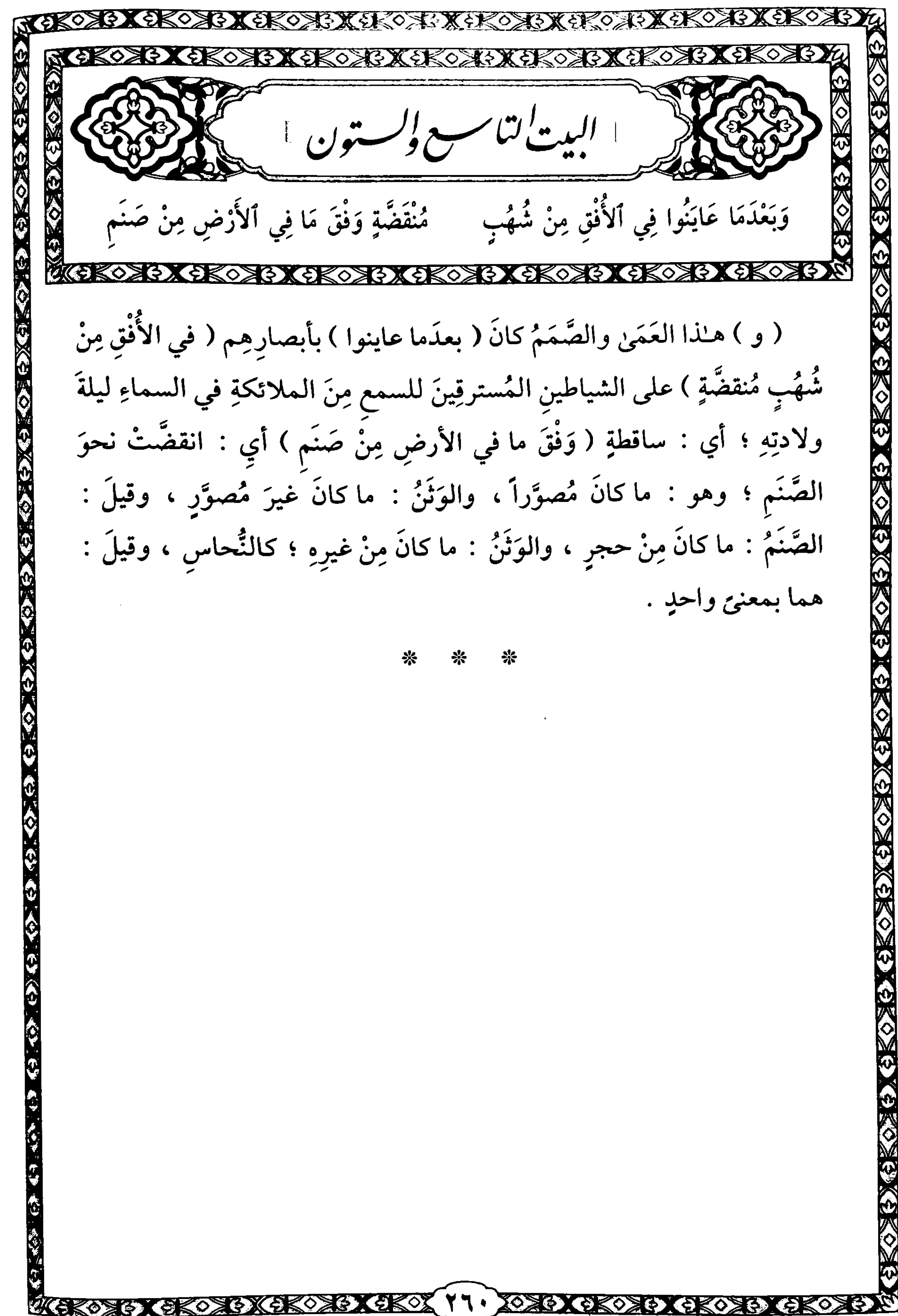
مِنْ بَعْدِمَا أَخْبَرَ ٱلأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ ... بِـأَنَّ دِينَهُـمُ ٱلْمُعْـوَجَّ لَـمْ يَقُـمِ

(مِنْ بعدِما أخبرَ الأقوامَ) الصُّمَّ العُمْيَ (كاهنُهُم ؛ بأنَّ دينَهُمُ المُعْوَجَّ لم يَقُمِ) ، والمرادُ بالكُهَّانِ : الجنسُ[1] ؛ وهم علماؤُهُمُ الذينَ كانُوا يُخبِرُونَهُم بالغيبِ حَسَبَ ما يُخبِرُهُم بذلكَ أصحابُهُم مِنَ الجِنِّ الذينَ يَسْتَرِقُونَ السَّمْعَ ، وفي إخبارِهِم بأمرِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأنَّهُ قد قَرُبَ مَبْعثُهُ بالحَنيفيَّةِ البيضاءِ والدِّينِ القويمِ ، وأنَّهُ يُبعَثُ بذهابِ دينِهِمُ الأسودِ المُعْوَجِّ ، وأنَّهُ لم يَقُمْ ؛ أي : لم يثبُتْ ديناً عندَ اللهِ ، أو لم يَسْتقِمْ في حُكمِهِ .

وينخرِطُ في سِلْكِ هٰؤلاءِ : علماءُ اليهودِ والنَّصارىٰ ومَنْ قلَّدَهُم ممَّنْ لم يُؤمِنْ بهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنَّهُم يجدونَهُ مكتوباً عندَهُم في التوراةِ والإنجيلِ .

* * *

(1) في (ب ، ج) : (الجن) ، والصواب المثبت . انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ١٨٢) .

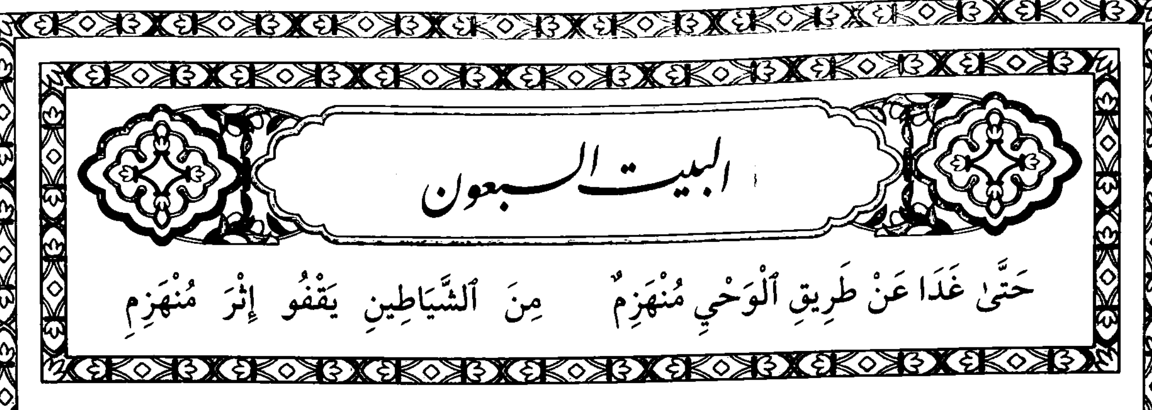


البيت التاسع والستون

وَبَعْدَمَا عَايَنُوا فِي ٱلْأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ ... مُنْقَضَّةٍ وَفْقَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ صَنَمِ

(و) هـٰذا العَمَىٰ والصَّمَمُ كانَ (بعدَما عاينوا) بأبصارِهِم (في الأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ مُنقضَّةٍ) على الشياطينِ المُسترقِينَ للسمعِ مِنَ الملائكةِ في السماءِ ليلةَ ولادتِهِ ؛ أي : ساقطةٍ (وَفْقَ ما في الأرضِ مِنْ صَنَم) أيِ : انقضَّتْ نحوَ الصَّنَمِ ؛ وهو : ما كانَ مُصوَّراً ، والوَثَنُ : ما كانَ غيرَ مُصوَّرٍ ، وقيلَ : الصَّنَمُ : ما كانَ مِنْ حجرٍ ، والوَثَنُ : ما كانَ مِنْ غيرِهِ ؛ كالنُّحاسِ ، وقيلَ : هما بمعنىً واحدٍ .

* * *



البيت السبعون

حَتَّىٰ غَدَا عَنْ طَرِيقِ ٱلْوَحْيِ مُنْهَزِمٌ ... مِنَ ٱلشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ

ولم تزَلِ الشُّهُبُ تنقضُّ جهةَ الأصنامِ ؛ وهي جهةُ الشياطينِ (حتىٰ غدا) أي : سارَ (عن طريقِ الوحيِ) الذي يأتي بهِ المَلَكُ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (مُنهَزِمٌ مِنَ الشياطينِ يقفو) أي : يَتْبَعُ (إِثْرَ مُنهَزِم) منهُم .

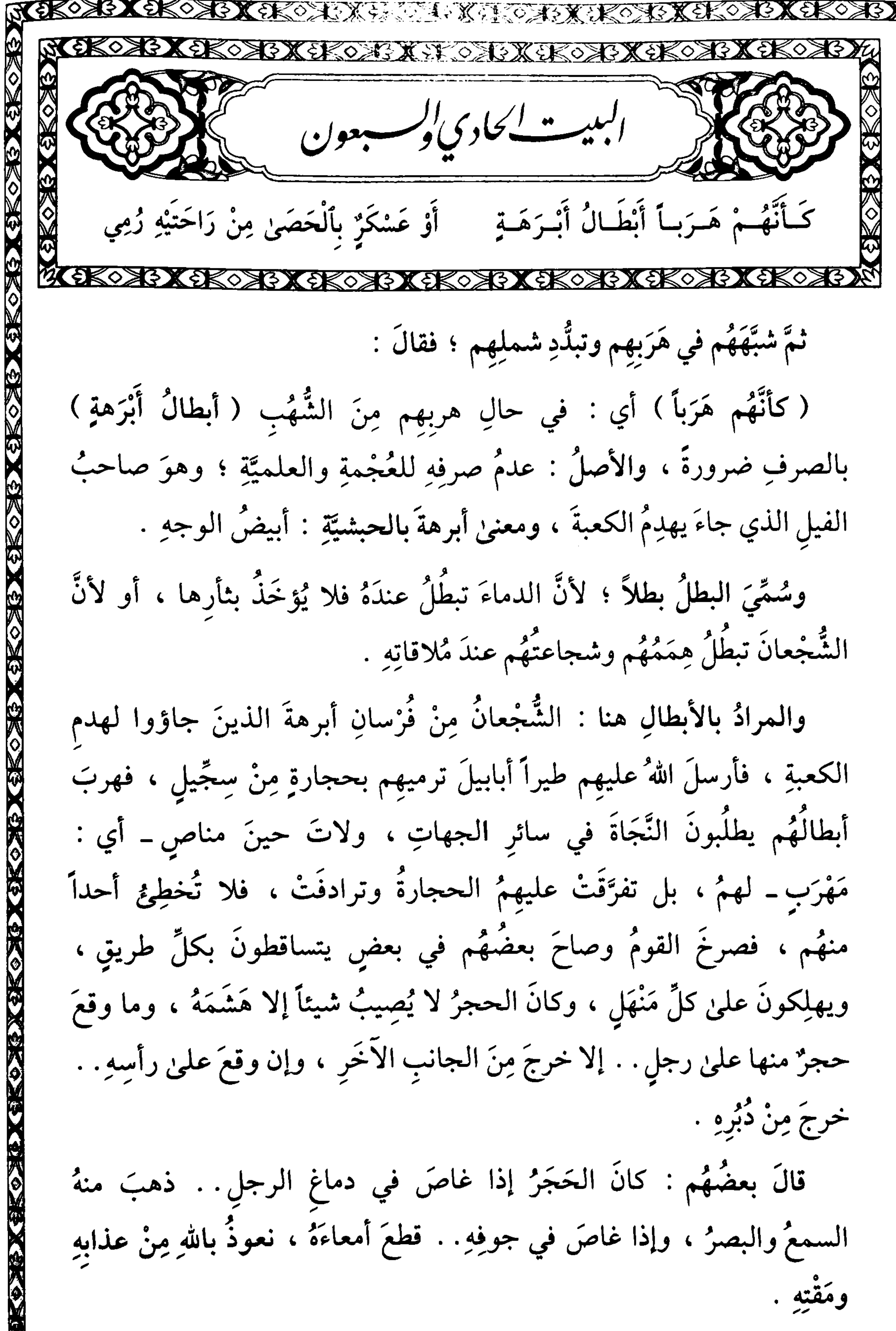
فلم يقعُدْ بعدَ مبعثِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أحدٌ منهُم علىٰ طريقِ الوحيِ يسمعُ منهُ ما تتكلَّمُ بهِ الملائكةُ عندَما يقضي اللهُ الأمرَ ؛ كأنَّهُ سلسلةٌ علىٰ صفوانٍ ، كما وردَ في الصحيحِ[1] .

ومرادُهُ بقولِهِ : (مُنهَزِمٌ . . . إِثْرَ مُنهَزِمِ) جنسُ المُنهزمينَ ، والمرادُ بالإفرادِ : التكثيرُ والترتيبُ شيئاً بعدَ شيءٍ ؛ أي : فلم يَزَلْ دَأْبُهُم علىٰ تعاقُبِ الأوقاتِ الفرارَ والانهزامَ ، ودَأْبُ الشُّهُبِ الانقضاضَ خلفَهُم والازدحامَ .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « إرشاد الساري » للشارح (٧/ ١٩٢) .



البيت الحادي والسبعون

كَـأَنَّهُـمْ هَـرَبـاً أَبْطَـالُ أَبْـرَهَـةٍ ... أَوْ عَسْكَرٌ بِالْحَصَىٰ مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي

ثمَّ شبَّهَهُم في هَرَبِهِم وتبدُّدِ شملِهِم ؛ فقالَ :

(كأنَّهُم هَرَباً) أي : في حالِ هربِهِم مِنَ الشُّهُبِ (أبطالُ أَبْرَهةٍ) بالصرفِ ضرورةً ، والأصلُ : عدمُ صرفِهِ للعُجْمةِ والعلميَّةِ ؛ وهوَ صاحبُ الفيلِ الذي جاءَ يهدِمُ الكعبةَ ، ومعنىٰ أبرهةَ بالحبشيَّةِ : أبيضُ الوجهِ .

وسُمِّيَ البطلُ بطلاً ؛ لأنَّ الدماءَ تبطُلُ عندَهُ فلا يُؤخَذُ بثأرِها ، أو لأنَّ الشُّجْعانَ تبطُلُ هِمَمُهُم وشجاعتُهُم عندَ مُلاقاتِهِ .

والمرادُ بالأبطالِ هنا : الشُّجْعانُ مِنْ فُرْسانِ أبرهةَ الذينَ جاؤوا لهدمِ الكعبةِ ، فأرسلَ اللهُ عليهِم طيراً أبابيلَ ترميهِم بحجارةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ، فهربَ أبطالُهُم يطلُبونَ النَّجاةَ في سائرِ الجهاتِ ، ولاتَ حينَ مناصٍ ـ أي : مَهْرَبٍ ـ لهمُ ، بل تفرَّقَتْ عليهِمُ الحجارةُ وترادفَتْ ، فلا تُخطِئُ أحداً منهُم ، فصرخَ القومُ وصاحَ بعضُهُم في بعضٍ يتساقطونَ بكلِّ طريقٍ ، ويهلِكونَ علىٰ كلِّ مَنْهَلٍ ، وكانَ الحجرُ لا يُصيبُ شيئاً إلا هَشَمَهُ ، وما وقعَ حجرٌ منها علىٰ رجلٍ . . إلا خرجَ مِنَ الجانبِ الآخَرِ ، وإن وقعَ علىٰ رأسِهِ . . خرجَ مِنْ دُبُرِهِ .

قالَ بعضُهُم : كانَ الحَجَرُ إذا غاصَ في دماغِ الرجلِ . . ذهبَ منهُ السمعُ والبصرُ ، وإذا غاصَ في جوفِهِ . . قطعَ أمعاءَهُ ، نعوذُ باللهِ مِنْ عذابِهِ ومَقْتِهِ .

وأرسلَ اللهُ تعالىٰ علىٰ أَبْرَهَةَ داءً في جَسَدِهِ ، فجعلَتْ أناملُهُ تتساقطُ ، وما ماتَ حتى انشقَّ صدرُهُ عن قلبِهِ ، عافانا اللهُ مِنْ بَلائِهِ .

هٰذا مُلخَّصُ هٰذهِ القصَّةِ ، وفي بَسْطِها طُولٌ يُخرجُ عنِ المقصودِ[1] .

وشبَّهَهُم أيضاً في هَرَبِهِم بقولِهِ :

(أو عسكرٍ بالحصىٰ) التي هيَ حجارةٌ صِغارٌ صُلْبةٌ (مِنْ راحتَيْهِ) الشريفتَينِ (رُمي) وهمُ الذينَ جاهدَهُم صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في غزوةِ حُنينٍ وقد حشدوا لهُ[2] ، فأخذَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كفّاً مِنْ حصىً ورمىٰ بهِ في وجهِ ذلكَ الجمعِ العظيمِ ، فلم يبقَ أحدٌ منهُم إلا أصابَهُ منهُ في عينَيْهِ وولَّوا هاربينَ ، وكانَ الكُفَّارُ يومَئذٍ ما بينَ التسعِ مئةٍ إلى الألفِ، فانهزموا، وتَبِعَهُمُ المؤمنونَ يقتلونَهُم ويأْسِرُونَهُم[3] .

فتقديرُ كلامِ الناظمِ : كأنَّ الشياطينَ حالةَ كونِهِم هاربينَ مِنِ انقضاضِ الشُّهُبِ خلفَهُم . . أبطالُ أَبْرَهَةَ حينَ ولَّوا هاربينَ مِنِ انقضاضِ الحجارةِ عليهِم[4] ، أو كأنَّهُم عسكرٌ ـ إن رفعْنا عسكراً عطفاً علىٰ (أبطالُ) ـ أو كأنَّهُم أبطالُ [عسكرٍ][5] ـ إن خفضْناهُ عطفاً علىٰ أبرهةَ ـ حين ولَّوا هاربينَ مِنْ رميهِ بالحصىٰ مِنْ راحتَيْهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

---

(١) انظر « سيرة ابن هشام » (١/ ٤٥ـ٥٤) ، و« البداية والنهاية » (٢/ ١٧٠ـ١٧٤) .

(٢) في (و) : (حُشِروا) بدل (حشدوا) .

(٣) أخرجه مسلم (١٧٧٥ ، ١٧٧٧) ، وانظر تفصيل معركة حنين في « البداية والنهاية » (٤/ ٣٢٢) وما بعدها .

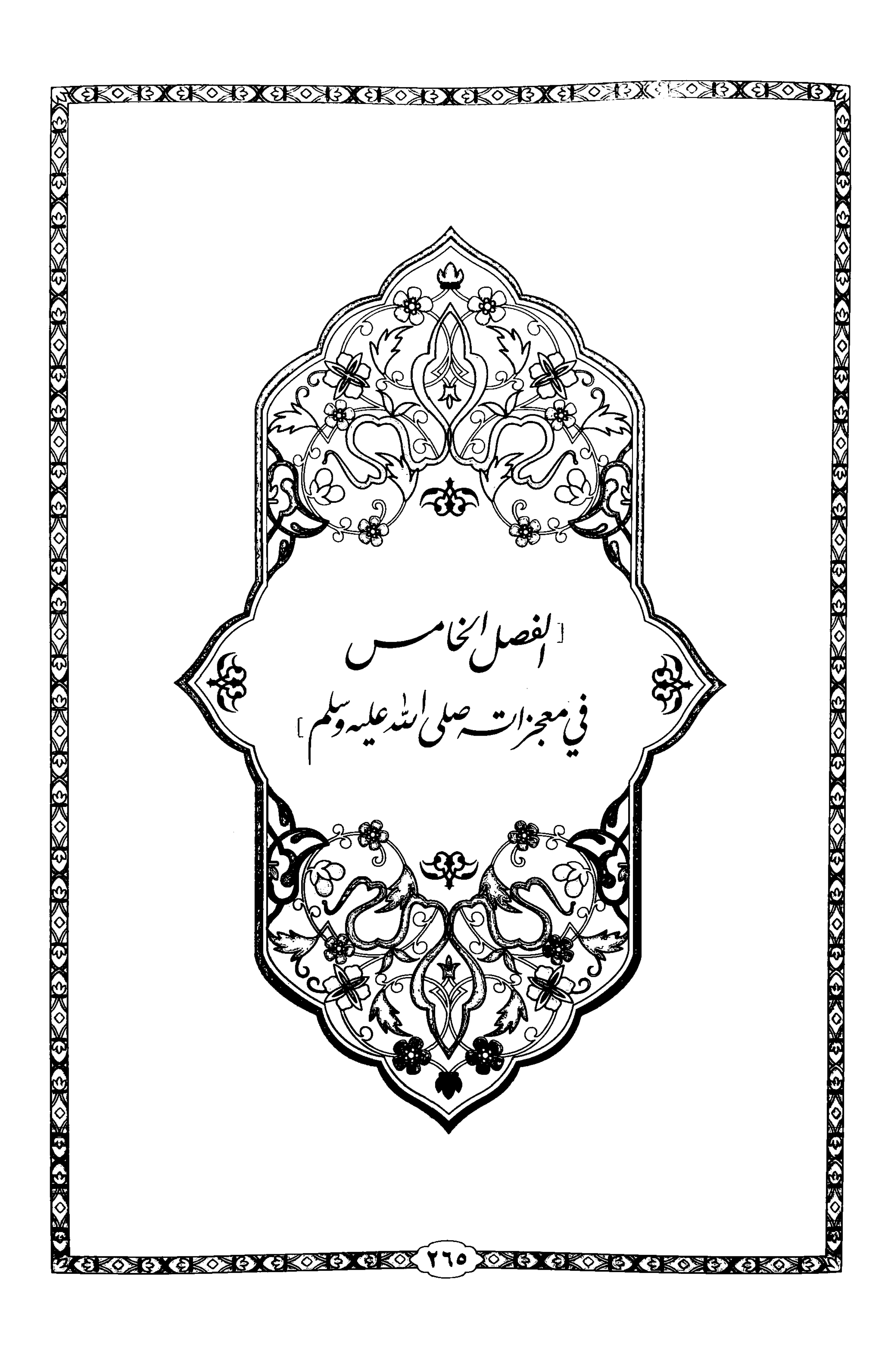
(٤) قوله : (الشهب خلفهم . . . من انقضاض) سقط من (ج ، هـ) ، وانظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ١٨٣) .

(٥) في النسخ : (أبرهة) بدل (عسكر) ، والمثبت من « إظهار صدق المودة » .

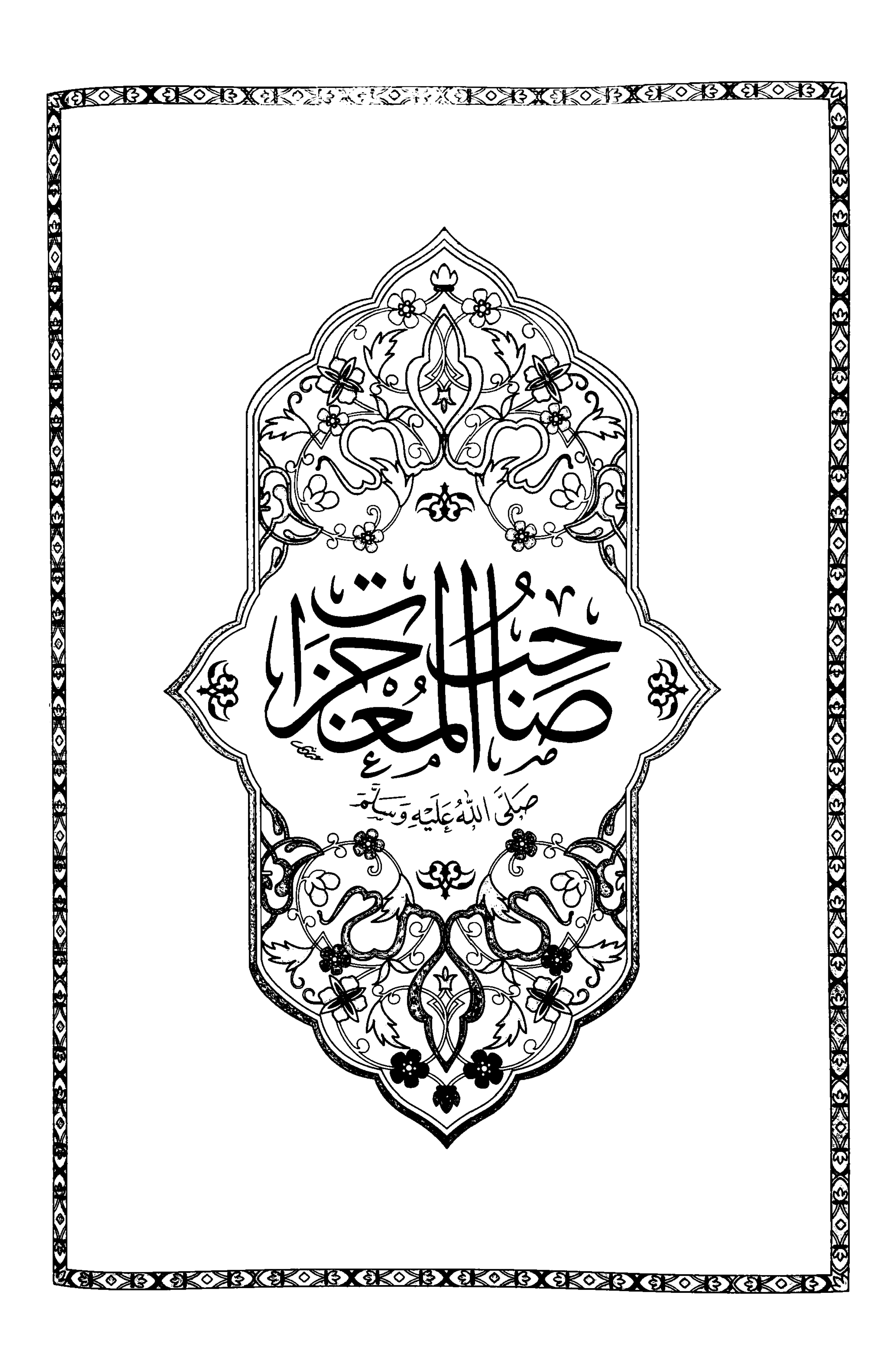
وإنَّما قالَ : (رُمِي) بالبناءِ للمفعولِ ؛ تنبيهاً على أنَّ ذلكَ الرَّمْيَ وإن باشرتْهُ كَفَّاهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . فالرامي بهِ حقيقةً هوَ اللهُ تعالى ؛ قالَ تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[1] .

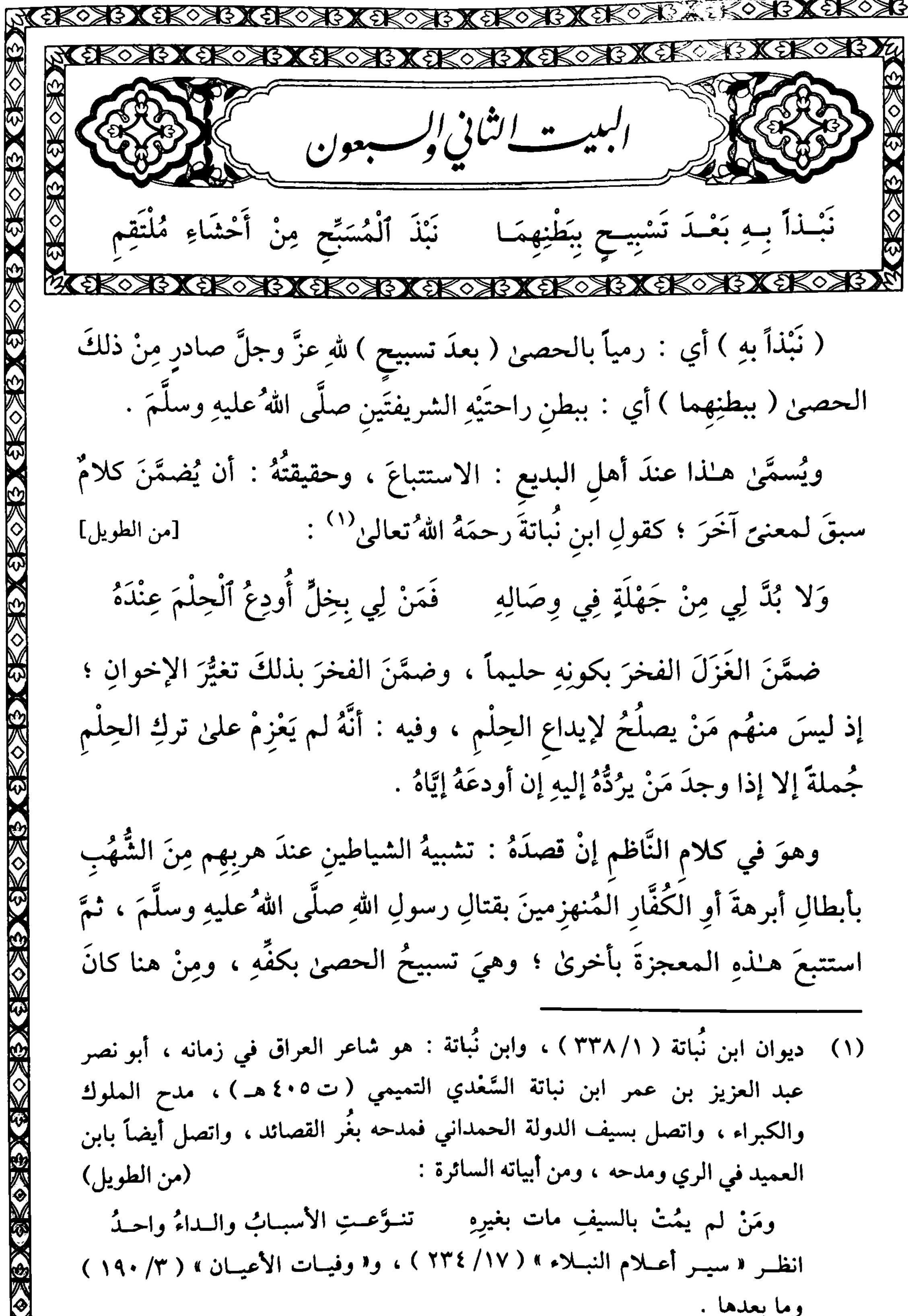
* * *

(١) سورة الأنفال : (١٧) .



[الفصل الخامس
في معجزاته صلى الله عليه وسلم]


صاحب المعجزات
صلى الله عليه وسلم



البيت الثاني والسبعون

نَبْذاً بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا ... نَبْذَ الْمُسَبِّحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ

(نَبْذاً بهِ) أي : رمياً بالحصىٰ (بعدَ تسبيحٍ) للهِ عزَّ وجلَّ صادرٍ مِنْ ذلكَ الحصىٰ (ببطنِهما) أي : ببطنِ راحتَيْهِ الشريفتَينِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

ويُسمَّىٰ هٰذا عندَ أهلِ البديعِ : الاستتباعَ ، وحقيقتُهُ : أن يُضمَّنَ كلامٌ سبقَ لمعنىً آخَرَ ؛ كقولِ ابنِ نُباتةَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ[1] : [من الطويل]

وَلا بُدَّ لِي مِنْ جَهْلَةٍ فِي وِصَالِهِ ... فَمَنْ لِي بِخِلٍّ أُودِعُ الْحِلْمَ عِنْدَهُ

ضمَّنَ الغزَلَ الفخرَ بكونِهِ حليماً ، وضمَّنَ الفخرَ بذلكَ تغيُّرَ الإخوانِ ؛ إذ ليسَ منهُم مَنْ يصلُحُ لإيداعِ الحِلْمِ ، وفيه : أنَّهُ لم يَعْزِمْ علىٰ تركِ الحِلْمِ جُملةً إلا إذا وجدَ مَنْ يرُدُّهُ إليهِ إن أودعَهُ إيَّاهُ .

وهوَ في كلامِ النَّاظمِ إنْ قصدَهُ : تشبيهُ الشياطينِ عندَ هربِهِم مِنَ الشُّهُبِ بأبطالِ أبرهةَ أوِ الكُفَّارِ المُنهزِمينَ بقتالِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ استتبعَ هٰذهِ المعجزةَ بأخرىٰ ؛ وهيَ تسبيحُ الحصىٰ بكفِّهِ ، ومِنْ هنا كانَ

---

(١) ديوان ابن نُباتة (١/٣٣٨) ، وابن نُباتة : هو شاعر العراق في زمانه ، أبو نصر عبد العزيز بن عمر ابن نباتة السَّعْدي التميمي (ت ٤٠٥ هـ) ، مدح الملوك والكبراء ، واتصل بسيف الدولة الحمداني فمدحه بغُر القصائد ، واتصل أيضاً بابن العميد في الري ومدحه ، ومن أبياته السائرة : (من الطويل)

ومَنْ لم يمُتْ بالسيفِ مات بغيرِهِ ... تنوَّعتِ الأسبابُ والداءُ واحدُ

انظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٢٣٤) ، و« وفيات الأعيان » (٣/ ١٩٠) وما بعدها .

في قولِهِ : (نَبْذاً) استتباعٌ ؛ وهوَ المدحُ بشيءٍ علىٰ وجهٍ يستتبعُ المدحَ بآخرَ .

وأشارَ بما ذكرَهُ : إلىٰ ما رَوَيْناهُ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (أخذَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كفّاً مِنْ حصىً ، فسبَّحْنَ في يدِهِ الشريفةِ حتىٰ سَمِعْنا التسبيحَ ، ثمَّ صبَّهُنَّ في يدِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، فسبَّحْنَ ، ثمَّ في أيدينا فما سبَّحْنَ)[1] .

فإن قيلَ : ظاهرُ النَّظْمِ : أنَّ الحصى التي رمىٰ بها الكُفَّارَ هيَ التي سبَّحَتْ ، وأنَّ الرَّمْيَ بها كانَ بعدَ تسبيحِها بباطنِ كفِّهِ ، وما رُوِيَ عن أنسٍ إنَّما يدُلُّ علىٰ أنَّ الحصىٰ سَبَّحَ في كفِّهِ في الجُملةِ .

فالجوابُ : أنَّهُ يحتملُ : أن يكونَ الناظمُ رحمَهُ اللهُ وإيَّانا اطَّلعَ علىٰ أنَّها سبَّحَتْ في هٰذا المَوْطِنِ ؛ فإن كانَ هٰذا .. فلا إشكالَ ، وإلا .. كانَ قولُهُ : (بعدَ) لترتيبِ الإخبارِ ، كما قالَ النُّحاةُ في (ثُمَّ) في نحوِ قولِهِ[2] : [من الخفيف]

إنَّ مَـنْ سَـادَ ثُـمَّ سَـادَ أَبُـوهُ . . . .

والمعنىٰ عندَ الناظمِ : أنَّهُ قصدَ الإخبارَ بخَرْقِ العادةِ في كونِ حصى الكفَّينِ أصابَ الجمعَ العظيمَ ، ثمَّ كأنَّهُ يقولُ : وهٰذا الإخبارُ الغريبُ كانَ

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٩/ ١٢٠) ، وأخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١٢٤٤) من حديث سيدنا أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .

(٢) صدر بيت لأبي نواس في « ديوانه » (ص١٢٢) ، وعجزه :

. . . . قبلَـهُ ثـمَّ قبـلَ ذلـكَ جـدُّهْ

وقوله : (كما قال النحاة) أي : تمثيلاً ، لا استدلالاً واستشهاداً ؛ لأن أبا نُواسٍ من الشعراء المُولَّدين الذين جاؤوا بعد عصر الاحتجاج .

بعدَ إخبارٍ آخَرَ غريبٍ وقعَ لهُ في الحصىٰ خارقٍ للعادةِ ؛ وهوَ كونُهُ سبَّحَ في كفِّهِ .

والتسبيحُ : التنزيهُ ، قالَ الجوهريُّ : (سبحانَ اللهِ : معناهُ : التنزيهُ للهِ تعالىٰ)[1] ، وهوَ اسمُ مصدرٍ على الصحيحِ ، وفي استيفاءِ الكلامِ علىٰ مادَّتِهِ طُولٌ ذكرتُ نُبذةً منها في كتابِ « بهجةِ السامعِ والقاري في خَتْمِ صحيحِ البخاريِّ »[2] .

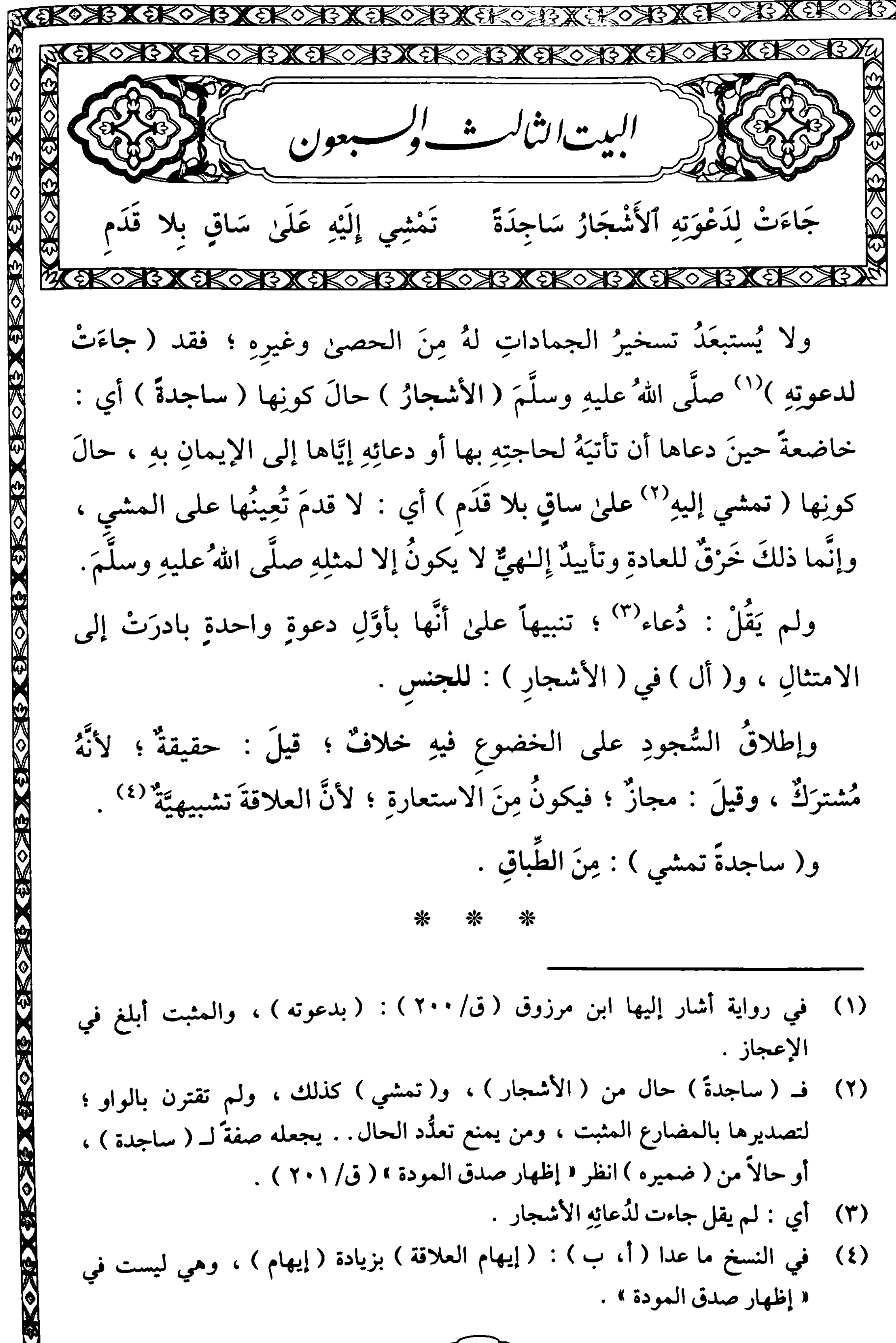
وهـٰذا النَّبْذُ الحاصلُ في الحصىٰ بعدَ تسبيحِهِ في بُطُونِ الكفِّ ، وكونُهُ معَ قلَّتِهِ عمَّ الجيشَ الكثيرَ الذي لا يكادُ يُحصَرُ . . يُشبِهُ (نَبْذَ المُسبِّحِ) يُونُسَ عليهِ السلامُ (في أحشاءِ مُلتَقِم) لهُ ؛ وهوَ الحوتُ ؛ لأنَّهُ نُبِذَ مِنْ أحشاءِ الحوتِ مِنْ قَعْرِ البحرِ سالماً لم تطبخْهُ حرارةُ مَعِدةِ الحوتِ بعدَ إقامتِهِ في أحشائِهِ مُدَّةً يُطبَخُ فيها ما حَصَلَ في ذلكَ المكانِ ممَّا هوَ أكثفُ منهُ ، وهـٰذا نظيرُ عمومِ قِلَّةِ الحصىٰ للعددِ الكثيرِ ؛ إذِ الكُلُّ مِنْ قدرتِهِ سبحانَهُ .

* * *

---

(١) الصحاح (١/ ٣٧٢) ، مادة : (س ب ح) .

(٢) بهجة السامع والقاري (ق/ ١١)، وقد ذكر هـٰذا المُؤلَّفَ الشارح في « المواهب اللدنية » (٢/ ٦٤٦) ، و«النور الساطع» (ق/ ٣٣٥) ، والسخاوي في « الضوء اللامع » (٢/ ١٠٤) أثناء سرد مؤلفات القسطلاني باسم : « تحفة السامع » بدل « بهجة السامع » ، وكذلك جاء اسمه على طرة المخطوط ، وهو عبارة عن كرَّاس .



البيت الثالث والسبعون

جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ ٱلْأَشْجَارُ سَاجِدَةً ... تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَىٰ سَاقٍ بِلا قَدَمِ

ولا يُستبعَدُ تسخيرُ الجماداتِ لهُ مِنَ الحصىٰ وغيرِهِ ؛ فقد (جاءَتْ لدعوتِهِ)[1] صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (الأشجارُ) حالَ كونِها (ساجدةً) أي : خاضعةً حينَ دعاها أن تأتيَهُ لحاجتِهِ بها أو دعائِهِ إيَّاها إلى الإيمانِ بهِ ، حالَ كونِها (تمشي إليهِ[2] علىٰ ساقٍ بلا قَدَمِ) أي : لا قدمَ تُعِينُها على المشيِ ، وإنَّما ذلكَ خَرْقٌ للعادةِ وتأييدٌ إلـٰهيٌّ لا يكونُ إلا لمثلِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

ولم يَقُلْ : دُعاء[3] ؛ تنبيهاً علىٰ أنَّها بأوَّلِ دعوةٍ واحدةٍ بادرَتْ إلى الامتثالِ ، و(أل) في (الأشجارِ) : للجنسِ .

وإطلاقُ السُّجودِ على الخضوعِ فيهِ خلافٌ ؛ قيلَ : حقيقةٌ ؛ لأنَّهُ مُشترَكٌ ، وقيلَ : مجازٌ ؛ فيكونُ مِنَ الاستعارةِ ؛ لأنَّ العلاقةَ تشبيهيَّةٌ[4] .

و(ساجدةً تمشي) : مِنَ الطِّباقِ .

* * *

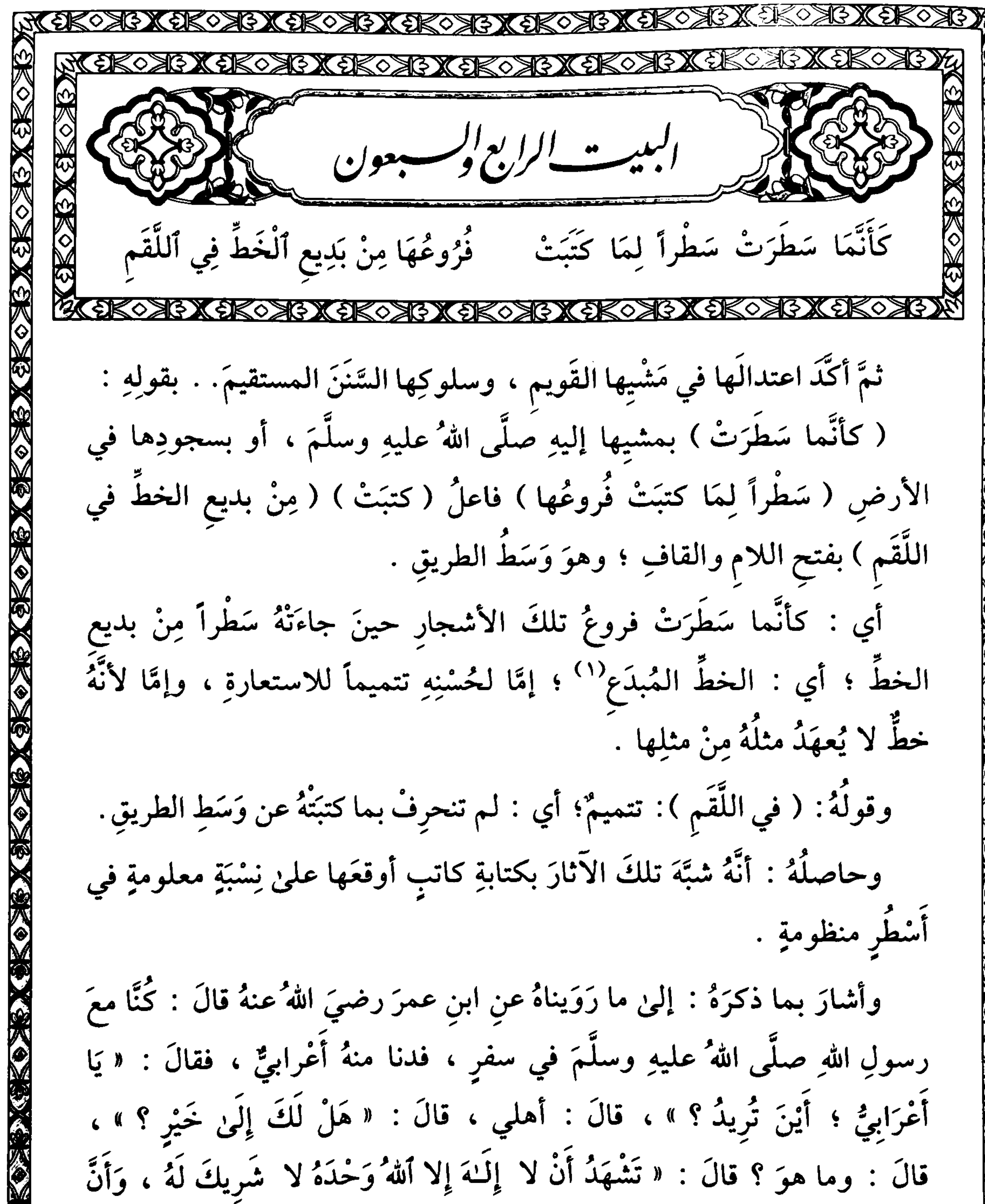
---

(١) في رواية أشار إليها ابن مرزوق (ق/ ٢٠٠) : (بدعوته) ، والمثبت أبلغ في الإعجاز .

(٢) فـ (ساجدةً) حال من (الأشجار) ، و(تمشي) كذلك ، ولم تقترن بالواو ؛ لتصديرها بالمضارع المثبت ، ومن يمنع تعدُّد الحال . . يجعله صفةً لـ (ساجدة) ، أو حالاً من (ضميره) انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٢٠١) .

(٣) أي : لم يقل جاءت لدُعائِهِ الأشجار .

(٤) في النسخ ما عدا (أ، ب) : (إيهام العلاقة) بزيادة (إيهام) ، وهي ليست في « إظهار صدق المودة » .



البيت الرابع والسبعون

كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْراً لِمَا كَتَبَتْ فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ ٱلْخَطِّ فِي ٱللَّقَمِ

ثمَّ أكَّدَ اعتدالَها في مَشْيِها القَويمِ ، وسلوكِها السَّنَنَ المستقيمَ . بقولِهِ :

(كأنَّما سَطَرَتْ) بمشيِها إليهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، أو بسجودِها في الأرضِ (سَطْراً لِمَا كتبَتْ فُروعُها) فاعلُ (كتبَتْ) (مِنْ بديعِ الخطِّ في اللَّقَمِ) بفتحِ اللامِ والقافِ ؛ وهوَ وَسَطُ الطريقِ .

أي : كأنَّما سَطَرَتْ فروعُ تلكَ الأشجارِ حينَ جاءَتْهُ سَطْراً مِنْ بديعِ الخطِّ ؛ أي : الخطِّ المُبدَعِ[1] ؛ إمَّا لحُسْنِهِ تتميماً للاستعارةِ ، وإمَّا لأنَّهُ خطٌّ لا يُعهَدُ مثلُهُ مِنْ مثلِها .

وقولُهُ : (في اللَّقَمِ) : تتميمٌ ؛ أي : لم تنحرِفْ بما كتبَتْهُ عن وَسَطِ الطريقِ .

وحاصلُهُ : أنَّهُ شبَّهَ تلكَ الآثارَ بكتابةِ كاتبٍ أوقعَها علىٰ نِسْبَةٍ معلومةٍ في أَسْطُرٍ منظومةٍ .

وأشارَ بما ذكرَهُ : إلىٰ ما رَوَيناهُ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : كُنَّا معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في سفرٍ ، فدنا منهُ أعْرابيٌّ ، فقالَ : « يَا أَعْرَابِيُّ ؛ أَيْنَ تُرِيدُ ؟ » ، قالَ : أهلي ، قالَ : « هَلْ لَكَ إِلَىٰ خَيْرٍ ؟ » ، قالَ : وما هوَ ؟ قالَ : « تَشْهَدُ أَنْ لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » .

---

(١) في (ج ، و) : (المبتدع) ، وفي (هـ) : (البديع) ، وتفسير الشارح يشير إلىٰ أن الإضافة في قول الناظم من إضافة الصفة للموصوف ، وأن (بديع) علىٰ (فعيل) بمعنى المفعول .

قالَ : ومَنْ يشهدُ لكَ علىٰ ما تقولُ ؟ قالَ : « هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةُ ٱلسَّمُرَةُ ، وَهِيَ بِشَاطِئِ ٱلْوَادِي ، فَٱدْعُهَا فَإِنَّهَا تُجِيبُكَ » .

قالَ : فدعَوْتُها فأقبلَتْ تَخُدُّ الأرضَ ، حتىٰ قامَتْ ، فاستشهدَها ، فشَهِدَتْ أنَّهُ كما قالَ ، ثمَّ رجعَتْ إلىٰ مكانِها[1] .

وفي بعضِ الرواياتِ : فقالَ الأَعْرابيُّ : ائذَنْ لي أن أسجُدَ لكَ ، فقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ : « لَوْ أَمَرْتُ أَحداً أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ . . لَأمَرْتُ ٱلْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا »[2] .

وفي حديثِ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ الجنَّ قالوا : مَنْ يشهدُ لكَ ؟ قالَ : « هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةُ ؛ تَعَالِي يَا شَجَرَةُ » ، فجاءَتْ تجُرُّ عُروقَها ولها قَعَاقِعُ[3] .

فإذا كانَتِ الأشجارُ تُبادِرُ لامتثالِ أمرِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتىٰ تخِرُّ ساجدةً . . فما أشدَّ غَفْلَةَ العاقلِ علىٰ عَدَمِ مُلازمتِهِ السجودَ لربِّهِ ولو في ليلةٍ مِنَ الليالي !!

---

(١) أخرجه ابن حبان (٦٥٠٥) ، والدارمي في « المسند » (١٦) ، والسَّمُرة : نوع من الطلح ، له ورق صغار وشوك قصير ، وفي رواية الدارمي : (السَّلَمة) بدل (السمرة) ، وتَخُدُّ الأرضَ : تشقُّها ، وهي بضم الخاء كما ضبطها الشارح في « المواهب اللدنية » (٢/٢٦٨) .

(٢) أخرجه بنحوه أبو نعيم في « دلائل النبوة » (٢٩١) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/١٧٢) عن سيدنا بُريدة الأسلمي رضي الله عنه ، وعزاه الشارح في « مواهبه » (٢/٢٦٨) إلى البزار ، وانظر « البدر المنير » (٩/٤٦ـ٤٧) ، وفي (هـ) : (الزوجة) بدل (المرأة) .

(٣) أخرجه الفاكهي في « أخبار مكة » (٢٣١٩) ، والقعاقع : جمع قعقعة ؛ وهي حكاية صوت السلاح .

وتأمَّلْ قولَ الأَعْرابيِّ : ائذَنْ لي أن أسجُدَ لكَ ؛ لِمَا رأىٰ مِنْ سجودِ الشجرةِ ، فرأىٰ أنَّهُ أَحْرىٰ بذلكَ ، حتىٰ أعلمَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّ السجودَ لا يكونُ إلا للهِ .

ومكانُ السجودِ مِنَ الدينِ عظيمٌ ؛ إذ هوَ غايةُ الخُضوعِ ؛ لأنَّهُ تعفيرُ أشرفِ أعضاءِ الإنسانِ ـ وهوَ وجهُهُ ـ في أَذَلِّ الأشياءِ وأَحْقرِها ، ولشرفِ منزلتِهِ قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ للذي سألَهُ أن يكونَ رفيقَهُ في الجنةِ : « أَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ ٱلسُّجُودِ »[1] .

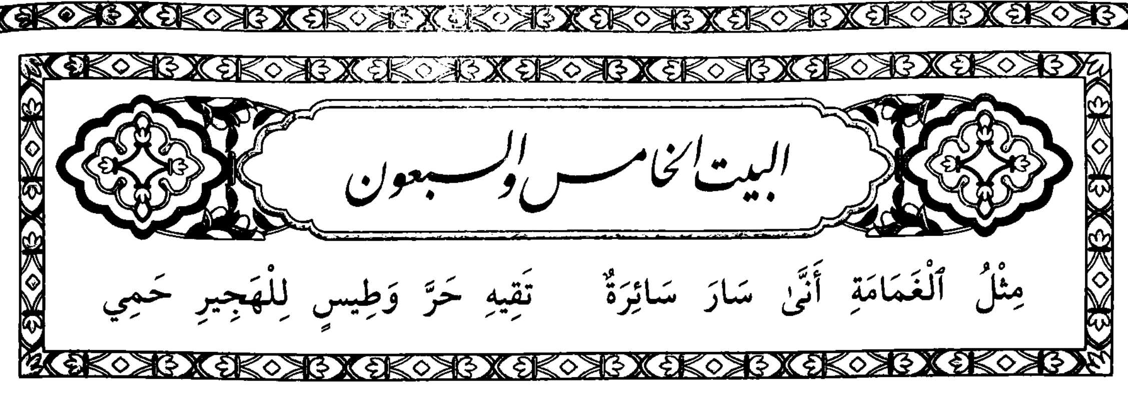
فينبغي للخائفِ مِنْ ربِّهِ أن يُبادِرَ لامتثالِ ما دعا إليهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فيُلازِمَ السجودَ[2] ، ويقومَ علىٰ ساقِ العبوديَّةِ وإن لم يكُنْ لهُ قَدَمٌ ، كما قامَتِ الشجرةُ علىٰ ذلكَ .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩) عن سيدنا ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه .

(٢) في (هـ) : (فيلزم) بدل (فيلازم) .



البيت الخامس والسبعون

مِثْلُ ٱلْغَمَامَةِ أَنَّىٰ سَارَ سَائِرَةٌ تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي

وهـٰذهِ الآيةُ (مثلُ) آيةِ (الغمامةِ) في التسخيرِ ؛ (أنَّىٰ سارَ سائرةٌ تقيهِ) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بتظليلِها لهُ (حَرَّ وَطيسٍ للهَجيرِ حَمِيْ) بسكونِ الياءِ ، وأصلُها الفتحُ[1] .

يعني : أنَّ الأشجارَ في سُلُوكِها قصدَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وإتيانِها إيَّاهُ حيثُ كانَ إن أَمَرَها بذلكَ . . مثلُ الغَمامةِ في سَيْرِها أينَ سارَ ؛ مُظِلَّةً واقيةً لهُ مِنْ حَرِّ الهَجيرِ ؛ وهوَ نصفُ النهارِ ، الذي يُشبِهُ في حرارتِهِ حَرَّ الوَطِيسِ ؛ وهوَ التنُّورُ .

ويحتملُ : أن يكونَ (حَمِي) في موضعِ الحالِ مِنَ (الهجيرِ) ، أي : وقد حَمِيَ[2] .

ويحتملُ : أن يكونَ (حَمِي) اسمَ فاعلٍ ؛ فيكونُ نعتاً لـ (الهجيرِ)[3] .

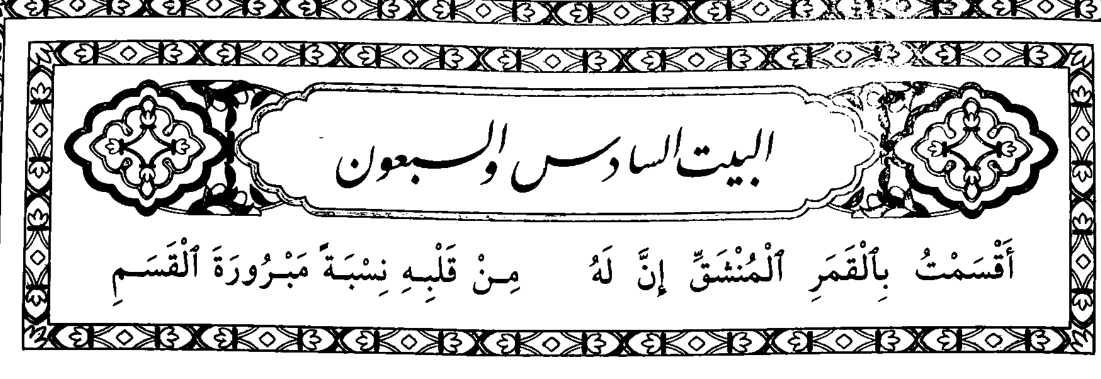
* * *

---

(١) جوَّز ابن مرزوق في (سائرة) النصب والرفع . انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٢٠١) ، وتظليل الغمامة : أخرجه الترمذي (٣٦٢٠) ، وأبو نعيم في « دلائل النبوة » (١٠٩) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٢/ ٢٤ـ٢٥) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢) وعلى الأول : الجملة صفة لـ (وطيسٍ) .

(٣) فيكون رسمه حينئذٍ : (حَمٍ) بحذف الياء .



البيت السادس والسبعون

أَقْسَمْتُ بِٱلْقَمَرِ ٱلْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ ... مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ ٱلْقَسَمِ

وكما سُخِّرتْ لهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الجماداتُ الأرضيَّةُ السُّفْليَّةُ . . فكذلكَ الجماداتُ السماويَّةُ العُلْويَّةُ ؛ فانشقَّ القمرُ ، كما أشارَ إليهِ الناظمُ مُخبِراً عن نفسِهِ أنَّهُ أنشأَ الحَلِفَ بقولِهِ :

(أقسمْتُ بالقمرِ المُنْشَقِّ) لهُ آيةً ؛ اسمُ مفعولٍ ، مِنْ شققتُهُ فانشقَّ : إذا قسمتَهُ .

وأشارَ بهـٰذا : إلىٰ ما رَوَيْناهُ عن أنسٍ وابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُم : (أنَّ أهلَ مكَّةَ سألوا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ آيةً ، فأراهُمُ انشقاقَ القمرِ مرَّتَينِ)[1] .

وعنِ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : بينَما نحنُ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بمنىً ؛ إذِ انشقَّ القمرُ فِرْقتَينِ ؛ فكانَتْ فِلْقةٌ وراءَ الجبلِ ، وفِلْقةٌ دونَهُ ، فقالَ لنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱشْهَدُوا »[2] .

وفي بعضِ الرواياتِ : فقالَ كُفَّارُ قريشٍ : هـٰذا سِحْرٌ[3] ، فابعثوا إلىٰ أهلِ الآفاقِ حتىٰ ينظروا : أرأَوْا مثلَ هـٰذا أم لا ؟ فأَخْبرَ أهلُ الآفاقِ أنَّهُم رأَوْهُ مُنشَقّاً ، فقالَ كُفَّارُ قريشٍ : هـٰذا سِحْرٌ مُستمِرٌّ[4] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٧ ، ٣٦٣٨) ، ومسلم (٢٨٠٢ ، ٢٨٠٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٦٤) ، ومسلم (٢٨٠٠/ ٤٤) .

(٣) في (ج) : (سَحَرَنا) ، وفي (هـ) : (ساحر) .

(٤) أورده بنحوه السمرقندي في « بحر العلوم » (٣/ ٣٦٩) عن الضحاك ، وانظر « الشفاء » (ص٣٤٥) .

وفي روايةٍ : قالوا : إن كانَ محمدٌ سَحَرَ القمرَ . . فإنَّهُ لا يبلُغُ مِنْ سحرِهِ أن يسحَرَ الأرضَ كلَّها ، فاسألوا مَنْ يأتيكُم مِنْ بلدٍ آخَرَ ، فأَتَوا فسألوهُم ، فأخبروهُم أنَّهُم رأَوْهُ مثلَ ذلكَ ، فقالوا : هـٰذا سِحْرٌ مُستمِرٌّ ، فأنزلَ اللهُ تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ . . ﴾ الآيةَ[١] .

وسُمِّيَ القمرُ قمراً ؛ لبياضِهِ ، أو لاستنارتِهِ ، ولأنَّهُ يَقْمِرُ الأعينَ ؛ أي : يغلِبُها بنورِهِ ، ويُسمَّىٰ بذلكَ بعدَ ثلاثِ ليالٍ إلىٰ آخرِ الشهرِ .

فائدةٌ

[في سَعَةِ القمرِ]

ذكرَ تاجُ القُرَّاءِ[٢] في « لبابِ التفاسيرِ » في تفسيرِ سورةِ (الرحمـٰنِ) : أنَّ سَعَةَ القمرِ : ألفُ فرسخٍ في ألفِ فرسخٍ[٣] .

وزَعَمَ أهلُ الهيئةِ : أنَّهُ ليسَ في سماءِ الدنيا مِنَ الكواكبِ السيَّارةِ سوى القمرِ ، واللهُ أعلمُ[٤] .

---

(١) سورة القمر (١) ، وهـٰذه الرواية أخرجها بنحوها الطبري في « تفسيره » (٢٢/١٠٦) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٢/٢٦٧) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وانظر « الشفاء » (ص٣٤٥) .

(٢) تاج القراء : هو الإمام النحوي المُفسِّر المقرئ برهان الدين أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني المصري الشافعي (ت بعد ٥٠٠ هـ) ، كان إماماً كبيراً محققاً ثقةً كبير المحل ، من مؤلفاته : « الإفادة في النحو » ، و« غرائب التفسير وعجائب التأويل » انظر « معجم الأدباء » (٦/٢٦٨٦ ، ٢٦٨٧) ، و« غاية النهاية » (٢/٢٩١) .

(٣) انظر « غرائب التفسير » (٢/١١٦٧) .

(٤) لا شك أن زعم علماء الهيئة ممَّا أدَّاه إليه اجتهادهم ، وعلىٰ حسب ما توفَّر لديهم من أدوات في زمانهم .

وهٰذا القَسَمُ الذي أقسمَ بهِ الناظمُ رحمَهُ اللهُ : إمَّا أن يكونَ قَسَماً بالقمرِ علىٰ عادةِ الأُدَباءِ ، وإمَّا أن يكونَ علىٰ تقديرِ مُضافٍ ؛ أي : بربِّ القمرِ .

ويحتملُ : أن يكونَ جوابُ القسمِ قولَهُ بعدُ : (ما سامَني الدهرُ. . .) إلىٰ آخرِ البيتينِ ، وما بينَهُما جُمَلٌ اعتراضيَّةٌ .

ويحتملُ : أن يكونَ الجوابُ قولَهُ : (إنَّ لهُ) أي : للقمرِ (مِنْ قلبِهِ) الشريفِ (نِسْبةً) بالنصبِ اسمُ (إنَّ) (مبرورةَ) أي : مصدوقةَ (القسمِ) ، ومنهُ : يمينٌ بارَّةٌ ؛ أي : صادقةٌ .

ونِسْبَةُ القمرِ مِنْ قلبِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنَّ قلبَهُ الشريفَ إنَّما شُقَّ وغُسِلَ ؛ لتتمكَّنَ فيهِ معارفُ النبوَّةِ وصِفاتُها ثمَّ يظهرَ ذلكَ للناسِ بعدُ ، فكذا القمرُ إنَّما شُقَّ ؛ لتظهرَ النبوَّةُ وتتقرَّرَ للمُكلَّفينَ .

وأيضاً : فإنَّ القمرَ نورُهُ يتلألأُ ، وقلبُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنورُ منهُ ؛ ولذلكَ جعلَ الناظمُ النِّسبَةَ للقمرِ مِنْ قلبِهِ ، ولم يجعلِ النِّسبةَ لقلبِهِ مِنَ القمرِ .

وأيضاً : فإنَّ القمرَ انشقَّ مرَّتَينِ ، وكذلكَ قلبُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ شُقَّ مرَّتَينِ ؛ مرَّةً في زمنِ الصِّبا ، وكانَ ذلكَ لاستخراجِ حظِّ الشيطانِ منهُ ؛ وهيَ العَلَقةُ السوداءُ ، ومرَّةً عندَ الإسراءِ بهِ للوحيِ[1] .

وإنَّما أنشأَ الحَلِفَ بلفظِ الماضي لا المضارعِ ؛ إشارةً إلىٰ تحقيقِ وقوعِ هٰذا الأمرِ ، وأنَّ اعتقادَهُ مَطْويٌّ عليهِ منذُ عَقَلَ .

وقدَّمَ (مِنْ قلبِهِ) علىٰ (نسبةً) للاهتمامِ بهِ .

---

(١) سيأتي تخريج انشقاق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم في زمن الصبا وعند الإسراء في (ص ٢٧٤ـ ٢٧٥) .

واختلفَ المُعربونَ في (مبرورة) : فقيلَ : نعتٌ لـ (نسبةً)[١] ؛ أي : إن أُقسِمْ علىٰ كينونةِ هـٰذهِ النسبةِ وثبوتِها بيمينٍ . . فيمينُها مبرورةٌ[٢] .

وقيلَ : خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ ؛ أي : [يميني] مبرورةُ القسمِ[٣] .

وقيلَ : صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ ، وعاملُهُ (أقسمتُ) أي : يميناً مبرورةَ ، وحذفَ الموصوفَ ؛ للعلمِ بهِ ؛ لأنَّ صفتَهُ مُختصَّةٌ بهِ[٤] .

وأشارَ الناظمُ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ بما ذكرَهُ : إلىٰ ما رواهُ ابنُ إسحاقَ ، عن ثورِ بنِ يزيدَ ، عن بعضِ أهلِ العلمِ : أنَّ نفراً مِنَ الصحابةِ قالوا : يا رسولَ اللهِ ؛ أَخْبِرْنا عن نفسِكَ ، فقالَ : « نَعَمْ ، أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبُشْرَىٰ عِيسَىٰ ، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ بِهِ قُصُورَ ٱلشَّامِ ، وَٱسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَىٰ بَهْماً ؛ إِذْ أَتَانِي رَجُلانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ ثَلْجاً[٥] ، فَأَخَذَانِي فَشَقَّا بَطْنِي ، ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقَّاهُ فَٱسْتَخْرَجَا مِنْهُ

---

(١) ولا اكتراث بإضافتها ـ أي : (مبرورة) إلى المعرفة التي هي (القسم) ـ لأنها لا تُعرَّف . « إظهار صدق المودة » (ق/٢١٣) ، فإضافتها إضافة لفظية لا تفيد تعريفاً ولا تخصيصاً ، ومثل هـٰذا البيت : قوله تعالىٰ : ﴿ هَدْيَۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾ [المائدة : ٩٥] .

(٢) قال ابن مرزوق (ق/٢٠٧) : (ولا يخفىٰ ما فيه من التكلف ، لـٰكن دعت إليه حاجة تصحيح الكلام) .

(٣) في النسخ : (يمين) بدل (يميني) ، والمثبت من « إظهار صدق المودة » ، وفيها أن هـٰذا الوجه أقربُ ممَّا قبله .

(٤) وذكر ابن مرزوق (ق/٢١١) : أن هـٰذا الوجه أظهر الوجوه .

(٥) في (ج ، هـ ، و) : (بطشت) بدل (بطست) ، وبالشين المعجمة قيل : هو خطأ ، وقيل : هو لغة . انظر « تاج العروس » (٥/٥) ، مادة : (ط س ت) .

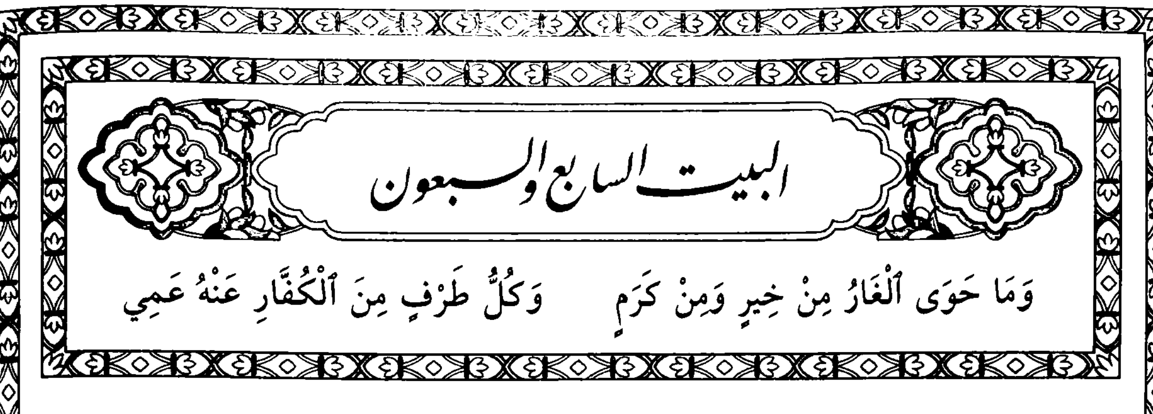
عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا ، ثُمَّ غَسَلا قَلْبِي وَبَطْنِي بِذَلِكَ ٱلثَّلْجِ حَتَّىٰ أَنْقَيَاهُ »[1] .

ويحتملُ : أن يكونَ إشارتُهُ إلىٰ شَقِّ قلبِهِ ليلةَ الإسراءِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[2] .

* * *

(1) سيرة ابن إسحاق (ص١٠٣) ، وفيه : (حدثني ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان) ، وأخرج شقَّ الصدر أيضاً في زمن الصبا مسلمٌ (١٦٢/ ٢٦١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(2) أخرجه البخاري (٣٨٨٧) ، ومسلم (١٦٤) عن سيدنا مالك بن صعصعة رضي الله عنه .



البيت السابع والسبعون

وَمَا حَوَى ٱلْغَارُ مِنْ خِيرٍ وَمِنْ كَرَمٍ ... وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ ٱلْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي

وكما سُخِّرَتْ لهُ الجماداتُ العُلْوِيَّةُ والسُّفْلِيَّةُ.. فكذلكَ سُخِّرَ لهُ العنكبوتُ والحَمامُ، وكأنَّهُما مِنَ الأشياءِ التي بينَ السماءِ والأرضِ؛ لأنَّ الطيرَ مِنَ الحَمامِ وغيرِهِ مُسخَّرٌ في جَوِّ السماءِ، ويُلحَقُ بهِ العنكبوتُ؛ فإنَّ غالبَ سُكْناهُ السَّقْفُ وما أشبهَها.

وإلىٰ هٰذهِ الآيةِ أشارَ الناظمُ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ بقولِهِ:

(وما حوى الغارُ) الذي هوَ الكهفُ بجبلِ ثَوْرٍ أسفلَ مكَّةَ؛ أي: أقسمتُ أيضاً بما جَمَعَ الغارُ الذي اختفىٰ فيهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ حينَ هاجرَ إلى المدينةِ.

(مِنْ خِيرٍ) بكسرِ الخاءِ: الكَرَمُ، كما قالَهُ الجوهريُّ[1]، وقيلَ: كَرَمُ النفسِ، وعلىٰ كلِّ تقديرٍ: ففيهِ تَكرارٌ معَ قولِهِ: (ومِنْ كَرَمٍ)، إلا أن يُفسَّرَ (كَرَمٍ): بالأخلاقِ الحميدةِ والكرمِ بالجودِ[2]؛ فيتغايرانِ على التفسيرِ الثاني تغايُرَ الأعمِّ والأخصِّ.

وقيلَ: بفتحِ الخاءِ؛ فيكونُ معناهُ: ضِدَّ الشرِّ.

ويحتملُ: أن يكونَ (مِنْ خِيرٍ ومِنْ كرمٍ) مِنْ صفاتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ

---

(١) الصحاح (٢/ ٦٥٢)، مادة: (خ ي ر).

(٢) كذا في النسخ، والعبارة في « إظهار صدق المودة » (ق/ ٢٠٣): (إلا أن يفسر كرم النفس بالأخلاق الحميدة...).

وسلَّمَ وصفاتِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وتكونُ (ما) واقعةً على صفاتِ مَنْ يعقلُ ، وهوَ أحدُ مواضعِها ؛ نحوُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[1] ؛ أيِ : الطيِّبَ .

ويحتملُ : أن يكونَ الأوَّلُ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ لأنَّ الخِيرَ الذي هوَ كَرَمُ النفسِ . . يعُمُّ جميعَ الصفاتِ الحميدةِ ، وكذا الخَيْرُ الذي هوَ ضِدُّ الشَّرِّ ، والثاني لأبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ؛ لأنَّهُ خصَّصَهُ بالكرمِ ، وهوَ أظهرُ في الجودِ ، وإنَّما وَصَفَهُ بالكرمِ ؛ لأنَّهُ آثَرَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بنفسِهِ ومالِهِ ؛ ومِنْ ذلكَ :

أنَّهُما لمَّا أَتَيا الغارَ . . تقدَّمَ أبو بكرٍ في الدخولِ ؛ مخافةَ أن يكونَ فيهِ ما يُؤذِي النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيتلقَّاهُ بنفسِهِ ، فلم يرَ شيئاً ، فحملَهُ وأدخلَهُ الغارَ ، وكانَ فيهِ خَرْقٌ فيهِ حيَّاتٌ وأفاعٍ ، فخَشِيَ أبو بكرٍ أن يخرجَ منهُ شيءٌ يُؤذِي النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فألقمَهُ قدمَهُ[2] ، فجعلَتِ الحيَّاتُ والأفاعي يضْرِبْنَهُ ويَلْسَعْنَهُ ، فجعلَتْ دموعُهُ تتحدَّرُ ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ لهُ : « يَا أَبَا بَكْرٍ ؛ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا »[3] .

وفي روايةٍ : فدخلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ووضعَ رأسَهُ في

---

(١) سورة النساء : (٣) .

(٢) في بعض الروايات : (فألقمه عقبه) ، ومن ها هنا قال بعضهم : (وقاهُ بعَقِبِهُ ، فبُورِكَ في عَقِبِهِ) انظر « السيرة الحلبية » (٢/ ٤٦) .

(٣) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٢/ ٤٧٦ـ٤٧٧) ، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (٢٤٢٦) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال رضي الله عنه صدرَ الحديث : (واللهِ ؛ لَلَيلةٌ من أبي بكر ويومٌ خير من عمر) ، ثم ذكر الحديث رضي الله عنه .

حِجْرِ أبي بكرٍ ونامَ ، فلُدِغَ أبو بكرٍ في رجلِهِ مِنَ الجُحْرِ ولم يتحرَّكْ ؛ مخافةَ أن ينتبهَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فسقطَتْ دموعُهُ على وجهِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « مَا لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ » ، قالَ : لُدِغْتُ فِداكَ أبي وأمِّي ، فتَفَلَ عليهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فذهبَ ما يجدُهُ ، ثمَّ انتقضَ عليهِ ، وكانَ سببَ موتِهِ[1] .

ومعنى قولِهِ : « إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا » يعني : بالنصرِ والمعونةِ ؛ كقولِهِ تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾[2] .

وقد زعمتِ الرَّافضةُ : أنَّ في قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لأبي بكرٍ : « لا تَحْزَنْ » غضاً مِنْ أبي بكرٍ وذمّاً لهُ ؛ فإنَّ حُزْنَهُ ذلكَ إن كانَ طاعةً . . فالرسولُ لا ينهى عنِ الطاعةِ ، فلم يَبْقَ إلا أنَّهُ معصيةٌ .

قالَ السُّهَيليُّ[3] : (يُقالُ لهُم على جهةِ الجَدَلِ : قد قالَ اللهُ تعالى لمحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡ ﴾[4] ، وقالَ :

---

(١) أخرجه رزين كما ذكره الشارح في « المواهب اللدنية » (١/ ١٧٤) ، وانظر « جامع الأصول » (٦٤٢٦) .

(٢) سورة النحل : (١٢٨) .

(٣) هو الإمام الحافظ النحوي اللغوي أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السُّهيلي الأندلسي المالَقي (ت٥٨١هـ) ، كان عالماً بالعربية واللغات والقراءات بارعاً في ذلك ، وجمع بين الرواية والدراية ، ومن مؤلفاته : « الروض الأنف » في شرح « السيرة الهشامية » ، و« التعريف والإعلام بما في القرآن من الأسماء والأعلام » ، وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها : (من الكامل)

يا مَنْ يرى ما في الضميرِ ويسمعُ   أنتَ المُعَدُّ لكلِّ ما يُتوقَّعُ

انظر « بغية الوعاة » (٢/ ٨١ ـ ٨٢) ، وهو من جملة الأضرَّاء الذين ترجمهم الصفدي في « نَكْت الهِمْيان في نُكَت العميان » (ص١٦٨ـ١٧٠) .

(٤) سورة يونس : (٦٥) .

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾[1] ، وقالَ لموسىٰ : ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾[2] ، وقالتِ الملائكةُ للوطٍ : ﴿ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ﴾[3] .

فإن زعمتُم أنَّ الأنبياءَ حينَ قيلَ لهُم هـٰذا كانُوا في حالِ معصيةٍ . . فقد كفرتُم ونقضتُم أصلَكُم في وجوبِ العِصْمَةِ للأنبياءِ وللإمامِ المعصومِ في زعمِكُم ؛ فإنَّ الأنبياءَ همُ الأئمَّةُ المعصُومونَ بإجماعٍ .

وأمَّا قولُهُ : « لا تَحْزَنْ » ، وقولُهُ عزَّ وجلَّ لمحمَّدٍ : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ ، وقولُهُ لأنبيائِهِ مثلَ ذلكَ . . هوَ تسكينٌ لجأشِهِم ، وتبشيرٌ لهُم وتأنيسٌ ، لا علىٰ جهةِ النهيِ الذي زعموا ، ولـٰكن كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ﴾[4] ، وهـٰذا القولُ إنَّما يُقالُ لهُم عندَ المُعاينةِ[5] ، وليسَ إذ ذاكَ أمرٌ بطاعةٍ ولا نهيٌ عن معصيةٍ) انتهىٰ[6] .

---

(١) سورة آل عمران : (١٧٦) .

(٢) سورة طه : (٢١) .

(٣) سورة العنكبوت : (٣٣) .

(٤) سورة فصلت : (٣٠) .

(٥) في (أ ، ب) : (المغالبة) ، وفي (ج ، هـ ، د) : (المعاتبة) .

(٦) الروض الأنف (٤/١٣٧) ، وقال أيضاً : (وجهٌ آخَرُ من التحقيق ؛ وهو أن النهيَ عن الفعل لا يقتضي كونَ المَنْهيِّ فيه ؛ فقد نهى الله نبيَّهُ عن أشياءَ ونهىٰ عباده المؤمنين ، فلم يقتضِ ذلك أنهم كانوا فاعلين لتلك الأشياءِ في حال النهي ؛ لأن فعل النهيِ فعلٌ مُستقبَلٌ ، فكذلك قولُهُ لأبي بكر : « لا تَحْزَنْ » لو كان الحزنُ كما زعموا . . لم يكن فيه علىٰ أبي بكرٍ رضي الله عنه ما ادَّعَوا من الغضِّ ، وأمَّا ما ذكرناه نحن من حزنه على النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان طاعةً . . فلم ينهَهُ عنه الرسولُ إلا رِفْقاً به وتبشيراً له ، لا كراهيةً لعمل ، وإذا نظرتَ المعانيَ بعين الإنصافِ لا بعين الشهوة والتعصُّب للمذاهب . . لاحت الحقائقُ ، واتَّضحت الطرائقُ ، والله الموفق للصواب) .

ومِنْ معجزاتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في قصَّةِ الغارِ[1] : ما ذكرَهُ بقولِهِ : (وكلُّ طَرْفٍ مِنَ الكفارِ عنهُ) أي : عنِ المَحْوِيِّ (عَمِي) ، فلم يُبصِرْ ما فيهِ معَ قُربِهِم منهُ .

* * *

(١) وقد تقدم بعضها ، وسيأتي أيضاً من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها في (ص٢٨٢ـ٢٨٣) .



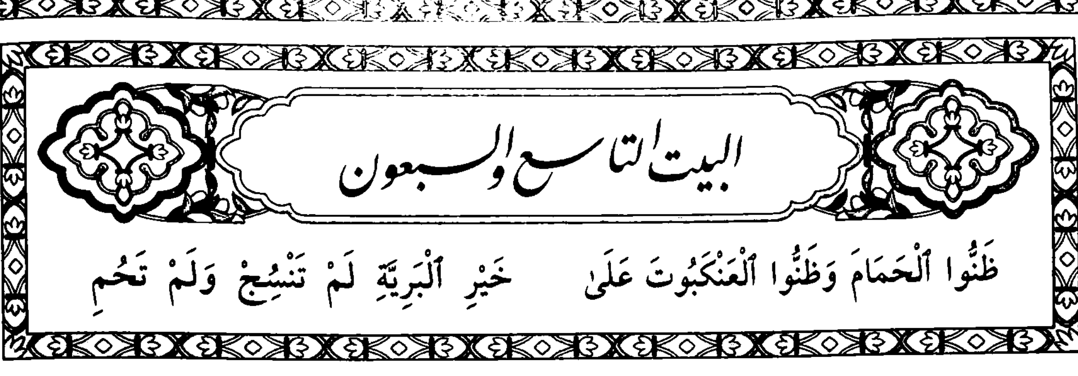
البيت الثامن والسبعون

فَٱلصِّدْقُ فِي ٱلْغَارِ وَٱلصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا ... وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِٱلْغَارِ مِنْ أَرِمِ

(فالصِّدْقُ في الغارِ) المذكورِ ؛ أي : ذو الصِّدْقِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فحذفَ المضافَ ، (و) أبو بكرٍ (الصِّدِّيقُ) رضيَ اللهُ عنهُ معَهُ فيهِ (لم يَرِمَا) أي : لم يبرحا منهُ لئلا يُقالَ : إنَّما عَمِيَ عمَّا في الغارِ كلُّ طَرْفٍ مِنَ الكُفَّارِ بعدَ خروجِهِما منهُ ، بل ذلكَ كانَ وهما فيهِ لم يبرحا منهُ بعدُ .

(وهم يقولونَ) أي : وحالةُ الكفارِ حينَ نَظَرِهم إليهِ وهما فيهِ . . قولُهُم : (ما بالغارِ مِنْ أَرِمِ) بفتحِ الهمزةِ وكسرِ الراءِ ؛ أي : مِنْ أحدٍ .

* * *



البيت التاسع والسبعون

ظَنُّوا ٱلْحَمَامَ وَظَنُّوا ٱلْعَنْكَبُوتَ عَلَىٰ ... خَيْرِ ٱلْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُمِ

(ظنُّوا) مِنَ الظنِّ ؛ وهوَ الذكرُ النَّفْسيُّ الذي يحتملُ مُتعلِّقُهُ النقيضَ احتمالاً مَرْجوحاً .

ومعنىٰ كلامِ الناظمِ : أنَّ الكُفَّارَ ظنُّوا بما أعمى اللهُ بصائرَهُم (الحَمَامَ ، وظنُّوا) أيضاً (العنكبوتَ) الناسجةَ (علىٰ خَيْرِ البريَّةِ) نبيِّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . (لم تَنسُجْ) بفتحِ التاءِ وضمِّ السينِ ، ويجوزُ كسرُها ، (ولم تَحُم) عليه ؛ لما جَرَتِ العادةُ أنَّ هـٰذينِ الحيوانَينِ مُتوحِّشانِ لا يألَفانِ مَعْموراً ، فمهما أحسَّا بالإنسانِ . . فرَّا منهُ .

وهـٰذا يُسمِّيهِ أهلُ البديعِ : (لفٌّ ونشرٌ غيرُ مُرتَّبٍ) ؛ لرجوعِ (تنسُجْ) إلى (العنكبوتِ) ، و(تَحُمِ) إلى (الحَمَامِ) .

وأشارَ بهـٰذا : إلىٰ ما رُوِيَ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها في حديثِ قصَّةِ الغارِ قالَتْ : (ولمَّا كانَتْ ليلةُ باتَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الغارِ . . أمرَ اللهُ تعالىٰ شجرةً فنبتَتْ في وجهِ الغارِ ، وأمرَ حمامتَينِ وحشيَّتَينِ فوقَفَتا علىٰ وجهِ الغارِ .

وأتى المشركونَ مِنْ كلِّ بَطْنٍ ، حتىٰ إذا كانوا مِنَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ قَدْرِ أربعينَ ذراعاً معَهُم قِسيُّهُم وعِصِيُّهُم . . تقدَّمَ رجلٌ منهُم ، فنَظَرَ فرأىٰ حمامتَينِ علىٰ فَمِ الغارِ ، فقالَ لأصحابِهِ : ليسَ في الغارِ شيءٌ ؛ رأيتُ حمامتَينِ علىٰ فَمِ الغارِ ، فعرفتُ أنْ ليسَ فيهِ أحدٌ)[1] .

---

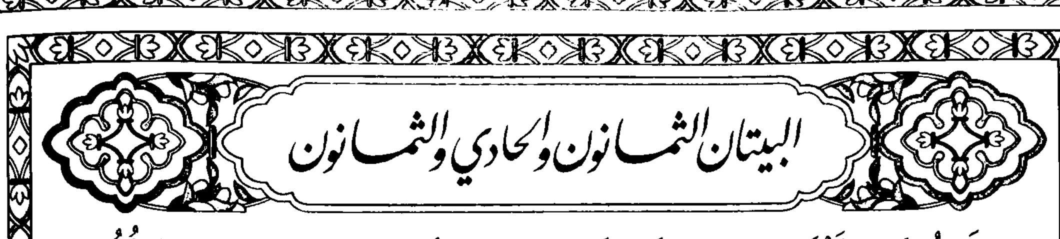
(١) أخرجه البزار في « مسنده » (٤٣٤٤)، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/ ٤٤٣)=

وقالَ رجلٌ آخَرُ : ادخُلوا الغارَ ، فقالَ أُميَّةُ بنُ خَلَفٍ : وما أَرَبُكُمْ إلى الغارِ ؟! إنَّ فيهِ لعنكبوتاً أَقْدَمَ مِنْ ميلادِ محمَّدٍ) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] .

* * *

= عن السادة زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك رضي الله عنهم .

(١) انظر « المواهب اللدنية » (١/ ١٧٢) ، و« سبل الهدىٰ والرشاد » (٣/ ٣٤١) ، وأَرَبُكم : حاجتكم .



البيتان الثمانون والحادي والثمانون

وِقَايَةُ ٱللهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ ... مِنَ ٱلدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ ٱلأُطُمِ

مَا سَامَنِي ٱلدَّهْرُ ضَيماً وَٱسْتَجَرْتُ بِهِ ... إِلّا وَنِلْتُ جُوَاراً مِنْهُ لَمْ يُضَمِ

وهـٰذا الأمرُ الذي ذَكَرَهُ هوَ (وِقايةُ اللهِ) عبدَهُ بما شاءَ ؛ أي : حِفْظُهُ إيَّاهُ ؛ بمثلِ ما ألقىٰ مِنَ الظَّنِّ في قلوبِ الكُفَّارِ ، وبما أعمىٰ مِنْ أبصارِهِم .

(أَغْنَتْ) كلّاً مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ في التحصُّنِ (عن مُضاعَفةٍ مِنَ الدُّروعِ) الحديدِ ، (و) أغنتْهُما أيضاً (عن عالٍ) أي : مُرتَفِعٍ (مِنَ الأُطُمِ) بضمِّ الهمزةِ والطاءِ ؛ أيِ : الحِصْنِ .

وفسَّرَ بعضُهُمُ المُضاعَفةَ مِنَ الدُّروعِ : بأن يلبَسَ دِرْعاً فوقَ دِرْعٍ آخَرَ ، والصوابُ : أنَّ المُضاعَفةَ : هيَ الدُّروعُ التي نُسِجَتْ حَلْقتَينِ حَلْقتَينِ .

وأجازَ بعضُهُم : أن يكونَ (وقايةُ) خبرَ مُبتدَأٍ محذوفٍ ؛ تقديرُهُ : (هـٰذا الأمرُ) ، كما قدَّرناهُ ، والرَّاجحُ : أن يكون مُبتدَأً خبرُهُ (أَغْنَتْ) ، و(مِنَ الدُّروعِ) صفةٌ لـ (مُضاعَفةٍ) ، و(مِنَ الأُطُمِ) نعتٌ لـ (عالٍ) ، وتقدَّمَ احتمالُ كونِ جوابِ القَسَمِ ـ وهوَ ما حَلَفَ عليهِ في قولِهِ : (أقسمتُ) ـ . قولُهُ : (ما سامَني) أي : ما أَرادَني[1] (الدَّهْرُ ضَيْماً) أي : ظُلْماً أو ذُلّاً ، وفي بعضِ النسخِ : (ما ضامَني الدهرُ يوماً) .

(واستجرتُ) اللهَ تعالىٰ مِنْ ذلكَ الضَّيْمِ (بهِ) أي : بسببِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ويحتملُ : أن تكونَ الباءُ زائدةً في المفعولِ ؛ أي : ما سامَني الدهرُ

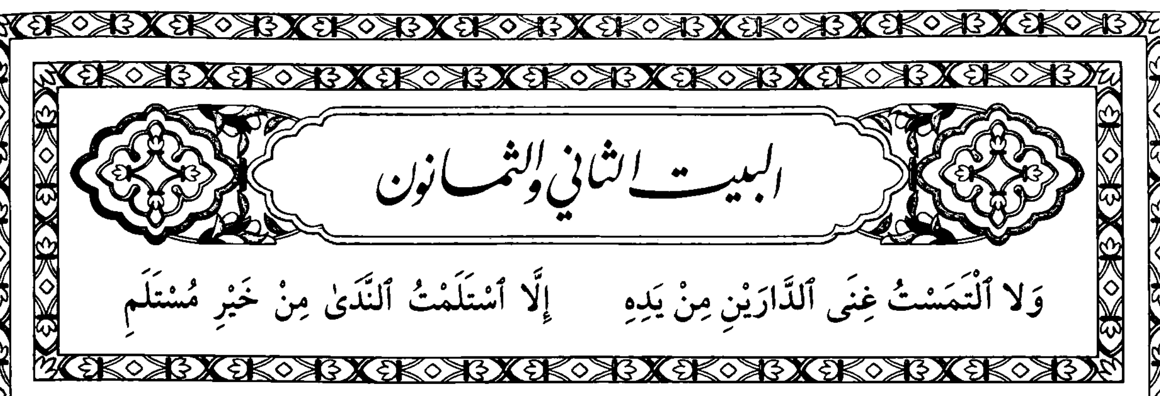
---

(١) في (ب) : (ما أراد بي) .

ضَيْماً واستجرتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ أي : طلبتُهُ أن يُجِيرَني[1] . .
(إلا و) الحالةُ أنِّي قد (نِلْتُ جُواراً) بكسرِ الجيمِ في **الأفصحِ** ، ويجوزُ ضمُّها ؛ أي : قُرْباً (منهُ) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (لم يُضَمِ) الجِوارُ المذكورُ قطُّ .

* * *

(١) في (ج) : (طلبت) بدل (طلبته) .



البيت الثاني والثمانون

وَلا ٱلْتَمَسْتُ غِنَى ٱلدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ ... إِلَّا ٱسْتَلَمْتُ ٱلنَّدَىٰ مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

(**ولا ٱلتمستُ**) أيضاً (**غِنى الدارَينِ**) الدُّنيا والآخرةِ ؛ أي : مِنْ نِعَمِهِ وسخائِهِ وكرمِهِ (**مِنْ يدِهِ**) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . (**إلا استلمتُ**) مِنْ قولِهِمُ : (استلمتُ الحَجَرَ) أي : لمستُهُ ؛ إمَّا باليدِ أو بالفمِ ، وقد يُتجوَّزُ بهِ فيُقالُ : (استلمتُ معروفَهُ) أي : تناولتُهُ باليدِ .

أي : إلا لمستُ وتناولتُ (**النَّدىٰ**) بفتحِ النونِ ؛ وهوَ الجودُ والكَرَمُ (**مِنْ خَيْرِ مُستَلَمِ**) أي : مِنْ خيرِ مطلوبٍ منهُ .

وفي قولِهِ : (ما سامَني . . .) إلىٰ آخرِ البيتينِ : **براعةُ المَطلَبِ** ؛ وهوَ : أن يُلوِّحَ بالطَّلَبِ بألفاظٍ عَذْبةٍ خاليةٍ عنِ [الإلحافِ][1] مُقترنةٍ بتعظيمِ الممدوحِ تُشعِرُ بما في النفسِ دونَ كشفِهِ ، وقيودُ هٰذا الحدِّ كلُّها موجودةٌ فيهِما .

وكأنَّهُ أشارَ : إلىٰ ما قصدَهُ مِنَ التوسُّلِ بهٰذهِ القصيدةِ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في أن يشفعَ فيهِ لربِّنا سبحانَهُ وتعالىٰ حتىٰ يُشفَىٰ مِنْ مرضِهِ المُزمِنِ الذي أعيا الأطبَّاءَ[2] .

وبراعةُ المُطلَبِ استخرجَها عزُّ الدينِ الزَّنْجَانيُّ في كتابِ « المعيارِ »[3] .

---

(١) في النسخ : (الإلحاق)، والمراد بـ(**الإلحاف**): الرمز والتلميح ونحوهما. انظر «خزانة الأدب» (٢/ ٤٨٨).

(٢) انظر ما سيأتي (ص ٤٠٢) من سبب تأليف هٰذه القصيدة .

(٣) معيار النظار في علوم الأشعار (٢/ ١٣٤) ، **والزَّنْجاني** : هو الإمام النحوي الأديب عز الدين عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الخزرجي (ت بحدود ٦٥٥هـ) ، =

وفي قولِهِ : (ما سامَني الدهرُ ضَيماً) **إشكالٌ** ؛ فإنَّ ما يُنسَبُ للدهرِ إنَّما فاعلُهُ هوَ اللهُ تعالىٰ ؛ فكيفَ يَصِحُّ نسبةُ الظُّلْمِ إليهِ سبحانَهُ وتعالىٰ وما ربُّكَ بظلَّامٍ للعبيدِ ، والظُّلْمُ وضعُ الشيءِ في غيرِ محلِّهِ ؟

فلا بدَّ مِنْ تأويلِ كلامِ الناظمِ ؛ فإمَّا أن يكونَ علىٰ حذفِ مُضافٍ ؛ أي : ما سامَني أهلُ الدهرِ الذينَ يَصِحُّ منهُمُ الظُّلْمُ ، وأنَّهُ جرىٰ فيهِ علىٰ عادةِ أهلِ الأدبِ ، ومَهْيَعِ كلامِ أهلِ العربِ[1] ، علىٰ نحوِ ما تقدَّمَ[2] .

فإن قيلَ : إخبارُهُ عن نيلِ ما التمسَ مِنَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ مِنْ غِنى الدُّنيا . . بيِّنٌ مُشاهَدٌ بالحِسِّ ؛ فكيفَ تصحيحُ إخبارِهِ عن نيلِ غِنى الآخرةِ ؟

فالجوابُ : أنَّهُ أيضاً مُشاهَدٌ بقوَّةِ يقينِ الإيمانِ بمنزلتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عندَ ربِّهِ .

وأطلقَ اليدَ في قولِهِ : (غِنى الدارَينِ مِنْ يدِهِ) **وأرادَ بها** : جملةَ الذاتِ الكريمةِ ؛ لأنَّ باليدِ يكونُ تناولُ ما يعظُمُ[3] .

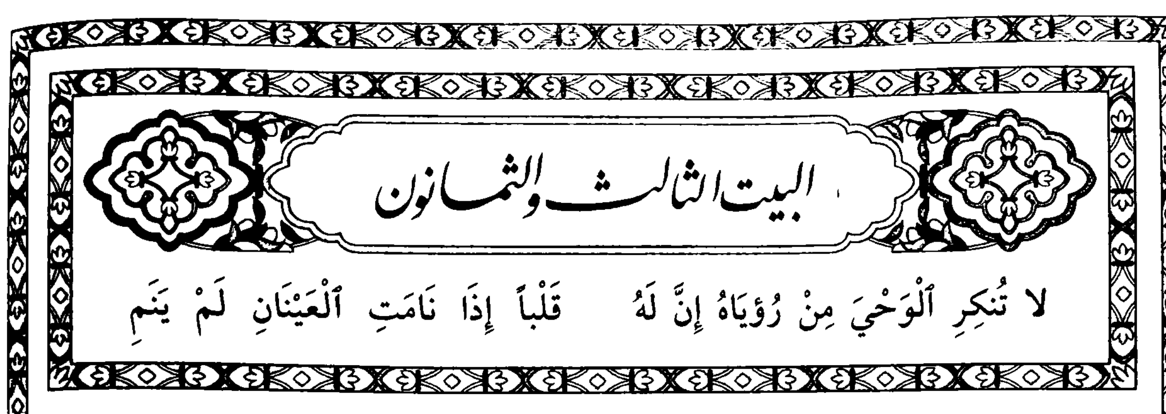
* * *

= وهو صاحب التصريف المشهور بـ« تصريف العزي » وغيره من المؤلفات النفيسة ، وانظر « بغية الوعاة » (٢/ ١٢٢) .

(١) **المَهْيَعُ في الأصل** : الطريق الواسع البيِّن المُنبسِط ؛ أي : جرى الناظم علىٰ طريقة وأسلوب العرب في كلامهم .

(٢) أي : في البيت السادس والخمسين . انظر (ص ٢٣٢ـ ٢٣٣) .

(٣) فهو مجاز مرسل ؛ من إطلاق الجزء وإرادة الكل ، **وقوله** : (**ما يعظم**) كذا في جميع النسخ ، وفي « إظهار صدق المودة » : (ما يعطىٰ) .



ولمَّا ذَكَرَ حالَ مولدِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وما ظهرَ فيهِ مِنَ الآياتِ ، وذَكَرَ مِنَ المعجزاتِ ما يُوافِقُها بحسَبِ الاستطرادِ . . شرعَ يذكرُ بدءَ الوحيِ ؛ فقالَ :

(لا تُنكِرِ الوحيَ مِنْ رُؤْياهُ) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (إنَّ لهُ قلباً إذا نامتِ العينانِ) منهُ (لم يَنَم) هوَ ؛ لأنَّهُ قد شُقَّ وطُهِّرَ مِنَ التعلُّقِ بغيرِ اللهِ ، ومُلِئَ حكمةً وإيماناً ؛ فاليقظةُ الدائمةُ صفتُهُ ، فيحسُنُ منهُ أن يُخاطَبَ ويتلقَّى الوحيَ ، لا كالقلوبِ التي تنامُ حينَ تنامُ أعينُها .

و(لا) في قولِهِ : (لا تُنكِر): ناهيةٌ ، و(تُنكِر): مجزومٌ بها ، وكُسِرَ لالتقاءِ الساكنَينِ .

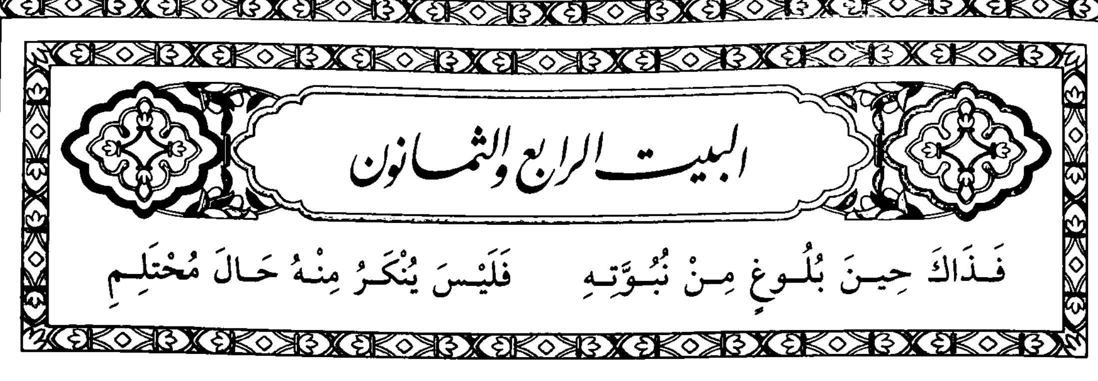
ويحتملُ : أن تكونَ (مِنْ) لابتداءِ الغايةِ ؛ أي : لا تُنكِرِ ابتداءَ الوحيِ مِنْ رُؤْياهُ .

فإن قلتَ : إنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نامَ هوَ وأصحابُهُ في الوادي ، فلم يُوقِظْهُم إلا حَرُّ الشمسِ .

فالجوابُ : أنَّ دخولَ أوقاتِ الصلاةِ تتعلَّقُ بالنَّظَرِ دونَ القلبِ ؛ لأنَّ مُشاهَدةَ طلوعِ الشمسِ وغروبِها إنَّما هوَ بالعينِ[١] ، والعينُ قد كانَتْ أخذَتْ حظَّها مِنَ النومِ ، ونَظَرُ القلبِ إنَّما هوَ فيما غابَ عنِ الشواهدِ .

* * *

(١) في النسخ ما عدا (ج): (وغيرها) بدل (وغروبها) .



ولمَّا كانَ كلامُهُ قد يتوهَّمُ سامعُهُ أنَّ الوحيَ إليهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ دائماً إنَّما كانَ في النومِ . . دفعَ ذلكَ الإيهامَ بقولِهِ :

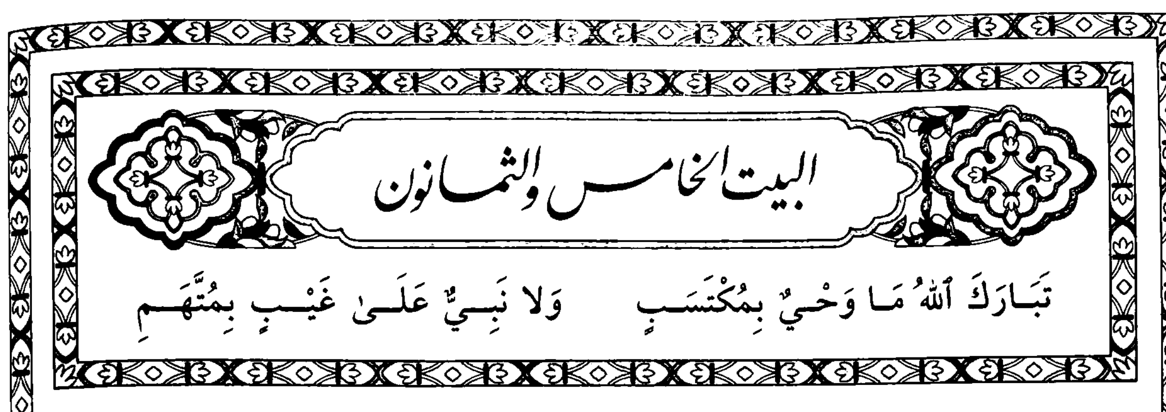
(فذاكَ) أي : الوحيُ الثابتُ مِنْ رُؤْياهُ حالَ النومِ كانَ أو ثبـتَ (حينَ بلـوغٍ) أي : وصولٍ (مِنْ نبوَّتِهِ) إليهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (فليسَ يُنكَرُ منهُ) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وفي بعضِ النسخِ : (فيهِ) بدلَ (منهُ) أي : ليسَ يُنكَرُ في الزمانِ المذكورِ رُؤْياهُ الوحيَ (حالَ مُحتَلِمٍ) فإنَّ ذلكَ إنَّما كانَ في ابتداءِ النبوَّةِ ؛ ليتأنَّسَ بها وبمُلاقَاةِ المَلَكِ ؛ فإنَّهُ لو جاءَهُ ابتداءً . . لأَمكنَ ألا يُطِيقَ مُلاقاتَهُ ، فلمَّا تقوَّىٰ حالُهُ وتأنَّسَ . . أتاهُ الوحيُ في اليَقَظَةِ .

فضميرُ (يُنكَرُ) النائبُ عنِ الفاعلِ ضميرٌ يعودُ على (الوحيِ) ، وضميرُ (منهُ) عائدٌ عليهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، و(حالَ) : منصوبٌ على الظرفِ ، و(مُحتَلِمٍ) علىٰ حذفِ مُضافٍ ؛ أي : حالَ احتلامِ مُحتَلِمٍ ، وقيلَ في تفسيرِهِ غيرُ هـٰذا ممَّا يطولُ ذكرُهُ[1] .

* * *

(١) انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٢١٧) .



ثمَّ ذَكَرَ الاستدلالَ علىٰ صحَّةِ الوحيِ في النومِ ، وعلىٰ صِدْقِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيما يُخبِرُ بهِ عنِ الغيبِ ؛ فقالَ :

(تباركَ اللهُ) أي : تعالىٰ وتعاظَمَ (ما وحيٌ) وإن قلَّ ، أو ما حقيقةُ وحيٍ (بمُكتَسَبٍ) لأحدٍ بسعيهِ فيهِ ، بل هوَ باختصاصِ اللهِ بهِ مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ ؛ فلا يُنكَرُ كونُهُ في نومٍ ، كما لا يُنكَرُ كونُهُ في يقظةٍ ؛ فإنَّ فعلَ الفاعلِ المُختارِ لا يتخصَّصُ بحالةٍ دونَ أُخرىٰ علىٰ سبيلِ الوجوبِ .

(و) تعاظَمَ اللهُ تعالىٰ عنِ اتِّهامِ الأنبياءِ بالكذبِ فيما أخبروا بهِ مِنَ الغيبِ عنِ اللهِ تعالىٰ ، بلِ الحقُّ اليقينُ : أنَّهُ (لا نبيٌّ) مِنَ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ (علىٰ) إخبارِ (غيبٍ بمُتَّهَمٍ) علىٰ ذلكَ الإخبارِ بكذبٍ فيهِ ؛ لعصمتِهِ ؛ قالَ تعالىٰ : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِظَنِينٍ ﴾[1] ؛ أي : بمُتَّهَمٍ .

والذي عليهِ أهلُ الحقِّ : أنَّ النبوَّةَ كرامةٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ لِمَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ ، ونعمةٌ منهُ علىٰ مَنْ يشاءُ ؛ ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾[2] ، ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتِهِ ﴾[3] ؛ فلا تُنالُ بمُجاهَدةٍ واكتسابٍ ، خلافاً

---

(١) سورة التكوير : (٢٤) ، والمثبت قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ، وأما قراءة الضاد ـ وهي قراءة الباقين ـ فهي بمعنىٰ : بخيل ؛ أي : وما هو ببخيلٍ بما يأتيه من قبل ربه عز وجل . انظر « إتحاف فضلاء البشر » (ص٥٧٣ـ٥٧٤) .

(٢) سورة الزخرف : (٣٢) .

(٣) سورة الأنعام : (١٢٤) ، والمثبت قراءة نافع وأبي عمرو وغيرهما ما عدا ابن كثير وحفص . انظر « إتحاف فضلاء البشر » (ص٢٧٣) .

لزاعمي ذلكَ ، وهوَ كفرٌ صُراحٌ مبنيٌّ على أصلِ الفلاسفةِ ؛ مِنْ أنَّ العِلَّةَ تُوجِبُ معلولَها إن وُجِدَ الشرطُ وزالَ المانعُ ، **وفيهِ إبطالُ قاعدةِ** : الفاعلِ المختارِ[1] .

وأجمعتِ الأمَّةُ : على عِصْمةِ الأنبياءِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِم أجمعينَ بعدَ الرسالةِ مِنْ تعمُّدِ الكذبِ في الأحكامِ والتبليغِ عنِ اللهِ تعالى ؛ لأنَّ ما ظهرَ على أيديهِم مِنَ المعجزةِ دلَّ على صدقِهِم ، فلا يجوزُ عليهِمُ الكذبُ ، وإلا . . ناقضَ مدلولَ المعجزةِ .

وأجمعوا أيضاً : على عِصْمتِهِم مِنَ الكبائرِ والصغائرِ الخسيسةِ .

واختُلِفَ في عِصْمتِهِم مِنَ الصغائرِ ، والذي عليهِ المُحقِّقونَ : عِصْمتُهُم منها أيضاً ؛ لأنَّا مأمورونَ باتِّباعِهِم في كلِّ ما يصدُرُ عنهُم مِنْ قولٍ أو فعلٍ[2] .

---

(١) **فأهل السنة يُفسِّرون النبوَّة** : بأنها اختصاصُ العبدِ بسماع وحيٍ من الله تعالى بحكمٍ شرعيٍّ تكليفيٍّ سواءٌ أُمر بتبليغه أم لا ، وهكذا الرسالة ، لكن بشرط أن يُؤمَرَ بالتبليغ ، **وأما الفلاسفة : فإنهم يُفسِّرونها** : بأنها صفاءٌ وتجلٍّ للنفس يحدثُ لها من الرياضات بالتخلِّي عن الأمور الذميمة والتخلُّقِ بالأخلاق الحميدة ؛ فالخلافُ بين المسلمين والفلاسفة في أن النبوة ليست مكتسبةً أو أنها مكتسبةٌ . . مبنيٌّ على الخلاف بينهما في معناها ، **وهذه المسألة من أقوى المسائل التي كفرت بها الفلاسفة ، ويلزم على قولهم** : تجويز نبي بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أو معه ، وذلك مُستلزِمٌ لتكذيب القرآن والسنة ؛ فقد قال تعالى : ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] ، وقال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري (٣٤٥٥) ، ومسلم (١٨٤٢) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه : « لا نبيَّ بعدي » ، **وأجمعت الأمة على إبقائه على ظاهره** ، وانظر « تحفة المريد » (ص٢١١) ، و« شرح العقائد النسفية » (ص٢٩٠ ، ٢٩٧ـ٢٩٨) .

(٢) **ظاهر سياق الشارح** : أن الكلام عن العصمة بعد النبوَّة ، وأمَّا قبلها . . فقال القاضي عياض في « الشفاء » (ص٦٧٣) : (**وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل** =

وحاصلُ ما ذُكِرَ : أنَّهُم معصومونَ مِنَ الصغائرِ والكبائرِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِم أجمعينَ[1] .

فإن قيلَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ﴾[2] ، و﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ ﴾[3] ، ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾[4] . . يدُلُّ علىٰ تقدُّمِ الذنبِ .

فالجوابُ : أنَّ الذنبَ فيها محمولٌ علىٰ تركِ الأَوْلىٰ ، كما قيلَ : (حسناتُ الأبرارِ سيِّئاتُ المُقرَّبينَ)[5] ، وتركُ الأَوْلىٰ ليسَ بذنبٍ ؛ لأنَّ الأَوْلىٰ وما يُقابِلُهُ مُشترِكانِ في إباحةِ الفعلِ ، والعتابُ منهُ تعالىٰ للحثِّ والتحضيضِ علىٰ فعلِ الأَوْلىٰ[6] .

وأمَّا واقعةُ آدمَ . . فيجوزُ أن يكونَ قبلَ نبوَّتِهِ ، ويدُلُّ عليهِ أمرانِ :

أحدُهُما : لو كانَ حالَ الواقعةِ نبيّاً . . لكانَ لهُ أُمَّةٌ ، لـٰكنَّ الاتِّفاقَ حاصلٌ علىٰ أنَّهُ حينَئذٍ لم يَكُنْ لهُ أُمَّةٌ .

= النبوة ؛ فمنعها قوم ، وجوَّزها آخرون ، والصحيحُ إن شاء الله : تنزيهُهم من كل عيب ، وعصمتُهم من كل ما يُوجِبُ الريبَ ، فكيف والمسألةُ تصوُّرُها كالممتنع ؛ فإنَّ المعاصيَ والنواهيَ إنما تكون بعد تقرُّر الشرع ؟!) ، ولعل الشارح ممن يذهب إلىٰ جوازها كما يفهم من كلامه فيما سيأتي .

(١) انظر ذيول هـٰذه المسألة في « الشفاء » (ص٦٦٨ـ٦٧٣) ، و« شرح العقائد النسفية » (ص٣٠٠ـ٣٠٢) ، و« النبراس » للفرهاري (ص٦٠٠) وما بعدها .

(٢) سورة التوبة : (٤٣) .

(٣) سورة الفتح : (٢) .

(٤) سورة الشرح : (٢) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/ ١٣٧) من كلام أبي سعيد الخرَّاز رحمه الله تعالىٰ ، ويحكىٰ عن ذي النون المصري وأبي القاسم الجنيد رحمهما الله تعالى . انظر « كشف الخفاء » (١/ ٣٥٧) .

(٦) انظر تفصيل القاضي عياض في « الشفاء » (ص٦٨٦) وما بعدها في توجيه هـٰذه الآيات الثلاث وما يُشبهها .

ثانيهما : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ ...﴾ الآيةَ[1] : يدُلُّ علىٰ أنَّ الاجتباءَ ـ وهوَ إلباسُ خِلْعَةِ النبوَّةِ ـ كانَ مُتأخِّراً عنِ الواقعةِ ؛ لأنَّ كلمةَ (ثمَّ) للتراخي ، وإذا كانَ ذلكَ قبلَ نبوَّتِهِ . . فلا محذورَ[2] .

وأمَّا قولُ إبراهيمَ عليهِ السلامُ : ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[3] . . فقد ذكرَهُ علىٰ سبيلِ الفَرْضِ ليُبطِلَهُ ؛ كالواحدِ منَّا إذا أرادَ أن يُبطِلُ أمراً ، فيَفرِضُهُ ثمَّ يُلزِمُهُ مُحالاً ؛ فكأنَّهُ قالَ : (لو كانَ ربّاً . . لَمَا كانَ آفِلاً ـ أي : مُتغيِّراً ـ لٰكنَّهُ آفِلٌ ، والآفِلُ لا يكونُ إلٰهاً)[4] ؛ يَدُلُّ علىٰ ذلكَ : قولُهُ : ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾[5] .

وأمَّا نَظَرُهُ في النجومِ[6] . . فكانَ للاستدلالِ علىٰ حكمةِ الصانعِ ، وذلكَ

---

(١) سورة طه : (١٢٢) .

(٢) انظر « الشفاء » (ص٦٩٢ـ٦٩٣ ، ٧٠٣) وما بعدها ؛ ففيها بحث نفيس من جنس ذلك .

(٣) سورة الأنعام : (٧٦) .

(٤) وذلك لأن القرآن مبناه على الإيجاز والإضمار ، فاستدلَّ سيدنا إبراهيم بقوله : ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ بالقياس الشرطي المتصل أو ما يُسمِّيه الإمام الغزالي بـ (ميزان التلازم) حتىٰ يبطل إلٰهية الكوكب المشار إليه ، فاستثناءُ نقيض التالي ـ هو قوله : (لٰكنه آفِلٌ) ـ أنتج نقيضَ المُقدَّم ؛ وهو قوله : (والآفل لا يكون إلٰهاً) ، كل هٰذا مفهوم بالقوَّة من قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ .

(٥) سورة الأنعام : (٧٦) ، فيتركَّب من قول سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالقوَّة قياسٌ اقتراني من الشكل الثاني ، أو ما يُسمِّيه الإمام الغزالي بـ (الميزان الأوسط) ، فكأنه عليه الصلاة والسلام قال : (إن الكوكب آفل ، والإلٰه ليس بآفلٍ ؛ فالكوكب ليس بإلٰه) ، وانظر « القسطاس المستقيم » للإمام الغزالي (ص٥٥) ، و« الشفاء » (ص٦٢٥) ، و« تفسير الرازي » (١٣/ ٣٩) وما بعدها .

(٦) أي : في قوله تعالىٰ حكايةً : ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾ [الصافات : ٨٨] ؛ أي : والحال أن النظر في علم النجوم غير جائز ، فكيف أقدم عليه الخليل عليه الصلاة والسلام ؟

مِنْ أعظمِ الطاعاتِ ؛ ولهٰذا مَدَحَ اللهُ المُتفكِّرينَ في خلقِ السماواتِ والأرضِ[1] .

وأمَّا إخفاءُ يوسفَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ حُرِّيتَهُ عندَ بيعِهِ[2] . . فيجوزُ أن يكونَ قبلَ نبوَّتِهِ ، وأنَّهُ استشعرَ مِنْ إخوتِهِ بقتلِهِ لو أظهرَ ذلكَ ، فصبرَ على الرِّقِّ وكَتَمَ الحُرِّيَّةَ ، وذلكَ جائزٌ قبلَ النبوَّةِ .

وأمَّا ما صَدَرَ مِنْ إخوتِهِ . . فاختُلِفَ في نبوَّتِهِم ، ولو سُلِّمَ . . فلا نُسلِّمُ أنَّهُم أنبياءُ حينَ فعلوا ذلكَ[3] .

وأمَّا هَمُّ يوسفَ بزَليخا . . فجِبِلِّيٌّ لا اختياريٌّ ؛ لأنَّ الرغبةَ في النساءِ مركوزةٌ في جِبِلَّةِ الرجالِ ، وتلكَ محمودةٌ ؛ إذ عدمُها في الرجالِ يَدُلُّ على العُنَّةِ ، وهيَ نقيصةٌ ، ولم يَكُنْ ذلكَ اختياريّاً حتىٰ يكونَ مذموماً ؛ فإنَّ الطبيعةَ بجِبِلَّتِها اقتضَتْ ذلكَ الهَمَّ ، فمنعَها يوسفُ عليهِ السلامُ ، وذلكَ هوَ البُرْهانُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾[4] .

---

(١) ومن ذلك : قوله عز من قائل : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران : ١٩٠-١٩١] ، وانظر « تفسير الرازي » (٢٦/ ٣٤١) .

(٢) أشار بذلك : إلىٰ ما روي عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما : أن إخوة يوسف لمَّا طرحوا يوسف في الجُبِّ ورجعوا . . عادوا بعد ثلاث يتعرَّفون خبره ، فلمَّا لم يروه في الجب ورأوا آثار السيَّارة . . طلبوهم ، فلما رأوا يوسف . . قالوا : هٰذا عبدنا أبق منَّا ، فقالوا لهم : فبيعوه مِنَّا ، فباعوه منهم . انظر « تفسير الرازي » (١٨/ ٤٣٣) .

(٣) وقيل : إنهم إنما فعلوا ذلك عندما كانوا صغار الأسنان . انظر « الشفاء » (ص٦٩٦) .

(٤) سورة يوسف : (٢٤) ، بل حكىٰ أبو حاتم عن أبي عبيدة ـ كما في « الشفاء » (ص٦٩٧) ـ أن الهم لم يحصل من يوسف عليه الصلاة والسلام ، وأن الكلام فيه =

وأمَّا قصَّةُ داودَ عليهِ السلامُ ـ وهيَ أنَّ داودَ طَمِعَ في زوجةِ أخيهِ ليتزوَّجَها لمَّا عَلِمَ بحُسْنِها ، فأرسلَ اللهُ إليهِ مَلَكينِ في صورةِ رجلَينِ اختصما إليهِ الخُصومةَ التي ذكرَها اللهُ في سورةِ (صۤ) ـ . . **فلم تثبُتْ صحَّتُها** ؛ لأنَّ داودَ طَمِعَ في نكاحِ زوجةِ أخيهِ لمَّا سَمِعَ قتلَ أخيهِ ؛ فلهٰذا القدرِ عُوتِبَ عليهِ ؛ لأنَّهُ دليلٌ علىٰ أنَّهُ لم يَغْتَمَّ بموتِ أخيهِ[1] .

وما هوَ مذكورٌ في السورةِ يحتملُ : أن يكونَ المرادُ منهُ غيرَ هٰذهِ القصَّةِ ؛ حتىٰ قالَ بعضُ المُفسِّرينَ : إنَّ جماعةً تسوَّروا قَصْرَهُ ليقتلوهُ ، فلمَّا رآهُم داودُ . . خافَ ؛ **لِمَا تقرَّرَ في العُرْفِ** : أنَّهُ لا يَتسوَّرُ دُورَ الملوكِ مِنْ غيرِ إذنِهِم إلا ذو رِيبةٍ ؛ **وهوَ المرادُ مِنْ قولِهِ** : ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾[2] ، فلمَّا رَأَوْهُ مُستيقظاً . . خافوا مِنْ فعلِهِم واخترعوا خصومةً لا أصلَ لها زعماً منهُم أنَّهُم إنَّما قصدوهُ لأجلِها دونَ ما توهَّمَهُ ؛ **وهوَ المرادُ مِنْ قولِهِ** : ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[3] ، ثمَّ ادَّعىٰ واحدٌ منهُم على الآخرِ كما أخبرَ اللهُ

= تقديم وتأخير ؛ أي : ولقد همَّت به ، ولولا أن رأىٰ برهان ربه لَهَمَّ بها ، وذكر القاضي عياض قبل ذلك قولين في توجيه هٰذه الآية ؛ وهو أن همَّ النفس لا يُؤاخذ به العبدُ وليس سيئة ، وعزاه لكثير من الفقهاء والمحدثين ، أو أن الهَمَّ إذا وُطِّنت عليه النفس . . فيكون سيئة ، وأما ما لم تُوطَّن عليه النفسُ من همومها وخواطرها . . فهو المعفوُّ عنه ، وعزاه للمحققين من الفقهاء والمتكلمين ، ورجَّحه .

(١) انظر « الشفاء » (ص٦٩٤ـ٦٩٥) ، وقال رحمه الله تعالىٰ : (وأما قصة داود عليه السلام . . فلا يجب أن يلتفت إلىٰ ما سطَّره فيها الإخباريُّون عن أهل الكتاب الذين بدَّلوا وغيَّروا ونقله بعض المفسرين) ، وقال أيضاً : (وإلىٰ نفي ما أُضيف في الأخبار إلىٰ داود . . ذهب أحمد بن نصر وأبو تمَّام وغيرهما من المحققين ، وقال الداودي : ليس في قصَّة داود وأُوْرِيا خبرٌ يثبت ، ولا يُظَنُّ بنبي محبَّةُ قتل مسلم) .

(٢) سورة صۤ : (٢٢) .

(٣) سورة صۤ : (٢٢) .

تعالىٰ ؛ فقالَ داودُ في جوابِهم[1] : ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ . . . ﴾ الآيةَ[2] .

وحملُ هٰذهِ الآيةِ علىٰ هٰذهِ القصَّةِ أولىٰ ؛ لأنَّ الملائكةَ ما ظَلَمَ بعضُهُم علىٰ بعضٍ ، فيكونُ كذباً ، وحَمْلُ النَّعْجَةِ على النساءِ مجازٌ ، والأصلُ عدمُهُ وعدمُ صدورِ الكذبِ عنِ الملائكةِ ، وأمَّا ها هنا . . لم يلزمْ إلا ارتكابُ الكذبِ عن تلكَ اللصوصِ ، وهوَ جائزٌ .

فإن قيلَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ﴾[3] . . مُنافٍ لما ذكرتُم ؛ فإنَّ ذلكَ لا يقتضي الاستغفارَ .

فالجوابُ : أنَّ المرادَ : اختبرناهُ في أنَّهُ معَ كمالِ سَلْطَنتِهِ هل ينتقمُ منهُم أو يعفو عنهُم ، والاستغفارُ إنَّما كانَ لهُم لا لنفسِهِ ، وذلكَ غايةُ الحلمِ والكرمِ ، فلا يكونُ مُنافِياً لما ذُكِرَ .

---

(١) في (هـ) : (في جوابه) .

(٢) سورة صَ : (٢٤) ، وانظر « تفسير الرازي » (٢٦/ ٣٧٧ـ٣٨١) ، وقال الرازي : (فإن قال قائل : إن كثيراً من أكابر المُحدِّثين والمُفسِّرين ذكروا هٰذه القصةَ ، فكيف الحال فيها ؟ فالجواب الحقيقيُّ : أنه لمَّا وقع التعارضُ بين الدلائل القاطعة وبين خبرٍ واحدٍ من أخبار الآحاد . . كان الرجوع إلى الدلائل القاطعةِ أولىٰ ، وأيضاً : فالأصل براءةُ الذمَّة ، وأيضاً : فلمَّا تعارض دليلُ التحريم والتحليل . . كان جانب التحريم أولىٰ ، وأيضاً : طريقة الاحتياط تُوجِبُ ترجيحَ قولنا ، وأيضاً : فنحن نعلم بالضرورة أن بتقدير وقوع هٰذه الواقعة . . لا يقول اللهُ لنا يومَ القيامة : لِمَ لمْ تسعَوْا في تشهير هٰذه الواقعة ؟ وأما بتقدير كونها باطلةً . . فإنَّ علينا في ذكرها أعظمَ العقاب ، وأيضاً : فقال عليه السلام : « إذا علمتَ مثلَ الشمسِ . . فاشهَدْ » ، وها هنا لم يحصلِ العلمُ ولا الظنُّ في صحة هٰذه الحكاية ، بل الدلائل القاهرة التي ذكرناها قائمةٌ ، فوجب ألا تجوز الشهادة بها ، وأيضاً : كل المفسرين لم يتَّفقوا علىٰ هٰذا القول ، بل الأكثرون المُحقُّون والمحققون منهم يردونه ، ويحكمون عليه بالكذب والفساد ، وأيضاً : إذا تعارضت أقوال المفسرين والمحدثين فيه . . تساقطت ، وبقي الرجوعُ إلى الدلائل التي ذكرناها) .

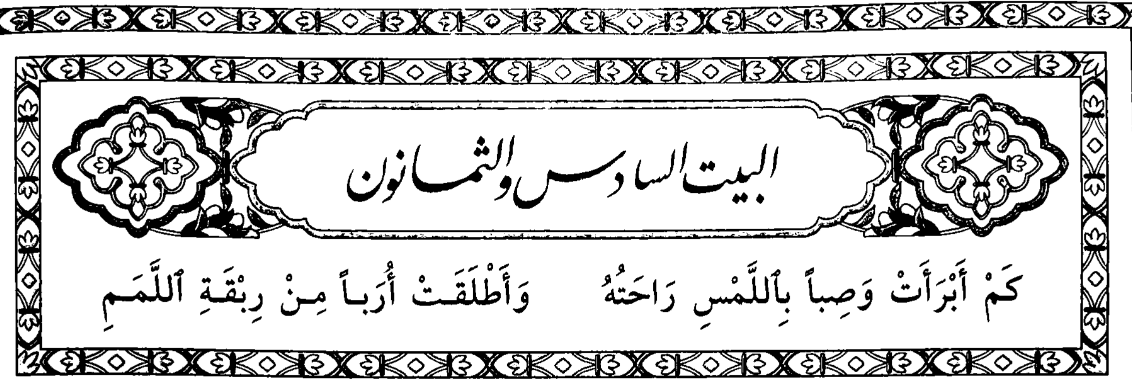
(٣) سورة صَ : (٢٤) .

فإن قيلَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ﴾[1] . . يُنافي ما ذُكِرَ ؛ إذ لو كانَ الاستغفارُ لهُم . . لَوجبَ أن يقولَ : (فغفَرْنا لهُم) .

فالجوابُ : يحتملُ : أن يكونَ المرادُ مِنْ ﴿ لَهُ ﴾ ؛ أي : لحُرْمتِهِ أو لشفاعتِهِ ، فحُذِفَ المُضافُ وأُقِيمَ المُضافُ إليهِ مُقامَهُ .

* * *

(١) سورة صٓ : (٢٥) .



البيت السادس والثمانون

كَمْ أَبْرَأَتْ وَصِباً بِٱللَّمْسِ رَاحَتُهُ ... وَأَطْلَقَتْ أَرِباً مِنْ رِبْقَةِ ٱللَّمَمِ

ثمَّ عَقَّبَ الناظمُ ما ذكرَهُ بذكرِ بعضِ ما ظهرَ علىٰ يديهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنَ المعجزاتِ الدَّالَّةِ علىٰ صدقِهِ ؛ فقالَ :

(كَمْ) أي : كثيراً ما (أَبْرَأَتْ وَصِباً) بكسرِ الصادِ ؛ أي : مريضاً (باللَّمْسِ راحتُهُ) الصادرِ منهُ بها للمرضِ المذكورِ لمساً[١] .

وأشارَ بهٰذا : إلىٰ نحوِ ما رُوِيَ : أنَّ شُرَحْبِيلَ الجُعْفيَّ كانَتْ بكفِّهِ سِلْعةٌ تمنعُهُ القبضَ على السيفِ وعِنانِ الدابَّةِ[٢] ، فشكاها للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فما زالَ يطحنُها بكفِّهِ حتىٰ لم يبقَ لها أثَرٌ[٣] .

(و) كثيراً ما (أطلقَتْ) راحتُهُ (أُرِباً) بضمِّ الهمزةِ وفتحِ الراءِ ؛ أي : حلَّتْ عُقَداً كائنةً تلكَ العُقَدُ (مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ) أي : مِنْ عُقَدِ الجنونِ التي يربطونَ بها الآدميِّينَ .

---

(١) كلمة (لمساً) غير موجودة في « إظهار صدق المودة » .

(٢) السِّلْعةُ : خُراج كهيئة الغُدَّة تتحرك بالتحريك ، قال الأطباء : هي ورم غليظ غير ملتزق بالجسم يتحرك عند تحريكه ، وله غلاف ، وتقبل التزايد . « المصباح المنير » (١/ ٣٨٨) ، مادة : (س ل ع) .

(٣) أخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (٢٦٩٤) ، ومن طريقه البيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ١٧٦) ، ومن ذلك أيضاً : ما أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٥١) : أن سيدنا الصحابي الجليل قتادة بن النعمان رضي الله عنه أُصيبت عينُه يومَ بدر ، فسالت حَدَقَتُهُ علىٰ وجنته ، فردَّها صلى الله عليه وسلم براحته الشريفة إلىٰ مكانها ، فكانت أحسنَ من العين الأخرىٰ ، وراجع « إظهار صدق المودة » (ق/ ٢٢٦ـ٢٢٧) ففيه أحاديث كثيرة من جنس هٰذا الباب .

وهٰذا علىٰ سبيلِ الاستعارةِ والتشبيهِ ؛ لأنَّ الجانَّ لمَّا كانَ يخنُقُ الآدميَّ ومَحَلُّ الخَنْقِ العُنُقُ . . فشبَّهَ فِعْلَهُ ذلكَ بالآدميِّينَ بالحبلِ[1] الذي فيهِ عُراً يدخلُ في تلكَ العُرا أعناقُ الغنمِ لئلا يذهبوا ؛ فَمَنْ شفاهُ اللهُ تعالىٰ مِنَ الجنونِ ببركةِ لَمْسِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إيَّاهُ براحتَيْهِ . . فقد أُطلِقَتْ عنهُ عُقَدُ الجانِّ .

وأشارَ بهٰذا : إلىٰ نحوِ ما رُوِيَ : أنَّ امرأةً أتتْهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بابنٍ لها بهِ جُنونٌ ، فمسحَ بيدِهِ المُبارَكةِ صدرَهُ ، فَثَعَّ ثَعَّةً ـ أي : قاءَ ـ فخرجَ مِنْ جوفِهِ مثلُ الجَرْوِ الأسودِ[2] .

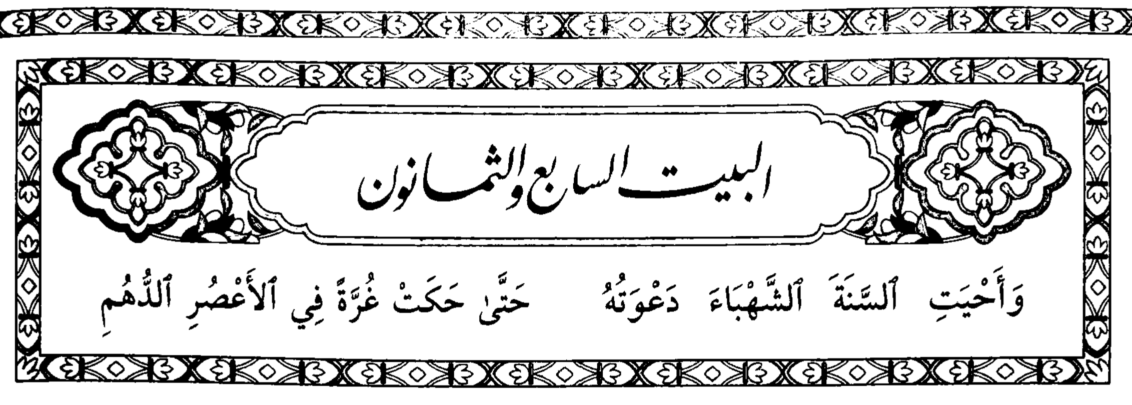
وإن فُسِّرَ اللَّمَمُ : بالذنوبِ والمعاصي . . فالمعنىٰ : كثيراً ما أَطْلَقَتْ راحتُهُ عُقَداً مِنْ رِبْقَةِ حبلِ الكفرِ ، ثمَّ أصبحَ منها محلولاً ببركةِ مسِّهِ بكفِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

ويحتملُ : أن يكونَ (أَرَباً) علىٰ وزنِ (فَرَحاً) أي : ذا حاجةٍ ، وهيَ أعمُّ مِنْ أن تكونَ إلىٰ إعطاءٍ ، أو إلىٰ شفاءٍ ، أو إلىٰ تخلُّصٍ مِنْ إثمٍ ، والمُحتاجُ إلى الشيءِ قبلَ اتِّصالِهِ بحاجتِهِ كأنَّهُ مجنونٌ ، فإذا اتَّصلَ بها كأنَّهُ أُطلِقَ .

* * *

(١) قوله : (بالآدميين) متعلق بـ (فِعْلَه) المصدرِ ، وقوله : (بالحبل) متعلق بـ(شبَّه) .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٥٤) ، والدارمي في «المسند» (١٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٢/ ٥٧) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .



البيت السابع والثمانون

وَأَحْيَتِ ٱلسَّنَةَ ٱلشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ   حَتَّىٰ حَكَتْ غُرَّةً فِي ٱلأَعْصُرِ ٱلدُّهُمِ

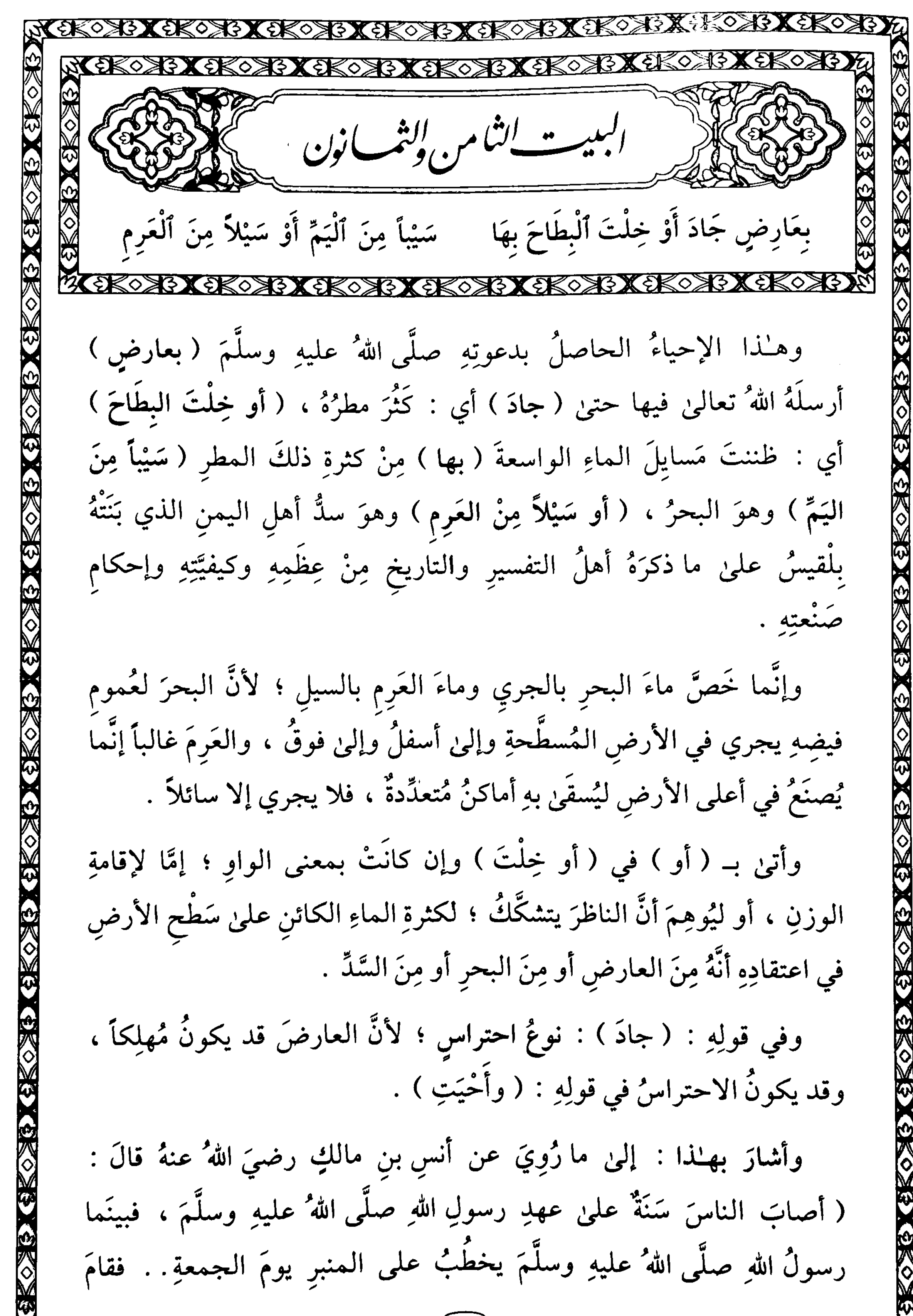
(و) مِنْ معجزاتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أَنْ (أَحْيَتْ) أي : أخصبتِ (السَّنَةَ الشَّهْباءَ) التي لا مطرَ فيها ولا نباتَ ، وسُمِّيَتْ بذلكَ ؛ لغلبةِ بياضِ الأرضِ فيها بعدمِ النباتِ ؛ فهيَ بالنسبةِ إلى البياضِ ميتةٌ أَحْيَتْها (دعوتُهُ) أي : دعاؤُهُ وتضرُّعُهُ إلى اللهِ تعالىٰ في أن يُحيِيَ اللهُ تلكَ السَّنَةَ بالمطرِ ، فاستجابَ اللهُ دعاءَهُ ، ونزلَ المطرُ ، وحَيِيَتِ السَّنَةُ بتبديلِ حالِ الجَدْبِ فيها بحالِ الخِصْبِ .

(حتىٰ حَكَتْ) أي : شابَهَتْ (غُرَّةً في الأَعْصُرِ الدُّهْمِ) بضمِّ الدالِ وسكونِ الهاءِ ، ويجوزُ ضمُّها إتباعاً ؛ أي : صارتْ نسبةُ تلكَ السَّنَةِ بما اشتملَتْ عليهِ مِنَ الخِصْبِ إلىٰ سائرِ الأَعْصُرِ الدُّهْمِ ـ أي : إلىٰ أزمنةِ الخِصْبِ ـ . نسبةَ الغُرَّةِ مِنْ كلِّ شيءٍ ، وهوَ الأفضلُ منهُ ، وإنَّما كانَتْ أزمنةُ الخِصْبِ دهماً ؛ لشدَّةِ خُضْرةِ النباتِ فيها .

و(السَّنَةَ) : مفعولُ (أَحْيَتْ دعوتُهُ) .

وفي هـٰذا البيتِ : الترشيحُ ؛ وهوَ : أن يذكرَ في معنى المدحِ أو غيرِهِ ألواناً ؛ لقصدِ الكنايةِ والتوريةِ ، وهوَ في كلامِ الناظمِ في قولِهِ : (السَّنَةَ الشهباءَ) إذِ الشهباءُ كنايةٌ عنِ السَّنَةِ المُجدِبةِ ، والدُّهمُ كنايةٌ عن سِنِيِّ الخِصْبِ على الأصحِّ .

* * *



البيت الثامن والثمانون

بِعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْتَ ٱلْبِطَاحَ بِهَا ... سَيْباً مِنَ ٱلْيَمِّ أَوْ سَيْلاً مِنَ ٱلْعَرِمِ

وهـٰذا الإحياءُ الحاصلُ بدعوتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (بعارضٍ) أرسلَهُ اللهُ تعالىٰ فيها حتىٰ (جادَ) أي : كَثُرَ مطرُهُ ، (أو خِلْتَ البِطَاحَ) أي : ظننتَ مَسايِلَ الماءِ الواسعةَ (بها) مِنْ كثرةِ ذلكَ المطرِ (سَيْباً مِنَ اليَمِّ) وهوَ البحرُ ، (أو سَيْلاً مِنْ العَرِمِ) وهوَ سدُّ أهلِ اليمنِ الذي بَنَتْهُ بِلْقيسُ علىٰ ما ذكرَهُ أهلُ التفسيرِ والتاريخِ مِنْ عِظَمِهِ وكيفيَّتِهِ وإحكامِ صَنْعتِهِ .

وإنَّما خَصَّ ماءَ البحرِ بالجري وماءَ العَرِمِ بالسيلِ ؛ لأنَّ البحرَ لعُمومِ فيضِهِ يجري في الأرضِ المُسطَّحةِ وإلىٰ أسفلُ وإلىٰ فوقُ ، والعَرِمَ غالباً إنَّما يُصنَعُ في أعلى الأرضِ ليُسقَىٰ بهِ أماكنُ مُتعدِّدةٌ ، فلا يجري إلا سائلاً .

وأتىٰ بـ (أو) في (أو خِلْتَ) وإن كانَتْ بمعنى الواوِ ؛ إمَّا لإقامةِ الوزنِ ، أو ليُوهِمَ أنَّ الناظرَ يتشكَّكُ ؛ لكثرةِ الماءِ الكائنِ علىٰ سَطْحِ الأرضِ في اعتقادِهِ أنَّهُ مِنَ العارضِ أو مِنَ البحرِ أو مِنَ السَّدِّ .

وفي قولِهِ : (جادَ) : نوعُ احتراسٍ ؛ لأنَّ العارضَ قد يكونُ مُهلِكاً ، وقد يكونُ الاحتراسُ في قولِهِ : (وأَحْيَتِ) .

وأشارَ بهـٰذا : إلىٰ ما رُوِيَ عن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (أصابَ الناسَ سَنَةٌ علىٰ عهدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فبينَما رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يخطُبُ على المنبرِ يومَ الجمعةِ . . فقامَ

أعرابيٌّ ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ هَلَكَ المالُ وجاعُ العِيالُ ، فادعُ اللهَ لنا أن يَسْقِيَنا ، فرفعَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يديهِ وما نرىٰ في السماءِ قَزَعَةً[1] ، قالَ : فثارَ السحابُ أمثالَ الجبالِ ، ثمَّ لم يَزَلْ علىٰ مِنْبَرِهِ حتىٰ رأيتُ المطرَ يتحادرُ علىٰ لحيتِهِ . . .) الحديثَ[2] .

ووقعَ في بعضِ النسخِ هنا تسعةُ أبياتٍ يُقالُ : إنَّها للإمامِ أبي عليٍّ بنِ الجيَّابِ الأندلسيِّ شارحِ « الخزرجيَّةِ » في العَروضِ[3] ، أَضْرَبْنا عنها ؛ لأنَّها ليسَتْ ثابتةً في روايتِنا[4] .

---

(١) القَزَعَة : القطعة من السحاب .

(٢) أخرجه البخاري (٩٣٣) ، ومسلم (٨٩٧/ ٩) .

(٣) ذكره ابن مقلاش في موضع باسم : أبي الحسن بن الجياب ، وفي موضع باسم : أبي عبد الله محمد بن الجياب ، وانظر « ابن الجياب الغرناطي حياته وشعره » (ص٣) .

(٤) وهـٰذه الأبيات هي :

لمَّا شَكَتْ وقعَهُ البطحاءُ قالَ لهُ	على الرُّبا والهضابِ انهلَّ وانسَجِمِ
فأدَّتِ الأرضُ مِنْ رزقٍ أمانتَها	بإذنِ خالقِها للناسِ والنَّعَمِ
وأُلبِسَتْ حُلَلاً من سندسٍ ولَوَتْ	عمائماً برؤوسِ الهُضْبِ والأَكَمِ
فالنخلُ باسقةٌ تَجْلو قلائدَها	مثلَ البَهارِ على الخدَّينِ والعَنَمِ
وفارقَ الناسَ داءُ القَحْطِ وانبعثَتْ	إلى المكارمِ نفسُ النِّكْسِ والبَرِمِ
إذا تتبَّعْتَ آياتِ النبيِّ فقد	ألحقتَ مُنفَخِماً منها بمُنفَخِمِ
قُلْ للمُحاوِلِ شَاوٍ في مدائحِهِ	هيَ المواهبُ لم أَشْدُدْ لها زِيَمِي
ولا تَقُلْ لي بماذا نِلْتَ جَيِّدَها	فما يُقالُ لفضلِ اللهِ ذا بِكَمِ
لولا العِنايةُ كانَ الأمرُ فيهِ علىٰ	حدِّ السَّواءِ فذو نُطْقٍ كذي بَكَمِ

قال ابن مرزوق في « إظهار صدق المودة » (ق/ ٢٣١) : (هـٰذه الأبيات التسعة تقع في بعض نسخ « البردة » التي بالمغرب في هـٰذا المحل ، وليست بثابتة في روايتنا ، وذكر بعض الثقات من أصحابنا : أن الذي زادها في القصيد الإمام الفاضل أبو علي بن الجيَّاب الأندلسي الغرناطي من شيوخ الإمام القاضي الشهير أبي العباس=

وحاصلُها[1] : أنَّهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ حينَ استسقىٰ للناسِ على المنبرِ ، ودامَ المطرُ مِنَ الجمعةِ إلى الجمعةِ ، واستَصْحَىٰ لهُم ، وأقلعَ المطرُ . . أُلبِسَتِ الأرضُ مِنَ النباتِ حُلَلاً مِنَ السندسِ الأخضرِ ، وأذهبَ اللهُ الجَدْبَ عنهُم ، وفارقَهُم داءُ القَحْطِ ، وأطلقوا أيديَهُم بالعطاءِ لِمَنْ سألَهُم[2] .

* * *

= الشريف الحسني الغرناطي شارح « مقصورة حازم » الشرح البديع ، وشارح « قصيدة الخزرجي » في العروض ، وله علىٰ « تسهيل ابن مالك » شرح سمَّاه بـ « قصد السبيل في شرح التسهيل » جنح فيه إلى الاختصار ، وكنت سمعت أيضاً أن الأبيات لبعض الفاسيِّينَ ، والله أعلم .

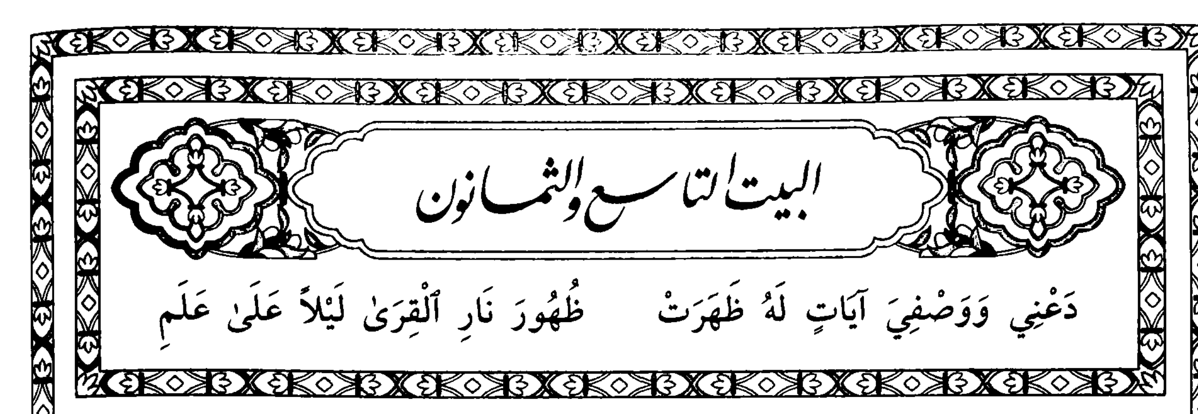
ولولا اشتهارها في الناس منسوبة إلىٰ هٰذه القصيدة المباركة . . ما تصدَّينا لشرحها ؛ إذ لم تثبت في روايتنا ، كما فعلنا في « الاستيعاب » ، وآثار المباينة بينها وبين الناظم ظاهر ؛ فلذا ترىٰ كلامنا عليها في الفصول خفيفاً .

وبعضهم أضاف إليها قوله : « كفاك بالعلم . . . » البيتَ ، وليس كذلك ، بل هٰذا البيت ثابت في الرواية بعد قوله فيما يأتي إن شاء تعالىٰ : « كم جدَّلت كلمات الله . . . » البيت) .

وضمَّ ابن مقلاش في « شرحه » (٢/ ٤٧٩) إلىٰ هٰذه الأبيات التسعة بيتين آخرين ؛ وهما : (وأحيت السنة . . .) البيتين ، وقال : (ولا شك الزوائدُ التي أُلحقت بـ « البردة » في غاية التناسب) ، والصحيح : أنهما من « البردة » ، وانظر « شفاء القلب الجريح » (ص٣٥٥) .

(١) في (هـ) : (وحاصله) .

(٢) كما في حديث سيدنا أنس السابق قبل قليل .



وكأنَّ الناظمَ رحمَهُ اللهُ قَدَّرَ أنَّ العدوَّ الكافرَ الجاحدَ المُكذِّبَ لمَّا يسمعُ منهُ مِنَ الإخبارِ عن معجزاتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ لهُ لتكذيبِهِ بها : كُفَّ عنَّا مِنَ الأخبارِ التي لا نُسلِّمُها ، فأجابَهُ تقديراً ؛ بأَنْ قالَ : كيفَ بكَ إنكارُ مثلِ آيةِ الاستسقاءِ ؟!

فيا أيُّها الجاحدُ للضروريَّاتِ ؛ (دَعْني ووصفيَ آياتٍ لهُ ظَهَرَتْ ظُهورَ نارِ القِرَىٰ) التي كانَ الكرامُ مِنَ العربِ يأمرونَ بإيقادِها (ليلاً علىٰ عَلَمٍ) وهوَ جبلٌ مِنَ الجبالِ المُرتفعاتِ التي يُهتَدىٰ بها ، وإنَّما يفعلونَ ذلكَ لتهتديَ الأضيافُ إلىٰ منازلِهم .

وكأنَّهُ يقولُ : إنَّما أَصِفُ مِنْ آياتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما لا يَسَعُ إنكارُهُ ؛ لظهورِهِ مثلَ ظهورِ نارِ القِرَى الكبيرةِ ليلاً علىٰ عَلَمٍ .

والتنكيرُ في (الليلِ) و(العَلَم) : للنوعيَّةِ ؛ أي : ليلاً حالكاً وجبلاً شامخاً ، أو للتعظيمِ .

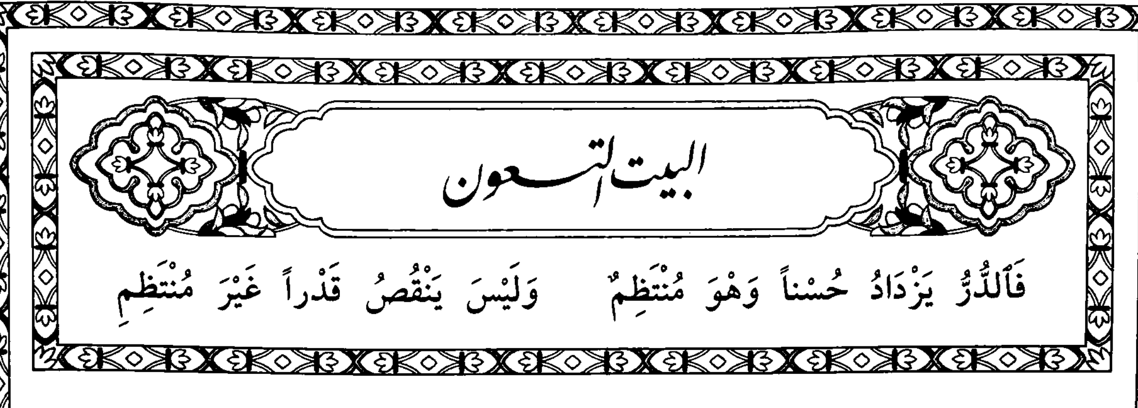
و(ظُهورَ) : مصدرٌ مُشبَّهٌ بهِ ، والعاملُ فيهِ : (ظَهَرَتْ) ، والأصلُ : ظهوراً مثلَ ظهورِ ، فحُذِفَ الموصوفُ وأُقِيمَتْ صفتُهُ التي هيَ (مثلَ) مُقامَهُ ، ثمَّ حُذِفَتْ وأُقِيمَ المضافُ إليهِ مُقامَهُ .

وكأنَّ قائلاً يقولُ لهُ : إذا كانَ ظهورُ آياتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ظُهورَ نارِ القرىٰ ليلاً علىٰ عَلَمٍ . . فكلُّ الناسِ يُشاهِدُها ، فما فائدةُ وصفِكَ لها ؟

فكأنَّهُ قالَ : إنَّها وإن كانَتْ مُدرَكةً وحسنُها ظاهرٌ إلا أنَّ تعَرُّضي لوصفِها بالنظمِ يَزيدُها حُسْناً وإن كانَ قَدْرُها لا ينقُصُ إن لم تُنظَمْ[1] .

* * *

(١) في (ب) : (ينتظم) .



البيت التسعون

فَٱلدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْناً وَهْوَ مُنْتَظِمٌ ۞ وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غَيْرَ مُنْتَظِمِ

واستدلَّ علىٰ ذلكَ بمثالٍ محسوسٍ يُدرَكُ فيهِ هـٰذا المعنىٰ بقولِهِ :

(فالدُّرُّ) وهوَ اللُّؤلؤُ وإن كانَ حَسَناً في نفسِهِ ، لـٰكنَّهُ (يزدادُ حُسْناً) بالنصبِ تمييزٌ منقولٌ مِنَ الفاعلِ ، والأصلُ : يزدادُ حُسْنُهُ (وهوَ مُنتَظِمٌ) في السِّلْكِ ؛ لما يثبُتُ لهُ مِنَ الترتيبِ والتناسُبِ ، (وليسَ ينقُصُ قدراً غيرَ مُنتَظِمِ) .

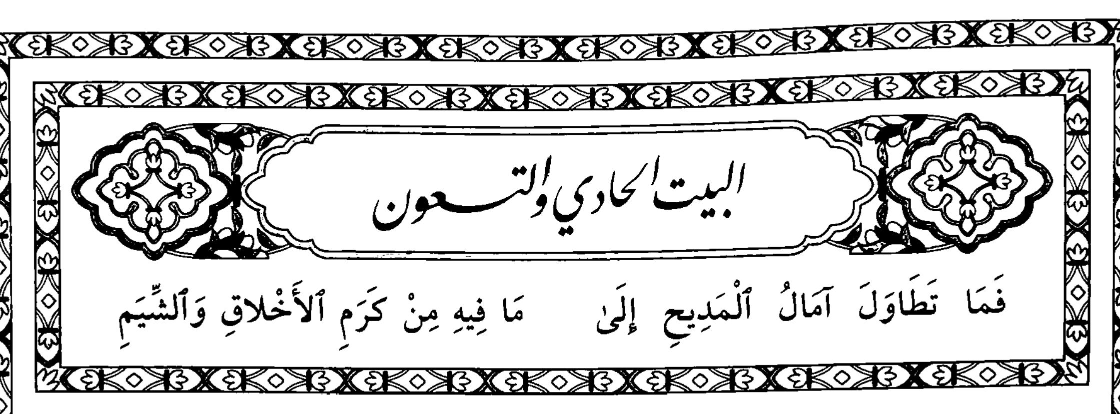
نعم ؛ حُسْنُهُ الذي يظهرُ للعينِ إن نُظِمَ ينقُصُ ، وهـٰذا بيِّنٌ ؛ لأنَّ ما يزيدُ بوصفٍ ينقُصُ بسَلْبِ ذلكَ الوصفِ[1] ، فكذا ما يحصلُ مِنْ زيادةِ الالتذاذِ بسماعِ الآياتِ منظومةً ؛ ينقُصُ معَ الإخبارِ بها نثراً وقدرُها مِنَ التعظيمِ الحاصلِ لها في ذاتِها لا ينقُصُ .

فإن قيلَ : لِمَ لَمْ يقتصرْ علىٰ قولِهِ : (يزدادُ حُسْناً) فإنَّهُ إذا أخبرَ أنَّهُ إنَّما يزدادُ بالنَّظْمِ حُسْناً علىٰ أنَّ أصلَ الحُسْنِ حاصلٌ لهُ قبلَ ذلكَ . . فما فائدةُ قولِهِ : (وليسَ ينقُصُ قَدْراً غيرَ مُنتَظِمِ) ؟

فالجوابُ : أنَّهُ مِنَ الاحتراسِ الرافعِ لما يُتوهَّمُ مِنْ أنَّ ازديادَ الحُسْنِ بالنَّظْمِ يُوجِبُ فواتُهُ نقصَ القَدْرِ .

* * *

(١) في (هـ) : (بوصفه) بدل (بوصف) ، والمثبت أنسب وموافق لـ « إظهار صدق المودة » .



(فما تَطاوَلَ آمالُ) صاحبِ (المديحِ) وهوَ الثناءُ الحَسَنُ (إلىٰ) تمامِ (ما فيهِ) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (مِنْ كَرَمِ الأخلاقِ) التي جَبَلَهُ اللهُ تعالىٰ عليها ، (و) كَرَمِ (الشِّيَمِ) وهيَ الطِّباعُ .

وهـٰذا البيتُ مِنْ أَبْدَعِ ما يُمدَحُ بهِ ؛ لأنَّ العَجْزَ عن دركِ الإدراكِ إدراكٌ .

ويحتملُ : أن تكونَ (ما) نافيةً ، وأن تكونَ استفهاميةً ؛ فعلىٰ كونِها نافيةً : يكونُ المعنىٰ : أنَّ وَصْفَ الآياتِ بالنَّظْمِ وإن كانَ يزيدُها حُسْناً . . فلا يُتوهَّمُ أنَّ أحداً أتىٰ مِنْ ذلكَ بما لهُ نسبةٌ إلىٰ ما يستحقُّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأنَّ آمالَ صاحبِ المديحِ ما تطاولَتْ ـ أي : ما مَدَّتْ ـ عُنُقَها تلكَ الآمالُ لتنظرَ مِنْ بعيدٍ إلىٰ تمامِ ما فيهِ مِنْ كَرَمِ الأخلاقِ وكَرَمِ الشِّيَمِ .

وعلى الاستفهامِ : يكونُ المقصودُ بهِ الاستعارةَ ؛ أي : أيُّ فائدةٍ لتَطاوُلِ أعناقِ المديحِ إلىٰ تمامِ ما فيهِ مِنَ الأخلاقِ والشِّيَمِ ؛ فإنَّهُ شيءٌ لا يُدرَكُ ، فالتشوُّفُ لإدراكِهِ عَناءٌ ؟!

والنفيُ أمدحُ ؛ فإنَّهُ نفيُ التطاوُلِ مِنْ أصلِهِ ؛ للإياسِ مِنْ إدراكِهِ ما يُتطاولُ إليهِ .

وعلى النفيِ : فـ (تَطَاوَلَ) : فعلٌ ماضٍ ، و(آمالُ) : فاعلُهُ ، و(المديحِ) : مُضافٌ إليهِ .

وعلى الاستفهامِ : فـ (تَطَاوُلُ) : مصدرٌ مرفوعٌ خبرُ (ما) الاستفهاميّةِ ؛

فإنَّها مُبتدَأٌ ، و(آمالِ) : مخفوضٌ بالإضافةِ ، والفاءُ الداخلةُ علىٰ (ما) : عاطفةٌ ، و(المديحَ) : منصوبٌ بنزعِ الخافضِ[1] .

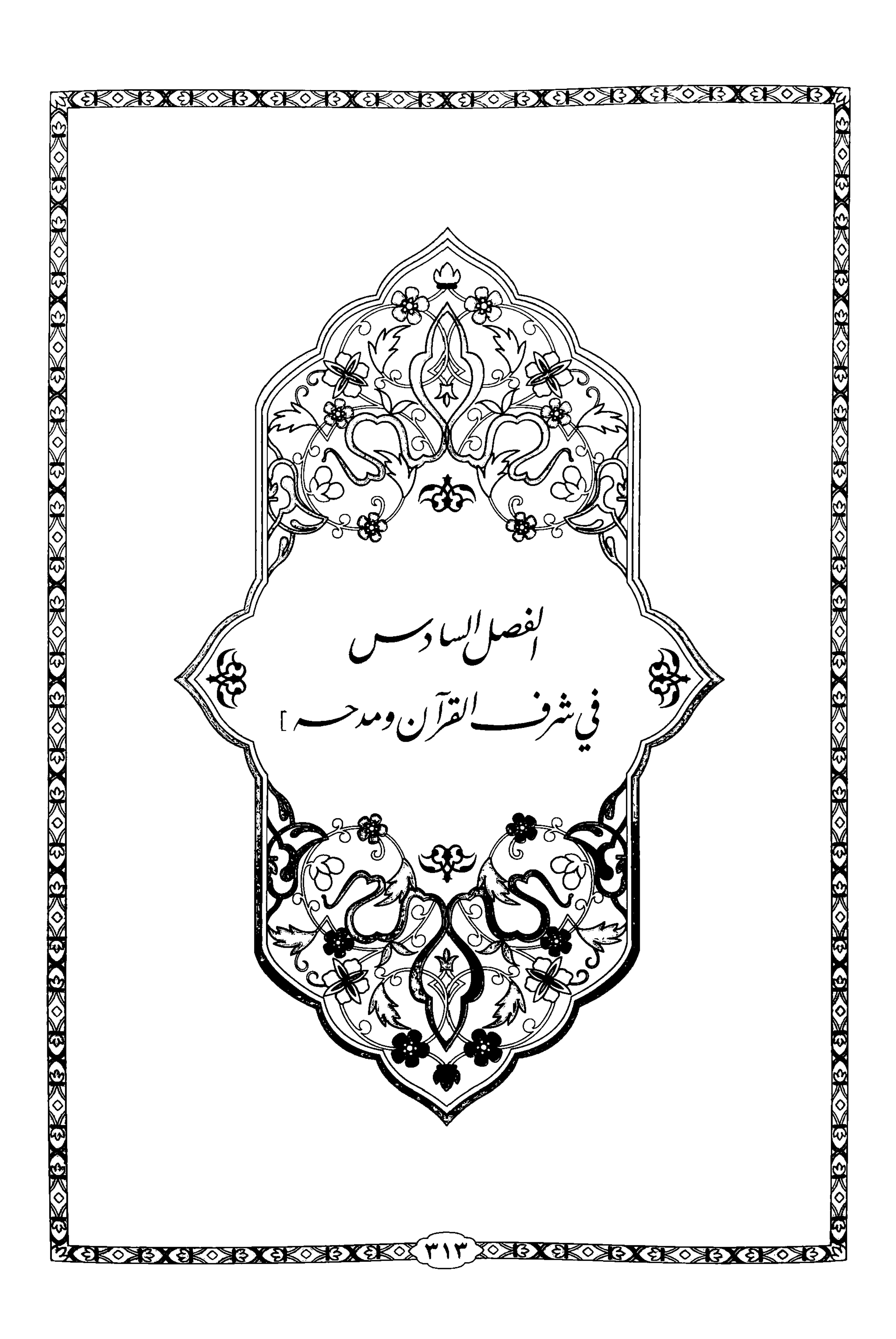
فإن قيلَ : كَرَمُ الشِّيَمِ هوَ كرمُ الأخلاقِ أو أعمُّ منها ؛ فلِمَ ذَكَرَها ؟

فالجوابُ : قد يكونُ كَرَمُ الأخلاقِ عنِ استعمالٍ ، **فدفعَ ذلكَ الإيهامَ بقولِهِ** : (والشِّيَمِ) فهوَ **شِبْهُ احتراسٍ** ؛ أي : أنَّ كَرَمَ أخلاقِهِ مِنْ كَرَمِ طِباعِهِ ، لا أنَّها بالاستعمالِ ، ولم يَسْتغنِ بالثاني ؛ لأنَّ الطبائعَ لا تظهرُ للوجودِ ، وإنَّما تظهرُ آياتُها ، **وعَطْفُ المُرادِفِ في مقامِ المدحِ سائغٌ** .

* * *

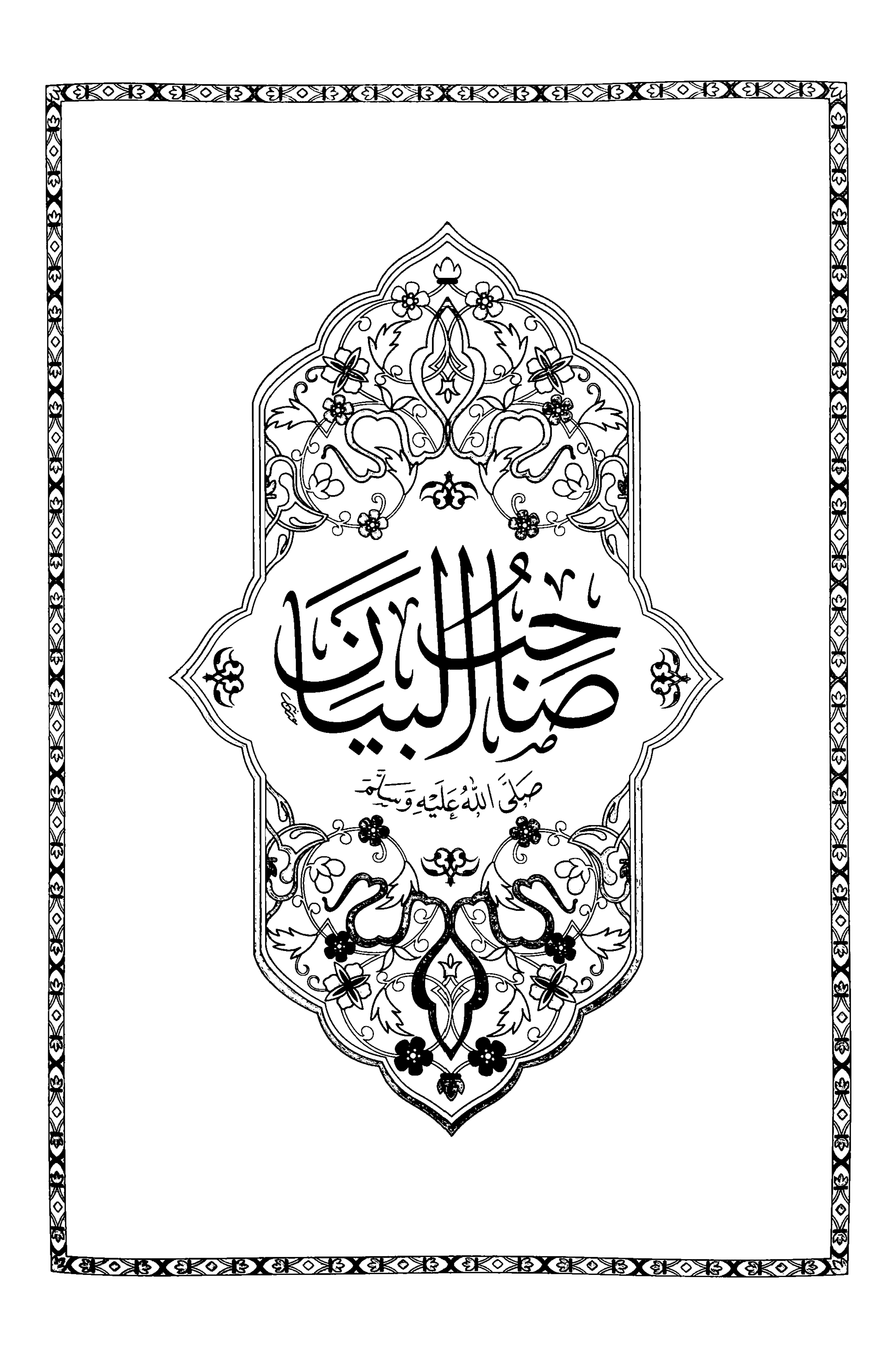
---

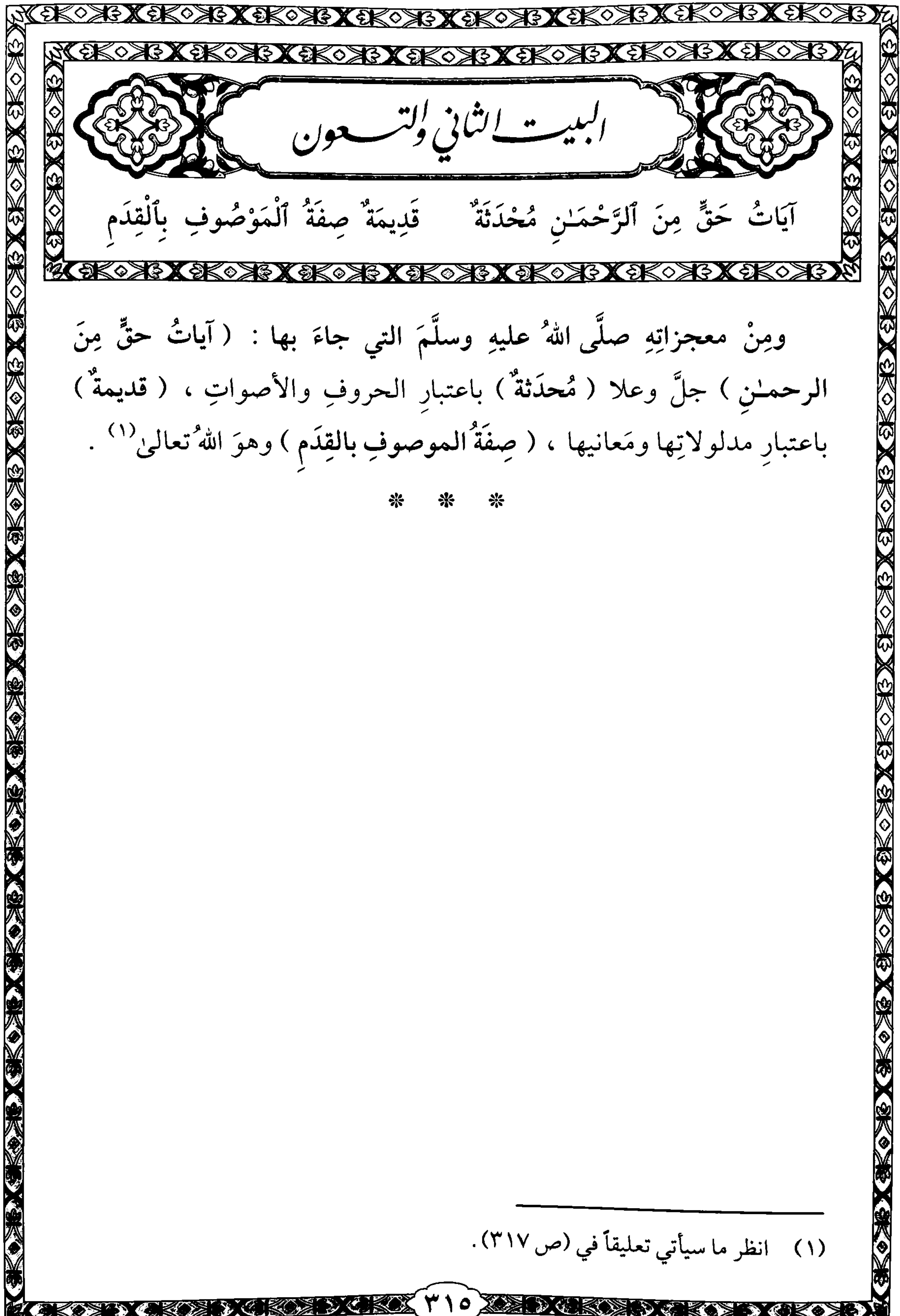
(١) وهـٰذا يصح إذا كان (آمال) مضافاً إلىٰ ياء المتكلم ، وعلىٰ كلٍّ : فهو غير قياسيٍّ ؛ لأن النصب بنزع الخافض موقوف على السماع في غير (أنْ) و(أنَّ) و(كي) ، وانظر « شرح البردة » للشيخ خالد الأزهري (ص٥٨) .



الفصل السادس

في شرف القرآن ومدحه]


صاحب البيان
صلى الله عليه وسلم



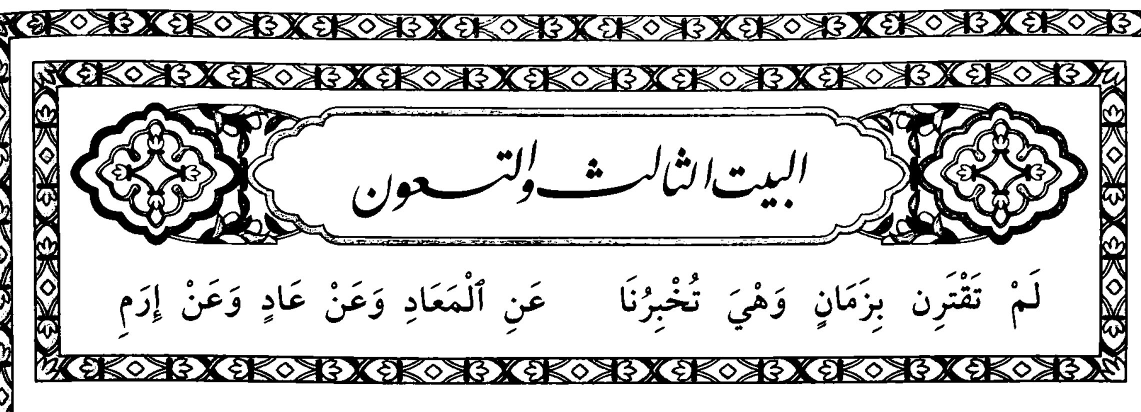
البيت الثاني والتسعون

آياتُ حَقٍّ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثَةٌ ۞ قَدِيمَةٌ صِفَةُ ٱلْمَوْصُوفِ بِٱلْقِدَمِ

ومِنْ معجزاتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ التي جاءَ بها : (آياتُ حقٍّ مِنَ الرحمـٰنِ) جلَّ وعلا (مُحدَثةٌ) باعتبارِ الحروفِ والأصواتِ ، (قديمةٌ) باعتبارِ مدلولاتِها ومَعانيها ، (صِفَةُ الموصوفِ بالقِدَمِ) وهوَ اللهُ تعالىٰ[1] .

* * *

(١) انظر ما سيأتي تعليقاً في (ص ٣١٧).



(لم تَقْتَرِنْ) مدلولاتُها (بزمانٍ) لأنَّ القديمَ لا أولَ لوجودِهِ ؛ فليسَ بزمانيٍّ ؛ إذِ الزمانُ حادثٌ .

ويجوزُ نصبُ (آياتُ)[1] على البدلِ مِنْ (آياتٍ) في البيت قبلَهُ[2] ، والرفعُ على الابتداءِ المحذوفِ الخبرِ ؛ تقديرُهُ ـ كما تقدَّمَ ـ : (ومِنْ معجزاتِهِ آياتُ حَقٍّ) .

ومرادُهُ بهـٰذهِ الآياتِ : القرآنُ العظيمُ ، وليسَ مرادُهُ : أنَّها تتَّصِفُ بهـٰذهِ الأوصافِ مِنْ جهةٍ واحدةٍ ، وإلا . . أدَّىٰ إلى اجتماعِ الضِّدَّينِ ، وهو مُحالٌ ؛ لأنَّ الشيءَ لا يكونُ قديماً وحديثاً معاً ؛ فالحدوثُ ـ كما تقدَّمَ[3] ـ راجعٌ إلى الحروفِ المُنتظِمةِ والكلماتِ المسموعةِ ، وهـٰذا هوَ المعجزةُ ، والمعجزةُ لا تكونُ إلا فعلاً للهِ تعالىٰ ، ولا شيءَ مِنَ الفعلِ بقديمٍ ، والقِدَمُ راجعٌ إلىٰ مدلولِ تلكَ الألفاظِ المسموعةِ .

وهل يُطلَقُ علىٰ كلٍّ منهُما أنَّهُ كلامُ اللهِ ، أو هوَ حقيقةٌ في الأوَّلِ مجازٌ في الثاني ، أو بالعكسِ ؟ خلافٌ ، ويُسمَّىٰ كلٌّ منهُما قرآناً ؛ لأنَّ القرآنَ يُطلَقُ

---

(١) أي : في البيت السابق .
(٢) أي : في قوله : (دعني ووصفيَ آياتٍ) ، فالقبلية ها هنا لا تقتضي الملاصقة ، بل القبلية المطلقة .
(٣) أي : في قوله (ص ٣١٥) : (باعتبار الحروف والأصوات) .

على القراءةِ التي هيَ حادثةٌ ، وعلى المقروءِ الذي هوَ قديمٌ[1] .

(وهيَ) أي : هـٰذهِ الآياتُ التي هيَ ألفاظٌ دالَّةٌ علىٰ مدلولٍ قديمٍ . . (تُخبِرُنا عنِ المعادِ) وهوَ الرُّجوعُ إلى اللهِ تعالىٰ في الدارِ الآخرةِ بعدَ موتِنا في دارِ الدنيا .

(و) تُخبِرُنا أيضاً (عن) قبيلةِ (عادٍ) التي بُعِثَ إليها هودٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وسُمِّيَتْ باسمِ الأبِ ؛ وهوَ عادُ بنُ عَوْصِ بنِ إِرَمِ بنِ سامِ بنِ نوحٍ عليهِ السلامُ ، وكانَ عُمُرُهُ ألفَ سنةٍ ومئتي سنةٍ ، ورأىٰ مِنْ صُلْبِهِ أربعةَ آلافِ ولدٍ ، وتزوَّجَ ألفَ امرأةٍ ، وكانَ كافراً يعبدُ القمرَ .

(و) تُخبِرُنا أيضاً تلكَ الآياتُ (عن) مدينةِ (إِرَم) التي بناها شدَّادُ بنُ عادٍ ، وكانَ وَلِيَ المُلْكَ بعدَ أبيهِ ، فسَمِعَ بذكرِ الجنَّةِ وما فيها ، فقالَ : لا بدَّ لي أن أَبْنِيَ مثلَها ، فبنىٰ إِرَمَ في ثلاثِ مئةِ سنةٍ ، وجعلَ قُصُورَها مِنَ الذهبِ والفضَّةِ ، وأساطينَها مِنَ الزَّبَرْجَدِ والياقوتِ ، وجعلَ فيها أنهاراً مُطَّرِدةً ، وأصنافاً مِنَ الشَّجَرِ ، وعندَ كمالِها رحلَ إليها بأهلِ مملكتِهِ ،

---

(١) والفرق بين القراءة والمقروء كالفرق بين الذكر والمذكور ؛ فإذا قلنا : (الله) . . فإنَّ لفظَنا به المشتملَ على الأصوات حادثٌ ، والمذكورَ وهو الله سبحانه وتعالىٰ قديم ؛ فالقراءة غير المقروء ، والتلاوة غير المتلو ، والكتابة غير المكتوب ، واللفظ غير الملفوظ ، والذي يخالف في هـٰذا . . فإنما ترك عقله وحسَّه جانباً ، ونسب إلى الذات العظيمة ما لا يليق ، وهـٰذا هو مذهب السلف ، والأمثلة في ذلك كثيرة ؛ ومنها : قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (وإني أخشىٰ أن يستحرَّ القتل بالقراء في المواطن ، فيذهب كثير من القرآن) ، ولا شك أن المرادَ بالذهاب : القراءة واللفظ ، وحاشاه أن يكون مرادُه بذلك المقروءَ والملفوظَ اللذينِ هما الصفة القديمة ، وانظر « الإنصاف » للإمام الباقلاني (ص٧٦) وما بعدها ، و« نجم المهتدي » (٢/ ٣٦٤ـ٣٦٥).

فلمَّا كانَ منها علىٰ مسيرةِ يومٍ وليلةٍ . . بعثَ اللهُ تعالىٰ صَيْحَةً مِنَ السماءِ فأهلكَتْهُم .

هٰذا **خُلاصَةُ خَبَرِها** ، وقد أطنبَ المُؤرِّخونَ في صفتِها[1] .

ويحتمـلُ : أن يكـونَ فـاعـلُ (تقتـرنْ) ضميـرَ (الآيـاتِ) التـي هـيَ الألفاظُ ؛ إلا أنَّ (بزمانٍ) لا يكونُ للعمومِ بل للخصوصِ ؛ أي : لم تقترنْ بزمانٍ ما أخبرتْ عنهُ ؛ لا في الماضي ؛ كما في الإخبارِ عن عادٍ وعن إرَمَ ، ولا في المُستقبَلِ ؛ كإخبارِها عنِ المعادِ ، وهٰذا مِنَ الدليلِ علىٰ كونِها مِنْ عندِ اللهِ تعالىٰ .

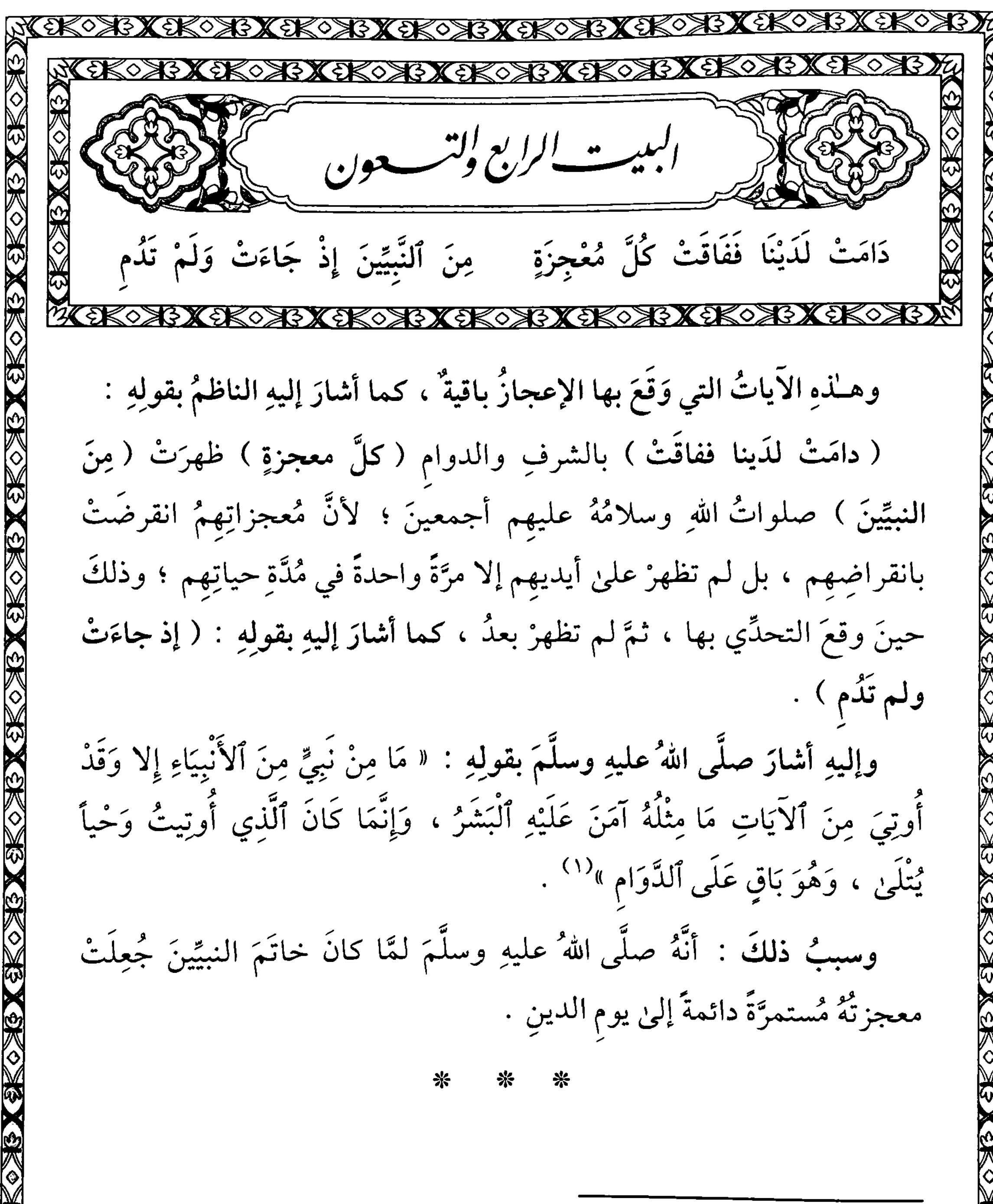
و(أل) في (المَعادِ) : **للعهدِ** ، وكرَّرَ (عن) معَهُ ومعَ (عادٍ) ومعَ (إرَمٍ)؛ لأنَّ الأوَّلَ زمانٌ ، والثالثَ مكانٌ ، والأوسطَ ذاتٌ ؛ فهوَ أنواعٌ مُختلِفةٌ لا يَحسُنُ جمعُها في واحدٍ ؛ لأنَّ كلّاً ينفردُ بأخبارٍ تخُصُّهُ .

وقيلَ : تكرُّرُها مِنَ الحشوِ ؛ للوزنِ ، وحسنُهُ أنَّ مقامَ المدحِ يَحسُنُ فيهِ الإطنابُ .

* * *

---

(١) انظر « البداية والنهاية » (١/ ١٢٠) وما بعدها .



البيت الرابع والتسعون

دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ ... مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ

وهـٰذهِ الآياتُ التي وَقَعَ بها الإعجازُ باقيةٌ ، كما أشارَ إليهِ الناظمُ بقولِهِ :

(دامَتْ لدَينا ففاقَتْ) بالشرفِ والدوامِ (كلَّ معجزةٍ) ظهرَتْ (مِنَ النبيِّينَ) صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِم أجمعينَ ؛ لأنَّ مُعجزاتِهِمُ انقرضَتْ بانقراضِهِم ، بل لم تظهرْ علىٰ أيديهِم إلا مرَّةً واحدةً في مُدَّةِ حياتِهِم ؛ وذلكَ حينَ وقعَ التحدِّي بها ، ثمَّ لم تظهرْ بعدُ ، كما أشارَ إليهِ بقولِهِ : (إذ جاءَتْ ولم تَدُم) .

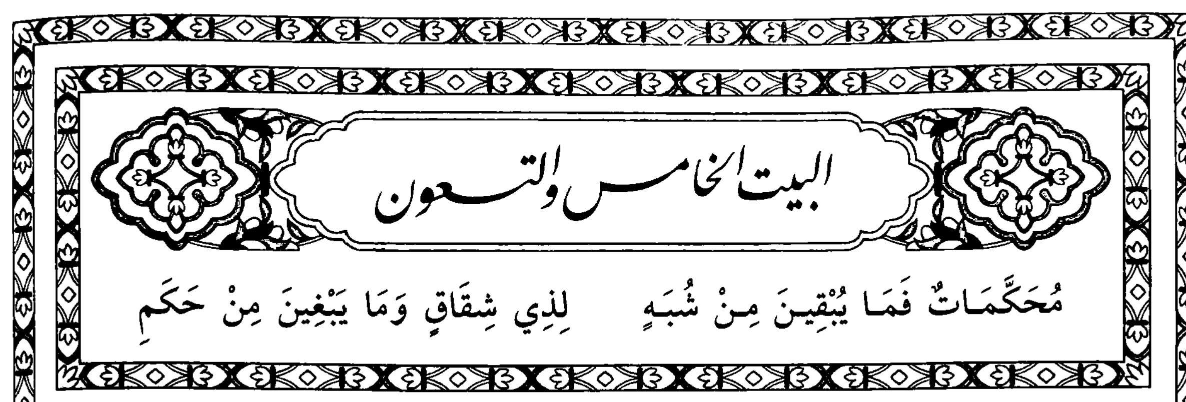
وإليهِ أشارَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بقولِهِ : « مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ إلا وَقَدْ أُوتِيَ مِنَ ٱلآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ ٱلْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ ٱلَّذِي أُوتِيتُ وَحْياً يُتْلَىٰ ، وَهُوَ بَاقٍ عَلَى ٱلدَّوَامِ »(1) .

وسببُ ذلكَ : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا كانَ خاتَمَ النبيِّينَ جُعِلَتْ معجزتُهُ مُستمرَّةً دائمةً إلىٰ يومِ الدينِ .

* * *

---

(1) أخرجه البخاري (٤٩٨١) ، ومسلم (١٥٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال في « النهاية » : (« ما من نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أُوتيتُه وحياً أوحاه الله إليَّ » أي : آمنوا عند معاينة ما أتاهم الله من الآيات والمعجزات ، وأراد بالوحي : إعجاز القرآن الذي خُصَّ به ؛ فإنه ليس شيء من كتب الله تعالى المنزلة كان معجزاً إلا القرآن) انتهىٰ من هامش (د) .



وهـٰذهِ الآياتُ المذكورةُ (مُحكَّماتٌ) ألفاظُها ؛ بمعنىٰ : مُتْقَناتُ النَّظْمِ في البلاغةِ ونهايةِ الوَصْفِ[١] ممَّا لا يَقدِرُ البشرُ على الإتيانِ بمثلِهِ ، فدلَّ علىٰ أنَّها مِنْ عندِ اللهِ ؛ قالَ تعالىٰ : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾[٢] .

وقد كانَ العربُ حينَئذٍ في الغايةِ القُصْوىٰ في الفصاحةِ ، ومالكِي أَزِمَّةِ البيانِ والبلاغةِ ، وكلُّهُم قد عجَزوا عن مُعارَضتِهِ ؛ ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾[٣] .

ومِنْ أجلِ ما في الآياتِ المذكورةِ مِنَ الدَّلالةِ الواضحةِ علىٰ أنَّها مِنْ عندِ اللهِ تعالىٰ . . قالَ :

(فما يُبْقِينَ) تلكَ الآياتُ المُحكَّماتُ **(مِنْ شُبَهٍ لذي شِقَاقٍ)** وهوَ الكافرُ ؛ لأنَّهُ مُشاقٌّ للدِّينِ ؛ إذ هوَ في شِقٍّ والإسلامُ في شِقٍّ .

وإن جَعَلْنا معنىٰ (مُحكَّماتٌ) : ذواتِ حُكْمٍ[٤] . . فهنَّ أيضاً لا يُبقِينَ شُبَهاً لذي شِقاقٍ أنَّهنَّ مِنْ عندِ اللهِ ؛ لأنَّ تلكَ المعانيَ والفوائدَ التي تضمَّنَتْها

---

(١) في (أ ، د): (الرصف) .
(٢) سورة البقرة : (٢٣) .
(٣) سورة الإسراء : (٨٨) .
(٤) ويصح أن تكون أيضاً بمعنىٰ : ذوات حِكْمة . انظر « إظهار صدق المودة » (ق/٢٤٦) .

لا يُمكِنُ أن تكونَ في كلامِ البشرِ ؛ ولذا كانَ يُسلِمُ كثيرٌ مِنَ الكفارِ بمُجرَّدِ سماعِ ما يتضمَّنُ المعانيَ الكثيرةَ مِنْ بعضِ آياتِ القرآنِ في ألفاظٍ قليلةٍ ، كما كانَ كثيرٌ منهُم يُسلِمُ لِمَا يُدرِكُ مِنْ فصاحةِ الألفاظِ .

وهـٰذهِ الآياتُ في الدَّلالةِ علىٰ كونِها مِنْ عندِ اللهِ تعالىٰ . . **(ما يَبْغِينَ)** أي : ما يَحْتَجْنَ **(مِنْ حَكَم)** زائدٍ علىٰ ذاتِهِنَّ[1] .

قيلَ : لمَّا كانَتِ المعجزاتُ كالشُّهودِ للنبيِّ والدعوىٰ تحتاجُ إلى الحَكَمِ في قَبولِ الشهادةِ . . أشارَ إلىٰ أنَّ شهادةَ هـٰذهِ الآياتِ بثبوتِ النُّبوَّةِ لا تحتاجُ إلىٰ حَكَمٍ ؛ لقوَّةِ ظهورِ صِدْقِها ، كما لو شَهِدَ لمُدَّعٍ بصحَّةِ دعواهُ عَدَدُ التواترِ . . لحَصَلَ القطعُ بصدقِهِم ، ولم يُحتَجْ إلىٰ حَكَمٍ يقبلُها ؛ ولذا لا يطلُبُ الحاكمُ في مثلِ هـٰذا العددِ مِنَ الشُّهودِ تزكيةً .

ورُدَّ : بأنَّهُ إنَّما يَتِمُّ هـٰذا لو كانَ بعضُ أنواعِ الشهادةِ يثبُتُ بهِ الحُكْمُ مِنْ دونِ نَظَرِ الحاكمِ ، وذلكَ لا يُوجَدُ ؛ إذ لا يَتِمُّ الحُكْمُ بشهادةٍ دونَ تنفيذِ الحاكمِ .

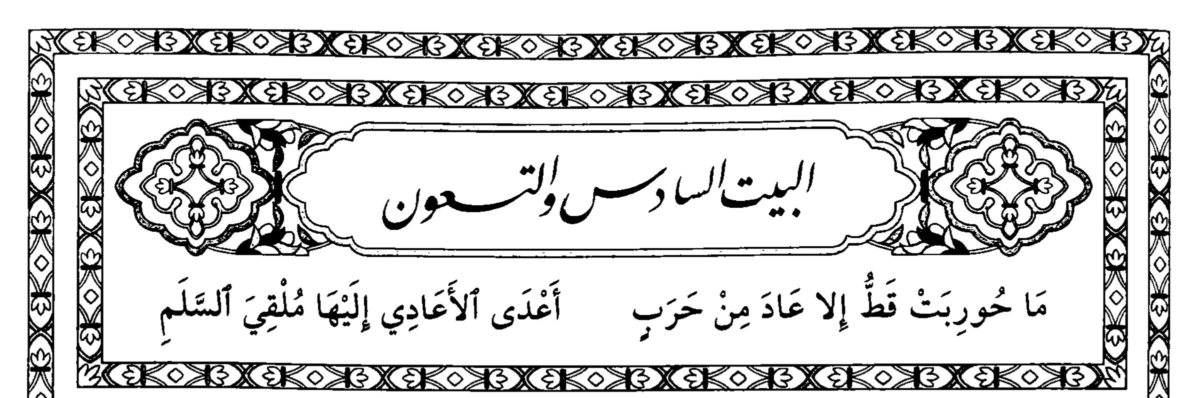
وإنَّما قالَ : **(مِنْ شُبَهٍ)** بنفيِ الجمعِ ، **ولم يَقُلْ** : **(مِنْ شُبْهَةٍ)** بنفيِ الواحدِ وإن كانَ المُقرَّرُ أنَّ عمومَ المفردِ أشملُ ؛ فإنَّهُ إذا نُفِيَ الواحدُ . . انتفى الجنسُ كلُّهُ ؛ جمعُهُ ومفردُهُ ، بخلافِ نفيِ الجمعِ ؛ فإنَّهُ لا يستلزمُ نفيَ الواحدِ . . **تنبيهاً علىٰ أنَّ طُرُقَ الباطلِ شتَّىٰ مُتعدِّدةٌ** ، ضِدَّ طريقِ الحقِّ الذي هوَ واحدٌ .

---

(١) قوله : (من حَكَم) بمعنى : الحاكم ، وقال ابن مرزوق في « إظهار صدق المودة » (ق/٢٤٦) : (ويروىٰ : « ما يلقين من حِكَم » أي : بما يُفدن ويُستفاد منهن من الحِكَم جمع حكمة ، وألقيته : طرحته ؛ كأنها تطرح الحِكَمَ) .

فكأنَّهُ يقولُ : إنَّ آياتِ القرآنِ لا تُبقِي شيئاً مِنْ أنواعِ الشُّبَهِ المُتعدِّدةِ ، وإنَّها دافعةٌ لجميعِها على اختلافِ أنواعِها ، وما مِنْ أحدٍ تَعْرِضُ لهُ شُبْهَةٌ إلا ويجدُ شفاءً منها في القرآنِ ؛ فإنَّهُ الشفاءُ مِنْ كلِّ داءٍ ، والنجاةُ عندَ تفرُّقِ الأَدْواءِ .

* * *



البيت السادس والتسعون

مَا حُورِبَتْ قَطُّ إلا عَادَ مِنْ حَرَبٍ   أَعْدَى ٱلأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِيَ ٱلسَّلَمِ

ثمَّ قالَ : (**ما حُورِبَتْ قَطُّ**) أي : ما حُورِبَ الآتي بالآياتِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأسندَ المحاربةَ إلىٰ ما بهِ المحاربةُ مجازاً ؛ أي : ما حاربَهُ أحدٌ في معنى النُّبوَّةِ وخاصمَهُ فيها جَحْداً لها ، ثمَّ حاربَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالقرآنِ . . (**إلا**) كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هوَ الغالبَ ، و(**عادَ مِنْ حَرَبٍ أعدى الأعادي**) الذي قصدَ محاربتَهُ مِنْ أجلِ قيامِ الحُجَّةِ عليهِ (**إليها مُلْقِيَ السَّلَمِ**) وهوَ السِّلاحُ ، وسلَّمَ لهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ إمَّا بدخولِهِ في الإسلامِ ، وإمَّا بتركِهِ المُحارَبةَ ؛ فإنَّ قيامَ الحُجَّةِ عليهِ سَلْبٌ لحُجَّتِهِ التي هيَ كسَلْبِ مالِهِ بلْ أقوىٰ ؛ لأنَّهُ يخافُ علىٰ حُجَّتِهِ أن تُدحَضَ فيُفتَضَحَ ، كما يخافُ علىٰ مالِهِ ؛ فهوَ إذا أحسَّ بالحربِ ألقى السَّلَمَ لئلا يُفتَضَحَ .

ويحتملُ : أن يكونَ المعنىٰ : ما عارضَ أحدٌ هـٰذهِ الآياتِ ، وقصدَ أن يأتيَ بمثلِها في ظَنِّهِ . . إلا عادَ مِنْ سَلْبِ قُدرتِهِ على الكلامِ ـ وإن كانَ أعدى الأعادي إليها ـ مُلْقِيَ السَّلَمِ .

وقولُنا : (مِنْ سَلْبِ قدرتِهِ على الكلامِ) **يتمشَّىٰ علىٰ مذهبِ القائلينَ بالصَّرْفَةِ** ؛ وهوَ أنَّ العلماءَ اختلفُوا في وجهِ عَجْزِ البشرِ عنِ الإتيانِ بمثلِ القرآنِ وإن كانَتْ حروفُهُ مِنْ جنسِ الحروفِ التي يَنطِقونَ بها .

وإلىٰ ذلكَ الإشارةُ عندَ المُحقِّقينَ : (الٓمٓ) (الٓر) أي : أنَّ هـٰذا القرآنَ مُؤلَّفٌ مِنْ مثلِ هـٰذهِ الحروفِ التي يُؤلَّفُ منها كلامُكُم ، فَأْتُوا بمثلِهِ ، وإلا . . فاعلموا أنَّهُ مِنْ عندِ اللهِ .

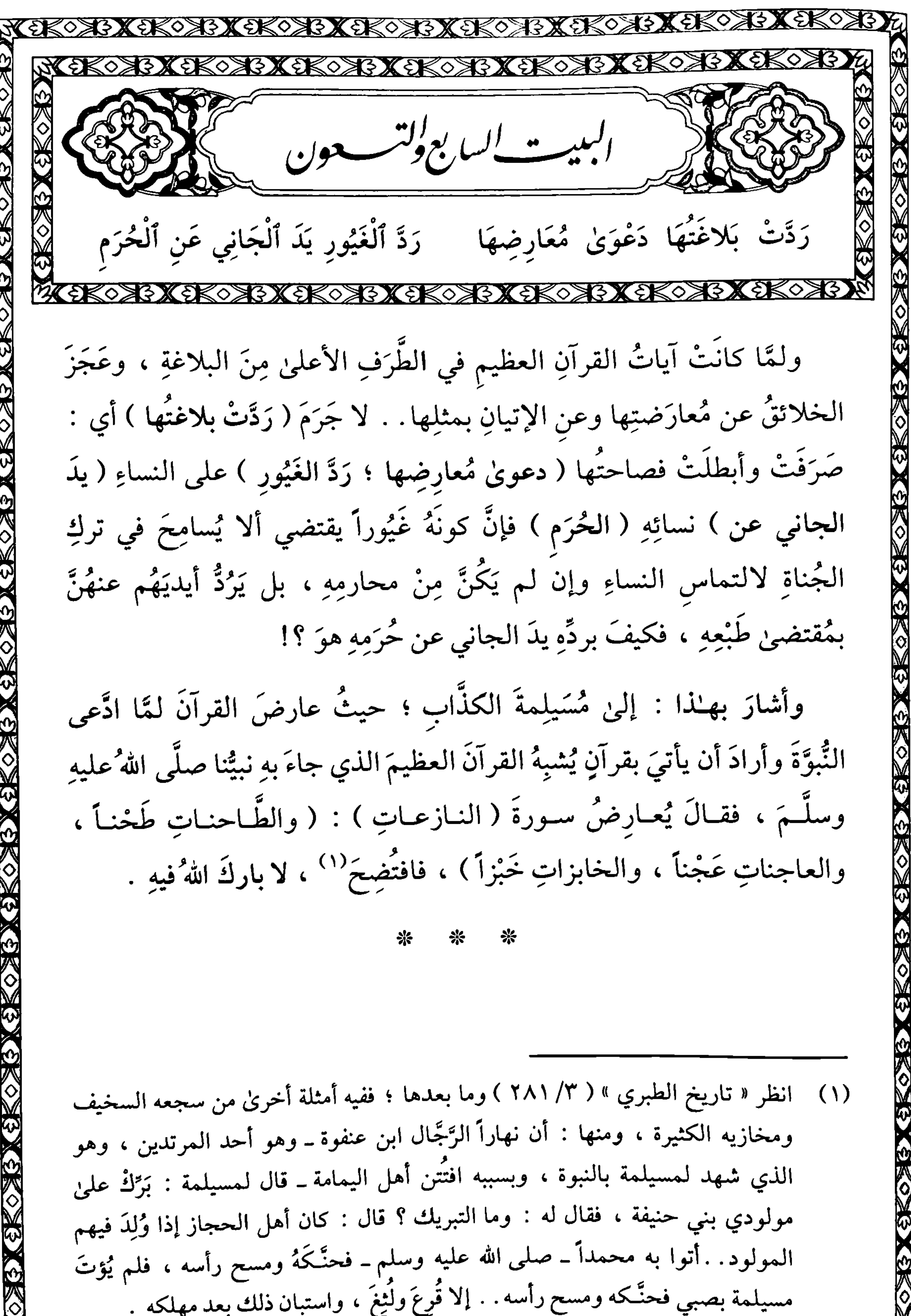
فقيلَ : إنَّ الإتيانَ مِنْ جنسِ مقدورِهِم ، إلا أنَّ اللهَ صَرَفَهُم عنِ الإتيانِ بمثلِهِ معجزةً لنبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ويُعبِّرونَ عن هٰذا المذهبِ : بمذهبِ أَهْلِ الصَّرْفَةِ[1] .

وقيلَ : إنَّ الإتيانَ بجنسِهِ ليسَ مِنْ جنسِ مقدورِهِم ، لٰكن لمَّا كانَ الآتي بهِ بشراً مثلَهُم . . قامَتِ الحُجَّةُ عليهِم في دعوى الرسالةِ وأنَّهُ مِنْ عندِ اللهِ .

والقولُ الأولُ أَدْخَلُ في الإعجازِ ؛ لأنَّ عجزَهُم عمَّا هوَ مِنْ مقدورِهِم أَدْخَلُ في قيامِ الحُجَّةِ ممَّا ليسَ مِنْ جنسِ مقدورِهِم .

* * *

(١) وهٰذا المذهب هو مختار النظّام المعتزلي والشريف المرتضى الشيعي . انظر « النبراس » للفرهاري (ص٤٣٨) ، وللرَّدِّ علىٰ هٰذا المذهب أَلَّف إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني « الرسالة الشافية » ،وهي رسالة موجزة نفيسة ، وأفاض في بيان وجوه إعجاز القرآن ابنُ مرزوق في « إظهار صدق المودة » (ق/ ٢٦٥) .



البيت السابع والتسعون

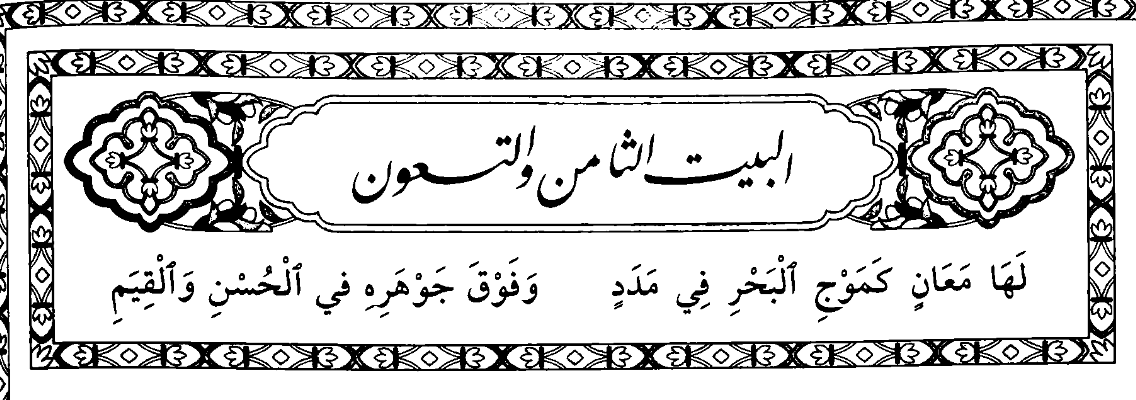
رَدَّتْ بَلاغَتُهَا دَعْوَىٰ مُعَارِضِهَا ... رَدَّ ٱلْغَيُورِ يَدَ ٱلْجَانِي عَنِ ٱلْحُرَمِ

ولمَّا كانَتْ آياتُ القرآنِ العظيمِ في الطَّرَفِ الأعلىٰ مِنَ البلاغةِ ، وعَجَزَ الخلائقُ عن مُعارَضتِها وعنِ الإتيانِ بمثلِها . . لا جَرَمَ (رَدَّتْ بلاغتُها) أي : صَرَفَتْ وأبطلَتْ فصاحتُها (دعوىٰ مُعارِضِها ؛ رَدَّ الغَيُورِ) على النساءِ (يدَ الجاني عن) نسائِهِ (الحُرَمِ) فإنَّ كونَهُ غَيُوراً يقتضي ألا يُسامِحَ في تركِ الجُناةِ لالتماسِ النساءِ وإن لم يَكُنَّ مِنْ محارمِهِ ، بل يَرُدُّ أيديَهُم عنهُنَّ بمُقتضىٰ طَبْعِهِ ، فكيفَ بردِّهِ يدَ الجاني عن حُرَمِهِ هوَ ؟!

وأشارَ بهٰذا : إلىٰ مُسَيلِمةَ الكذَّابِ ؛ حيثُ عارضَ القرآنَ لمَّا ادَّعى النُّبوَّةَ وأرادَ أن يأتيَ بقرآنٍ يُشبِهُ القرآنَ العظيمَ الذي جاءَ بهِ نبيُّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ يُعارِضُ سورةَ (النازعاتِ) : (والطَّاحناتِ طَحْناً ، والعاجناتِ عَجْناً ، والخابزاتِ خَبْزاً) ، فافتُضِحَ[1] ، لا باركَ اللهُ فيهِ .

* * *

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٢٨١) وما بعدها ؛ ففيه أمثلة أخرىٰ من سجعه السخيف ومخازيه الكثيرة ، ومنها : أن نهاراً الرَّجَّال ابن عنفوة ـ وهو أحد المرتدين ، وهو الذي شهد لمسيلمة بالنبوة ، وبسببه افتُتن أهل اليمامة ـ قال لمسيلمة : بَرِّكْ علىٰ مولودي بني حنيفة ، فقال له : وما التبريك ؟ قال : كان أهل الحجاز إذا وُلِدَ فيهم المولود . . أتوا به محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحنَّكَهُ ومسح رأسه ، فلم يُؤتَ مسيلمة بصبي فحنَّكه ومسح رأسه . . إلا قُرِعَ ولُثِغَ ، واستبان ذلك بعد مهلكه .



وهـٰذهِ الآياتُ المذكورةُ التي أشارَ إليها الناظمُ . . (**لها مَعَانٍ**) كثيرةٌ ؛ لأنَّها لا نهايةَ لها ، فهيَ في كثرتِها وإمدادِ بعضِها بعضاً (**كموجِ البحرِ في مَدَدٍ**) .

وأشارَ بهـٰذا : إلىٰ نحوِ قولِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : (لو شِئْتُ . . لأوقرتُ سبعينَ بعيراً مِنْ تفسيرِ « الفاتحةِ »)[1] .

وما حُكِيَ عن بعضِهِم أنَّهُ قالَ : (لكلِّ آيةٍ ستُّونَ ألفَ فهمٍ[2] ، وما بَقِيَ مِنْ فهمِها أكثرُ)[3] .

وما قالَهُ الآخَرُ : (إنَّ أقلَّ ما قيلَ في العلومِ التي في القرآنِ مِنْ ظواهرِ المعاني المجموعةِ فيهِ . . أربعةٌ وعشرونَ ألفَ علمٍ وثمانِ مئةِ علمٍ)[4] .

قالَ بعضُ العارفينَ : (ويظهرُ بيانُ ما قالَهُ الإمامُ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ خمسةِ كنوزٍ :

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ١٥٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٣٠٢) ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٤/ ٥٤٤) .

(٢) في (ج ، هـ ، و) : (سبعون) بدل (ستون) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/ ١٥٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/ ٣٢٢) ، وعزاه الزبيدي في « الإتحاف » (٤/ ٥٦١) لسهل التستري رحمه الله تعالىٰ .

(٤) هو من كلام أبي طالب المكي في « قوته » (١/ ١٧٥) ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٤/ ٥٦١) .

أوَّلُها : أنَّ العبدَ إذا قالَ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] .. **يحتاجُ** أن يُبيِّنَ معنى الحمدِ وما يتعلَّقُ بهِ ، والاسمِ الجليلِ الذي هوَ اللهُ تعالىٰ وما يليقُ بهِ مِنَ التنزيهِ ، **ثمَّ يحتاجُ** إلىٰ بيانِ العالمِ وكيفيَّتِهِ علىٰ جميعِ أنواعِهِ وأعدادِهِ ؛ **فقد قيلَ** : إنَّ للهِ سبعةَ عَشَرَ عالَماً[2] ؛ السماواتُ والأَرَضُونَ السبعُ وما فيهِم عالَمٌ واحدٌ ، وإنَّ في الأرضِ ألفَ عالَمٍ ؛ أربعُ مئةٍ في البَرِّ وستُّ مئةٍ في البحرِ ، **فيحتاجُ إلىٰ بيانِ ذلكَ كلِّهِ** ؛ إذ هـٰذا اللفظُ المقروءُ يحوي ذلكَ كلَّهُ .

ثانيها : إذا قالَ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[3] .. **يحتاجُ أيضاً** إلىٰ بيانِ هـٰذَينِ الاسمَينِ الجليلَينِ وما يليقُ بهِما مِنَ الجلالِ ، وما معناهُما ، **ثمَّ يحتاجُ في ضِمْنِ هـٰذا** إلىٰ بيانِ جميعِ الأسماءِ والصفاتِ ، **ثمَّ يحتاجُ** إلىٰ بيانِ الحِكْمةِ في اختصاصِ هـٰذا المَوضِعِ بهـٰذَينِ الاسمَينِ الجليلَينِ دونَ غيرِهِما مِنَ الأسماءِ .

ثالثُها : إذا قالَ : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[4] .. **يحتاجُ** إلىٰ بيانِ ذلكَ اليومِ ، وما فيهِ مِنَ المواطنِ والأهوالِ ، وكيفيَّةِ ذلكَ العالَمِ ... إلىٰ غيرِ ذلكَ ممَّا يتعلَّقُ بذلكَ .

رابعُها : إذا قالَ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[5] .. **يحتاجُ** إلىٰ بيانِ المعبودِ وجلالِهِ ، والعبادةِ وكيفيَّتِها وصفتِها وأدائِها على اختلافِ أنواعِها ، والعابدِ وصفتِهِ ، والاستعانةِ وآدابِها وكيفيَّتِها .

---

(١) سورة الفاتحة : (٢) .
(٢) في (أ) : (سبعة وعشرين عالماً) ، وفي « بهجة النفوس » : (ألفاً) بدل (عالماً) .
(٣) سورة الفاتحة : (٣) .
(٤) سورة الفاتحة : (٤) .
(٥) سورة الفاتحة : (٥) .

خامسُها : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ . . . ﴾ إلىٰ آخرِ السورةِ[1] . . **يحتاجُ** إلىٰ بيانِ الهدايةِ ما هيَ ، والصراطِ المستقيمِ وأضدادِهِ ما هيَ ، وبيانِ المغضوبِ عليهِم والضالِّينَ وصفاتِهِم ، وما يتعلَّقُ بهـٰذا النوعِ ، وبيانِ المَرْضيِّ عنهُم وصفتِهِم وطريقتِهِم .

فعلىٰ ما ذكَرْناهُ مِنْ هـٰذهِ الوجوهِ : يكونُ ما قالَهُ الإمامُ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ)[2] .

(و) هـٰذهِ المعاني التي أشارَ إليها الناظمُ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ . . (**فوقَ جَوْهرِهِ في الحُسْنِ والقِيَمِ**) أي : في حُسْنِها وما لها مِنَ القَدْرِ والشَّرَفِ فائقةٌ حُسْنَ جوهرِ البحرِ ؛ وهوَ الدُّرُّ المُستخرَجُ منهُ ، وأطلقَ القيمةَ عليها مجازاً ؛ لأنَّ القيمةَ في المُقوَّمِ هيَ مقدارُهُ[3] .

وفي هـٰذا البيتِ : **الجمعُ بينَ التفريقِ** ؛ وهوَ : أن يدخلَ شيئانِ في معنىً واحدٍ ، ثمَّ يُفرَّقَ بينَ جِهَتَي الإدخالِ ؛ وهوَ في البيتِ تشبيهُ كثرةِ معاني القرآنِ وحُسْنِها وقَدْرِها بالبحر ، وفُرِّقَ بينَ جِهَتَي الشَّبَهِ ؛ فأمَّا الكثرةُ . . فتُشبِهُ مَوْجَهُ في المَدَدِ ، وأمَّا الحُسْنُ والقَدْرُ . . فيَزيدانِ علىٰ حُسْنِ جوهرِهِ وقيمتِهِ[4] .

* * *

---

(١) سورة الفاتحة : (٦ـ٧) .

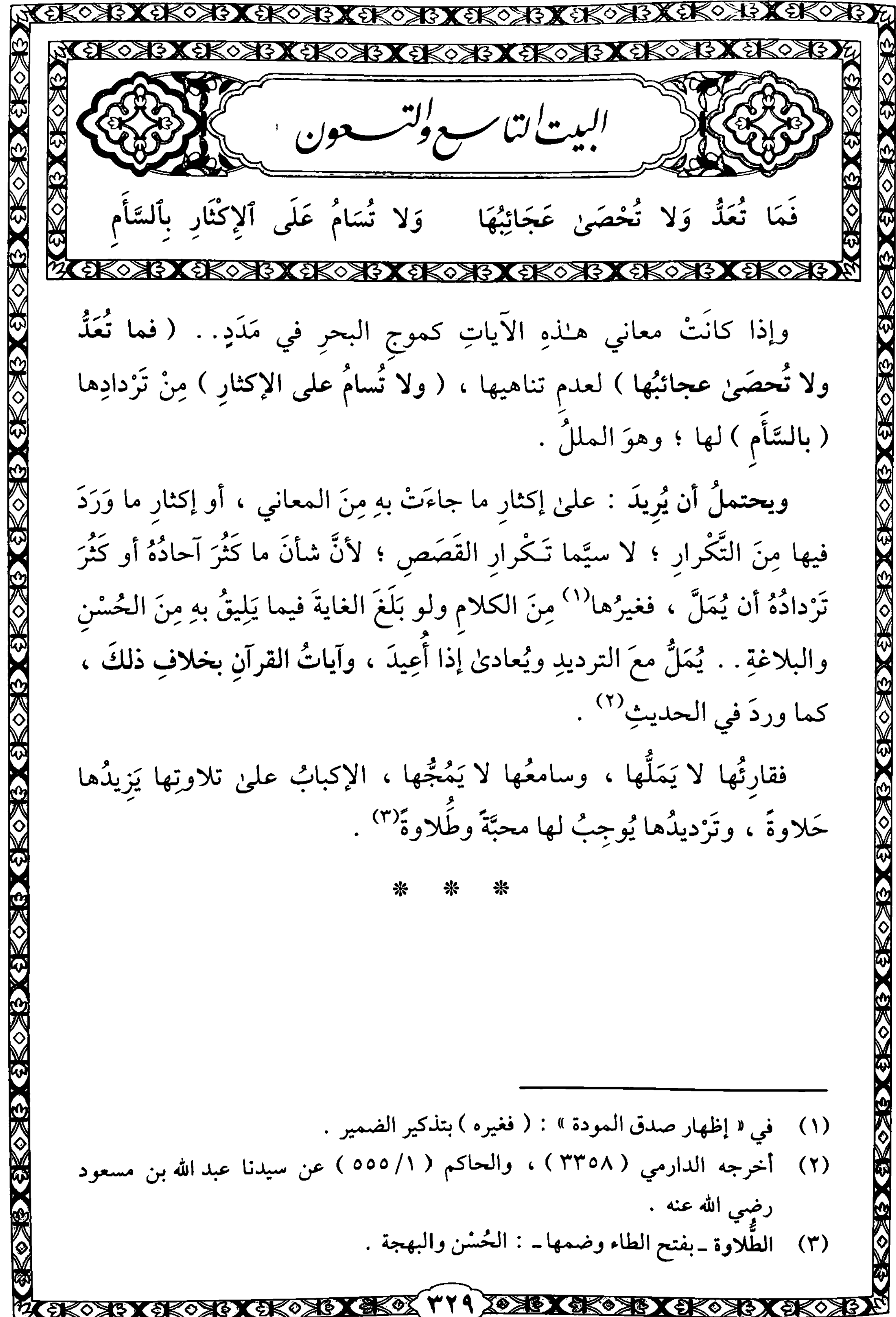
(٢) هـٰذا النقل بطوله من كلام ابن أبي جمرة في « بهجة النفوس » (٣/ ٢٠٣) ، ونقله السيوطي عنه أيضاً في « الإتقان » (٤/ ٢٣٠) .

(٣) في (ب) : (المتقوم) بدل (المقوم) .

(٤) ومثله : قول الشاعر : (من المتقارب)

ووجهُكَ كالنارِ في ضوئِها ... وقلبيَ كالنارِ في حَرِّها

شبه وجه الحبيب وقلب نفسه بالنار ، وفرّق بين جهتي الإدخال ؛ فالوجه في ضوئها والقلب في حرها . « إظهار صدق المودة » (ق/ ٢٧٤) .



البيت التاسع والتسعون

فَمَا تُعَدُّ وَلا تُحْصَىٰ عَجَائِبُهَا ۞ وَلا تُسَامُ عَلَى ٱلإِكْثَارِ بِٱلسَّأَمِ

وإذا كانَتْ معاني هـٰذهِ الآياتِ كموجِ البحرِ في مَدَدٍ . . (**فما تُعَدُّ ولا تُحصَىٰ عجائبُها**) لعدمِ تناهيها ، (**ولا تُسامُ على الإكثارِ**) مِنْ تَرْدادِها (**بالسَّأَمِ**) لها ؛ وهوَ الملَلُ .

ويحتملُ أن يُريدَ : علىٰ إكثارِ ما جاءَتْ بهِ مِنَ المعاني ، أو إكثارِ ما وَرَدَ فيها مِنَ التَّكْرارِ ؛ لا سيَّما تَـكْرارِ القَصَصِ ؛ لأنَّ شأنَ ما كَثُرَ آحادُهُ أو كَثُرَ تَرْدادُهُ أن يُمَلَّ ، فغيرُها[1] مِنَ الكلامِ ولو بَلَغَ الغايةَ فيما يَليقُ بهِ مِنَ الحُسْنِ والبلاغةِ . . يُمَلُّ معَ الترديدِ ويُعادىٰ إذا أُعِيدَ ، وآياتُ القرآنِ بخلافِ ذلكَ ، كما وردَ في الحديثِ[2] .

فقارِئُها لا يَمَلُّها ، وسامعُها لا يَمُجُّها ، الإكبابُ علىٰ تلاوتِها يَزيدُها حَلاوةً ، وتَرْديدُها يُوجِبُ لها محبَّةً وطُلاوةً[3] .

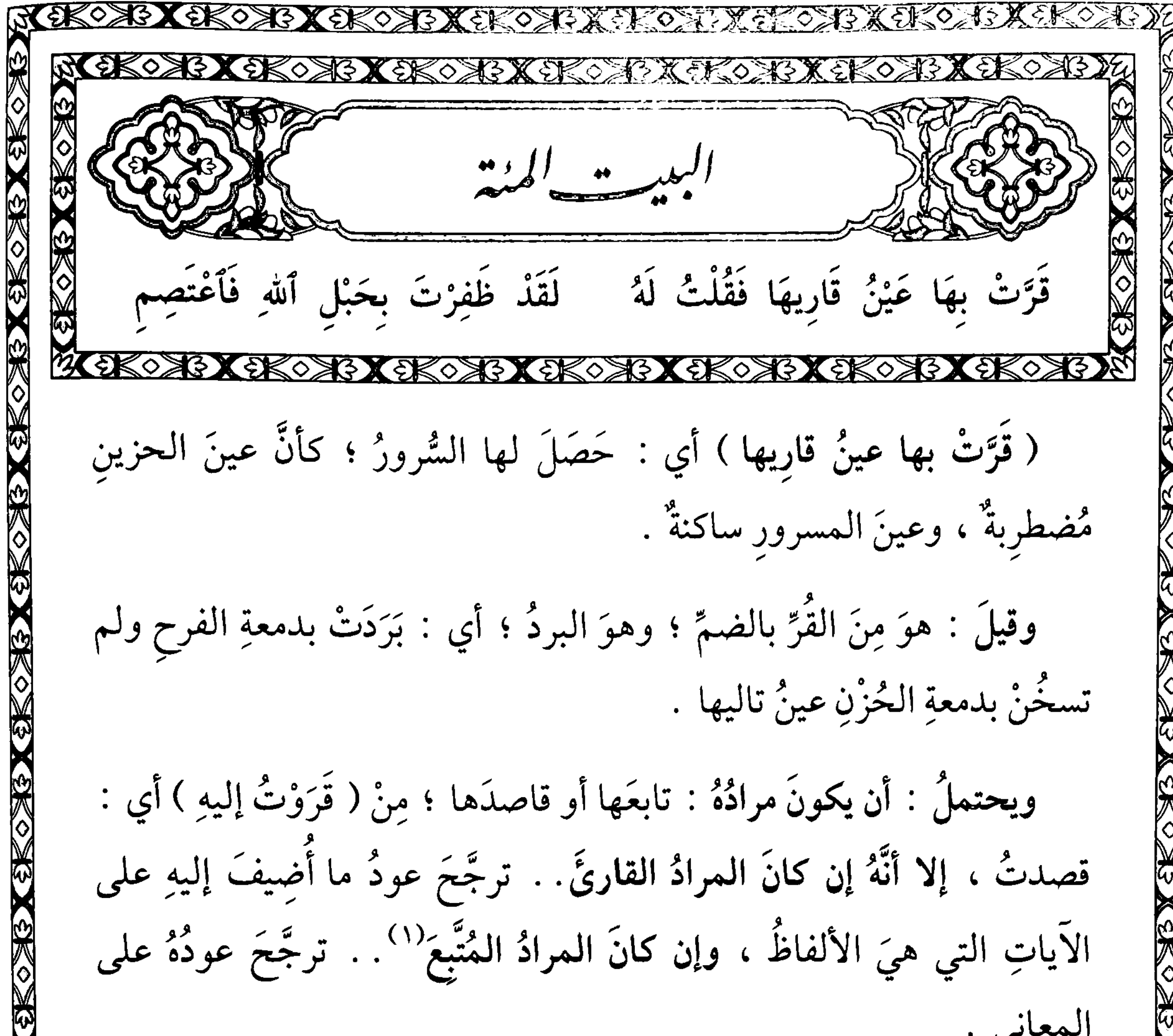
* * *

---

(١) في « إظهار صدق المودة » : (فغيره) بتذكير الضمير .

(٢) أخرجه الدارمي (٣٣٥٨) ، والحاكم (١/ ٥٥٥) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) الطَّلاوة ـ بفتح الطاء وضمها ـ : الحُسْن والبهجة .



البيت المئة

قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ ... لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ ٱللهِ فَٱعْتَصِمِ

(قَرَّتْ بها عينُ قارِيها) أي : حَصَلَ لها السُّرورُ ؛ كأنَّ عينَ الحزينِ مُضطرِبةٌ ، وعينَ المسرورِ ساكنةٌ .

وقيلَ : هوَ مِنَ القُرِّ بالضمِّ ؛ وهوَ البردُ ؛ أي : بَرَدَتْ بدمعةِ الفرحِ ولم تسخُنْ بدمعةِ الحُزْنِ عينُ تاليها .

ويحتملُ : أن يكونَ مرادُهُ : تابعَها أو قاصدَها ؛ مِنْ (قَرَوْتُ إليهِ) أي : قصدتُ ، إلا أنَّهُ إن كانَ المرادُ القارئَ . . ترجَّحَ عودُ ما أُضيفَ إليهِ على الآياتِ التي هيَ الألفاظُ ، وإن كانَ المرادُ المُتَّبِعَ[1] . . ترجَّحَ عودُهُ على المعاني .

ولمَّا قَرَّتْ عينُهُ بقراءةِ ألفاظِها أو باتِّباعِ معانيها . . (فقلتُ لهُ) حينَئذٍ : (لقد ظَفِرْتَ) أيُّها القارئُ (بحبلِ اللهِ) وهوَ عهدُهُ الذي بينَهُ وبينَ خلقِهِ ، (فاعْتصِمْ) به ؛ أي : امتَنِعْ ببركةِ قراءتِهِ مِنْ عذابِ اللهِ ، أوِ امتَنِعْ باتِّباعِ أوامرِهِ واجتنابِ نواهيهِ مِنَ الوقوعِ في المُخالَفةِ المُؤدِّيةِ إلىٰ عقابِ اللهِ تعالىٰ ، نعوذُ باللهِ مِنَ المُخالَفةِ .

واستعارةُ الحبلِ لآياتِ اللهِ تعالىٰ قد يُقالُ : إنَّها تجريديَّةٌ ؛ لأنَّ

---

(١) في (ج ، و) : (المستمع) ، والصواب المثبت بدلالة السياق وكما هو في « إظهار صدق المودة » .

الاعْتِصامَ يُناسِبُ المُستعارَ لهُ ، وأمَّا قولُهُ : ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[1] . . فاستعارةُ العُرْوةِ للإيمانِ ترشيحيَّةٌ ؛ لأنَّ الاستمساكَ يُلائِمُ المُستعارَ منهُ .

ووجهُ استعارةِ الحبلِ للعهدِ : أنَّ الحبلَ سَبَبٌ يُتوصَّلُ بهِ إلى الأشياءِ ، وكذا عهدُ اللهِ تعالىٰ ؛ يُتوصَّلُ بهِ إلىٰ ثوابهِ .

* * *

(١) سورة البقرة : (٢٥٦) .



البيت الحادي بعد المئة

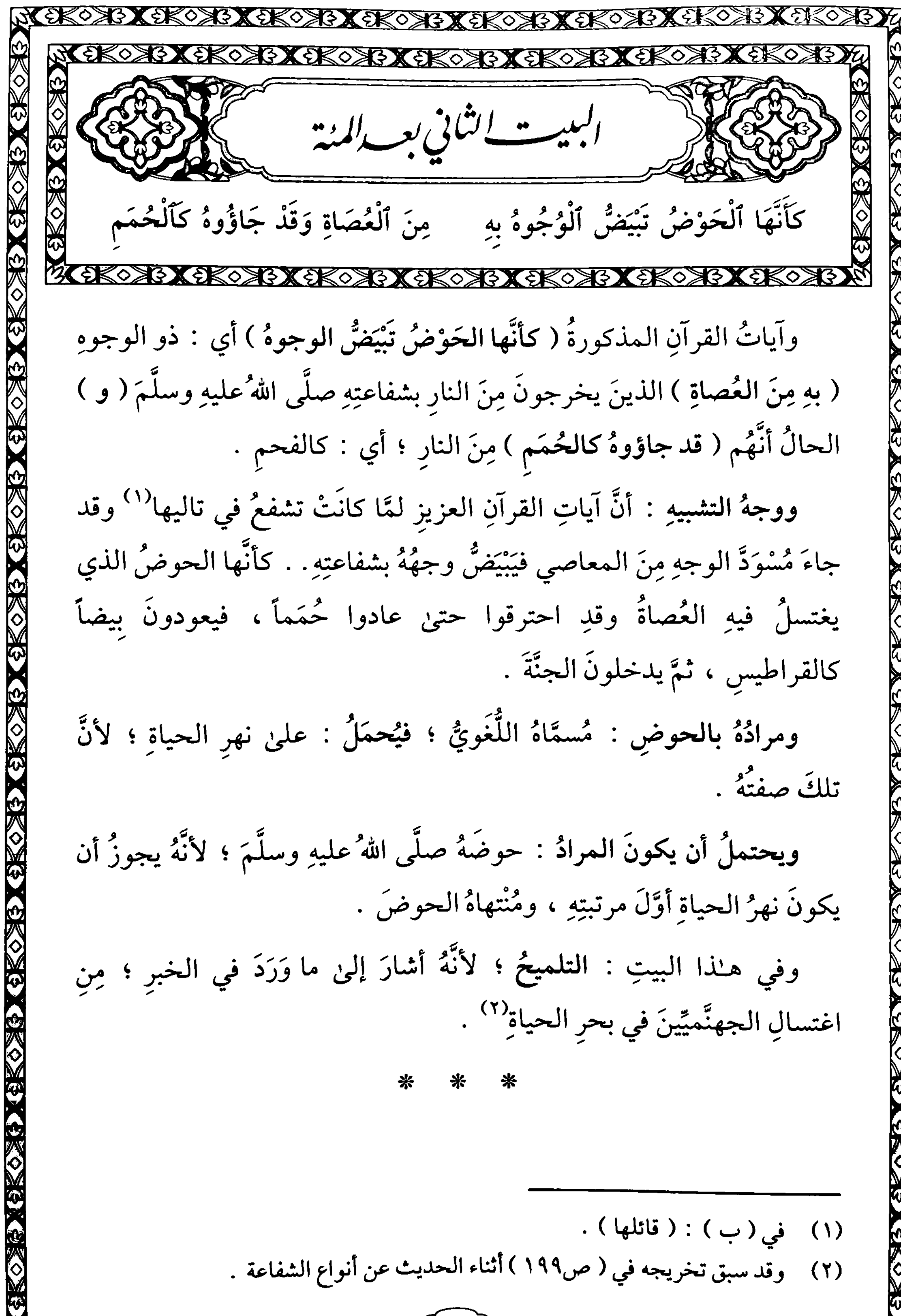
إِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظىً   أَطْفَأْتَ نَارَ لَظىً مِنْ وِرْدِهَا ٱلشَّبِمِ

ثمَّ خاطبَ القارئَ الذي دعا لهُ أن تقرَّ عينُهُ بقولِهِ :

(إن تَتْلُها) أيُّها القارئُ (خِيفةً مِنْ) ألَمِ (حَرِّ نارِ لَظىً) التي هيَ جهنَّمُ . . (أَطْفأْتَ نارَ لَظىً مِنْ) أَجْلِ (وِرْدِها الشَّبِمِ) بفتحِ المُعجَمةِ وكسرِ المُوحَّدةِ : البارِدُ .

واستعارةُ الوِرْدِ للآياتِ ترشيحيَّةٌ ؛ لأنَّ (الشَّبِمِ) ممَّا يُلائِمُ المُستعارَ منهُ ، ووجهُ التشبيهِ : أنَّ الماءَ يُطفِئُ وِرْدُهُ حرارةَ العَطَشِ ، ووِرْدَ الآياتِ يُطفِئُ حرارةَ جهنَّمَ ، أعاذَنا اللهُ منها بمنِّهِ وكرمِهِ .

* * *



البيت الثاني بعد المئة

كَأَنَّهَا ٱلْحَوْضُ تَبْيَضُّ ٱلْوُجُوهُ بِهِ   مِنَ ٱلْعُصَاةِ وَقَدْ جَاؤُوهُ كَٱلْحُمَمِ

وآياتُ القرآنِ المذكورةُ (**كأنَّها الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوجوهُ**) أي : ذو الوجوهِ (**بهِ مِنَ العُصاةِ**) الذينَ يخرجونَ مِنَ النارِ بشفاعتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (**و**) الحالُ أنَّهُم (**قد جاؤوهُ كالحُمَمِ**) مِنَ النارِ ؛ أي : كالفحمِ .

ووجهُ التشبيهِ : أنَّ آياتِ القرآنِ العزيزِ لمَّا كانَتْ تشفعُ في تاليها[1] وقد جاءَ مُسْوَدَّ الوجهِ مِنَ المعاصي فيَبْيَضُّ وجهُهُ بشفاعتِهِ . . كأنَّها الحوضُ الذي يغتسلُ فيهِ العُصاةُ وقدِ احترقوا حتىٰ عادوا حُمَماً ، فيعودونَ بِيضاً كالقراطيسِ ، ثمَّ يدخلونَ الجنَّةَ .

ومرادُهُ بالحوضِ : مُسمَّاهُ اللُّغويُّ ؛ **فيُحمَلُ** : علىٰ نهرِ الحياةِ ؛ لأنَّ تلكَ صفتُهُ .

ويحتملُ أن يكونَ المرادُ : حوضَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ لأنَّهُ يجوزُ أن يكونَ نهرُ الحياةِ أوَّلَ مرتبتِهِ ، ومُنْتهاهُ الحوضَ .

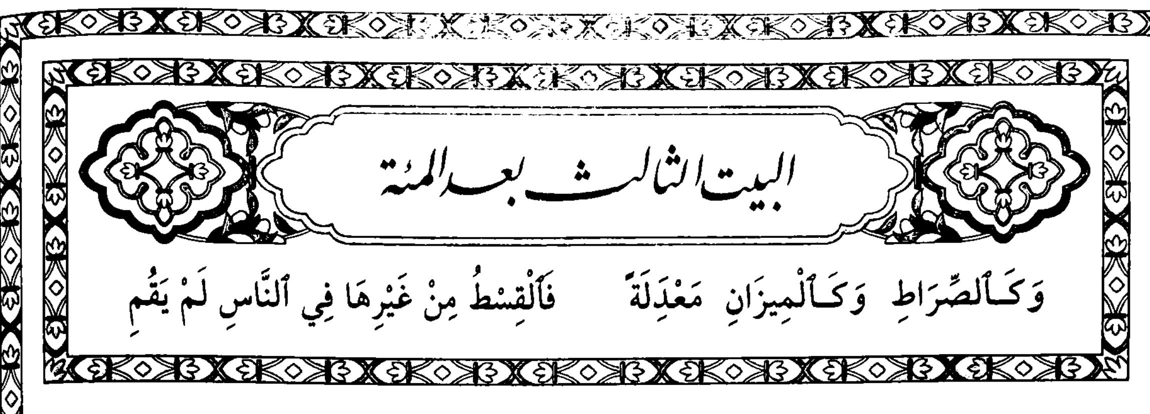
وفي هٰذا البيتِ : **التلميحُ** ؛ لأنَّهُ أشارَ إلىٰ ما وَرَدَ في الخبرِ ؛ مِنِ اغتسالِ الجهنَّميِّينَ في بحرِ الحياةِ[2] .

* * *

---

(١) في (ب) : (قائلها) .

(٢) وقد سبق تخريجه في (ص١٩٩) أثناء الحديث عن أنواع الشفاعة .



البيت الثالث بعد المئة

وَكَالصِّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدِلَةً ... فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ

(و) هٰذهِ الآياتُ أيضاً (كالصِّراطِ) استقامةً ؛ وهوَ دينُ الحقِّ الذي لا اعوجاجَ فيهِ .

أو يكونُ مرادُهُ : الصِّراطَ الذي هوَ جسرٌ علىٰ مَتْنِ جهنَّمَ ، وهوَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعَرِ ، يسيرُ الناسُ عليهِ إلى الجنَّةِ علىٰ قَدْرِ أعمالِهم ؛ فإنَّهُ خطٌّ مُستقيمٌ لا اعوجاجَ فيهِ ، وهما مُتلازمانِ ؛ فإنَّهُ لا يسيرُ علىٰ متنِ الجسرِ سيراً مُستقيماً مِنْ غيرِ مَيْلٍ إلا مَنْ كانَ علىٰ طريقِ الاستقامةِ في الدنيا .

(و) هٰذهِ الآياتُ المذكورةُ (كالميزانِ مَعْدِلةً) بالنصبِ على التمييزِ[1] ؛ أي : عَدْلاً ، وحَذَفَ تمييزَ الصِّراطِ[2] ؛ لدَلالةِ المعنىٰ عليهِ .

ووجهُ التشبيهِ بينَ الآياتِ وبينَ كلٍّ مِنَ الصراطِ والميزانِ : أنَّ الآياتِ في أحكامِها وأخبارِها كلُّها ذاتُ عَدْلٍ واستقامةٍ ؛ كاستقامةِ الطريقِ والميزانِ .

(فالقِسْطُ) بكسرِ القافِ ؛ وهوَ العَدْلُ (مِنْ غيرِها) وغيرِ ما يرجعُ إليها مِنَ السُّنَّةِ ونحوِها (في الناسِ . . لم يَقُمِ) .

والمرادُ بالناسِ : الخصوصُ ، وإلا . . لَزِمَ ألا يكونَ في أهلِ التوراةِ وغيرِهِم مِنْ أهلِ الكُتُبِ السماويَّةِ عدلٌ ، وهوَ باطلٌ .

* * *

---

(١) وضبطها ابن مرزوق في « إظهار صدق المودة » (ق/ ٢٦٤) بكسر الدال وفتحها .

(٢) وقدَّره الشارح بقوله : (استقامةً) ، وهٰذا التمييز يدل عليه المعنىٰ والسياق .



البيت الرابع بعد المئة

لا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا ... تَجَاهُلاً وَهْوَ عَيْنُ ٱلْحَاذِقِ ٱلْفَهِمِ

وكأنَّهُ قيلَ لَهُ : إذا كانَتْ هـٰذهِ الآياتُ بالمنزلةِ التي وصفتَ . . فكيفَ صَحَّ مِنْ كثيرٍ مِنَ الكفارِ إنكارُ كونِها مِنْ عندِ اللهِ تعالىٰ ، وإنكارُ دَلالتِها علىٰ صِحَّةِ نبوَّةِ الآتي بها ؟

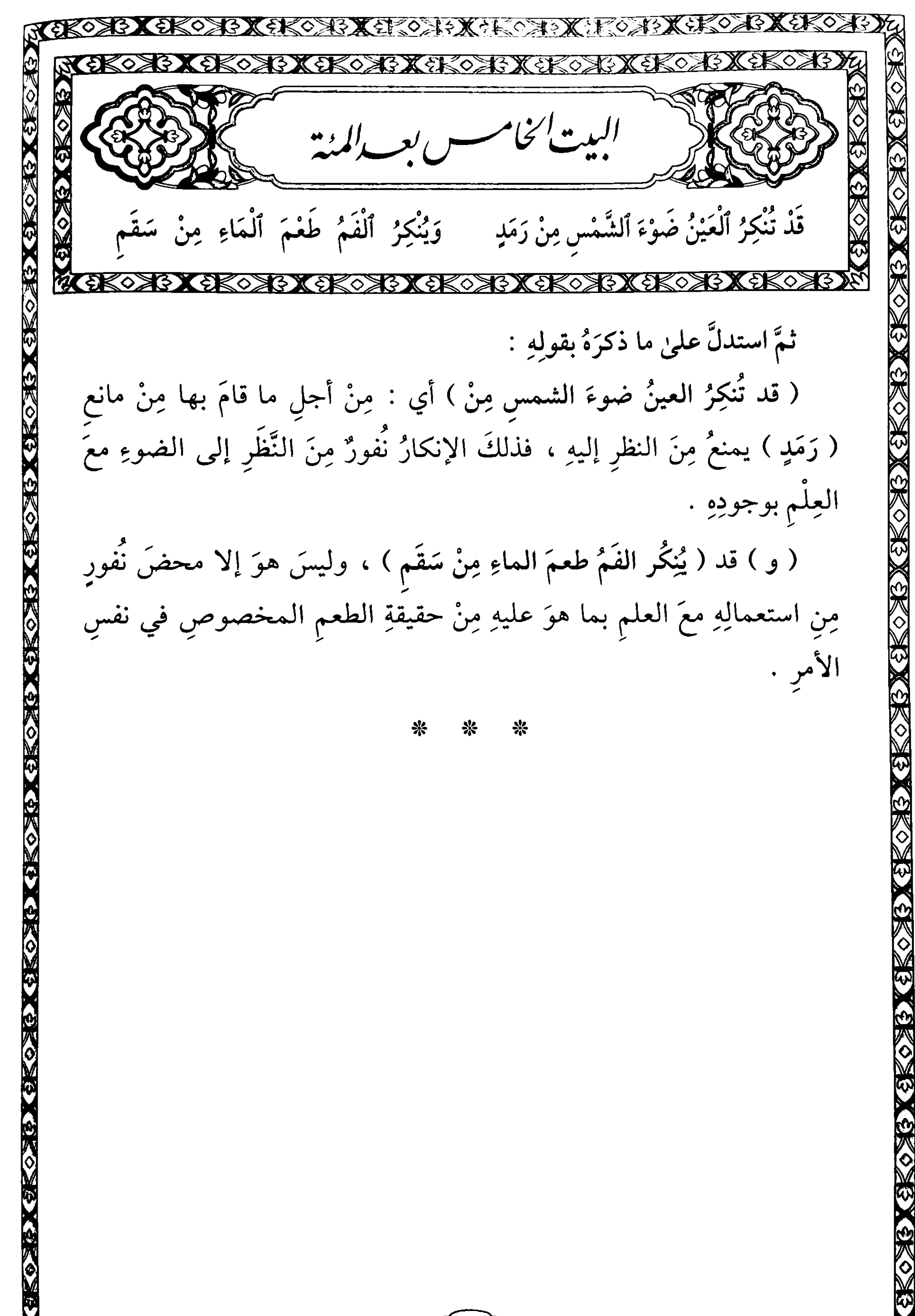
فقالَ : (**لا تَعْجَبَنْ لحَسودٍ راحَ يُنكِرُها**) أي : ولَّىٰ مُنكِراً ، وأصلُ (راح) : سارَ بالعَشِيِّ ، ثمَّ استُعمِلَ في الذهابِ ، والرَّواحُ نقيضُ الصَّباحِ ؛ وهوَ مِنَ الزوالِ إلى الليلِ .

ومرادُهُ : أنَّهُ أنكرَ ما وَضُحَتْ دَلالتُهُ وتبيَّنَ كما تتبيَّنُ الأشياءُ المحسوسةُ بحاسَّةِ البصرِ في نصفِ النهارِ ؛ وهوَ أوَّلُ وقتِ الرَّواحِ ، وهـٰذا مُناسِبٌ لقولِهِ : (**تجاهُلاً**) ؛ أي : لا حقيقةً ؛ لكونِهِ أَظْهَرَهُ كصورةِ الجهلِ ؛ فإنكارُهُ ليسَ بجهلٍ منهُ ؛ لأنَّ ما تجاهلَهُ هوَ في الوضوحِ كالنهارِ لا يُجهَلُ ، لـٰكنَّهُ لأجلِ الحَسَدِ أظهرَ التجاهُلَ .

وكيفَ يُوصَفُ بالجهلِ (**وهوَ عينُ الحاذقِ الفَهِمِ**) ؟! أي : الماهرِ في الأشياءِ بحيثُ لا يخفىٰ عليهِ تمييزُ الحقِّ مِنَ الباطلِ الذي ليسَ حَذْقُهُ عن طولِ التَّجارِبِ والتَّكرارِ لكونِهِ كانَ بليدَ الطَّبْعِ ، بل حَذْقُهُ ومهارتُهُ معَ كونِهِ فاهماً بالأصالةِ ، وبلا شَكٍّ أنَّهُ يحصلُ بالتمرينِ معَ كونِهِ فاهماً . . ما لا يحصلُ بالتمرينِ معَ البَلادةِ الأصليَّةِ .

فظهرَ بهـٰذا التقديرِ : أنَّ الفاهمَ ليسَ معناهُ الحاذقَ كما زَعَمَ بعضُهُم .

* * *



البيت الخامس بعد المئة

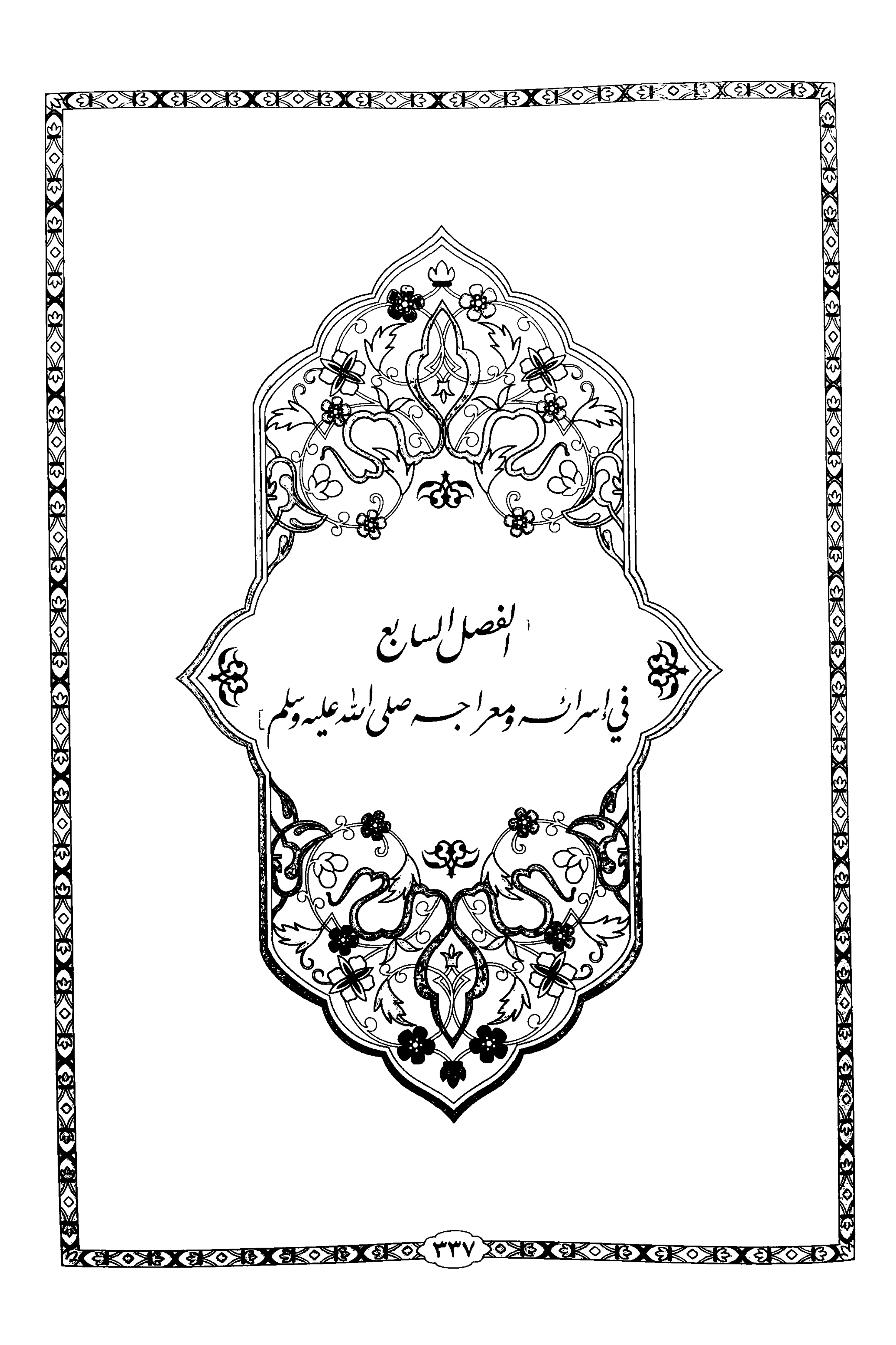
قَدْ تُنْكِرُ ٱلْعَيْنُ ضَوْءَ ٱلشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ ... وَيُنْكِرُ ٱلْفَمُ طَعْمَ ٱلْمَاءِ مِنْ سَقَمِ

ثمَّ استدلَّ على ما ذكرَهُ بقولِهِ :

(قد تُنكِرُ العينُ ضوءَ الشمسِ مِنْ) أي : مِنْ أجلِ ما قامَ بها مِنْ مانعِ (رَمَدٍ) يمنعُ مِنَ النظرِ إليهِ ، فذلكَ الإنكارُ نُفورٌ مِنَ النَّظَرِ إلى الضوءِ معَ العِلْمِ بوجودِهِ .

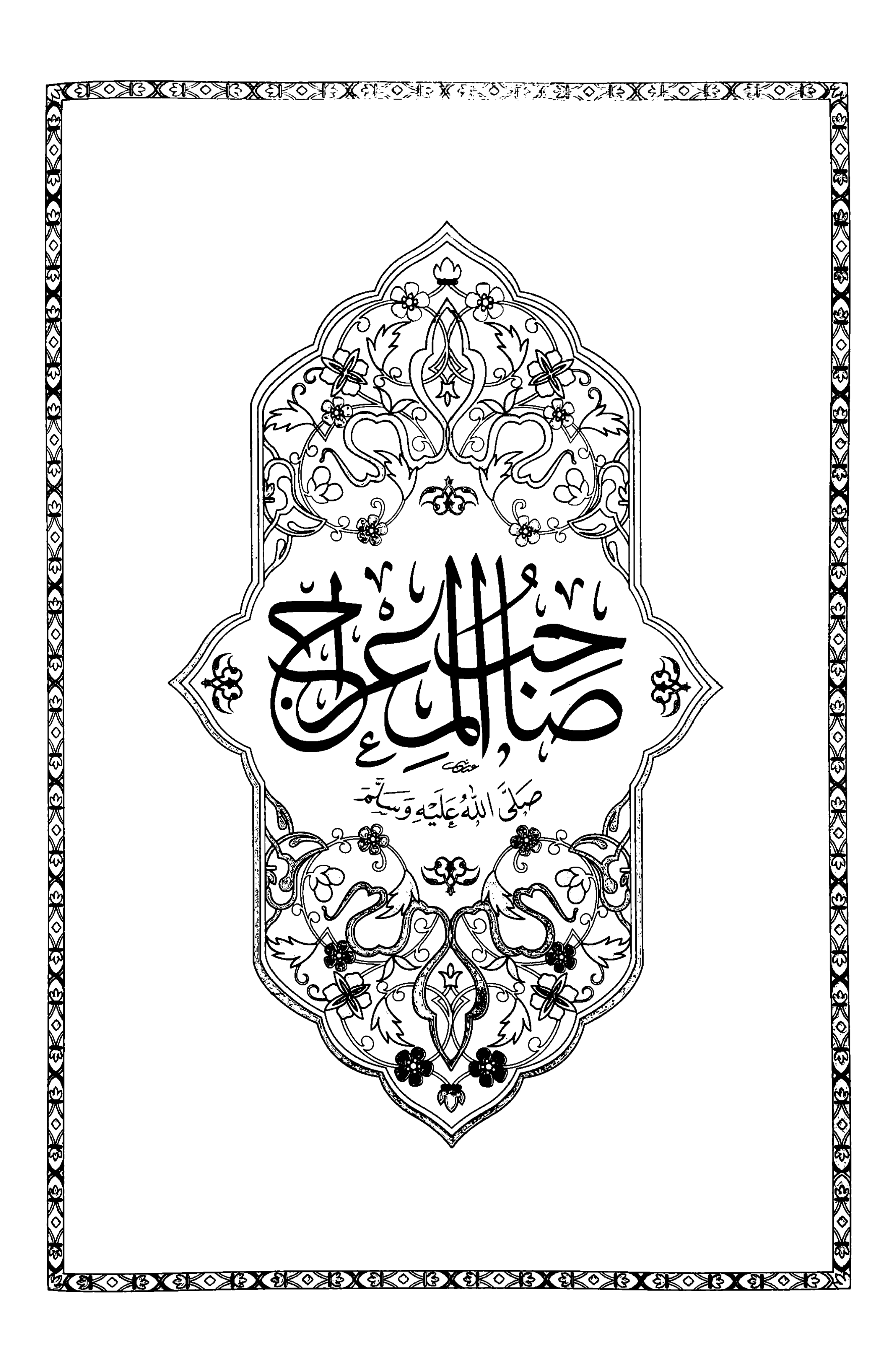
(و) قد (يُنكُر الفَمُ طعمَ الماءِ مِنْ سَقَمٍ) ، وليسَ هوَ إلا محضَ نُفورٍ مِنِ استعمالِهِ معَ العلمِ بما هوَ عليهِ مِنْ حقيقةِ الطعمِ المخصوصِ في نفسِ الأمرِ .

* * *



الفصل السابع

في إسرائه ومعراجه صلى الله عليه وسلم


صاحب المعراج
صلى الله عليه وسلم



البيت السادس بعد المئة

يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ ٱلْعَافُونَ سَاحَتَهُ   سَعْياً وَفَوْقَ مُتُونِ ٱلأَيْنُقِ ٱلرُّسُمِ

ولمَّا مدحَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بما مدحَهُ بهِ مُخبِراً عنهُ علىٰ سبيلِ الغَيْبةِ . . أقبلَ عليهِ بالخطابِ ؛ فقالَ :

(يا خيرَ مَنْ يَمَّمَ العافُونَ) أي : قصدَ طُلَّابُ المعروفِ (ساحتَهُ) حالَ كونِهم ساعينَ (سَعْياً) بمعنىٰ : مُجِدِّينَ في المشيِ استعجالاً لتحقيقِ ما تعوَّدوا منهُ مِنَ الظَّفَرِ بالمطلوبِ وأَمْنِ الخَيْبةِ .

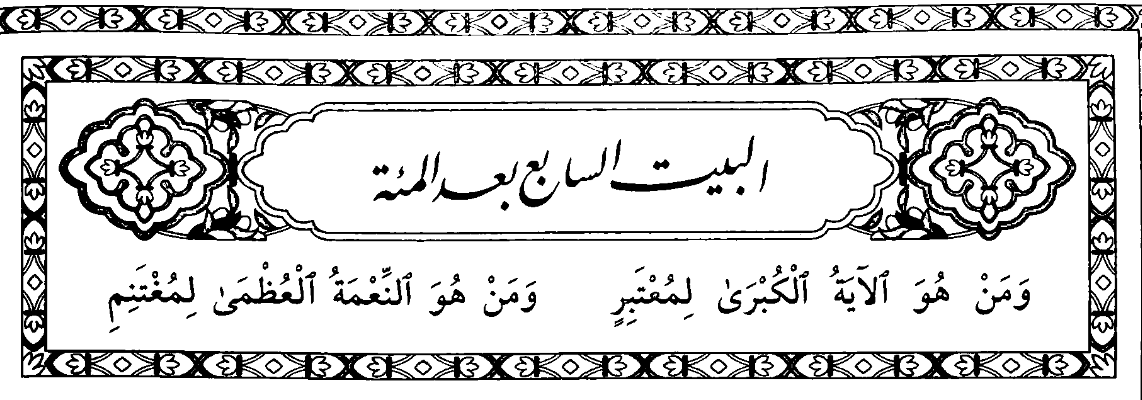
(و) حالَ كونِهم راكبينَ (فوقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُم) أي : ظُهورِ النُّوقِ الشديدةِ الوطءِ لقوَّتِها ؛ حتىٰ إنَّها ترسُمُ في الأرض بمَشْيِها آثاراً ظاهرةً ؛ كلُّ ذلكَ لحصولِ البغيةِ سريعاً ، والرُّجوعِ بالحاجةِ في أقربِ وقتٍ .

والأَيْنُقُ : جمعُ ناقةٍ ، وهوَ مقلوبٌ ، وأصلُهُ : (أَنْوُقٌ) جمعُ قِلَّةٍ ، استثقلوا ضمَّةَ الواوِ فقدَّموها فقالوا : (أَوْنُقٌ) ، ثمَّ عوَّضوا مِنَ الواوِ ياءً فقالوا : (أَيْنُقٌ) ، ثمَّ جمعوها علىٰ (أيانِقَ) ، وقد تُجمَعُ الناقةُ علىٰ (نياقٍ) كثرةً[١] .

* * *

---

(١) أي : جمع كثرة علىٰ وزن (فِعال) ، و(ناقة) أصلها : (نَوَقَة) علىٰ وزن (فَعَلَة) ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً ، فصارت (ناقة) ، فهي مع جمعها كـ (ثَمَرَة وثِمَار) .



ثمَّ عطفَ عليهِ قولَهُ : (و) يا (**مَنْ هوَ الآيةُ الكُبرىٰ لمُعتَبِرٍ**) يتأمَّلُ ويتذكَّرُ ؛ فإنَّهُ معَ توفيقِ اللهِ تعالىٰ يعلمُ بأوَّلِ نَظَرٍ أنَّهُ خيرُ خلقِ اللهِ[1] ، وأنَّهُ بعثَهُ إلى الخلائقِ المغمورينَ في الضَّلالةِ ، فدلَّ على اللهِ وعرَّفَ بهِ ، وأتىٰ بما لا يُنالُ بتعليمٍ واكتسابٍ ، إلا بتخصيصٍ مِنَ العَليِّ الوهَّابِ .

وحقيقٌ بمَنْ بَلَغَ في الآيةِ إلىٰ هـٰذهِ المنزلةِ والدَّلالةِ على اللهِ . . أن يكونَ نعمةً عظيمةً لا أعظمَ منها ؛ كما قالَ : (و) يا (**مَنْ هوَ النعمةُ العُظْمىٰ لمُغتَنِم**) ما عندَ اللهِ مِنَ السعادةِ الأبديَّةِ .

وأجازَ بعضُهُم : أن يكونَ (ومَنْ هوَ) في الموضعَينِ معطوفاً علىٰ (مَنْ) في قولِهِ : (يا خيرَ مَنْ) .

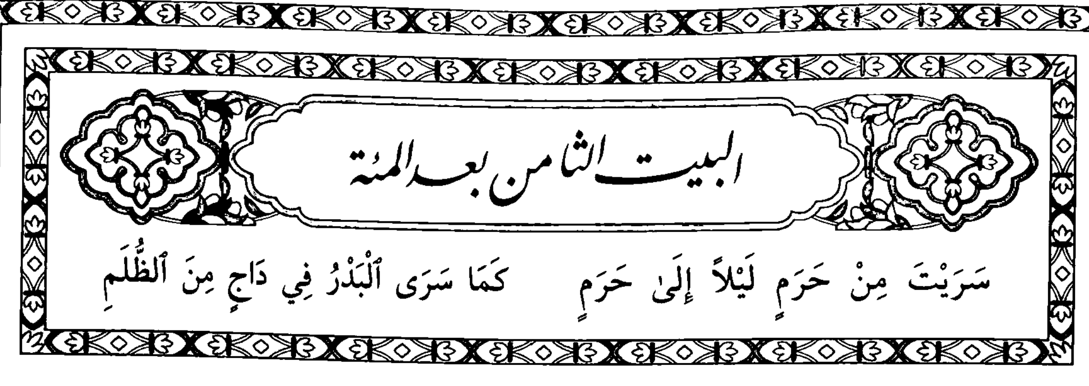
فإن عُطِفَ علىٰ (خيرَ) كما هوَ الظاهرُ . . كانَتْ (مَنْ) واقعةً عليهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وحدَهُ .

وإن عُطِفَ علىٰ (مَنْ) . . فالتقديرُ : (ويا خيرَ مَنْ هوَ النعمةُ) ، فيكونُ المرادُ بـ (مَنْ هوَ الآيةُ) جنساً مُتعدِّداً ، **ويقتضي المعنىٰ** : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خيرُ ذلكَ الجنسِ ، ويشملُ النبيِّينَ والملائكةَ ، **فيُستفادُ مِنْ كلامِ الناظمِ** : تفضيلُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على الملائكةِ كما هوَ مذهبُ أهلِ السنةِ في تفضيلِ الأنبياءِ عليهِم[2] .

---

(١) في (ب) : (نظرة) بدل (نظر) .

(٢) وذهبت المعتزلة إلىٰ أن الملائكة أفضل من الأنبياء إلا نبينا . انظر «تحفة المريد» (ص٢١٦).



ثمَّ أخذَ كأنَّهُ يقولُ : ومِنْ آياتِكَ الكُبرىٰ : أنَّكَ (**سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ**) وهوَ حَرَمُ مكَّةَ (**ليلاً إلىٰ حَرَمٍ**) وهوَ حَرَمُ بيتِ المقدسِ سَرْياً (**كما سرى البدرُ**) التامُّ النورِ (**في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ**)[1] .

ووجهُ التشبيهِ : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نورٌ مُبينٌ كالبدرِ وأتمُّ وأعظمُ ، وقد قطعَ مسافةً عظيمةً في ليلٍ مُظلِمٍ ، كما يسري البدرُ المُنيرُ في ليلٍ مُظلِمٍ .

وليُعلَمْ : أنَّ (سَرَىٰ) و(أَسْرَىٰ) بمعنىً ؛ أي : سارَ ليلاً ، و(أَسْرَىٰ) لغةُ أهلِ الحجازِ ، وجاءَ القرآنُ بها ؛ قالَ تعالىٰ : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾[2] ، و﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾[3] .

وقالَ السُّهيليُّ : (« سرىٰ » لازمٌ ، و« أَسْرَىٰ » مُتعَدٍّ ، لـٰكن كثُرَ حذفُ مفعولِهِ ، فظنَّ أهلُ اللغةِ أنَّهُما بمعنىً ، و﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ أي : أَسْرى البُراقَ بعبدِهِ ، فحُذِفَ المفعولُ استغناءً عنهُ ؛ لأنَّ المقصودَ بالخَبَرِ

---

(١) قيل : إنما سُمِّي بدراً ؛ لأنه يبادر بالطلوع عقب غروب الشمس كما قال ابن قتيبة ، قال بعضهم : وحينئذ لا يطلع البدر إلا في وقت الشفق ، فلا يحسن التشبيه . انتهىٰ ، وفيه نظر : فإنه إنما يريد التشبيه من جهة أنه نور مبين كالبدر كما ذكر ها هنا . انتهىٰ من هامش (د) .

(٢) سورة هود : (٨١) .

(٣) سورة الإسراء : (١) .

ذكرُ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، أو حُذِفَ لقوَّةِ الدَّلالةِ عليهِ)[1] .

قالَ : (واتَّفقَ الرُّواةُ علىٰ تسميتِهِ « إسراءً » ، ولم يَقُلْ أحدٌ منهُم : « سُرىً » ، واتَّفقَ القُرَّاءُ علىٰ « أسرىٰ »)[2] .

فإن قيلَ : إذا كانَ معنىٰ (سَرَيْتَ) : سِرْتَ ليلاً . . فما فائدةُ قولِهِ : (ليلاً) ؟

فالجوابُ : أنَّ فائدتَهُ كفائدتِهِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ ، وهوَ التأكيدُ ، أو معناهُ : سيَّرَهُ ليلاً ، حكاهُ في « القاموسِ »[3] .

وذهبَ الزمخشريُّ : (إلىٰ أنَّ فائدتَهُ : تقليلُ المدَّةِ التي قطعَ فيها تلكَ المسافةَ البعيدةَ التي هيَ مسافةُ أربعينَ ليلةً قطعَها في بعضِ الليلِ حَسَبما يُعطيهِ تنكيرُ « ليلاً » فإنَّ التنكيرَ فيهِ للتقليلِ)[4] ؛ أي : وقعَ الإسراءُ مِنَ المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقْصىٰ في بعضِ الليلِ .

ولو لم يُذكَرْ[5] . . لاحتملَ أن يكونَ ذلكَ في الليلِ كلِّهِ ، وليسَ كذلكَ ، بل كانَ بقيَّةُ الليلِ لترقِّيهِ إلىٰ فوقِ السبعِ السماواتِ العُلا ، ولتلقِّيهِ مِنْ ربِّ العِزَّةِ جلَّ وعلا ما تلقَّىٰ مِنَ التكاليفِ والأحكامِ ، وما اطَّلعَ عليهِ مِنْ أحوالِ الجنَّةِ والنارِ ومُخاطَباتِ الأنبياءِ ، وما رأىٰ مِنَ العجائبِ ؛ كلُّ ذلكَ في ليلةٍ واحدةٍ ، فسُبحانَ القادرِ علىٰ ما يشاءُ !!

قالَ الزمخشريُّ : (ويشهدُ لذلكَ : قراءةُ عبدِ اللهِ وحُذيفةَ :

---

(١) الروض الأنف (٣/ ٢٥٢) .

(٢) الروض الأنف (٣/ ٢٥١) .

(٣) القاموس المحيط (٤/ ٣٣٥) ، مادة : (س ر ي) .

(٤) الكشاف (٢/ ٦٠٤) .

(٥) أي : (ليلاً) في قول الناظم .

« مِنَ الليلِ » أي : مِنْ بعضِهِ) انتهىٰ[١] .

قيلَ : إنَّما أُسْرِيَ بهِ ليلاً ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ لمَّا محا آيةَ الليلِ وجعلَ آيةَ النهارِ مُبصِرةً . . انكسرَ الليلُ ، فجُبِرَ بأن أُسْرِيَ فيهِ بمحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وقيلَ : افتخرَ النهارُ على الليلِ بالشمسِ ، فقيلَ : لا تَفْتخِرْ ؛ إن كانَتْ شمسُ الدُّنيا تُشرِقُ فيكَ . . فسيعرُجُ شمسُ الأرضِ في الليلِ إلى السماءِ .

وقيلَ : لأنَّهُ سِراجٌ ، والسِّراجُ إنَّما يُوقَدُ في الليلِ .

وقيلَ : لأنَّهُ سُمِّيَ بدراً في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ طه ﴾ [طه: ١] فإنَّ الطاءَ بتسعةٍ[٢] ، والهاءَ بخمسةٍ ، وذلكَ أربعةَ عشرَ ؛ فكأنَّهُ قيلَ : يا بدرَ أربعةَ عَشَرَ ، وهـٰذا يُناسِبُ قولَ الناظمِ : (كما سرى البدرُ) ، وللهِ دَرُّ القائلِ حيثُ قالَ[٣] : [من الخفيف]

قُلْتُ يَا سَيِّدِي وَلِمْ تُؤْثِرُ ٱللَّيْـ ... ـلَ عَلَىٰ بَهْجَةِ ٱلنَّهَارِ ٱلْمُنِيرِ
قَالَ لا أَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَ رَسْمِي ... هَـٰكَذَا ٱلرَّسْمُ فِي طُلُوعِ ٱلْبُدُورِ
إِنَّمَا زُرْتُ فِي ٱلظَّلامِ لِكَيْمَا ... يُشْرِقَ ٱللَّيْلُ مِنْ أَشِعَّةِ نُورِي[٤]

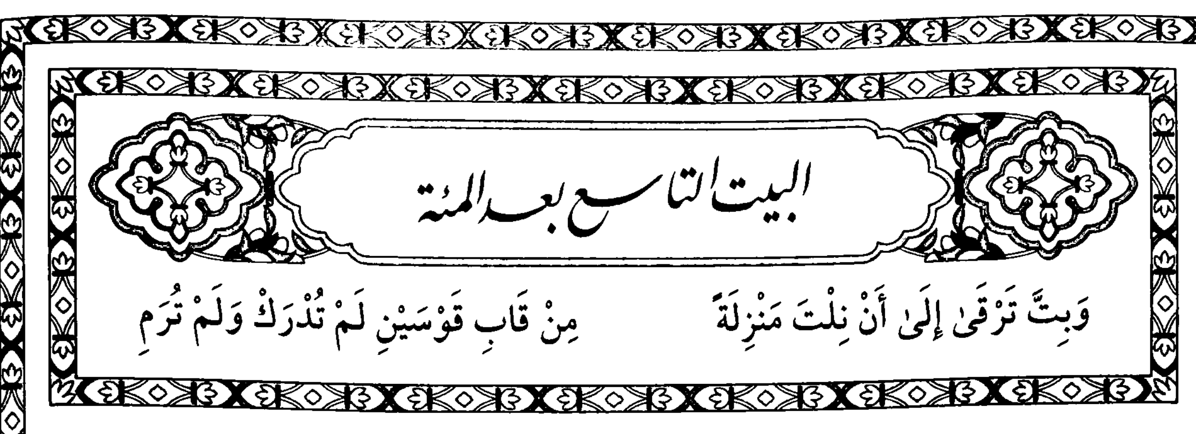
* * *

(١) الكشاف (٢/ ٦٠٤) ، وقراءة سيدنا ابن مسعود وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم أخرجها الطبري في « تفسيره » (١٧/ ٣٣٠) .

(٢) أي : في حساب الجُمَّل ، كما لا يخفىٰ .

(٣) الأبيات في « إظهار صدق المودة » (ق/ ٣٠١) دون عزو ، وكذلك في « المواهب اللدنية » (٢/ ٤٣١) ، وأورد الأول والثاني الجرجاني في « أسرار البلاغة » (ص٣١٤) ، والراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٢/ ١٢٢) وعزوهما لسعيد بن حميد الكاتب .

(٤) في (أ): (البدر) بدل (الليل)، هـٰذا وجميع تلك الحِكَم المصدرة بـ (قيل) هي علىٰ طريقة أهل الإشارات . انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٣٠٠-٣٠١) .



ثمَّ عطفَ علىٰ قولِهِ : (سَرَيْتَ) قولَهُ : (وَبِتَّ) ليلةَ إسرائِكَ مِنْ مكَّةَ إلىٰ بيتِ المقدسِ بعدَ وصولِكَ إلى المسجدِ الأَقْصىٰ . . (تَرْقَىٰ) إلىٰ أن بلغتَ سماءَ الدنيا ، ثمَّ في السماواتِ سماءً بعدَ سماءٍ (إِلَىٰ أَنْ نِلْتَ) وبلغتَ (منزلةً) شريفةً مَحَلُّها مِنَ المكانِ الذي شرَّفَهُ اللهُ تعالىٰ ؛ كالعرشِ مثلاً ، أو غيرِهِ ممَّا لم يُقدِّرْ سبحانَهُ وتعالىٰ أن ينالَهُ بشرٌ بعدُ ؛ (مِنْ) نحوِ (قابِ قَوسَينِ) ، حالةَ كونِ تلكَ المنزلةِ التي نالَها (لم تُدرَكْ ولم تُرَمِ) إذ لا يُطلَبُ إلا ما يُمكِنُ إدراكُهُ[1] .

وقابُ قوسَينِ : أي : مقدارُ قوسَينِ ، وقابُ قوسَينِ : قدرُ طولِهِما ، وقيلَ : قدرُ الوَتَرِ منهُما ، قالَ الجوهريُّ : (ويُقالُ : بينَهُما قابُ قوسٍ ، وقِيبُ قوسٍ ، وقادُ قوسٍ ، وقِيدُ قوسٍ ؛ أي : قدرُ قوسٍ)[2] .

وقيلَ : المرادُ بالقوسَينِ : قوسا الحاجبِ .

* * *

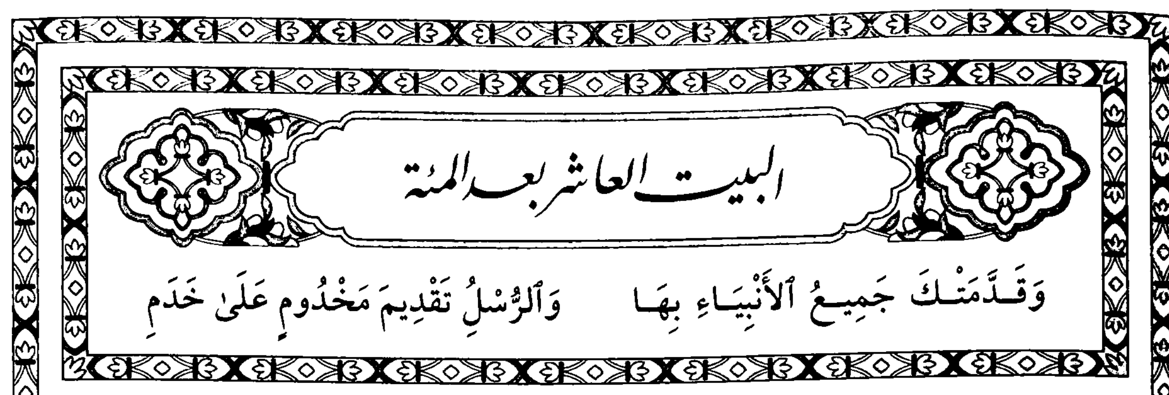
---

(١) وهـٰذا البيت ـ أعني : قوله : (وبِتَّ ترقىٰ . . .) إلىٰ آخره ـ يشبه أول بيت في قصيدته « الهمزية » ؛ وهو : [من الخفيف]

كيـف تـرقـىٰ رُقِيَّـكَ الأنبيـاءُ يـا سمـاءً مـا طـاولَتْهـا سمـاءُ

انتهىٰ من هامش (د) .

(٢) الصحاح (١/٢٠٧) ، مادة : (ق و ب) .



البيت العاشر بعد المئة

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ ٱلْأَنْبِيَاءِ بِهَا ... وَٱلرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَىٰ خَدَمِ

ثمَّ عطفَ عليهِ قولَهُ : (**وقدَّمَتْكَ**) بمعنىٰ : صيَّرَتْكَ مُقدَّماً بينَ يَدَيْها ، أوِ التقديمِ في المرتبةِ والمكانةِ .

والكافُ : مفعولٌ ، وألحقَ الفعلَ التاءَ ؛ لأنَّ (جميعُ) في معنىٰ (جماعةُ) ، أو لإضافتِهِ إلىٰ جمعِ التكسيرِ الذي يجوزُ تأنيثُهُ ، وإذا جازَ في نحوِ : (قُطِعَتْ بعضُ أصابعِكَ) تأنيثُ المُضافِ لإضافتِهِ إلىٰ مُؤنَّثٍ معَ أنَّ المُضافَ ليسَ في معنى المضافِ إليهِ . . **فها هنا أَحْرىٰ** ؛ لأنَّهُ في معناهُ ، والفاعلُ قولُهُ : (**جميعُ الأنبياءِ بها والرُّسْلِ تقديمَ**) بالنصبِ : مصدرٌ مُشبَّهٌ بهِ ؛ أي : تقديماً مثلَ تقديمِ (**مخدومٍ**) وهوَ الرئيسُ (**علىٰ خَدَمِ**) .

ويحتملُ : أن يُريدَ بتقديمِ الأنبياءِ لهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما وردَ في حديثِ الإسراءِ ؛ مِنْ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَمَّهُم في الصلاةِ ، ولفظُ الحديثِ صالحٌ للعمومِ[1] ، **ولا بُعْدَ في هٰذا** ؛ فإنَّ تلكَ الحالةَ خارقةٌ للعادةِ ، وضميرُ (بها) علىٰ هٰذا : **يحتملُ** : أن يعودَ على المنزلةِ ، **ويحتملُ** : أن يعودَ على الليلةِ المفهومةِ مِنْ (ليلاً) ، أو علىٰ لفظِ (ليلاً) باعتبارِ أنَّهُ ليلةٌ أو ساعةٌ منهُ ، والباءُ على الوجهَينِ : للظرفيَّةِ .

وأمَّا قولُهُ : (والرُّسْلِ) . . **فيحتملُ** : الخفضَ عَطْفاً على (الأنبياءِ)

---

(١) وهو قوله صلى الله عليه وسلم ـ كما أخرجه مسلم (١٧٢) من حديث سيدنا أبي هريرة ـ : « فحانَتِ الصلاةُ فأَمَمْتُهم » ، وقد أفاض المؤلف الحديث حول قصة الإسراء والمعراج وأشبعها بحثاً في كتابه النفيس « المواهب اللدنية » .

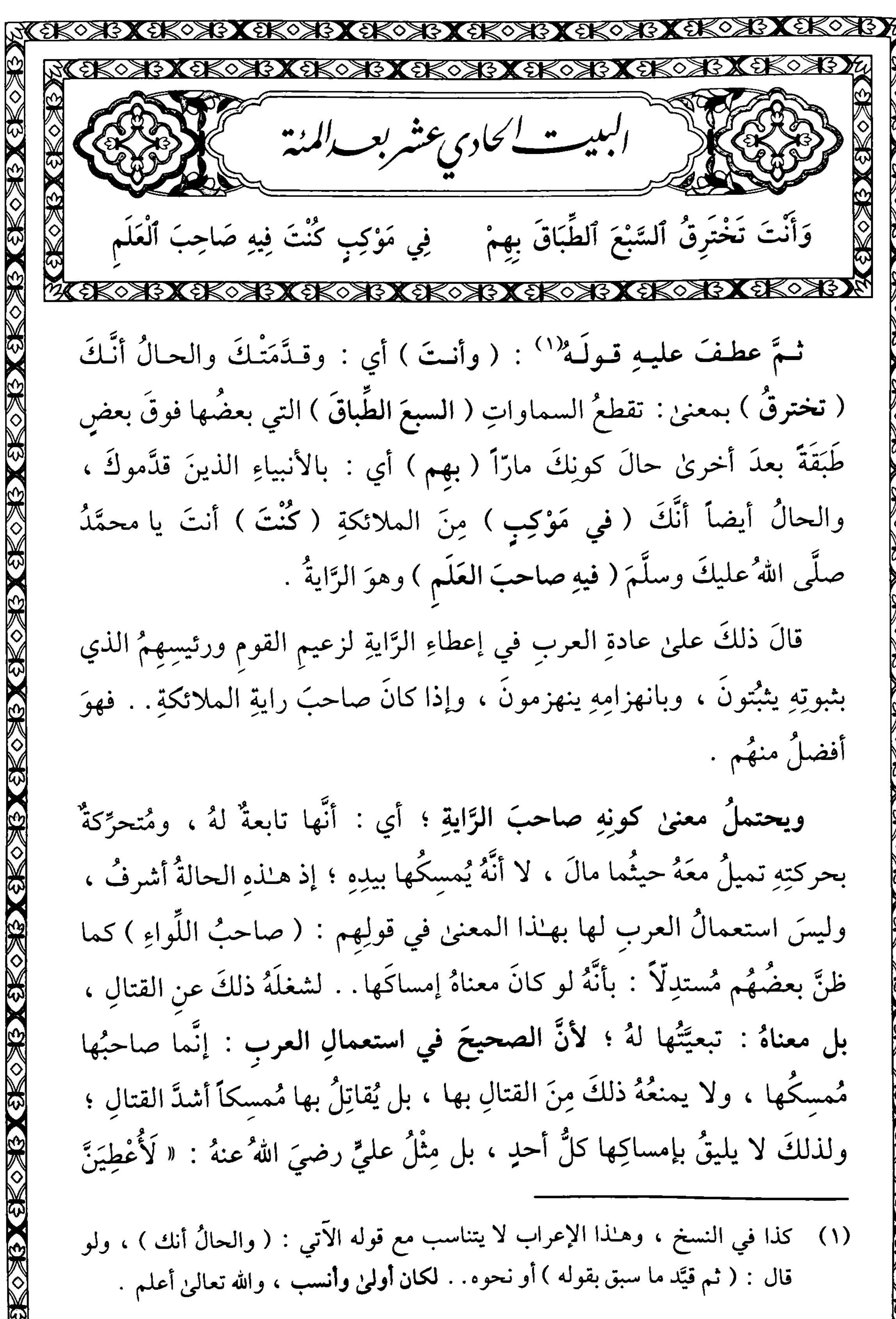
أي : وجميعُ الرسلِ ، والرفعَ عطفاً علىٰ (جميعُ) ، وعلىٰ **الأوَّلِ** : فهوَ صريحٌ في العُمومِ ، **وعلى الثاني** : ظاهرٌ فيهِ .

وبلا شكٍّ أنَّ القولَ بإمامتِهِ لجميعِ الأنبياءِ وجميعِ الرُّسْلِ يتوقَّفُ علىٰ دليلٍ ظاهرٍ مِنَ السنةِ ؛ لأنَّهُ لم يُصَرَّحْ في الأحاديثِ الصحيحةِ إلا بلقاءِ أنبياءَ مخصوصينَ ، لـٰكن في السماواتِ ، وصلاتُهُ بهِم إنَّما كانَتْ في الأرضِ ، **فلا بُعْدَ في العمومِ**[1] .

وفي قولِهِ : (والرُّسْل) ـ **على المشهورِ** في كونِ الرسولِ أخصَّ مِنَ النبيِّ ـ . عطفُ الخاصِّ على العامِّ .

* * *

(١) انظر « تفسير ابن كثير » (٥/ ٤٣) ، و« المواهب اللدنية » (٢/ ٤٦٠) .



البيت الحادي عشر بعد المئة

وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ ٱلسَّبْعَ ٱلطِّبَاقَ بِهِمْ ... فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ ٱلْعَلَمِ

ثُمَّ عطفَ عليهِ قولَهُ[1] : (**وأنتَ**) أي : وقدَّمَتْكَ والحالُ أنَّكَ (**تخترقُ**) بمعنىٰ : تقطعُ السماواتِ (**السبعَ الطِّباقَ**) التي بعضُها فوقَ بعضٍ طَبَقَةً بعدَ أخرىٰ حالَ كونِكَ مارّاً (**بهِم**) أي : بالأنبياءِ الذينَ قدَّموكَ ، والحالُ أيضاً أنَّكَ (**في مَوْكِبٍ**) مِنَ الملائكةِ (**كُنْتَ**) أنتَ يا محمَّدُ صلَّى اللهُ عليكَ وسلَّمَ (**فيهِ صاحبَ العَلَمِ**) وهوَ الرَّايةُ .

قالَ ذلكَ علىٰ عادةِ العربِ في إعطاءِ الرَّايةِ لزعيمِ القومِ ورئيسِهِمُ الذي بثبوتِهِ يثبُتونَ ، وبانهزامِهِ ينهزمونَ ، وإذا كانَ صاحبَ رايةِ الملائكةِ . . فهوَ أفضلُ منهُم .

ويحتملُ معنىٰ كونِهِ صاحبَ الرَّايةِ ؛ أي : أنَّها تابعةٌ لهُ ، ومُتحرِّكةٌ بحركتِهِ تميلُ معَهُ حيثُما مالَ ، لا أنَّهُ يُمسِكُها بيدِهِ ؛ إذ هٰذهِ الحالةُ أشرفُ ، وليسَ استعمالُ العربِ لها بهٰذا المعنىٰ في قولِهِم : (صاحبُ اللِّواءِ) كما ظنَّ بعضُهُم مُستدِلّاً : بأنَّهُ لو كانَ معناهُ إمساكَها . . لشغلَهُ ذلكَ عنِ القتالِ ، **بل معناهُ** : تبعيَّتُها لهُ ؛ **لأنَّ الصحيحَ في استعمالِ العربِ** : إنَّما صاحبُها مُمسِكُها ، ولا يمنعُهُ ذلكَ مِنَ القتالِ بها ، بل يُقاتِلُ بها مُمسِكاً أشدَّ القتالِ ؛ ولذلكَ لا يليقُ بإمساكِها كلُّ أحدٍ ، بل مِثْلُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : « لَأُعطِيَنَّ

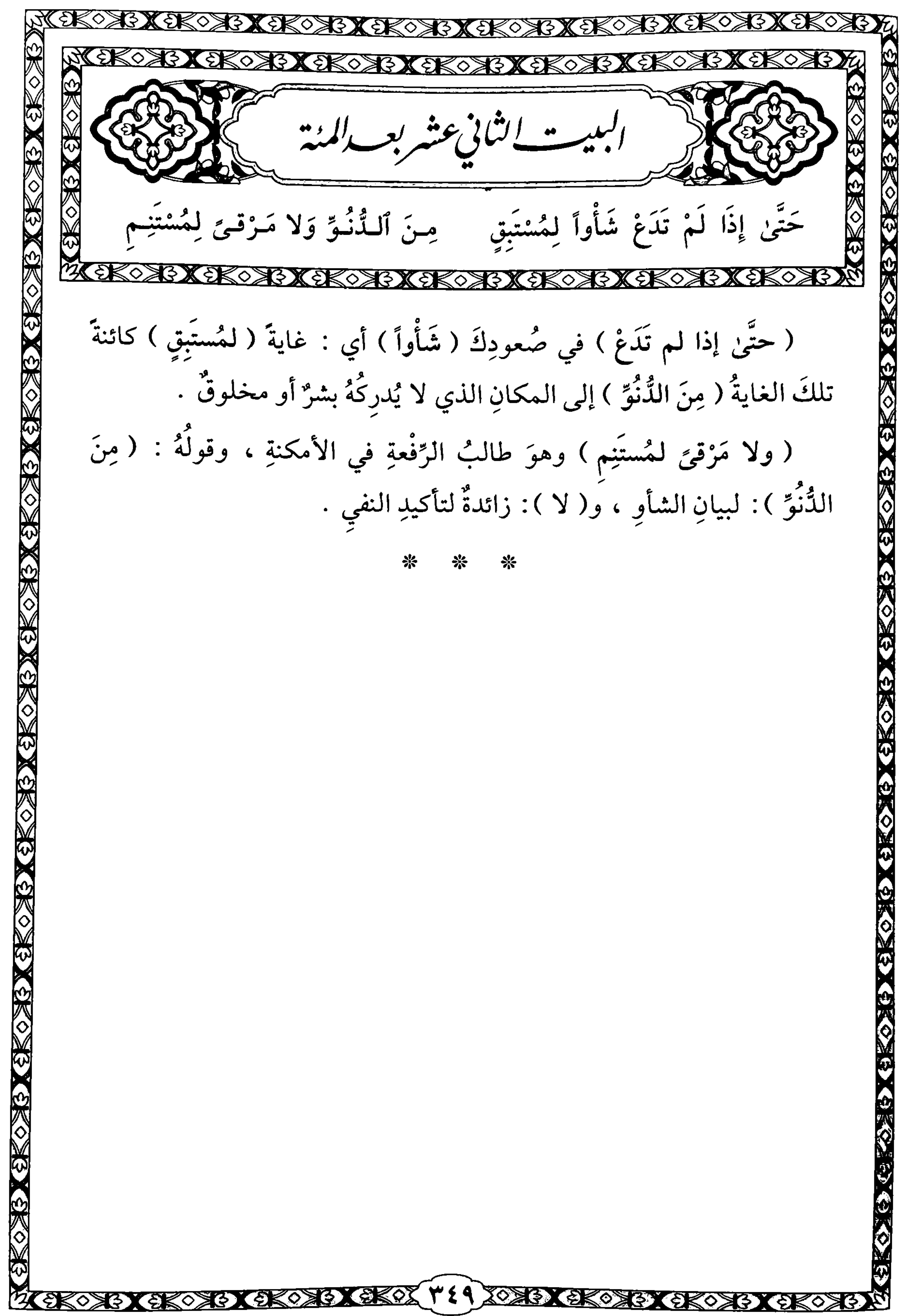
---

(١) كذا في النسخ ، وهٰذا الإعراب لا يتناسب مع قوله الآتي : (والحالُ أنك) ، ولو قال : (ثم قيّد ما سبق بقوله) أو نحوه . . **لكان أولىٰ وأنسب** ، والله تعالىٰ أعلم .

ٱلرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ ٱللهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ » ، وأنتَ تعلمُ ثباتَ مَنْ لهُ هـٰذهِ المنزلةُ مِنَ المحبَّةِ ؛ ولذا قالَ : « يَفْتَحُ ٱللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ »[1] .

* * *

(١) أخرجه البخاري (٢٩٧٥) ، ومسلم (٢٤٠٧) عن سيدنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه .



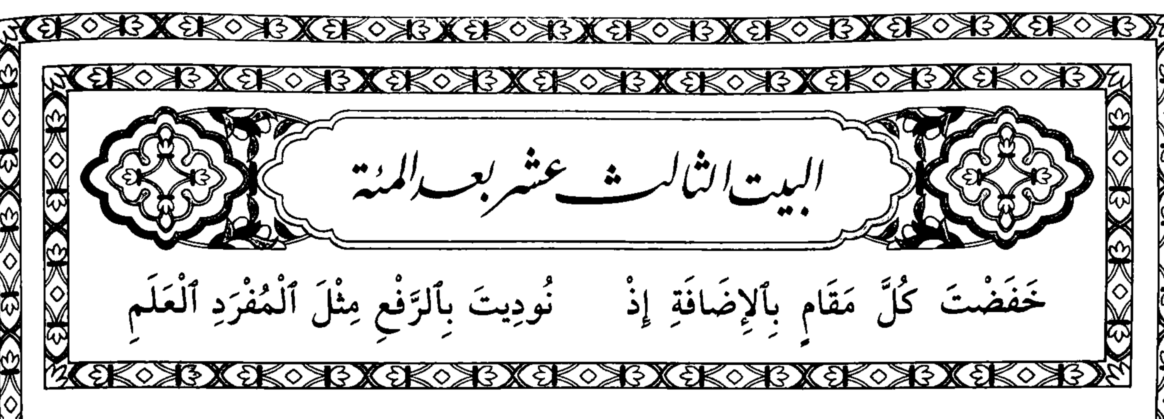
البيت الثاني عشر بعد المئة

حَتَّىٰ إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْواً لِمُسْتَبِقٍ ... مِنَ ٱلدُّنُوِّ وَلا مَرْقىً لِمُسْتَنِمِ

(حتَّىٰ إذا لم تَدَعْ) في صُعودِكَ (شَأْواً) أي : غايةً (لمُستَبِقٍ) كائنةً تلكَ الغايةُ (مِنَ الدُّنُوِّ) إلى المكانِ الذي لا يُدرِكُهُ بشرٌ أو مخلوقٌ .

(ولا مَرْقىً لمُستَنِمٍ) وهوَ طالبُ الرِّفْعةِ في الأمكنةِ ، وقولُهُ : (مِنَ الدُّنُوِّ) : لبيانِ الشأوِ ، و(لا) : زائدةٌ لتأكيدِ النفيِ .

* * *



البيت الثالث عشر بعد المئة

خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِٱلإِضَافَةِ إِذْ   نُودِيتَ بِٱلرَّفْعِ مِثْلَ ٱلْمُفْرَدِ ٱلْعَلَمِ

وجوابُ (إذا) : قولُهُ : (**خَفَضْتَ كلَّ مقامٍ**) لغيرِكَ مِنَ الأنبياءِ (**بالإضافةِ**) أي : بالنِّسْبةِ النظريَّةِ بينَ مقامِكَ المُرتفِعِ عن مَقامِ كلِّ مخلوقٍ ومقامِهِم وإن كانَ ذلكَ المُقامُ المُنخفِضُ مُرتفِعاً في نفسِهِ ، وإنَّما انخفضَ بالنسبةِ إلىٰ مقامِكَ .

وكانَ ذلكَ الخفضُ منكَ للمقاماتِ (**إذ نُودِيتَ بالرفعِ**) مِنْ قِبَلِ اللهِ تعالىٰ إلىٰ مقامِ قابِ قوسَينِ نداءً مُصاحِباً لرفعِ شأنِكَ ؛ (**مِثْلَ**) مُصاحَبةِ الرفعِ نداءَ الاسمِ (**المُفرَدِ العَلَمِ**) فإنَّهُ مِنْ حيثُ كونُهُ مُنادىً شاركَ جميعَ أقسامِ المُنادىٰ في ذلكَ ؛ فإنَّ المُنادى المُضافَ والشبيهَ بهِ والنكرةَ[1] هٰذهِ الثلاثةُ منصوبةٌ حالَ النداءِ ، ولا يُرفَعُ إلا المُنادى المُفرَدُ العَلَمُ ، فلمَّا نُودِيَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نداءً لرَفْعِ منزلتِهِ علىٰ سائرِ أبناءِ جِنْسِهِ مِنَ النبيِّينَ والمُرسَلِينَ أو مِنَ المخلوقِينَ ، وانفردَ عنهُم برَفْعِ منزلتِهِ وخَفْضِ منازِلِهِم بالنسبةِ إلىٰ منزلتِهِ . . أشبهَ الاسمَ المُنادى المُفرَدَ العَلَمَ في انفرادِهِ بحركةِ الرفعِ ونصبِ غيرِهِ مِنْ أقسامِ المُنادىٰ .

فإن قيلَ : المُفرَدُ العَلَمُ إن نُودِيَ . . بُنِي على الضمِّ وليسَ بمرفوعٍ حتىٰ يتمَّ التشبيهُ .

---

(١) أي : غير المقصودة ؛ نحو قول الأعمىٰ : (يا رجلاً خذ بيدي) فإنه لا يقصد رجلاً بعينه .

فالجوابُ : الضمُّ إلى المنزلةِ العُلْيا ؛ فهوَ رفعٌ في المعنىٰ .

أو يُقالُ : الكلامُ علىٰ حذفِ مُضافٍ ؛ أي : نُودِيتَ بحركةِ الرفعِ ؛ أي : معَ حركةِ الرفعِ ؛ وهيَ الارتقاءُ في المنازلِ ، ولا شكَّ أنَّ المُفرَدَ العلمَ مُنادىً بحركةِ الرفعِ ؛ وهوَ الضمُّ ، وتقديرُ الكلامِ : (مثلَ حركةِ نداءِ المُفرَدِ العلمِ) .

ومرادُهُ بالعلمِ : المعرفةُ ، إطلاقاً للخاصِّ وإرادةِ العامِّ مجازاً ؛ لأنَّ النكرةَ المقصودةَ ؛ كقولِكَ مُقبِلاً علىٰ رجلٍ لا تعرفُ اسمَهُ : (يا رجلُ) . . مبنيَّةٌ على الضمِّ ، **وهـٰذا القِسْمُ هوَ مِنْ أقسامِ المعرفةِ عندَ المُحقِّقينَ** ، وهوَ في رتبةِ المُشارِ إليهِ ؛ لأنَّهُ تعرَّفَ بالقصدِ والإقبالِ عليهِ كالمُشارِ إليهِ ، فلم يُقصَدْ بـ (رجلُ) في (يا رجلُ) إلا واحدٌ مُعيَّنٌ ، لا الشائعُ في جنسِهِ[1] .

والظاهرُ : أنَّ التشبيهَ بالمُفرَدِ العَلَمِ إنَّما هوَ في النداءِ بالرفعِ خاصَّةً ، لا في خَفْضِ مقاماتِ غيرِهِ[2] .

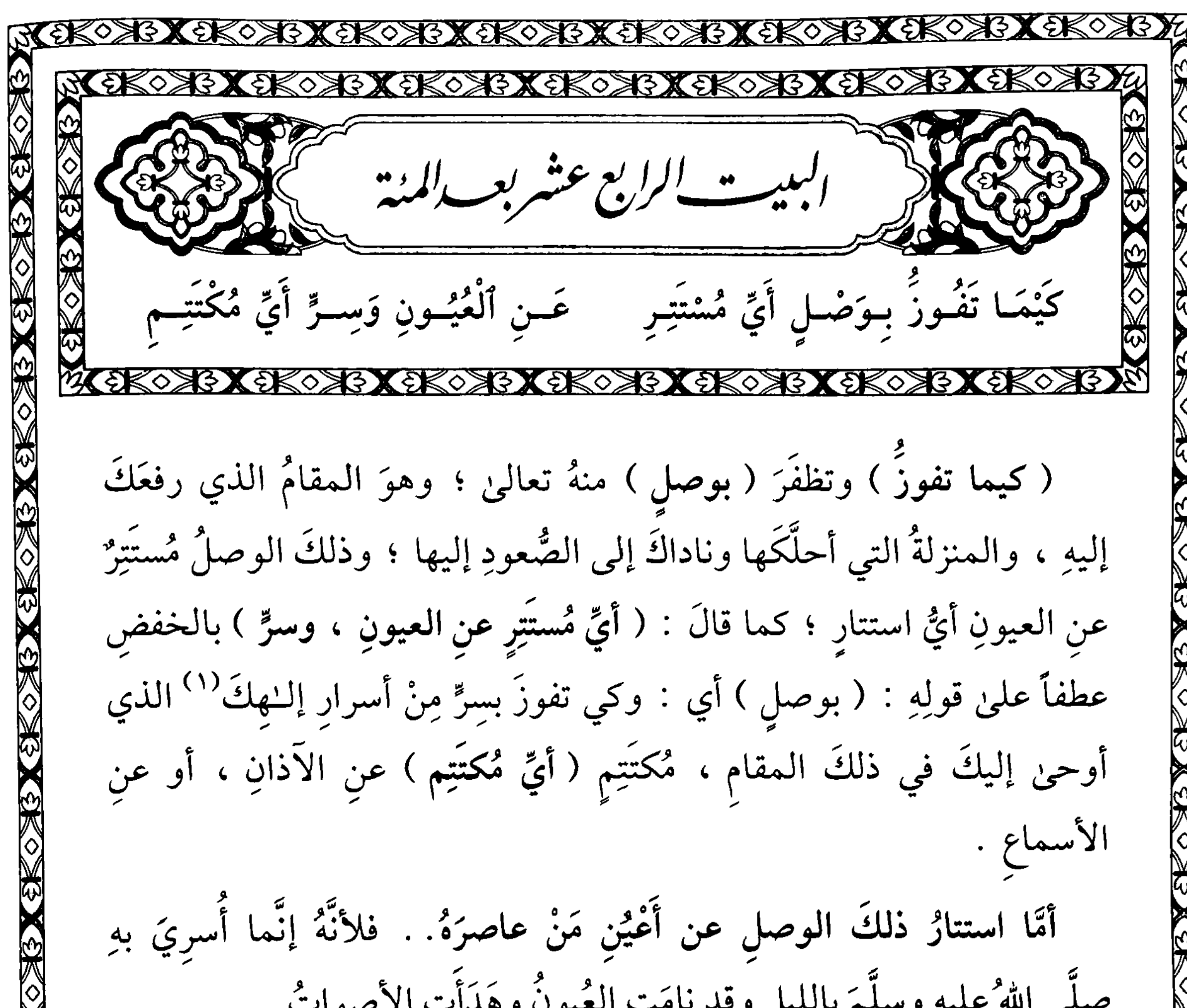
وإذ : ظرفٌ للزمانِ الماضي ، **وقيلَ** : حرفُ تعليلٍ ؛ أي : خفضتَ كلَّ مقامٍ ؛ إذ نُودِيتَ بالرفعِ .

* * *

---

(١) **وحاصل هـٰذا الكلام** : **هو الجواب عن إيرادٍ** ؛ وهو أنَّ حركة الرفع غيرُ مُختصَّةٍ بالمفرد العلم كما ذكر ؛ لوجودها في النكرة المقصودة في نحو : (يا رجلُ) ، **فأجاب** : بأن المراد بالعلم المعرفة مجازاً ، فتدخل النكرة المقصودة في كلام الناظم ، وانظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٢٨٨) .

(٢) **وهـٰذا أيضاً جواب عن إيراد مقدر** ؛ وهو أن التشبيه غير تام من وجه آخر ؛ لأنَّ مقاماتِ غير النبي صلى الله عليه وسلم مخفوضة بالنسبة إلىٰ مقامه صلى الله عليه وسلم ، ومقاماتِ غير المفرد العلم من المناديات منصوبة لا مخفوضة . انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٢٨٨) .



البيت الرابع عشر بعد المئة

كَيْمَا تَفُوزُ بِوَصْلٍ أَيِّ مُسْتَتِرٍ عَنِ ٱلْعُيُونِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتِمِ

(**كيما تفوزُ**) وتظفَرَ (**بوصلٍ**) منهُ تعالىٰ ؛ وهوَ المقامُ الذي رفعَكَ إليهِ ، والمنزلةُ التي أحلَّكَها وناداكَ إلى الصُّعودِ إليها ؛ وذلكَ الوصلُ مُستَتِرٌ عنِ العيونِ أيَّ استتارٍ ؛ كما قالَ : (**أيِّ مُستَتِرٍ عنِ العيونِ ، وسرٍّ**) بالخفضِ عطفاً علىٰ قولِهِ : (بوصلٍ) أي : وكي تفوزَ بسرٍّ مِنْ أسرارِ إلـٰهِكَ[1] الذي أوحىٰ إليكَ في ذلكَ المقامِ ، مُكتَتِمٍ (**أيِّ مُكتَتِم**) عنِ الآذانِ ، أو عنِ الأسماعِ .

أمَّا استتارُ ذلكَ الوصلِ عن أَعْيُنِ مَنْ عاصرَهُ . . فلأنَّهُ إنَّما أُسرِيَ بهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالليلِ وقد نامَتِ العُيونُ وهَدَأَتِ الأصواتُ .

وأمَّا استتارُهُ عن أَعْيُنِ سائرِ الأنبياءِ والمُرسَلينَ ، والملائكةِ المُقرَّبينَ . . فلأنَّهُ مقامٌ لا ينبغي لغيرِهِ الوصولُ إليهِ .

ولعلَّ هـٰذا السِّرَّ المُكتتِمَ لم يَبُثَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ إذ لا يُطِيقُ حملَهُ غيرُهُ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فيما رواهُ عنهُ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : « عَلَّمَنِي رَبِّي لَيْلَةَ ٱلإِسْرَاءِ عُلُوماً شَتَّىٰ ؛ فَعِلْمٌ أَخَذَ عَلَيَّ كِتْمَانَهُ ، وَعِلْمٌ خَيَّرَنِي فِيهِ ، وَعِلْمٌ أَمَرَنِي بِتَبْلِيغِهِ »[2] .

وهـٰذا البيتُ مِنَ التضمينِ ؛ لتعلُّقِ (كي) فيهِ بما قبلَهُ ، ويصلُحُ تعلُّقُ

---

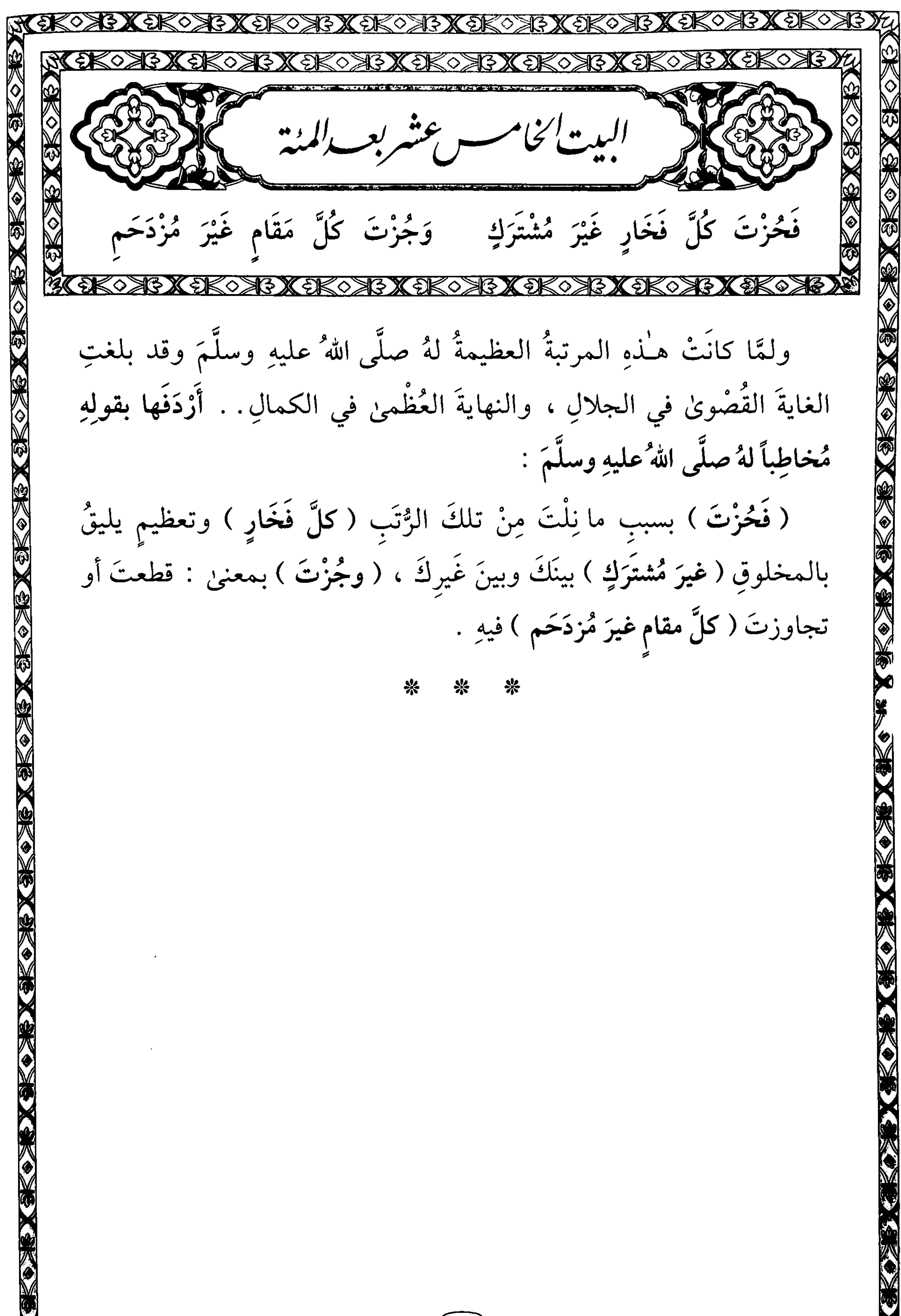
(١) في (ج) : (المَلِك) بدل (إلـٰهك) .

(٢) انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٢٨٩) .

(كي) بـ (خفضتَ) ، أو بـ (نُوديتَ) أي : ناديناكَ كي ، أو بـ (الرفعِ) أي : رفعْناكَ كي تفوزَ .

و(ما) هنا : مصدريةٌ تُسبَكُ معَ الفعلِ بعدَها بمصدرٍ ؛ وهوَ المجرورُ ؛ أي : بفوزِكَ ، و(تفوزُ) على هـٰذا مرفوعٌ ، **ويحتملُ** : أن يكونَ منصوباً بـ (أنْ) مُقدَّرةً .

* * *



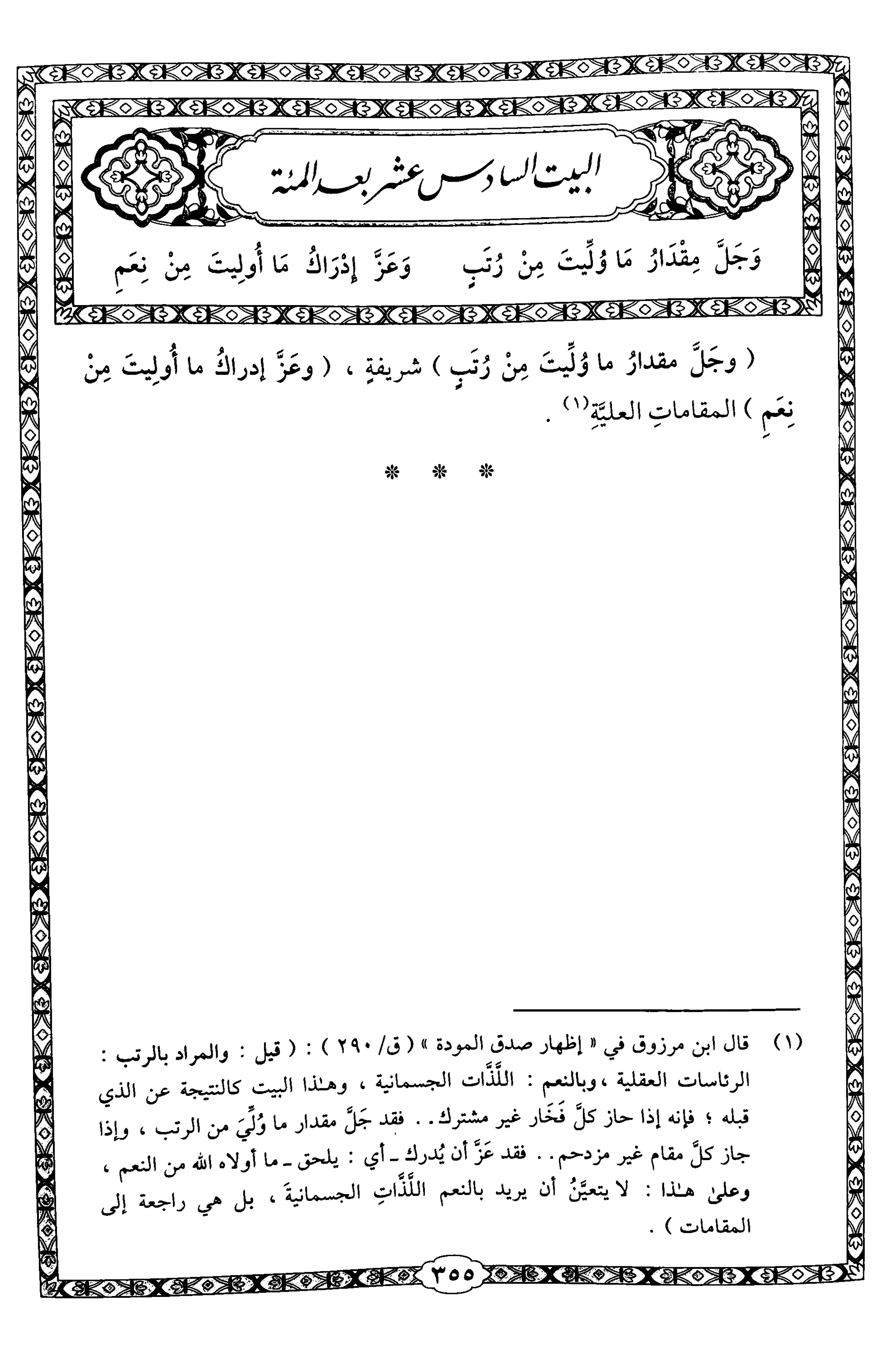
البيت الخامس عشر بعد المئة

فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ   وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ

ولمَّا كانَتْ هـٰذهِ المرتبةُ العظيمةُ لهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقد بلغتِ الغايةَ القُصْوىٰ في الجلالِ ، والنهايةَ العُظْمىٰ في الكمالِ . . **أَرْدَفَها بقولِهِ مُخاطِباً لهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ** :

(**فَحُزْتَ**) بسببِ ما نِلْتَ مِنْ تلكَ الرُّتَبِ (**كلَّ فَخَارٍ**) وتعظيمٍ يليقُ بالمخلوقِ (**غيرَ مُشتَرَكٍ**) بينَكَ وبينَ غَيرِكَ ، (**وجُزْتَ**) بمعنىٰ : قطعتَ أو تجاوزتَ (**كلَّ مقامٍ غيرَ مُزدَحَم**) فيهِ .

* * *



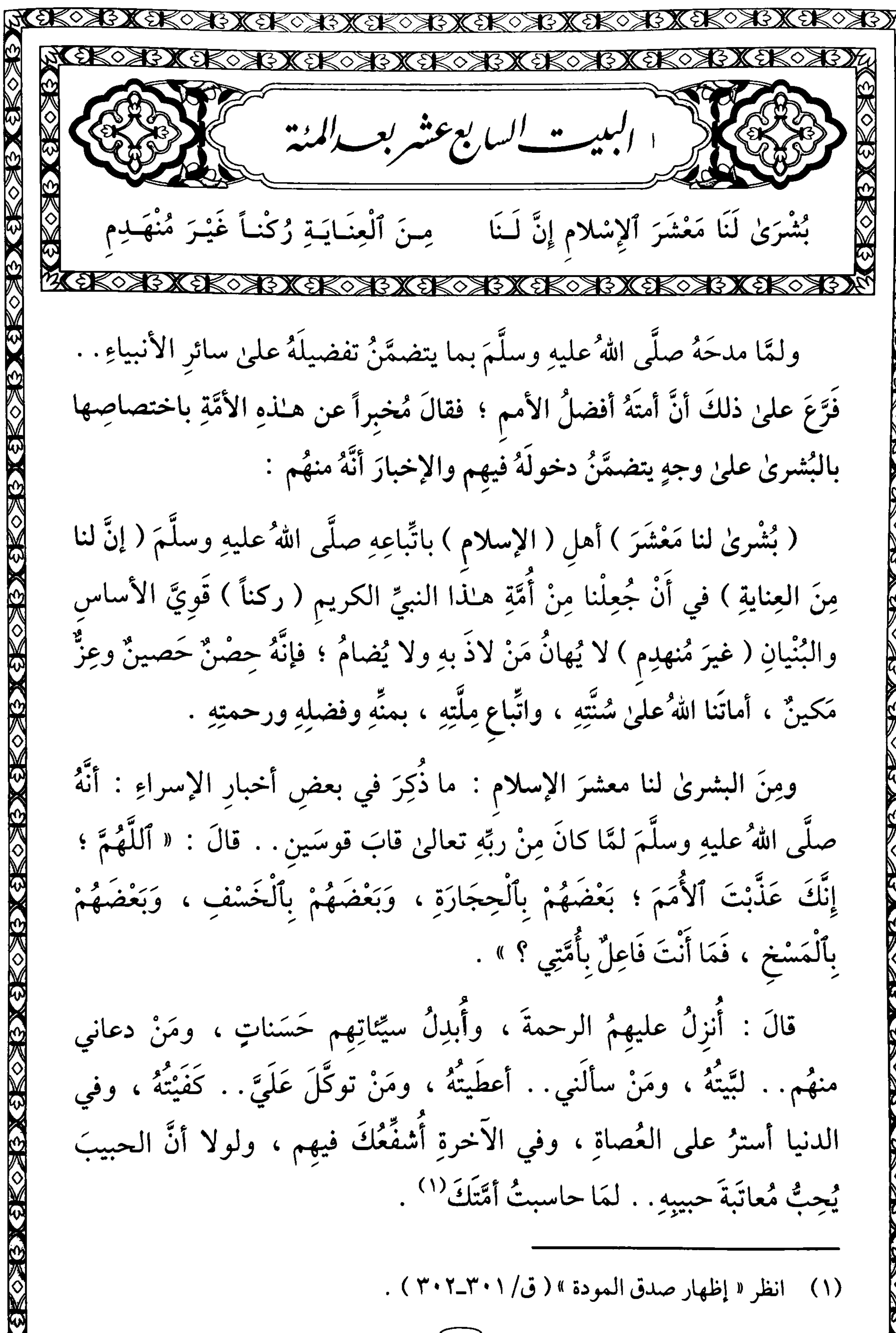
البيت السادس عشر بعد المئة

وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ   وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ

(وجَلَّ مقدارُ ما وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ) شريفةٍ ، (وعَزَّ إدراكُ ما أُوليتَ مِنْ نِعَمِ) المقاماتِ العليّةِ[1] .

* * *

(١) قال ابن مرزوق في « إظهار صدق المودة » (ق/ ٢٩٠) : (قيل : والمراد بالرتب : الرئاسات العقلية ، وبالنعم : اللَّذَّات الجسمانية ، وهـٰذا البيت كالنتيجة عن الذي قبله ؛ فإنه إذا حاز كلَّ فَخَار غير مشترك . . فقد جَلَّ مقدار ما وُلِّيَ من الرتب ، وإذا جاز كلَّ مقام غير مزدحم . . فقد عَزَّ أن يُدرك ـ أي : يلحق ـ ما أولاه الله من النعم ، وعلىٰ هـٰذا : لا يتعيَّنُ أن يريد بالنعم اللَّذَّاتِ الجسمانيةَ ، بل هي راجعة إلى المقامات) .



البيت السابع عشر بعد المئة

بُشْرَىٰ لَنَا مَعْشَرَ ٱلإِسْلامِ إِنَّ لَنَا   مِنَ ٱلْعِنَايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ

ولمَّا مدحَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بما يتضمَّنُ تفضيلَهُ علىٰ سائرِ الأنبياءِ . . فرَّعَ علىٰ ذلكَ أنَّ أمتَهُ أفضلُ الأممِ ؛ فقالَ مُخبراً عن هـٰذهِ الأمَّةِ باختصاصِها بالبُشرىٰ علىٰ وجهٍ يتضمَّنُ دخولَهُ فيهِم والإخبارَ أنَّهُ منهُم :

(بُشْرىٰ لنا مَعْشَرَ) أهلِ (الإسلامِ) باتِّباعِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (إنَّ لنا مِنَ العِنايةِ) في أَنْ جُعِلْنا مِنْ أُمَّةِ هـٰذا النبيِّ الكريمِ (ركناً) قَوِيَّ الأساسِ والبُنْيانِ (غيرَ مُنهدِمٍ) لا يُهانُ مَنْ لاذَ بهِ ولا يُضامُ ؛ فإنَّهُ حِصْنٌ حَصينٌ وعِزٌّ مَكينٌ ، أماتَنا اللهُ علىٰ سُنَّتِهِ ، واتِّباعِ مِلَّتِهِ ، بمنِّهِ وفضلِهِ ورحمتِهِ .

ومِنَ البشرىٰ لنا معشرَ الإسلامِ : ما ذُكِرَ في بعضِ أخبارِ الإسراءِ : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا كانَ مِنْ ربِّهِ تعالىٰ قابَ قوسَينِ . . قالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ إِنَّكَ عَذَّبْتَ ٱلأُمَمَ ؛ بَعْضَهُمْ بِٱلْحِجَارَةِ ، وَبَعْضَهُمْ بِٱلْخَسْفِ ، وَبَعْضَهُمْ بِٱلْمَسْخِ ، فَمَا أَنْتَ فَاعِلٌ بِأُمَّتِي ؟ » .

قالَ : أُنزِلُ عليهِمُ الرحمةَ ، وأُبدِلُ سيِّئاتِهِم حَسَناتٍ ، ومَنْ دعاني منهُم . . لبَّيتُهُ ، ومَنْ سألَني . . أعطيتُهُ ، ومَنْ توكَّلَ عَلَيَّ . . كَفَيْتُهُ ، وفي الدنيا أسترُ على العُصاةِ ، وفي الآخرةِ أُشفِّعُكَ فيهِم ، ولولا أنَّ الحبيبَ يُحِبُّ مُعاتَبَةَ حبيبِهِ . . لمَا حاسبتُ أمَّتَكَ[1] .

---

(١) انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٣٠١ـ٣٠٢) .

ولمَّا أرادَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الانصرافَ. . قالَ : « رَبِّ ؛ لِكُلِّ قَادِمٍ مِنْ سَفَرِهِ تُحْفَةٌ ، فَمَا تُحْفَةُ أُمَّتِي ؟ » .

قالَ اللهُ تعالىٰ : أنا لهُم ما عاشوا ، وأنا لهُم إذا ماتوا ، وأنا لهُم في القُبورِ ، وأنا لهُم في النُّشورِ[1] .

فرُكْنُنا لا ينهدِمُ حالَ حياتِنا ولا حالَ مماتِنا ، ولا في بُيوتِنا ولا في قُبورِنا ، ولا في سَكْرتِنا ولا في نُشورِنا ، بفضلِ ربِّنا .

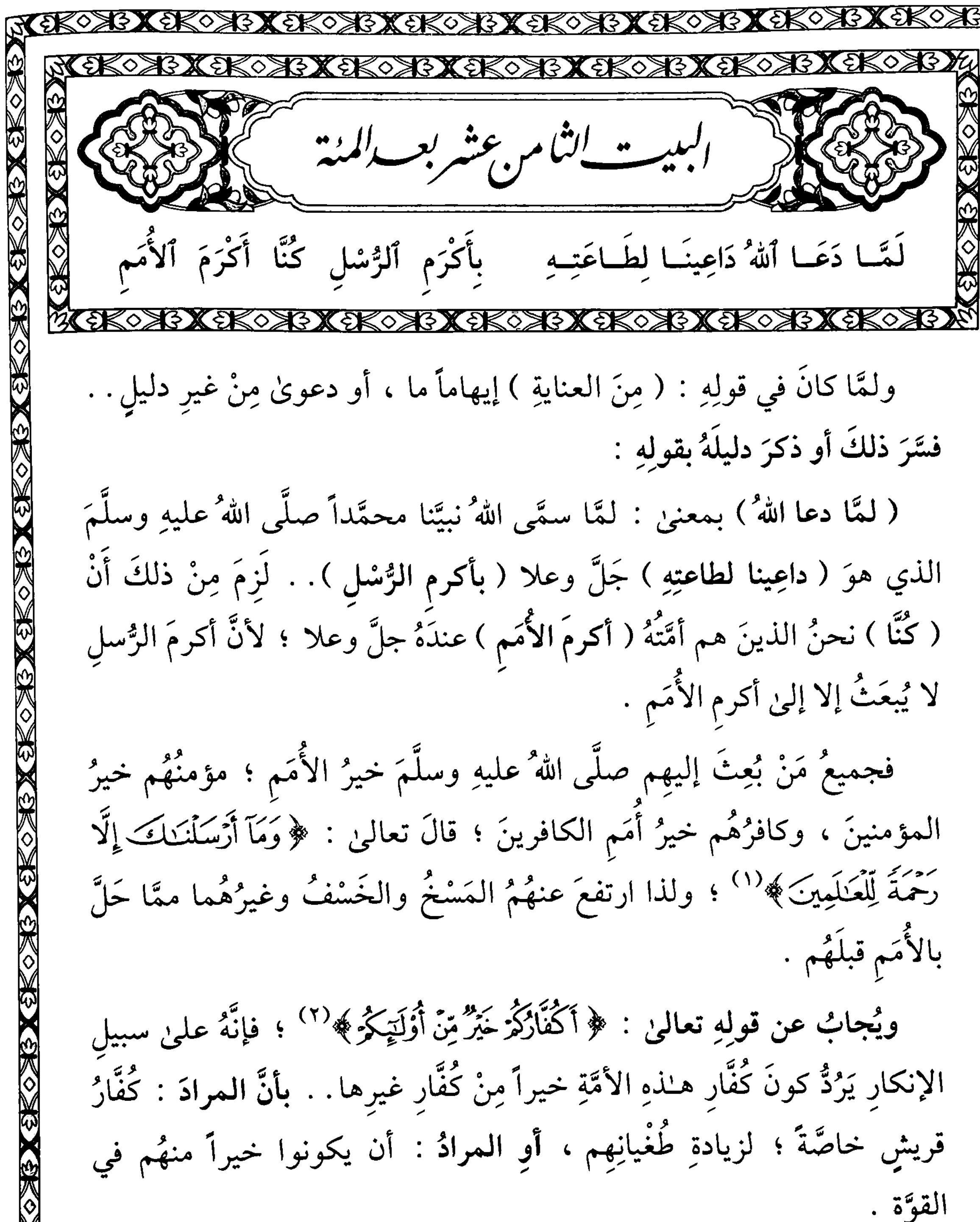
ويحتملُ : أن يكونَ (بُشْرىٰ) خبرَ مُبتدَأٍ محذوفٍ ؛ أي : هـٰذهِ المناقبُ الشريفةُ بُشرىٰ ، أو مُبتدَأً ، وساغَ الابتداءُ بهِ علىٰ مذهبِ مَنْ يُجيزُهُ ؛ لحصولِ الفائدةِ[2] .

* * *

---

(١) انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٣٠٢) .

(٢) ويحتمل : أن يكون منصوباً بفعل محذوف ؛ أي : بشَّرنا بُشرىٰ . « إظهار صدق المودة » (ق/ ٢٩٩) .



البيت الثامن عشر بعد المئة

لَمَّا دَعَا ٱللهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ ... بِأَكْرَمِ ٱلرُّسْلِ كُنَّا أَكْرَمَ ٱلأُمَمِ

ولمَّا كانَ في قولِهِ : (مِنَ العنايةِ) إيهاماً ما ، أو دعوىٰ مِنْ غيرِ دليلٍ . . **فسَّرَ ذلكَ أو ذكرَ دليلَهُ بقولِهِ :**

(**لمَّا دعا اللهُ**) بمعنىٰ : لمَّا سمَّى اللهُ نبيَّنا محمَّداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الذي هوَ (**داعِينا لطاعتِهِ**) جَلَّ وعلا (**بأكرمِ الرُّسْلِ**) . . لَزِمَ مِنْ ذلكَ أَنْ (**كُنَّا**) نحنُ الذينَ هم أمَّتُهُ (**أكرمَ الأُمَمِ**) عندَهُ جلَّ وعلا ؛ لأنَّ أكرمَ الرُّسلِ لا يُبعَثُ إلا إلىٰ أكرمِ الأُمَمِ .

فجميعُ مَنْ بُعِثَ إليهِم صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خيرُ الأُمَمِ ؛ مؤمنُهُم خيرُ المؤمنينَ ، وكافرُهُم خيرُ أُمَمِ الكافرينَ ؛ قالَ تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] ؛ ولذا ارتفعَ عنهُمُ المَسْخُ والخَسْفُ وغيرُهُما ممَّا حَلَّ بالأُمَمِ قبلَهُم .

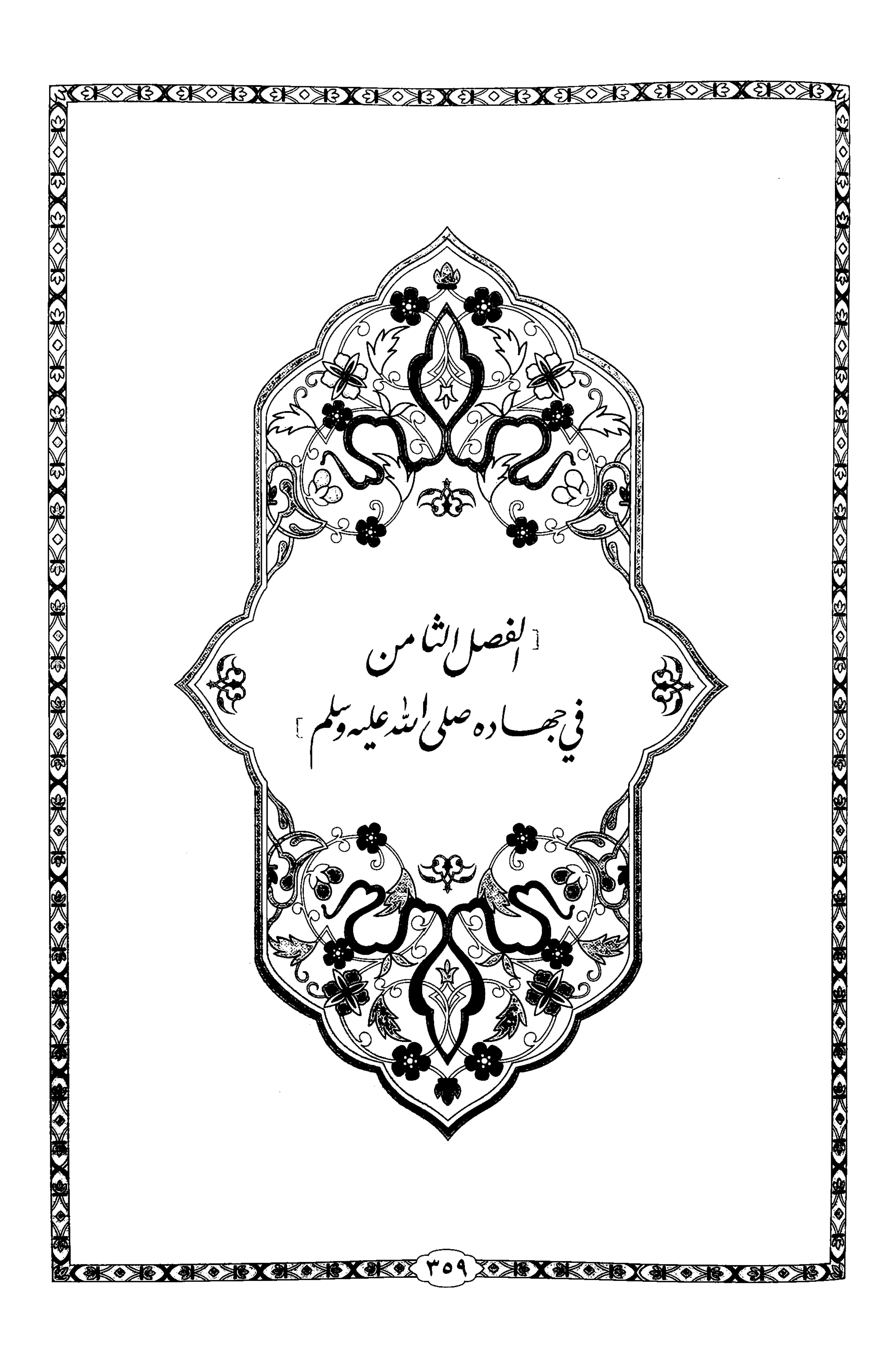
ويُجابُ عن قولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ ﴾[2] ؛ فإنَّهُ علىٰ سبيلِ الإنكارِ يَرُدُّ كونَ كُفَّارِ هٰذهِ الأمَّةِ خيراً مِنْ كُفَّارِ غيرِها . . **بأنَّ المرادَ :** كُفَّارُ قريشٍ خاصَّةً ؛ لزيادةِ طُغْيانِهِم ، **أوِ المرادُ :** أن يكونوا خيراً منهُم في القوَّةِ .

* * *

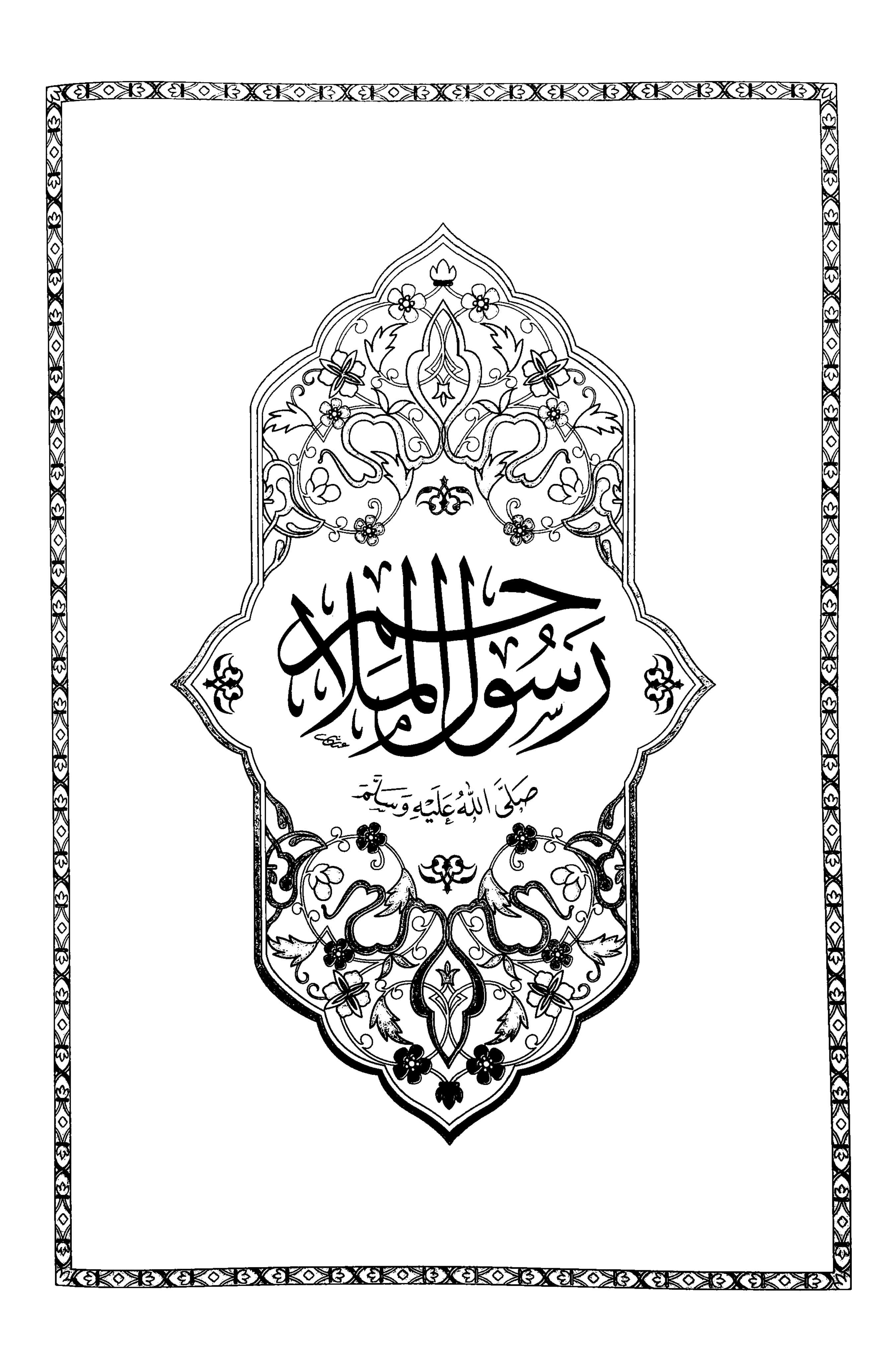
---

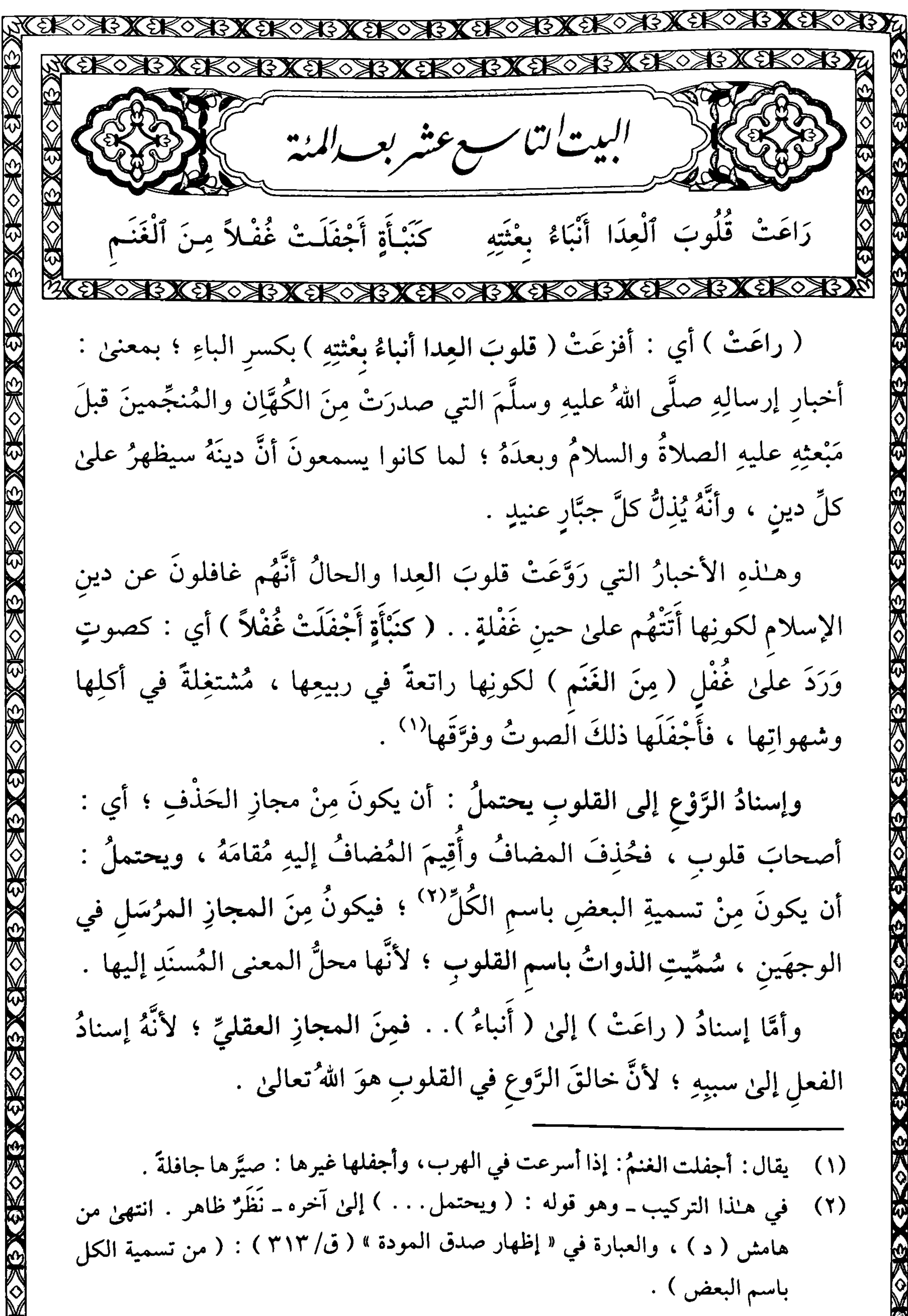
(١) سورة الأنبياء : (١٠٧) .

(٢) سورة القمر : (٤٣) .



[الفصل الثامن
في جهاده صلى الله عليه وسلم]


رسول الملاحم
صلى الله عليه وسلم



البيت التاسع عشر بعد المئة

رَاعَتْ قُلُوبَ ٱلْعِدَا أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ ... كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ ٱلْغَنَمِ

(راعَتْ) أي : أفزعَتْ (قلوبَ العِدا أنباءُ بِعْثَتِهِ) بكسرِ الباءِ ؛ بمعنىٰ : أخبارِ إرسالِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ التي صدرَتْ مِنَ الكُهَّانِ والمُنجِّمينَ قبلَ مَبْعثِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وبعدَهُ ؛ لما كانوا يسمعونَ أنَّ دينَهُ سيظهرُ علىٰ كلِّ دينٍ ، وأنَّهُ يُذِلُّ كلَّ جبَّارٍ عنيدٍ .

وهـٰذهِ الأخبارُ التي رَوَّعَتْ قلوبَ العِدا والحالُ أنَّهُم غافلونَ عن دينِ الإسلامِ لكونِها أَتَتْهُم علىٰ حينِ غَفْلةٍ . . (كنبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً) أي : كصوتٍ وَرَدَ علىٰ غُفْلٍ (مِنَ الغَنَمِ) لكونِها راتعةً في ربيعِها ، مُشتغِلةً في أكلِها وشهواتِها ، فأَجْفَلَها ذلكَ الصوتُ وفرَّقَها[1] .

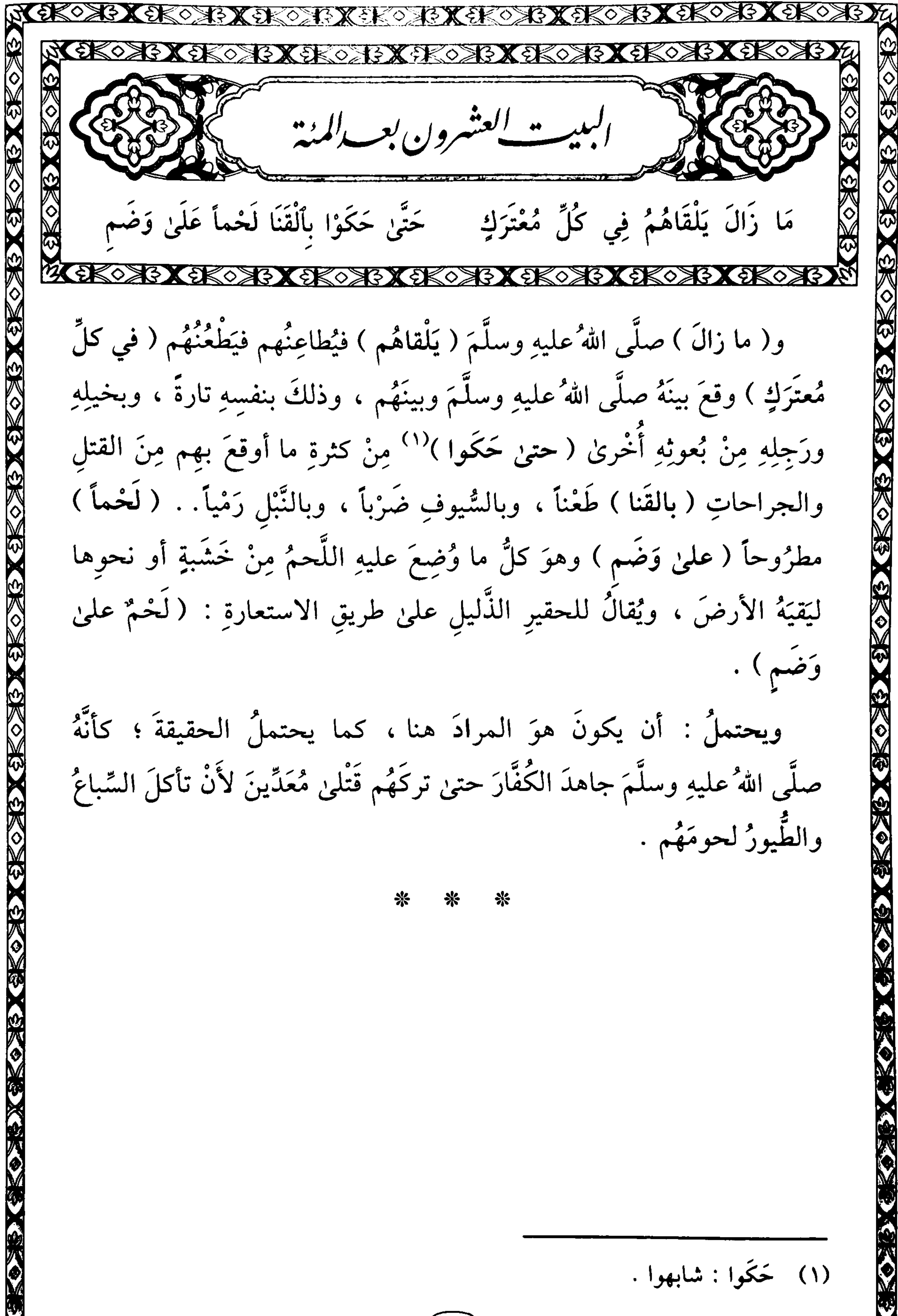
وإسنادُ الرَّوْعِ إلى القلوبِ يحتملُ : أن يكونَ مِنْ مجازِ الحَذْفِ ؛ أي : أصحابَ قلوبٍ ، فحُذِفَ المضافُ وأُقِيمَ المُضافُ إليهِ مُقامَهُ ، ويحتملُ : أن يكونَ مِنْ تسميةِ البعضِ باسمِ الكُلِّ[2] ؛ فيكونُ مِنَ المجازِ المرْسَلِ في الوجهَينِ ، سُمِّيَتِ الذواتُ باسمِ القلوبِ ؛ لأنَّها محلُّ المعنى المُسنَدِ إليها .

وأمَّا إسنادُ (راعَتْ) إلىٰ (أَنباءُ) . . فمِنَ المجازِ العقليِّ ؛ لأنَّهُ إسنادُ الفعلِ إلىٰ سببِهِ ؛ لأنَّ خالقَ الرَّوعِ في القلوبِ هوَ اللهُ تعالىٰ .

---

(١) يقال : أجفلت الغنمُ : إذا أسرعت في الهرب ، وأجفلها غيرها : صيَّرها جافلةً .

(٢) في هـٰذا التركيب ـ وهو قوله : (ويحتمل . . .) إلىٰ آخره ـ نَظَرٌ ظاهر . انتهىٰ من هامش (د) ، والعبارة في « إظهار صدق المودة » (ق/ ٣١٣) : (من تسمية الكل باسم البعض) .



البيت العشرون بعد المئة

مَا زَالَ يَلْقَاهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ حَتَّىٰ حَكَوْا بِالْقَنَا لَحْماً عَلَىٰ وَضَمِ

و(ما زالَ) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (يَلْقاهُم) فيُطاعِنُهم فيَطْعُنُهُم (في كلِّ مُعتَرَكٍ) وقعَ بينَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وبينَهُم ، وذلكَ بنفسِهِ تارةً ، وبخيلِهِ ورَجِلِهِ مِنْ بُعوثِهِ أُخرىٰ (حتىٰ حَكَوا)[1] مِنْ كثرةِ ما أوقعَ بهِم مِنَ القتلِ والجراحاتِ (بالقَنا) طَعْناً ، وبالسُّيوفِ ضَرْباً ، وبالنَّبْلِ رَمْياً . . (لَحْماً) مطرُوحاً (علىٰ وَضَم) وهوَ كلُّ ما وُضِعَ عليهِ اللَّحمُ مِنْ خَشَبةٍ أو نحوِها ليَقيَهُ الأرضَ ، ويُقالُ للحقيرِ الذَّليلِ علىٰ طريقِ الاستعارةِ : (لَحْمٌ علىٰ وَضَمٍ) .

ويحتملُ : أن يكونَ هوَ المرادَ هنا ، كما يحتملُ الحقيقةَ ؛ كأنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ جاهدَ الكُفَّارَ حتىٰ تركَهُم قَتْلىٰ مُعَدِّينَ لأَنْ تأكلَ السِّباعُ والطُّيورُ لحومَهُم .

* * *

(١) حَكَوا : شابهوا .



البيت الحادي والعشرون بعد المئة

وَدُّوا ٱلْفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ ... أَشْلاءَ شَالَتْ مَعَ ٱلْعِقْبَانِ وَٱلرَّخَمِ

ولمَّا استمرَّ فيهِمُ القتلُ ، وأثبتَتْهُمُ الجراحاتُ[1] . . (وَدُّوا الفِرارَ) منهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ أي : تمنَّوا ما لا يتمنَّىٰ غيرُهُم ممَّا هوَ أقبحُ الخِصالِ عندَ العربِ وأَذَمُّها ؛ وهوَ الفِرارُ مِنَ الزحفِ ؛ فإنَّهُ مِنْ أفعالِ اللِّئامِ الجُبَناءِ ، وما كانوا يرضَوْنَ بهِ فضلاً عن تمنِّيهِ .

ومِنْ كثرةِ وِدادِهِم للفِرارِ ، وصيرورتِهِ مِنْ شهواتِهِمُ المطلوبةِ ، وأنَّهُ لاتَ حينَ مَفَرٍّ لهُم مِنْ غَضَبِ اللهِ تعالى الذي حَلَّ بهِم علىٰ يديهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والمؤمنينَ . . تنزَّلَ عندَهُم منزلةَ المُحالِ الذي لا يُنالُ إلا بالتمنِّي ، وتمنَّوا منهُ ما هوَ مُحالٌ عادةً ؛ وهوَ الطيرانُ في الهواءِ ؛ إذ لم يَرَوا ما يمنعُهُم مِنْ طلبِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إيَّاهُم إلا ذلكَ .

(فكادوا) لتمنِّيهِمُ الفِرارَ الموصوفَ ، وشِدَّةِ حِرْصِهِم عليهِ لو أمكنَهُم (يَغبِطونَ بهِ أَشْلاءَ) جمعُ شِلْوٍ بكسرِ الشينِ وسكونِ اللامِ ؛ وهوَ العُضْوُ مِنَ اللحمِ (شالَتْ) أيِ : ارتفعَتْ في الجوِّ (معَ العِقْبانِ والرَّخَمِ) لرفعِها إيَّاها .

فكأنَّهُم كانوا يقولونَ : يا ليتَ لنا مِنَ الارتفاعِ في الجوِّ مثلَ ما لأعضاءِ اللَّحْمِ التي رفعَتْها العِقْبانُ والرَّخَمُ ، فارتفعَتْ معَها إلىٰ منازِلِها .

وإنَّما غَبَطوا أعضاءَ اللحمِ دونَ العِقْبانِ والرَّخَمِ ؛ لما حصلَ بينَهُم وبينَ

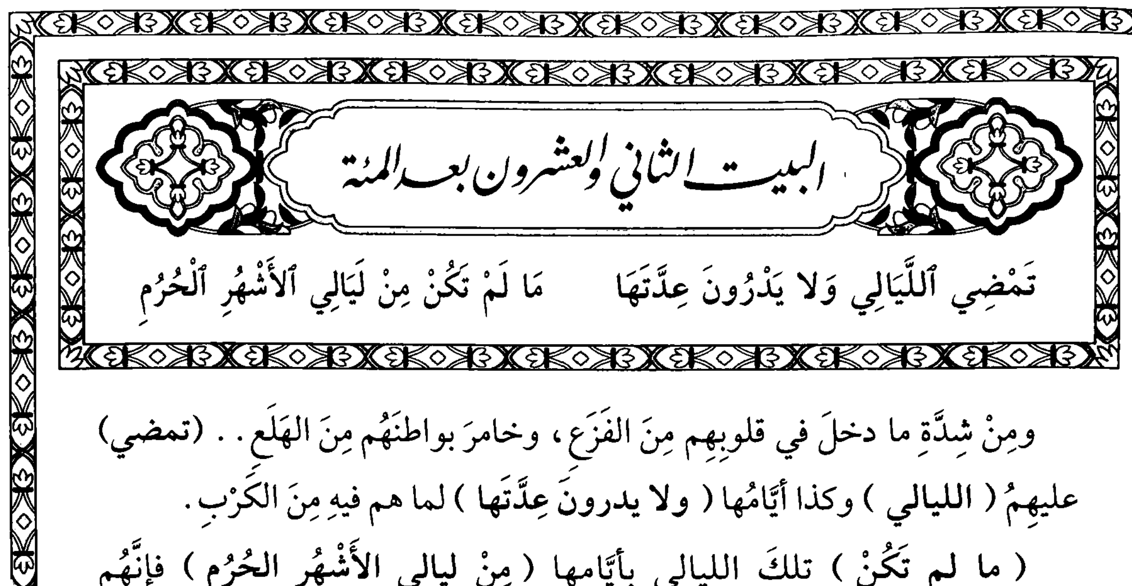
---

(١) في نسخة علىٰ هامش (هـ) : (وأثخنتهم) بدل (وأثبتتهم) .

تلكَ الأعضاءِ مِنَ المُشابَهةِ بسببِ طَعْنِ القَنا وغيرِهِ ، فحالتُهُم حالةُ أعضاءِ اللَّحْمِ لا حِراكَ لها إلا بحَمْلِ غيرِها ، ولو شبَّهَهُم بالعِقبانِ والرَّخَمِ . . لأوهمَ أنَّهُم علىٰ أولِ أمرِهِم مِنَ الشِّدَّةِ والقوَّةِ .

وإنَّما خصَّ هـٰذَينِ النوعَينِ مِنَ الطيرِ ؛ لإبعادِهِم في الارتفاعِ .

* * *



ومِنْ شِدَّةِ ما دخلَ في قلوبِهِم مِنَ الفَزَعِ، وخامرَ بواطنَهُم مِنَ الهَلَعِ.. (تمضي) عليهِمُ (الليالي) وكذا أيَّامُها (ولا يدرونَ عِدَّتَها) لما هم فيهِ مِنَ الكَرْبِ.

(ما لم تَكُنْ) تلكَ الليالي بأيَّامِها (مِنْ ليالي الأَشْهُرِ الحُرُمِ) فإنَّهُم يدرونَ ما مضىٰ منها؛ لأنَّهُم يأمنونَ فيها مِنْ طلبِ المؤمنينَ إيَّاهُم، فيستفيقونَ مِنْ سَكْرةِ الخوفِ، وترجعُ إليهِم عقولُهُم، ويعودُ إليهِم مَيْزُهُم، فحينَئذٍ يتفطَّنونَ لما مضىٰ مِنَ اللَّيالي، ويدرونَ عِدَّتَها.

وهـٰذا كانَ قبلَ إباحةِ القتالِ في الأَشْهُرِ الحُرُمِ عندَ مَنْ رأىٰ أنَّهُ أُبيحَ فيها القتالُ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ...﴾ الآية[1].

وقالَ عطاءٌ[2]: (لم يُنسَخْ، ولا ينبغي القتالُ في الأَشْهُرِ الحُرُمِ)[3]، وهوَ ضعيفٌ[4].

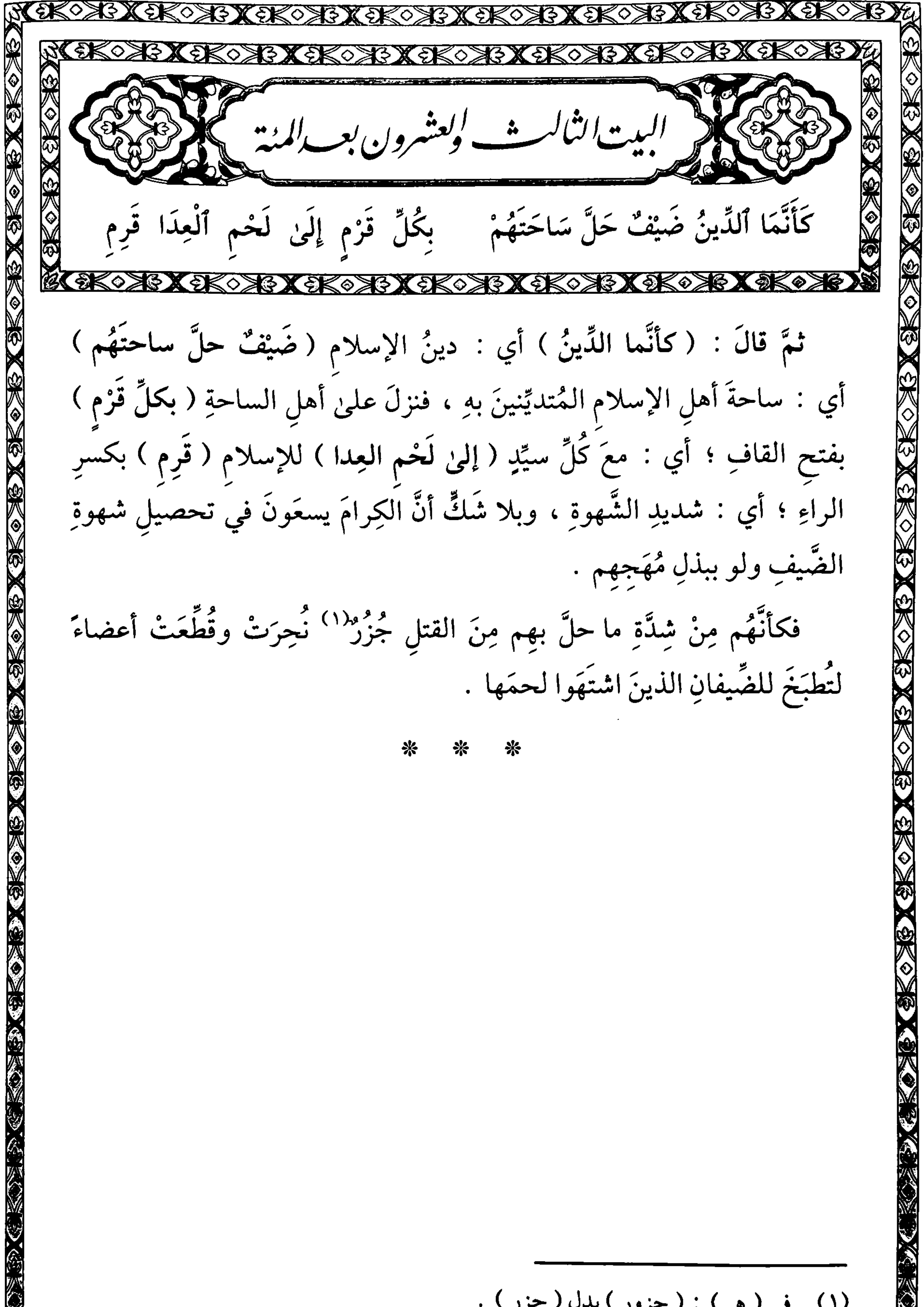
---

(١) سورة التوبة: (٥).

(٢) هو التابعي الكبير، مفتي الحرم، أبو محمد عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم (ت١١٤هـ)، حدَّث عن الصحابة؛ كالسيدة عائشة وأبي هريرة وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم، وحدَّث عنه: مجاهد والزهري وقتادة وغيرهم رحمهم الله تعالىٰ، وكان سيدنا ابن عباس يحيل عليه في الفتاوىٰ، وكان أيضاً أعلم أهل زمانه في المناسك رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه. انظر «سير أعلام النبلاء» (٥/٧٨ـ٧٩)، و«تهذيب التهذيب» (٣/١٠١).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤/٣١٤).

(٤) انظر «تفسير القرطبي» (٣/٤٦).



البيت الثالث والعشرون بعد المئة

كَأَنَّمَا ٱلدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ   بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَىٰ لَحْمِ ٱلْعِدَا قَرِمِ

ثمَّ قالَ : (**كأنَّما الدِّينُ**) أي : دينُ الإسلامِ (**ضَيْفٌ حلَّ ساحتَهُم**) أي : ساحةَ أهلِ الإسلامِ المُتديِّنينَ بهِ ، فنزلَ علىٰ أهلِ الساحةِ (**بكلِّ قَرْمٍ**) بفتحِ القافِ ؛ أي : معَ كُلِّ سيِّدٍ (**إلىٰ لَحْمِ العِدا**) للإسلامِ (**قَرِمٍ**) بكسرِ الراءِ ؛ أي : شديدِ الشَّهوةِ ، وبلا شَكٍّ أنَّ الكِرامَ يسعَونَ في تحصيلِ شهوةِ الضَّيفِ ولو ببذلِ مُهَجِهم .

فكأنَّهُم مِنْ شِدَّةِ ما حلَّ بهِم مِنَ القتلِ جُزُرٌ[1] نُحِرَتْ وقُطِّعَتْ أعضاءً لتُطبَخَ للضِّيفانِ الذينَ اشتَهَوا لحمَها .

* * *

(١) في (هـ) : (جزور) بدل (جزر) .



البيت الرابع والعشرون بعد المئة

يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ ٱلأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ

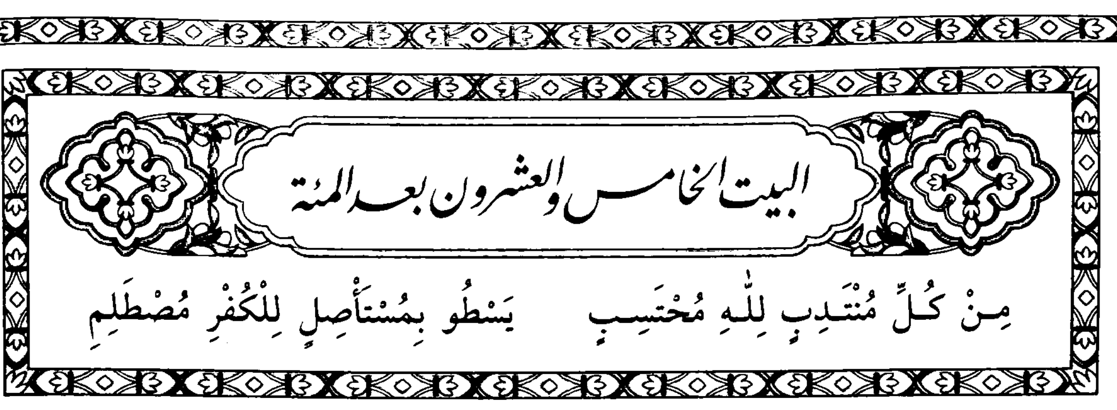
وهـٰذا الضَّيفُ الذي وقعَ التشبيهُ بهِ سيِّدٌ مِنَ السَّاداتِ ؛ ولذا نزلَ معَ ساداتِ أمثالِهِ ، ومِنْ شأنِ مَنْ هوَ مثلُ هـٰذا السيِّدِ : أنَّهُ (**يَجُرُّ بحرَ خَميسٍ**) أي : يستتبعُ جيشاً كالبحرِ في تموُّجِهِ وإهلاكِهِ الكفارَ ، **وسُمِّيَ الجيشُ خَميساً ؛ لأنَّهُ خمسةُ أجزاءٍ** : مُقدِّمةٌ ، وقلبٌ ، ومَيْمنةٌ ، ومَيْسرةٌ ، وساقةٌ[1] .

وهـٰذا السيِّدُ لكونِهِ قائدَ هـٰذا الجيشِ يُشبِهُ مَنْ يَجُرُّ بحرَ جيشٍ برَسَنٍ كائنٍ مجموعُ ذلكَ الجيشِ (**فوقَ**) خيلٍ (**سابحةٍ** ، **يرمي**) ذلكَ الجيشُ (**بموجٍ مِنَ الأبطالِ مُلتطِمٍ**) بعضُهُ ببعضٍ لهَيَجانِهِ ، والمرادُ بهِ : الأفعالُ الواصلةُ للكفَّارِ بآلاتِ الحربِ والقتالِ ؛ مِنْ طعنٍ وقتلٍ وغيرِهِما .

* * *

---

(١) أي : مؤخرة الجيش .

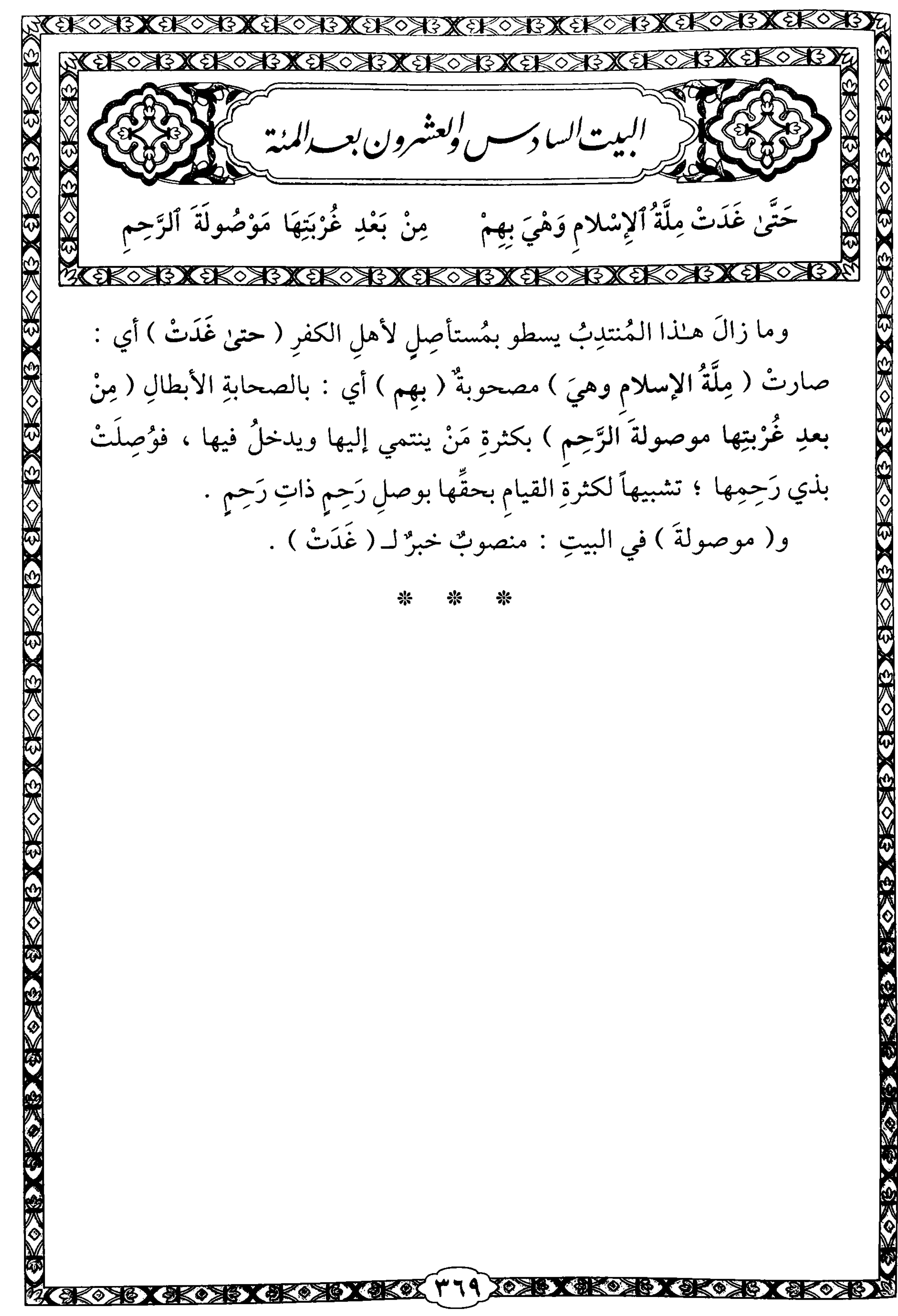


(مِنْ كلِّ مُنتَدِبٍ للهِ) بكسرِ الدَّالِ[1] ؛ بمعنىٰ : مُجيبٍ لدعاءِ اللهِ ورسولِهِ إيَّاهُ إلىٰ قتالِ الكفَّارِ ، (مُحتَسِبٍ) أجرَهُ فيما ينالُهُ مِنْ موتٍ أو دونَهُ علىٰ اللهِ تعالىٰ ، (يَسْطُو بمُسْتأصِلٍ للكفرِ) بقتلِ أهلِهِ ، فلا يُوجَدُ ، وكأنَّ قولَهُ : (مُصْطلِمِ) تأكيدٌ لـ (مُسْتأصِلٍ) ، وهما معاً مِنْ صفاتِ الآلةِ التي يُقاتَلُ بها ، فيكونُ علىٰ هـٰذا تعرَّضَ لذكرِ آلةِ حربِهِم ، كما تعرَّضَ لذكرِ خَيْلِهِم[2] .

* * *

(١) في (أ ، ب) : (بفتح الدال) ، قال ابن مرزوق (ق/٣٠٥) : (منتدب : اسم فاعل ؛ من « انتدب لكذا » أي : أجاب ، وهو مطاوع « ندب » ، يقال : « ندبه لأمر كذا فانتدب له » أي : دعاه فأجاب) .

(٢) في (ب) : (آلة خيلهم) .



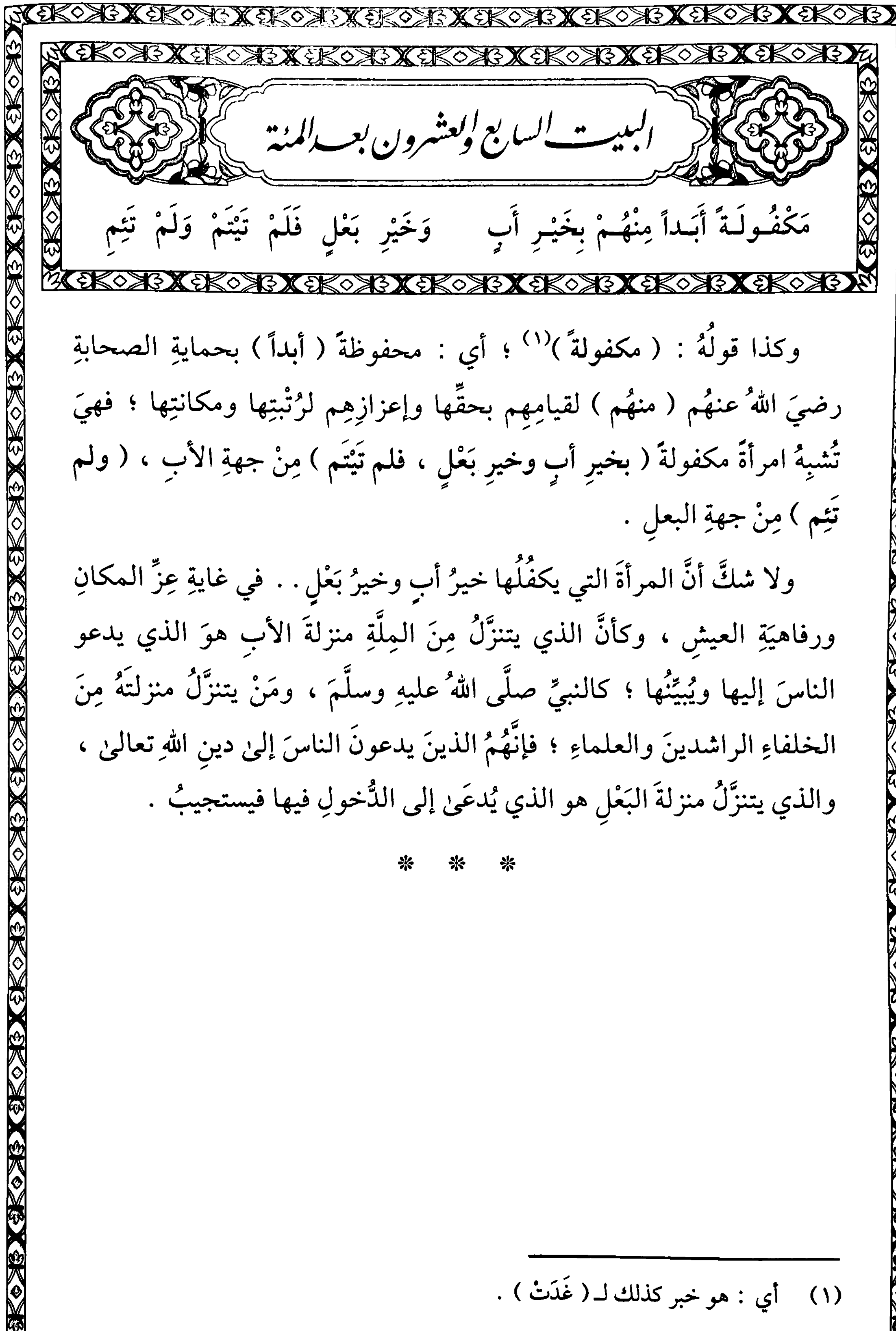
البيت السادس والعشرون بعد المئة

حَتَّىٰ غَدَتْ مِلَّةُ ٱلإِسْلامِ وَهْيَ بِهِمْ   مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةَ ٱلرَّحِمِ

وما زالَ هـٰذا المُنتدِبُ يسطو بمُستأصِلٍ لأهلِ الكفرِ (حتىٰ غَدَتْ) أي : صارتْ (مِلَّةُ الإسلامِ وهيَ) مصحوبةٌ (بهِم) أي : بالصحابةِ الأبطالِ (مِنْ بعدِ غُرْبتِها موصولةَ الرَّحِمِ) بكثرةِ مَنْ ينتمي إليها ويدخلُ فيها ، فوُصِلَتْ بذي رَحِمِها ؛ تشبيهاً لكثرةِ القيامِ بحقِّها بوصلِ رَحِمٍ ذاتِ رَحِمٍ .

و(موصولةَ) في البيتِ : منصوبٌ خبرٌ لـ (غَدَتْ) .

* * *



البيت السابع والعشرون بعد المئة

مَكْفُـولَـةً أَبَـداً مِنهُـمْ بِخَيْـرِ أَبٍ ... وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ

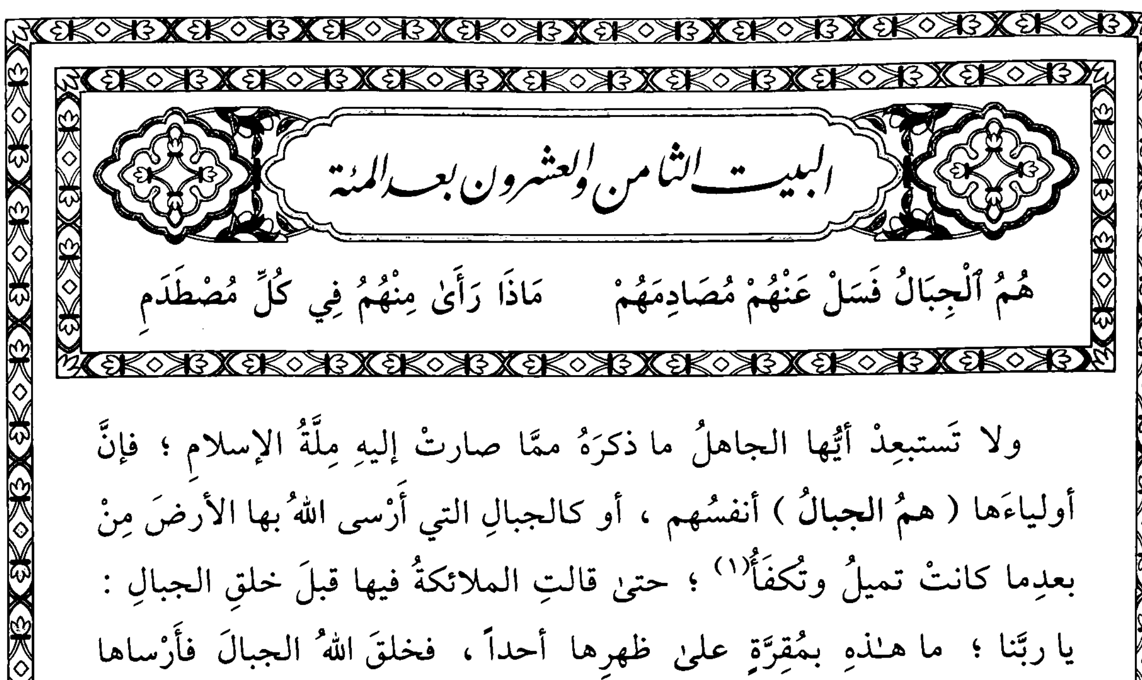
وكذا قولُهُ : (مكفولةً)[1] ؛ أي : محفوظةً (أبداً) بحمايةِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم (منهُم) لقيامِهِم بحقِّها وإعزازِهِم لرُتْبتِها ومكانتِها ؛ فهيَ تُشبِهُ امرأةً مكفولةً (بخيرِ أبٍ وخيرِ بَعْلٍ ، فلم تَيْتَم) مِنْ جهةِ الأبِ ، (ولم تَئِم) مِنْ جهةِ البعلِ .

ولا شكَّ أنَّ المرأةَ التي يكفُلُها خيرُ أبٍ وخيرُ بَعْلٍ . . في غايةِ عِزِّ المكانِ ورفاهيَةِ العيشِ ، وكأنَّ الذي يتنزَّلُ مِنَ المِلَّةِ منزلةَ الأبِ هوَ الذي يدعو الناسَ إليها ويُبيِّنُها ؛ كالنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ومَنْ يتنزَّلُ منزلتَهُ مِنَ الخلفاءِ الراشدينَ والعلماءِ ؛ فإنَّهُمُ الذينَ يدعونَ الناسَ إلىٰ دينِ اللهِ تعالىٰ ، والذي يتنزَّلُ منزلةَ البَعْلِ هو الذي يُدعَىٰ إلى الدُّخولِ فيها فيستجيبُ .

* * *

---

(١) أي : هو خبر كذلك لـ (غَدَتْ) .



البيت الثامن والعشرون بعد المئة

هُمُ ٱلْجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ ... مَاذَا رَأَىٰ مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ

ولا تَستبعِدْ أيُّها الجاهلُ ما ذكرَهُ ممَّا صارتْ إليهِ مِلَّةُ الإسلامِ ؛ فإنَّ أولياءَها (همُ الجبالُ) أنفسُهم ، أو كالجبالِ التي أَرْسى اللهُ بها الأرضَ مِنْ بعدِما كانتْ تميلُ وتُكفَأُ[1] ؛ حتىٰ قالتِ الملائكةُ فيها قبلَ خلقِ الجبالِ : يا ربَّنا ؛ ما هـٰذهِ بمُقِرَّةٍ علىٰ ظهرِها أحداً ، فخلقَ اللهُ الجبالَ فأَرْساها فثبتتْ ، وتمكَّنَ الانتفاعُ بها ، وتمتَّعَ بخيرِها ونعيمِها الأَناسيُّ والأنعامُ .

وهـٰذا يُسمِّيهِ البيانيُّونَ : تشبيهاً بليغَ الاستعارةِ .

فالصحابةُ رضيَ اللهُ عنهُم ومَنْ دانَ بدينِهم واستمرَّ علىٰ شاكلتِهم مِنْ عبادِهِ الصالحينَ وأوليائِهِ المُقرَّبينَ . . جبالُ أرضِ مِلَّةِ الإسلامِ التي بهِم بعدَ تزلزلِها سكنَتْ ، وبقطعِ دائرةِ مَنْ حاربَها مِنْ بعدِ اضطرابِها ثبتَتْ .

وإن ارتبتَ في هـٰذا . . (فَسَلْ عنهُم مُصادِمَهُم) اسمُ فاعلٍ ؛ أي : مَنْ صادمَهُم مِنْ أعدائِهِم ، فيُخبِرَكَ الصادمُ لهُم (ماذا رأىٰ منهُم) مِنَ الشِّدَّةِ التي لا تُوصَفُ لعِظَمِها (في كلِّ مُصْطَدَم) وقعَ لهُم أو حضروهُ ، والمرادُ بهِ : الأماكنُ التي التقَوا فيها معَ أعدائِهِم ، والمُصادَمةُ : اصطِكاكُ الصفَّينِ .

ولعلَّ مرادَهُ : فَسَلْ عنهُم مُؤرِّخَ أخبارِ مُصادِمِهِم ، وإلا . . فبينَ زَمَنِ مَنْ صادمَهُم وزمنِهِ مِئونَ مِنَ السنينَ ، وكيفَ يُتصوَّرُ سؤالُ مَنْ عادَ رُفاتاً ؟!

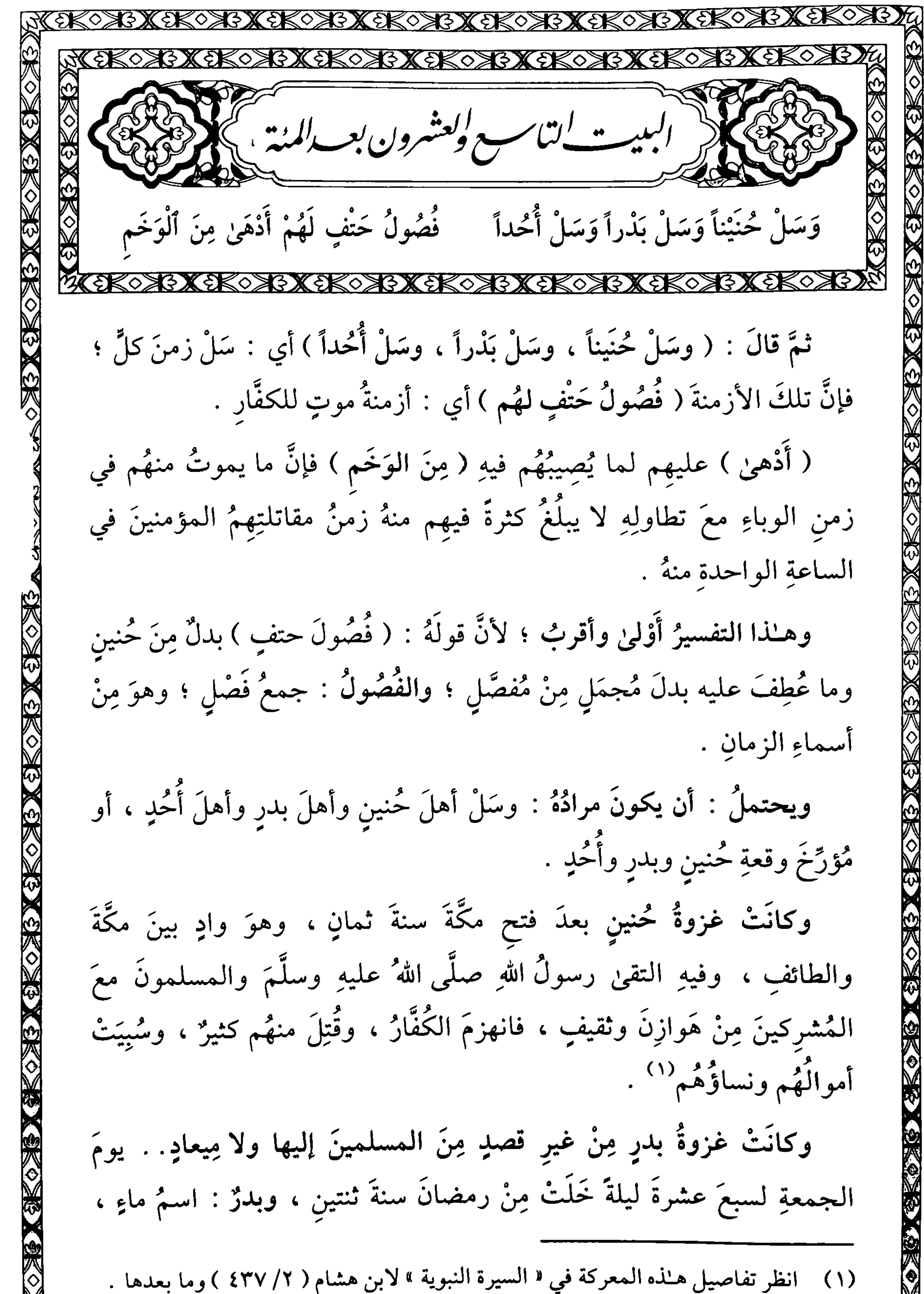
---

(١) في (هـ) : (تميد) بدل (تميل) ، وهي بمعنىٰ : تتحرك ، وتُكفأ : تُقلَب .

و(مُصادِمَهُم) و(مُصطَدَمِ) : مِنْ تجنيسِ الاشتقاقِ ، وهوَ مِنْ ردِّ الصدورِ على الأعجازِ[1] .

* * *

(١) كذا في النسخ و« إظهار صدق المودة » ، والذي في المصادر : (رد العجز على الصدر) ، ويسمى : بـ(التصدير) ، والأول أولى ؛ لأنه مطابق لمُسمَّاه ، وهو في النظم على أربعة أقسام ؛ وذلك إمَّا أن يقع أحد اللفظين في آخر البيت ، والآخر في صدر المصراع الأول ، أو حشوه ، أو عجزه ، أو صدر المصراع الثاني ، وعلى كل تقدير : فاللفظان إمَّا مكرران أو متجانسان أو ملحقان بهما ، والملحقان إمَّا أن يجمعهما الاشتقاق أو شبهه . انظر تفصيل هـٰذا النوع البديعي في « أنوار الربيع » (٣/ ٩٤ـ٩٥) .



البيت التاسع والعشرون بعد المئة

وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً ... فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَىٰ مِنَ ٱلْوَخَمِ

ثمَّ قالَ : (وسَلْ حُنَيناً ، وسَلْ بَدْراً ، وسَلْ أُحُداً) أي : سَلْ زمنَ كلٍّ ؛ فإنَّ تلكَ الأزمنةَ (فُصُولُ حَتْفٍ لهُم) أي : أزمنةُ موتٍ للكفَّارِ .

(أَدْهىٰ) عليهِم لما يُصِيبُهُم فيهِ (مِنَ الوَخَمِ) فإنَّ ما يموتُ منهُم في زمنِ الوباءِ معَ تطاولِهِ لا يبلُغُ كثرةً فيهِم منهُ زمنُ مقاتلتِهِمُ المؤمنينَ في الساعةِ الواحدةِ منهُ .

وهـٰذا التفسيرُ أَوْلىٰ وأقربُ ؛ لأنَّ قولَهُ : (فُصُولَ حتفٍ) بدلٌ مِنَ حُنينٍ وما عُطِفَ عليه بدلَ مُجمَلٍ مِنْ مُفصَّلٍ ؛ والفُصُولُ : جمعُ فَصْلٍ ؛ وهوَ مِنْ أسماءِ الزمانِ .

ويحتملُ : أن يكونَ مرادُهُ : وسَلْ أهلَ حُنينٍ وأهلَ بدرٍ وأهلَ أُحُدٍ ، أو مُؤرِّخَ وقعةِ حُنينٍ وبدرٍ وأُحُدٍ .

وكانَتْ غزوةُ حُنينٍ بعدَ فتحِ مكَّةَ سنةَ ثمانٍ ، وهوَ وادٍ بينَ مكَّةَ والطائفِ ، وفيهِ التقىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والمسلمونَ معَ المُشرِكينَ مِنْ هَوازنَ وثقيفٍ ، فانهزمَ الكُفَّارُ ، وقُتِلَ منهُم كثيرٌ ، وسُبِيَتْ أموالُهُم ونساؤُهُم[1] .

وكانَتْ غزوةُ بدرٍ مِنْ غيرِ قصدٍ مِنَ المسلمينَ إليها ولا مِيعادٍ . . يومَ الجمعةِ لسبعَ عشرةَ ليلةً خَلَتْ مِنْ رمضانَ سنةَ ثنتينِ ، وبدرٌ : اسمُ ماءٍ ،

---

(١) انظر تفاصيل هـٰذه المعركة في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٧) وما بعدها .

ومنهُ : (يومُ بدرٍ) للماءِ الذي بينَهُ وبينَ المدينةِ ثمانيةٌ وعشرونَ فرسخاً علىٰ طريقِ مكَّةَ ، وعندَهُ كانَتْ وقعةُ بدرٍ الكبرىٰ ، وقُتِلَ فيها مِنْ صناديدِ قريشٍ سبعونَ ، وأُسِرَ منهُم سبعونَ ، وكانَ عددُهُم نحوَ الألفِ ، والمسلمونَ نحوَ ثلاثِ مئةٍ(١) .

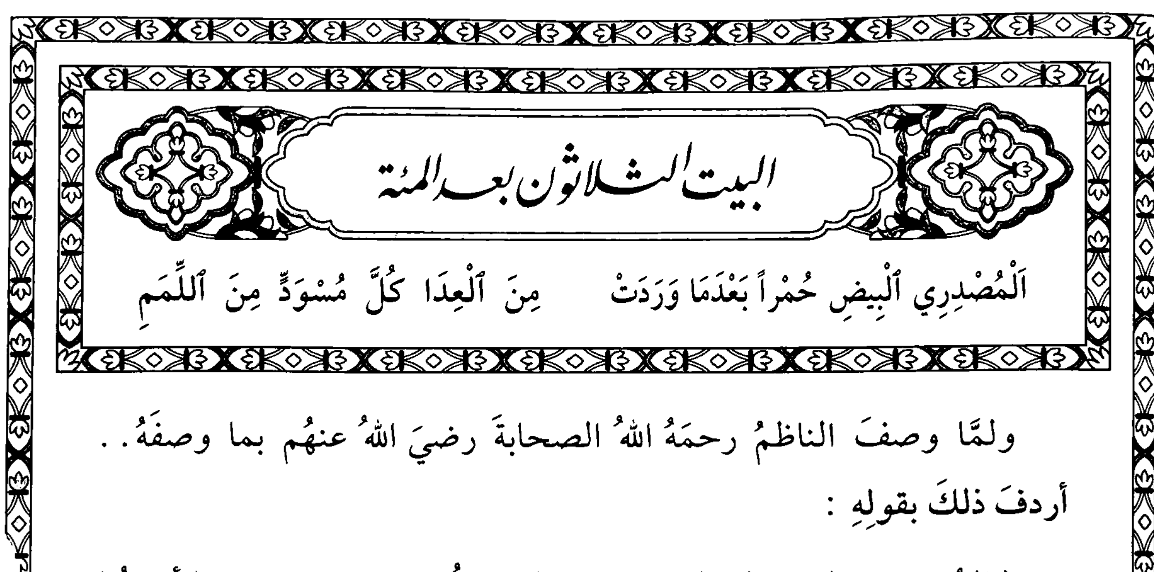
ويُروىٰ : أنَّهُ نزلَ جبريلُ عليهِ السلامُ في خمسِ مئةٍ وميكائيلُ في خمسِ مئةٍ في صورةِ الرجالِ علىٰ خَيْلٍ بُلْقٍ ، عليهِم ثيابٌ بِيضٌ ، علىٰ رؤوسِهِم عمائمُ بِيضٌ ، وقد أَرْخَوا أطرافَ عمائمِهِم بينَ أكتافِهِم(٢) .

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (كانَتْ سِيما الملائكةِ يومَ بدرٍ عمائمُ بيضٌ ، ويومَ حُنينٍ عمائمُ خُضْرٌ ، ولمْ تُقاتِلِ الملائكةُ في يومٍ سوىٰ بدرٍ ، وكانوا يكونونَ فيما سِواهُ عدداً ومَدَداً)(٣) .

وكانَتْ غزوةُ أحدٍ في شوَّالٍ سنةَ ثلاثٍ ، وهوَ جبلٌ بالمدينةِ كانَتِ الوقعةُ فيهِ ، واستُشهِدَ فيها مِنَ المسلمينَ سبعونَ منهُم حمزةُ ، وقُتِلَ مِنَ المشركينَ اثنانِ وعشرونَ رجلاً ، وكانَ جميعُ المشركينَ ثلاثةَ آلافٍ ، والمسلمونَ سبعَ مئةٍ(٤) .

* * *

(١) وهـٰذه الغزوة من غزوات الإسلام العظيمة . انظر تفاصيلها في « سيرة ابن هشام » (١/ ٦٠٦) وما بعدها .
(٢) انظر « الطبقات الكبرىٰ » لابن سعد (٢/ ١٦) .
(٣) أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٠٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٣٨٩)، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٥٧) ، وفيهما : (حمر) بدل (خضر) .
(٤) ولهـٰذه الغزوة تأثير كبير في نفوس المسلمين ؛ إذ شُجَّ فيها الرأس الشريف ، وكُسِرَتِ الرَّباعية الطاهرة ، وقتل حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم الناصرُ للإسلام ، والغالي علىٰ قلبه عليه الصلاة والسلام ، وفيها دروس وعِبَرٌ كثيرة . انظر هـٰذه المعركة في « سيرة ابن هشام » (٢/ ٦٠) وما بعدها .



البيت الثلاثون بعد المئة

ٱلْمُصْدِرِي ٱلْبِيضِ حُمْراً بَعْدَمَا وَرَدَتْ   مِنَ ٱلْعِدَا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ ٱللِّمَمِ

ولمَّا وصفَ الناظمُ رحمَهُ اللهُ الصحابةَ رضيَ اللهُ عنهُم بما وصفَهُ . . أردفَ ذلكَ بقولِهِ :

(المُصدري البيضِ) بالإضافةِ ، والمضافُ منصوبٌ بإضمارِ (أمدحُ) أو (أذكرُ) ، والأصلُ : المُصدِرينَ ، وحُذِفَتِ النونُ للإضافةِ ، أو للتخفيفِ .

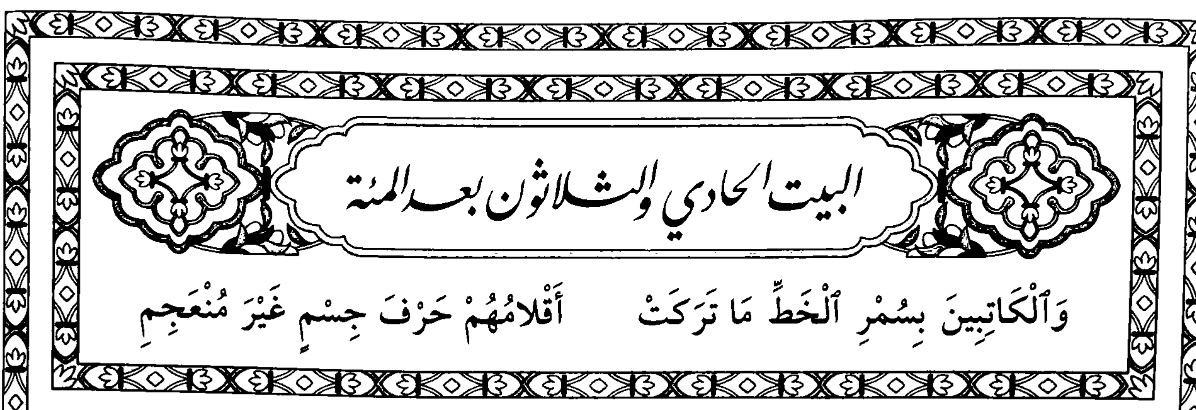
يعني : أنَّ الصحابةَ يُرجِعونَ صفائحَ السيوفِ البيضِ (حُمْراً بعدَما وَرَدَتْ) تلكَ الصفائحُ (مِنْ) دماءِ أعضاءِ (العِدا كلَّ مُسوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ)[1] ، فشبَّهَ السُّيوفَ بإبِلٍ بيضٍ أُورِدَتْ ينبوعاً أسودَ يجري بماءٍ أحمرَ ، ثمَّ أُصدِرَتْ وقد عادَتْ بعدَ بياضِها حُمْراً مِنْ تلبُّسِها بذلكَ الماءِ الذي وردتْهُ .

وفي قولِهِ : (كلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ) : دليلٌ علىٰ شجاعةِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم وارتفاعِ همَّتِهِم ؛ فإنَّهُم لا يرضَونَ إلا بقتلِ سُودِ اللِّمَمِ ؛ وهمُ الشُّبَّانُ في الغالبِ .

* * *

---

(١) اللِّمَم : جمع لِمَّة ؛ وهي الشعر المجاوز شَحْمة الأذنين ، فإذا بلغ المنكبين . . فهو جُمَّة . « إظهار صدق المودة » (ق/٣١٨) .



البيت الحادي والثلاثون بعد المئة

وَٱلْكَاتِبِينَ بِسُمْرِ ٱلْخَطِّ مَا تَرَكَتْ ... أَقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

ثمَّ عطفَ على المُصدرِي قولَهُ : (والكاتبينَ) أيِ : الطاعنينَ (بسُمْرِ الخَطِّ) التي هيَ شبيهةٌ بأقلامِ الكُتَّابِ ؛ وهيَ الرِّماحُ الخطِّيَّةُ . . (ما تركَتْ أقلامُهُم حَرْفَ) أي : طَرَفَ (جسمٍ) مِنْ أجسامِ الكُفَّارِ (غيرَ مُنعَجِمِ)، بل طعنتْهُ .

وفي هٰذا البيتِ لطائفُ :

منها : تشبيهُهُم بالكُتَّابِ ، والسُّمْرِ بالأقلامِ . . دليلٌ علىٰ غايةِ إحكامِهِم للطَّعْنِ بها ؛ حتىٰ إنَّها في أيديهِم كالأقلامِ في يدِ الكَتَبَةِ ، لا كبيرَ مشقَّةٍ عليهِم في التصرُّفِ بها .

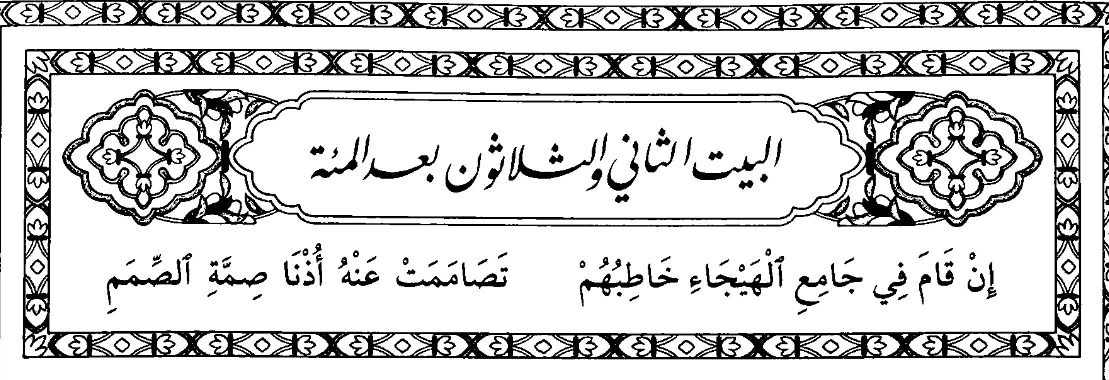
ومنها : أنَّهُم لا يطعُنونَ طعنةً إلا في محلِّها ، كما لا يُنقَطُ حرفٌ إلا بما يستحقُّ .

ومنها : أنَّهُم إنَّما أعجموا حروفَ أجسامِ الكُفَّارِ ـ أي : أزالوا العُجْمَةَ عنهُم ـ بالنقطِ المُبيِّنِ ؛ ليتميَّزوا بهِ مِنَ المؤمنينَ ؛ فإنَّ الأمرَ مُختلِطٌ في الحروبِ[1] ؛ فيتميَّزُ الكافرُ بنقطِهِ ، والمؤمنُ بسلامتِهِ .

* * *

---

(١) في (هـ) : (في الحروف) ، وهي كذلك في « إظهار صدق المودة » ، والمراد : حروف أجسام الكفار .



ولمَّا ثبتَ مِنْ فعلِهم بالكفَّارِ ما ذكرَ . . آلَ أمرُ الكفَّارِ إلىٰ أنَّهُ (**إن قامَ في جامعِ الهَيْجاءِ خاطبُهُم**) أي : خاطبُ المؤمنينَ . . (**تصامَمَتْ عنهُ أُذْنا صِمَّةِ الصِّمَمِ**) بكسرِ الصادِ الأولىٰ ؛ أي : أشدِّهم شجاعةً .

قالَ العلامةُ ابنُ مرزوقٍ : (وهٰذا البيتُ لم يثبُتْ في روايتي ، وإنَّما هوَ في بعضِ النسخِ)[1] .

والظاهرُ : أنَّهُ ليسَ مِنْ كلامِهِ ؛ ولذا وقعَ الاضطرابُ في تفسيرِهِ ، وهٰذا شأنُ كثيرٍ ممَّا أُدخِلَ في هٰذهِ القصيدةِ ممَّا ليسَ مِنْ كلامِهِ ، وفي هٰذا دَلالةٌ علىٰ خُلوصِ نيَّتِهِ ، وصدقِ محبَّتِهِ ، رحمَهُ اللهُ .

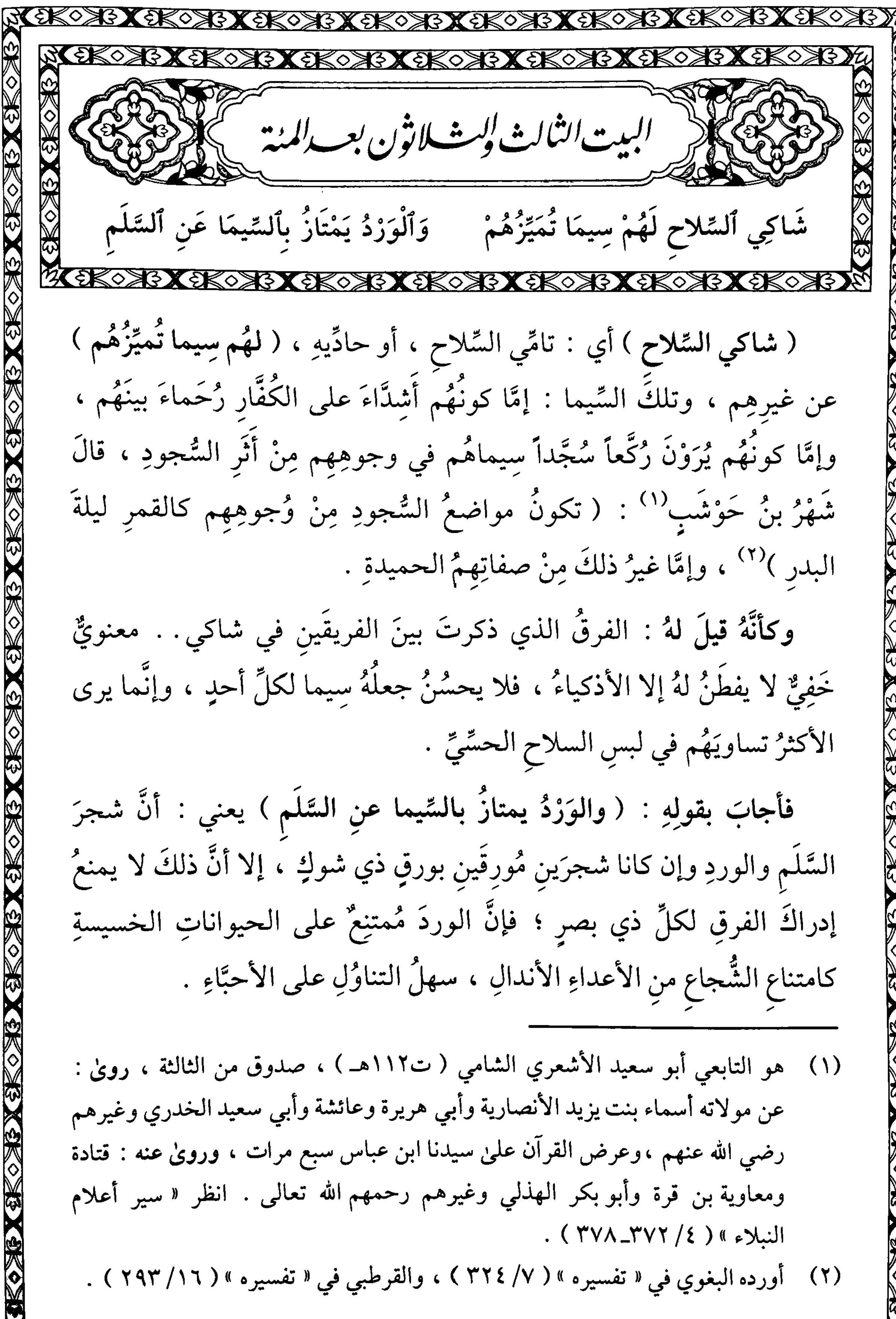
وممَّا يَدُلُّ علىٰ كونِهِ دَخيلاً : قولُه : (شاكي السلاحِ) فإنَّهُ ظاهرُ الاتِّصالِ بقولِهِ : (غيرَ مُنعَجِمِ) لأنَّهُ لمَّا أخبرَ أنَّ الصحابةَ رضيَ اللهُ عنهُم نقطوا حروفَ أجسامِ الكفَّارِ ، وأزالوا الإعجامَ عنْ أجسامِهِم ؛ حتىٰ تميَّزوا بما حصلَ فيهِم مِنَ الطَّعْنِ عنِ المؤمنينَ . . أرادَ أن يُخبِرَ عنْ علامةِ المؤمنينَ التي تُميِّزُهُم في أنفسِهِم ؛ لأنَّ سلامتَهُم مِنَ الطَّعْنِ وإن كانَتْ مُميِّزةً لهُم عنِ الكُفَّارِ ، لٰكنَّ تلكَ علامةٌ إضافيَّةٌ تُميِّزُ مَنِ اقتتلَ منهُم معَ الكفَّارِ ، فيبقىٰ ما يُميِّزُهُم بالإطلاقِ عنِ الكفارِ ، فوصفَهُم بما يُميِّزُهُم[2] ؛ **فقالَ** :

* * *

---

(١) إظهار صدق المودة (ق/ ٣١٩ ، ٣٣٠) .

(٢) انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٣٣٢) .



البيت الثالث والثلاثون بعد المئة

شَاكِي ٱلسِّلَاحِ لَهُمْ سِيمَا تُمَيِّزُهُمْ ... وَٱلْوَرْدُ يَمْتَازُ بِٱلسِّيمَا عَنِ ٱلسَّلَمِ

(**شاكي السِّلاح**) أي : تامِّي السِّلاحِ ، أو حادِّيهِ ، (**لهُم سِيما تُميِّزُهُم**) عن غيرِهِم ، وتلكَ السِّيما : إمَّا كونُهُم أَشِدَّاءَ على الكُفَّارِ رُحَماءَ بينَهُم ، وإمَّا كونُهُم يُرَوْنَ رُكَّعاً سُجَّداً سِيماهُم في وجوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجودِ ، قالَ شَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ[1] : (تكونُ مواضعُ السُّجودِ مِنْ وُجوهِهِم كالقمرِ ليلةَ البدرِ)[2] ، وإمَّا غيرُ ذلكَ مِنْ صفاتِهِمُ الحميدةِ .

وكأنَّهُ قيلَ لهُ : الفرقُ الذي ذكرتَ بينَ الفريقَينِ في شاكي. . معنويٌّ خَفِيٌّ لا يفطَنُ لهُ إلا الأذكياءُ ، فلا يحسُنُ جعلُهُ سِيما لكلِّ أحدٍ ، وإنَّما يرى الأكثرُ تساوِيَهُم في لبسِ السلاحِ الحسِّيِّ .

فأجابَ بقولِهِ : (**والوَرْدُ يمتازُ بالسِّيما عنِ السَّلَمِ**) يعني : أنَّ شجرَ السَّلَمِ والوردِ وإن كانا شجرَينِ مُورِقَينِ بورقٍ ذي شوكٍ ، إلا أنَّ ذلكَ لا يمنعُ إدراكَ الفرقِ لكلِّ ذي بصرٍ ؛ فإنَّ الوردَ مُمتنِعٌ على الحيواناتِ الخسيسةِ كامتناعِ الشُّجاعِ منِ الأعداءِ الأندالِ ، سهلُ التناوُلِ على الأحبَّاءِ .

---

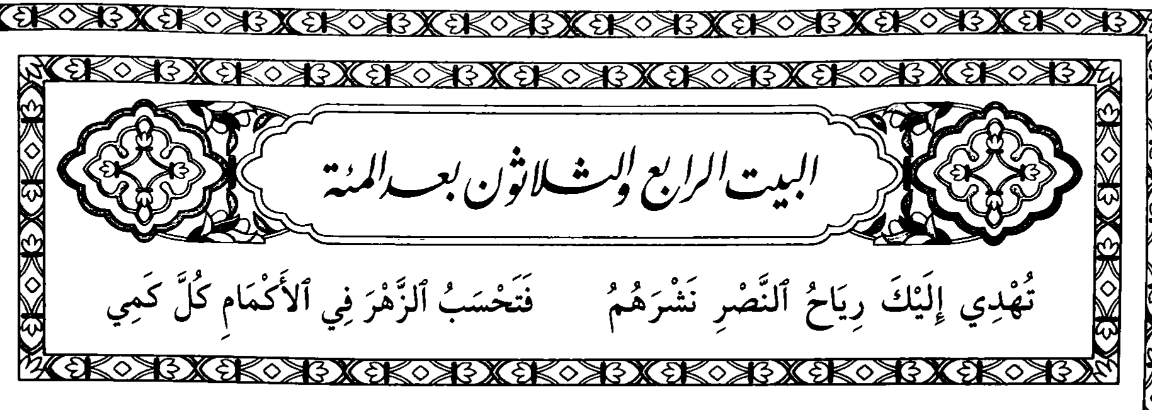
(١) هو التابعي أبو سعيد الأشعري الشامي (ت١١٢هـ) ، صدوق من الثالثة ، روىٰ : عن مولاته أسماء بنت يزيد الأنصارية وأبي هريرة وعائشة وأبي سعيد الخدري وغيرهم رضي الله عنهم ، وعرض القرآن علىٰ سيدنا ابن عباس سبع مرات ، وروىٰ عنه : قتادة ومعاوية بن قرة وأبو بكر الهذلي وغيرهم رحمهم الله تعالى . انظر « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٣٧٢ـ٣٧٨) .

(٢) أورده البغوي في « تفسيره » (٧/ ٣٢٤) ، والقرطبي في « تفسيره » (١٦/ ٢٩٣) .

وطِيبُ رائحةِ الوردِ ، وحُسْنُ خَلْقِهِ[1] ، وشرفُ منزلتِهِ ، وبهاءُ منظرِهِ . . لا يخفىٰ ، **فكأنَّهُ يقولُ** : كما لا يخفى امتيازُ الوردِ بسِيماهُ مِنَ السَّلَمِ . . كذلكَ لا يخفى امتيازُ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم بسِيماهُم مِنْ غيرِهِم .

* * *

(١) زاد في النسخ ما عدا (ب ، هـ) : (وخلقه) .



البيت الرابع والثلاثون بعد المئة

تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ ٱلنَّصْرِ نَشْرَهُمُ ... فَتَحْسَبُ ٱلزَّهْرَ فِي ٱلأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي

ثمَّ أتبعَ ذلكَ بما يزيدُهُ بياناً وتثبيتاً ؛ فقالَ :

(تُهْدِي) بضمِّ التاءِ : مضارعُ (أَهْدىٰ) (إليكَ رِياحُ النَّصْرِ نَشرَهُمُ) الطيِّبَ الذي يمتازونُ بهِ كامتيازِ الوردِ برائحتِهِ عنِ السَّلَمِ .

(فتحسَبُ الزَّهْرَ) حالَ كونِهِ (في الأكمامِ كلَّ كَمِي) أي : كلَّ شُجاعٍ مُكْتنِفٍ في سلاحِهِ كالزَّهْرِ في أَكْمامِهِ[1] ؛ وهيَ غِلافاتُهُ التي يكونُ فيها[2] .

شبَّهَ أجسادَهُمُ الطاهرةَ الطيِّبةَ حالةَ كونِهِم مُتقنِّعينَ في السلاحِ . . بالأزهارِ في أَكْمامِها قبلَ أن تنفتقَ عنها ، فهُم رضيَ اللهُ عنهُم مَنْ لم يُميِّزْهُم بسِيماهُمُ الظاهرةِ التي هيَ كسِيما الوردِ في بهاءِ المَنظَرِ وطِيبِ الرائحةِ ، وذلكَ لمَنْ شافَهَهُم . . فإنَّهُ يُميِّزُهُم بما يُوصِلُ إليهِ رياحُ النصرِ ؛ مِنْ طِيبِ الثناءِ عليهِم ، وصدقِ الخبرِ عنهُم ؛ لتواترِهِ بأنَّهُمُ المنصورونَ .

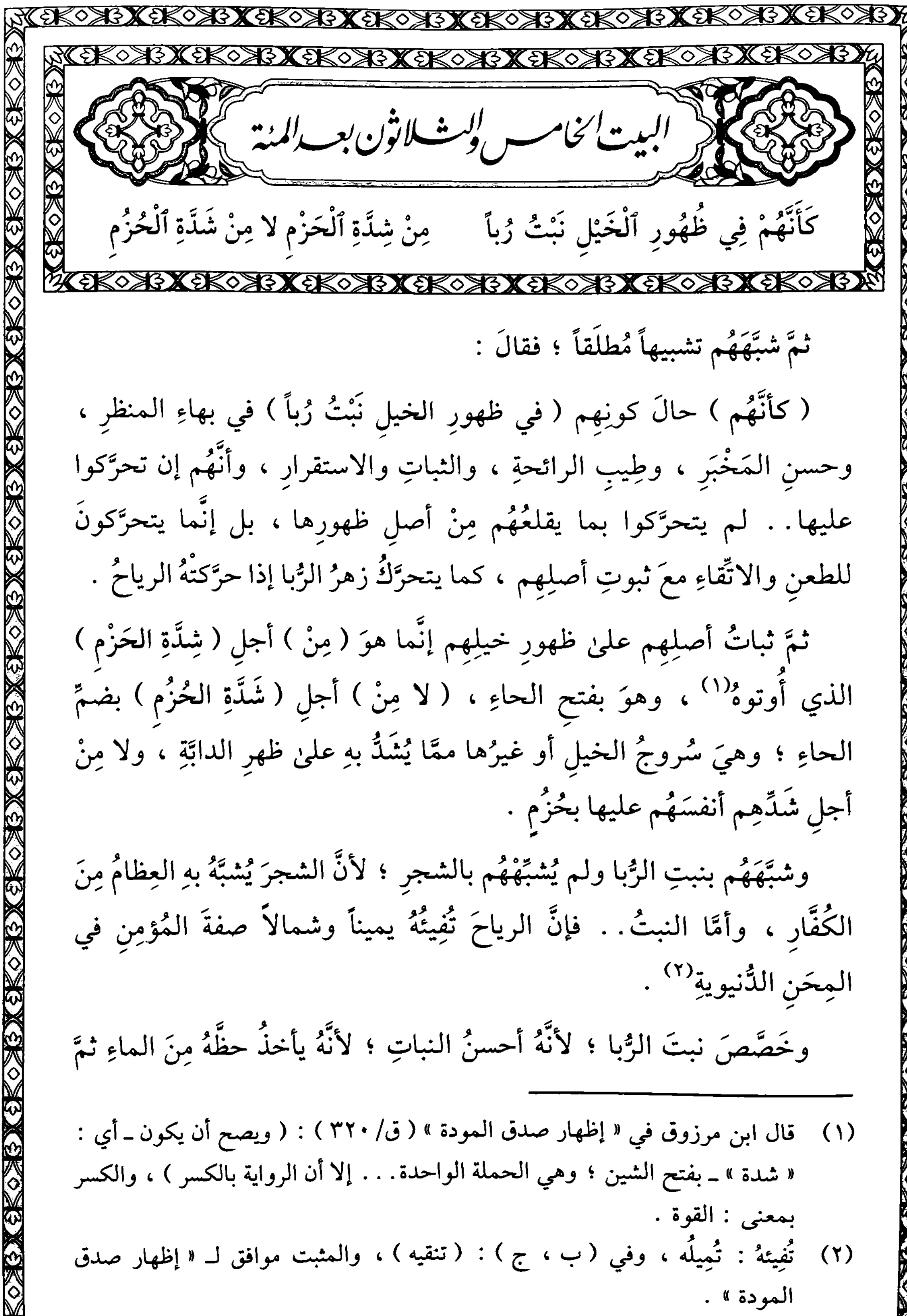
وأصلُ (كَمِي) : (كَمِيٌّ) بالتشديدِ علىٰ وزنِ فعيلٍ ، حُذِفَتِ الياءُ الساكنةُ ، وسُكِّنَتِ المُتحرِّكةُ ؛ لثِقَلِ الكسرةِ علىٰ حرفِ العلةِ .

* * *

---

(١) في (أ ، ب ، د) : (متكنِّفٍ) بدل (مكتنف) ، وفي (ج) : (مُتكتِّف) ، وفي « إظهار صدق المودة » (ق/ ٣٢٠) : (المتكمِّي) قال : (الكمي : الشجاع المُتكمِّي في سلاحه ؛ لأنه كمىٰ نفسه ؛ أي : سترها بالدرع والبيضة . . .) .

(٢) في (ب) وحدها : (علاقاته) بدل (غلافاته) ، والمثبت هو الصواب ، إذ الأكمام هي غلاف الزهر . انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٣٢٠) .



البيت الخامس والثلاثون بعد المئة

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ ٱلْخَيْلِ نَبْتُ رُباً ⁂ مِنْ شِدَّةِ ٱلْحَزْمِ لا مِنْ شَدَّةِ ٱلْحُزُمِ

ثمَّ شبَّهَهُم تشبيهاً مُطلَقاً ؛ فقالَ :

(كأنَّهُم) حالَ كونِهِم (في ظهورِ الخيلِ نَبْتُ رُباً) في بهاءِ المنظرِ ، وحسنِ المَخْبَرِ ، وطِيبِ الرائحةِ ، والثباتِ والاستقرارِ ، وأنَّهُم إن تحرَّكوا عليها . . لم يتحرَّكوا بما يقلعُهُم مِنْ أصلِ ظهورِها ، بل إنَّما يتحرَّكونَ للطعنِ والاتِّقاءِ معَ ثبوتِ أصلِهِم ، كما يتحرَّكُ زهرُ الرُّبا إذا حرَّكتْهُ الرياحُ .

ثمَّ ثباتُ أصلِهِم علىٰ ظهورِ خيلِهِم إنَّما هوَ (مِنْ) أجلِ (شِدَّةِ الحَزْمِ) الذي أُوتوهُ[1] ، وهوَ بفتحِ الحاءِ ، (لا مِنْ) أجلِ (شَدَّةِ الحُزُمِ) بضمِّ الحاءِ ؛ وهيَ سُروجُ الخيلِ أو غيرُها ممَّا يُشَدُّ بهِ علىٰ ظهرِ الدابَّةِ ، ولا مِنْ أجلِ شَدِّهِم أنفسَهُم عليها بحُزُمٍ .

وشبَّهَهُم بنبتِ الرُّبا ولم يُشبِّهْهُم بالشجرِ ؛ لأنَّ الشجرَ يُشبَّهُ بهِ العِظامُ مِنَ الكُفَّارِ ، وأمَّا النبتُ . . فإنَّ الرياحَ تُفيئُهُ يميناً وشمالاً صفةَ المُؤمِنِ في المِحَنِ الدُّنيويةِ[2] .

وخَصَّصَ نبتَ الرُّبا ؛ لأنَّهُ أحسنُ النباتِ ؛ لأنَّهُ يأخذُ حظَّهُ مِنَ الماءِ ثمَّ

---

(١) قال ابن مرزوق في « إظهار صدق المودة » (ق/ ٣٢٠) : (ويصح أن يكون ـ أي : « شدة » ـ بفتح الشين ؛ وهي الحملة الواحدة . . . إلا أن الرواية بالكسر) ، والكسر بمعنى : القوة .

(٢) تُفيئهُ : تُميلُه ، وفي (ب ، ج) : (تنقيه) ، والمثبت موافق لـ « إظهار صدق المودة » .

يسيلُ عنهُ ، ويأخذُ حظَّهُ مِنَ الشمسِ والرياحِ على اختلافِ أنواعِها ، فتجدُهُ أخضرَ يانعاً غضّاً يروقُ الناظرينَ ، ويُعجِبُ حُسْنُهُ المُتأمِّلينَ .

وأمَّا نبتُ المُنخفِضِ مِنَ الأرضِ . . فقد يستقرُّ فيهِ الماءُ فيقتلُهُ ويصفرُّ لونُهُ ؛ لأنَّ التِّلالَ التي أحاطَتْ بهِ تمنعُهُ الشمسَ والرِّياحَ ، وتأمَّلْ قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كَالْحَبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ »[1] .

و(الشَّدَّةُ) في قولِهِ : (مِنْ شَدَّةِ الحُزُم) : **احتراسٌ حسنٌ**[2] ، و(في) (في ظهورِ الخيلِ)[3] : للظرفيَّةِ ، وبمعنىٰ (علىٰ) عندَ بعضِهِم ، والوجهانِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾[4] .

* * *

---

(١) **حميل السيل** : ما جاء به من طين ونحوه ، شُبِّه بهِ ؛ لأنه أسرع في الإنبات ، قاله المؤلف في « إرشاد الساري » (٢/١١٦) ، والحديث أخرجه البخاري (٨٠٦) ، ومسلم (١٨٢) ضمن حديث طويل في وصف يوم القيامة من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والقطعة المثبتة هي تشبيهٌ للجهنَّميِّين عندما يخرجون من النار ، واللفظ فيه : « . . . فيُخرِجونَهم قدِ امتُحِشوا ، فيُصَبُّ عليهِم ماءٌ يُقالُ لهُ : ماءُ الحياةِ ، فينبتونَ نباتَ الحبَّةِ في حَميلِ السيلِ » .

(٢) في « إظهار صدق المودة » : (احتراس حدس) .

(٣) في النسخ ما عدا (ج) : (وفي ظهور الخيل) بإسقاط (في) ، والعبارة في « إظهار صدق المودة » : (وفي ظهور الخيل حال من « كان » ، والعامل فيه وفي « من شدة » التشبيه ، و« في » للظرفية) ، فلعل ما في النسخ دون (ج) سقطت منه هـٰذه العبارة ، والله تعالىٰ أعلم .

(٤) سورة طه : (٧١) .



البيت السادس والثلاثون بعد المئة

طَارَتْ قُلُوبُ ٱلْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقاً فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ ٱلْبَهْمِ وَٱلْبُهَمِ

ولمَّا ثبتَ مِنْ وصفِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم ما ثبتَ مِنَ الشجاعةِ والتأييدِ الإلـٰهيِّ بالنصرِ . . (**طارَتْ قلوبُ العِدا مِنْ**) أجلِ (**بأسِهم فَرَقاً ؛ فما تُفرِّقُ بينَ البَهْمِ**) وهم أولادُ الضَّأْنِ ، (و) بينَ (**البُهَمِ**) وهم شُجْعانُ الفُرْسانِ ؛ فالأوَّلُ بفتحِ الباءِ ، والثاني بضمِّها .

وهـٰذا مِنْ شِدَّةِ الفَزَعِ والرُّعْبِ الذي حلَّ بهِم حتىٰ صاروا مِنَ الدَّهَشِ لا يُميِّزونَ بينَهُما ، **وهـٰذا أحسنُ ما يُفسَّرُ بهِ البيتُ** .

* * *



البيت السابع والثلاثون بعد المئة

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ ٱللهِ نُصْرَتُهُ　　　إِنْ تَلْقَهُ ٱلأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ

ونُصْرةُ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم إنَّما هيَ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، (**ومَنْ تَكُنْ برسولِ اللهِ**) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (**نُصْرتُهُ** . . **إن تَلْقَهُ الأُسْدُ في آجامِها**) التي تستترُ فيها بالأشجارِ المُلتفَّةِ ؛ فإنَّ أحداً لا يقدرُ على الدخولِ فيها عليها، وإنِ انتُزِعَ منهُ أَعَزُّ ما يكونُ عليهِ . . فإنَّهُ لا يتبعُها؛ لشِدَّةِ الخوفِ، فهيَ في آجامِها مُمتنِعةٌ ؛ لأنَّها إذا زَأَرَتْ علىٰ مَنْ يُرِيدُها في ذلكَ المكانِ . . فَرِقَ[1] ولو كانَ معَهُ مِنَ الجمعِ ما عسىٰ أن يكونَ ؛ خوفاً مِنْ هيبةِ صوتِهِ[2] .

لٰكن إن لَقِيَتْ مَنْ ينتصرُ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . انعكسَ الحالُ ، فتصيرُ الأُسْدُ إن أحسَّتْ بذلكَ المُنتصِرِ . . (**تَجِم**) مِنْ هيبتِهِ ؛ أي : تسكتُ ولم يُسمَعْ لها صوتٌ ؛ خوفاً مِنْ أن يكونَ صوتُهُ دالّاً علىٰ مكانِهِ ، فيأتيَهِ المُنتصِرُ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فيقبِضَ عليهِ .

ويحتملُ : أن يُرِيدَ بالأُسْدِ : الشُّجْعانَ ، وبالآجامِ : الحُصُونَ .

ويُناسِبُ حَمْلَ الأُسْدِ على الحقيقةِ : قصَّةُ سفينةَ مَوْلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ معَ الأَسَدِ[3] .

---

(١) في (هـ) : (فرَّ) .

(٢) في (ب) : (صورته) ، وفي (هـ) : (صولته) ، والمثبت موافق لـ « إظهار صدق المودة » .

(٣) وقصة الصحابي الجليل سيدنا سفينة رضي الله عنه فيما أخرجه الحاكم (٢/ ٦١٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٧/ ٩٤) : (أنه ركب البحر ، فانكسرت سفينته ، =

وحذفَ ما قدَّرناهُ ؛ وهوَ : (ونُصْرةُ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم إنَّما هيَ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) ؛ للعلمِ بهِ .

ولا تكونُ النُّصْرةُ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلا باتِّباعِ سُنَّتِهِ ، وتركِ كلِّ ما جاءَ علىٰ خلافِ شريعتِهِ ، فمَنْ حصلَتْ لهُ هٰذهِ الرُّتبةُ . . طارَتْ قلوبُ العِدا مِنْ بأسِهِ ، وسَلِمَ مِنْ أعدائِهِ ؛ فإن لَقِيَهُ الأَسَدُ في أَجمتِهِ . . استخفىٰ ووَجَمَ ، فاتِّباعُ السُّنَّةِ عينُ تقوى اللهِ ، والحاملُ عليها خوفُ اللهِ ، ومَنْ خافَ اللهَ . . أخافَ اللهُ منهُ كلَّ شيءٍ[1] .

* * *

= فركب لوحاً منها ، فطرحه في أَجَمَةٍ فيها أَسَدٌ ، فأقبل الأسدُ نحوَه ، فقال له سفينةُ : يا أبا الحارث ؛ أنا مولىٰ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فطأطأ رأسَهُ وغمز بمنكبه شقِّي ، فما زال يغمزُني ويهديني إلى الطريق حتىٰ وضعني على الطريق ، فلمَّا وضعني . . هَمْهَمَ ، فظننت أنه يُودِّعُني) .

وهٰذه الكرامة لم تقتصر على الصحابة ، بل نُقلت كثيراً عمَّن هم دونهم من الأولياء والعارفين ، ومن جميل ما قرأت من كرامات سيدي المربي أبي مدين التلمساني رحمه الله تعالىٰ : (أنه مرَّ في بعض بلاد المغرب ، فرأىٰ أسداً افترس حماراً وهو يأكلُه ، وصاحبُه جالسٌ بالبُعد عنه وهو في غاية الحاجة والفاقة ، فجاء أبو مدين وأخذ بناصية الأسد ، وقال لصاحب الحمار : أَمْسِكِ الأسد واستعمله في الخدمة موضعَ حمارك ، فقال له : يا سيدي ؛ أخاف منه ، فقال : لا تخف لا يستطيع أن يؤذيك ، فمرَّ الرجل يقوده والناسُ ينظرون إليه ، فلما كان آخر النهار . . جاء الرجلُ ومعه الأسد للشيخ ، وقال له : يا سيدي ؛ هٰذا الأسدُ يتبعُني حيث ذهبت ، وأنا شديد الخوف منه لا طاقةَ لي بعشرته ، فقال الشيخ للأسد : اذهب ولا تعد ، ومتىٰ آذيتُم بني آدم . . سلَّطتهم عليكم) انظر « نجم المهتدي » (١/٥٠٨ـ ٥٠٩) ، و« النجم الثاقب » لابن صعد (٣/ق٣٢٣) ، و« نفح الطيب » (٧/ ١٤٠) .

(١) وهٰذا إشارة : إلىٰ أثر أخرجه البيهقي في « الشعب » (٩٤٣) من كلام الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ ؛ وهو : (من خاف الله . . أخاف اللهُ منه كلَّ شيء ، ومن لم يخفِ اللهَ . . خاف من كل شيء) ، وانظر « كشف الخفاء » (٢/ ٢٤٩) .



البيت الثامن والثلاثون بعد المئة

وَلَنْ تَرَىٰ مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ ... بِـهِ وَلا مِـنْ عَـدُوٍّ غَيْـرَ مُنْقَصِـمِ

ثمَّ عقَّبَ ذلكَ بقولِهِ :

(ولن ترىٰ مِنْ وليٍّ) مِنْ أوليائِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (غيرَ مُنتصِرٍ بهِ) علىٰ عدوِّهِ ، وأولياؤُهُ : هم كلُّ مَنْ آمنَ بهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وكانَ علىٰ هديهِ وطريقتِهِ .

(ولا) ترىٰ (مِنْ عَدُوٍّ) لهُ (غيرَ مُنقَصِمٍ) أي : بهِ ، فيكونُ مِنَ الحذفِ مِنَ الأواخرِ لدَلالةِ الأوائلِ عليهِ ، ولفظُ (مُنقَصِمٍ) بالقافِ ، وفي بعضِ النسخِ بالفاءِ(١) .

فإن قيلَ : إذا أخبرَ أنَّ الوليَّ مُنتصِرٌ . . عُلِمَ أنَّ العدوَّ مُنقصِمٌ ؛ لأنَّ مِنَ المعلومِ أنَّ أحدَ المُتقابِلَينِ إذا انتصرَ . . فمقابلُهُ مخذولٌ ، فما حكمةُ قولِهِ : (ولا مِنْ عَدُوٍّ) ؟

فالجوابُ : لا نُسلِّمُ دَلالةَ الشَّطْرِ الأوَّلِ على انقصامِ العَدُوِّ كما ذكرَ السائلُ ، بل إنَّما يدُلُّ علىٰ أنَّهُ غيرُ منصورٍ فقط ، وذلكَ أعمُّ مِنْ كونِهِ مُنقصِماً ؛ لجوازِ أن يُغلَبَ بالهزيمةِ ويَسْلَمَ معَ ذلكَ ، والأعمُّ لا إشعارَ لهُ بالأخصِّ المُعيَّنِ .

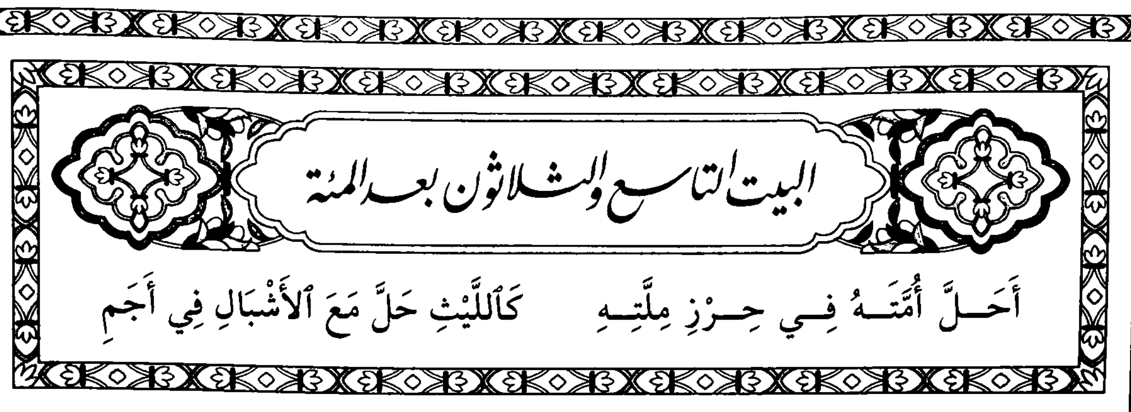
سلَّمْنا دَلالةَ الشَّطْرِ الأوَّلِ علىٰ ذلكَ ، لـكن دَلالتُهُ على انقصامِ العَدُوِّ

---

(١) وهو من : فصمه فانفصم وتفصَّم ؛ إذا كسره من غير أن يبين ، ومنه : ﴿ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، وأَفْصَمَ المطرُ : أقلع . « إظهار صدق المودة » (ق/ ٣٤٢) .

باللُّزومِ ، ودَلالةُ الثاني بالمُطابَقةِ ، ولمَّا كانَ سياقُ هـٰذا المدحِ فيما نالَ الأعداءَ مِنَ المهالكِ. . ناسبَ الإطنابُ في الإخبارِ عن أحوالِهِم بدَلالةِ المُطابَقةِ والالتزامِ .

* * *



البيت التاسع والثلاثون بعد المئة

أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ ... كَٱللَّيْثِ حَلَّ مَعَ ٱلْأَشْبَالِ فِي أَجَمِ

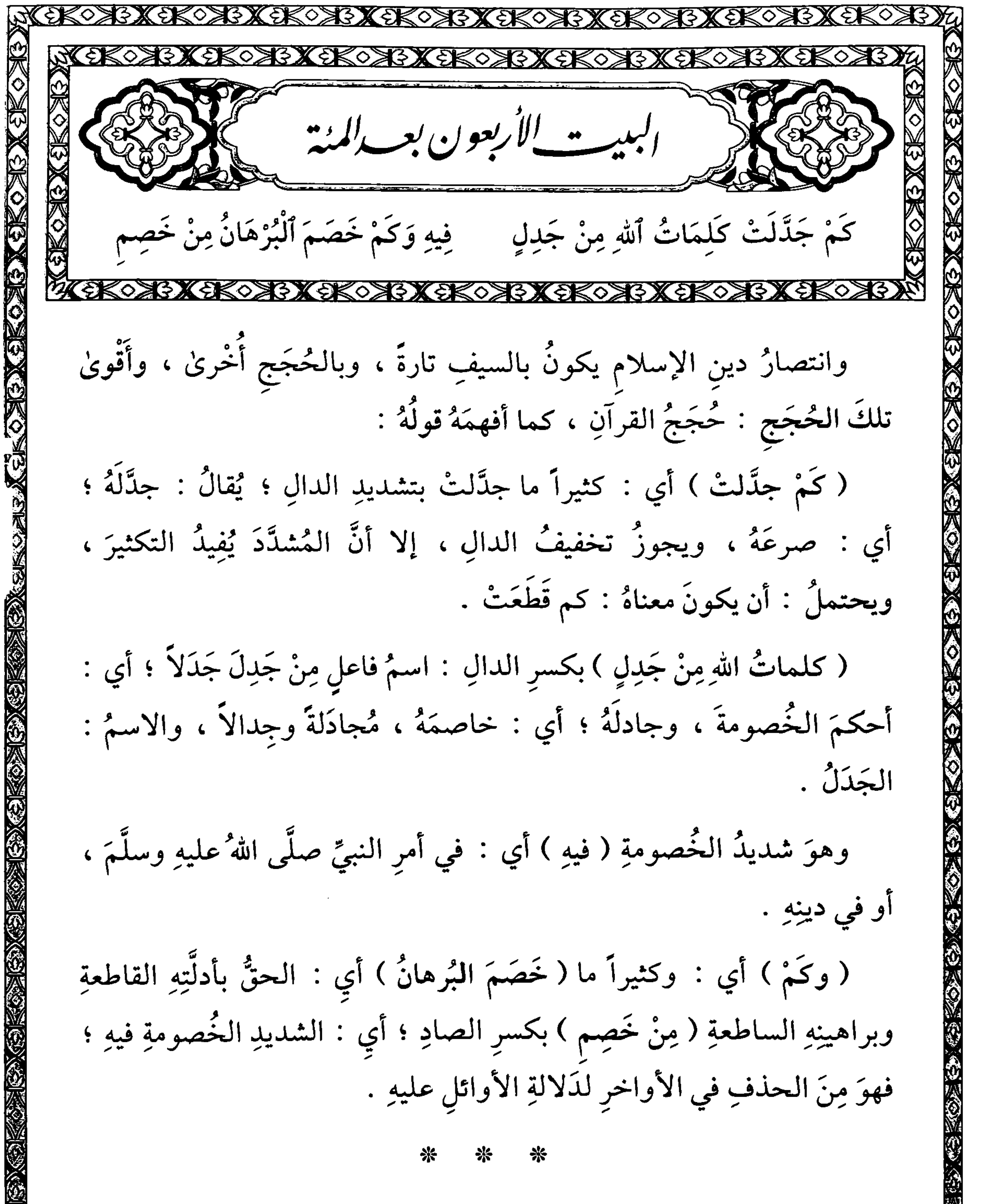
وقد عُلِمَ بما تقرَّرَ : أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (أحلَّ أُمَّتَهُ في حِرْزِ مِلَّتِهِ) وشريعتِهِ التي هيَ كأعظمِ الحصونِ المنيعةِ التي لا تُنالُ ولا يدخلُها إلا مَنْ هوَ مِنْ أهلِها ؛ (كالليثِ) وهوَ الأسدُ (حَلَّ معَ الأشبالِ في أَجَمِ) فإنَّهُ لا يستطيعُ الدخولَ عليهِ في ذلكَ المكانِ إلا واحدٌ مِنْ أشبالِهِ ؛ أي : أولادِهِ وأبناءِ جنسِهِ ، فهوَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بمثابةِ اللَّيثِ ، وأُمَّتُهُ بمثابةِ الأشبالِ ، ودينُ الإسلامِ بمثابةِ الأَجَمِ .

وهـٰذا التشبيهُ : إمَّا لأنَّ ما حصلَ لهُم مِنَ اليقينِ بصحَّةِ الإسلامِ في قلوبِهِم يُهوِّنُ عليهِم بذلَ نفوسِهِم في ذاتِ اللهِ تعالىٰ ، فيشتدُّ لذلكَ قتالُهُم ؛ لأنَّ موتَهُم في سبيلِ اللهِ أَشْهىٰ عندَهُم مِنَ الحياةِ ، وهـٰذا هوَ الحِصْنُ الحقيقيُّ .

وإمَّا لأنَّ ما حصلَ مِنَ الإيمانِ في القلوبِ بمثابةِ مَنْ حصلَ في حِصْنٍ حَصينٍ ، فمَنْ أرادَ أن يُدخِلَ عليهِم فيهِ شيئاً ممَّا يُخالِفُهُ . . لم يَجِدْ إلىٰ ذلكَ سبيلاً .

وتشبيهُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالأَسَدِ وأُمَّتِهِ بالأشبالِ ؛ لأنَّ الأنبياءَ عليهِمُ الصلاةُ والسلامُ كالآباءِ لأُمَمِهِم .

* * *



البيت الأربعون بعد المئة

كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَاتُ ٱللهِ مِنْ جَدِلٍ فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ ٱلْبُرْهَانُ مِنْ خَصِمِ

وانتصارُ دينِ الإسلامِ يكونُ بالسيفِ تارةً ، وبالحُجَجِ أُخْرىٰ ، وأَقْوىٰ تلكَ الحُجَجِ : حُجَجُ القرآنِ ، كما أفهمَهُ قولُهُ :

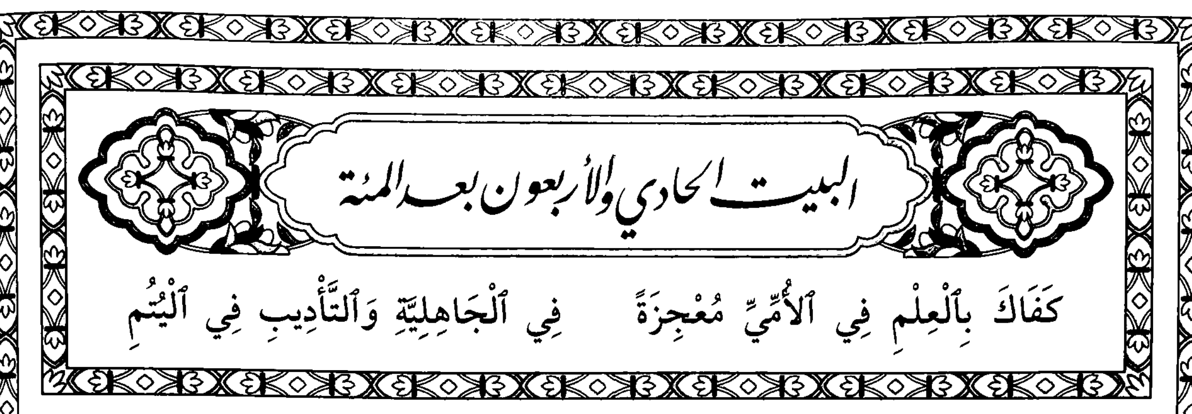
(كَمْ جدَّلتْ) أي : كثيراً ما جدَّلتْ بتشديدِ الدالِ ؛ يُقالُ : جدَّلَهُ ؛ أي : صرعَهُ ، ويجوزُ تخفيفُ الدالِ ، إلا أنَّ المُشدَّدَ يُفِيدُ التكثيرَ ، ويحتملُ : أن يكونَ معناهُ : كم قَطَعَتْ .

(كلماتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ) بكسرِ الدالِ : اسمُ فاعلٍ مِنْ جَدِلَ جَدَلاً ؛ أي : أحكمَ الخُصومةَ ، وجادلَهُ ؛ أي : خاصمَهُ ، مُجادَلةً وجِدالاً ، والاسمُ : الجَدَلُ .

وهوَ شديدُ الخُصومةِ (فيهِ) أي : في أمرِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، أو في دينِهِ .

(وكَمْ) أي : وكثيراً ما (خَصَمَ البُرهانُ) أيِ : الحقُّ بأدلَّتِهِ القاطعةِ وبراهينِهِ الساطعةِ (مِنْ خَصِمٍ) بكسرِ الصادِ ؛ أيِ : الشديدِ الخُصومةِ فيهِ ؛ فهوَ مِنَ الحذفِ في الأواخرِ لدَلالةِ الأوائلِ عليهِ .

* * *



البيت الحادي والأربعون بعد المئة

كَفَاكَ بِٱلْعِلْمِ فِي ٱلْأُمِّيِّ مُعْجِزَةً ... فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ وَٱلتَّأْدِيبِ فِي ٱلْيُتُمِ

(كفاكَ بالعِلْمِ في) النبيِّ (الأُمِّيِّ) وهوَ الذي لا يكتبُ ولا تعلَّمَ مِنْ مُعلِّمٍ[1] (مُعجِزةً) دالَّةً علىٰ صدقِهِ فيما جاءَ بهِ (في) زمنِ (الجاهليَّةِ) وفي أهلِها .

(و) كفاكَ أيضاً ما فيهِ مِنَ (التأديبِ) مُعجِزةً (في اليُتُمِ) بضمِّ التاءِ إتباعاً لضمَّةِ الياءِ لضرورةِ الوزنِ .

وهوَ في الناسِ : فقدُ الأبِ ، وفي البهائمِ : فقدُ الأمِّ ؛ فهوَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قد ماتَ أبوهُ وهوَ في بطنِ أمِّهِ ، وشأنُ اليتيمِ في الأغلبِ ألا يكونَ فيهِ مِنَ الآدابِ ما يكونُ في ذي الأبِ ؛ لأنَّ الأبَ يَهْتَبِلُ بتأديبِ ابنِهِ[2] ، ويسعىٰ في تكميلِهِ باكتسابِ الصِّفاتِ الحميدةِ ، وغيرَ الأبِ لا يكونُ منهُ ذلكَ .

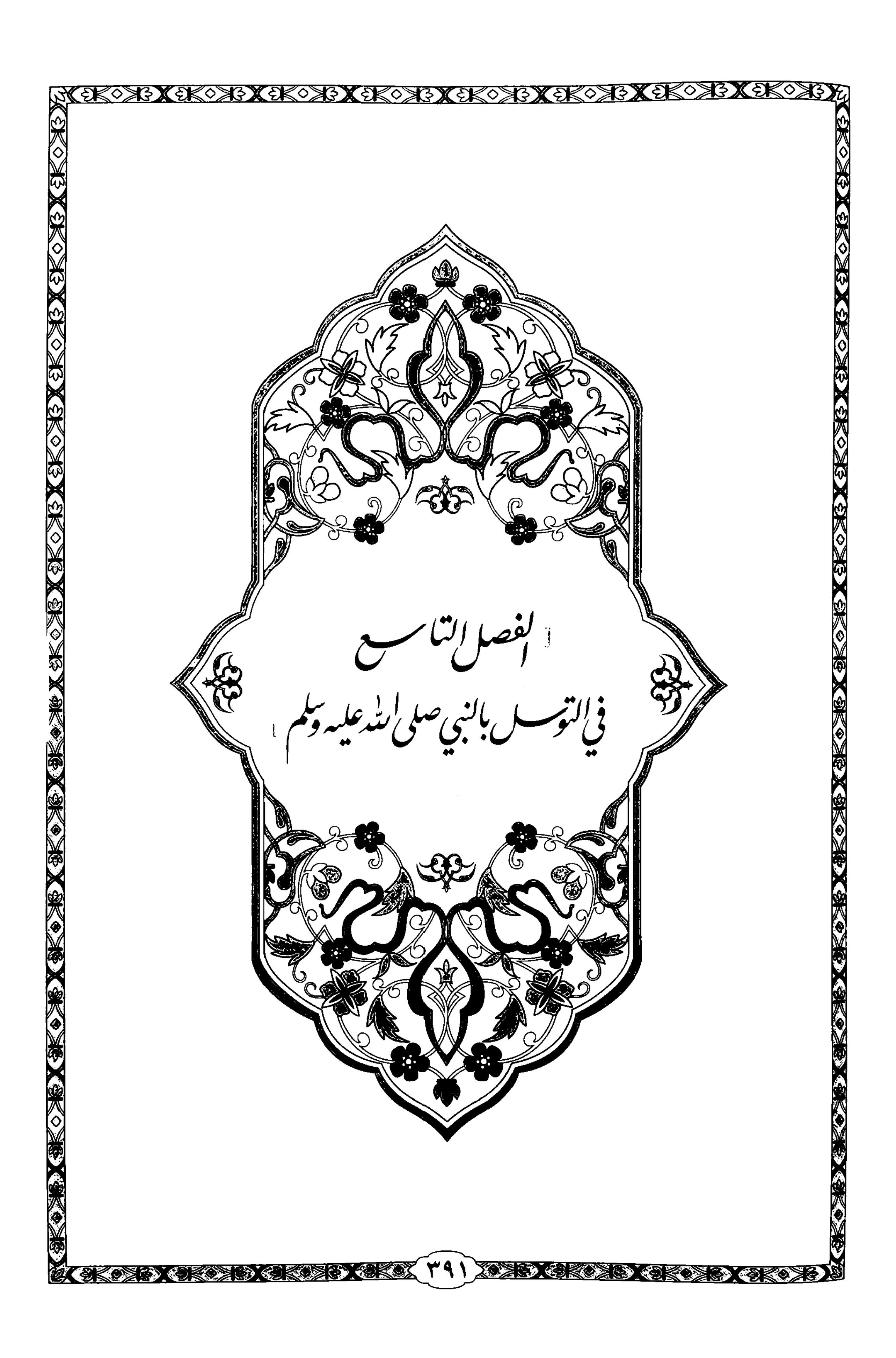
فلمَّا وُجِدَ منهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنَ العلومِ ما لا يبلغُ بتعليمٍ لِمَنْ تصدَّىٰ لها ، فكيفَ بمَنْ لم يتصدَّ ؟! ومِنَ الآدابِ ما لا يُنالُ بإرشادٍ لمَنْ لهُ مُؤدِّبٌ ، فكيفَ بمَنْ عَدِمَهُ ؟! دلَّ علىٰ أنَّهُ رسولُ اللهِ حقّاً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[3] .

* * *

(١) في ظاهر هاذه الكلمة نظر ، اللهم إلا أن يريد به : ولا تَعلَّم من معلم ؛ أي : من جنسه . انتهىٰ من هامش (د) .

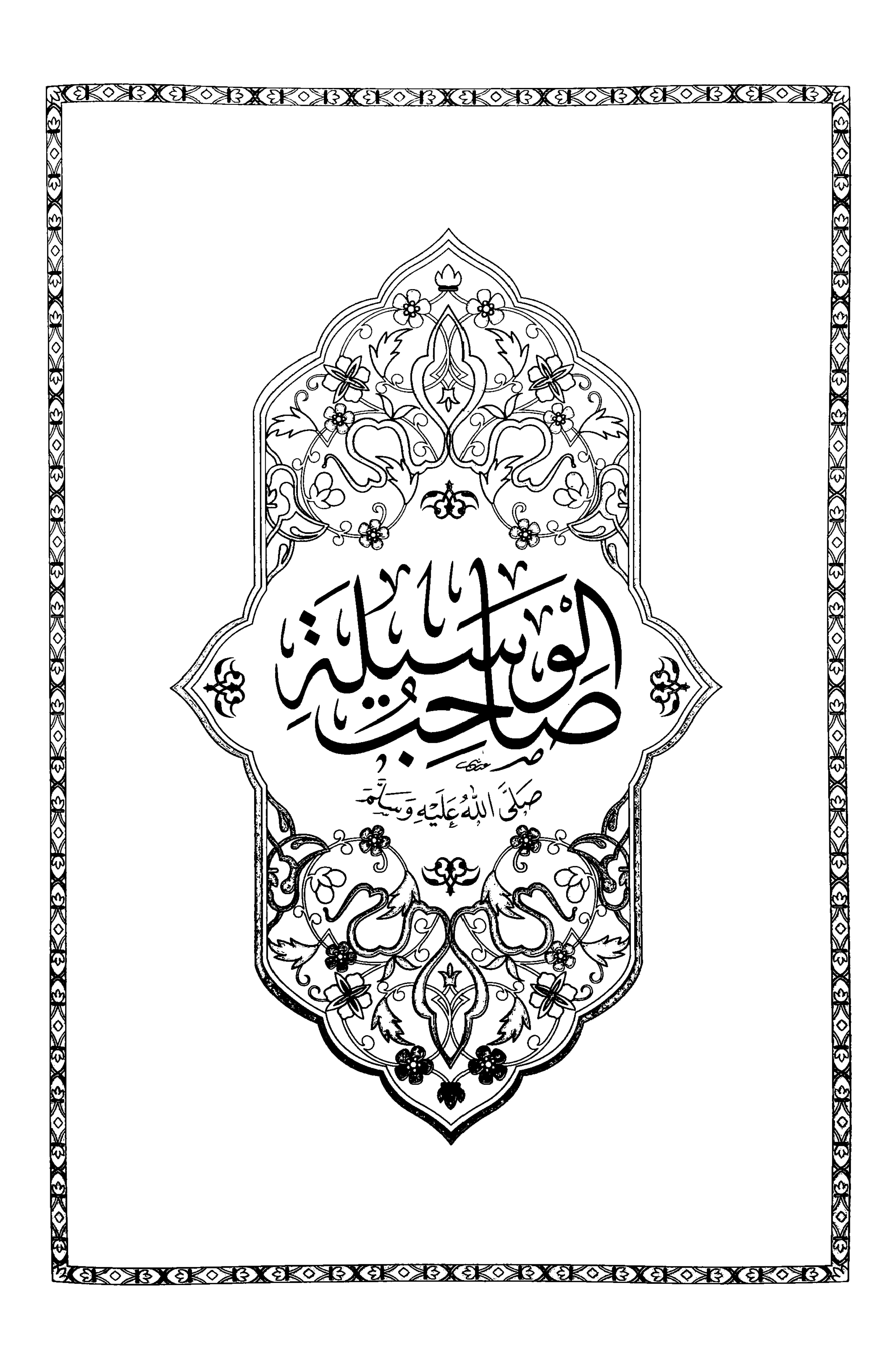
(٢) في (ب) : (يهتم) بدل (يهتبل) ، وفي (و) : (يحتفل) ، وفي (هـ) : (يجتهد في تأديب ابنه) ، والمثبت موافق لـ « إظهار صدق المودة » ، والاهتبال : الاهتمام والاغتنام .

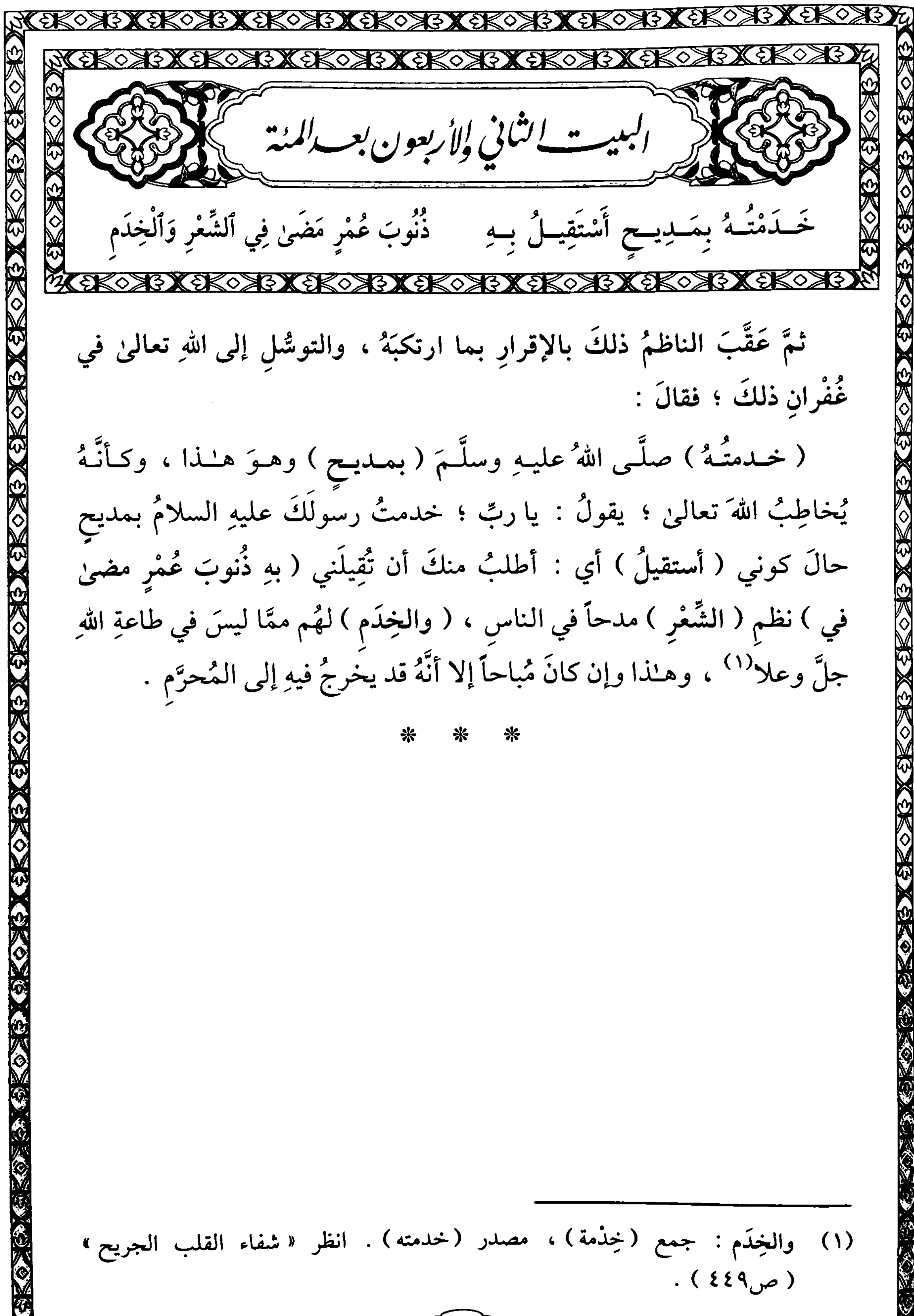
(٣) قوله : (دلَّ . . .) جواب (لمَّا) .



الفصل التاسع

في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم


صاحب الوسيلة
صلى الله عليه وسلم



البيت الثاني والأربعون بعد المئة

خَـدَمْتُـهُ بِمَـدِيـحٍ أَسْتَقِيـلُ بِـهِ ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَىٰ فِي ٱلشِّعْرِ وَٱلْخِدَمِ

ثمَّ عَقَّبَ الناظمُ ذلكَ بالإقرارِ بما ارتكبَهُ ، والتوسُّلِ إلى اللهِ تعالىٰ في غُفْرانِ ذلكَ ؛ فقالَ :

(خدمتُهُ) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (بمديحٍ) وهوَ هـٰذا ، وكأنَّهُ يُخاطِبُ اللهَ تعالىٰ ؛ يقولُ : يا ربِّ ؛ خدمتُ رسولَكَ عليهِ السلامُ بمديحٍ حالَ كوني (أستقيلُ) أي : أطلبُ منكَ أن تُقِيلَني (بهِ ذُنوبَ عُمْرٍ مضىٰ في) نظمِ (الشِّعْرِ) مدحاً في الناسِ ، (والخِدَمِ) لهُم ممَّا ليسَ في طاعةِ اللهِ جلَّ وعلا[1] ، وهـٰذا وإن كانَ مُباحاً إلا أنَّهُ قد يخرجُ فيهِ إلى المُحرَّمِ .

* * *

---

(١) والخِدَم : جمع (خِدْمة) ، مصدر (خدمته) . انظر « شفاء القلب الجريح » (ص٤٤٩) .



البيت الثالث والأربعون بعد المئة

إذْ قلَّدانِيَ مَا تُخْشىٰ عَواقِبُهُ   كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ ٱلنَّعَمِ

(إذْ قَلَّدانيَ) الشعرُ الذي قُلْتُهُ في الناسِ ، والخِدَمُ التي صدرتْ منِّي لهُم ؛ أي : جعلا في عُنُقِي مِنَ الآثامِ ما هوَ كالقِلادةِ ، وذلكَ الذي قلَّداني هوَ (ما تُخشىٰ عواقبُهُ) إذ هوَ إن لم يغفرِ اللهُ مُؤَدٍّ إلى الهلاكِ الدُّنْيويِّ والخُسْرانِ الأُخْرويِّ .

حتىٰ (كأنَّني بهِما هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ) ، فكما لا يخفى الهَدْيُ مِنَ النَّعَمِ علىٰ رائيهِ بما قُلِّدَ[1] في عُنُقِهِ مِنْ تعليقِ نعلٍ أو غيرِها . . فكذلكَ أنا لا يخفى استحقاقي العقابَ بما اكتسبتُهُ مِنَ الآثامِ بسببِ مَدْحي غيرَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ أهلِ الدُّنيا ، وخِدْمتي إيَّاهُم . . علىٰ مَنْ رآني وعَرَفَ حالي .

* * *

(١) في (ج ، د ، هـ) : (بما جُعل) .

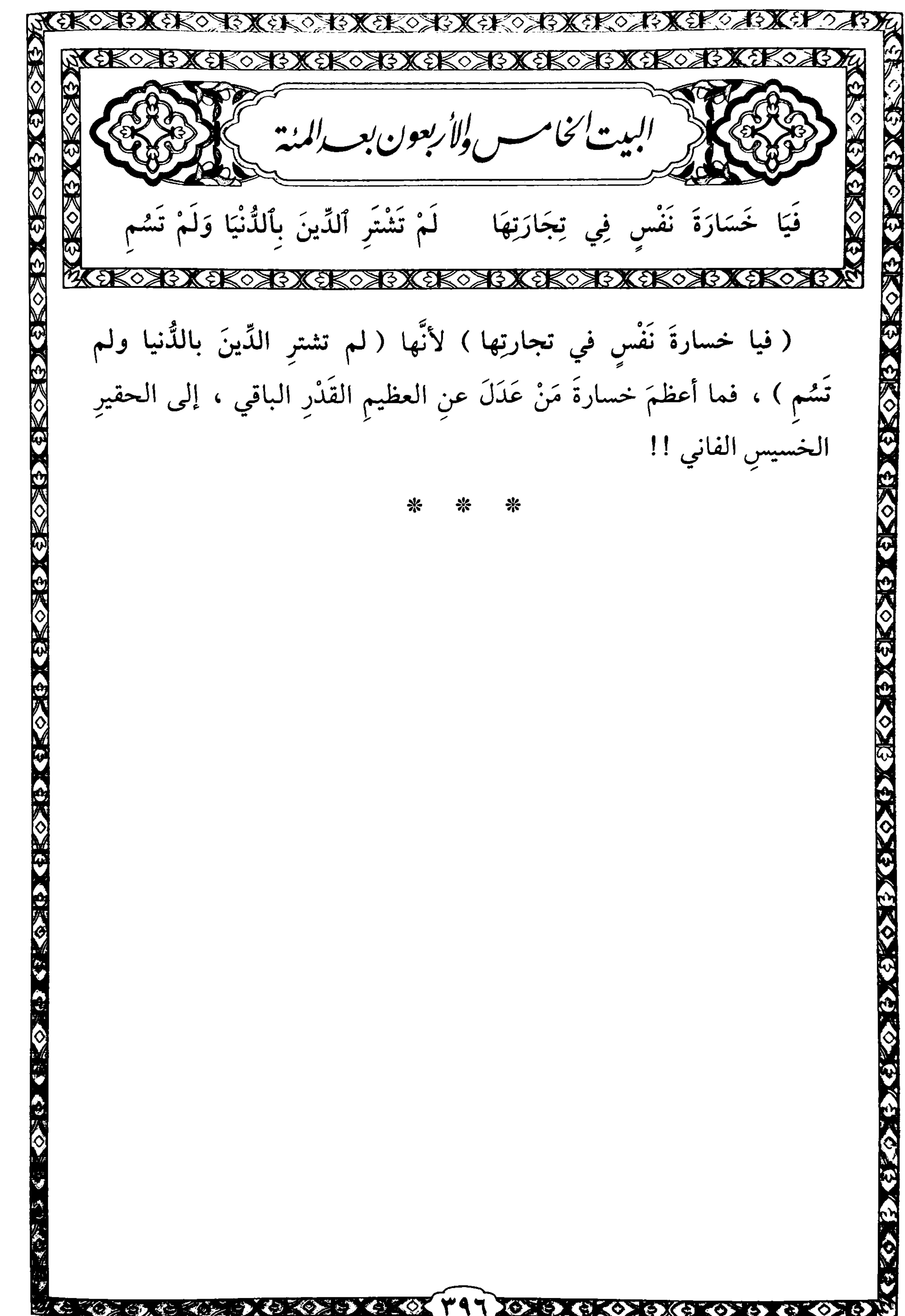


البيت الرابع والأربعون بعد المئة

أَطَعْتُ غَيَّ ٱلصِّبَا فِي ٱلْحَالَتَيْنِ وَمَا حَصَلْتُ إلا عَلَى ٱلآثَامِ وَٱلنَّدَمِ

(أطعتُ غَيَّ) زمنِ (الصِّبا) وهوَ زمانُ الجهلِ والبِطالةِ الداعي إلى الهلاكِ (في الحالتَينِ) حالةِ مدحي لغيرِهِ وخِدْمتي لهُ ، (وما حَصَلتُ) منهُما (إلا على الآثامِ والنَّدَمِ) على ما صدرَ منِّي ، ولو صَحِبَني التوفيقُ مِنْ أوَّلُ . . لكانَ ما صدرَ منِّي مِنْ شعرٍ وخدمةٍ لهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خاصَّةً ، لكنَّ التوفيقَ بيدِ اللهِ تعالى يَمُنُّ بهِ متى شاءَ .

* * *



البيت الخامس والأربعون بعد المئة

فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا لَمْ تَشْتَرِ ٱلدِّينَ بِٱلدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ

(فيا خسارةَ نَفْسٍ في تجارتِها) لأنَّها (لم تشترِ الدِّينَ بالدُّنيا ولم تَسُمِ) ، فما أعظمَ خسارةَ مَنْ عَدَلَ عنِ العظيمِ القَدْرِ الباقي ، إلى الحقيرِ الخسيسِ الفاني !!

* * *



البيت السادس والأربعون بعد المئة

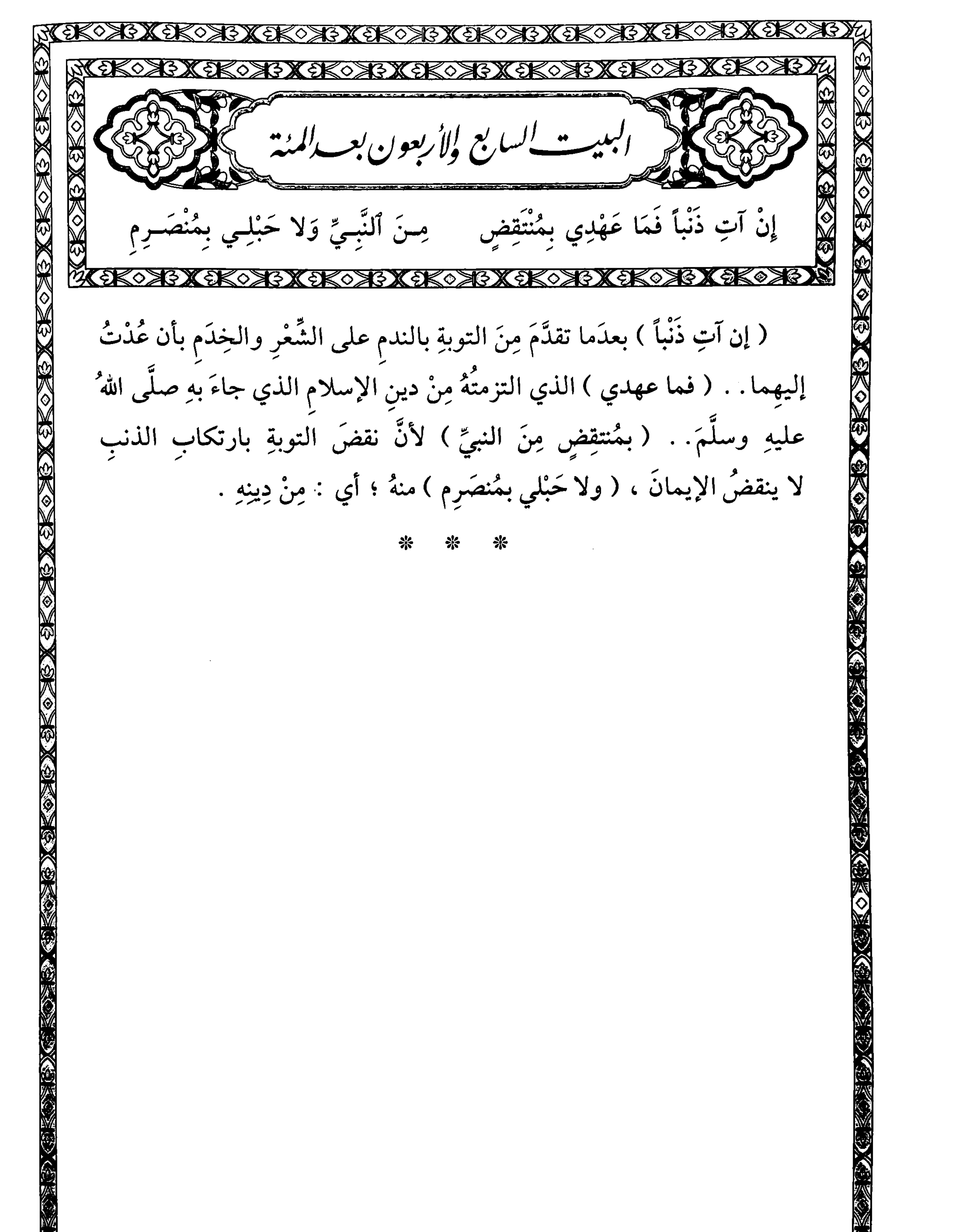
وَمَـنْ يَبِـعْ آجِـلاً مِنْـهُ بِعَـاجِلِـهِ يَبِنْ لَهُ ٱلْغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ

(و) لا شكَّ أنَّ (مَنْ يَبِـعْ آجِلاً منهُ) وهوَ نعيمُ الآخرةِ الباقي أَبَدَ الآبادِ ، الذي لا يفنىٰ طُولَ الآمادِ ، (بعاجِلِهِ) وهوَ متاعُ الدُّنيا الفاني . . (يَبِنْ لهُ الغَبْنُ في بيعٍ وفي سَلَمِ) أي : يظهرْ لهُ الغَبْنُ في بيعِهِ العاجلِ ، وفي سَلَمِهِ ؛ وهوَ بيعُهُ الآجِلُ .

ويحتملُ : أن يكونَ في كلامِهِ حذفُ معطوفٍ وحذفُ قَيْدٍ ؛ أي : ومَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْ متاعِ الآخرةِ بعاجلِهِ مِنْ متاعِ الدُّنيا ، أو يشترِ عاجلَـهُ مِنْ متاعِ الدُّنيا بآجلِـهِ مِنْ متاعِ الآخرةِ . . يَبِنْ لهُ الغَبْنُ في بيعٍ ؛ وهوَ الحالةُ الأولى المُصرَّحُ بها في كلامِ الناظمِ ، وفي سَلَمٍ ؛ وهيَ الحالةُ الثانيةُ المُقدَّرةُ .

والظاهرُ : أنَّ ضميرَ (منهُ) عائدٌ علىٰ قولِهِ : (الدِّينَ) في البيتِ الذي قبلَهُ .

* * *

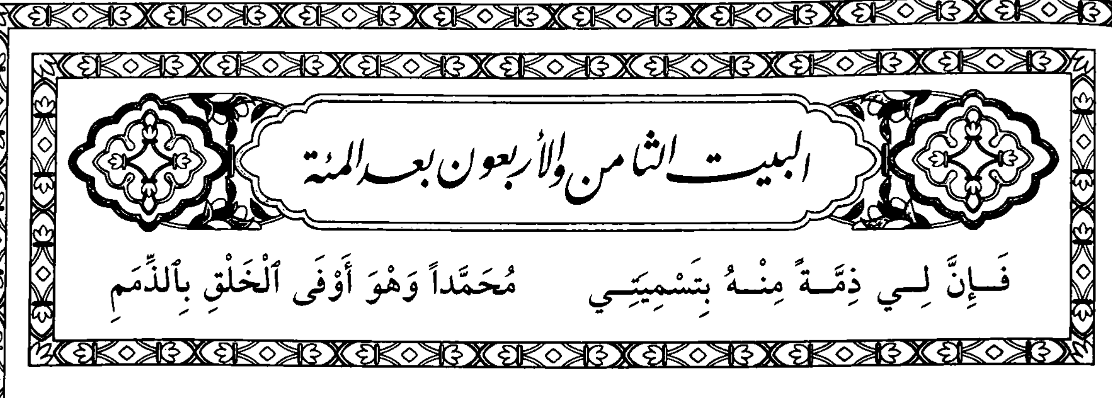


البيت السابع والأربعون بعد المئة

إنْ آتِ ذَنْباً فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ ... مِنَ ٱلنَّبِيِّ وَلا حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ

(إن آتِ ذَنْباً) بعدَما تقدَّمَ مِنَ التوبةِ بالندمِ على الشِّعْرِ والخِدَمِ بأن عُدْتُ إليهِما . . (فما عهدي) الذي التزمتُهُ مِنْ دينِ الإسلامِ الذي جاءَ بهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . (بمُنتقِضٍ مِنَ النبيِّ) لأنَّ نقضَ التوبةِ بارتكابِ الذنبِ لا ينقضُ الإيمانَ ، (ولا حَبْلي بمُنصَرِمٍ) منهُ ؛ أي : مِنْ دِينِهِ .

* * *



البيت الثامن والأربعون بعد المئة

فَـإِنَّ لِـي ذِمَّـةً مِنْـهُ بِتَسْمِيَتِـي مُحَمَّداً وَهْوَ أَوْفَى ٱلْخَلْقِ بِٱلذِّمَمِ

(فإنَّ لي ذمَّةً منهُ بتسميتي مُحمَّداً) كتسميتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بذلك ، فاختياري التسميةَ باسمِهِ دليلٌ علىٰ محبَّتي فيهِ ؛ فإنَّ أحداً لا يتسمَّىٰ باسمٍ إلا وهوَ يُحِبُّهُ أو يُحِبُّ مَنْ تسمَّىٰ بهِ .

وإذا ثبتَ لي منهُ ذلكَ معَ عِظَمِ جاهِهِ وعُلُوِّ مكانتِهِ عندَ ربِّهِ . . فلا أخافُ ، وكيفَ أخافُ أو أُبالي (وهوَ) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (أَوْفى الخَلْقِ بالذِّمَمِ) ؟! لأنَّهُ عليهِ السلامُ قادرٌ علىٰ تخليصي بالشفاعةِ التي أُذِنَ لهُ أن يشفعَ بها في مُحبِّيهِ المُؤمنينَ .

وفي كلامِهِ دليلٌ على الترغيبِ في التسميةِ باسمِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقد جاءَ في ذلكَ أحاديثُ :

فمنها : ما أخبرتْنا بهِ الشيخةُ الأصيلةُ عزيزةُ المصريَّةُ إِذْناً إن لم يَكُنْ سماعاً، أخبرَنا أبو الفرجِ الغَزِّيُّ، أخبرَنا يعقوبُ بنُ أحمدَ الصابونيُّ، أخبرَنا أبو الفرجِ عليُّ بنُ يونسَ بنِ النجَّارِ ، أخبرَنا عمرُ ابنُ طبرزدَ[1] وعبدُ العزيزِ ابنُ الأخضرِ قالا : أخبرَنا يحيى ابنُ الطَّرَّاحِ ، أخبرَنا أبو الخيرِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ المُهتدي[2] ، أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ ابنُ بكيرٍ الحافظُ ، حدَّثَنا

---

(١) قوله: (طبرزد) كذا في النسخ ، ونص الذهبي وغيره على أنه بالذال المعجمة ، ومعناه : السُّكَّر . انظر « سير أعلام النبلاء » (٥٠٨/٢١).

(٢) في المصادر والمراجع : (أبو الحسن) بدل (أبو الخير) ، وفي بعضها : (أبو الحسين) .

أحمدُ بنُ نصرِ بنِ عبدِ اللهِ ، حدَّثَنا جدِّي أبو العباسِ صَدَقَةُ بنُ موسى بنِ تميمِ بنِ ربيعةَ بنِ ضمرةَ الغَنَوِيُّ مولىٰ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، حدَّثَنا أبي ، عن حُميدٍ الطويلِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يُوقَفُ عَبْدَانِ بَيْنَ يَدَيِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيَأْمُرُ بِهِمَا إِلَى ٱلْجَنَّةِ ، فَيَقُولانِ : رَبَّنَا ؛ بِمَا ٱسْتَأْهَلْنَا ٱلْجَنَّةَ وَلَمْ نَعْمَلْ عَمَلاً يُجَازِينَا ٱلْجَنَّةَ ؟!

فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : عَبْدَايَ ؛ ٱدْخُلا ٱلْجَنَّةَ ؛ فَإِنِّي آلَيْتُ عَلَىٰ نَفْسِي أَلَّا يَدْخُلَ ٱلنَّارَ مَنِ ٱسْمُهُ أَحْمَدُ وَلا مُحَمَّدٌ »[1] .

وعن نُبيطِ بنِ شَريطٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « قَالَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَعِزَّتِي وَجَلالِي ؛ لا عَذَّبْتُ أَحَداً تَسَمَّىٰ بِٱسْمِكَ فِي ٱلنَّارِ » رواهُ أبو نعيمٍ ، وعنهُ أبو عليٍّ الحدَّادُ ، وعنهُ أبو منصورٍ الديلميُّ في « مسندِ الفردوسِ » بسندِهِ مرفوعاً ، وقالَ : « مُتَّصِلُ الإسنادِ »[2] .

ورُوِيَ عن جعفرِ بنِ محمَّدٍ : (إذا كانَ يومُ القيامةِ . . نادىٰ مُنادٍ : أَلَا لِيَقُمْ مَنِ اسمُهُ محمدٌ فيدخلَ الجنَّةَ ؛ لكرامةِ اسمِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[3] .

---

(١) فضائل التسمية بأحمد ومحمد (١) لابن بكير السابق في السند ، وأخرجه الديلمي في « الفردوس » (٨٨٣٧) ، وقاضي المارستان الكعبي في « مشيخته » (٤٥٤) ، وانظر « اللآلئ المصنوعة » (١/ ١٠٥) ، و« تنزيه الشريعة المرفوعة » (١/ ١٧٣) .

(٢) أورده المؤلف في « المواهب اللدنية » (٢/ ٣٧٧) ، وملا علي القاري في « الأسرار المرفوعة » (ص٢٠١) ، وانظر « كشف الخفاء » (١/ ٣٩٠) .

(٣) أورده القاضي عياض في « الشفاء » (ص٢٢٥) عن جعفر بن محمد عن أبيه ، وأخرجه ابن بكير البغدادي في « فضائل التسمية بأحمد ومحمد » (٦) موقوفاً عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

وفي لفظٍ آخرَ : (يُنادىٰ يومَ القيامةِ : يا محمدُ ، فيرفعُ رأسَهُ في الموقفِ مَنِ اسمُهُ محمَّدٌ ، فيقولُ اللهُ جلَّ جلالُهُ : أُشهِدُكُم أنِّي غفرتُ لكلِّ مَنِ اسمُهُ على اسمِ محمَّدٍ نبيِّي)[1] .

وعن أبي أُمامةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (مَنْ وُلِدَ لهُ مولودٌ فسمَّاهُ محمَّداً تبرُّكاً . . كانَ هوَ ومولودُهُ في الجنةِ) رواهُ صاحبُ « الفردوسِ » وابنُهُ أبو منصورٍ[2] .

ورَوَيا أيضاً عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (ما مِنْ مائدةٍ وُضِعَتْ فحضرَ عليها مَنِ اسمُهُ أحمدُ أو محمدٌ . . إلا قدَّسَ اللهُ ذلكَ المنزلَ كلَّ يومٍ مرَّتينِ)[3] .

قلتُ : وأنا ـ وللهِ الحمدُ ـ لي منهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذِمَّةٌ بتسميتي أحمدَ كاسمِهِ الشريفِ ، وأسألُهُ مِنْ فضلِهِ كما مَنَّ عليَّ بذلكَ أن ينظِمَني في سِلْكِ مُحبِّيهِ وورثتِهِ ؛ بمنِّهِ وفضلِهِ ورحمتِهِ .

* * *

---

(١) أورده ابن مرزوق في « إظهار صدق المودة » (ق/٣٦٨) .

(٢) أخرجه ابن بكير البغدادي في « فضائل التسمية بأحمد ومحمد » (٣٠) ، ومن طريقه قاضي المارستان الكعبي في « مشيخته » (٤٥٣) ، وانظر « السيرة الحلبية » (١/١٠٨ـ١٠٩) ، و« سبل الهدىٰ والرشاد » (١/٥٠٩) .

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب (٦١٣٧) ، وأخرجه ابن بكير البغدادي في « فضائل التسمية بأحمد ومحمد » (٢٤) .

البيت التاسع والأربعون بعد المئة

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذاً بِيَدِي ... فَضْـلاً وَإِلاَّ فَقُـلْ يَـا زَلَّـةَ ٱلْقَـدَمِ

(إن لم يَكُنْ) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (في مَعادي آخِذاً بيدي) في يومِ حَشْري معَ سائرِ المخلوقاتِ ؛ بأن يشفعَ فيَّ (فضلاً) منهُ لا لسابقةٍ منِّي أستحقُّ بها أخذَهُ بيدي ؛ فإنَّ المِنَّةَ والفضلَ للهِ ورسولِهِ ، (وإلّاً) بالتنوينِ ؛ أي : فَضْلاً وعهداً . . (فَقُلْ) أنتَ يا مَنْ يصلحُ منهُ الخطابُ : (يا زَلَّةَ القدمِ) في تلكَ المداحضِ .

أو يكونُ (وإلا) شرطاً حُذِفَ فعلُهُ وجوابُهُ لدَلالة السِّياقِ والعقلِ عليهِ ؛ أي : وإن كانَ آخِذاً بيدي في مَعادي . . فَقُلْ : يا ثُبوتَ قدمي .

وعلىٰ هـٰذَينِ : لا إشكالَ في فَهْمِ قولِهِ : (وإلا) فإنَّهُ لم يَزَلْ يُستشكَلُ .

ووجهُ الإشكالِ : أنَّ أصلَ الكلمةِ : (إنْ لا) فأُدغِمَتِ النونُ في اللامِ ، ومعناهُ : إن لا يَكُنْ ما ذُكِرَ ؛ فهيَ لرفعِ ما تقدَّمَ ، فإن وقعتْ بعدَ الثبوتِ . . فهيَ للنفيِ ، وإن وقعتْ بعدَ النفيِ كما هنا . . فهيَ للإيجابِ .

ثمَّ قولُهُ : (فَقُلْ) جعلَهُ هـٰذا المُستشكِلُ جوابَ قولِهِ : (وإلا) وقد كانَ الآخِذُ باليدِ في قولِهِ : (إن لم يَكُنْ) منفيّاً ، فيجبُ أن يكونَ في قولِهِ : (وإلا) مُثبَتاً ؛ أي : وإن يَكُنْ آخِذاً بيدي[1] . . فَقُلْ :

---

(١) في (أ ، ب ، و) : (وإن لم يكن) بزيادة (لم) ، ومثله في « إظهار صدق المودة » ، ولعل الصواب بحذفها ؛ لأن (إلا) لرفع ما تقدم ، وكان المتقدم منفياً ؛ =

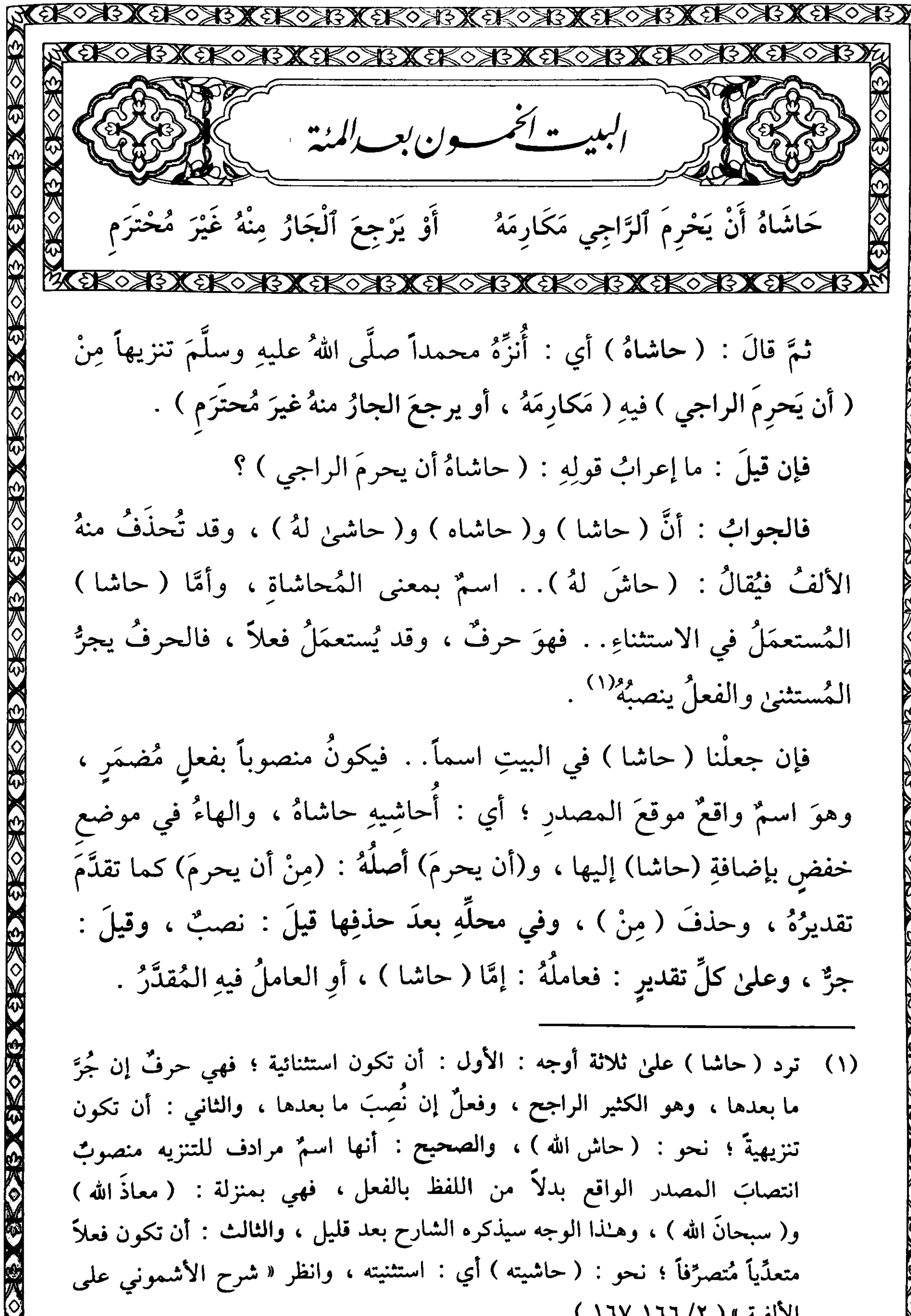
يا زَلَّةَ القدمِ ، وهـٰذا لا يُشَكُّ في استحالتِهِ .

وقيلَ : الروايةُ : (فإن يَكُنْ في معادي)[1] ، وهـٰذا بيِّنٌ لا إشكالَ فيهِ إن صَحَّتْ .

* * *

= وهو : (إن لم يكن) ، فيجب أن يكون ما بعدها مثبتاً ، وإلا . . تناقض مع قوله : (وهـٰذا لا يُشَكُّ في استحالته) .

(١) في (ب ، و) : (فإن لم يكن) بزيادة (لم) ، والصواب المثبت ، وجاء في « إظهار صدق المودة » هنا على الصواب .



البيت الخمسون بعد المئة

حَاشَاهُ أَنْ يَحْرِمَ ٱلرَّاجِي مَكَارِمَهُ ۞ أَوْ يَرْجِعَ ٱلْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ

ثمَّ قالَ : (حاشاهُ) أي : أُنزِّهُ محمداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تنزيهاً مِنْ (أن يَحرِمَ الراجي) فيهِ (مَكارِمَهُ ، أو يرجعَ الجارُ منهُ غيرَ مُحتَرَمِ) .

فإن قيلَ : ما إعرابُ قولِهِ : (حاشاهُ أن يحرمَ الراجي) ؟

فالجوابُ : أنَّ (حاشا) و(حاشاه) و(حاشىٰ لهُ) ، وقد تُحذَفُ منهُ الألفُ فيُقالُ : (حاشَ لهُ) .. اسمٌ بمعنى المُحاشاةِ ، وأمَّا (حاشا) المُستعمَلُ في الاستثناءِ .. فهوَ حرفٌ ، وقد يُستعمَلُ فعلاً ، فالحرفُ يجرُّ المُستثنىٰ والفعلُ ينصبُهُ[1] .

فإن جعلْنا (حاشا) في البيتِ اسماً .. فيكونُ منصوباً بفعلٍ مُضمَرٍ ، وهوَ اسمٌ واقعٌ موقعَ المصدرِ ؛ أي : أُحاشِيهِ حاشاهُ ، والهاءُ في موضعِ خفضٍ بإضافةِ (حاشا) إليها ، و(أن يحرمَ) أصلُهُ : (مِنْ أن يحرمَ) كما تقدَّمَ تقديرُهُ ، وحذفَ (مِنْ) ، وفي محلِّهِ بعدَ حذفِها قيلَ : نصبٌ ، وقيلَ : جرٌّ ، وعلىٰ كلِّ تقديرٍ : فعاملُهُ : إمَّا (حاشا) ، أوِ العاملُ فيهِ المُقدَّرُ .

---

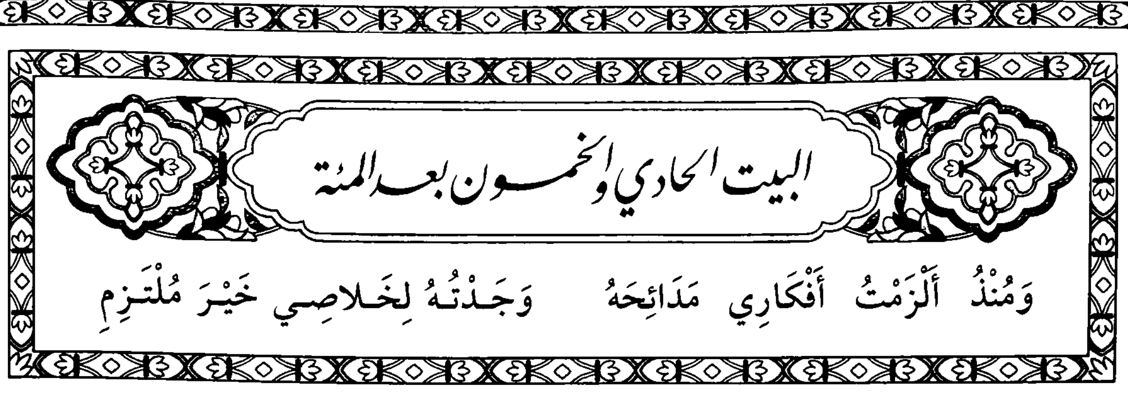
(١) ترد (حاشا) علىٰ ثلاثة أوجه : الأول : أن تكون استثنائية ؛ فهي حرفٌ إن جُرَّ ما بعدها ، وهو الكثير الراجح ، وفعلٌ إن نُصِبَ ما بعدها ، والثاني : أن تكون تنزيهيةً ؛ نحو : (حاش الله) ، والصحيح : أنها اسمٌ مرادف للتنزيه منصوبٌ انتصابَ المصدر الواقع بدلاً من اللفظ بالفعل ، فهي بمنزلة : (معاذَ الله) و(سبحانَ الله) ، وهـٰذا الوجه سيذكره الشارح بعد قليل ، والثالث : أن تكون فعلاً متعدِّياً مُتصرِّفاً ؛ نحو : (حاشيته) أي : استثنيته ، وانظر « شرح الأشموني على الألفية » (٢/١٦٦ـ١٦٧) .

وإن جُعِلَ (حاشا) فعلاً . . فهوَ فعلٌ ماضٍ ، والهاءُ مفعولُهُ ، و(أن يحرمَ) فاعلُهُ .

و(الراجي) : مفعولُ (يحرمَ) إن بُنِيَ للفاعلِ ، وقُدِّرَ نصبُ يائِهِ ضرورةً[1] ، وإن بُنِيَ (يحرمَ) للمفعولِ . . فـ(الراجي) مفعولُ ما لم يُسَمَّ فاعلُهُ ، وهوَ مرفوعٌ ، وفاعلُ (يحرمَ) : هوَ اللهُ تعالىٰ ، وعلىٰ بنائِهِ للفاعلِ . . ففاعلُهُ ضميرٌ يعودُ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

* * *

(١) وهٰذه الضرورة من أحسن ضرورات الشعر ، بل قال الصبان في « حاشيته على الأشموني » (١/١٠١) : (الأصح : جوازه في السَّعة ؛ بدليل قراءة جعفر الصادق : « من أوسط ما تطعمون أهالِيْكم » بسكون الياء) .



ثمَّ استدلَّ الناظمُ رحمَهُ اللهُ علىٰ قوَّةِ رجائِهِ ، وأنَّهُ لا يُخيَّبُ في ظنِّهِ بقولِهِ :

(ومنذُ) زمانِ (ألزمتُ) ذاتَ (أفكاري مدائحَهُ) في الدُّنيا مُتوسِّلاً بها في مطالبي العظيمةِ ؛ كطلبي الخلاصَ مِنَ الدَّاءِ الذي لا يقدرُ علىٰ رفعِهِ إلا اللهُ تعالىٰ ببركةِ محمَّدٍ عليهِ الصلاةُ والسلامُ . . (وجدتُهُ) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (لخلاصي) مِنْ جميعِ الشدائدِ التي تُصيبُني (خيرَ مُلتزِمٍ) بكسرِ الزاي .

وهٰذا الدَّاءُ الذي أُشيرَ إليهِ هوَ سببُ إنشائِهِ لهٰذهِ القصيدةِ ؛ فإنَّهُ أُصيبَ بفالجٍ أبطلَ نصفَهُ ، فعملَ هٰذهِ القصيدةَ واستشفعَ بها ، ثمَّ رآهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في النومِ ، فمسحَ بيدِهِ الشريفةِ عليهِ ، فعُوفِيَ ، فلمَّا استيقظَ . . قالَ لهُ بعضُ الصالحينَ : أسمِعْني القصيدةَ التي مدحتَهُ بها صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ التي أوَّلُها : (أَمِنْ تذكُّرِ) فلقد سمعتُها تُنشَدُ بينَ يديهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ يتمايلُ كالقضيبِ(١) .

---

(١) ولم يكن الإمام البوصيري قبل ذلك أعلمَ بها أحداً ، ثم ذكر هٰذا الرجلُ الصالحُ للناس ما جرىٰ بينه وبين البوصيري ، فبلغت الصاحبَ بهاء الدين وزير الملك الظاهر ، فاستنسخ القصيدة ، ونذر ألا يسمعها إلا حافياً واقفاً مكشوف الرأس ، وكان يحب سماعها كثيراً ويتبرك بها هو وأهل بيته ، ورأوا من بركاتها أموراً عظيمة في دينهم ودنياهم .

واقتدى الناظم في استشفائه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الداء الذي لا يُرجىٰ =

وفي قولِهِ : (ألزمتُ أفكاري) : مجازُ الحذفِ[1] ، والتقديرُ كما تقدَّمَ : (ذاتَ أفكاري) أي : نفسي .

و(منذُ) : مبنيٌّ على الضمِّ ، و(مُذْ) : على السكونِ ، ويكونانِ حرفَيْ جَرٍّ بمعنىٰ (في) ، فيُجَرُّ ما بعدَهُما ، ولا يكونُ إلا زماناً أنتَ فيهِ ؛ نحوُ : (ما رأيتُهُ منذُ الليلةِ) .

ويكونانِ اسمَينِ ، فيُرفَعُ ما بعدَهُما على التاريخِ ؛ نحوُ : (ما رأيتُ منذُ يومُ الجمعةِ) ؛ أي : أوَّلُ انقطاعِ الرؤيةِ يومُ الجمعةِ ، أو على التوقيتِ ؛ نحوُ : (ما رأيتُهُ منذُ سنةٍ) أي : أَمَدُ ذلكَ سنةٌ ، ولا تقولُ : (منذُ سنةِ كذا) لأنَّهُ لا يقعُ هنا إلا نكرةً .

وقالَ سيبويهِ : (منذُ) للزمانِ ، نظيرُهُ (مِنْ) للمكانِ[2] .

فقولُ الناظمِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : (ومنذُ ألزمتُ) فيهِ حذفُ اسمِ زمانٍ مُضافٍ إلى الجملةِ الفعليَّةِ ، والعاملُ في (منذُ) : (وجدتُ) فهوَ مُتقدِّمٌ

= برؤه بطلب الصحابي رضي الله عنه الذي كان أعمىٰ وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله في ردِّ بصره عليه ، فأمره صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ ويصلي ويدعو بالدعاء الذي علَّمه . « إظهار صدق المودة » (ق/ ٣٧٠) ، وذكر هـٰذه القصةَ الصلاحُ الصفدي في « الوافي بالوفيات » (٣/ ٩٣) ، وقال ابن مرزوق : (وبركة هـٰذه القصيدة كثيرة ، فلتُقرأ عند طلب الحاجات ، ونزول المهمات ؛ فإنها عظيمة البركات ، نفعنا الله بها وبمن قِيلت فيه صلى الله عليه وسلم ، ورضي عن آله وأصحابه في الدنيا والآخرة ؛ إنه سميع الدعاء) .

(١) في النسخ ما عدا (ب) : (جواز الحذف) ، والمثبت أنسب وموافق لـ « إظهار صدق المودة » ، وقد ذكر ابن مرزوق هـٰذه الفائدة في (فصل البيان) انظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٣٧٦) .

(٢) انظر « الكتاب » لسيبويه (٣/ ١١٧ ، ٣٨٦) .

في التقديرِ ؛ أي : (**وجدتُهُ**) صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (**لخلاصي خيرَ مُلتزِم**) منذُ زمانِ ألزمتُ أفكاري مدائحَهُ .

وهيَ لابتداءِ الغايةِ ؛ لأنَّها معَ الزمنِ المُعيَّنِ غيرِ المعدودِ تكونُ كذلكَ ؛ فإن قدَّرتَ (منذُ) حرفاً . . فالزمانُ المُقدَّرُ مخفوضٌ بها ، وهيَ مُتعلِّقةٌ بـ(وجدتُ) ، وإن قدَّرتَهُ اسماً . . كانَ مُبتدأً ، وخبرُهُ : اسمُ الزمانِ المحذوفُ .

* * *



البيت الثاني والخمسون بعد المئة

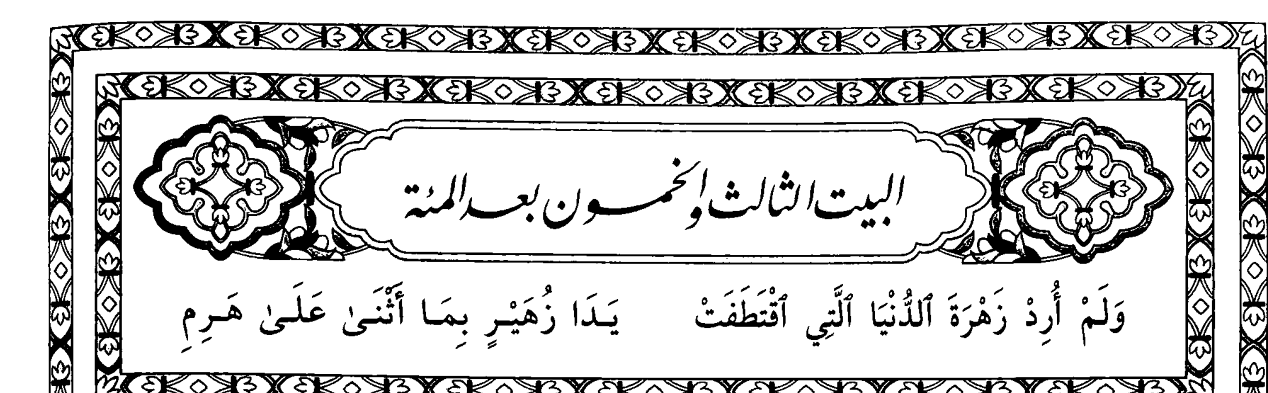
وَلَنْ يَفُوتَ ٱلْغِنَىٰ مِنْهُ يَداً تَرِبَتْ إِنَّ ٱلْحَيَا يُنْبِتُ ٱلأَزْهَارَ فِي ٱلأَكَمِ

ثمَّ قالَ : (ولن يفوتَ الغِنىٰ منهُ يداً تَرِبَتْ) أي : افتقرتْ أو خَسِرَتْ ما كانَ بيدِها ؛ إمَّا مِنَ الأموالِ في الدُّنيا ، وإمَّا مِنَ الثوابِ لاقترافِ المعاصي ؛ فهوَ يشفعُ فيهِ ويُدخِلُهُ الجنةَ .

(إنَّ الحَيَا) وهوَ المطرُ (يُنبِتُ الأزهارَ) حتىٰ (في الأَكَمِ) التي يُقالُ : إنَّها لا تقبلُ استقرارَ الماءِ لارتفاعِها وسُرْعةِ انحدارِهِ منها .

أي : كما أنَّ الحَيَا يُنبِتُ الأزهارَ في المواضعِ التي لا يُظَنُّ نبتُهُ فيها كالأَكَمِ لعمومِ بركتِهِ . . فكذا هوَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ لعُلُوِّ منزلتِهِ وشرفِ قدرِهِ عندَ ربِّهِ تعالىٰ يُنيلُ الغِنىٰ مَنْ يظنُّ أنَّهُ لا يستغني لشدَّةِ فقرِهِ وفاقتِهِ .

وهٰذا التشبيهُ إنَّما هوَ علىٰ سبيلِ التقريبِ للأفهامِ ، وكأنَّهُ يقولُ :



البيت الثالث والخمسون بعد المئة

وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ ٱلدُّنْيَا ٱلَّتِي ٱقْتَطَفَتْ ... يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَىٰ عَلَىٰ هَرِمِ

اعلَمْ أنِّي لم أُرِدْ بمدحي لهُ عليهِ السلامُ إلا ثوابَ الآخرةِ ، (**ولم أُرِدْ**) بذلكَ (**زهرةَ الدُّنيا**) ونَضارتَها مِنَ المالِ وغيرِه (**التي اقتطفَتْ يدا زُهيرٍ**) الشاعرِ المشهورِ (**بما أثنىٰ علىٰ هَرِم**) أحدِ أجوادِ العربِ .

وهٰذا زهيرٌ الذي ذكرَهُ : هوَ ابنُ أبي سُلْمىٰ ـ بضمِّ السينِ ـ **واسمُ أبي سُلْمىٰ** : ربيعةُ بنُ رياحٍ المُزَنيُّ ، شاعرٌ مجيدٌ مِنْ فحولِ شعراءِ العربِ ، وهوَ أحدُ الشعراءِ السِّتَّةِ[1] ، وهوَ أبو كعبٍ وبُجيرٍ ابني زُهيرٍ الصحابيَّيْنِ ، وابنُهُ كعبٌ هوَ القائلُ بمدحِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : (بانَتْ سُعادُ . . .) القصيدةَ المشهورةَ ، والشعرُ فيهم وِراثةٌ .

وكانَ زُهَيرٌ يمدحُ هَرِمَ ـ بكسرِ الراءِ ـ ابنَ سنانِ بنِ أبي حارثةَ المُرِّيَّ ، وكانَ يَصِلُهُ بالصِّلاتِ الجزيلةِ الخارجةِ عنِ العاداتِ[2] .

---

(١) وهم : زهير بن أبي سُلْمىٰ ، وامرؤ القيس ، والنابغة الذبياني ، وعلقمة الفحل ، وعنترة بن شداد ، وطَرَفة بن العبد .

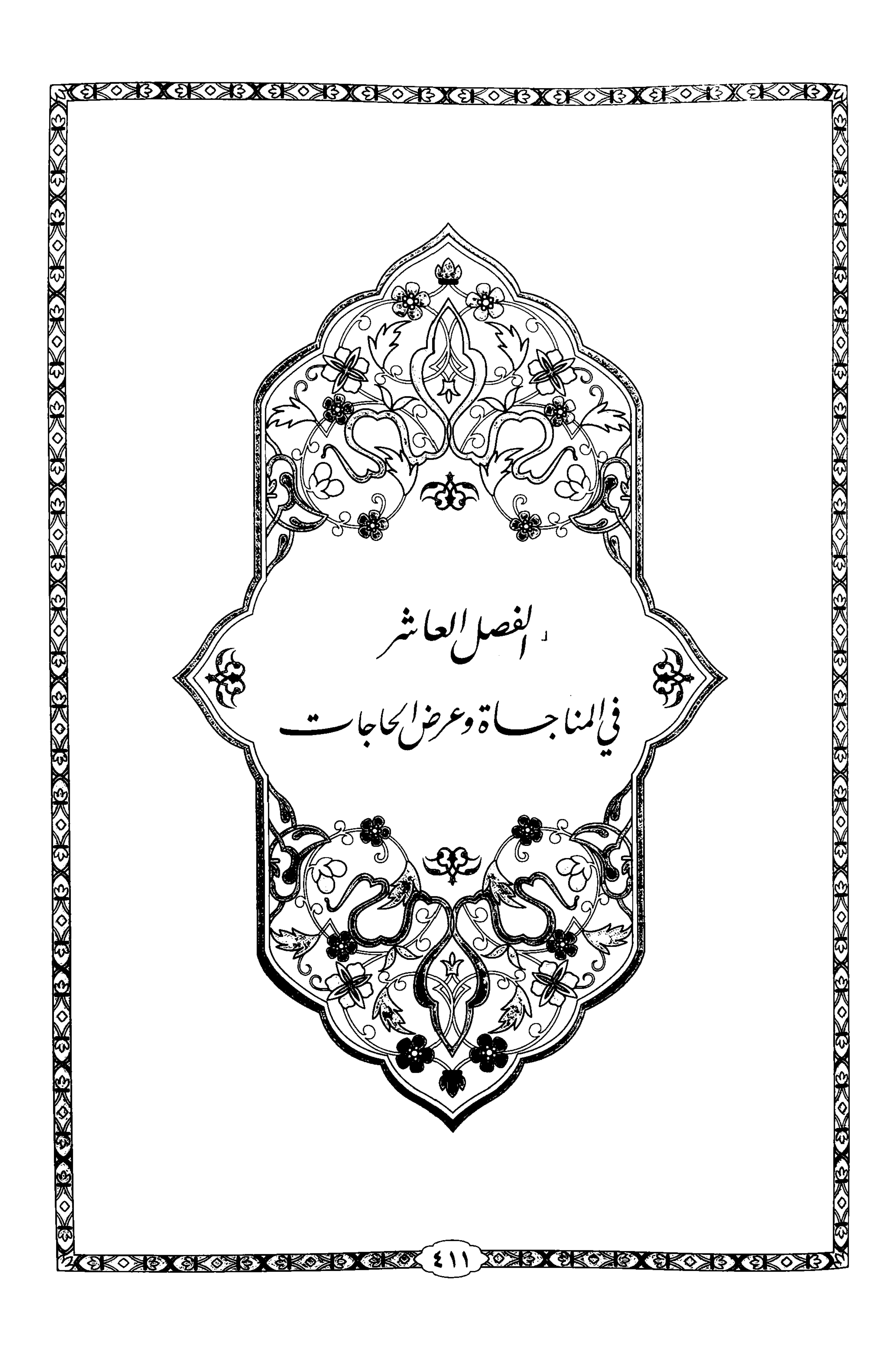
(٢) في النسخ ما عدا (ج) : (الخارقة) بدل (الخارجة) ، ومن غُرر قصائده فيه:
القصيدة التي أولها : (من البسيط)

قِفْ بالديار التي لم يعفُها القِدَمُ ... بَلىٰ وغيَّرها الأرواح والدِّيَمُ

وفيها يقول :

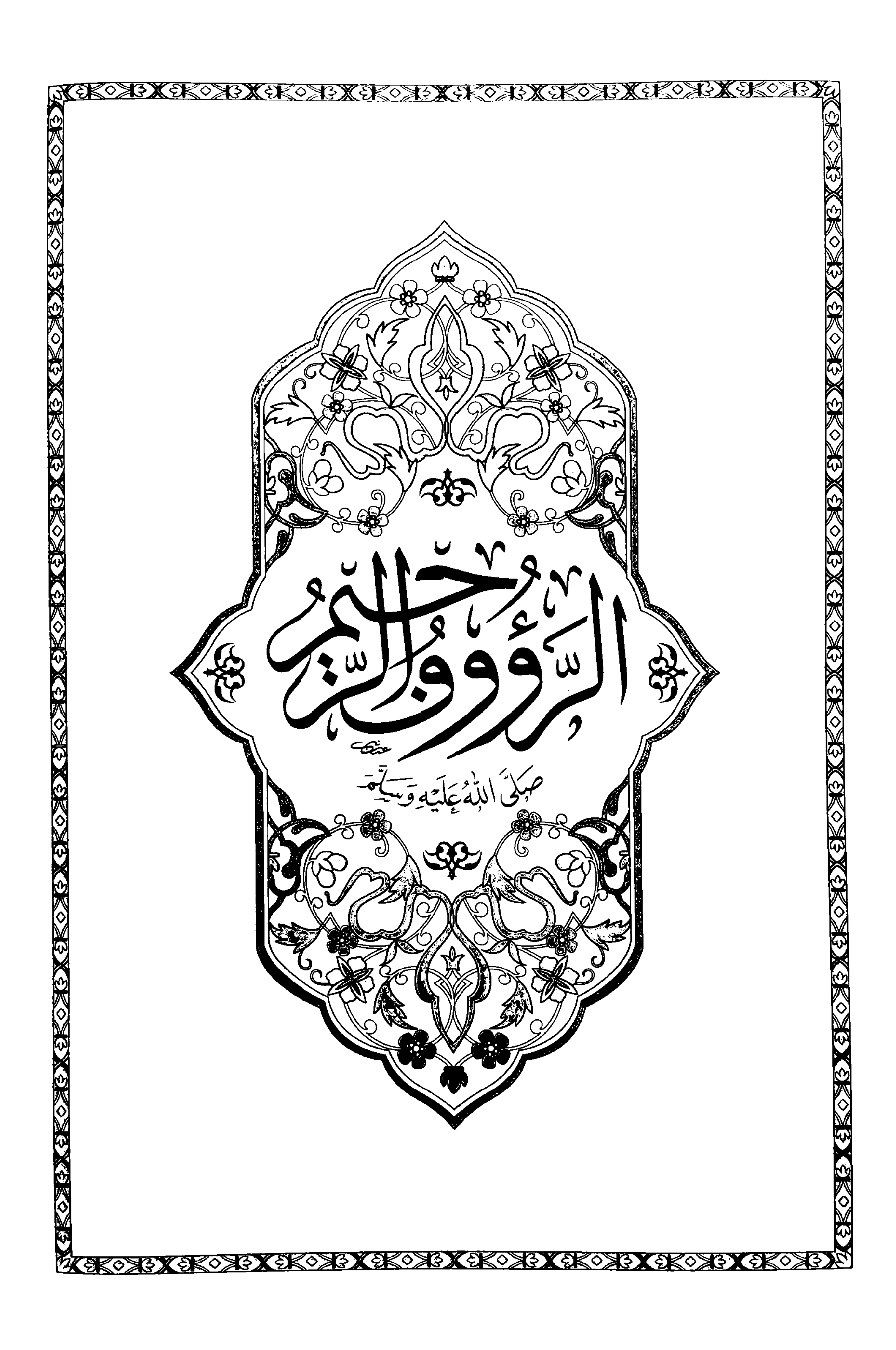
إنَّ البخيلَ مَلومٌ حيث كان ولٰـ ... ـكنَّ الجوادَ علىٰ عِلَّاته هَرِمُ
هو الجوادُ الذي يُعطيك نائلَهُ ... عفواً ويُظلَمُ أحياناً فيَظَّلِمُ
وإن أتاه خليلٌ يومَ مسألةٍ ... يقول لا غائبٌ مالي ولا حرِمُ

وانظر « ديوانه » (ص١١٣ ، ١١٥) .



الفصل العاشر

في المناجاة وعرض الحاجات


الرؤوف الرحيم
صلى الله عليه وسلم



البيت الرابع والخمسون بعد المئة

يَا أَكْرَمَ ٱلْخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ۝ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ ٱلْحَادِثِ ٱلْعَمِمِ

ثمَّ مالَ الناظمُ رحمَهُ اللهُ بعدَ المدحِ علىٰ سبيلِ الإخبارِ عنِ الغائبِ إلى المُواجَهةِ إليهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأقبلَ بالخطابِ عليهِ ؛ فقالَ :

إيَّاكَ أعني وأنتَ أردتُ (يا أكرمَ الخَلْقِ ؛ ما لي مَنْ ألوذُ بهِ سِواكَ عندَ حُلولِ الحادثِ العَمِمِ) أيِ : الطويلِ كَرْبُهُ ، الشديدِ مشقتُهُ وخَطْبُهُ[1] .

* * *

(١) قال ابن مرزوق في « إظهار صدق المودة » (ق/ ٣٧٢) : (من قوله : « إن آتِ ذنباً . . . » إلى هنا : هو ثناءٌ عليه صلى الله عليه وسلم ومدح على سبيل الإخبار عن الغائب ، فلما ذكر من أوصافه الكريمة ما ذكر بحسَب ما فتح اللهُ عليه منها . . التفتَ بالمواجهة إليه ومُقبلاً بالخطاب عليه ؛ فقال : إيَّاكَ أعني وأنتَ أردتُ يا أكرمَ الخلق يا محمدُ ؛ فإني ليس لي من ألجأُ إليه وأعتصمُ به عند نزول الخطب المُلِمِّ والأمرِ المُدلَهِمِّ ـ وهو وقوعُ الحادثِ الطويلِ كربُه ، الشديدِ مشقَّتُه وخَطْبُه ؛ وهو حادثُ يوم القيامة ؛ يوم الحسرة والندامة ـ سواكَ وسوىٰ جاهك وحرمتك عند مولاك ؛ فإنَّ ذلكَ مقامٌ لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنونَ إلا من أتى اللهَ بقلب سليم ، ومن عاذ بجاهك الرفيع العظيم) .



البيت الخامس والخمسون بعد المئة

وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ ٱللهِ جَاهُكَ بِي   إِذَا ٱلْكَرِيمُ تَحَلَّىٰ بِٱسْمِ مُنْتَقِمِ

(ولن يَضِيقَ) يا (رسولَ اللهِ جاهُكَ بي) أي : عنِّي أو بسببي في كوني التجأتُ إليهِ في التوسُّلِ بهِ لاستنقاذي ممَّا أستحقُّهُ مِنَ العقابِ ؛ وذلكَ (إذا الكريمُ) سبحانَهُ وتعالىٰ (تحلَّىٰ) بالمهملةِ ؛ أي : اتَّصفَ (باسمٍ) أي : بمُسمَّىٰ (مُنتقِمٍ) ، وذلكَ حينَ يقعُ الانتقامُ مِنَ العُصاةِ ويُستشفَعُ إلى المُرسَلينَ ، فكلٌّ يقولُ : نَفْسي نَفْسي ، وأنتَ صلَّى اللهُ عليكَ وسلَّمَ تقولُ : « أُمَّتي أُمَّتي »[1] .

فإن قيلَ : في كلامِهِ إشكالٌ كبيرٌ ، وقَلَقٌ عسيرٌ ؛ لأنَّ قولَهُ : (إذا الكريمُ تحلَّىٰ) يقتضي : أنَّ الكريمَ يتَّصِفُ في الزمنِ المُستقبَلِ بمُنتقِمٍ ؛ لأنَّ (إذا) للاستقبالِ ، ولأنَّ (تحلَّىٰ) في حيِّزِها ، والماضي الذي في سِياقِ الشرطِ مُستقبَلُ المعنىٰ ، فمعناهُ يتَّصِفُ بالمُستقبَلِ ، وصفاتُ اللهِ تعالىٰ قديمةٌ لم تَزَلْ ولا تزالُ ، **هٰذا هوَ الإشكالُ** .

وأمَّا القلقُ : ففي قولِهِ : (باسمِ مُنتقِمٍ) فإنَّ الاسمَ عندَ أهلِ السُّنةِ هوَ المُسمَّىٰ ؛ نحوُ : ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾[2] ؛ أي : ذاتِهِ .

فـ (الكريمُ) في البيتِ : بمعنى المُسمَّىٰ ، و(اسمٍ) : بمعنى المُسمَّىٰ أيضاً ، و(منتقمٍ) أيضاً : بمعنى المُسمَّىٰ ، فيكونُ التقديرُ : (إذا اتَّصفَ

---

(١) حديث الشفاعة : أخرجه البخاري (٧٥١٠) ، ومسلم (١٩٣/٣٢٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) سورة الواقعة : (٧٤) .

المُسمَّى الذي هوَ الكريمُ بمُسمَّى الذي هوَ الاسمُ المُسمَّى الذي هوَ مُنتقِمٌ)، وهـٰذا كما ترىٰ .

وأيضاً : يُؤذِنُ كلامُهُ باجتماعِ صفتَي الفعلِ المُتضادَّتَينِ في وقتٍ واحدٍ ؛ **فإنَّ المرادَ بالكرمِ** : التجاوزُ أو ما يتضمَّنُهُ ، **والمرادَ بالانتقامِ** : المُؤاخَذةُ بالذنبِ ، ولا يتأتَّى اجتماعُهُما في الوقتِ الواحدِ في المحلِّ الواحدِ .

فالجوابُ : إذا تقرَّرَ أنَّ الكريمَ في وجهٍ والمنتقمَ صفتانِ فعليَّتانِ . . فالكريمُ مَنْ لهُ الكرمُ ، والمنتقمُ مَنْ لهُ الانتقامُ ؛ كما أنَّ الخالقَ مَنْ لهُ الخَلْقُ ، والصفةُ الفعليَّةُ لا يرجعُ مِنْ معناها إلى الفاعلِ معنىً قائمٌ بهِ ، **هـٰذا هوَ الصحيحُ مِنْ مذهبِ أهلِ السُّنَّةِ** ، وهوَ مذهبُ الشيخِ أبي الحسنِ الأشعريِّ ؛ ولذا قالَ أئمَّتُنا رحمَهُمُ اللهُ : لا يتَّصِفُ الباريُّ تعالىٰ بكونِهِ خالقاً في الأزلِ إلا مجازاً .

وقالَ الشيخُ أبو الحسنِ : (مِنْ أسمائِهِ تعالىٰ ما يُقالُ : إنَّهُ غيرُهُ ؛ وهوَ كلُّ ما دلَّتِ التسميةُ بهِ علىٰ فعلٍ ؛ كالخالقِ) .

وذهبَ بعضُ أئمَّةِ أهلِ السُّنةِ : إلىٰ أنَّ كلَّ اسمٍ هوَ المُسمَّىٰ بعينِهِ ؛ فالخالقُ هوَ الاسمُ وهوَ الربُّ تعالىٰ ، وليسَ الخالقُ اسماً للخلقِ ، ولا الخلقُ اسماً للخالقِ .

والمَرْضِيُّ : طريقُ الشيخِ أبي الحسنِ ، نقلَ القولَينِ الإمامُ أبو المعالي في « الإرشادِ » وغيرُهُ ، **فكلامُ الناظمِ علىٰ طريقِ الشيخِ لا إشكالَ فيهِ**[1] .

نعم ؛ يبقى النظرُ في قولِهِ : (تحلَّىٰ) فإنَّ معناهُ كما تقدَّم : اتَّصفَ ،

---

(١) الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلَّة (ص١٤٢) ، وانظر « المقصد الأسنىٰ » للإمام الغزالي (ص٥٣) وما بعدها ؛ فإنه أشبع القول في هـٰذه المسألة .

وقد سبقَ أَنَّهُ لا يرجعُ مِنَ الصفةِ الفعليَّةِ إلى الفاعلِ معنىً ، فيكونُ ضمَّنَ معنىٰ (تحلَّىٰ) : دُعِيَ ؛ أي : يُدعىٰ في ذلكَ المقامِ باسمِ مُنتقِمٍ .

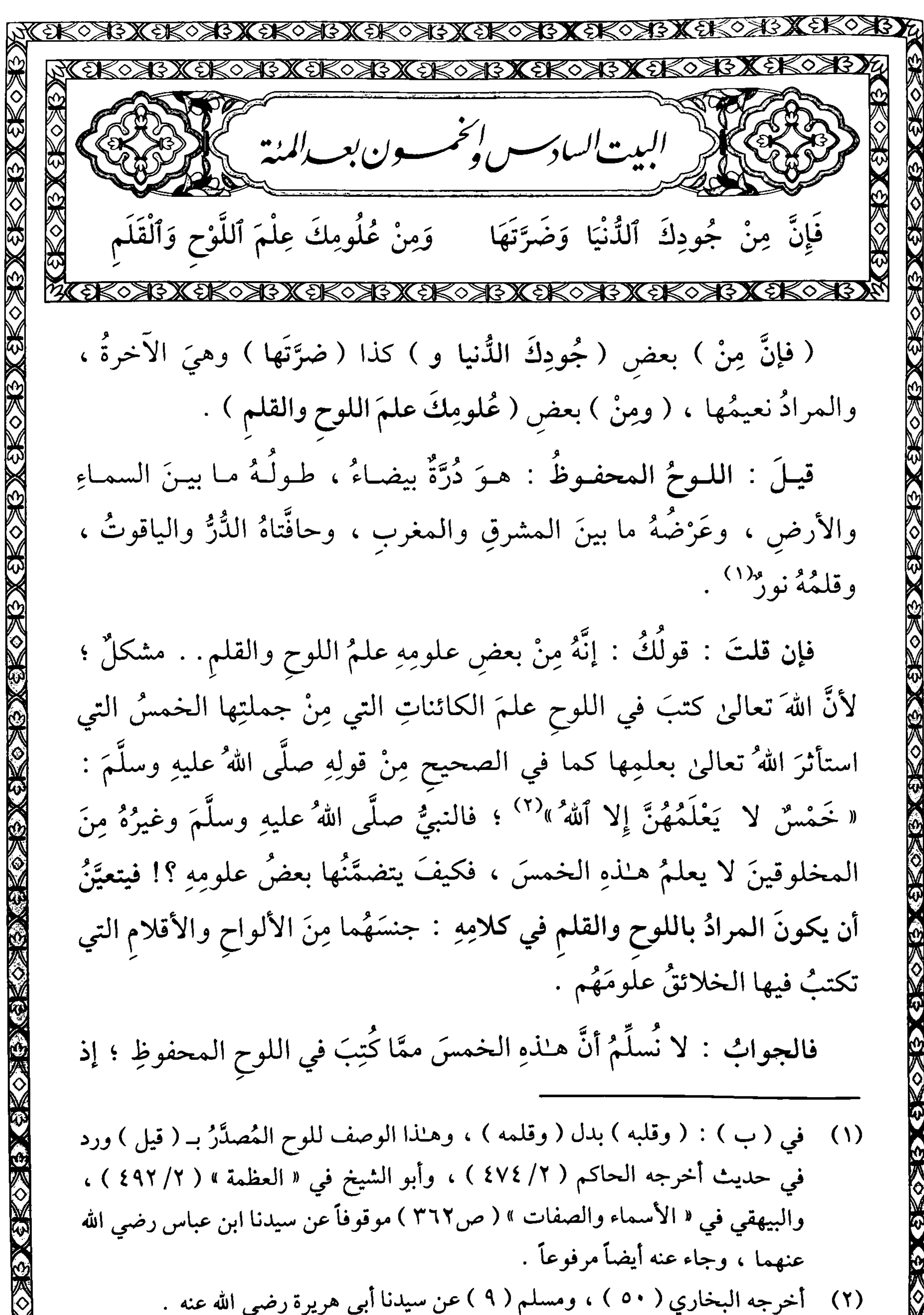
وأمَّا القلقُ : فيزولُ إذا قُلْنا : ضمَّنَ (تحلَّىٰ) : معنىٰ (دُعِيَ) .

وبالجملةِ : لو بدَّلَ هٰذهِ الألفاظَ بغيرِها . . **لكانَ أَوْلىٰ** ؛ فإنَّ المقامَ ضيِّقٌ .

ويحتملُ : **أن يكونَ المرادُ بالكريمِ والمنتقمِ** : جنسَ مَنِ اتَّصفَ مَنْ شأنُهُ الكرمُ والتجاوزُ عنِ الهَفَواتِ بمدلولِ اسمِ مُنتقِمٍ ؛ أي : تتبدَّلُ صفاتُهُ مِنَ الكرمِ إلى الانتقامِ والأخذِ بالجرائمِ ؛ وذلكَ لما يرىٰ مِنْ هولِ الموقفِ ، فكلُّ أحدٍ في ذلكَ اليومِ يشتهي أن يدورَ لهُ الحقُّ ولو علىٰ أبيهِ وابنِهِ وأقربِ الناسِ إليهِ ليستكثرَ بهِ في استجلابِ الثوابِ ودَفْعِ العقابِ .

وعلىٰ هٰذا الوجهِ : يندفعُ الاعتراضُ الواردُ على الوجهِ الآخَرِ .

* * *



البيت السادس والخمسون بعد المئة

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ ٱلدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ ٱللَّوْحِ وَٱلْقَلَمِ

(فإنَّ مِنْ) بعضِ (جُودِكَ الدُّنيا و) كذا (ضرَّتَها) وهيَ الآخرةُ ، والمرادُ نعيمُها ، (ومِنْ) بعضِ (عُلومِكَ علمَ اللوحِ والقلمِ) .

قيلَ : اللوحُ المحفوظُ : هوَ دُرَّةٌ بيضاءُ ، طولُهُ ما بينَ السماءِ والأرضِ ، وعَرْضُهُ ما بينَ المشرقِ والمغربِ ، وحافَّتاهُ الدُّرُّ والياقوتُ ، وقلمُهُ نورٌ[1] .

فإن قلتَ : قولُكُ : إنَّهُ مِنْ بعضِ علومِهِ علمُ اللوحِ والقلمِ . . مشكلٌ ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ كتبَ في اللوحِ علمَ الكائناتِ التي مِنْ جملتِها الخمسُ التي استأثرَ اللهُ تعالىٰ بعلمِها كما في الصحيحِ مِنْ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خَمْسٌ لا يَعْلَمُهُنَّ إلا ٱللهُ »[2] ؛ فالنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وغيرُهُ مِنَ المخلوقينَ لا يعلمُ هـٰذهِ الخمسَ ، فكيفَ يتضمَّنُها بعضُ علومِهِ ؟! فيتعيَّنُ أن يكونَ المرادُ باللوحِ والقلمِ في كلامِهِ : جنسَهُما مِنَ الألواحِ والأقلامِ التي تكتبُ فيها الخلائقُ علومَهُم .

فالجوابُ : لا نُسلِّمُ أنَّ هـٰذهِ الخمسَ ممَّا كُتِبَ في اللوحِ المحفوظِ ؛ إذ

---

(١) في (ب) : (وقلبه) بدل (وقلمه) ، وهـٰذا الوصف للوح المُصدَّرُ بـ (قيل) ورد في حديث أخرجه الحاكم (٢/ ٤٧٤) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٢/ ٤٩٢) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٦٢) موقوفاً عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وجاء عنه أيضاً مرفوعاً .

(٢) أخرجه البخاري (٥٠) ، ومسلم (٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

لو كانتْ ممَّا كُتِبَ في اللوحِ . . لاطَّلعَ عليها بعضُ الملائكةِ المُقرَّبينَ عليهِمُ السلامُ ممَّنْ شأنُهُ أن يطَّلِعَ على اللوحِ المحفوظِ .

ولئن سلَّمْنا أنَّها فيهِ وأنَّ اللهَ لم يُطلِعْ عليها أحداً وإن كانتْ فيهِ . . فالمعنىٰ : وبعضُ علومِكَ علمُ اللوحِ والقلمِ الذي يطَّلعُ عليهِ المخلوقُ .

* * *



البيت السابع والخمسون بعد المئة

يَا نفْسِ لا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ إنَّ ٱلْكَبَائِرَ فِي ٱلْغُفْرَانِ كَٱللَّمَمِ

ثمَّ أقبلَ رحمَهُ اللهُ على نفسِهِ يُخاطِبُها بتحقيقِ رجائِهِ ، ويُؤنِسُها لئلا يؤولَ بها شدَّةُ الخوفِ إلى القُنوطِ مِنْ رحمةِ اللهِ تعالىٰ ؛ فقالَ :

(**يا نفسِ لا تقنطي مِنْ**) عفوِ (**زَلَّةٍ عظُمَتْ**) فإنَّ فضلَهُ تعالىٰ عظيمٌ ، وحلمَهُ وعفوَهُ عنِ الذنبِ عميمٌ ، و(**إنَّ الكبائرَ**) العِظامَ كالذي ارتكبتِهِ أنتِ أيَّتُها النفسُ (**في**) جانبِ (**الغُفْرانِ**) منهُ سبحانَهُ وتعالىٰ . . (**كاللَّمَمِ**) وهيَ صغائرُ الذنوبِ ؛ فإنَّهُ وردَ أنَّهُ تعالىٰ يغفرُ الصغائرَ باجتنابِ الكبائرِ[1] ، فكذلكَ يعفو عنِ الكبائرِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ بفضلِهِ وكرمِهِ وشفاعةِ نبيِّهِ عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ[2] .

وما ذكرَهُ الناظمُ مِنْ أنَّ الكبائرَ في جوازِ العفوِ عنها كاللَّمَمِ . . هوَ مذهبُ أهلِ الحقِّ والسنةِ[3] ، وهوَ الموافقُ للقرآنِ والحديثِ ، والدليلِ العقليِّ ؛

---

(١) قال تعالىٰ : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء : ٣١] ، وجاء في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٦/٢٣٣) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « الصلواتُ الخمسُ ، والجمعةُ إلى الجمعةِ ، ورمضانُ إلىٰ رمضانَ . . مُكفِّراتٌ ما بينَهنَّ إذا اجتنبَ الكبائرَ » ، وقال الباجوري في « تحفة المريد » (ص٢٨٦) : (وهـٰذا كله في الذنوب المُتعلِّقة بحقوق الله تعالىٰ ، وأما المُتعلِّقةُ بحقوق الآدميِّين . . فلا بدَّ فيها من المُقاصَّة) .

(٢) وجاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٤٧٣٩) ، والترمذي (٢٤٣٥) وغيرهما من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً : « شفاعتي لأهلِ الكبائرِ من أُمَّتي » .

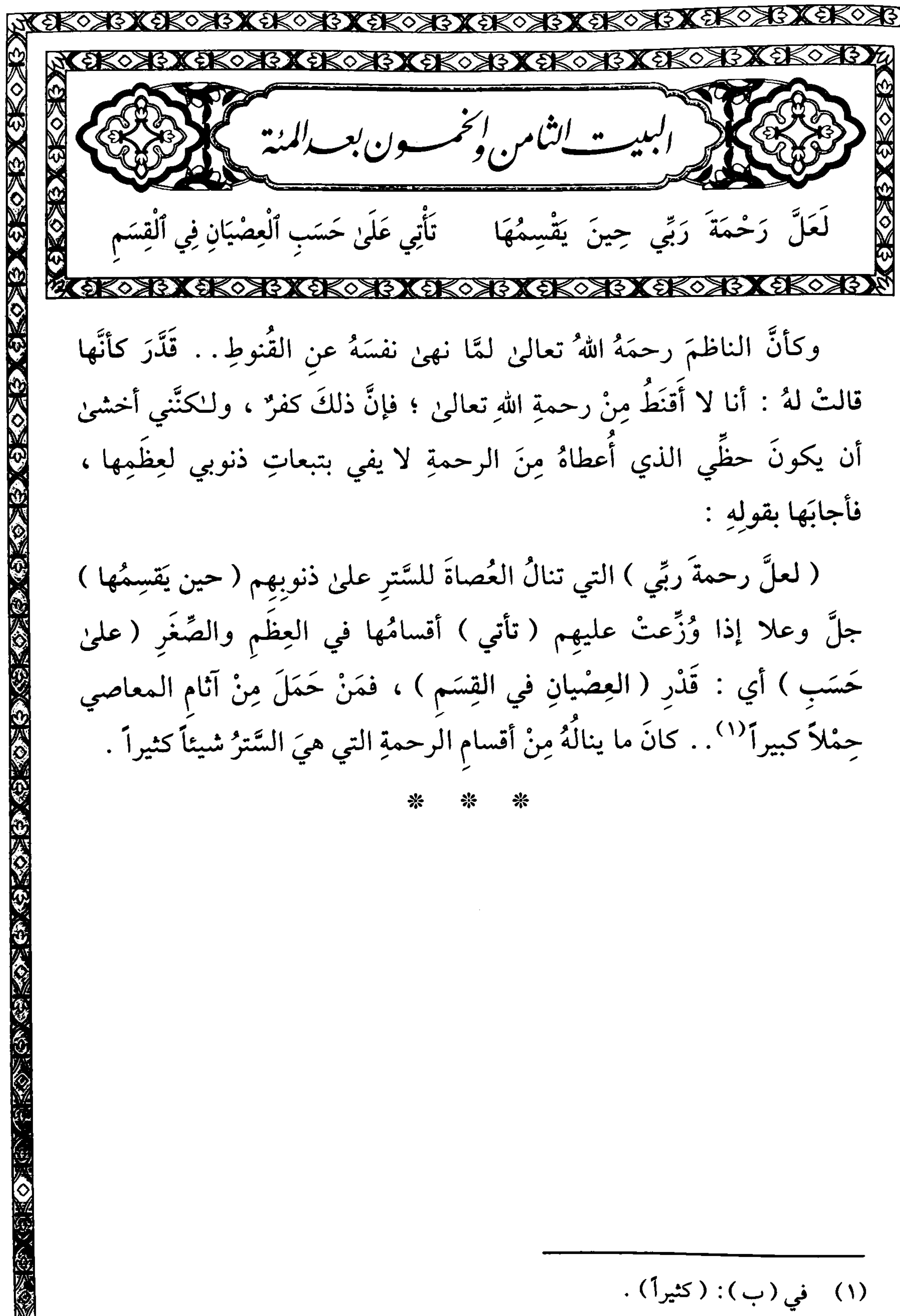
(٣) خلافاً للخوارج والمعتزلة ؛ أما **الخوارج** : فإنهم كفَّروا مرتكب الذنوب ، وجعلوا =

لأنَّهُ تعالىٰ لا يجبُ عليهِ ثوابٌ ولا يتحتَّمُ عليهِ عقابٌ ؛ فالثوابُ منهُ فضلٌ ، والعقابُ منهُ عدلٌ ، لا يُسأَلُ عمَّا يفعلُ وهم يُسأَلونَ .

والأصلُ : (يا نفسي) مُضافاً إلىٰ ياءِ المُتكلِّمِ ، وحُذِفَتِ ؛ استغناءً عنها بالكسرةِ .

* * *

= جميع الذنوب كبائرَ ، وأما المعتزلة : فأخرجوا مرتكب الكبيرة من الإيمان ، ولم يدخلوه في الكفر إلا باستحلال ، فجعلوه منزلةً بين المنزلتين . انظر « تحفة المريد » (ص٣٠٨) .



البيت الثامن والخمسون بعد المئة

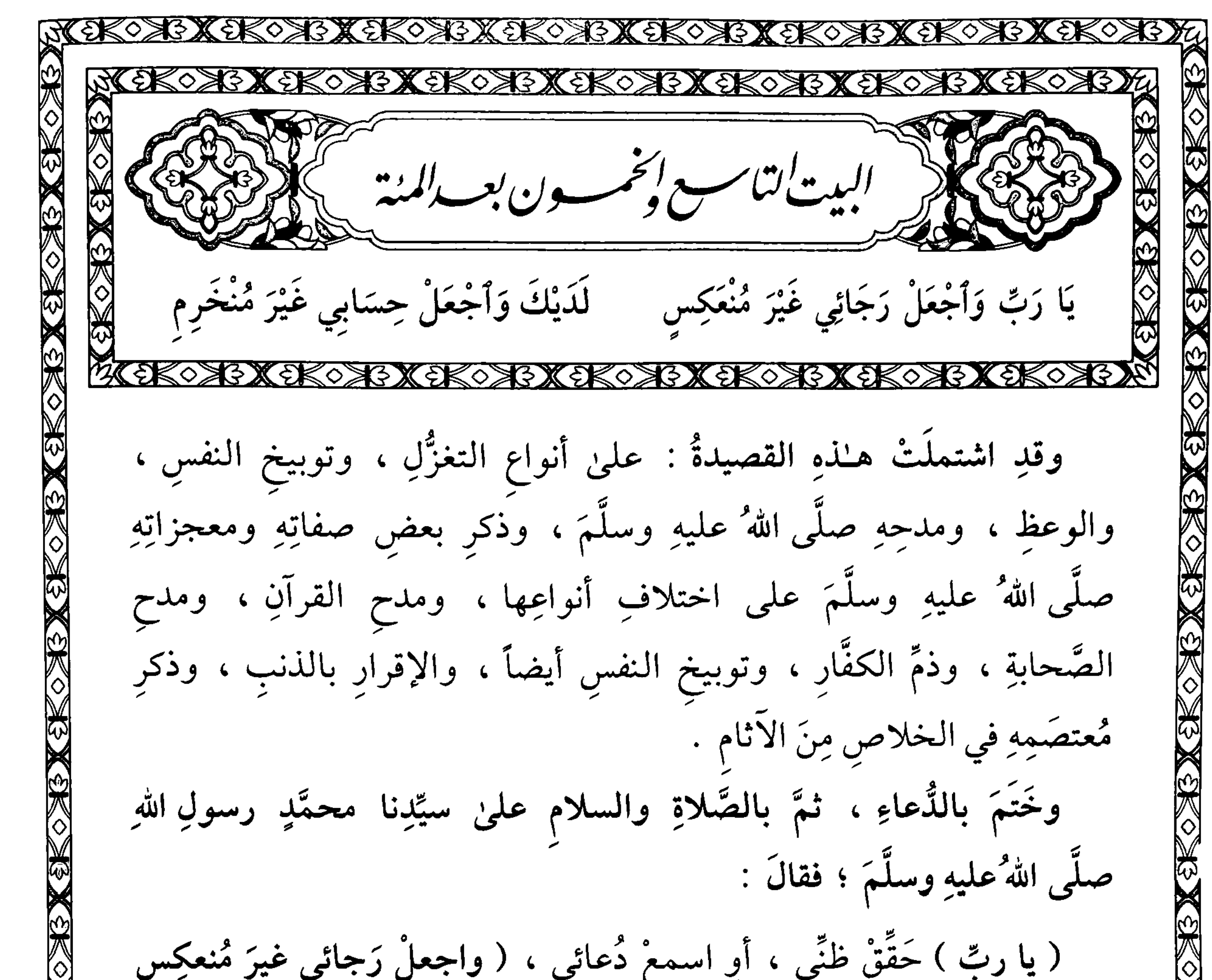
لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا ... تَأْتِي عَلَىٰ حَسَبِ ٱلْعِصْيَانِ فِي ٱلْقِسَمِ

وكأنَّ الناظمَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ لمَّا نهىٰ نفسَهُ عنِ القُنوطِ . . قَدَّرَ كأنَّها قالتْ لهُ : أنا لا أَقنَطُ مِنْ رحمةِ اللهِ تعالىٰ ؛ فإنَّ ذلكَ كفرٌ ، ولٰكنَّني أخشىٰ أن يكونَ حظِّي الذي أُعطاهُ مِنَ الرحمةِ لا يفي بتبعاتِ ذنوبي لعِظَمِها ، فأجابَها بقولِهِ :

(لعلَّ رحمةَ ربِّي) التي تنالُ العُصاةَ للسَّترِ علىٰ ذنوبِهِم (حين يَقسِمُها) جلَّ وعلا إذا وُزِّعتْ عليهِم (تأتي) أقسامُها في العِظَمِ والصِّغَرِ (علىٰ حَسَبِ) أي : قَدْرِ (العِصْيانِ في القِسَمِ) ، فمَنْ حَمَلَ مِنْ آثامِ المعاصي حِمْلاً كبيراً[1] . . كانَ ما ينالُهُ مِنْ أقسامِ الرحمةِ التي هيَ السَّترُ شيئاً كثيراً .

* * *

(١) في (ب) : (كثيراً) .



البيت التاسع والخمسون بعد المئة

يَا رَبِّ وَٱجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ ... لَدَيْكَ وَٱجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ

وقدِ اشتملَتْ هـٰذهِ القصيدةُ : علىٰ أنواعِ التغزُّلِ ، وتوبيخِ النفسِ ، والوعظِ ، ومدحِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وذكرِ بعضِ صفاتِهِ ومعجزاتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على اختلافِ أنواعِها ، ومدحِ القرآنِ ، ومدحِ الصَّحابةِ ، وذمِّ الكفَّارِ ، وتوبيخِ النفسِ أيضاً ، والإقرارِ بالذنبِ ، وذكرِ مُعتصَمِهِ في الخلاصِ مِنَ الآثامِ .

وخَتَمَ بالدُّعاءِ ، ثمَّ بالصَّلاةِ والسلامِ علىٰ سيِّدِنا محمَّدٍ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فقالَ :

(**يا ربِّ**) حَقِّقْ ظنِّي ، أوِ اسمعْ دُعائي ، (**واجعلْ رَجائي غيرَ مُنعكِسٍ لديكَ**) يومَ القيامةِ حيثُ يكونُ الثوابُ والعقابُ .

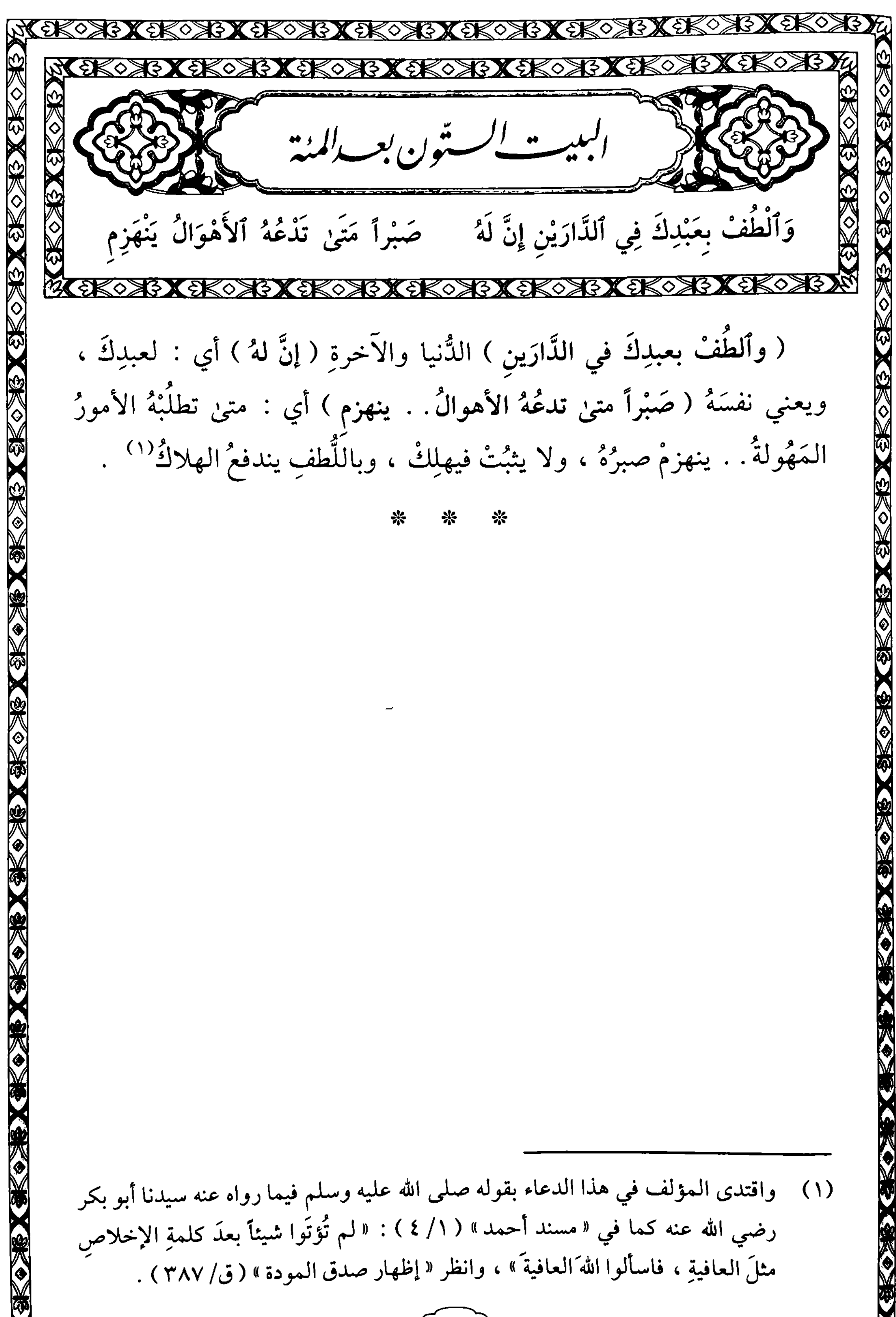
(**واجعلْ حِسابي**) وهوَ ظنِّي الجميلُ فيكَ أن تعفوَ عن زلَّاتي وتُنيلَني مِنْ فضلِكَ ما أمَّلتُهُ مِنْ كراماتِكَ التي تُكرِمُني بها . . (**غيرَ مُنخرِمٍ**) ذلكَ الظنُّ ؛ أي : غيرَ ناقصٍ لديكَ ، بل أجدُهُ حَسَبما قدَّرتُهُ ، كما قالَ الآخَرُ الذي غلبَ عليهِ الرجاءُ[1] : [من الطويل]

وَإِنِّي لَأَرْجُو ٱللهَ حَتَّىٰ كَأَنَّنِي ... أَرَىٰ بِجَمِيلِ ٱللُّطْفِ مَا ٱللهُ صَانِعُ

* * *

---

(١) البيت لابن وهيب الحميري ، كما في « لباب الآداب » (ص١٨٦) ، و« خاص الخاص » (ص١١٩) ، وينسب لغيره ، وهـٰذا البيت من غرة شعر الحميري وأمير كلامه ، كما قال الثعالبي .



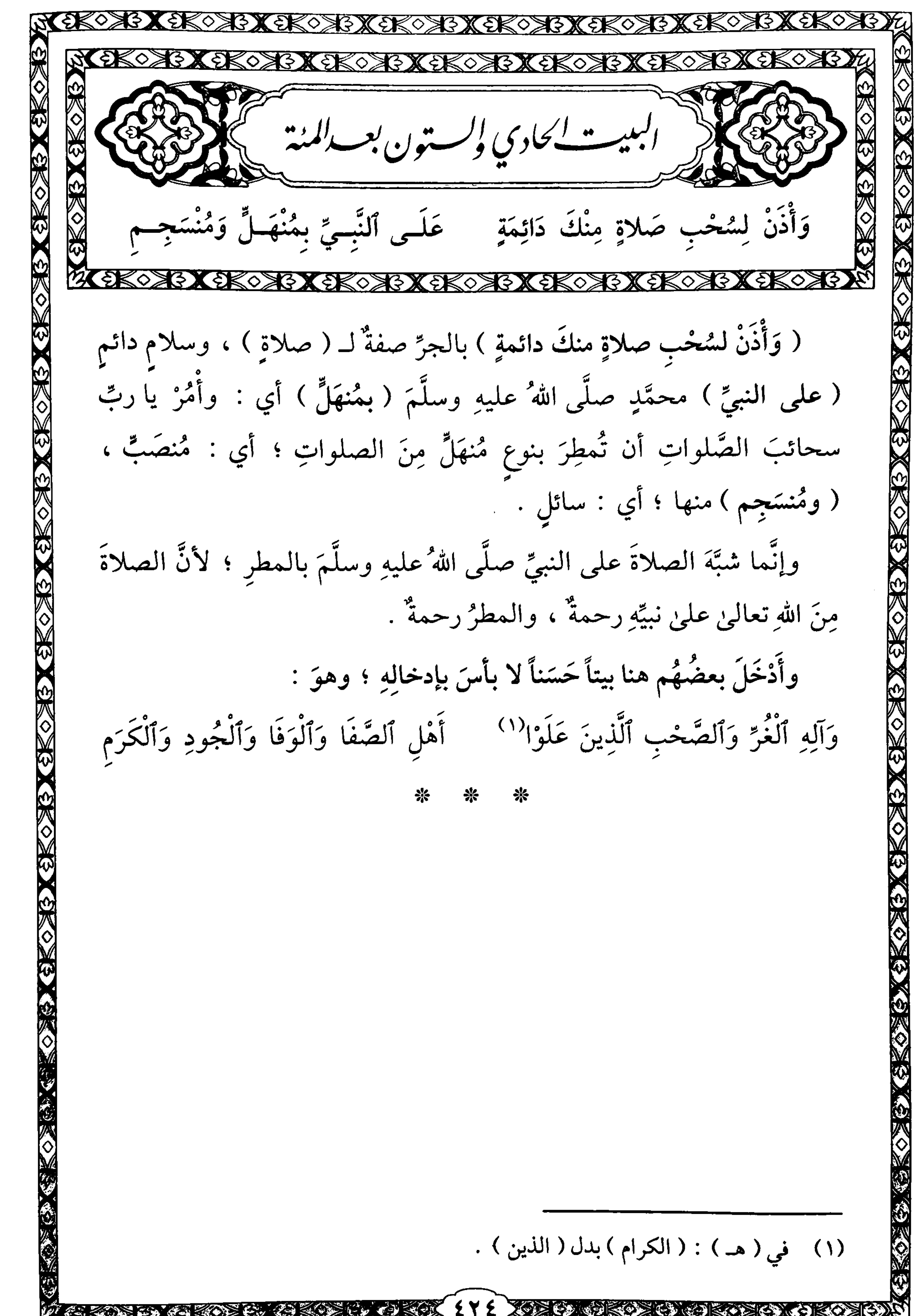
البيت الستون بعد المئة

وَٱلْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي ٱلدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ ... صَبْراً مَتَىٰ تَدْعُهُ ٱلأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ

(وٱلطُفْ بعبدِكَ في الدَّارَينِ) الدُّنيا والآخرةِ (إنَّ لهُ) أي : لعبدِكَ ، ويعني نفسَهُ (صَبْراً متىٰ تدعُهُ الأهوالُ . . ينهزِمِ) أي : متىٰ تطلُبْهُ الأمورُ المَهُولةُ . . ينهزمْ صبرُهُ ، ولا يثبُتْ فيهلِكْ ، وباللُّطفِ يندفعُ الهلاكُ[1] .

* * *

(١) واقتدى المؤلف في هذا الدعاء بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه سيدنا أبو بكر رضي الله عنه كما في « مسند أحمد » (١/ ٤) : « لم تُؤتَوا شيئاً بعدَ كلمةِ الإخلاصِ مثلَ العافيةِ ، فاسألوا اللهَ العافيةَ » ، وانظر « إظهار صدق المودة » (ق/ ٣٨٧) .



البيت الحادي والستون بعد المئة

وَأْذَنْ لِسُحْبِ صَلاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ   عَلَى ٱلنَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ

(وَأْذَنْ لسُحْبِ صلاةٍ منكَ دائمةٍ) بالجرِّ صفةٌ لـ (صلاةٍ) ، وسلامٍ دائمٍ (على النبيِّ) محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (بمُنهَلٍّ) أي : وأْمُرْ يا ربِّ سحائبَ الصَّلواتِ أن تُمطِرَ بنوعٍ مُنهَلٍّ مِنَ الصلواتِ ؛ أي : مُنصَبٍّ ، (ومُنسَجِم) منها ؛ أي : سائلٍ .

وإنَّما شبَّهَ الصلاةَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالمطرِ ؛ لأنَّ الصلاةَ مِنَ اللهِ تعالىٰ علىٰ نبيِّهِ رحمةٌ ، والمطرُ رحمةٌ .

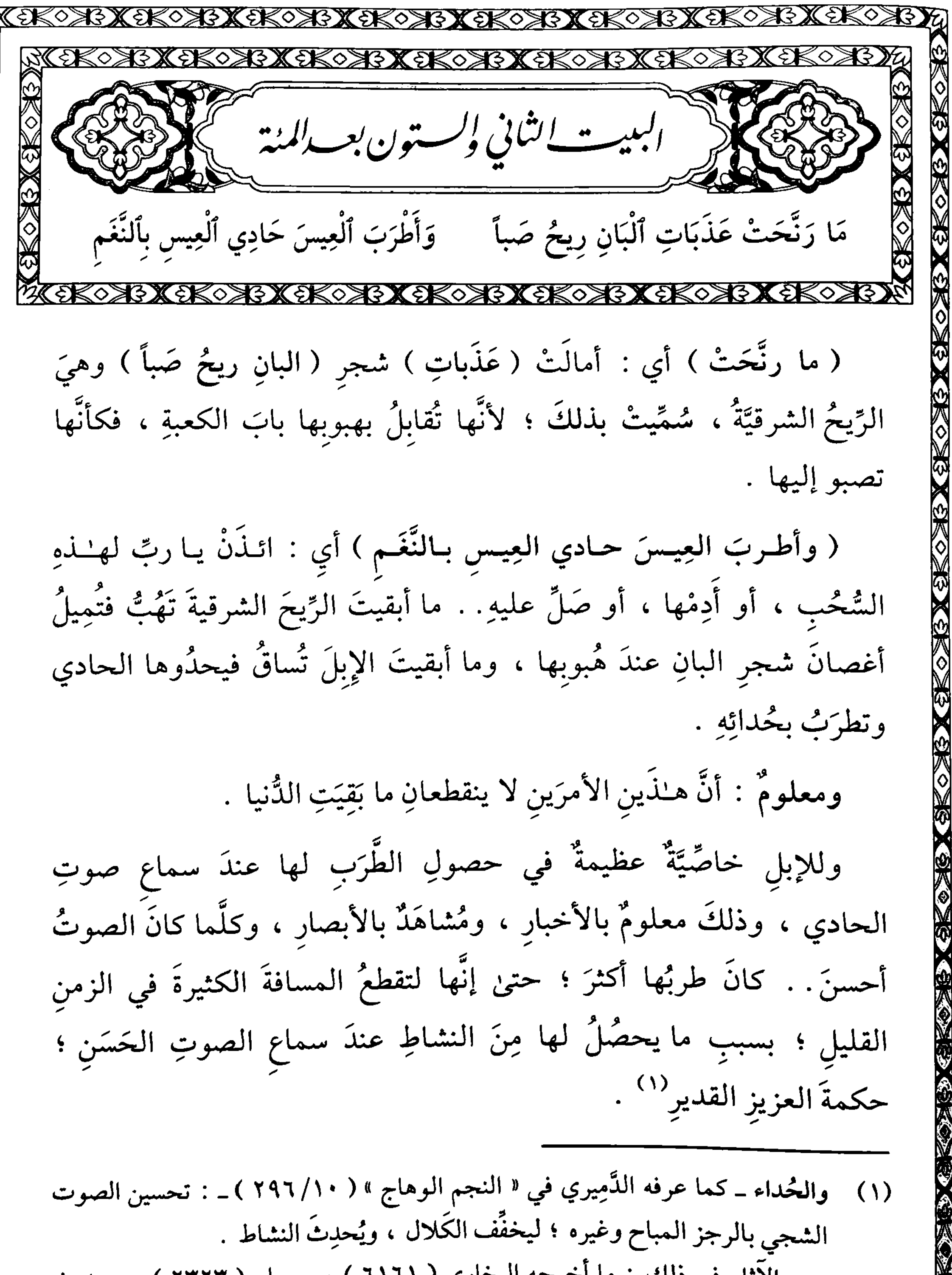
وأَدْخَلَ بعضُهُم هنا بيتاً حَسَناً لا بأسَ بإدخالِهِ ؛ وهوَ :

وَآلِهِ ٱلْغُرِّ وَٱلصَّحْبِ ٱلَّذِينَ عَلَوْا[١]   أَهْلِ ٱلصَّفَا وَٱلْوَفَا وَٱلْجُودِ وَٱلْكَرَمِ

* * *

---

(١) في (هـ) : (الكرام) بدل (الذين) .



البيت الثاني والستون بعد المئة

مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ ٱلْبَانِ رِيحُ صَباً ۝ وَأَطْرَبَ ٱلْعِيسَ حَادِي ٱلْعِيسِ بِٱلنَّغَمِ

(ما رنَّحَتْ) أي : أمالَتْ (عَذَباتِ) شجرِ (البانِ ريحُ صَباً) وهيَ الرِّيحُ الشرقيَّةُ ، سُمِّيتْ بذلكَ ؛ لأنَّها تُقابِلُ بهبوبِها بابَ الكعبةِ ، فكأنَّها تصبو إليها .

(وأطربَ العِيسَ حادي العِيسِ بالنَّغَمِ) أي : ائذَنْ يا ربِّ لهـٰذهِ السُّحُبِ ، أو أَدِمْها ، أو صَلِّ عليهِ . . ما أبقيتَ الرِّيحَ الشرقيةَ تَهُبُّ فتُميلُ أغصانَ شجرِ البانِ عندَ هُبوبِها ، وما أبقيتَ الإِبلَ تُساقُ فيحدُوها الحادي وتطرَبُ بحُدائِهِ .

ومعلومٌ : أنَّ هـٰذَينِ الأمرَينِ لا ينقطعانِ ما بَقِيَتِ الدُّنيا .

وللإبلِ خاصِّيَّةٌ عظيمةٌ في حصولِ الطَّرَبِ لها عندَ سماعِ صوتِ الحادي ، وذلكَ معلومٌ بالأخبارِ ، ومُشاهَدٌ بالأبصارِ ، وكلَّما كانَ الصوتُ أحسنَ . . كانَ طربُها أكثرَ ؛ حتىٰ إنَّها لتقطعُ المسافةَ الكثيرةَ في الزمنِ القليلِ ؛ بسببِ ما يحصُلُ لها مِنَ النشاطِ عندَ سماعِ الصوتِ الحَسَنِ ؛ حكمةَ العزيزِ القديرِ[1] .

---

(١) والحُداء ـ كما عرفه الدَّميري في « النجم الوهاج » (١٠/٢٩٦) ـ : تحسين الصوت الشجي بالرجز المباح وغيره ؛ ليخفِّف الكَلال ، ويُحدِثَ النشاط .
ومن الآثار في ذلك : ما أخرجه البخاري (٦١٦١) ، ومسلم (٢٣٢٣) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، وكان معه غلام له أسودُ يقال له : أَنْجَشَةُ ، يحدو ، فقال له رسول الله صلى الله عليه =

والعِيسُ ـ كما قالَ الجوهريُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ بكسرِ العينِ : الإبلُ البِيضُ يُخالِطُ بياضَها شيءٌ مِنَ الشُّقرةِ[1] .

وإنَّما خصَّ البانَ والعِيسَ ؛ لأنَّهما مِنْ مألوفاتِ الأحبَّةِ ؛ وهمُ العربُ ، وتخصيصُ ريحِ الصَّبا أظهرُ في ذلكَ ؛ لصَبْوِها إلىٰ بابِ الكعبةِ أعظمِ مكانٍ في البلدِ الذي هوَ مسقطُ رأسِ حبيبِهِ وحبيبِ كلِّ مؤمنٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، كما خصَّ بالذكرِ في أولِ بيتٍ مِنْ هـٰذهِ القصيدةِ جبلَ الأحبَّةِ ؛ ليتطابقَ حُسْنُ الابتداءِ وحُسْنُ الاختتامِ في الدَّلالةِ علىٰ أنَّ القلبَ مغمورٌ[2] بذكرِ الأحبَّةِ أوّلاً وآخِراً ووسَطاً .

= وسلم : « ويحَكَ يا أنْجَشَةُ !! رويدَكَ بالقواريرِ » قال الدميري (١٠/٢٩٦) : (أراد : النساءَ ، وشبَّهَهُنَّ بالقوارير من الزجاج ؛ لأنه يسرع إليها الكسر ، وإذا كسرت . . لا تنجبر ؛ وذلك أن الإبل إذا سمعت الحداء . . أسرعت في المشي واشتدَّت ، فأزعجت الراكب وأتعبته ، فنهاه عن ذلك ؛ لأن النساء يضعُفْنَ عن شدة الحركة) .

ومن الأخبار في ذلك : ما أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص٦٨١) : (أن أبا بكر الدِّينوريَّ الدُّقِّيَّ قال : كنت في البادية ، فوافيت قبيلة من قبائل العرب ، وأضافني رجل منهم ، فرأيت غلاماً أسود مقيَّداً هناك ، ورأيت جِمالاً ماتت بفناء البيت ، فقال لي الغلام : أنت الليلة ضيف ، وأنت علىٰ مولاي كريم ، فتشفَّعْ لي ؛ فإنه لا يردُّك ، فقلت لصاحب البيت : لا آكل طعامك حتىٰ تُخلِّيَ هـٰذا العبد ، فقال : هـٰذا الغلام قد أفقرني وأتلف مالي ، فقلت : ما فعل ؟ فقال : له صوت طيب ، وكنت أعيش من ظهر هـٰذه الجمال ، فحمَّلها أحمالاً ثقيلة ، وحدا لها حتىٰ قطعت مسيرة ثلاثة أيام في يوم ، فلمَّا حطَّ عنها . . ماتت كلُّها ، ولـٰكن قد وهبته لك ، وحلَّ عنه القيدَ ، فلما أصبحنا . . أحببت أن أسمع صوته ، فسألته ذلك ، فأمر الغلام أن يحدو علىٰ جمل كان علىٰ بئر هناك يُستقىٰ عليه ، فحدا ، فهَمَّ الجملُ علىٰ وجهه وقطع حباله ، ولم أظنَّ أني سمعت صوتاً أطيب منه ، ووقعتُ لوجهي ، حتىٰ أشار إليه بالسكوت) .

(١) الصحاح (٣/ ٩٥٤) ، مادة : (ع ي س) .
(٢) في (ب ، هـ) : (معمور) .

وفي هـٰذا البيتِ والذي قبلَهُ : براعةُ الخِتامِ ، وسمَّاهُ بعضُهُم : حُسْنَ المقطعِ ، وبعضُهُم : حُسْنَ الخاتمةِ ؛ وهوَ في الشعرِ : عبارةٌ عن خَتْمِ القصيدةِ بأجودِ بيتٍ يحسُنُ السكوتُ عليهِ ؛ لأنَّهُ آخِرُ ما يبقىٰ في الأسماعِ ، وربَّما حُفِظَ دونَ غيرِهِ ؛ لقربِ العهدِ بهِ ؛ فإن كانَ مُختاراً . . جَبَرَ ما عسىٰ أن يقعَ قبلَهُ مِنَ التقصيرِ ، والأعمالُ بخواتيمِها[1] .

ختمَ اللهُ تعالىٰ لي ولوالديّ ولمشايخي ولأحبّائي وللمسلمين
بخاتمةِ السعداءِ ؛ بمنِّهِ وطَوْلِهِ

---

(١) قال الباجوري في « حاشيته على البردة » (ص٩٥) : ويوجد في بعض النسخ أبيات لم يشرح عليها أحد من الشارحين ، ولـٰكن لا بأس بها ؛ وهي :

ثـمَّ الـرِّضـا عـن أبـي بكـرٍ وعـن عمـرٍ ... وعـن علـيٍّ وعـن عثمـانَ ذي الكَـرَمِ
والآلِ والصحـبِ ثـمَّ التـابعيـنَ فهُـمْ ... أهـلُ التُّقـىٰ والنَّقـا والحِلْـمِ والكَـرَمِ
يـا ربِّ بـالمصطفـىٰ بَلِّـغْ مقـاصـدَنـا ... واغفِـرْ لنـا مـا مضـىٰ يـا واسـعَ الكَـرَمِ
واغفِـرْ إلـٰهـي لكـلِّ المسلميـنَ بمـا ... يتلوهُ في المسجدِ الأقصىٰ وفي الحَرَمِ
بجـاهِ مَـنْ بيتُـهُ فـي طيبـةٍ حَـرَمٌ ... وإسمُـهُ قَسَـمٌ مِـن أعظـمِ القَسَـمِ
وهـٰـذهِ بـردةُ المختـارِ قـد خُتِمَـتْ ... والحمـدُ للهِ فـي بَـدْءٍ وفـي خَتَـمِ
أبيـاتُهـا قـد أتَـتْ ستِّيـنَ مـعْ مئـةٍ ... فَـرِّجْ بهـا كـربَنـا يـا واسـعَ الكَـرَمِ

خاتمة الشارح

والحمدُ للهِ وحدَهُ ، وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدِنا محمَّدٍ وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ وسلَّمَ ، وحسبيَ اللهُ ونعمَ الوكيلُ .

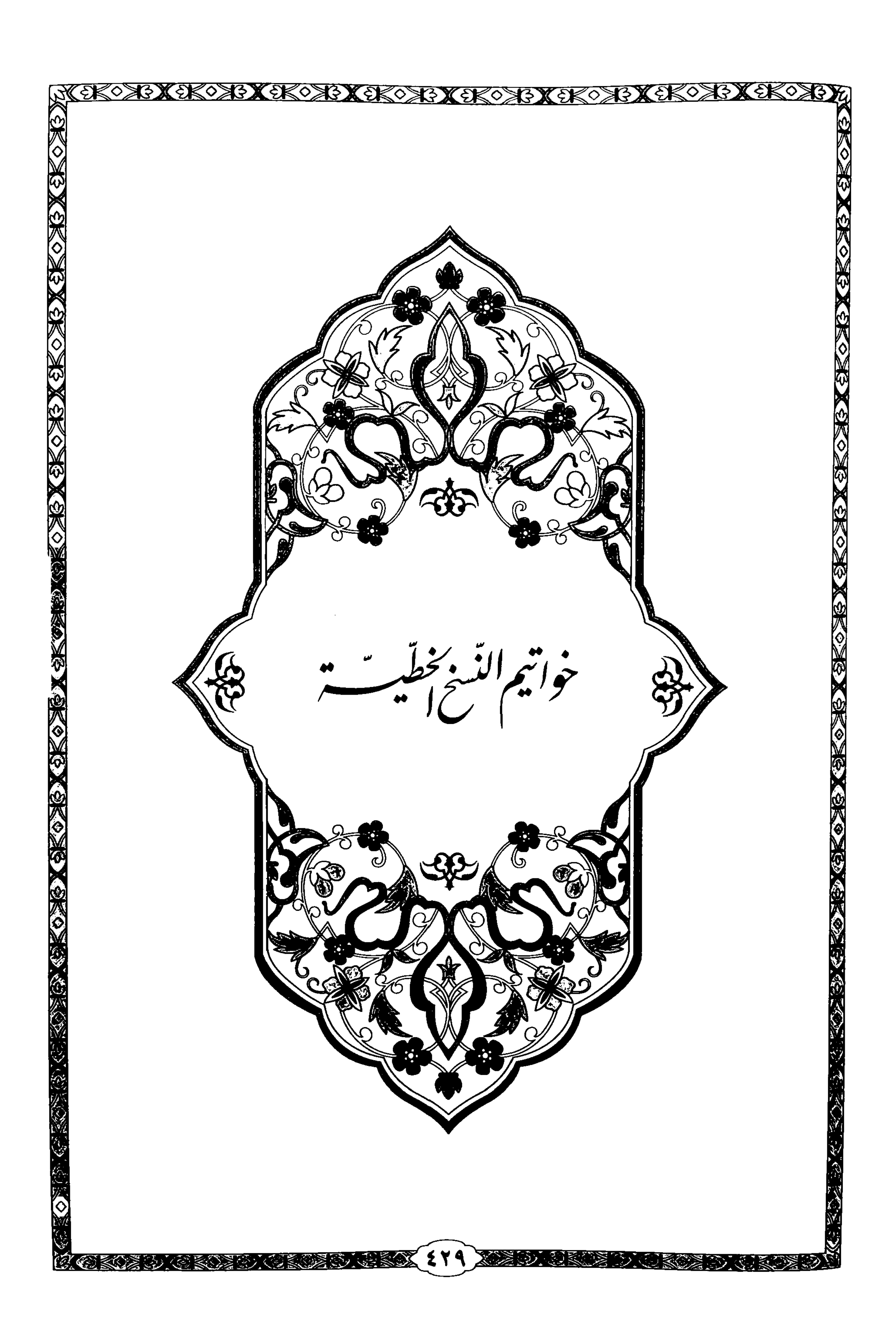
وأستودعُ اللهَ تعالىٰ نفسي وديني وخواتيمَ عَمَلي وأحبَّائي ، وما أنعمَ بِهِ عليَّ وإخواني والمسلمينَ ؛ فإنَّهُ سبحانَهُ إذا استُودِعَ شيئاً حفظَهُ ، ونعمَ الحفيظُ ؛ فإنَّكَ لا تخيبُ ودائعُكَ .

بنورِ وجهِكَ أَطِلْ عمري في طاعتِكَ ، وأَلْبِسْني أثوابَ عافيتِكَ والمسلمينَ ، بجاهِ سيدِ المرسلينَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

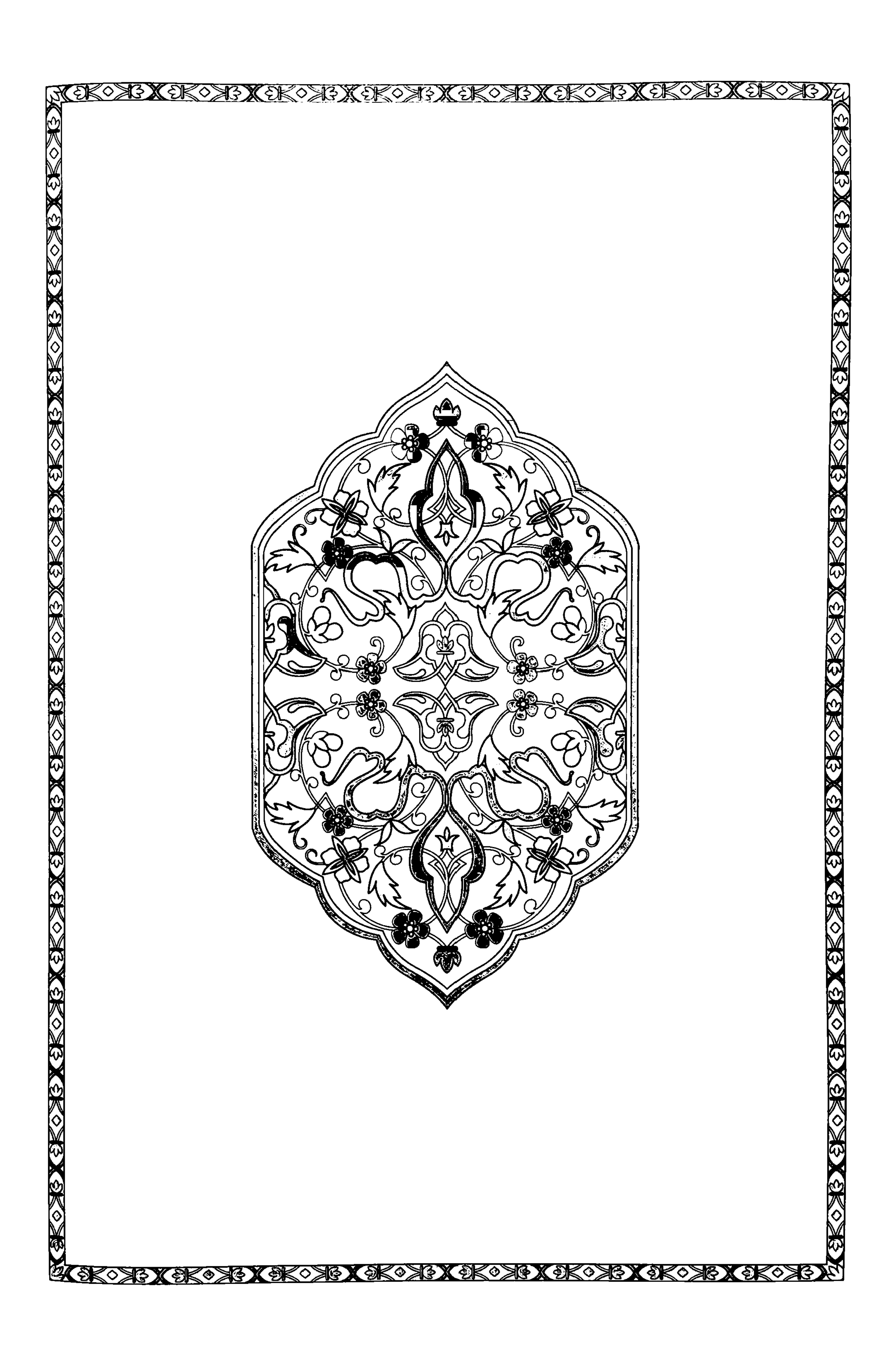
قالَ المؤلِّفُ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : (**نجَزَ تعليقُ هٰذا الشرحِ علىٰ يدِ مُؤلِّفِهِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أبي بكرٍ القَسْطلَّانيِّ في يومِ الجمعةِ ثاني عشرَ شهرِ صفرِ الخيرِ سنةَ ثلاثٍ وثمانينَ وثمانِ مئةٍ بحمدِ اللهِ وعونِهِ وحُسْنِ توفيقِهِ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ .**

وكانَ الفراغُ مِنْ تسويدِهِ : في ليلةٍ يُسفِرُ صباحُها عن يومِ الثَّلاثاءِ المباركِ سادسَ عشرَ شهرِ صفرٍ مِنَ السنةِ المذكورةِ) .

* * *



خواتيم النسخ الخطية



خاتمة النسخة (أ)

وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا ملجأ ولا منجىٰ من الله إلا إليه .

وكان الفراغ من تعليق هٰذه النسخة المباركة : في اليوم المبارك الثاني عشر من شهر رجب الفرد أحد شهور سنة سبع وسبعين وتسع مئة بالمدينة المشرفة ، علىٰ ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام .

خاتمة النسخة (ب)

والحمد لله وحده ، وصلى الله علىٰ من لا نبي بعده .

وكان الفراغ من كتابة هٰذا الشرح المبارك : عصرَ يوم الثلاث ثامن يوم خلت من شهر ربيع الآخر من الهجرة النبوية علىٰ صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام ، والحمد لله في البدء والختام .

خاتمة النسخة (ج)

والحمد لله وحده ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلىٰ يوم الدين ، آمين .

أمـــات اللهُ كـــاتبَـــه مُحِبّـــاً ... لأصحـــاب النبـــي مـــع النبـــيِّ

وأسكنـــه بـــذلـــك دارَ عَـــدْنٍ ... جـــوارَ الله فـــي الحـــرز القـــويِّ

[شعر] :

يا قدرة الله حُلِّي عقد ما ربطوا ... وشتِّتي شملَ [أقوامٍ] بنا اختلطوا

اَللهُ أكبـرُ سيـفُ الله قـامعُهـم وكلَّما [قد] علَوْا [في ظلمهم] هبطوا

هبطوا ، تمَّ .

خاتمة النسخة (د)

وكان الفراغ من تكميل هـٰذه النسخة : يوم الخميس المبارك ، غرَّة شهر صفر الخير من شهور سنة (١١٩٠) تسعين ومئة وألف من الهجرة النبوية ، علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، والحمد لله علىٰ كل حال ، آمين .

خاتمة النسخة (هـ)

وكان الفراغ من نسخ هـٰذا الشرح المبارك : يوم الأحد لستٍّ ليالٍ بقين من شهر الله المحرم افتتاح سنة (١٠٠٨) علىٰ يد أفقر العباد وأحوجهم إلى الله محمد بن حسن بن عبد القدوس ، الصعيدي إقليماً ، البسيوني بلداً ، الأزهري وطناً ، غفرَ الله [له] ولوالديه ولمن دعا لهم بالمغفرة ، آمين .

خاتمة النسخة (و)

وكان الفراغ من نقل هـٰذه النسخة المباركة : يوم الثلاثاء المبارك ، تاسع عشرين ربيع الأول من شهور سنة تسع وألف ومئة من الهجرة النبوية ، علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام

* * *

القصيدة الشُّقراطسيَّة

فِي مدح المُصطفى خير البريَّة

صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ

نظم الإمام الشاعر الأديب

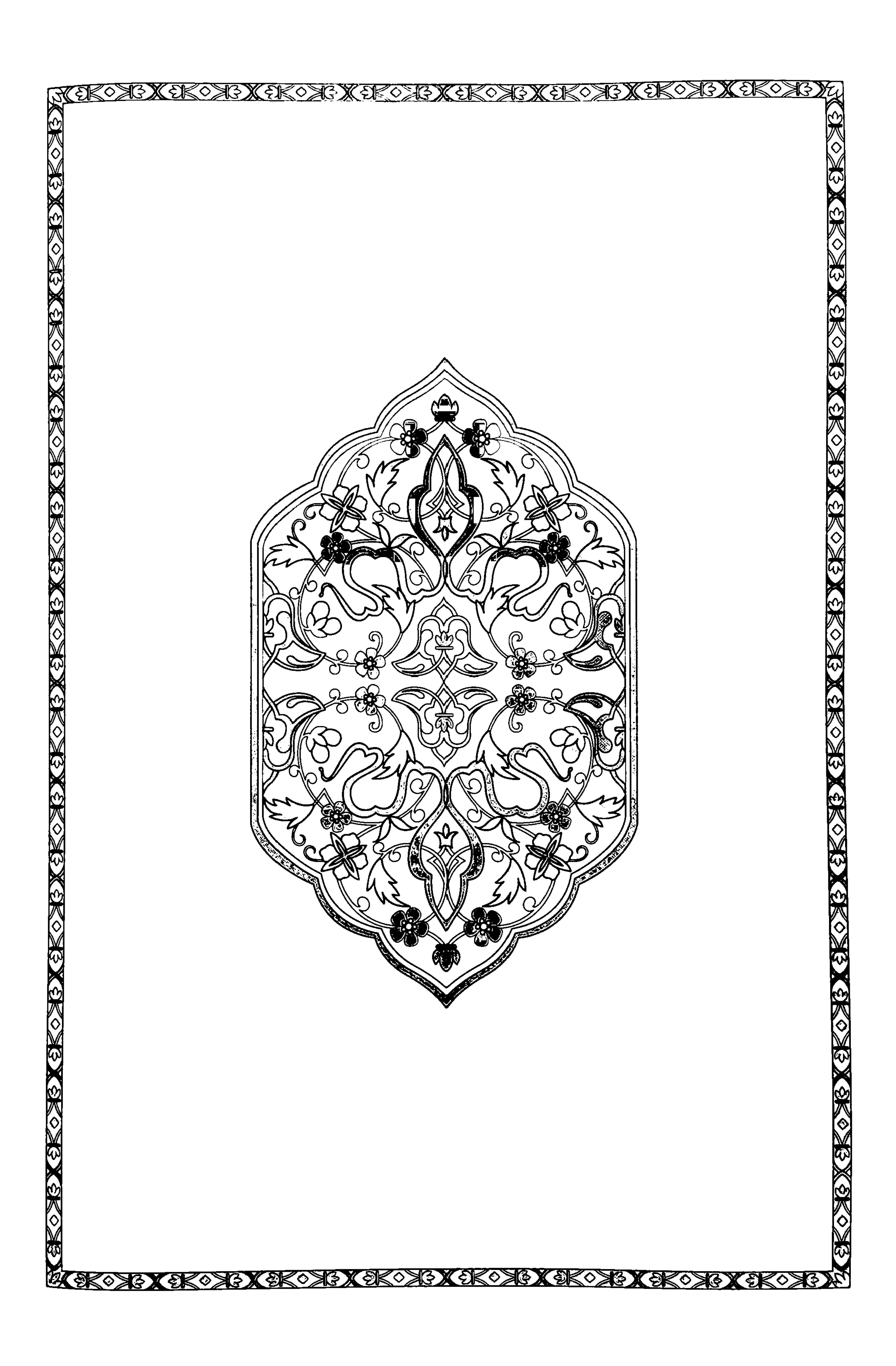
أبي محمد عبد الله بن يحيى الشُّقراطسي

رحمه الله تعالى

(ت ٤٦٦ هـ)

دار التقوى

دمشق الشام



لمحة عن الإمام الشاعر الأديب
أبي محمد عبد الله بن يحيى الشقراطسي
رحمه الله تعالى[1]

هو الإمام الفقيه الشاعر الأديب : أبو محمد عبد الله بن يحيى بن علي بن علي بن زكرياء الشُّقْراطسي التَّوْزري التونسي المالكي .

ولد بشُقْراطس من أعمال توزر ، واعتنىٰ بتربيته والده ، ولقَّنه مبادئ العلوم اللغوية والدينية ، ثم رحل إلى القيروان للقراءة علىٰ أعلامها ، فأخذ عن أبي بكر بن عبد الرحمـٰن ، وعبد الحق الصِّقِلي ، وعبد المنعم الكندي ، والسيوري ، وأبي عمران الفاسي ، وأبي حفص العطار ، وغيرهم ، وذهب إلى الجريد ، فأخذ عن المُحدِّث الفقيه محمد بن خلف النفطي ، ثم سافر إلى المشرق حاجّاً ، وهناك التقىٰ بأعلام كبار أخذ عنهم بعض العلوم ، ثم رجع إلىٰ بلده ، فاشتغل فيه بالتدريس والنفع والإفادة ، وكان من جملة من انتفع به أبو الفضل يوسف بن النحوي .

ويُعَدُّ الشُّقْراطسي من فحول العلماء بتوزر ، وكان له الباع الطويل في العلوم الدينية وفنون الآداب .

ومن جملة مؤلفاته : « الإعلام بمعجزات النبي عليه السلام » ، وقد

---

(١) انظر « فهرسة ابن خير الإشبيلي » (ص٣٧٥) ، و« شجرة النور الزكية » (١/ ١٧٣) ، و« تراجم المؤلفين التونسيين » (٣/ ٢٠٤) .

ختم هٰذا المؤلَّف بالقصيدة الشهيرة الماتعة « الشقراطسية » المنسوجة على البحر البسيط الذي جرىٰ عليه البوصيري في قصيدته « البردة » ، وهٰذه القصيدة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحديث عن معجزاته ، وأخبارِ بعض أصحابه .

وقد وصف هٰذه القصيدةَ الإمامُ الأديب المؤرِّخ شهاب الدين النويري بقوله : (ابتسمَتْ ثُغورُها بوصف معجزاته ، وتحلَّت نُحورُها بجواهر صفاته ، ورَفَلتْ في حُلَل الفَخار من باهر آياته ، وسحبت ذُيول الافتخار بإشارات إلىٰ غزواته ، وفاح أَرَجها فأخجل المسكَ الدَّاري ، وأشرقت أنوارُها على النيِّرينِ فما ظنُّك بالدَّراري ؟!) .

* * *

وقد قام بشرحها وتخميسها وتشطيرها كبار العلماء ؛ فممَّنْ شرحها :

ـ الإمام الفقيه المُحدِّث المُؤرِّخ **عبد الرحمٰن** بن إسماعيل المقدسي الدمشقي ، **المعروف بـ (أبي شامة)** ، المتوفىٰ سنة (٦٦٥هـ) ، **وسمَّاه** : « المقاصد السنية في شرح القصيدة الشقراطسية » .

ـ والإمام الأديب المُؤرِّخ **محمد بن علي ابن الشبَّاط التَّوْزري** ، المتوفىٰ سنة (٦٨٤هـ) ، **خمَّسها ، ثم شرحها بشرح كبير سمَّاه** : « صلة السمط وسمة المرط » .

ـ والإمام المتفنِّن شمس الدين أبو عبد الله **محمد بن أحمد العَجيسي التِّلِمْساني المعروف بـ (ابن مرزوق الحفيد)** ، المتوفىٰ سنة (٨٤٢هـ) ، وسمَّاه : « الذخائر القراطسية في شرح الشقراطسية » .

ونظراً لقيمة هٰذه القصيدة وكبير فائدتها ، وارتباطها الوثيق بقصيدة

« البردة »[1] ، ومشابهتها لها في بعض المعاني والألفاظ . . ارتأيتُ أن أذكرها تامَّةً بعد مقابلتها وضبطها وشرح الغريب منها .

* * *

وقد اعتمدت في إخراجها علىٰ نسختين نفيستين :

الأولىٰ : نسخة المكتبة الأزهرية ، ذات الرقم الخاص : (٢٠٢٣) ، والعام : (٩٧٥٦٩) ، وتقع ضمن مجموعٍ حوىٰ قصيدتنا « الشقراطسية » ، وسبعَ قصائدَ أُخَرَ في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام المقرئ علم الدين السخاوي .

وقد كُتبت بخط واضح مقروء ، وشُكلت شكلاً تامّاً دقيقاً .

ورمزت لها بـ (أ) .

والثانية : مخطوطة مبذولة على الشابكة ، وتقع بحدود (٦) ورقات ، وكُتبت بخط مغربي ، وشُكلت شكلاً دقيقاً ، وشُرحت بعض ألفاظها ، وقد استفدت من هـٰذا الشرح كثيراً .

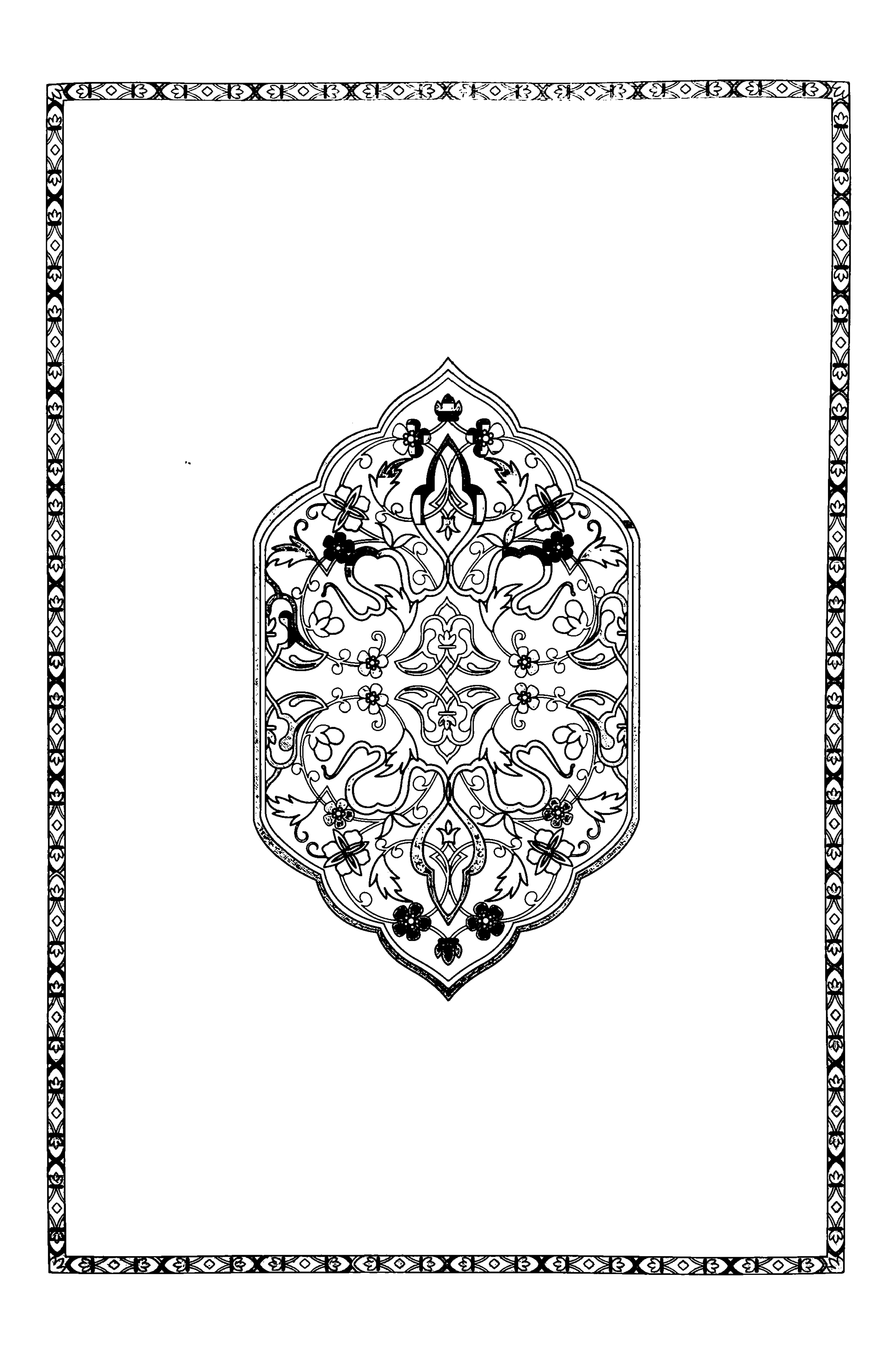
ورمزت لها بـ (ب) .

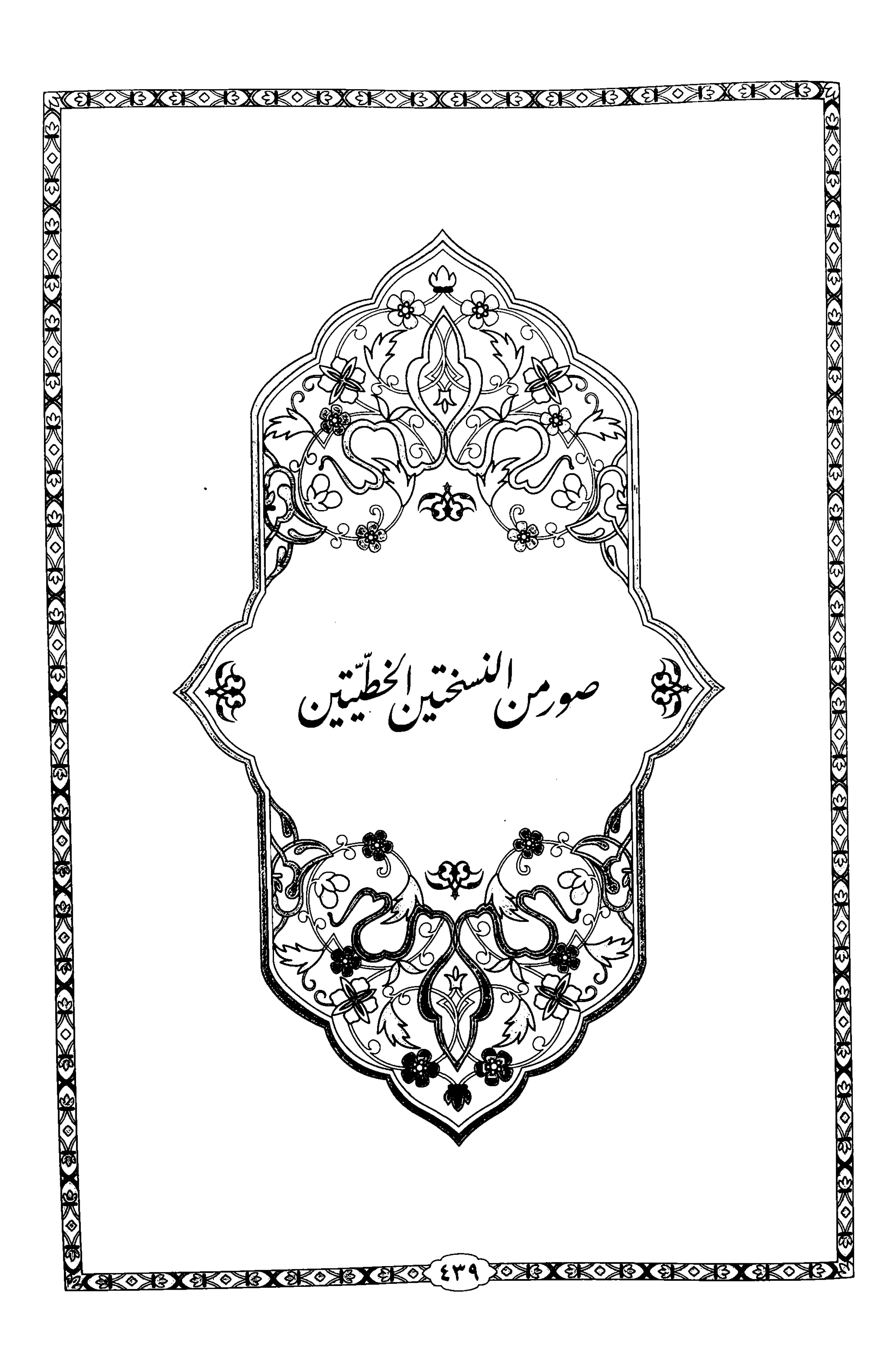
وزيادة في الضبط والإتقان قمتُ بمقابلة عملنا على النص الموجود في « نهاية الأرب » للإمام النويري ، وقد استفدت من هذه المقابلة في ضبط بعض الألفاظ ، والتنبيه على بعض الروايات .

* * *

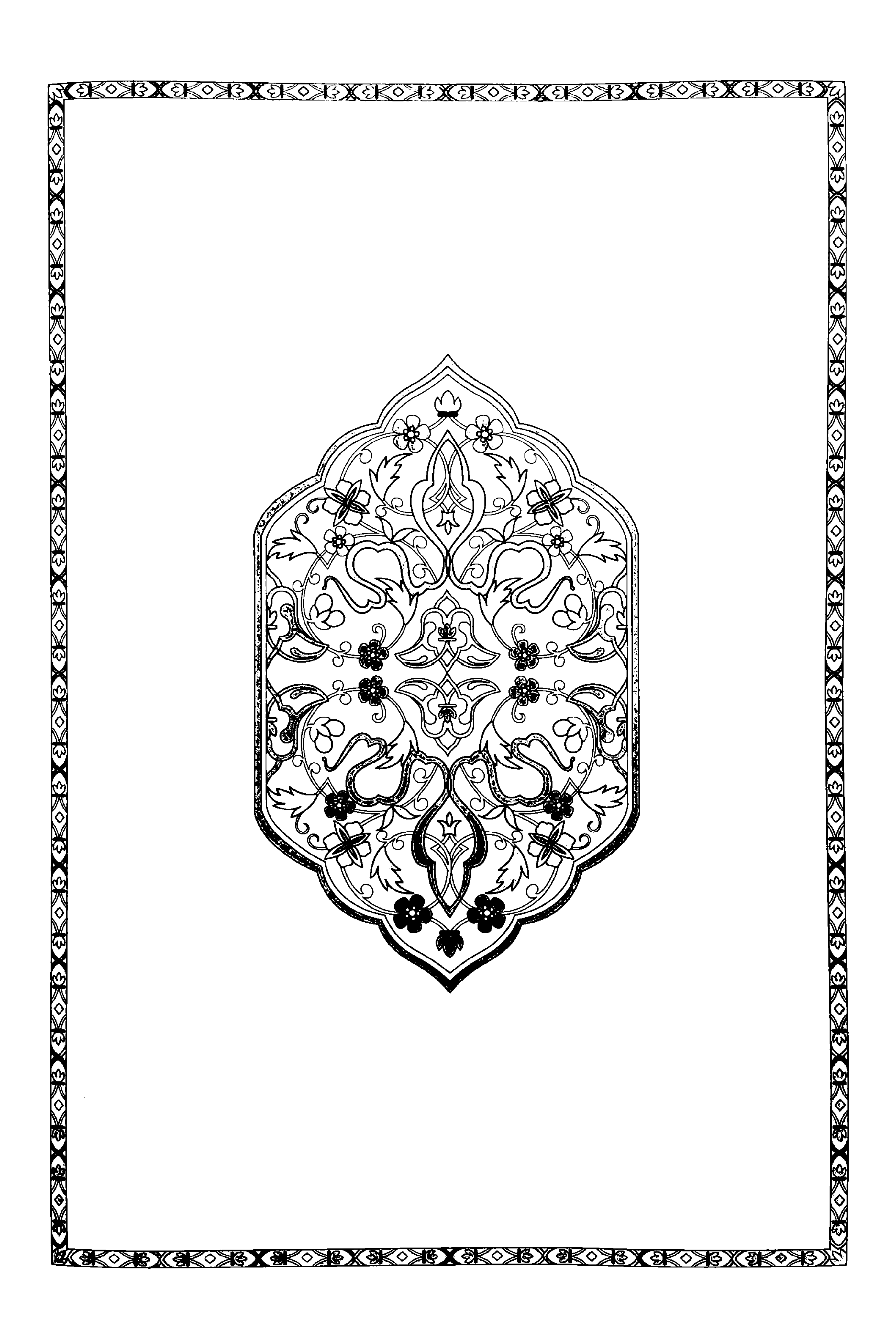
---

(١) ولهذا الارتباط الوثيق قام العلامة الأديب محمد الشاذلي النيفر في كتابه « البوصيري » (ص٢٥ـ٣٢) بعقد مقارنة بينها وبين قصيدة « البردة » .





صور من النسختين الخطّيّتين

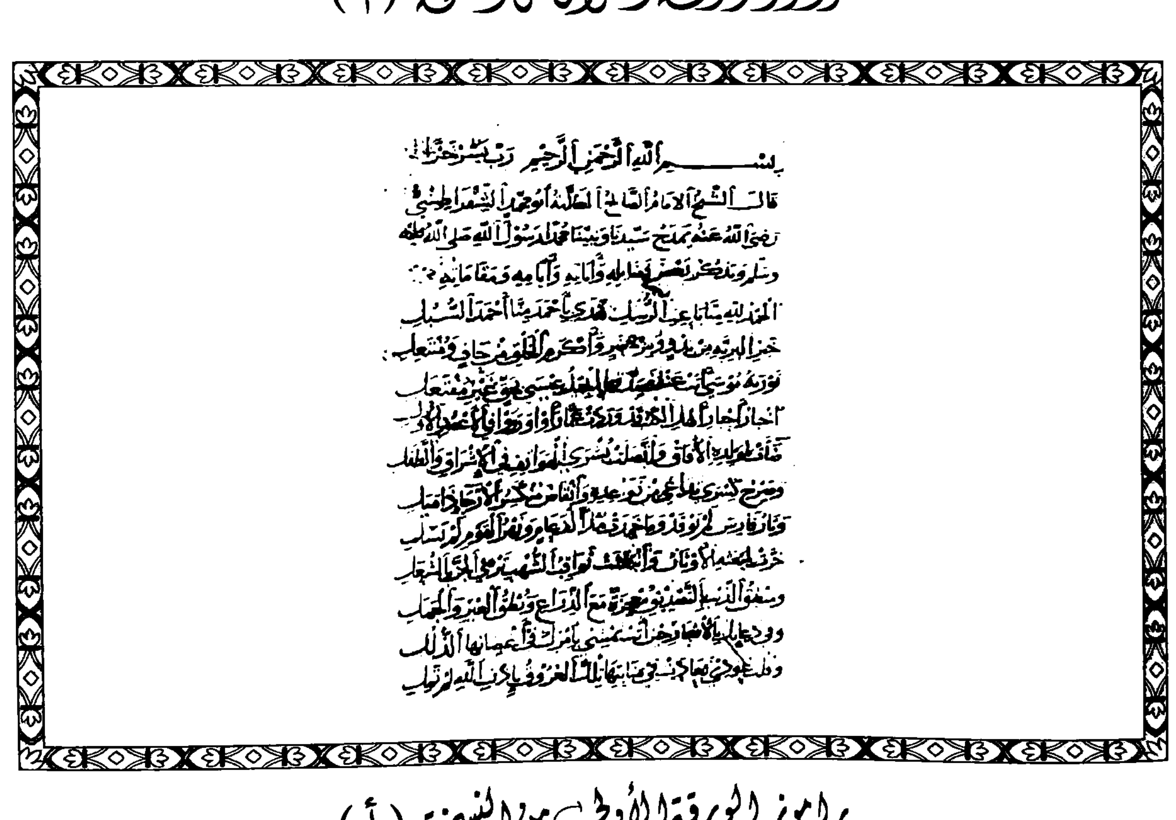




الدر المنظم في مدائح الرسول المعظم
صلى الله عليه وسلم
القصيدة الأقريطشية والقصائد السبعة

وهي
ذات الأصول في مدح الرسول — وذات الدرر في معجزات سيد البشر
وذات الشفا في مدح المصطفى — وذات القبول في مفاخر الرسول
وتعريف الحرم في مدح سيد الأمم — ووداع الزائر للنبي الطاهر
وشكوى الاشتياق إلى النبي الطاهر الأخلاق صلى الله عليه وسلم

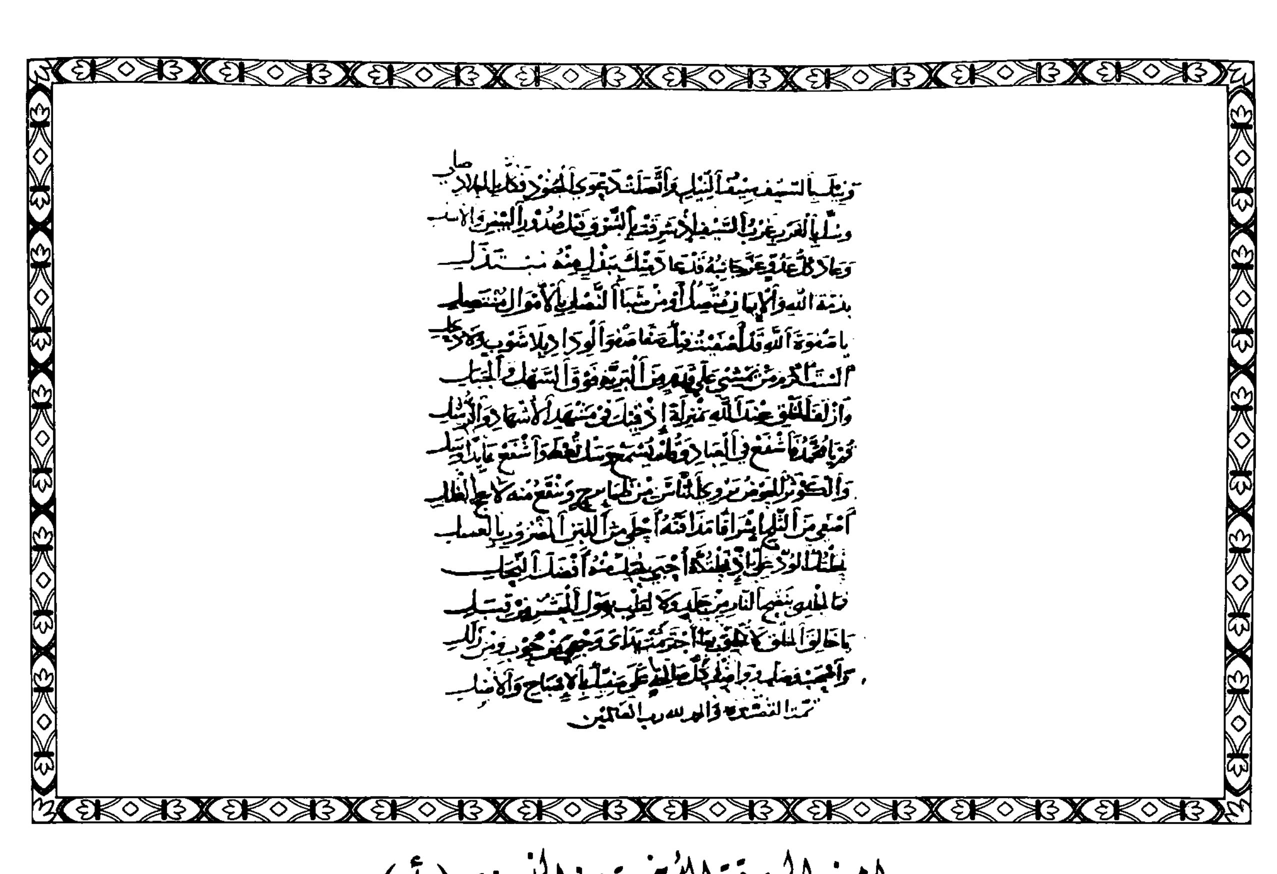
راموز ورقة العنوان من النسخة (أ)



بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

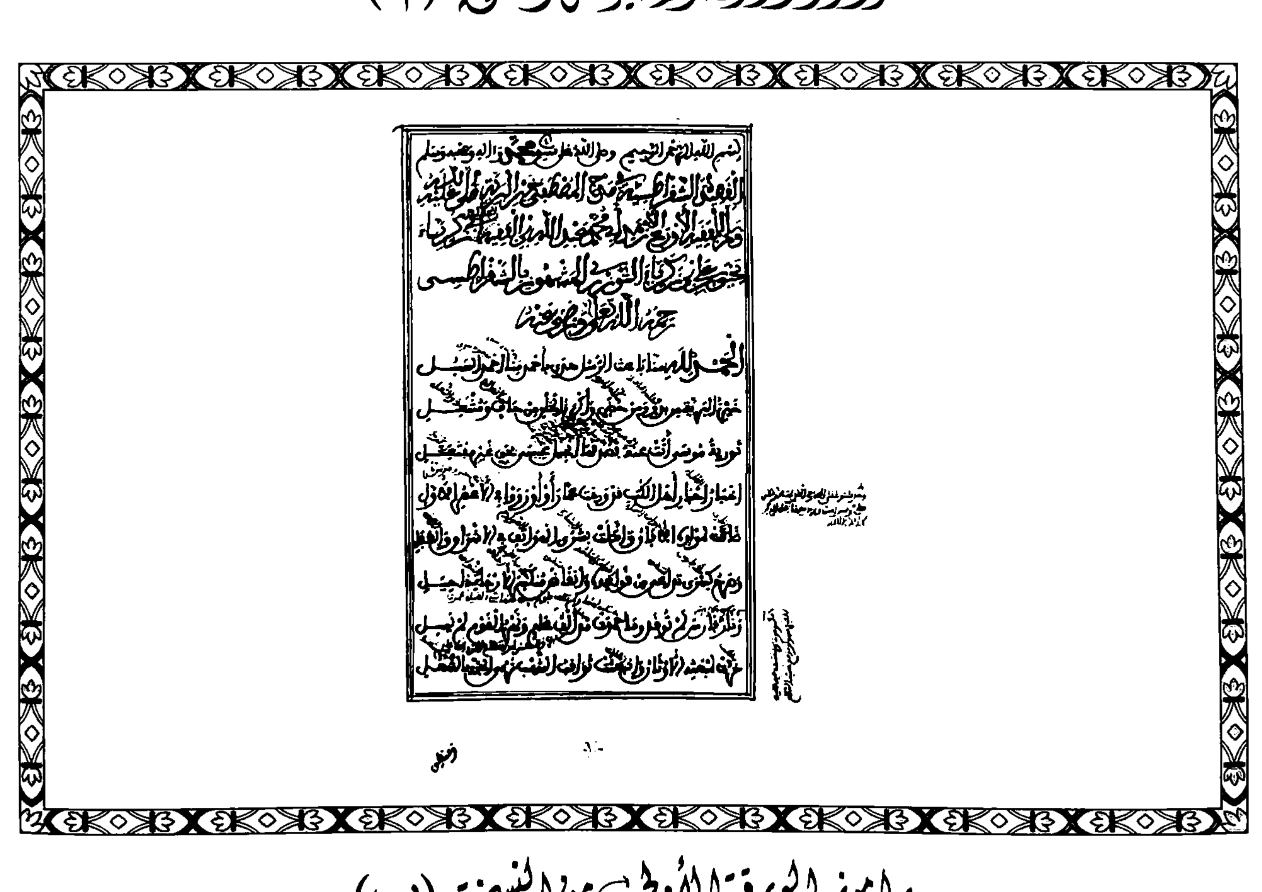
قال الشيخ الإمام الصالح العلامة أبو محمد الشقراطسي
رضي الله عنه يمدح سيدنا ونبينا محمدا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويذكر بعض فضائله وآياته وأيامه ومقاماته
الحمد لله منا باعث الرسل هدى بأحمد منا أحمد السبل
خير البرية من بدو ومن حضر وأكرم الخلق من حاف ومنتعل
توراة موسى أتت عنه فصدقها إنجيل عيسى بحق غير مفتعل
أخبار أحبار أهل الكتب قد وردت عما رأوا ورووا في الأعصر الأول
ضاءت لمولده الآفاق واتصلت بشرى الهواتف في الإشراق والطفل
وصرح كسرى تداعى من قواعده وانقاض منكسر الأرجاء ذا ميل
ونار فارس لم توقد وما خمدت مذ ألف عام ونهر القوم لم يسل
خرت لمبعثه الأوثان وانبعثت ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل
ومنطق الذئب بالتصديق معجزة مع الذراع ونطق العير والجمل

راموز الورقة الأولى من النسخة (أ)



تمت القصيدة والحمد لله رب العالمين

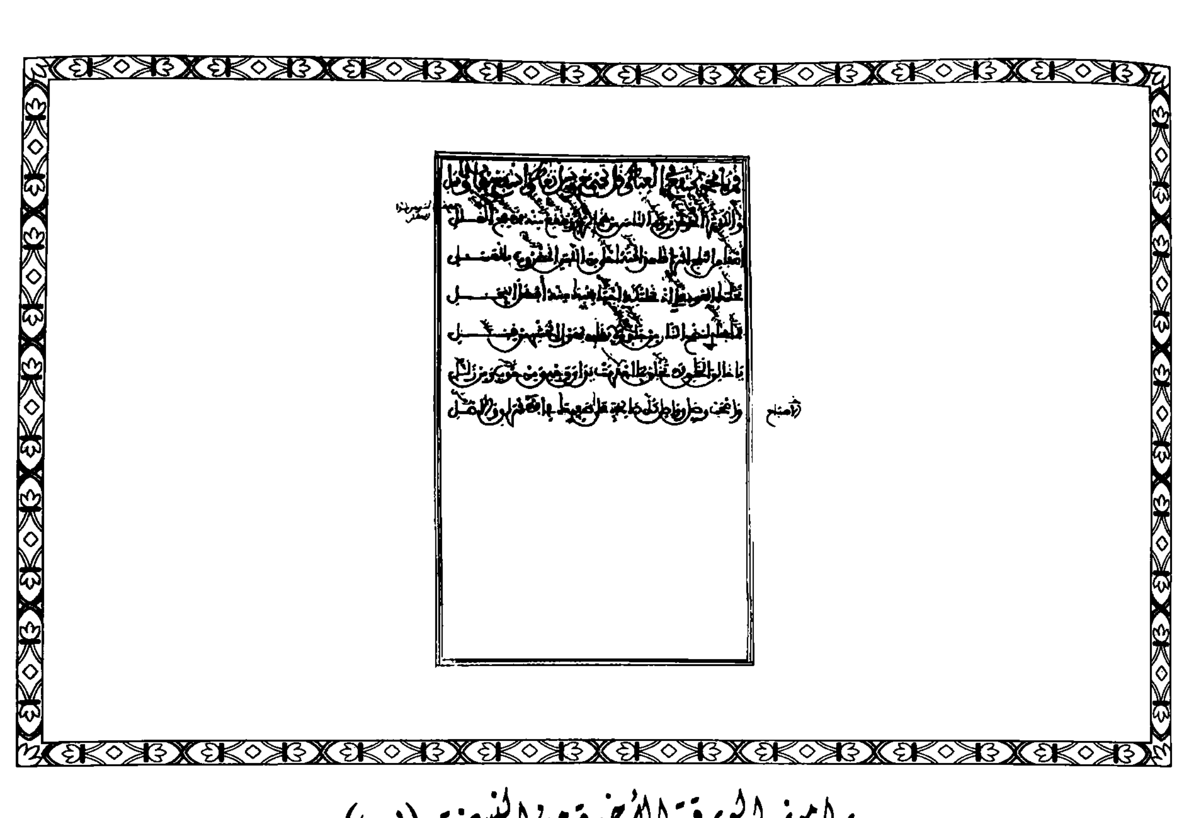
راموز الورقة الأخيرة من النسخة (أ)



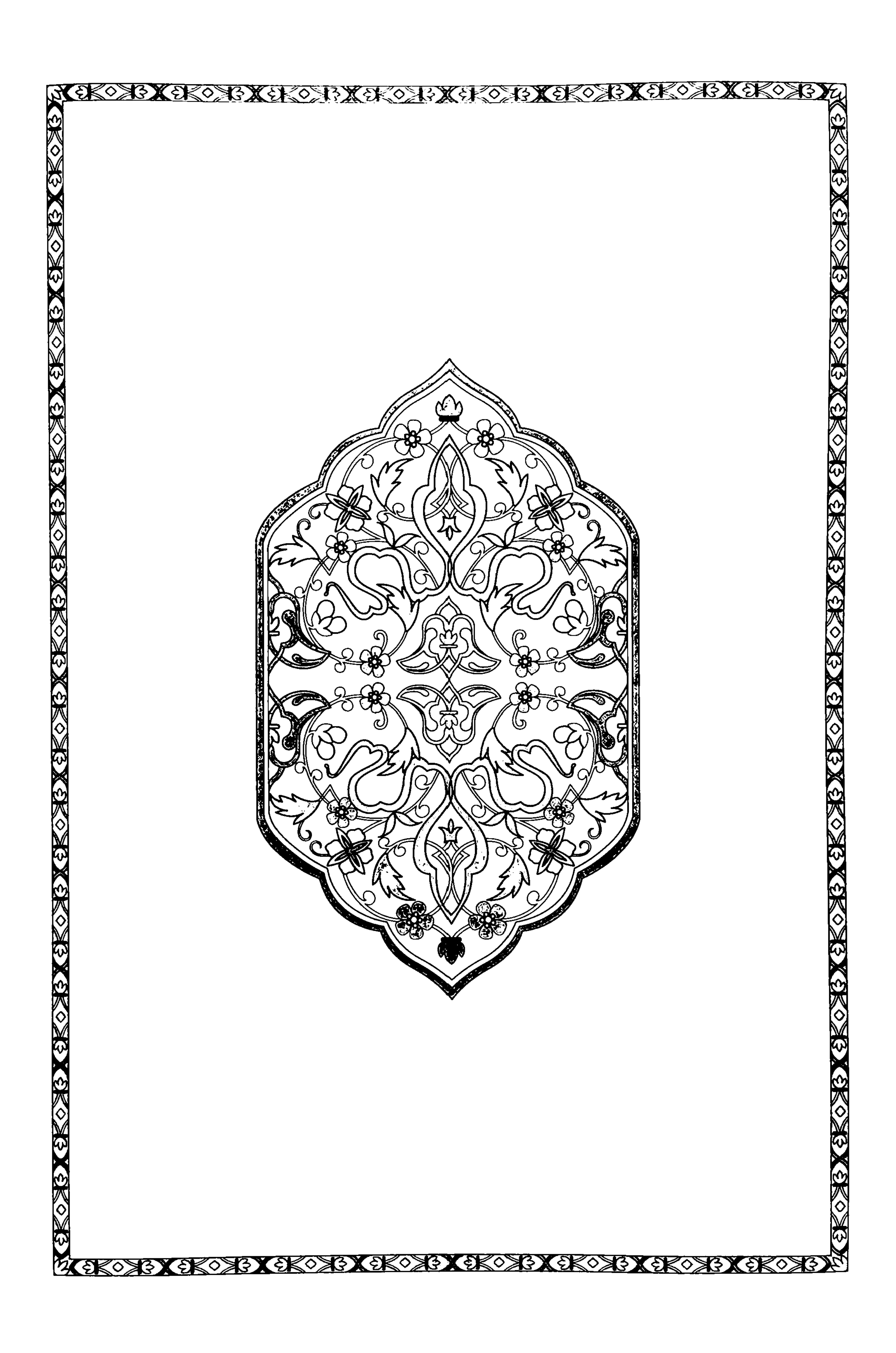
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

رحمه الله تعالى ورضي عنه

راموز الورقة الأولى من النسخة (ب)



راموز الورقة الأخيرة من النسخة (ب)



القصيدة الشُّقراطيّة

في مدح المصطفى خير البريّة صلى الله عليه وسلم

قَالَ ٱلشَّيْخُ ٱلإِمَامُ ٱلصَّالِحُ ٱلْعَلَّامَةُ أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلشُّقْرَاطِسِيُّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يَمْدَحُ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحمَّداً رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَذْكُرُ بَعْضَ فَضَائِلِهِ وَآيَاتِهِ وَأَيَّامِهِ وَمَقَامَاتِهِ :

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ربِّ يسِّر خيراً

١ـ اَلْحَمْدُ للهِ مِنَّا بَاعِثِ ٱلرُّسُلِ	هَدَىٰ بِأَحْمَدَ مَنَّاً أَحْمَدَ ٱلسُّبُلِ [١]
٢ـ خَيْرِ ٱلْبَرِيَّةِ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرٍ	وَأَكْرَمِ ٱلْخَلْقِ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلِ [٢]
٣ـ تَوْرَاةُ مُوسَىٰ أَتَتْ عَنْهُ فَصَدَّقَهَا	إِنْجِيلُ عِيسَىٰ بِحَقٍّ غَيْرِ مُفْتَعَلِ
٤ـ أَخْبَارُ أَحْبَارِ أَهْلِ ٱلْكُتْبِ قَدْ وَرَدَتْ	عَمَّا رَأَوْا وَرَوَوْا فِي ٱلأَعْصُرِ ٱلأُوَلِ
٥ـ ضَاءَتْ لِمَوْلِدِهِ ٱلآفَاقُ وَٱتَّصَلَتْ	بُشْرَى ٱلْهَوَاتِفِ فِي ٱلإِشْرَاقِ وَٱلطَّفَلِ [٣]

* * * * *

٦ـ وَصَرْحُ كِسْرَىٰ تَدَاعَىٰ مِنْ قَوَاعِدِهِ	وَٱنْقَاضَ مُنْكَسِرَ ٱلأَرْجَاءِ ذَا مَيَلِ [٤]

---

(١) قوله: (مِنَّا) في الشطر الأول ، و(مَنّاً) في الثاني : كذا ضبطت في (ب) ، وهي رواية ابن مرزوق رحمه الله تعالى كما نص عليها في «الإظهار» (ق/ ١٠) ، وفي (أ) : (مِنَّا) في كلا الموضعين ، وهي رواية أيضاً أشار إليها ابن مرزوق (ق/ ١٠) .

(٢) قوله : (خير) و(أكرم) ضُبط في (ب) بالرفع والنصب .

(٣) الطَّفَل : العشي .

(٤) انقاض : انهال وسقط .

٧ـ وَنَارُ فَارِسَ لَمْ تُوقَدْ وَمَا خَمَدَتْ ... مُذْ أَلْفُ عَامٍ وَنَهْرُ ٱلْقَوْمِ لَمْ يَسِلِ

٨ـ خَـرَّتْ لِمَبْعَثِـهِ ٱلأَوْثَـانُ وَٱنْبَعَثَـتْ ... ثَوَاقِبُ ٱلشُّهْبِ تَرْمِي ٱلْجِنَّ بِٱلشُّعَلِ

* * * * *

٩ـ وَمَنْطِقُ ٱلـذِّئْـبِ بِـٱلتَّصْدِيـقِ مُعْجِـزَةٌ ... مَعَ ٱلذِّرَاعِ وَنُطْقُ ٱلْعَيْرِ وَٱلْجَمَلِ[١]

١٠ـ وَفِي دُعَائِكَ بِٱلأَشْجَارِ حِينَ أَتَتْ ... تَمْشِي بِأَمْرِكَ فِي أَغْصَانِهَا ٱلذُّلُلِ

١١ـ وَقُلْتَ عُـودِي فَعَـادَتْ فِـي مَنَابِتِهَـا ... تِلْـكَ ٱلْعُـرُوقُ بِـإِذْنِ ٱللهِ لَـمْ تَمِـلِ

١٢ـ وَٱلسَّرْحُ بِٱلشَّامِ لَمَّا جِئْتَهَا سَجَدَتْ ... شُمُّ ٱلذَّوَائِبِ فِي أَفْنَانِهَا ٱلْخُضُلِ[٢]

١٣ـ وَٱلْجِـذْعُ حَـنَّ لِأَنْ فَـارَقْتَـهُ أَسَفـاً ... حَنِينَ ثَكْلَىٰ شَجَتْهَا لَوْعَةُ ٱلثُّكَلِ[٣]

١٤ـ مَا صَبْرُ مَنْ صَارَ مِنْ عَيْنٍ إِلَىٰ أَثَرٍ ... وَحَالُ مَنْ حَالَ عَنْ حَالٍ إِلَىٰ عُطُلِ[٤]

١٥ـ حَيِيْ فَمَاتَ سُكُوناً ثُمَّ مَاتَ لَدُنْ ... حَيِيْ حَنِيناً فَأَضْحَىٰ غَايَةَ ٱلْمَثَلِ

١٦ـ وَٱلشَّاةُ لَمَّا مَسَحْتَ ٱلْكَفَّ مِنْكَ عَلَىٰ ... جَهْدِ ٱلْهُزَالِ بِأَوْصَالٍ لَهَا قُحُلِ[٥]

١٧ـ سَحَّتْ بِدِرَّةٍ شَكْرَى ٱلضَّرْعِ حَافِلَةً ... فَرَوَّتِ ٱلرَّكْبَ بَعْدَ ٱلنَّهْلِ بِٱلْعَلَلِ[٦]

* * * * *

---

(١) **العَيْر** : الحمار .

(٢) وفي رواية أخرىٰ أشار إليها في (أ) : (من أفنانها) بدل (في أفنانها) ، **والسَّرْح** : الشجر العظام الطِّوال ، وشم **الذوائب** : مرتفعات الأغصان ، **والخُضُل** : الناعمة ، وفي (أ) : (الخُصَل) بالصاد ؛ جمع خَصْلة .

(٣) **شَجَتْها** : أحزنتها ، ولوعة **الثُّكَل** : حُرقة الفراق .

(٤) في (ب) : (علىٰ أَثَر) بدل (إلىٰ أثر) ، **والحالي** : المرأة المتزينة بالحلي ، **والعُطُل** : الخالية منه .

(٥) **القُحُل** : اليابسات ، والمراد بالشاة : شاة أم معبد رضي الله عنها .

(٦) **السحُّ** : الصبُّ ، **والدِّرَّة** : سيلان اللبن وكثرته ، **والشَّكْرىٰ** : الممتلئة ، **والحافلة** : المجتمعة ، **والنَّهَل** : الشرب الأول ، وسُكِّن في البيت للضرورة ، **والعَلَل** : الشرب الثاني .

١٨- وَآيَـةُ ٱلْغَـارِ إِذْ وُقِّيـتَ فِـي حُجُـبٍ   عَنْ كُلِّ رِجْسٍ لِرِجْسِ ٱلْكُفْرِ مُنْتَحِلِ[١]

١٩- وَقَالَ صَاحِبُكَ ٱلصِّدِّيقُ كَيْفَ بِنَا   وَنَحْنُ مِنْهُمْ بِمَرْأَى ٱلنَّاظِرِ ٱلْعَجِلِ

٢٠- فَقُلْـتَ لا تَحْـزَنِ ٱنَّ ٱللهَ ثَـالِثُنَـا   وَكُنْتَ فِي حُجْبِ سِتْرٍ مِنْهُ مُنْسَدِلِ

٢١- حُمَّتْ لَدَيْكَ حَمَامُ ٱلْوَحْشِ جَاثِمَةً   كَيْداً لِكُلِّ غَوِيِّ ٱلْقَلْبِ مُخْتَبِلِ[٢]

٢٢- وَٱلْعَنْكَبُوتُ أَجَادَتْ حَوْكَ حُلَّتِهَـا   فَمَا تَخَالُ خِلالَ ٱلنَّسْجِ مِنْ خَلَلِ[٣]

٢٣- قَالُوا وَجَاءَتْ إِلَيْهِ سَرْحَةٌ سَتَرَتْ   وَجْهَ ٱلنَّبِيِّ بِـأَغْصَانٍ لَهَا هُدُلِ[٤]

٢٤- وَفِـي سُـرَاقَـةَ آيَـاتٌ مُبَيَّنَـةٌ   إِذْ سَاخَتِ ٱلْحِجْرُ فِي وَحْلٍ بِلا وَحَلِ[٥]

* * * * *

٢٥- عَرَجْتَ تَخْتَرِقُ ٱلسَّبْعَ ٱلطِّبَاقَ إِلَىٰ   مَقَامِ زُلْفَىٰ كَرِيمٍ قُمْتَ فِيهِ عَلِ[٦]

٢٦- عَنْ قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ هَبَطْتَ وَلَمْ   تَسْتَكْمِلِ ٱللَّيْلَ بَيْنَ ٱلْمَرِّ وَٱلْقَفَلِ[٧]

٢٧- دَعَوْتَ لِلْخَلْقِ عَامَ ٱلْمَحْلِ مُبْتَهِلاً   أَفْدِيكَ بِٱلْخَلْقِ مِنْ دَاعٍ وَمُبْتَهِلِ[٨]

٢٨- صَعَّدْتَ كَفَّيْكَ إِذْ كَفَّ ٱلْغَمَامُ فَمَا   صَوَّبْتَ إِلَّا بِصَوْبِ ٱلْوَاكِفِ ٱلْهَطِلِ[٩]

---

(١) في (ب) : (لدين) بدل (لرجس) .

(٢) **حُمَّت** : قُدِّرت ، **والمُختبِل** : فاسد العقل .

(٣) ضبط (تَخال) في (ب) : (تُخال) ، ويصح أن يقرأ : (يُخال) كما في « نهاية الأرب » (٣٤٨/١٨) .

(٤) **الهُـدُل** : جمـع أَهْـدل ؛ وهـو المسترخي المتدلِّي ، وفـي (أ) : (هُـذُل) بالمعجمة ، ولعلها بمعنى الخفيفة .

(٥) **الحِجْر** : أنثى الخيل .

(٦) **عَلِ** : عالٍ ؛ من العلو .

(٧) **المَر** : المرور ، **والقفَل** : الرجوع .

(٨) **المَحْل** : القحط والجَدْب .

(٩) **صعَّدت** : رفعت ، **وكفَّ** : أمسك ، **والواكف** : المتقاطر ، **والهَطِل** : الكثير التقاطر .

٢٩ـ أَرَاقَ بِـاْلأَرْضِ ثَجّـاً صَـوْبُ رَيِّقِـهِ   فَحَلَّ بِاْلرَّوْضِ نَسْجاً رَائِقَ اْلْحُلَلِ[١]

٣٠ـ زُهْرٌ مِنَ اْلنُّورِ حَلَّتْ رَوْضَ أَرْضِهِمُ   زَهْراً مِنَ اْلنَّوْرِ ضَافِي اْلنَّبْتِ مُكْتَهِلِ[٢]

٣١ـ مِنْ كُلِّ غُصْنٍ نَضِيرٍ مُورِقٍ خَضِرٍ   وَكُـلِّ نَـوْرٍ نَضِيـدٍ مُـونِـقٍ خَضِـلِ[٣]

٣٢ـ تَحِيَّـةٌ أَحْيَـتِ اْلأَحْيَـاءَ مِـنْ مُضَـرٍ   بَعْدَ اْلْمَضَرَّةِ تُرْوِي اْلسُّبْلَ بِاْلسَّبَلِ[٤]

٣٣ـ دَامَتْ عَلَى اْلأَرْضِ سَبْعاً غَيْرَ مُقْلِعَةٍ   لَـوْلا دُعَـاؤُكَ بِـاْلإِقْلاعِ لَـمْ تَـزُلِ[٥]

٣٤ـ وَيَـوْمَ زَوْرِكَ بِـاْلـزَّوْرَاءِ إِذْ صَـدَرُوا   مِنْ يُمْنِ كَفِّكَ عَنْ أُعْجُوبَةٍ مَثَلِ[٦]

٣٥ـ وَاْلْمَـاءُ يَنْبُـعُ جَـوْداً مِـنْ أَنَـامِلِهَـا   وَسْطَ اْلإِنَاءِ بِلا نَهْرٍ وَلا وَشَلِ[٧]

٣٦ـ حَتَّىٰ تَـوَضَّـأَ مِنْـهُ اْلْقَـوْمُ وَاْغْتَـرَفُـوا   وَهُـمْ ثَـلاثُ مِئِيـنٍ جَمْـعُ مُحْتَفِـلِ

٣٧ـ أَشْبَعْتَ بِاْلصَّاعِ أَلْفاً مُرْمِلِينَ كَمَا   أَرْوَيْتَ أَلْفاً وَنِصْفَ اْلأَلْفِ مِنْ سَمَلِ[٨]

٣٨ـ وَعَـادَ مَـا شَبِـعَ اْلأَلْـفُ اْلْجِيَـاعُ بِـهِ   كَمَا بَدَوْا فِيهِ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَحُلِ

* * * * *

---

(١) **الثَّجُّ** : التدفُّق ، **والرَّيِّق** من كل شيء : أوله وأفضله ، وفي (ب) : (بالأرض) بدل (بالروض) .

(٢) **الزُّهر** : البيضاء المضيئة ، **وحَلَّت** : من التحلية ، **والنَّور** : زَهر الشجر ، **والضافي** : التام الكامل ،وفي (أ) : (صافي) بالمهملة ، **والمكتهل** : المتناهي في الطول ، وفي (ب) : (مُكتمِل) .

(٣) **النضيد** : المتراكب بعضُه فوق بعض ، **والمُونِق** : المُعجِب ، **والخَضِل** : الرطب الندي ، أو الرطب الناعم .

(٤) **الأحياء** : جمع حَي ، **والسُّبْل** : جمع سبيل ؛ وهو الطريق ، **والسَّبَل** : المطر .

(٥) **تزُل** : ضُبطت في (أ) بفتح الزاي .

(٦) **الزوراء** : موضع بالمدينة نبع فيه الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ، فتوضأ منه جميع أصحابه صلى الله عليه وسلم ، وكانوا ثلاث مئة رجل ، **ويومَ** : ضبطت في (أ) بضم الميم .

(٧) **الوَشَل** : الماء القليل .

(٨) **المرملون** : الذين افتقدوا زادهم وافتقروا ، **والسَّمَل** : جمع سَمَلة ؛ وهو الماء القليل الذي يبقىٰ أسفل الإناء .

٣٩ـ أَعْجَزْتَ بِٱلْوَحْيِ أَرْبَابَ ٱلْبَلاغَةِ فِي عَصْرِ ٱلْبَيَانِ فَضَلَّتْ أَوْجُهُ ٱلْحِيَلِ[1]

٤٠ـ سَأَلْتَهُمْ سُورَةً فِي مِثْلِ حِكْمَتِهِ فَتَلَّهُمْ عَنْهُ حَيْنُ ٱلْعَجْزِ حِينَ تُلِي[2]

٤١ـ فَرَامَ رِجْسٌ كَذُوبٌ أَنْ يُعَارِضَهُ بِسُخْفِ إِفْكٍ فَلَمْ يُحْسِنْ وَلَمْ يُطِلِ[3]

٤٢ـ مُثَبَّجٍ بِرَكِيكِ ٱلإِفْكِ مُلْتَبِسٍ مُلَجْلَجٍ بِزَرِيِّ ٱلزُّورِ وَٱلْخَطَلِ[4]

٤٣ـ يَمُجُّ أَوَّلَ حَرْفٍ سَمْعُ سَامِعِهِ وَيَعْتَرِيهِ كَلالُ ٱلْعَجْزِ وَٱلْمَلَلِ[5]

٤٤ـ كَأَنَّهُ مَنْطِقُ ٱلْوَرْهَاءِ شَذَّبَهُ لَبْسٌ مِنَ ٱلْخَبْلِ أَوْ مَسٌّ مِنَ ٱلْخَبَلِ[6]

٤٥ـ أَمَرَّتِ ٱلْبِئْرُ بَلْ غَارَتْ لِمَجَّتِهِ فِيهَا وَأَعْمَىٰ بَصِيرَ ٱلْعَيْنِ بِٱلتَّفَلِ[7]

---

(١) في « نهاية الأرب » (١٨/ ٣٥٠) : (أصحاب) بدل (أرباب) .

(٢) في (أ) : (محكمه) بدل (حكمته) ، وتلَّهم : صرعهم ، والحَيْن : الهلاك .

(٣) في (أ) : (ورام) بدل (فرام) ، والمثبت أحسن كما نص عليه الزرقاني في « شرح المواهب » (٥/ ١٥٠) ، ورواية « نهاية الأرب » (١٨/ ٣٥٠) ، و« المواهب اللدنية » (١/ ٥٧٩) : (بعِيٍ غَيٍ) بدل (بسخف إفك) ، والرِّجس : المراد به مسيلمة الكذاب ، فلم يحسن : لم يأت بحُسن ، ولم يُطِل : لم يأتِ بطائل ، وضبطت في (أ) : (يَطُل) أي : لم يمتد ، وانظر « شرح المواهب » (٥/ ١٥٠) .

(٤) المثبَّج : غير البائن ، أو المضطرب الفاسد المعنىٰ ، والزَّري : الحقير ، والخَطَل : المنطق الفاسد ، وضُبط (مثبج) و(ملتبس) و(ملجلج) في (أ) بالرفع ، فتكون أخباراً لمحذوف ؛ أي : الذي أتىٰ به مثبج ، وهـٰذه الصفات المهينة اتَّسم بها مسيلمة الكذاب .

(٥) يمُج : يطرح ويلقي ، والكلال : التعب .

(٦) الوَرْهاء : المرأة الحمقاء ، وشذَّبه : خلطه ، والخَبْل : الفساد ، والخَبَل : الجنون ، وفي (أ) : (شذَّ بِهِ) فيكون (لَبْس) إما فاعلَ (شذَّ) ، أو مبتدأ وخبره (به) المتقدم عليه ؛ أي : إنه وإن أشبه منطق الوَرْهاء إلا أنه شاذ بالنسبة إليه . انظر « شرح الزرقاني على المواهب » (٥/ ١٥٠ـ١٥١) .

(٧) أمرَّت : صارت مُرَّة بعد عذوبتها ، وفي « نهاية الأرب » (١٨/ ٣٥٠) ، و« المواهب اللدنية » (١/ ٥٧٩) : (واغورَّت) بدل (بل غارت) .

٤٦ـ وَأَيْبَسَ ٱلضَّرْعَ مِنْهُ شُؤْمُ رَاحَتِهِ ... مِنْ بَعْدِ إِرْسَالِ رِسْلٍ مِنْهُ مُنْهَمِلِ (١)

* * * * *

٤٧ـ بَرِئْتُ مِنْ دِينِ قَوْمٍ لا قِوَامَ لَهُمْ ... عُقُولُهُمْ مِنْ وَثَاقِ ٱلْغَيِّ فِي عُقُلِ (٢)

٤٨ـ يَسْتَخْبِرُونَ خَفِيَّ ٱلْغَيْبِ مِنْ حَجَرٍ ... صَلْدٍ وَيَرْجُونَ غَوْثَ ٱلنَّصْرِ مِنْ هُبَلِ

٤٩ـ نَالُوا أَذىً مِنْكَ لَوْلا حِلْمُ خَالِقِهِمْ ... وَحُجَّةُ ٱللهِ بِـٱلإِعْذَارِ لَمْ تُنَلِ (٣)

٥٠ـ وَٱسْتَضْعَفُوا أَهْلَ دِينِ ٱللهِ فَٱصْطَبَرُوا ... لِكُلِّ مُعْضِلِ خَطْبٍ فَادِحٍ جَلَلِ (٤)

٥١ـ لاقَىٰ بِلالٌ بَلاءً مِنْ أُمَيَّةَ قَدْ ... أَحَلَّهُ ٱلصَّبْرُ فِيهِ أَكْرَمَ ٱلنُّزُلِ

٥٢ـ إِذْ أَجْهَدُوهُ بِضَنْكِ ٱلأَسْرِ وَهْوَ عَلَىٰ ... شَدَائِدِ ٱلأَزْلِ ثَبْتُ ٱلأَزْرِ لَمْ يَزَلِ (٥)

٥٣ـ أَلْقَوْهُ بَطْحاً بِرَمْضَاءِ ٱلْبِطَاحِ وَقَدْ ... عَالُوا عَلَيْهِ صُخُوراً جَمَّةَ ٱلثِّقَلِ (٦)

٥٤ـ يُوَحِّدُ ٱللهَ إِخْلاصاً وَقَدْ ظَهَرَتْ ... بِظَهْرِهِ كَنُدُوبِ ٱلطَّلِّ فِي ٱلطَّلَلِ (٧)

---

(١) **الرِّسْل** : اللبن ، وفي « نهاية الأرب » (١٨/ ٣٥١) : (إرساله بالرسل) بدل (إرسال رسل منه) .

(٢) في (ب) : (له) بدل (لهم) ، **والعُقُل** : جمع عِقال ؛ وهو الحبل الذي يُشَد به الجمل ، والرواية في « نهاية الأرب » (١٨/ ٣٥١) : (في غُلَل) بدل (في عُقُل) ، **والغُلَل** : جمع غُلة ؛ وهي الخرقة التي يُشد بها فم الإبريق .

(٣) في (أ) : (حكم) بدل (حلم) ، و(بالإنذار) بدل (بالإعذار) .

(٤) في (أ) : (فاضطربوا) بدل (فاصطبروا) .

(٥) **الضَّنْك** : الضيق ، وفي « نهاية الأرب » (١٨/ ٣٥١) : (بضنك الضنك) بدل (بضنك الأسر) ، **والأَزْل** : الضيق والشِّدة ، **والأَزْر** : العون والقوة ، وضبط (يَزَل) في (ب) بضم الزاي .

(٦) **الجَمَّة** : الكثيرة .

(٧) في « نهاية الأرب » (١٨/ ٣٥١) : (فوحَّد) بدل (يُوحِّد) ، **والطَلُّ** : المطر الضعيف ، **والطَّلَل** : ما شخص من آثار ورسوم الديار علىٰ وجه الأرض .

٥٥ـ إنْ قُـدَّ ظَهْـرُ وَلِـيِّ ٱللهِ مِـنْ دُبُـرٍ   قَدْ قُدَّ قَلْبُ عَدُوِّ ٱللهِ مِنْ قُبُلِ[١]

* * * * *

٥٦ـ نَفَرْتَ فِي نَفَرٍ لَمْ تَرْضَ أَنْفُسُهُمْ   إذْ نَافَرُوا ٱلرِّجْسَ إلا ٱلْقُدْسَ مِنْ نَفَلِ[٢]

٥٧ـ بِأَنْفُسٍ بُدِّلَتْ فِي ٱلْخُلْدِ إذْ بُذِلَتْ   عَنْ صِدْقِ بَذْلٍ بِبَدْرٍ أَكْرَمَ ٱلْبَدَلِ[٣]

٥٨ـ مِـنْ كُـلِّ مُهْتَصِـرٍ للهِ مُنْتَصِـرٍ   بِٱلْبِيضِ مُخْتَصِرٍ بِٱلسُّمْرِ مُعْتَقِلِ[٤]

٥٨ـ يَمْشِي إِلَى ٱلْمَوْتِ عَالِي ٱلْكَعْبِ مُعْتَقِلاً   أَظْمَى ٱلْكُعُوبِ كَمَشْيِ ٱلْكَاعِبِ الْفُضُلِ[٥]

٦٠ـ قَدْ قَاتَلُوا دُونَكَ ٱلأَقْتَالَ عَنْ جَلَدٍ   وَجَالَدُوا بِجِلادِ ٱلْبِيضِ وَٱلْجَدَلِ[٦]

٦١ـ وَصَلْتَهُـمْ وَقَطَعْـتَ ٱلأَقْـرَبِيـنَ مَعـاً   فِي ٱللهِ لَوْلاهُ لَمْ تَقْطَعْ وَلَمْ تَصِلِ

٦٢ـ وَجَـاءَ جِبْـرِيـلُ فِـي جُنْـدٍ لَـهُ عُـدَدٌ   لَمْ تَبْتَذِلْهَا أَكُفُّ ٱلْخَلْقِ بِٱلْعَمَلِ[٧]

٦٣ـ بِيضٌ مِنَ ٱلْعَوْنِ لَمْ تُسْتَلَّ مِنْ غُمُدٍ   خَيْلٌ مِنَ ٱلْكَوْنِ لَمْ تَسْتَنَّ فِي طِيَلِ[٨]

---

(١) قُدَّ : شُقَّ طولاً ، أو قطع .

(٢) نافروا الرِّجْس : جانبوا الأصنام والشرك ، والقُدْس : الجنة ، والنَّفَل : الغنيمة .

(٣) قوله : (أكرمَ) : نائب مفعول مطلق لـ (بُدِّلت) .

(٤) المُهتصِر : الشجاع الشديد الذي يكسر أعداءه ، وهو من أسماء الأسد ، والبِيض : جمع أبيض ؛ وهو السيف ، والسُّمر : الرماح ، وفي « نهاية الأرب » (١٨/ ٣٥٦) : (بالرمح) بدل (بالسمر) .

(٥) أظمى الكعوب : أسمر الرماح ، والفُضُل : المرأة في ثوب واحد ، وهو ما تلبسه في بيتها .

(٦) الأقتال : جمع قِتْل ؛ وهو العدو ، وفي « نهاية الأرب » (١٨/ ٣٥٦) : (الأقيال) أي : الملوك ، وفيها أيضاً : (بجلاء) بدل (بجلاد) ، وفي (أ) : (وجادلوا) بدل (وجالدوا) .

(٧) ضبط (عُدَد) في (ب) بفتح العين .

(٨) العون ؛ أي : عون الله ، والكَون : مما قال الله له : (كن) ، وتستنُّ : تسرح وتجري ، والطِّيَل : حبل طويل تشد به قوائم الدابة .

٦٤ـ أَحْبِبْ بِخَيْلٍ مِنَ ٱلتَّكْوِينِ قَدْ جُنِبَتْ ... لِجَانِبٍ عَنْ جَنَابِ ٱلْحَقِّ مُعْتَزِلِ[١]

٦٥ـ أَعْمَيْتَ جَيْشاً بِكَفٍّ مِنْ حَصىً فَجَثَوْا ... وَعُلِّقُوا عَنْ حَرَاكِ ٱلنَّقْلِ بِٱلنَّقَلِ[٢]

٦٦ـ وَدَعْــوَةٍ بِفِنَــاءِ ٱلْبَيْــتِ صَــادِقَــةٍ ... غَـدَا أُمَيَّـةُ مِنْهَـا شَـرَّ مُنْخَـزِلِ[٣]

٦٧ـ غَـادَرْتَ جَهْـلَ أَبِي جَهْـلٍ بِمَجْهَلَـةٍ ... وَشَابَ شَيْبَةُ قَبْلَ ٱلْمَوْتِ مِنْ وَجَلِ[٤]

٦٨ـ وَعُتْبَـةُ ٱلشَّـرِّ لَـمْ يُعْتِـبْ فَتَعْطِفَـهُ ... مِنْكَ ٱلْعَوَاطِفُ قَبْلَ ٱلْحَيْنِ فِي مَهَلِ[٥]

٦٩ـ وَعُقْبَـةُ ٱلْغُمْـرِ عُقْبَـاهُ لِشِقْـوَتِـهِ ... أَنْ ظَلَّ مِنْ غَمَرَاتِ ٱلْخِزْيِ فِي ظُلَلِ[٦]

٧٠ـ وَكُلُّ أَشْوَسَ عَاتِي ٱلْقَلْبِ مُنْقَلِبٍ ... جَعَلْتَـهُ بِقَلِيـبِ ٱلْبِئْـرِ كَـٱلْجُعَـلِ[٧]

٧١ـ وَجَـاثِـمٍ بِمُثَـارِ ٱلنَّقْـعِ مُشْتَعِـلٍ ... بِجَاحِمٍ مِنْ أُوَارِ ٱلثُّكْلِ مُشْتَغِلِ[٨]

٧٢ـ عَقَدْتَ بِٱلْخِزْيِ فِي عِطْفَيْ مُقَلَّدِهِ ... طَوْقَ ٱلْحَمَامَةِ بَاقٍ غَيْرَ مُنْتَقِلِ[٩]

---

(١) جُنبت : قُيِّدت وعُزلت .

(٢) عُلِّقوا : حُبسوا ، وفي (أ) : (عقلوا) ، وفي « نهاية الأرب » (١٨/٢٥٣) : (عُطِّلوا) ، والنَّقْل : مصدر (نَقَل) ، والنَّقَل : الحصىٰ .

(٣) مُنخزِل : منقطع ، وضبطت (دعوة) و(صادقة) في (أ) بالرفع والنصب ، وأمية : هو ابن خلف .

(٤) شيبة : هو ابن ربيعة .

(٥) لم يُعتِب : لم يُزِلْ ما يُعتَب عليه .

(٦) عقبة : هو ابن أبي معيط ، أُسر في بدر ثم قُتل صلباً ، وكان شديد العداوة والإيذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، والغُمر : الجهول الذي لم يُجرِّب الأمور .

(٧) الأَشْوس : الذي يُعرف في نَظَره الغضب أو الحقد تكبُّراً ، والقَليب : البئر ؛ فالإضافة للبيان ، والجُعَل في الأصل : دويبّة سوداء تكون في المواضع الندية .

(٨) الجاثم : الساقط علىٰ ركبتيه ، والنَّقْع : الغبار ، والجاحم : الجمر الشديد الاشتعال ، والأُوار : حر النار ووهجُها ، وفي (أ) : (النقع مشتغل) بدل (النقع مشتعل) ، وضبط فيها (جاثم) و(مشتعل) بالرفع .

(٩) عِطفا الرجل : جانباه من لدن رأسه إلىٰ وركيه ، والمُقلَّد : موضع القلادة ، وفي (أ) : (للخزي) بدل (بالخزي) .

٧٣- أَمْسَىٰ خَلِيلَ صَغَارٍ بَعْدَ نَخْوَتِهِ ... بِٱلْأَمْسِ فِي خُيَلاءِ ٱلْخَيْلِ وَٱلْخَوَلِ[(١)]

٧٤- دَامٍ يُدِيمُ زَفِيراً فِي جَوَانِحِهِ ... جُنْحٌ مِنَ ٱلشَّكِّ لَمْ يَجْنَحْ وَلَمْ يَمِلِ[(٢)]

٧٥- يُقَادُ فِي ٱلْقِدِّ خَنْقاً مُشْرَباً حَنَقاً ... يَمْشِي بِهِ ٱلذُّعْرُ مَشْيَ ٱلشَّارِبِ ٱلثَّمِلِ[(٣)]

٧٦- أَوْصَالُهُ مِنْ صَلِيلِ ٱلْغُلِّ فِي عِلَلٍ ... وَقَلْبُهُ مِنْ غَلِيلِ ٱلْغِلِّ فِي غُلَلِ[(٤)]

٧٧- يَظَلُّ يَحْجُلُ سَاجِي ٱلطَّرْفِ خَافِضَهُ ... لِمَسْكَةِ ٱلْحِجْلِ لا مِنْ مُسْكَةِ ٱلْحَجَلِ[(٥)]

٧٨- أَرَحْتَ بِٱلسَّيْفِ ظَهْرَ ٱلأَرْضِ مِنْ نَفَرٍ ... أَزَحْتَ بِٱلصِّدْقِ مِنْهُمْ كَاذِبَ ٱلْعِلَلِ[(٦)]

٧٩- تَرَكْتَ بِٱلْكُفْرِ صَدْعاً غَيْرَ مُلْتَئِمٍ ... وَآبَ عَنْكَ بِقُرْحٍ غَيْرِ مُنْدَمِلِ

٨٠- وَأَفْلَتَ ٱلسَّيْفُ مِنْهُمْ كُلَّ ذِي أَسَفٍ ... عَلَى ٱلْحِمَامِ حَمَاهُ آجِلُ ٱلأَجَلِ[(٧)]

٨١- قَدْ أَعْتَقَتْهُ عِتَاقُ ٱلْخَيْلِ وَهْوَ يُرَىٰ ... بِهِ إِلَىٰ رِقِّ مَوْتٍ رِقَّةُ ٱلْغَزَلِ[(٨)]

٨٢- فَكَمْ بِبَكَّةَ مِنْ بَاكٍ وَبَاكِيَةٍ ... بِفَيْضِ سَجْلٍ مِنَ ٱلآمَاقِ مُنْسَجِلِ[(٩)]

٨٣- وَكَاسِفِ ٱلْبَالِ بَالِي ٱلصَّبْرِ جُدْتَ لَهُ ... بِوَابِلٍ مِنْ وَبَالِ ٱلْخِزْيِ مُتَّصِلِ[(١٠)]

---

(١) **النخوة** : الكِبْر والعَظَمة ، **والخَوَل** : الحَشَم والخَدَم وزناً ومعنىً .

(٢) **الجُنْح** : الظلام .

(٣) **القِد** : السَّير يُخصف به النعل ؛ وهو الشراك ، **والحَنَق** : الغيظ .

(٤) **الصليل** : الطنين ، **والغُل** : القيد ، **والعِلل** : الأمراض ، **والغِل** : الحقد ، **والغليل** : الحرارة والتهاب الأحشاء ، **والغُلَل** : جمع غُلَّة ؛ وهي بمعنى الغليل .

(٥) **يحجِل** : يمشي مشي المقيَّد ، **والساجي** : الساكن ، **والمَسْكة** : مصدر مَسَك ، **والحِجْل** : القيد ، **والمُسكة** : البقية ، وفي « نهاية الأرب » (١٨/ ٣٥٤) : (لا من مَسْكة الحَجَل) ، **والحَجَلُ** : قباب العروس التي تُزين بالستور .

(٦) في (ب) : (وجه الأرض) بدل (ظهر الأرض) ، والمثبت نسخة أُشير إليها فيها .

(٧) **أفلت السيف** : جعلهم يهربون ويفرون ، **والحِمام** : الموت ، **وحَمَاه** : منعه ، **وآجِلُ الأجَل** : المُتأخِّر من مدة العمر .

(٨) **عِتاق الخيل** : كرائمها وخيارها .

(٩) **السَّجْل** : الدلو العظيمة إذا كانت مملوءة ، **والمُنسجِل** : المُنصَبُّ .

(١٠) **كاسف البال** : سيِّئ الحال ، **والوابل في الأصل** : المطر الغزير الضخم القطر ، =

٨٤ـ فُؤَادُهُ مِنْ سَعِيرِ ٱلْغَيْظِ فِي غُلَلٍ وَعَيْنُهُ مِنْ غَزِيرِ ٱلدَّمْعِ فِي غَلَلِ[١]

٨٥ـ قَدْ أَسْعَرَتْ مِنْهُ صَدْراً غَيْرَ مُصْطَبِرٍ وَحَمَّلَتْ مِنْهُ صَبْراً غَيْرَ مُحْتَمِلِ[٢]

* * * * *

٨٦ـ وَيَوْمَ مَكَّةَ إِذْ أَشْرَفْتَ فِي أُمَمٍ تَضِيقُ عَنْهَا فِجَاجُ ٱلْوَعْثِ وَٱلسَّهَلِ[٣]

٨٧ـ خَوَافِقٌ ضَاقَ ذَرْعُ ٱلْخَافِقَيْنِ بِهَا فِي قَاتِمٍ مِنْ عَجَاجِ ٱلْخَيْلِ وَٱلْإِبِلِ[٤]

٨٨ـ وَجَحْفَلٌ قَذَفُ ٱلْأَرْجَاءِ ذِي لَجَبٍ عَرَمْرَمٌ كَزُهَاءِ ٱلسَّيْلِ مُنْسَجِلِ[٥]

٨٩ـ وَأَنْتَ صَلَّىٰ عَلَيْكَ ٱللهُ تَقْدُمُهُمْ فِي بَهْوِ إِشْرَاقِ نُورٍ مِنْكَ مُكْتَمِلِ[٦]

٩٠ـ يُنِيرُ فَوْقَ أَغَرِّ ٱلْوَجْهِ مُنْتَجَبٌ مُتَوَّجٌ بِعَزِيزِ ٱلنَّصْرِ مُقْتَبِلِ[٧]

٩١ـ تَسْمُو أَمَامَ جُنُودِ ٱللهِ مُرْتَدِياً ثَوْبَ ٱلْوَقَارِ لِأَمْرِ ٱللهِ مُمْتَثِلِ

٩٢ـ خَشَعْتَ تَحْتَ بَهَاءِ ٱلْعَرْشِ حِينَ سَمَتْ بِكَ ٱلْمَهَابَةُ فِعْلَ ٱلْخَاضِعِ ٱلْوَجِلِ[٨]

= والوبال : سوء العاقبة ؛ وهي هنا الخزي الذي هو الهلاك .

(١) **الغَلَل** : الماء الذي يتغلَّل بين الشجر ، وقيل : الماء الظاهر الذي لا يدوم ، بل يخفىٰ تارةً ويظهر تارةً أخرىٰ .

(٢) في نسخة مستأنس بها : (أشعرت) بدل (أسعرت) .

(٣) **الوَعْثُ** : الطريق الشاقُّ المسلكِ ، **والسَّهْل** : خلاف الجبل ، وحُرِّكت الهاء للضرورة .

(٤) **الخوافق** : الرايات والأعلام ، **والخافقان** : المشرق والمغرب ، **والقاتم** : المغبرُّ الأسود ، **والعَجاج** : الغبار .

(٥) **الجَحْفَل** : الجيش الكثير ، **وقَذَفُ الأرجاء** : المتباعد النواحي ، **واللَّجَب** : ارتفاع الأصوات واختلاطها ، **والعَرَمْرَم** : الشديد ، أو الجيش الكثير ، وفي « نهاية الأرب » (١٨/ ٣٥٥) : (كزهاء الليل منسدل) .

(٦) **تقدُمهم** : تتقدَّمهم ، **والبهو** في الأصل : البيت المُقدَّم أمام البيوت .

(٧) **المنتجب** : المختار .

(٨) في « نهاية الأرب » (١٨/ ٣٥٥) : (لواء العز) بدل (بهاء العرش) .

٩٣ـ وَقَـدْ تَبَـاشَـرَ أَمْـلاكُ ٱلسَّمَـاءِ بِمَـا ... مَلَكْتَ إِذْ نِلْتَ مِنْهُ غَايَةَ ٱلأَمَلِ(١)

٩٤ـ وَٱلأَرْضُ تَرْجُفُ مِنْ زَهْوٍ وَمِنْ فَرَقٍ ... وَٱلْجَوُّ يَزْهَرُ إِشْرَاقاً مِنَ ٱلْجَذَلِ(٢)

٩٥ـ وَٱلْخَيْـلُ تَخْتَـالُ زَهْـواً فِـي أَعِنَّتِهَـا ... وَٱلْعِيسُ تَنْثَالُ زَهْواً فِي ثُنَى ٱلْجُدُلِ(٣)

٩٦ـ لَوْلا ٱلَّذِي خَطَّتِ ٱلأَقْلامُ مِنْ قَدَرٍ ... وَسَابِقٍ مِنْ قَضَاءٍ غَيْرِ ذِي حِوَلِ(٤)

٩٧ـ أَهَـلَّ ثَهْـلانُ بِـٱلتَّهْلِيـلِ مِـنْ طَـرَبٍ ... وَذَابَ يَـذْبُـلُ تَهْلِيلاً مِـنَ ٱلذُّبُـلِ(٥)

٩٨ـ اَلْمُلْـكُ للهِ هَـٰـذَا عِـزُّ مَـنْ عُقِـدَتْ ... لَـهُ ٱلنُّبُـوَّةُ فَـوْقَ ٱلْعَـرْشِ فِـي ٱلأَزَلِ

٩٩ـ شَعَبْتَ صَدْعَ قُرَيْشٍ بَعْدَمَا قَذَفَتْ ... بِهِمْ شَعُوبُ شِعَابَ ٱلسَّهْلِ وَٱلْقُلَلِ(٦)

١٠٠ـ قَـالُـوا مُحَمَّـدُ قَـدْ زَارَتْ كَتَـائِبُـهُ ... كَٱلأُسْدِ تَزْأَرُ فِي أَنْيَابِهَا ٱلْعُصُلِ(٧)

١٠١ـ فَـوَيْـلُ مَكَّـةَ مِـنْ آثَـارِ وَطْـأَتِـهِ ... وَوَيْلُ أُمِّ قُرَيْشٍ مِنْ جَوَى ٱلْهَبَلِ(٨)

١٠٢ـ فَجُدْتَ عَفْواً بِفَضْلِ ٱلْعَفْوِ مِنْكَ وَلَمْ ... تُلْمِـمْ وَلا بِـأَلِيـمِ ٱللَّـوْمِ وَٱلْعَـذَلِ(٩)

---

(١) تباشَرَ أملاكُ السماء : بشَّر بعضُهم بعضاً .

(٢) الزَّهْو : الكِبْر والتِّيه والعَظَمة ، والفَرَق : الخوف والفزع ، ويزهَر : يتلألأ ، والجَذَل : السرور .

(٣) في « نهاية الأرب » (١٨/ ٣٥٥) : (مَيلاً) بدل (زهواً) ، وتنثال : تنصبُّ في سيرها من كل ناحية ، والزَّهْو : السير السهل ، والجُدُل : جمع جديل ؛ وهو الزمام المجدول المحكم .

(٤) الحِوَل : التحوُّل .

(٥) ثهلان ويذبل : جبلان ؛ الأول : في بني نمير ، والثاني : في اليمامة ، والذُّبُل : الرماح الدقيقة ، وفي « نهاية الأرب » (١٨/ ٣٥٦) : (تكبيراً) بدل (تهليلاً) ، والمثبت بمعنى الجبن والخور .

(٦) شعَبتَ : جمعت ، والشَّعوب : المنية ، والقُلَل : أعالي الجبال .

(٧) في « نهاية الأرب » (١٨/ ٣٥٢) : (حلَّت) بدل (زارت) ، والعُصُل : جمع أعْصل ؛ وهو المعوج الشديد ، وفي (ب) : (العُضُل) بالمعجمة ؛ جمع أعْضل ؛ وهو الشديد .

(٨) الجَوَىٰ : الحزن ، والهَبَل : الثُّكل والفقد .

(٩) لم تُلْمِم : لم تأتِ باللَّمَم ؛ وهي صغائر الذنوب ، والعَذَل : الملامة .

١٠٣ـ أَضْرَبْتَ بِٱلصَّفْحِ صَفْحاً عَنْ طَوَائِلِهِمْ طَوْلاً أَطَالَ مَقِيلَ ٱلنَّوْمِ فِي ٱلْمُقَلِ[(١)]

١٠٤ـ رَحِمْتَ وَاشِجَ أَرْحَامٍ أُتِيحَ لَهَا تَحْتَ ٱلْوَشِيجِ نَشِيجُ ٱلرَّوْعِ وَٱلْوَجَلِ[(٢)]

١٠٥ـ عَاذُوا بِظِلِّ كَرِيمِ ٱلعَفْوِ ذِي لَطَفٍ مُبَارَكِ ٱلْوَجْهِ بِٱلتَّوْفِيقِ مُشْتَمِلِ[(٣)]

١٠٦ـ أَزْكَى ٱلْخَلِيقَةِ أَخْلاقاً وَأَطْهَرُهَا وَأَكْرَمُ ٱلنَّاسِ صَفْحاً عَنْ ذَوِي ٱلزَّلَلِ[(٤)]

١٠٧ـ زَانَ ٱلْخُشُوعَ وَقَارٌ مِنْهُ فِي خَفَرٍ أَرَقَّ مِنْ خَفَرِ ٱلعَذْرَاءِ فِي ٱلْكِلَلِ[(٥)]

١٠٨ـ وَطُفْتَ بِٱلْبَيْتِ مَحْبُوراً وَطَافَ بِهِ مَنْ كَانَ عَنْهُ قُبَيْلَ ٱلْفَتْحِ فِي شُغُلِ[(٦)]

١٠٩ـ وَٱلْكُفْرُ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْخِزْيِ مُرْتَكِسٌ ثَاوٍ بِمَنْزِلَةِ ٱلْبَهْمُوتِ مِنْ زُحَلِ[(٧)]

١١٠ـ حَجَزْتَ بِٱلأَمْنِ أَقْطَارَ ٱلْحِجَازِ مَعاً وَمِلْتَ بِٱلْخَوْفِ عَنْ خَيْفٍ وَعَنْ مَلَلِ[(٨)]

١١١ـ وَحَلَّ أَمْنٌ وَيُمْنٌ مِنْكَ فِي يَمَنٍ لَمَّا أَجَابَتْ إِلَى ٱلإِيمَانِ عَنْ عَجَلِ[(٩)]

١١٢ـ وَأَصْبَحَ ٱلدِّينُ قَدْ حُفَّتْ جَوَانِبُهُ بِعِزَّةِ ٱلنَّصْرِ وَٱسْتَوْلَىٰ عَلَى ٱلْمِلَلِ[(١٠)]

١١٣ـ قَدْ طَاعَ مُنْحَرِفٌ مِنْهُمْ لِمُعْتَرِفٍ وَٱنْقَادَ مُنْعَدِلٌ مِنْهُمْ لِمُعْتَدِلِ[(١١)]

---

(١) **الطوائل** : جمع طائلة ؛ وهي العداوة ، **والمُقَل** : جمع مُقْلة ؛ وهي الحدقة ؛ أي : أنَّ صفحه صلى الله عليه وسلم مَنّاً منه وتفضُّلاً . . منحهم الطمأنينة في النوم .

(٢) **الواشج** : الرحم المشتبكة المتصلة ، **والنشيج** : الغصُّ من البكاء من غير انتحاب .

(٣) **اللَّطَف** : العطف والرفق .

(٤) في « نهاية الأرب » (١٨/٣٥٧) : (وأكثر) بدل (وأكرم) .

(٥) **الخَفَر** : الحياء ، **وقيل** : شدة الحياء ، **والكِلَل** : جمع كِلَّة ؛ وهو سِتْر رقيق يُتوقَّىٰ به من البعوض .

(٦) **المحبور** : المسرور .

(٧) **البَهْموت** : المراد به : أسفل مكان في الأرض ، **وزُحَل** : أعلىٰ نجم في السماء .

(٨) **حجزتَ** : منعت ، **ومِلْت** : نحّيت ، **والخَيْف** : هو خيف بني كنانة بمِنىً ، **ومَلَل** : موضع بين مكة والمدينة .

(٩) في « نهاية الأرب » (١٨/٣٥٧) : (في عجل) .

(١٠) في « نهاية الأرب » (١٨/٣٥٧) : (واستعلىٰ) بدل (واستولىٰ) .

(١١) **طاع** : انقاد .

١١٤ـ أَحْبِبْ بِخُلَّةِ أَهْلِ ٱلْحَقِّ فِي ٱلْخُلَلِ وَعِـزِّ دَوْلَتِـهِ ٱلْغَـرَّاءِ فِـي ٱلـدُّوَلِ

* * * * *

١١٥ـ أَمَّ ٱلْيَمَـامَـةَ يَـوْمٌ مِنْـهُ مُصْطَلِـمٌ وَحَلَّ بِٱلشَّام شُؤْمٌ غَيْرُ مُرْتَحِلِ[١]

١١٦ـ تَعَـرَّقَـتْ مِنْهُ أَعْـرَاقُ ٱلْعِـرَاقِ وَلَـمْ يُتْرَكْ مِنَ ٱلتُّرْكِ عَظْمٌ غَيْرُ مُنْتَثِلِ[٢]

١١٧ـ لَمْ يَبْقَ لِلْفُرْسِ لَيْثٌ غَيْرُ مُفْتَرِسِ وَلا مِنَ ٱلْحُبْشِ جَيْشٌ غَيْرُ مُنْجَفِلِ[٣]

١١٨ـ وَلا مِنَ ٱلصِّينِ صَوْنٌ غَيْرُ مُبْتَذِلِ وَلا مِنَ ٱلرُّومِ مَرْمىً غَيْرُ مُنْتَضِلِ[٤]

١١٩ـ وَلا مِنَ ٱلنُّوبِ جِذْمٌ غَيْرُ مُنْجَذِمٍ وَلا مِنَ ٱلزِّنْجِ جِذْلٌ غَيْرُ مُنْجَذِلِ[٥]

١٢٠ـ وَنِيلَ بِٱلسَّيْفِ سِيفُ ٱلنِّيلِ وَٱتَّصَلَتْ دَعْوَى ٱلْجُنُودِ فَكُلٌّ بِٱلْجِلادِ صَلِي[٦]

١٢١ـ وَسُلَّ بِٱلْغَرْبِ غَرْبُ ٱلسَّيْفِ إِذْ شَرِقَتْ بِٱلشَّرْقِ قَبْلَ صُدُورِ ٱلْبِيضِ وَٱلأَسَلِ[٧]

١٢٢ـ وَعَـادَ كُـلُّ عَـدُوٍّ عَـزَّ جَـانِبُـهُ قَدْ عَاذَ مِنْكَ بِبَذْلٍ مِنْهُ مُبْتَذَلِ[٨]

١٢٣ـ بِـذِمَّـةِ ٱللهِ وَٱلإِيمَـانِ مُتَّصِـلٍ أَوْ مِنْ شَبَا ٱلنَّصْلِ بِٱلأَمْوَالِ مُنْتَصِلِ[٩]

* * * * *

(١) المُصطلِم : المُستأصِل ، والمراد باليوم : حروب الردة التي استأصلت الشرك وأهلَه ، وعلىٰ رأسهم مسيلمة الكذاب .

(٢) تعرَّقت : ذهب ما عليها من اللحم ، والأعْراق : جمع عَرْق ؛ وهو العظم بما بقي عليه من اللحم ،والمُنتثِل : المستخرج .

(٣) المُنجفِل : المنهزم .

(٤) الانتضال والمناضلة : الرمي بالسهام .

(٥) الجِذْم والجِذْل : الأصل ، والمُنجذِم والمُنجذِل : المنقطع ، وفي (ب) : (المنجدل) بالدال المهملة ؛ وهو الملقىٰ على الجَدَالة ؛ وهي الأرض ، والمثبت أنسب بالتجانس .

(٦) السِّيف : شاطئ البحر وساحله ، والجِلاد : المجالدة بالسيوف .

(٧) غَرْب السيف : حده ، وشَرِقت : غصَّت ، والأَسَل : الرماح .

(٨) في (ب) : (غير) بدل (منه) .

(٩) شَبَا النَّصل : حدُّه ، وانتصل السهم : خرج .

١٢٤ـ يَا صَفْوَةَ ٱللهِ قَدْ أَصْفَيْتُ فِيكَ صَفَا ... صَفْوِ ٱلْوِدَادِ بِلا شَوْبٍ وَلا دَخَلِ[(١)]

١٢٥ـ أَلَسْتَ أَكْرَمَ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ قَدَمٍ ... مِنَ ٱلْبَرِيَّةِ فَوْقَ ٱلسَّهْلِ وَٱلْجَبَلِ

١٢٦ـ وَأَزْلَفَ ٱلْخَلْقِ عِنْدَ ٱللهِ مَنْزِلَةً ... إِذْ قِيلَ فِي مَشْهَدِ ٱلأَشْهَادِ وَٱلرُّسُلِ[(٢)]

١٢٧ـ قُمْ يَا مُحَمَّدُ فَٱشْفَعْ فِي ٱلْعِبَادِ وَقُلْ ... تُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَ وَٱشْفَعْ عَائِداً وَسَلِ

١٢٨ـ وَٱلْكَوْثَرُ ٱلْحَوْضُ يُرْوِي ٱلنَّاسَ مِنْ ظَمَإٍ ... بَرْحٍ وَيُنْقَعُ مِنْهُ لاعِجُ ٱلْغُلَلِ[(٣)]

١٢٩ـ أَصْفَىٰ مِنَ ٱلثَّلْجِ إِشْرَاقاً مَذَاقَتُهُ ... أَحْلَىٰ مِنَ ٱللَّبَنِ ٱلْمَضْرُوبِ بِٱلْعَسَلِ[(٤)]

١٣٠ـ نَحَلْتُكَ ٱلْوُدَّ عَلِّي إِذْ نَحَلْتُكَهُ ... أُحْبَىٰ بِحُبِّكَ مِنْهُ أَفْضَلَ ٱلنِّحَلِ[(٥)]

١٣١ـ فَمَا بِجِلْدِي لِنَضْجِ ٱلنَّارِ مِنْ جَلَدٍ ... وَمَا بِقَلْبِي لِهَوْلِ ٱلْحَشْرِ مِنْ قِبَلِ[(٦)]

١٣٢ـ يَا خَالِقَ ٱلْخَلْقِ لا تُخْلِقْ بِمَا ٱجْتَرَمَتْ ... يَدَايَ وَجْهِيَ مِنْ حُوبٍ وَمِنْ زَلَلِ[(٧)]

١٣٣ـ وَٱصْحَبْ وَصَلِّ وَوَاصِلْ كُلَّ صَالِحَةٍ ... عَلَىٰ صَفِيِّكَ بِٱلإِصْبَاحِ وَٱلأُصُلِ[(٨)]

تمّت القصيدة

والحمد لله رب العالمين

---

(١) في « نهاية الأرب » (١٨/٣٥٨) : (صافيت) بدل (أصفيت) .

(٢) أزلف الخلق : أقربهم .

(٣) البَرْح : الشديد ، واللاعج : شديد حرارة القلب من العطش وغيره ، والغُلَل : جمع غُلَّة ؛ وهي شدة العطش .

(٤) المضروب : الممزوج .

(٥) في (ب) : (العود) بدل (الود) ، وأُحبىٰ : أُعطىٰ ، وفي « نهاية الأرب » (١٨/٣٥٩) : (بفضلك) بدل (بحبك) .

(٦) في (أ) : (لجلدي بنضج ، لقلبي بهول) بدل (بجلدي لنضج ، بقلبي لهول) .

(٧) لا تُخلِق : لا تُبلِ ، والحُوب : الإثم .

(٨) الأُصُل : جمع أَصيل ؛ وهو العشي ، وفي (ب) : (في الإشراق) بدل (بالإصباح) ، وفي نسخة علىٰ هامشها : (في الإصباح) .

فهرس أهمّ مصادر ومراجع التحقيق

- **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**، للإمام الحافظ أبي الفيض محمد بن محمد مرتضى الزَّبيدي الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، ط١، (١٤١٤هـ)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، للإمام القارئ شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني البناء الدمياطي (ت١١١٧هـ)، تحقيق أنس مهرة، ط٣، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **الإتقان في علوم القرآن**، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع سنة (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.
- **أحسن ما سمعت**، للإمام الأديب المؤرخ أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق خليل عمران المنصور، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، للإمام المجدد المجتهد الفقيه تقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهب ابن دقيق العيد القشيري (ت٧٠٢هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، طبع سنة (١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م)، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر.
- **إحياء علوم الدين**، للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق ابن العباس الفاكهي (ت بعد ٢٧٢ هـ)، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط٢، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، دار خضر، بيروت، لبنان.

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، ط٧، (١٣٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، مصر.

- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للإمام الفقيه الأصولي المتكلم إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، ط١، (١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

- أسرار البلاغة، للإمام البلاغي النحوي أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق محمود شاكر، ط١، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، مطبعة المدني، القاهرة، مصر. دار المدني، جدة، السعودية.

- الأسماء والصفات، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية، القاهرة، مصر.

- الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- إظهار صدق المودة في شرح البردة، للإمام الفقيه المحدث الأديب المتفنن شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ابن مرزوق الحفيد التلمساني (ت٨٤٢هـ)، صورة عن مخطوطة المكتبة الأزهرية ذات الرقم العام: (١٣١٨٧٣)، والخاص: (٩٣٩١)، الناسخ: محمد بن أحمد البودري الأزهري، تاريخ النسخ: (١١٢٣هـ).

ـ الأعلام، للأستاذ البحاثة خير الدين بن محمود الزركلي (ت١٣٩٦هـ)، ط١٥، (٢٠٠٢م)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
ـ أمثال الحديث، للإمام الحافظ القاضي أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي (ت٣٦٠هـ)، تحقيق أحمد عبد الفتاح تمام، ط١، (١٤٠٩هـ)، الدار مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
ـ الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، المسمى: «رسالة الحرة»، للإمام المجدد القاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، تحقيق محمد زاهد الكوثري، ط٢، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م)، المكتبة الأزهرية، القاهرة، مصر.
ـ أنوار الربيع في أنواع البديع، للعلامة البلاغي السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ)، تحقيق شاكر هادي شكر، ط١، (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م)، مكتبة العرفان، كربلاء، العراق.
ـ الأنوار في الأدعية والأذكار، والمسمى أيضاً: «لوامع الأنوار في الأدعية والأذكار»، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، مخطوطة مبذولة على الشابكة.
ـ الإيضاح في علوم البلاغة، للإمام جلال الدين أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني (ت٧٣٩هـ)، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)، دار الجيل، بيروت، لبنان.
ـ البداية والنهاية، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، طبع سنة (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
ـ البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، للإمام الفقيه المتفنن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد ابن الملقن وابن النحوي المصري (ت٨٠٤هـ)، تحقيق مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، ط١، (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م)، دار الهجرة، الرياض، السعودية.

- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، للإمام اللغوي المتفنن مجد الدين أبي ظاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق محمد علي النجار، طبع سنة (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م)، لدى المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر.
- **بغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخرين مع ضم فوائد جمة من كتب شتى للعلماء المجتهدين**، للإمام الفقيه الحبيب عبد الرحمن بن محمد المشهور الحضرمي (ت١٣٢٠هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، (١٣٩٩هـ١٩٧٩م)، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.
- **بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها**، للإمام المحدث الورع أبي محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي (ت٦٩٩هـ)، ط١، (١٣٤٨هـ ـ ١٩٢٩م)، مطبعة الصدق الخيرية، القاهرة، مصر.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، للإمام الشريف الحافظ المحدث المسند اللغوي أبي الفيض محمد بن محمد مرتضى الزَّبيدي الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وجماعة من المحققين، ط١، (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م)، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت.
- **التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول**، للشيخ أبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي القنوجي (ت١٣٠٧هـ)، ط١، (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م)، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.
- **تاريخ الأدب العربي**، للأديب الدكتور أحمد شوقي عبد السلام ضيف المصري (ت ٢٠٠٢م)، ط١، (١٩٩٥م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام للحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط٢، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- تاريخ الطبري، المسمَّى: «تاريخ الرسل والملوك»، للإمام المفسر المؤرخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ط٢، (١٣٨٧هـ)، دار التراث، بيروت، لبنان.

- التاريخ الكبير، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، طبع تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، لإمام الدنيا الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله ابن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- تحفة السامع والقاري في ختم صحيح الإمام البخاري، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، صورة عن مخطوطة المكتبة الأزهرية ذات الرقم العام: (١٣٣٦٨٨)، والخاص: (٧٦٨٩)، الناسخ: عبد الواحد بن أحمد الخطيب، تاريخ النسخ: (١١٥٦هـ).

- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تحفة المريد على جوهرة التوحيد، لشيخ الأزهر الإمام الفقيه المتكلم برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري (ت١٢٧٦هـ)، تحقيق علي جمعة محمد الشافعي، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، دار السلام، القاهرة، مصر.

- تخريج إحياء علوم الدين، المسمى: «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار»، للإمام الحافظ زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت٨٠٦هـ)، تحقيق أشرف بن عبد المقصود، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، مكتبة دار طبرية، الرياض، السعودية.
- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للإمام المفسر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق الصادق بن محمد بن إبراهيم، ط١، (١٤٢٥هـ)، مكتبة دار المنهاج، الرياض، السعودية.
- تراجم المؤلفين التونسيين، للشيخ الأديب المؤرخ محمد محفوظ الصفاقسي (ت١٤٠٨هـ)، ط٢، (١٩٩٤م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- تشنيف المسامع بجمع الجوامع، للإمام الفقيه الأصولي بدر الدين أبي عبد الله محمد بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق سيد عبد العزيز وعبد الله ربيع، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، مكتبة قرطبة، القاهرة، مصر.
- التعرف لمذهب أهل التصوف، للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (ت٣٨٠هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تفسير الرازي، المسمى: «التفسير الكبير» أو «مفاتيح الغيب»، للإمام المتكلم المفسر فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، ط١، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- تفسير السمرقندي، المسمى: «بحر العلوم»، للإمام المفسر أبي الليث نصر ابن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٥هـ)، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وزكريا عبد المجيد النوتي، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تفسير الطبري، المسمى: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- **تفسير القرآن العظيم**، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط٢، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار طيبة، الرياض، السعودية.
- **التكملة لوفيات النقلة**، للإمام الحافظ زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت٦٥٦هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، ط٣، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- **التمثيل والمحاضرة**، للإمام الأديب المؤرخ أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، (١٤٠١هـ -١٩٨١م)، الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر.
- **تهذيب الأسرار**، للإمام العارف أبي سعد عبد الملك بن محمد بن إبراهيم الخركوشي (ت٤٠٧هـ)، تحقيق بسام محمد بارود، طبع سنة (١٩٩٩م)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات.
- **تهذيب التهذيب**، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، ط١، (١٤١٦هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**، للإمام المحدث شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد ابن ناصر الدين الدمشقي (ت٨٤٢هـ)، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط١، (١٩٩٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، للإمام الحافظ مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ)، بتحقيق عبد القادر الأرنؤوط والتتمة تحقيق بشير عيون، ط١، (١٣٨٩هـ)، مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان، دمشق، سورية.
- **جامع الشروح والحواشي**، للباحث السيد عبد الله محمد بن علي الحبشي الحضرمي، طبع في المركز الثقافي سنة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، أبو ظبي، الإمارات.

- **الجامع لأحكام القرآن**، للإمام المفسر **أبي عبد الله** محمد بن أحمد بن أبي بكر **القرطبي** (ت٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.
- **الجامع لشعب الإيمان**، للإمام الحافظ **أبي بكر** أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد العلي حامد، ط١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية. الدار السلفية، بومباي، الهند.
- **حاشية ابن عابدين**، المسماة: «رد المحتار على الدر المختار»، للعلامة المحقق السيد محمد أمين بن عمر **ابن عابدين** أفندي (ت١٢٥٢هـ)، طبعة خاصة سنة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، عالم الكتب، الرياض، السعودية.
- **حاشية الباجوري على البردة**، لشيخ الأزهر الإمام الفقيه المتكلم برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد **الباجوري** (ت١٢٧٦هـ)، ط٤، (١٣٧٠هـ - ١٩٥١م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.
- **حاشية العطار على المطلع**، لشيخ الأزهر الإمام المحقق المتفنن **حسن** بن محمد بن محمود **العطار** الشافعي (ت١٢٥٠هـ)، طبع سنة (١٣٤٧هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.
- **حاشية على شرح الشمائل**، للإمام الحافظ **شهاب الدين** أبي العباس أحمد بن محمد **القسطلاني** (ت٩٢٣هـ)، صورة عن مخطوطة مصورة لدى جامعة الملك سعود ذات الرقم (٢١٩)، الناسخ: عبد الله بن سليمان، تاريخ النسخ: (١٠٩٣هـ).
- **الحطة في ذكر الصحاح الستة**، للشيخ أبي الطيب **محمد صديق خان** بن حسن ابن علي **القنوجي** (ت١٣٠٧هـ)، ط١، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، للإمام الحافظ **أبي نعيم** أحمد بن عبد الله **الأصبهاني** (ت٤٣٠هـ)، ط٥، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧هـ) لدى دار الريان للتراث، القاهرة، مصر. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ـ **خريدة القصر وجريدة العصر**، للإمام الأديب الشاعر المؤرخ أبي عبد الله **عماد الدين** محمد بن نفيس الدين حامد بن محمد الأصبهاني الكاتب (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمد بهجة الأثري وجميل سعيد، طبع سنة (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م) لدى مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق.

ـ **خزانة الأدب وغاية الأرب**، للإمام الأدب في عصره **تقي الدين** أبي بكر بن علي بن عبد الله **ابن حجة** الحموي (ت٨٣٧)، تحقيق عصام شقيو، طبع سنة (٢٠٠٤م) دار هلال والبحار، بيروت، لبنان.

ـ **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، للإمام النحوي اللغوي **عبد القادر** بن عمر **البغدادي** (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط٤، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ـ **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، للإمام النحوي اللغوي المقرئ أبي العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم **السمين الحلبي** (ت٧٥٦هـ)، تحقيق أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، سورية.

ـ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، للإمام الحافظ **جلال الدين** أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ـ **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي **ابن حجر العسقلاني** (ت٨٥٢هـ)، ط٢، (١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

ـ **دفع شبه التشبيه**، للإمام الحافظ المؤرخ **أبي الفرج** عبد الرحمن بن علي بن محمد **ابن الجوزي** (ت٥٩٧هـ)، ومعه تعليقات فضيلة العلامة محمد زاهد الكوثري، ط١، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر.

ـ **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، للإمام الحافظ **أبي بكر** أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- دلائل النبوة، للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق محمد رواس قلعه جي وعبد البر عباس، ط٢، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار النفائس، بيروت، لبنان.
- ديوان ابن نباتة، للشاعر أبي نصر عبد العزيز بن عمر ابن نباتة التميمي السعدي (ت٤٠٥هـ)، تحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، وهي عبارة عن رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب جامعة عين شمس، ثم طبعت في دار الحرية، سنة (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)، بغداد، العراق.
- ديوان أبي نواس، لشاعر العراق أبي نواس الحسن بن هانئ بن عبد الأول البغدادي (ت١٩٨هـ)، تحقيق محمود أفندي واصف، ط١، (١٨٩٨م)، طبع على نفقة إسكندر آصاف، المطبعة العمومية، القاهرة، مصر.
- ديوان النابغة الذبياني، للشاعر الجاهلي أبي أمامة زياد بن معاوية بن ضباب النابغة الذبياني (ت نحو ١٨ ق هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، للشاعر الحكيم الجاهلي زهير بن أبي سلمى المازني المضري (ت١٣ ق هـ)، تحقيق علي حسن فاعور، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ذم الهوى، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق خالد عبد اللطيف السبع العلمي، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- الرسالة القشيرية، للإستاذ الإمام الأصولي المتكلم المربي أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت٥٨١هـ)، تحقيق عمر عبد السلام السلامي، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- روضة الطالبين وعمدة المفتين، لشيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى ابن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق زهير الشاويش، ط٣، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان. عمان، الأردن.

- الزهد الكبير، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عامر حيدر، ط٣، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- زهر الآداب وثمر الألباب، للإمام الأديب الناقد أبي إسحاق إبراهيم بن علي ابن تميم الأنصاري الحصري القيرواني (ت٤٥٣هـ)، تحقيق زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام المحدث المؤرخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت٩٤٢هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر.

- السنة، المسمى: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (ت٤١٨هـ)، تحقيق أحمد ابن سعد الغامدي، ط٨، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، دار طيبة، الرياض، السعودية.

- سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

- سنن الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، ط٢، (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

- **سنن الدارمي**، المسمى: «مسند الدارمي»، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله ابن عبد الرحمن **الدارمي** (ت٢٥٥هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، ط١، (١٤١٢هـ ـ ٢٠٠٠م)، دار المغني، الرياض، السعودية.
- **السنن الكبرى**، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب **النسائي** (ت٣٠٣هـ)، تحقيق حسن شلبي، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- **السنن**، المسمى: «سنن سعيد بن منصور»، للإمام الحافظ الثقة أبي عثمان **سعيد بن منصور** الخراساني (ت٢٢٧هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م)، الدار السلفية، الهند.
- **سير أعلام النبلاء**، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد **الذهبي** (ت٧٤٨هـ)، بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط٣، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- **سيرة ابن إسحاق**، للإمام النسابة المؤرخ محمد **بن إسحاق** بن يسار المطلبي (ت١٥١هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **السيرة الحلبية**، المسمى: «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون»، للإمام نور الدين علي بن إبراهيم بن أحمد **الحلبي** (ت١٠٤٤هـ)، ط٢، (١٤٢٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **السيرة النبوية**، للإمام المؤرخ النسابة أبي محمد عبد الملك **بن هشام** بن أيوب الذهلي (ت٢١٣هـ)، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر.
- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، للشيخ **محمد** بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم **مخلوف** (ت١٣٦٠هـ)، تحقيق عبد المجيد خيالي، ط١، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، للإمام المؤرخ أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد **ابن العماد الحنبلي** (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق محمود الأرنؤوط، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، دار ابن كثير، دمشق، سورية. بيروت، لبنان.
- **شرح ابن العماد على قصيدة البردة**، للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عماد بن يوسف بن عبد النبي **ابن العماد الأقفهسي** (ت٨٠٨هـ)، صورة عن مخطوطة المكتبة الأزهرية ذات الرقم العام: (٩٩٣٥)، والخاص: (٣٠٤).
- **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، المسمى: «منهج السالك إلى ألفية ابن مالك»، للإمام النحوي نور الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عيسى **الأشموني** (ت نحو ٩٠٠هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.
- **شرح البردة البوصيرية (الشرح المتوسط)**، للإمام الأديب عبد الرحمن بن محمد **ابن مقلاش** الوهراني، تحقيق محمد مرزاق، ط١، (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- **شرح البردة**، للعلامة النحوي زيد الدين **خالد** بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي **الأزهري** الوقاد (ت٩٠٥هـ)، مطبوعة بهامش «حاشية الباجوري على البردة»، ط٤، (١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.
- **شرح العقائد النسفية**، للإمام النحرير **سعد الدين** مسعود بن عمر بن عبد الله **التفتازاني** (ت٧٩٢هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م)، دار التقوى، دمشق، سورية.
- **شرح ألفية ابن مالك**، للإمام النحوي قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن **ابن عقيل** القرشي الهاشمي العقيلي (ت٧٦٩هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢٠، (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م)، دار التراث، القاهرة، مصر.
- **شرح المقدمات**، للإمام المتكلم المحدث الشريف أبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر **السنوسي** الحسني (ت٨٩٥هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

- شرح المواقف، للإمام المحقق المتفنن السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني الحسيني (ت٨١٦هـ)، طبع سنة (١٢٩٢م)، دار الطباعة العامرة، إستنبول، تركيا.
- شرح المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للإمام المحدث الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت١١٢٢هـ)، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- شرح مقامات الحريري، للإمام الأديب أبي عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي (ت٦١٩هـ)، ط٢، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الشريعة، للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين البغدادي الآجري (ت٣٦٠هـ)، تحقيق عبد الله الدميجي، ط٢، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، للإمام الحافظ القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق عبده كوشك، ط١، (١٤٣٤هـ - ٢٠٠٣م)، دار الفيحاء، دمشق، سورية. مكتبة الغزالي، دمشق، سورية.
- شفاء السقام في زيارة خير الأنام صلى الله عليه وسلم، للإمام الفقيه المحدث أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق حسين محمد علي شكري، ط١، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح، للإمام القاضي المفتي الفقيه النحوي محمد الطاهر بن محمد الشاذلي ابن عاشور التونسي (ت١٢٨٤هـ)، تحقيق محمد عواد العواد، ط١، (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، دار التقوى، دمشق، سورية.
- الشمائل المحمدية، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق سيد بن عباس الجليمي، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، السعودية.

- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، للإمام اللغوي أبي نصر إسماعيل بن حماد **الجوهري** الفارابي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- **صحيح ابن حبان** بترتيب ابن بلبان، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان ابن أحمد البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- **صحيح البخاري**، المسمى: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه»، (الطبعة السلطانية اليونينية)، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل **البخاري** (ت٢٥٦هـ)، عني به محمد زهير بن ناصر الناصر، ط٣، (١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م)، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان. دار المنهاج، جدة، السعودية.
- **صحيح مسلم**، المسمى: «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم»، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، المطبعة العامرة، القاهرة، مصر، وتم اعتماد ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي في تحقيقه لطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن **السخاوي** (ت٩٠٢هـ)، طبعة مصورة عن نشرة القاسمي لدى مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- **الطبقات الصغرى**، المسمى: «لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية»، للإمام الفقيه الصوفي المربي أبي المواهب **عبد الوهاب** بن أحمد **الشعراني** (ت٩٧٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، ط١، (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.
- **طبقات الصوفية**، للإمام العارف **أبي عبد الرحمن** محمد بن الحسين **السلمي** النيسابوري (ت٤١٢هـ)، تحقيق نور الدين شريبة، ط٣، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

- **الطبقات الكبرى**، المسمى: «لواقح الأنوار في طبقات الأخيار»، للإمام الفقيه الصوفي المربي أبي المواهب **عبد الوهاب** بن أحمد **الشعراني** (ت٩٧٣هـ)، طبع سنة (١٣١٥هـ)، المطبعة العامرة، القاهرة، مصر.
- **الطبقات الكبرى**، للإمام الحافظ المؤرخ أبي عبد الله محمد **بن سعد** الهاشمي البصري (ت٢٣٠هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- **العطايا الربانية على المواهب اللدنية**، للإمام السيد المتكلم المتفنن **شهاب الدين** أحمد بن محمد السحيمي الحسني (ت١١٧٨هـ)، صورة عن مخطوطة المكتبة الأزهرية ذات الرقم العام: (٥٣٨٠)، والخاص: (٦١٠).
- **العظمة**، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر **أبي الشيخ** الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط١، (١٤٠٨هـ)، دار العاصمة، الرياض، السعودية.
- **غاية النهاية في طبقات القراء**، لإمام القراء الحافظ **شمس الدين** أبي الخير محمد بن محمد بن يوسف **ابن الجزري** (ت٨٣٣هـ)، طبعة مصورة عن نسخة برجستراسر سنة (١٣٥١هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.
- **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، للإمام الفقيه المفسر برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني المعروف **بتاج القراء** (ت بعد ٥٣٥ هـ)، تحقيق شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة، جدة، السعودية. مؤسسة علوم القرآن، بيروت، لبنان.
- **غريب الحديث**، للإمام الأديب أبي محمد عبد الله بن مسلم **بن قتيبة الدينوري** (ت٢٧٦هـ)، تحقيق عبد الله الجبوري، ط١، (١٣٩٧هـ)، مطبعة العاني، بغداد، العراق.
- **غلط الضعفاء من الفقهاء**، للإمام أبي محمد عبد الله بن بري بن عبد الجبار **ابن أبي الوحش** المصري (ت٥٨٢هـ)، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط١، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، بعناية محب الدين الخطيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م)، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة السلفية لدى مكتبة الغزالي، دمشق، سورية.
- **الفتح المواهبي في ترجمة الإمام أبي القاسم الشاطبي**، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، مخطوطة مصورة عن جامعة برنستون برقم: (٦٥٧).
- **الفردوس بمأثور الخطاب**، للإمام الحافظ أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو الديلمي (ت٥٠٩هـ)، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **فضائل التسمية بأحمد ومحمد**، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحسين بن أحمد ابن عبد الله بن بكير البغدادي الصيرفي (ت٣٨٨هـ)، تحقيق مجدي فتحي السيد، ط١، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، دار الصحابة، طنطا، مصر.
- **فقه اللغة وسر العربية**، للإمام الأديب المؤرخ أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق خالد فهمي، ط١، (١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط**، نشر المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، طبع سنة (١٩٩٢م)، عمان، الأردن.
- **فهرس العياشي**، المسمى: «اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر»، للشيخ المسند الرحالة الصوفي أبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي (ت١٠٩٠هـ)، تحقيق نفيسة الذهبي، ط١، (١٩٩٦م)، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب.
- **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، للعلامة المحدث المسند السيد محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الحسني (ت١٣٨٢هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط٢، (١٩٨٢م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- **فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي**، لثلة من المؤلفين، طبع سنة (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، نشر منظمة المؤتمر الإسلامي مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستنبول، تركيا.
- **فهرسة ابن خير الإشبيلي**، للإمام الفقيه المقرئ أبي بكر محمد بن خير بن عمر ابن خليفة الإشبيلي الأموي (ت٥٧٥هـ)، تحقيق محمد فؤاد منصور، ط١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **فوات الوفيات**، للإمام المؤرخ صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٩٧٤م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- **القاموس المحيط**، للإمام اللغوي مجد الدين أبي ظاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت٨١٧هـ)، طبع سنة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة (١٣٠٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة، مصر.
- **القسطاس المستقيم**، للإمام حُجَّة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق فيكتور شلحت، ط٢، (١٩٨٣م)، دار المشرق، بيروت، لبنان.
- **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**، للإمام أبي طالب محمد بن علي بن عطية المكي (ت٣٨٦هـ)، تحقيق محمود إبراهيم الرضواني، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.
- **الكتاب**، لشيخ العربية الإمام أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للإمام النحوي المفسر جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، لمحدث الشام أبي الفداء إسماعيل بن محمد الجراحي **العجلوني** الدمشقي (ت١١٦٢هـ)، طبع سنة (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م)، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، للمؤرخ البحاثة مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي **حاجي خليفة** التركي (ت١٠٦٧هـ)، طبع سنة (١٩٤١م)، مكتبة المثنى، بغداد، العراق.
- **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، للإمام المؤرخ **نجم الدين** محمد بن محمد **الغزي** (ت١٠٦١هـ)، تحقيق خليل المنصور، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **اللآلئ السنية شرح المقدمة الجزرية**، للإمام الحافظ **شهاب الدين** أبي العباس أحمد بن محمد **القسطلاني** (ت٩٢٣هـ)، ضمن سلسلة تسمى: «هداية المريد إلى شروح متن ابن الجزري في التجويد»، تحقيق عبد الرحيم الطرهوني.
- **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، للإمام الحافظ **جلال الدين** أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت٩١١هـ)، تحقيق صلاح عويضة، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **لباب الآداب**، للإمام الأديب المؤرخ **أبي منصور** عبد الملك بن محمد بن إسماعيل **الثعالبي** (ت٤٢٩هـ)، تحقيق أحمد حسن لبج، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **لطائف الإشارات**، للأستاذ الإمام الأصولي المتكلم المربي **أبي القاسم** عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك **القشيري** (ت٤٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم البسيوني، ط٣، (٢٠٠٠م)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.
- **اللطائف والظرائف**، للإمام الأديب المؤرخ **أبي منصور** عبد الملك بن محمد ابن إسماعيل **الثعالبي** (ت٤٢٩هـ)، ط١، (١٩٩٢م)، دار المناهل، بيروت، لبنان.

- **مجمع الأمثال**، للإمام اللغوي أبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم **الميداني** (ت٥١٨هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، للإمام المفسر اللغوي الأديب أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف **بالراغب الأصفهاني** (ت٥٠٢هـ)، تحقيق عمر الطباع، ط١، (١٤٢٠هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان.
- **مختصر المعاني**، للإمام المتكلم الأصولي المتفنن **سعد الدين** مسعود بن عمر ابن عبد الله **التفتازاني** (ت٧٩٢هـ)، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، طبعة مصورة لدى مكتبة الصحابة، عينتاب، تركيا.
- **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، للإمام المؤرخ شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله **سبط ابن الجوزي** (ت٦٥٤هـ)، تحقيق ثلة من العلماء، ط١، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، دار الرسالة، دمشق، سورية.
- **المستدرك على الصحيحين**، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن البيِّع **الحاكم** النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، ط١، (١٣٤٢هـ)، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند.
- **المستقصى في أمثال العرب**، للإمام النحوي المفسر أبي القاسم جار الله محمود بن عمر **الزمخشري** (ت٥٣٨هـ)، ط٢، (١٩٨٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **مسند الإمام أحمد**، للإمام الحافظ أبي عبد الله أحمد بن محمد **بن حنبل** الشيباني (ت٢٤١هـ) طبع سنة (١٣١٣هـ)، المطبعة الميمنية، القاهرة، مصر.
- **مسند البزار**، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق **البزار** (ت٢٩٢هـ)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وعادل سعد صبري عبد الخالق، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية.

- **المشيخة الكبرى**، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الكعبي المعروف **بقاضي المارستان** (ت٥٣٥هـ)، تحقيق الشريف حاتم بن عارف العوني، ط١، (١٤٢٢هـ)، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، السعودية.
- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، للإمام اللغوي أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي **الفيومي** (ت نحو ٧٧٠هـ)، ط١، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان.
- **المصنف**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي شيبة العبسي** الكوفي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق محمد عوامة، ط١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار القبلة، جدة، السعودية. مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سورية.
- **المطر والرعد والبرق**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق طارق محمد سكلوع العمودي، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.
- **المطلع شرح إيساغوجي**، لشيخ الإسلام الإمام الفقيه الأصولي المتفنن زين الدين أبي يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا **الأنصاري** (ت٩٢٦هـ)، تحقيق بلال محمد حاتم السقا، ط١، (١٤٤١هـ - ٢٠١٩م)، دار التقوى، دمشق، سورية.
- **معالم التنزيل**، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء **البغوي** (ت٥١٠هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط١، (١٤٢٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- **معجم الأدباء**، المسمى: «**إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**»، للإمام الأديب المؤرخ الرحالة شهاب الدين أبي عبد الله **ياقوت** بن عبد الله الرومي **الحموي** (ت٦٢٦هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- **المعجم الأوسط**، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب **الطبراني** (ت٣٦٠هـ)، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن الحسيني، طبع سنة (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار الحرمين، القاهرة، مصر.

- **معجم البلدان**، للإمام الأديب المؤرخ الرحالة شهاب الدين أبي عبد الله **ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي** (ت٦٢٦هـ)، عني به المستشرق وستنفيلد، ط٢، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- **معجم الشيوخ**، للإمام الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله **ابن عساكر الدمشقي** (ت٥٧١هـ)، تحقيق وفاء تقي الدين، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، دار البشائر، دمشق، سورية.
- **المعجم الصغير**، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب **اللخمي الطبراني** (ت٣٦٠هـ)، ط١، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، طبعة مصورة لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **المعجم الكبير**، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب **الطبراني** (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.
- **معجم المؤلفين**، للأستاذ البحاثة عمر بن رضا بن محمد بن راغب **كحالة** (ت١٤٠٨هـ)، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- **معيار العلم في المنطق**، للإمام حجة الإسلام **أبي حامد** محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، ط٢، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **معيار النظار في علوم الأشعار**، للإمام الأديب البلاغي **عبد الوهاب** بن إبراهيم ابن عبد الوهاب **الزنجاني**، تحقيق محمد علي رزق الخفاجي، طبع سنة (١٩٩١م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، للإمام النحوي جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف **ابن هشام الأنصاري** (ت٧٦١هـ)، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط٦، (١٩٨٥م)، دار الفكر، دمشق، سورية.
- **المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**، للإمام حجة الإسلام **أبي حامد**

محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** الطوسي (ت٥٠٥هـ)، بإشراف اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.
- **المقفى الكبير**، للإمام المؤرخ تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر **المقريزي** (ت٨٤٥هـ)، تحقيق محمد اليعلاوي، ط٢، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة**، للعلامة أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري (ت٧٢١هـ)، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ط١، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- **مناهج الهداية لمعالم الرواية**، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي العباس أحمد ابن محمد **القسطلاني** (ت٩٢٣هـ)، صورة عن مخطوطة المكتبة الأزهرية ذات الرقم العام: (٩٢٥٣٦)، والخاص: (١٨٥٦)، الناسخ: محمد بن أحمد البودري الأزهري، تاريخ النسخ: (١١٢٤هـ).
- **المنتخب من معجم شيوخ السمعاني**، للإمام الحافظ المؤرخ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي **السمعاني** (ت٥٦٢هـ)، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية.
- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، لشيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف **النووي** (ت٦٧٦هـ)، ط٢، (١٣٩٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد **القسطلاني** (ت٩٢٣هـ)، المكتبة التوقيفية، القاهرة، مصر.
- **الموضوعات الكبرى**، المسمى: «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة»، للإمام الفقيه المحدث نور الدين أبي الحسن **ملا علي القاري** بن سلطان محمد الهروي (ت١٠١٤هـ)، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، ط٢،

(١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان. دمشق، سورية.
- **النبراس شرح شرح العقائد**، لإمام المعقول محمد عبد العزيز **الفرهاري**، طبع سنة (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م)، إستنبول، تركيا.
- **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب**، للإمام الفقيه محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن صعد الأنصاري **التلمساني** (ت٩٠١هـ)، صورة عن نسخة محفوظة ضمن مخطوطات مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء تحت الرقم (١٩١٠D)، وجاء ضمن أربعة أجزاء في (٤١٠) ورقة.
- **نجم المهتدي ورجم المعتدي**، للإمام الفقيه القاضي فخر الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عثمان بن عمر **ابن المعلم** القرشي (ت٧٢٥هـ)، تحقيق بلال محمد حاتم السقا، ط١، (١٤٤١هـ ـ ٢٠١٩م)، دار التقوى، دمشق، سورية.
- **النجم الوهاج في شرح المنهاج**، للإمام الفقيه الأديب كمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى **الدميري** (ت٨٠٨هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، للإمام الأديب المؤرخ أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد **المقري** التلمساني (ت١٠٤١هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- **نكت الهميان في نكت العميان**، للأديب المؤرخ صلاح الدين خليل بن أيبك **الصفدي** (ت٧٦٤هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، للإمام الأديب شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم **النويري** البكري (ت٧٣٣هـ)، ط١، (١٤٢٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، للإمام اللغوي **مجد الدين** أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الشيباني **الجزري** (ت٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر

أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، للعلامة المؤرخ السيد **عبد القادر** بن شيخ ابن عبد الله **العيدروس** الحسيني الحضرمي (ت١٠٣٨هـ)، تحقيق أحمد حالو ومحمود الأرنؤوط وأكرم البوشي، ط١، (٢٠٠١م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- **نيل الأمل في ذيل الدول**، للإمام المؤرخ زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل **بن شاهين الملطي** (ت٩٢٠هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

- **هدية العارفين**، للعلامة المؤرخ **إسماعيل** بن محمد أمين بن مير سليم الباباني **البغدادي** (ت١٣٩٩هـ)، طبعة مصورة عن منشورة وكالة المعارف الجليلة إستنبول (١٩٥١م) لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

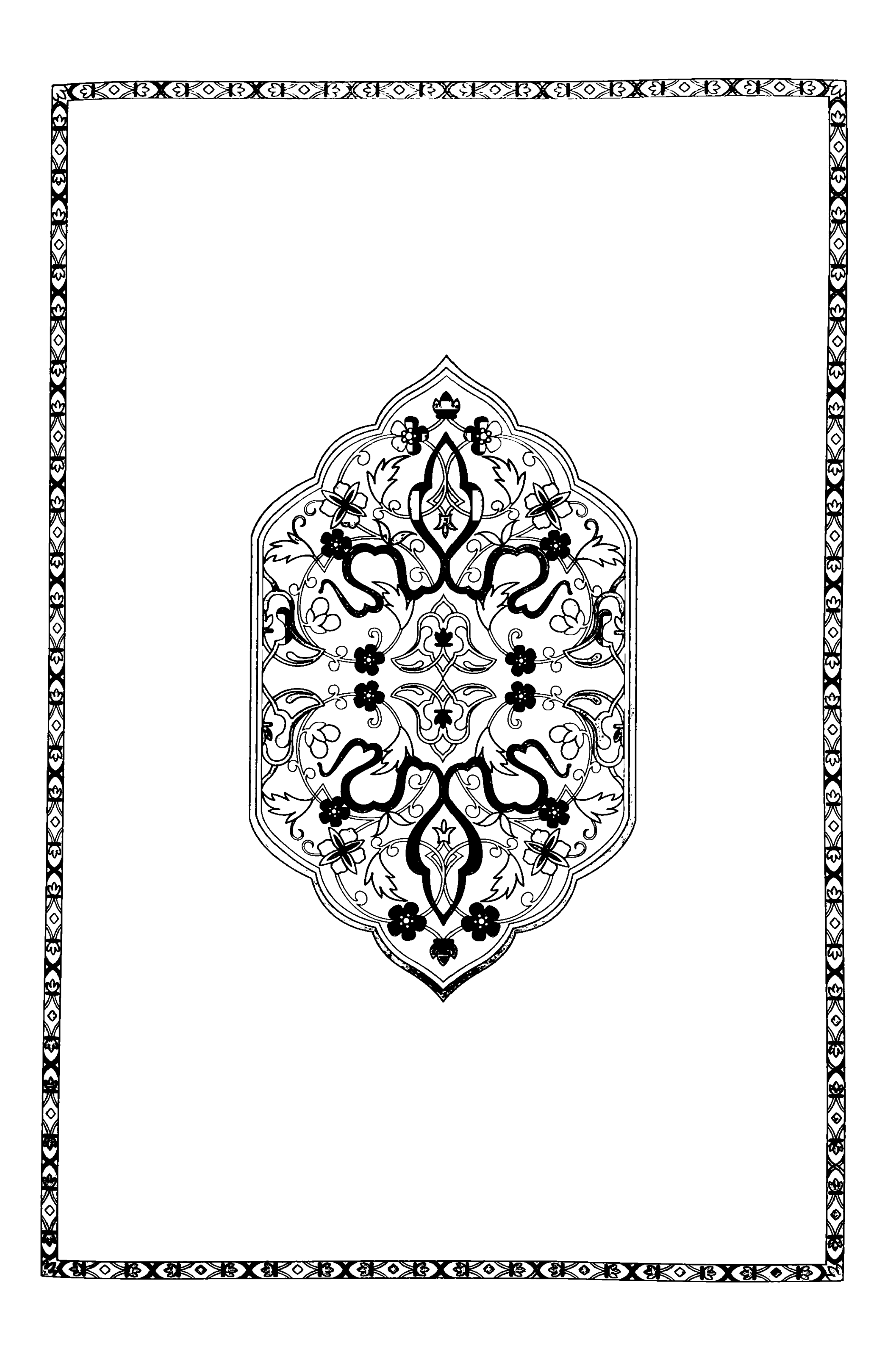
- **الهم والحزن**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق مجدي فتحي السيد، ط١، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، دار السلام، القاهرة، مصر.

- **هواتف الجنان**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد الزغلي، ط١، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- **الوافي بالوفيات**، للأديب المؤرخ صلاح الدين خليل بن أيبك **الصفدي** (ت٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، ط١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، للإمام القاضي المؤرخ أبي العباس أحمد ابن محمد بن إبراهيم **ابن خلكان الإربلي** (ت٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) دار صادر، بيروت، لبنان.

* * *



محتوى الكتاب

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل الثامن في جهاده صلى الله عليه وسلم ٣٥٩